



بجئة النايف والترجمة والنشر

شرح ديوان الحارث بن

لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ - ١٠٠٠

نشرة

عبدلستام هارون

أحمد أمين

القسم الأول

الطبعة الثانية

القاهرة

مطبعة لجنة النايف والترجمة والنشر

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

تصدير

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

نال ديوان الحماسة من الشهرة في العالم العربي ما يستحقه ، ففي الحق أن اختيار أبي تمام كان اختياراً موفقاً ، لأن جامعاً شاعر ممتاز مكنه شعره من أن يختار أحسن ما تقع عليه عينه ، وما تسمعه أذنه . وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعاني ، فكان هذا أيضاً محور اختياره ، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها ، فيعجبه منها معنى أو معنيان ، فيختارهما من بين القصيدة الطويلة . وإذا لم يكن بينهما رابطاً يربط بينهما ، وإذا كانت هناك كلمة نائية غيرهما بخير منها ، فكان مختاراً ومنقحاً في وقت واحد ، وكان له أيضاً فضل تبويب الشعر ، فإننا لا نرى أحداً قبله قسم الشعر هذا التقسيم ؛ فأولا كانت حركة الجمع ، وثانياً كانت حركة الاختيار حينما اتفق في النظم ، كالمفضليات والأصمعيات ، وفي النثر كأمالى القالي ، ثم جاءت حركة الاختيار المبوب ، ولعل فاتحتها كان أبا تمام .

ويظهر أن العادة فشت أولاً في أن يسمى الكل باسم أي جزء حتى في تسمية القرآن . فسميت سورة البقرة لآية فيها في البقرة ، وسورة الأنعام كذلك ، وسورة النمل كذلك ، ثم فشت عادة تسمية الشيء بأوله ، فسُمي العين للخليل لأن أول أبوابه باب العين ، وسمى أبو تمام ديوانه بالحماسة كذلك .

وقد جرى المؤلفون على هذا النمط في عصور التاريخ إلى ظهور مختارات البارودي ، وهو تقسيم ليس منطقياً كالذي اتبعه بعض الإفرنج في تقسيم الشعر

إلى شعر طبيعة ، وشعر إنسان ، وشعر إلهي مثلا . وإلا فأبي منطق في باب الأدب ، وباب الأضياف ، وباب النسب .

قرأت أول عهدي بالأدب شرح ديوان الحماسة هذا للتبريزي فلم يعجبني ، لأن التبريزي نحوي لغوي أكثر منه أديبا وناقداً ، فكنت أقرأ الشرح أحيانا وأنا متعطش جدا لأفهم معنى بيت فلا أجده ، لأن الشارح انصرف إلى شيء آخر . ثم عثرت على نتف للمرزوقي فرأيتها تسد هذا النقص ، ثم قرأت شرحه على مشكلات أبي تمام ، فرأيته إماما عظيما لا يتهرّب من المشاكل ، ولكن يتصدى لها ، فوددت أن لو عثرت على شرحه لديوان الحماسة ونشر ، لأنه يكمل نقص التبريزي ، فلما عثر عليه وجدته فوق ما أتوقع ، ووجدت له مقدمة في النقد لم أر مثلها في اللغة العربية ، فكما كنا نقرأ في كتب الأقدمين عن « عمود الشعر » ونحفظ الكلمة ولا نفهم معناها حتى شرحها المرزوقي شرحا دقيقا وافية ، وكما له من حسنات أخرى غير هذه . فأخراجه للقراء يسد ثلثة ، ويكمل نقصا .

والحق أن أبا تمام كان بارعا في اختياره ، حتى كان شادي الأدب يحفظه أول ما يحفظ ، حتى متعلمو النثر قد نصحهم علماء الأدب أن يقلبوه نثرا مع محافظتهم على المعاني ، ولقد ألف بعضهم نثرا كاملا للديوان — وهو أبو سعيد علي بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ — وأوصوهم أن ينسوه إذا نثروه لتبقى معانيه في اللاوعي يستمد منها صاحبها عند الضرورة . وكما ألفت مختارات من عهده إلى اليوم ، ولكن لم يحظ منها ما حظي ديوان الحماسة .

وكتب الأدب والنحو والصرف مليئة بتعبيرها : « قال في الحماسة » .
ويكني هذا إشارة لأبي تمام وكتابه .

وكما برع فيه أبو تمام ، برع شارحه المرزوقي ، فوقى الكلام حقه لغة ونحواً و صرفاً ومعنى ونقداً ، فالكتاب في مَتْنِهِ وشرحه رغبة الأمل ، وبغية المتأدب .

وقد اشتركت في إخراجه مع الأستاذ المحقق « عبد السلام محمد هارون » .
والحق يقال أن كان له حظ في نشره أكبر من حظي ، فله الشكر على ما بذل من جهد في إخراج الكتاب ؛ وفي نسبته ما ورد في الشرح إلى قائله ، والتعريف بأعلام الشعراء وغيرهم ؛ وتصحيح ما حصل فيه من خطأ الناسخ ، ووضع فهارسه الفنية ، فالله يجزيه عنا وعن الأدب خير الجزاء .

أحمد أمين

تقديم

كتب الاختيار :

لعل أقدم ما وصل إلينا من كتب الاختيار هو « القصائد المفضليات » التي صنعها المفضل الضبي ، وهو اختيار لقصائد طويلة من عيون الشعر ، لم يرتبها المفضل على أبواب خاصة ، ولا قصد أن يجمع الشعر الذي يتناول أغراضاً معينة ، وإنما هو اختيار الذوق الأدبي والجزالة اللغوية ، فيما تراءى له في ذلك العصر .

وقد ظهر بعده من كتب الاختيار التي على هذا النمط « الأصمعيات » لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، و « جمهرة أشعار العرب » لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، و « مختارات شعراء العرب » لأبي السعادات ابن الشجري .

وهناك ضرب آخر من كتب الاختيار بدأه أبو تمام بديوان الحماسة وجرى فيه على تبويب معاني الاختيار . وحذا حذوه البحتري مع بعض الريبة في نسبة الحماسة إليه (١) ، وكذا الخالديان ، وابن الشجري ، وأبو هلال العسكري ،

(١) من اطلع على دقة تقسيم الأبواب في الحماسة المنسوبة إلى البحتري وكثرة ضروبها وأنواعها التي بلغت ١٧٤ بابا راعه أن يكون ذلك من صنيع مثل البحتري . وكما صنع أبو تمام حماسة لآل سلمة ، صنع البحتري حماسة للفتح بن خاقان . ونجد في صدر نسخة ليدن من حماسة البحتري هذا النص : « اختاره من أشعار العرب للفتح بن خاقان معارضة لكتاب الحماسة الذي ألفه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحمهما الله وغفا عنهما . رواية أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبي خالد الأحول عن أبيه عن البحتري . على أن البغدادي يشك في نسبة الحماسة إلى البحتري ، في الخزانة (٣ : ٥٩١) بعد أن نقل عن العمري قوله : « ذكره البحتري في حماسته » : « ولم نسمع أن للبحتري حماسة » .

«الأعلم الشنتمري ، وأبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي الأندلسي ، وأبو الحسن علي بن أبي الفرج البصري ، في دواوينهم المعروفة بالحماسات .

اسم ديوان الحماسة :

ليس يُدرى أمر هذه التسمية ، أم هي من صنيع أبي تمام نفسه ، أم هي عرف جرى بين الأدباء ، وشهرة سارت على وجه الدهر حتى تأدّت إلينا جيلاً بعد جيل . فليس هذا الديوان ديوان حماسة فحسب ، ولكنه يجمع إلى الحماسة المراثي ، والأدب ، والنسب ، والهجاء ، والأضياف ، والمديح ، والسير والنعاس ، والملح ، ومذمة النساء .

والظاهر أن أبا تمام سماه بأول أبوابه وأعظمها .

ويقول التبريزي في مقدمة شرحه للحماسة إن أبا تمام قد صنّف خمسة كتب في الشعر ، منها كتاب الحماسة ، وكتاب الوحشيات .

وقد عثرت على نص في المؤلف ١٨١ فيه : « ومنهم المثلّم بن عمرو التنوخي أنشد له الطائي في اختياره الذي سماه الحماسة » . ومن هذا النص يفهم أن صاحب التسمية هو أبو تمام نفسه .

والذي يقرن بين الحماسة والوحشيات يجد بينهما شهماً كبيراً في التبويب ، فهي تشتمل على الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسب ، والهجاء ، والسماحة ، والأضياف ، والصفات ، والمشيب ، والملح ، ومذمة النساء .

وكما أُطلق على الاختيار الأول اسم الحماسة الكبرى ، أُطلق على الاختيار الثاني اسم الحماسة الصغرى . وجاء في مقدمة ناسخه : « وهذا الكتاب اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحمه الله بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى ، ولم يروّه ، ولكن وُجد بعده مكتوباً في مسوّدته بخطه مترجماً بكتاب الوحشيات »

ولقد رأيت أن هذه التسمية صارت شهرة لكتب الاختيار التي بوّبت لمعاني الشعر ، وأن هذه الشهرة قديمة جداً ، ولا سيما أنها قد أطلقت على حماسة البحري ، وهو قريب العهد والمعاصرة لأبي تمام .

وقد عرف هذه التسمية ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ إذ يقول في مقدمة (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة) : « وقد أجبتهك — أيدك الله — إلى ملتصق من عمل ما في الحماسة من إعراب ، وما يلحق به من اشتقاق أو تصريف . »

تاريخ حماسة أبي تمام :

يقولون في أمثالهم : « رُبُّ ضارةٍ نافعة » . وهكذا كانت الحال مع أبي تمام في صنعه لديوان الحماسة . وقد اقتصر لنا التبريزي في مقدمة شرح الحماسة أن أبا تمام كان قد قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، فمدحه وأثابه ، وعاد من خراسان يريد العراق . فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فغم أبا تمام ذلك وأخرج صدره ، على حين سر ذلك مضيفه أبا الوفاء ، فأقبل على أبي تمام وقال له : وطنٌ نفسك على هذا المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان . وأحضره خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها ، وصنّف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات ، وهي قصائد طوال (١) .

ويقول التبريزي : « إن كتاب الحماسة بقي في خزائن آل سلمة يضمنون به ولا يكادون يبرزونه لأحد حتى تغيرت أحوالهم . وورد همدان رجل من أهل دينور يعرف بأبي العواذل ، فظفر به وحمله إلى أصبهان ، فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه ، فشهروا فيهم ثم فيمن يليهم » .

(١) هكذا ذكر التبريزي . وقد رجعت إلى الوحشيات مصورة دار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٧ أدب فوجدتها مقطوعات على غرار الحماسة ، وإن كانت تمتاز ببعض الطول .

وقد نفهم من نص التبريزي : « ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه » أن أبا تمام قد سبق في هذا الضرب من الاختيار ، وأرى أنه إنما يعني مطلق كتب الاختيار كالمفضليات ، والأصمعيات ، والمعلقات .

عمل أبي تمام في الحماسة :

صب أبو تمام ذوقه الفني على ما وصل إليه من أشعار العرب ، فاختر لكل باب من أبواب الحماسة ما ارتضاه ذوقه ، وعنى عناية خاصة بشعراء طيِّفكان قسطهم في اختياره قسطا كبيرا . وقد لحظ العلماء أن أبا تمام يعمد أحيانا إلى تغيير نصوص الشعر ، ليستقيم له أن يربط بين الأبيات التي تفككت ، أو ليستر عوار نقيصة يشين وجه الحسنة من مقطوعاته . وفي ذلك يقول المرزوقي (١) :

« وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، المجيب لكلِّ داع ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم ، وإسلاميهم ومولدهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكام ، وجمع ما يوافق نظمه وبخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخفَ عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه ؛ حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده ، وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها » .

وهذه التهمة : تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها ، والتي يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه بما يظهرها ويقويها كان جديرا بها أن تنزل بقيمة الحماسة باعتبارها نصوصا يستشهد بها في علوم اللغة والعربية ، ولكنا نجد العلماء مجمعين على تزكية أبي تمام في الحماسة ، وعلى تزكية الحماسة ونصوصها ، بل يعدون

(١) في المقدمة ١٣ - ١٤ .

صنيعه في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه والاستشهاد بشعره . وفي ذلك يقول الزمخشري^(١) : « وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل على هذا بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لو ثوقهم بروايته وإتقانه » .

زيادات الحماسة :

وجدت نصا في الخزانة (٣ : ٣٥٢) عن ابن المستوفي ، قال وهو يتكلم في نسبة بعض الأبيات : « ووجدتها أيضا في نسخة قديمة ذكر كاتبها أنها زيادات الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن في ربيع الآخر سنة ٣٩٨ ، ونسبها - أي الأبيات - لمرداس بن عمرو . قال : وتروى للأخطل » . ولست أدري أمر هذه الزيادات ، هل هي من صنيع أبي تمام ، أم من صنيع غيره .

شرح الحماسة :

هذه الشهرة الطائفة لصانع الحماسة أبي تمام ، وذلك الاختيار الموفق الذي عمد فيه أبو تمام إلى الأشعار التي يحتج بها في اللغات والعربية والمعاني ؛ ذلك الاختيار الذي انتزع إعجاب القدماء حتى يقول المرزوقي : « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ، ولا في اختيار المقصودات أوفى مما دوّنه المفضل ونقده » ، ويقول التبريزي : « قالوا : إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره » .

هذه الدوافع جميعا دعت الأدباء من قديم الزمان أن يُعَنُوا عناية صادقة بدراسة هذه المجموعة الشعرية ، وأن يتصدى لها جمهرة منهم بالتفسير والتوضيح والإعراب .

وقد حفظ لنا صاحب كشف الظنون أسماء عشرين ممن شرحوا الحماسة ،

(١) انظر الخزانة (١ : ٤ ؛ طبع بولاق) .

وقد رتبهم على وفياتهم ، وأذكر في هذه المناسبة أن وفاة أبي تمام كانت في سنة ٢٣١ .

١ — أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفي سنة ٣٣٥ . وهو أول جامع لشعر أبي تمام .

٢ — وأبو الفتح عثمان بن جني المتوفي سنة ٣٩٢ . وقد سمي شرحه « التنبيه على شرح مشكلات الحماسة » . وقد استحضر معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة جيدة منه ، من مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٣٦٩ مكتوبة في سنة ٥٩٤ . وقد استعنت بهذه النسخة واقتبست منها ما دعت الضرورة إليه في التحقيق . وفي اللوح ٢٢ ما يفيد أنه ألفه بعد سر الصناعة . ومن هذا الكتاب نسخة جيدة بدار الكتب المصرية برقم ٤٤ أدب كتبت سنة ٦٨٢ .

٣ — وأبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى صاحب الموازنة ، للمتوفي سنة ٣٧١ .

٤ — وأبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، المتوفي سنة ٣٩٥ . وشرحه هو أحد الشروح التي اعتمد عليها التبريزي في تأليفه . ويمتاز هذا الشرح بعنايته بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء ، وتوضيح بعض ما غمض في ذلك ، مع العناية ببيان اشتقاق أسمائهم .

٥ — وأبو المظفر محمد بن آدم الهروي المتوفي سنة ٤١٤ .

٦ — وأبو علي أحمد بن محمد المرزوقي المتوفي سنة ٤٢١ ، وهو صاحب هذا الشرح الذي نشره .

٧ — وأبو عبد الله الخطيب الإسكافي ، صاحب مبادئ اللغة ، المتوفي سنة ٤٢١ .

٨ — وأبو الحسن علي بن سيده ، اللغوي المشهور ، المتوفي سنة ٤٥٨ ، وهو شرح كبير في ست مجلدات ، سماه « الأنيق » .

- ٩ - وأبو القاسم زيد بن علي الفسوي المتوفى سنة ٤٦٧ .
 ١٠ - وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي المتوفى سنة ٤٧٥ .
 ١١ - وعبد الله بن أحمد الساماني المتوفى سنة ٤٧٥ .
 ١٢ - والأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ .
 وهو كبير في ست مجلدات .

- ١٣ - وأبو بكر بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٤٧٦ .
 ١٤ - وعبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخيري المتوفى سنة ٤٧٦ لا سنة
 ٥٨٤ كما ذكر صاحب كشف الظنون .

- ١٥ - وأبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ .
 وقد فسر الحماسة ثلاث مرات ، كما ذكر صاحب كشف الظنون ، قال :
 « شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها ، وشرح ثانيا
 بيتا بيتا ، ثم شرح شرحا طويلا مستوفيا . وأول المتوسط : « أما بعد حمد الله
 الذي لا يبلغ صفاته الواصفون » .

ومما هو جدير بالذكر أن شرح التبريزي المتداول - بهذا الاعتبار -
 هو الشرح المتوسط ، أما الصغير فمعه قطعة بدار الكتب برقم ١١٩٥ تشمل
 باب الحماسة . وأما الكبير فما لم نهتد إلى معرفته .

وقد طبع شرح التبريزي ثلاث مرات إحداها في مدينة « بن » سنة ١٨٢٨
 بتحقيق المستشرق « غيورغ ولهم فريتغ » Dr. Georg. Guil. Freytag
 المعلم في المدرسة الكلية الفريدرخولهلمية^(١) .

وقد ألحق بنسخته فهارس للأعلام واللغة والقوافي .
 وطبع مرة أخرى في بولاق ١٢٩٦ بتصحيح الشيخ محمد قاسم ، ومرة ثالثة
 بتحقيق الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وذلك في سنة ١٣٥٧ .

(١) هذا هو المكتوب في صدر النسخة المطبوعة ، أثبتته كما هو .

وقد صنع له كذلك عدة فهارس نافعة .

١٦ — وأبو المحاسن مسعود علي البيهقي المتوفي سنة ٥٤٤ .

١٧ — وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون

الحضرمي الإشبيلي المتوفي سنة ٥٨٤ .

١٨ — وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، شارح ديوان المتنبي ،

المتوفي سنة ٦١٦ . وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب .

١٩ — وأبو نصر منصور بن مسلم بن علي الحلبي ، والمعروف بابن الدميك ،

لم يذكروا تاريخ وفاته . قال ياقوت : صنع تلمذة لما قصر فيه ابن جني في شرح الحماسة .

٢٠ — وأبو علي حسن بن علي الاستراباذي النحوي .

٢١ — وأبو نصر قاسم بن محمد النحوي .

٢٢ — هذا ما عرّفه صاحب كشف الظنون من شروح الحماسة ، عرضته

بعد تحقيقه وتصحيحه والتعليق عليه .

على أن أول شارح للحماسة فيما نعلم ، هو أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني

المتوفي سنة ٣٣٩ . وهو شيخ أبي عبد الله النمري^(١) ، خلافا لما نص البغدادي^(٢)

أن أول شارح لها هو أبو عبد الله النمري . وقد نقل البغدادي نصوصا من هذا

الشرح في مواضع يسيرة من الخزانة ، على حين أكثر التبريزي من النقل عنه

في شرحه للحماسة . ويفهم من تتبع نصوصه أن معظمها في الأخبار والأسباب

التي قيل من أجلها الشعر ، وهي زاوية مهمة حقا في تفهم أسرار الحماسة .

٢٣ — وكما صنع أبو رياش تفسير الحماسة ، صنع تلميذه أبو عبد الله النمري^(٣)

(١) إنباء الرواة (١ : ٢٥) مع الحواشي . ونزهة الألباء ٤٠١ .

(٢) في الخزانة (٣ : ٥٤١) .

(٣) نزهة الألباء ٤٠١ - ٤٠٣ .

كتاباً في « مشكلات الحماسة » . ومن هذا الكتاب نصوص في مواضع متفرقة من الخزانة . والتبريزي في شرحه يورد نصوصاً من هذا الكتاب ثم يعقبها برد أبي محمد الأعرابي عليها وتخطئته لها في تهكم ، معتمداً على شيخه أبي الندى ، في أكثر الأمر .

٢٤ - ومما تقدم يعلم أن أبا محمد الأعرابي قد صنع نقداً لشرح النمرى . ومن هذا الكتاب نسخة برقم ٨٠ أدب ش ، وأخرى برقم ١٤٨١ أدب بخط الشنقيطي ، والظاهر أنها منقولة من الأولى . واسم هذا النقد « إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي النمرى البصري مما فسر من أبيات الحماسة أولاً وثانياً جاء في أوله : « قال أبو محمد الأعرابي : حضرت المجلس العادلي العالي - نوره الله - ذات ليلة ، فخرى ذكر أبي عبد الله النمرى رحمه الله ، فأثنى عليه بعض الحاضرين وذكر أنه كان شيخ البصرة في زمانه فضلاً ونبلاً ، ودراية ورواية ، قد استخرج معاني الأبيات من أبيات الحماسة هو فيها السابق المبرز ، والجواد المبرر ، فقلت : شاكره أبا يسار ! تأملت ما فسر الشيخ من تلك الأبيات أولاً وثانياً ، فوجدت في خلال ذلك خلافاً كثيراً ، إما قصوراً وإما تقصيراً ، فقال لي :

* عَنَّا بَاطِلًا وَظُلْمًا (ط) *

إن كنت صادقاً فيما تدعيه فجرد لنقيضها كتاباً يدل على صحة دعواك ، وقد أمهلتك سنة . فأملت كتابي هذا بعون الله في مدة أسبوع ، وبينت مواضع الزلل فيما فسر أبو عبد الله ، وأثبت الصواب تحت كل بيت ، وجعلت ذلك خدمة للمجلس العادلي العالي . وبالله التوفيق .

٢٥ - وقد فات صاحب الكشف أيضاً أن يذكر شيخ المعرفة أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المرعي المتوفي سنة ٤٤٩ . ومن هذا الشرح نصوص نقلها التبريزي في شرحه .

(١) للحارث بن حلزة الشكري في معلقته . وهو بتمامه :
عَنَّا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا نَفَعُ سِرٌّ عَنِ حَجْرَةِ الرَّبِيعِ الطَّبَّاءِ

العنن : الاعتراض

العنن : ذبح العنيرة ، وهي ذبيحة كانت تذبح للأصنام .

أحجرة : الناحية . وكان الرجل

ينذر إن بلغ غنمه مئة ذبح واحدة

للأصنام ، ثم تصد نفسه حينئذ

٢٦ — وأشار البغدادي إلى مصنف لأبي علي الشلوين . قال ^(١) : « وذكر الشلوين فيما كتب على الحماسة . . . » .

٢٧ — وإلى شرح لأبي الفضل الطبرسي ، وقد نقل البغدادي منه نحو ثلاثين نصا في مواضع متفرقة ^(٢) .

٢٨ — وهناك شرح حديث منسوب إلى الأديب «محمد سعيد الرافي» . والحق أنه للمغفور له أستاذنا الشيخ إبراهيم الدجوني . وقد طبع هذا الشرح عدة مرات .

٢٩ — وآخر صنعه المغفور له العلامة الشيخ سيد بن علي المرصفي ، بعد تغيير ترتيبه . وقد طبع منه الجزء الأول سنة ١٣٣٠ .

٣٠ — وآخر صنعه بهاء الدين عبد القادر بن لقمان ، سماه «الرصافة القادرية» . طبع بالهند سنة ١٢٩٩ وبآخره تفسير لبعض الكلمات اللغوية باللغة الإنجليزية . ومن هذا الشرح نسخة بالمكتبة الأزهرية .

وهناك ضرب آخر طريف من التفسير ، عمد فيه صاحبه إلى نثر أبيات الحماسة ، مجليا بذلك معانيها الغامضة . وصاحب هذا التفسير ، هو أبو سعيد علي ابن محمد الكاتب المتوفي سنة ٤١٤ . وقد صنع كتابه هذا لبهاء الدولة بن بويه ، وسماه « منشور البهائي ^(٣) » .

مواتمة بين سرحي المرزوقي والتبريزي :

على أن الذي بعيننا من هذه الشروح شرحان . هما شرحا المرزوقي والتبريزي . والمرزوقي متقدم على التبريزي ، بين وفاتيهما نحو إحدى وثمانين سنة .

(١) الخزانة (٤ : ٩٢) .

(٢) انظر لإقليد الخزانة للراجكوتي ٤٥ .

(٣) كشف الظنون في رسم (الحماسة) .

إذ كانت وفاة التبريزي في سنة ٥٠٢ من الهجرة . ويعمد المرزوقي من أقدم الشراح
إذ كان بين وفاته في سنة ٤٢١ ووفاته أبي تمام في سنة ٢٣١ نحو مائة وتسعين سنة^(١) .

وشرح المرزوقي يعدّ أكبر الشروح التي وصلت إلينا ، وأكثرها عناية
بمعاني الشعر ، وبالنقد والموازنة ، على حين لم تفته العناية باللغة والاشتقاق ،
وكذا العناية التي لا إسراف فيها بمسائل النحو والتصريف . لكنه قد فاته كثير
من أخبار الشعر ومناسباته ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم وها
الميزتان اللتان امتاز بهما التبريزي عليه . والتبريزي في هذه الناحية الأولى قد
أفاد من شرح أبي ريش للحماسة — ويبدو أن كتاب أبي ريش لم يقع للمرزوقي
حتى يمكنه الانتفاع به كما صنع التبريزي — وفي الناحية الأخرى قد أفاد من
شرح أبي هلال العسكري ، ومن المبهج لابن جني .

والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيرة ، يتكاف لها الصنعة حيناً ، ويعمد آخر
إلى السجع الهين . ومن عجب أن التبريزي ينقل عبارته هذه ذات الطابع الخاص ،
ولا يجهد قلبه في نسبة العبارة إليه إلا في القليل النادر^(٢) . بل إنه في مقدمة كتابة
لم يشر إلى إفادته منه ، مع أن اللوازن بين الشرحين يدهشه التقارب الشديد بين
عبارات التفسير واتجاهاته ، ثم لا يرتاب في أن التبريزي كان في جمهور شرحه
عالةً على المرزوقي .

ومن عجب أيضاً أن التبريزي مع ذلك ينمى على هؤلاء الذين يهملون نسبة
أقوال العلم إلى أصحابها فيقول في تفسير الشطر الثالث من الحماسية ٨٩^(٣) : « قال

(١) ولم يتأخر تأليف المرزوقي لشرح الحماسة عن سنة ٤١٧ . قال ياقوت : « وجدت
خطه على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه وقد قرئ عليه في شعبان سنة ٤١٧ » .

(٢) من ذلك النادر ما ورد عند التبريزي في شرح البيت الأول من الحماسية ٦٩
والثاني من الحماسية ٨٧ والشطر الثالث من الحماسية ٨٨ .

(٣) هي الحماسية ٨٨ عند المرزوقي ، إذ أن هناك خلافاً في ترتيب المقطوعات كما سيأتي .

المرزوقي : وذكر بعض المتأخرين — يعني ابن جني — ولم ينصفه حيث لم يسمه في كتابه . . . (١) .

وفي أسلوب المرزوقي أيضاً استطالة عجيبة ، يفصل بين المبتدأ وخبره أو بين الفعل ومفعوله بعبارة طويلة يضل القاري في ثناياها حتى يهتدي إلى ارتباط الكلام (٢) .

ويمتاز شرح المرزوقي بمقدمته النفيسة الجريئة التي تعدّ وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي : نقد الشعر ونقد النثر ، ضمنها مسائل شتى تتعلق بموازنة النظم والنثر أيهما أشرف وأعلى قدراً ، ويتبع ذلك الكلام على المقايسة بين منزلة الشاعر والكاتب ، والعلة في كثرة الشعراء وقلة النثر ، ولماذا لا يستطيع الأديب أن يجمع الإجابة في صناعتي النظم والنثر ؟ وما أثر الصنعة والطبع في الآثار الأدبية في قيمتها وفي جمالها ؟ ومتى تستحسن الصنعة ؟ وما مدى العلاقة بين ذوق الأديب فيما يصنع بيانه من إنتاج أدبي وفيما يختار من بيان غيره ؟ وهذه المسألة مبنية على ما صنع أبو تمام في اختيار الحماسة ، إذ كان ذوقه في ذلك الاختيار مخالفاً لذوقه في نسج شعره وصناعته مخالفة ظاهرة . وقد أجاد المرزوقي في جواب هذه المسألة بما يعدّ مثالا في البيان ، وغاية في إصابة الحكم .

وكلمة أخرى في هذين الشرحين : أن متن الحماسة فيهما يخالف بعضه بعضا في الرواية وعدد الأبيات ، وفي ترتيب المقطوعات وترتيب الأبيات ، بله عدد المقطوعات . وقد لحظت أن المرزوقي لم يرو الحماسة التي أولها :

(١) بما هو جدير بالذكر أن المرزوقي لا يصرح باسم ابن جني ، وكأنه كان يستضعفه ولا يرى مكانه ، وتكاد تكون عبارة « قال بعضهم » في شرح المرزوقي يقصد بها ابن جني فحسب . وليس يذكر هذه العبارة إلا في مقام الاعتراض في أغلب الأمر .
(٢) انظر نموذجا لذلك ما ورد في الصفحة الأولى من مقدمته ، إذ فصل بين « جاريتي » وبين « أمر الشعر » بثلاثة أسطر .

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي
وترتيبها عند التبريزي ١٤ ، ونتج من ذلك أن نجد أن المقطوعات التي تلي
المقطوعة ١٣ يزيد رقمها واحدا عند التبريزي ، على حين نجدها برقم أدنى عند
المرزوقي ، أي إن الحماسة رقم ١٥ عند التبريزي يقابلها رقم ١٤ عند المرزوقي ،
والحماسية ١٦ عند التبريزي يقابلها ١٥ ، عند المرزوقي ، وهلم جرا .
كما نجد أن الحماسيتين ١٠٤ ، ١٠٥ في ترتيب المرزوقي وهما ١٠٦ ، ١٠٥
عند التبريزي — قد تقدمت أولاها على الأخرى عند المرزوقي وتأخرت
عند التبريزي .

وهذه المفارقات راجعة إلى الخلاف في نسخ الحماسة وروايتها، وقد وجدت
المرزوقي يقول في شرحه^(١) : « وقد رجعنا إلى نسخ مختلفات المصادر ... » ، يعني
بذلك نسخ الحماسة ، وهو نص صريح في بيان تعدد نسخ الحماسة .

المرزوقي :

قال صاحب ابن عباد^(٢) : « فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك ، وحلاج ،
وإسكاف . فالحائك هو المرزوقي ، والحلاج أبو منصور بن ماشده ، والإسكاف
أبو عبد الله الخطيب بالري ، صاحب التصانيف في اللغة » .

وليس يعني الصاحب أن أصبهان لم يبرز منها إلا هؤلاء العباقرة ، ولكنه
عني أنهم نبغوا من بين أصحاب الصناعات ، وإلا فإن عباقرة أصبهان كثيرون ،
وقد ظهر فيها فحول كثير ، منهم قبل المرزوقي أبو الفرج الأصبهاني صاحب
الأغاني المتوفي سنة ٣٥٦ وغيره كثير .

وليس يعرف زمان مولد (أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي) «

(١) ص ٢٥٥ من هذا الجزء .

(٢) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) .

ولكن وفاته قد أجمع المترجمون له أنها كانت سنة ٢٤١ لم يشذ منهم أحد .
ولكننا نجد نصا غربيا في نهاية كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي^(١) ، وهو :
« فرغت منه ضحوة يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٤٥٣ » . والخطب
في هذا حين ، إذ يبدو أن هذه عبارة الفاسخ لا عبارة المرزوقي . يؤيد هذا
إجماع المؤرخين قاطبة على سنة وفاته وعدم اختلافهم في ذلك . ويؤيده أيضا
ماورد في نص ياقوت : « وكان — أي المرزوقي — معلم أولاد بني بويه
بأصبهان ، ودخل إليه صاحب فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى صاحب
جفا » . فإذا عرفنا أن ولاية صاحب الوزارة دامت ثماني عشرة سنة وأن
وفاته كانت في سنة ٣٨٥ وأنتجنا من ذلك أنه تولى الوزارة نحو سنة ٣٦٧ —
إذا عرفنا ذلك كان القول بأن المرزوقي دامت حياته ٨٦ سنة بعد جفاء
الصاحب له ، غاية في البعد والاستحالة ، ولا سيما إذا وجدنا المؤرخين لم يذكروا
المرزوقي بأنه كان من المعمرين^(٢) .

شيوخه وتلاميذه :

والمؤرخون لا يعرفون للمرزوقي شيخاً إلا أبا عليّ الفارسيّ المتوفي سنة
٤٧٧ . يذكرون أنه قرأ عليهم كتاب سيديويه ، وتلمذ له بعد أن كان رأساً
بنفسه^(٣) . والمرزوقي يذكّر سماعه منه في مواضع من شرحه^(٤) .

وأما تلاميذه فلم يذكروا منهم إلا سعيداً البقال : قال ياقوت : « وكتب
عنه سعيد البقال ، وأخرجه في معجمه .

ويذكرون أيضاً أنه اتصل ببني بويه وكان معلم أولادهم .

(١) الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٨٤) .

(٢) وقد عثرت أخيراً على نص في شرح الحماسية ١٦٤ يفهم منه أن المرزوقي صنع كتاب
الأزمنة قبل شرح الحماسة ، أي قبل سنة ٤١٧ . انظر الحاشية الأولى من صفحة ١٦ من التقديم .

(٣) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) . (٤) انظر الحماسية ١٢٣ : ٢ ، ١٣٥ : ٣ .

والمرزوقي بعد في زمرة البصريين ، وهو في مواضع من شرحه ^(١) يقول :
« أصحابنا البصريون » .

مؤلفات المرزوقي :

- ١ — شرح الحماسة ، قال ياقوت : « أجاد فيه جدا » . وقال القفطي :
« وهو الغاية في بابه » . وقال ابن شاکر ^(٢) : « وهو أحسن شروحا » .
- ٢ — شرح المفضليات . ومنه نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٤٤٦ .
- ٣ — شرح الفصيح . قال القفطي : « وهو كتاب جميل في نوعه » .
- ٤ — شرح أشعار هذيل .
- ٥ — كتاب الأزمنة والأمكنة . وقد طبع في مجلدين في حيدر أباد
سنة ١٣٣٢ .

- ٦ — الأمالي . ومنه قطعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٠٠ أدب .
تكلم فيها على شرح طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، والحكم ،
مع ذكر ما يناسبها من العلوم المختلفة .
- ٧ — ألفاظ العموم والشمول . منه قطعة بدار الكتب المصرية
برقم ٤١٤٠ أدب .

- ٨ — شرح الموجز ، في النحو ، كما ذكر ابن شاکر .
- ٩ — شرح النحو (!؟) . ذكره ياقوت . والظاهر أنه الكتاب السابق .
- ١٠ — وذكر له القفطي كتاباً بعنوان « مفردات متعددة في النحو » .

شرح المرزوقي للحماسة :

سمى المرزوقي كتابه هذا « شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي »

(١) انظر الحماسية ١٣ : ١ والحماسية ٥٠ : ٤ .

(٢) في عيون التواريخ نسخة دار الكتب في وفيات ٤٢١ .

المعروف بكتاب الحماسة . وقد أثبت هذه التسمية في صدر مقدمته .
وفي مكتبات العالم من هذا الكتاب نسخ كثيرة منها في تركيا وحدها
عشر نسخ ، وفي القاهرة نسختان : إحداهما في دار الكتب المصرية ، والأخرى
في التيمورية الملحقه بدار الكتب . وفي كل من برلين ، وليدن ، والمتحف
البريطاني ، والموصل ، وطهران نسخة واحدة . فهي سبع عشرة نسخة ،
وإليك أرقامها :

- ١ — نسخة كوبرلي برقم ١٣٠٨ — ١٣١١
- ٢ — » نور عثمانية برقم ٣٩٩٩ — ٤٠٠١
- ٣ — » أيا صوفيا برقم ٤٠٥٨
- ٤ — » لاله لي برقم ١٨١٠ — ١٨١٣
- ٥ — » الفاتح برقم ٣٩٤١ — ٣٩٤٤
- ٦ — » بايزيد برقم ٢٦٠٤
- ٧ — » عاطف برقم ٢١٤٦
- ٨ — » المكتبة العمومية برقم ٥٣٩٢ ، ٥٣٩٣ ، ٥٥٤٧
- ٩ — » فيض الله برقم ١٦٤٤
- ١٠ — » برلين برقم ٧٤٤٩
- ١١ — » ليدن برقم ٦٠٣
- ١٢ — » المتحف البريطاني برقم ٥٦٨ — ٥٦٩
- ١٣ — » الموصل (مخطوطات الموصل ١٩٠)
- ١٤ — » طهران (الجزء الثاني ٢٨٨)
- ١٥ — » دار الكتب المصرية برقم ٣٠٦ أدب
- ١٦ — » مكتبة تيمور باشا برقم ١٠٢٧ شعر . وهذه النسخة لم يعرفها
بروكلان .

١٧ — نسخة روان كسك الملحقه بمكتبة طوب قبو سراي ، ورقها ٧٠٦
وهذه النسخة يعرفها بروكلمان أيضاً .

النسخ المعتمدة في التحقيق :

اعتمدنا في تحقيق هذه النسخة على أربع نسخ هي التي أمكننا أن نحصل عليها ، واسترجعنا من هذه النسخ الأربعة نسختين اعتمدنا عليهما اعتماداً تاماً .

١ — النسخة الأولى ، وهي التي سميناها نسخة الأصل ، وهي نسخة المكتبة العمومية بالآستانة ، وهي كاملة في مجلدين يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٥٢٥ أي بعد وفاة المرزوقي بأربع سنين ومائة سنة ، كتبها سعد بن إبراهيم ابن أحمد الفرائي ، قياسها ١٨,٥ × ٢٩,٥ وينتهي الجزء الأول منها بالحماسية رقم ٣٥٠ .

٢ — نسخة دار الكتب المصرية ، وهي قديمة أرجح أنها من مخطوطات القرن السادس ، بها ترقيع وتقطع وتلوث وآثار أرضة ، وهي نسخة ناقصة بها تكميل في أولها ، وتنتهي بنهاية المقطوعة الحماسية رقم ٣٠٠ أي إنها أقل من نصف الكتاب ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ والناسخ ، وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز (م) .

أما النسختان الأخريان فهما :

٣ — نسخة المكتبة التيمورية ، وهي نسخة ناقصة حديثة الخط مجهولة للناسخ وتاريخ النسخ ، وهي في حجم متوسط تنتهي بنهاية الحماسية رقم ٣٢٣ .

٤ — نسخة روان كسك الملحقه بمكتبة طوب قبو سراي برقم ٧٠٦ ، وهي من مجلوبات معهد المخطوطات بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وهي نسخة خزائنية مكتوبة بخط نسخي دقيق جميل ، مع خلوها من الضبط ، كتبها

شمس الدين القدسي برسم السلطان مراد خان سنة ٨٦٩ بأولهاطرة مذهبية ، كما أن صفحاتها مجدولة بالذهب ، وقياسها ٢٢ × ٣٥ .

تحقيق الكتاب :

في هذا الجزء الأول عارضت نسختي المكتبة العمومية ودار الكتب المصرية معارضة تامة في النص وفي الضبط ، وقد ظهر لي أن خلافاهما قليل جدا ، وستستمر المعارضة القائمة بينهما إلى أن تنتهي نسخة دار الكتب . هذا مع الاستعانة بما تقدر عليه من المخطوطات ما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، وحينئذ نحل نسخة روان كشك محل نسخة دار الكتب المصرية في المقابلة التامة .

وقد استدعى تحقيق هذا الكتاب أن أقارنه مقارنة تامة بشرح التبريزي بحيث لا أترك فائدة جديرة بالإثبات فيما أرى إلا اقتسبتها في الحواشي . ولا سيما ما كان متعلقا برواية المتن ، أو تحقيق الأخبار وتوضيحها ، أو ما كان فيه تأييد للمرزوقي أو طعن عليه .

وكذلك اصطحبت في تحقيقه شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جني ، وكان في النية أن أقتبس جميع نصوص هذا الكتاب وأضعها في أماكنها إزاء أبيات الحماسة ، لكنني وجدت في ذلك إقتالا ، ووجدت الفائدة التي يجنيها القاري من إسهاب ابن جني في هذا الكتاب خاصة فائدة غير مرجوة . لذلك لم أثبت منها إلا ما كان ضروريا لتوضيح أو تأييد .

كذلك كان الصنوع في كتاب المبهج لابن جني أيضا .

وقد التزمت أن أترجم لجميع شعراء الحماسة ترجمة موجزة ، وأن أشير إلى مراجع الترجمة . وقد أفدت من جهدي في تراجم شعراء الحيوان للجاحظ ، والبيان والتبيين له ، شيئا كثيرا ، كما أفدت من جهد الأخ العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في كتاب « الشعر والشعراء لابن قتيبة » ما يجعلني أعترف له هنا بالفضل العظيم -

كما عنيت عناية خاصة بتعيين أسماء المجهولين من شعراء الحماسة الذين يعتبر
عنهم أبو تمام بقوله : « وقال آخر » أو بعض شعراء قبيلة ما من قبائل العرب ،
وقد وفقت في ذلك بعون الله بعض التوفيق .

وكذلك كان الأمر في تعيين أسماء المجهولين في شرح المرزوقي .
واستعنت بعد ذلك بمختلف المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية والبلدانية
وكتب القراءات والتفسير وغيرها لتحقيق هذا الكتاب وضبط نصوصه .
وبيان تلك المراجع سوف ألقنه بالفهارس العامة للكتاب إن شاء الله .

الفهارس العامة والاستدراكات :

وسيلحق بنهاية هذا الكتاب إن شاء الله — أي في نهاية المجلد الرابع —
ما تقتضيه طبيعته من الفهارس الفنية للشعر ، واللغة ، والأمثال ، والأعلام ،
والبلدان ، ويتلوها الاستدراكات والتصحيحات .

* * *

وبعد ، فإن صاحب الفضل الأكبر في إخراج هذه النشرة الأولى من هذا
الكتاب الجليل ، هو أستاذنا الكبير « الدكتور أحمد أمين بك » ، فهو الذي
اقترح أن ينشر هذا الكتاب ، لما له ولؤلؤه من خطر ، كما أقرّ إخراجه في لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، التي كانت لمصر والعالم العربي بمثابة جامعة علمية عاملة ،
بما أظهرت للمثقفين من آثار التأليف في الشرق والغرب . وقد اشترك حفظه الله
في وضع منهج الإخراج ليبدو الكتاب في هذا الوضع العلمي الحديث ، كما تفضل
بمراجعة ما صنعت لتحقيق هذا الكتاب مراجعة دقيقة ، فله من الله ومن العلم
خير الجزاء ما

عبد السلام محمد هارون

القاهرة في } ٢٠ من المحرم سنة ١٣٧١
٢١ من أكتوبر سنة ١٩٥١

الجزء الأول

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي

المعروف بكتاب الحماسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن

المرزوقي الإصفهاني

٤٢١ - ٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالقِ الإنسان ، متميِّزاً بما علمه من التبيين والبيان ، وصلى الله على أفضلِ مَنْ صدع بأمره وزجره ، داعياً وناهياً ، وعلى الطاهرين من آله وسلم .

وبعد فإنَّكَ جَارِيَتِي — أطالَ اللهُ بقاءَكَ في أشملِ سعادةٍ وأكملِ سلامةٍ ، لَمَّا رَأَيْتَنِي أَقْصُرُ مَا أُسْتَفْضَلُهُ مِنْ وَقْتِي ، وَأُسْتَخْلَصُهُ مِنْ وَكُدِي (١) ، على عَمَلِ شرحِ للاختيار المنسوب إلى أبي تمامٍ حبيب بن أوس الطائي ، المعروف بكتاب الحماسة أمرًا — الشعرِ وفنونه (٢) ، وما نال الشعراء في الجاهلية وما بعدها ، وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به ، إذ كان الله عز وجل قد أقامه للعرب مقام الكُتُب لغيرها من الأمم ، فهو مستودع آدابها ، ومُستحفظ أنسابها ، ونظام فخارها يوم النِّفار ، وديوان حجاجها عند الخِصام .

ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه ، وعمّا يتميِّز به النظم عن النثر ، وما يحمد أو يذم من الغلو فيه أو القصد ، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها ، حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن ، وأركانها محروسة من الوهي إذ كان لا يُحكَّم للشاعر أو عليه (٣) بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها ، وتأمل ما أخذ منها ، ومدى شأوه فيها ، وتميِّز المصنوع مما يحوِّكه من المطبوع والأبيّ المُستسهل من الأبيّ المستكره . وقضيت العجب كيف وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ، ولا في اختيار

(١) الوكد بالضم : السعي والجهد ، وبالفتح ، : المراد ، والهَم ، والقصد .
(٢) أمر ، هو المفعول الثاني لجاريتني في الكلام قبله . على أن المعروف أن يقال جراه في كذا وبكذا ، أى جى منه في المناظرة والجدال .
(٣) م : « وعليه » .

المقصدات أوفى مما دونه المفضل ونقده (١).

وقلت إنَّ أبا تمامَ معروفُ المذهبُ فيما يقرضُه ، مألوفُ المسلكِ لما ينظمه نازعٌ في الإبداعِ إلى كلِّ غايةٍ ، حاملٌ في الاستعاراتِ كلَّ مشقَّةٍ ، متوصِّلٌ إلى الظفرِ بمطلوبه من الصنعة أين اعتسَفَ وبماذا عَثَرَ ، متغلغلٌ إلى توعيرِ اللفظِ وتغميضِ المعنى أنَّى تأتَّى له وقَدَر ؛ وهو عادلٌ فيما انتخبَه في هذا المجموعِ عن سلوكِ معاطفِ مَيدانه ، ومُرْتَضٍ ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشأنه ، فقد قَلَيْتُه فلم أجِدْ فيه ما يوافقُ ذلكَ الأسلوبَ إلا اليسيرَ . ومعلومٌ أن طبع كلِّ امرئٍ — إذا ملكَ زمامَ الاختيارِ — يجذبُه إلى ما يستلذُّه ويهواه ، ويصرِّفه عما ينفِرُ منه ولا يرضاه . وزعمتَ بعد ذلكَ أجمعَ أنك مع طولِ مجالستِكَ لجهابذةِ الشعرِ والعلماءِ بمعانيه ، والمبرزين في انتقاده ، لم تقفَ من جهتهم على حدِّ يودِّيك إلى المعرفةِ بجيدهِ ومتوسِّطه وردئيه ، حتى تجرِّدَ الشهادةَ في شيءٍ منه ، وتبَّتَ الحكمُ (٢) عليه أوله ، آمنا من المجاذبينَ والمدافعين . بل تعتقدُ أن كثيراً مما يستجيدهُ زيدٌ يجوزُ أن لا يطابقه عليه عمرو ، وأنه قد يُستحسنُ البيتُ ويثنى عليه ثم يستهجنُ نظيره في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفةً ، فيعرضُ عنه ، إذ كان ذلكَ موقوفاً على استحلاءِ المستحليِّ واجتواءِ الجتويِّ ، وأنه كما يُرزقُ الواحدُ في مجالسِ الكبارِ من الإصغاءِ إليه والإقبالِ عليه ، ما يُحرِّمُ صنوهُ وشبيهه ، مع أنه لا فضيلةَ لذلكَ ولا نقيصةَ لهذا إلا ما فازَ به من الجِدِّ عندِ الاصطفاءِ والقسمِ .

وقلتَ أيضاً : إني أتمنى أن أعرفَ السببَ في تأخرِ الشعراءِ عن رتبةِ الكتابِ البُلغاءِ ، والعدرِ في قلةِ المترسِّلينَ وكثرةِ المُفلقينَ (٣) ، والملةِ في نباهةِ

(١) يعني بذلك التفاضل المفضليات ، التي اختارها المفضل الضبي .

(٢) في الأصل : « لتحكم » وأثبتنا ما في م .

(٣) المفلق : الشاعر المجيد يمجى بالعجائب في شعره .

أولئك ومُحمول هؤلاء، ولماذا كان أكثر المترسلين لا يُفلقون في قرص الشعر، وأكثر الشعراء لا يبرعون في إنشاء الكتب، حتى خص بالذكر عدد يسير منهم، مثل إبراهيم بن العباس الصولي، وأبي علي البصير^(١)، والعتابي، في جمعهم بين الفنين، واغترازهم ركاب الظَّهْرين^(٢). هذا ونظام البلاغة يتساوى في أكثره المنظوم والمنثور.

وأنا إن شاء الله وبه الحول والقوة، أُورِدُ في^(٣) كل فصلٍ من هذه الفصول ما يحتمله هذا الموضع، ويمكن الاكتفاء به؛ إذ كان لتقصي المقال فيه موضع آخر، من غير أن أنصب لما تُصَوِّرُهُ النعوتُ الأمثلة، تفادياً من الإطالة، ولأنه إذا وضح السبيل وقعت الهداية بأيسر دليل. والله عز وجل الموفق للصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

اعلم أن مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة، وطرائق ذوي المعارف بأعطافها وأردافها مفترقة، وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها^(٤) وتنازع أقطار مظانها ومعالمها^(٥)، ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيف المعاني التي هي كالأمثلة في المنثور، اتسع مجال الطبع فيها ومسرَّحُه، وتشعب مراد الفكر لها^(٦) ومطرَّحُه. فمن البلغاء من يقول: فقرُّ

(١) هو أبو علي الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعي، المعروف بالبصير، كان من أهل الكوفة وسكن بغداد، ومدح المتوكل والفتح بن خاقان، وكان يتشيع في غلو. وبقى إلى أيام المعتز. نكت الهميان ٢٢٥.

(٢) الاغتراز: أن يدخل قدمه في الغرز، وهو للجمل مثل الركاب للبعل. في الأصل

«اغترارهم»، صوابه في م.

(٣) م: «من».

(٤) المنادح: المفاوز، والمنتدح: المكان الواسع.

(٥) عنى بالتنازع التباعد.

(٦) م: «فيها».

الألفاظ وغررُها ، كجواهر العقود ودررها ، فإذا وُسمَ أغفَلها بتحسين نظومها^(١) وحلّي أعطالها بتركيب سُذورِها ، فراق مسموعها ومضبوطها ، وزانَ مفهومها ومحفوظها ، وجاء ما حُررَ منها مُصنّعي من كَدَرِ العيِّ وانخلط ، مقومًا من أودِ اللحن والخطأ ، سالما من جَنَفِ التاليف^(٢) ، موزونًا بميزان الصواب ، يَمُوجُ في حواشيه رونقُ الصفاء لفظًا وتركيبًا — قبله الفهم والتدبُّ به السمع . وإذا ورد على ضدّ هذه الصفة صَدِيّ الفهم منه ، وتأذى السمع به تأذى الحواسِّ بما يخالفها .

ومنهم من لم يَرْضَ بالوقوف على هذا الحدِّ فتجاوزه ، والتزم من الزيادة عليه تَمِيمَ المقطع ، وتلطيفَ المطع ، وعطفَ الأواخر على الأوائل ، ودلالةَ الموارد على المصادر ، وتناسبَ الفصول والوصول ، وتعادلَ الأقسام والأوزان ، والكشفَ عن قناع المعنى بلفظٍ هو في الاختيار أوّلَى ، حتّى يطابق المعنى اللفظَ ، ويسابق فيه الفهمُ السمع . قال : ولا غاية وراء هذا .

ومنهم من تَرَقَّى إلى ما هو أشقُّ وأصعب ، فلم تُقنعه هذه التكاليفُ في البلاغة حتّى طلب البديع : من الترصيع والتسجيع ، والتطبيقي والتجنيس ، وعكس البناء في النظم^(٣) ، وتوشيح العبارة بألفاظٍ مستعارة ، إلى وجوهٍ أُخر تنطق بها الكتبُ المؤلّفة في البديع ، فإني لم أذكر هذا القدرَ إلاّ دلائل على أمثالها . ولكلِّ مما ذكرته ومما لم أذكر رسمٌ من النفوذ والاعتلاء ، بإزائه ما يضاؤه فيُسلم للشكوص والاستفحال^(٤) . وأكثر هذه الأبواب لأصحاب

(١) م : « بحسن نظومها » .

(٢) الجنف : الميل في الكلام وفي الأمور كلها .

(٣) يعني بذلك ما ورد في نحو قوله :

مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم

(٤) الاستفحال ، النزول إلى أسفل .

الألفاظ ، إذ كانت المعاني بمنزلة المعارض للجواري (١) ، فأرادوا أن يلتذ السمعُ بما يُدرك منه ولا يَمِجُّه ، ويتلقاه بالإصغاء إليه والإذن له فلا يحجبه (٢) .

وقد قال أبو الحسن ابن طباطبا (٣) رحمه الله ، في الشعر : هو ما إن عرِيَ من معنى بديع لم يعرف من حُسن الديباجة ؛ وما خالف هذا فليس بالشعر (٤) .

ومن البُلغاء من قصد فيما جاش به خاطرُه إلى أن يكون استفادةُ المتأمل له ، والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله . وهم أصحابُ المعاني ، فطلبوا المعاني المُعجِبة من خواصِّ أماكنها ، وانزعوها جزلةً عذبةً حكيمةً ظريفةً أو رائقةً بارعةً (٥) ، فاضلةً كاملةً ، لطيفةً شريفةً ، زاهرةً فاخرةً ؛ وجعلوا رسومها (٦) أن تكون قريبةً التشبيه ، لائقةً الاستعارة ، صادقة الأوصاف ، لائحة الأوصاح ، خلاصةً في الاستعطاف ، عطافةً لدى الاستنفار ، مستوفيةً لحظوظها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض ، والإطناب والتقصير ، والجِدِّ والهزل ، والخُشونة والليان (٧) ، والإباء والإسباح ، من غير تفاوتٍ يظهر في خلالِ أطباقها ، ولا قصورٍ ينبعُ من أثناء أعماقها ، مبتسمةً من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف ، محتجبةً في غموض الصيَّان ، لدى الامتھان (٨) تعطيك مُرادك إن رَفقت بها ، وتمنعك جانبها إن

(١) المعارض جمع معرض كعبر ، وهو الثوب تعرض فيه الجارية وتجلى .

(٢) م : « فلا يحجبه » .

(٣) ذكره ابن خلكان عرضاً في ترجمة أبي القاسم أحمد بن محمد ابن طباطبا قال : « ولا

أدري من هذا أبو الحسن ، ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم المذكور » . وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية كتاب له يدعى « عيار الشعر » ذكر في صدره أنه لأبي الحسن محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوي . وذكر هذا الكتاب في كشف الظنون وذكر أنه لابن طباطبا .

(٤) م : « بشعر » .

(٥) م : « حكيمة ظريفة ، أو رائقة بارعة » .

(٦) م : « وسومها » .

(٧) الليان ، بالفتح كسحاب : مصدر لان يلين لنا وليانا .

(٨) لدى الامتھان ، ساقطة من م .

عَنْتَ معها . فهذه مَناسِبُ المعاني لطلابها ، وتلك مَناسِبُ الألفاظ لأربابها . ومتى اغترف اللفظ والمعنى فيما تَصُوبُ به العقول^(١) فتعانقا وتلابسا ، متظاهرين في الاشتراك^(٢) وتوافقا ، فهناك يلتقي ثريا البلاغة^(٣) فيمطرُ روضها ، ويُنشرُ وشيها ، ويتجلى البيان فصيح اللسان ، نجيح البرهان ، وترى رائدي الفهم والطبع متباشرين لما من المسموعِ والمعقولِ بالمسرح الخصب والمكرع^(٤) العذب . فإذا كان النثرُ — بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم — اتسع نطاقُ الاختيار فيه على ما بينناه بحسبِ اتساع جوانبها وموادها ، وتكاثر أسبابها ومَوَاتِبِها^(٥) ، وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه ، ثم تفرّد عنه وتميّزَ بأن كان حَدُّه « لفظ موزون مُقَفِّي يدلُّ على معنى » ، فازدادت صفاته التي أحاط الحدُّ بها بما انضمَّ من الوزن والتقفية إليها ، ازدادت الكلف في شرائط الاختيار فيه ، لأن للوزن والتقفية أحكاما تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب ، وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقد ، مثل ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح ، لئلا يمتثل لها^(٦) أصلٌ من أصولها ، أو يعتلّ فرعٌ من فروعها .

فإذا كان الأمر على هذا ، فالواجب أن يُتبيّن ما هو عمودُ الشعرِ المعروف عند العرب ، ليميّزَ تليدُ الصنعة من الطريف ، وقديمُ نظامِ القريض من الحديث ، ولتُعرفَ مواطيُّ أقدام المختارين فيما اختاروه ، ومراسمُ إقدام

(١) تصوب به : تجود به ، من قولهم صاب المطر صوباً : نزل .

(٢) في الأصل : « الاعتراف » وأثبتنا ما م .

(٣) ضبطت في الأصل بضم الثاء وفتح الراء وتشديد الياء ، وهذا خطأ . يقال التقي الثريان ، وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هو وندى الأرض . اللسان (ثرا) .

(٤) م : « المشرع » .

(٥) موات : جمع مائة بوزن فاعلة ، وهي الوسيلة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من م .

المزيفين على ما زيفوه ، ويُعَلَمَ أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الأتيِّ السَّمجِ على الأبيِّ الصعب ، فنقول وبالله التوفيق :

إنهم كانوا يحاولون شرفَ المعنى وصحَّتهُ ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف — ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال ، وشواردُ الأبيات — والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتتامها على تخيير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه المستعار له ، ومشاكلته اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا مفارقة بينهما — فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها معيار .

فمعيار المعنى أن يُعرَضَ على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فإذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء ، مستأنساً بقرائنه ، خرج وافياً ، وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته .

ومعيار اللفظ الطبعُ والرؤية والاستعمال ، فما سلِمَ مما يهجنه عند العرضِ عليها فهو المختار المستقيم . وهذا في مفرداته وجملة مرأى ، لأن اللفظة تُستكرم بانفرادها ، فإذا ضامها مالا يوافقها عادت الجملة هجينا .

ومعيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما وجداه صادقاً في العُلوقِ مجازياً في اللُصوقِ ، يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه ، فذاك سياء الإصابة فيه . ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير : « كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال » . فتأمل هذا الكلام فإن تفسيره ما ذكرناه .

ومعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير ، فأصدقه مالا ينتقض عند العكس ، وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادها لبين وجه التشبيه بلا كلفة ، إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له ، لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس .

وقد قيل : « أقسام الشعر ثلاثة : مَثَلٌ سائرٌ ، وتشبيهٌ نادر ، واستعارةٌ قريبة » .
وعيار التحام أجزاء النظم والتثامه على تَحْيُرٍ من لذيذ الوزن ، الطبعُ واللسان ،
فما لم يتعثر الطبعُ بأبنيتهِ وعقوده^(١) ، ولم يتحبس اللسانُ في فصوله ووصوله ،
بل استمرّ فيه واستسهلاه ، بلا ملالٍ ولا كلالٍ ، فذاك يُوشِكُ أن يكون القصيدة
منه كالبيتِ ، والبيتُ كالكلمةِ تسالماً لأجزائه وتقارناً ، وألاً يَكُونُ كما
قيل فيه :

وشِعْرٍ كبعر الكبش فرّق بينه لسانُ دعيٍّ في القريضِ دَخِيلِ^(٢)
وكما قال خَلَفٌ :

وبعضُ قريضِ الشّعْرِ أولادُ علةٍ يَكُدُّ لسانِ الناطقِ المتَحَفِّظِ^(٣)
وكما قال رُوْبَةُ لابنه عُقْبَةَ وقد عَرَضَ عليه شيئاً مما قاله ، فقال :
* قد قلت لو كان له قرآنٌ *^(٤)

وإنما قلنا « على تَحْيُرٍ من لذيذ الوزن » لأنّ لذيذه يَطْرُبُ الطبعُ لإيقاعه ،
ويمازجُه بصفائه ، كما يَطْرُبُ الفهمُ لصواب تركيبه ، واعتدالِ نظومِهِ . ولذلك
قال حَسَّانُ :

تَغَنَّ في كلِّ شعْرٍ أنتِ قائلُهُ إنَّ الغِنَاءَ لهذا الشعرِ مِضْمَارِ^(٥)
وعيار الاستعارة الذّهْنِ والفظنة . ومِلاكُ الأمرِ تقريب التشبيه في الأصل

(١) في الأصل : « بأبيه » ، صوابه في م .

(٢) البيت لأبي البيداء الرياحي ، كما في البيان (١ : ٦٦) .

(٣) أولاد علة : بنو رجل واحد من أمهات شتى ، فهم مختلفون . انظر البيان (١ :

٦٦) والعمدة (١ : ١٧٢) .

(٤) في البيان (٢ : ٦٨) : « إنه يقول لو كان لقوله قرآن » ، وذلك حيث ورد
الخبر برواية أخرى .

(٥) المِضْمَارُ ، يطلق على الموضع الذي تضمّر فيه الخليل ، وعلى زمانه أيضاً ، ويستعمل
كذلك بمعنى التضمير . غنى أن الغناء وسيلة لتحسين الشعر واختباره . وهذا البيت مما لم يرد في
ديوان حسان . وأنشده في العمدة (٢ : ٢٤١) بدون نسبة .

حتى يتناسب المشبّه والمشبّه به ، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له .

وعيارُ مشاكلة اللفظ المعنى وشدة اتصافهما للقافية ، طول الدرّبة ودوام المدارس ، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض ، لا جفاء في خلالها ولا نبوءة ، ولا زيادة فيها ولا قصور . وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني : قد جعل الأخص للأخص ، والأخص للأخص ، فهو البريء من العيب . وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود [به ^(١)] المنتظر ، يتشوّفها ^(٢) المعنى بحقه واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قليقة في مقرّها ، مجتلبةً لمستغنٍ عنها .

فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها ، فهو عندهم المغلق المعظم . والمحسن المقدم . ومن لم يجمعها كلها فبقدر سؤمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان ، وهذا إجماع مأخوذ به وممتنع نهجه حتى الآن .

واعلم أن لهذه الخصال وسائل وأطرافاً ، فيها ظهر صدق الوصف ، وغلو الغالي ؛ واقتصاد المقتصد . وقد اقتفروا اختيار الناقلين ^(٣) ، فمنهم من قال : « أحسن الشعر أصدق » قال : لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إيسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق . ومنهم من اختار الغلو حتى قيل « أحسن الشعر أكذبه » ؛ لأن قائله إذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف فيما يأتيه إلى أعلى الرتبة ، وظهر قوته في الصياغة وتمهده في الصناعة ، واتسعت مخارجة وموارجة ، فتصرف في الوصف كيف شاء ، لأن العمل عنده على المبالغة والتثيل ، لا المصادفة

(١) هذه من م .

(٢) في الأصل : « يتشوّفه » وأثبتنا ما في م .

(٣) الاقتفار : الاقتفاء والتتبع .

والتحقيق . وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال : « أحسن الشعر أقصدُه (١) » ؛ لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط (٢) ، فما استوفى (٣) أقسام البراعة والتجويد أو جُلّها ، من غير غُلُوٍّ في القول ولا إحالة في المعنى ، ولم يُخْرِج الموصوفَ إلى أن لا يُؤْمَنَ لشيء (٤) من أوصافه ، لظهور السرف في آياته ، وشمول التزيُّد لأقواله ، كان بالإيثار والانتخاب أولى .

ويُتبع هذا الاختلاف مَيْلُ بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع . والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس ، وحرّكت القرائح ، أعملت القلوب . وإذا جاشت العقول بمكنون ودائنها ، وتظاهرت مكتسبات العلوم . وضرورياتها ، نبعت المعاني ودرّت أخلافها ، وافتقرت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ ، فمتى رُفِضَ التكلّف والتعمُّل ، وخُلِّيَ (٥) الطبع المهدّب بالرواية ، المدرّب في الدراسة ، لاختياره ، فاسترسل (٦) غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل إليه ، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر ، وعفواً بلا جهد ، وذلك هو الذي يسمّى « المطبوع » . ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمُّل والتكلّف ، عاد الطبع مستخدماً متمكناً ، وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها ، وتردّده في قبول ما يؤدّيه إليها ، مُطالِبَةً له بالإغراب (٧) في الصنعة ، وتجاوز المؤلف إلى البدعة ، فجاء مؤداه وأثره التكلّف يُلوح على صفحاته ، وذلك هو « المصنوع » .

(١) من القصد ، وهو الوسط في الأمور .

(٢) ورد في نسخة الأصل ، بتشديد الطاء مع ضمها ، وصوابها التشديد مع الكسر ، كما في اللسان والقاموس ، وهي لغة في « قط » ساكنة الطاء بمعنى حسب .

(٣) في الأصل : « فاستوفى » ، والصواب من م .

(٤) م : « بشيء » .

(٥) وردت في الأصل بالحاء المهملة ، مع تقييدها بالإشارة ، والوجه ما أثبتنا . ن م .

(٦) كذا في م . وفي الأصل : « واسترسل » .

(٧) مطالبة بفتح اللام في الأصل وم . وفي م « بالإعزاب » ، والإعزاب : الإبعاد .

وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم — من غير قصدٍ منهم إليه — اليسيرُ النَّزْرُ، فلما انتهى قرضُ الشعرِ إلى المُحدَثين ، ورأوا استغرابَ الناسِ للبديعِ على افتنانهم فيه ، أولعوا بتورِّدهِ إظهاراً للاقتدار ، وذهاباً إلى الإغراب . فمن مُفْرِطٍ ومُقْتَصِدٍ ، ومحمودٍ فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوضِ الطبعِ بما يُحْمَلُ ، ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلف . فمن مال إلى الأوَّلِ فلائنه أشبه بطرائق الإعراب ، لسلامته في السبك ، واستوائه عند الفحص . ومن مال إلى الثاني فلدلالته على كمال البراعة ، والالتذاذ بالغرابة .

* * *

وأما تعجُّبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ، ومفارقته ما يهواه لنفسه ؛ وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده ، فالقول فيه أن أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته لا غير ، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته . والفرق بين ما يشتهي^(١) وبين ما يستجد ظاهره ، بدلالة أن العارف بالبرز قد يشتهي لبس ما لا يستجيده ، ويستجيد ما لا يشتهي لبسه . وعلى ذلك حال جميع أعراض الدنيا مع العقلاء^(٢) العارفين بها ، في الاستجداء والاشتهاء . وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، الجيب لكلِّ داعٍ ، فكان أمره أقرب ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم ، وإسلاميهم ومولدهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكمام^(٣) ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ؛ لأن ضروب الاختيار لم تحف

(١) في الأصل : « يشتر » ، صوابه في م .

(٢) في الأصل : « من العقلاء » ، صوابه في م .

(٣) الاختراف : اجتناء الثمر . والأكمام : جمع كم ، بالكسر ، وهو غطاء النور الذي

هو أصل الثمرة .

عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه ، حتى [إنك^(١)] تراهم ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظه تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده . وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم ، فقابل ما في اختياره بها . ولو أن نقد الشعر كان يُدرَك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس . ويكشف هذا أنه قد يميز الشعر من لا يقوله ، ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده . على ذلك كان البحتري ، لأنه فيما حكى عنه كان لا يُعجب من الشعر إلا بما وافق طبعه ومعناه ولفظه .

وحكى الصولي أنه سمع المبرد يقول : سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحكى عنه أنه مرّ بشعر ابن أبي عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : « وهذا كله مختار » . هذا وشعره أبعده الأشياء من شعره . وهذا واضح .

* * *

وأما ما غلب على ظنك^(٢) من أن اختيار الشعر موقوف على الشهوات ؛ إذ كان ما يختاره زيد يجوز أن يزيقه عمرو ، وأن سبيلها سبيل الصور في العيون ، إلى غير ذلك مما ذكرته — فليس الأمر كذلك ؛ لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ، ومر فوض اللفظ ومألوفه ، وميز البديع الذي لم تقسمه المعارض ، ولم تعسفه الخواطر ، ونظرت بجر ، ودار في أساليب الأدب فتخير ، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث ، والتداول والابتعاث ، وبان له القليل النائب عن الكثير ، واللفظ الدال على الضمير ، ودري تراتب الكلام وأسرارها ، كما درى تعاليق المعاني وأسبابها ، إلى غير ذلك مما يكمل الآلة ، ويشهد

(١) هذه من م .

(٢) م : « في ظنك » .

القريحة — تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ، ولا يسمع إلا بأذن النصفه^(١) ،
ولا ينتقد إلا بيد المعدلة^(٢) ، فحكمه الحكم الذي لا يُبدل ، ونقده النقد
الذي لا يُغير .

واعلم أنه يعرف الجيد من يجهل الرديء . والواجب أن تعرف المقابح
المتسخرطة كما عرفت المحاسن المرتضاة ، وجماعها إذا أُجمِلت أنها أضداد ما بيّناه
من عمد البلاغة ، وخصال البراعة ، في النظم والنثر . وفي التفصيل كأن يكون اللفظ
وحشياً أو غير مستقيم ، أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب ، فقد قال عمر
رضي الله عنه في زهير : « لا يتتبع الوحشي ولا يُعاظَلُ الكلام » . أو يكون فيه
زيادة تفسد المعنى أو نقصان ، أو لا يكون بين أجزاء البيت التمام ، أو تكون
القافية قَلقة في مقرّها ، أو مَعيبة في نفسها ، أو يكون في القسم أو التقابل ، أو في
التفسير فساد ، أو في المعنى تناقض وخروج إلى ما ليس في العادة والطبع ، أو يكون
الوصف غير لائق بالموصوف ، أو يكون في البيت حشو لا طائل فيه ، إلى غير
ذلك مما يحصل لك تأملك جمل المحاسن وتفصيلها ، وتتبعك ما يضادها^(٣)
وينافياها ، وهذا هين قريب .

وإنما قلت هذا لأن ما يختاره^(٤) الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سُئل عن
سبب اختياره إياه ، وعن الدلالة عليه ، لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا
قضية طبعي ، أو ارجع إلى غيري ممن له الدربة والعلم بمثله فإنه يحكم بمثل
حكمي . وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفية الاختيار ، لأنه لا شيء من
ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه ، وإقامة البرهان على رداءته ، فاعلمه .

* * *

(١) النصفه والنصف ، بالتحريك فيهما : الإنصاف .

(٢) المعدلة بكسر الدال وفتحها : العدل . وجاءت في الأصل بكسر الدال .

(٣) في الأصل : « ما لا يضادها » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٤) في الأصل : « ما لا يختاره » والوجه حذف « لا » كما في م .

وأما^(١) تمنيك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلاء ،
والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين ، والعلّة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء ،
ولماذا كان أكثر المفلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب ، وأكثر المترسلين
لا يفلقون في قرص الشعر ، فإنّي أقول في كل فصل من ذلك بما يحضر^(٢) ،
والله وليّ توفيق ، وهو حسبي وعليه توكلّي .

اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلاء ، موجهٌ تأخر المنظوم عن رتبة
المنثور عند العرب ، لأمرين :

أحدهما أن ملوكهم قبل الإسلام وبعده كانوا يتبجحون^(٣) بالخطابة والافتنان
فيها ، ويعُدونها أكمل أسباب الرياسة ، وأفضل آلات الزعامة . فإذا وقف
أحدٌهم بين السّماطين لحصول تنافرٍ أو تضاعفٍ أو تظالمٍ أو تشاجر ، فأحسن
الاقتضاب عند البداهة^(٤) ، وأنجح في الإسهاب وقت الإطالة ، أو اعتلى في ذروة
منبرٍ فتصرف في ضروب من تخشين القول وتليينه ، داعياً إلى طاعة ، أو مُستصلحاً
لرعيّة ، أو غير ذلك مما تدعو الحاجة إليه ، كان ذلك أبلغ عندهم من إنفاق مالٍ
عظيم ، وتجهيز جيشٍ كبير . وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرص الشعر ، ويعُدّه
ملوكهم دناءة . وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حُجر بن عمرو ،
حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت ، وحالا بعد حال ، ما أخرجه
إلى أن أمر بقتله . وقصته مشهورة ، فهذا واحد .

والثاني أنهم اتخذوا الشعر مكسبةً وتجارةً ، وتوصّلوا به إلى الشوق كما

(١) في الأصل : « وإنما » ، والصواب في م .

(٢) م : « ما يحضر » .

(٣) التبجح : الفخر والتباهي .

(٤) اقتضاب الكلام : ارتجاله ، اقتضاب الحديث والشعر : تكلم به من غير تهية

أو إعداد له .

توصلوا به إلى العلية ، وتعرضوا لأعراض الناس ، فوصفوا اللثيم عند الطمع فيه بصفة الكريم ، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللثيم ، حتى قيل : « الشعر أدنى مهوّة السري ، وأسرى مهوّة الدني » . وهذا الباب أمره ظاهر . وإذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته ، وكان النظم متأخراً عن رتبة الفثر ، وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غاية البليغ .

ومما يدلُّ على أن الفثر أشرف من النظم ، أن الإعجاز من الله تعالى جدّه والتحدّي من الرسول عليه السلام وقَعَا فيه دون النظم ؛ يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء^(١) عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أممهم يُولعون به في حينهم ، ويغلبُ على طبائعهم ، وبأشرف ذلك الجنس . على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام ، لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة ، فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه . وكذلك كان حال عيسى عليه السلام ، لأن زمنه كان زمن الطب ، فكانت معجزته وهي إحياء الموتى ، من ذلك الجنس وبأشرفه . فلما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان ، جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يُولعون به وبأشرفه ، فتحدّاهم بالقرآن كلاماً منثوراً ، لا شعراً منظوماً .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ في تنويه النبي عليه السلام ﴿٥٤﴾ : ﴿ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ يَوْمًا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ .

(١) في الأصل : « فيكشف ذلك أن معجز الأنبياء » ، وأثبتنا ما في م .
 (٢) يقال نوه فلاناً ونوه به إذا رفعه وطير به وقواد ، ومنه قول أبي نخيلة : ونوهت لي ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أتبه من بعض م : « في تنويه النبي عليه السلام » .
 (٣) هذا وجه جائز في الاستشهاد بالقرآن مع ترك الواو أو الناء ونحوهما . انظر « الحيوان (٣ : ٤/١٥ : ٥٧ ، ٢٧٦) » ورساله الشافعي الفقرات رقم ٦٤٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ .
 بتحقيق الشيخ أحمد شاكر .

وقال أيضاً : (والشُعراء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنْهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) .

ولما كان الأمر على ما بيَّناه وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا ، وأعلى سَمَكًا وبناء من النظم ، وأن يكون مزاوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاويلها^(١) .

* * *

وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المُفْلِقِينَ وعِزٌّ مَن جمع بين النوعين مبرزًا فيهما ، فهو أن مَبْنَى « الترشل » على أن يكون واضح المنهج ، سهل المعنى ، متسع الباع ، واسع النطاق ، تدلُّ لوائحه على حقائقه ، وظواهره على بواطنه ، إذ كان مؤرده على أسماء مفترقة : من خاصيِّ وعاميِّ ، وأفهام مختلفة : من ذكيِّ وغبيِّ . فمتى كان متسهلاً متساوياً ، ومتسلسلاً متجاوباً ، تساوت الآذان في تلقيه ، والأفهام في درايته ، والألسن في روايته ، فيُسمَحُ شارده إذا استدعي ، ويتعجَّلُ وإفده إذا استدني ، وإن تطاول أنفاسُ فصوله ، وتباعدَ أطرافُ حُزونه وسهوله . ومبني « الشعر » على العكس من جميع ذلك لأنه مبني^(٢) على أوزان مقدرة ، وحدود مقسمة ، وقواف يساق ما قبلها إليها مهياً ، وعلى أن يقوم كلُّ بيت بنفسه غير مفتقرٍ إلى غيره إلا ما يكون مضمناً بأخيه ، وهو عيب فيه . فلما كان مداه لا يمتدُّ بأكثر من مقدار عرُوضه وصرِّبه ، وكلاهما قليل ، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكلُّ بيت يتقاضاه بالاتحاد ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى ، وأن يبلغ الشاعر في تلطيفه ، والأخذ من حواشيه ، حتى يتسع اللفظ له ، فيؤدِّيه على غموضه وخفائه — حدًّا يصير

(١) م : « وبمزاويلها » .

(٢) م : « بني » .

المدرَكُ له والمشرِفُ عليه ، كالفائزِ بذخيرةِ اعتمنها ، والظافرِ بدفينةِ استخراجها .
وفي مثل ذلك يحسن ائحاء^(١) الأثر ، وتباطؤُ المطلوب على المنتظر . فكلُّ
ما يُحمد في الترسل ويُختار ، يُذم في الشعر ويُرفَض .

فلما اختلف المبتدیان كما بيناً ، وكان المتوَلِّي لكل واحدٍ منهما يختار أبعدَ
الغايات لنفسه فيه ، اختلفت فيهما الإصابتان ، لتباين طرفيهما ، وتفاوتِ قطريهما ،
وبعد^(٢) على القرائح الجمع بينهما . يكشفُ ذلك أن الرّجَزَ وإن خالف القصيدَ
مخالفةً قريبة ترجع إلى تقطيع شأو اللفظ فيه ، وتزاحم السجع عليه ، قلَّ عددُ
الجامعين بينهما ، لتقاصر الطباع عن الإحاطة بهما . فإذا كان الرّجَزُ والقصيدُ
مع أنهما من وادٍ واحدٍ ، أفضت الحالُ بمتعاطيهما إلى ما قلتُ على خلافٍ يسير
بينهما — فالنثر والنظم وهما في طرفين ضِدِّين ، وعلى حالتين متباينتين ،
أولى وأخصُّ .

* * *

وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ، ونباهة أولئك وخمول هؤلاء ،
فهو أن المترسل محتاجٌ إلى مراعاة أمورٍ كثيرة ، إن أهملها أو أهمل شيئاً منها
رجعت النقيصةُ إليه ، وتوجهت اللائمةُ عليه .

منها تبين^(٣) مقادير من يكتب عنه وإليه ، حتى لا يرفع وضيعاً ، ولا
يضع ربيعاً .

ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه ، حتى تجيء لائقةً بمن يُخاطبُ
بها ، مُفخمةً لحضرةِ سلطانه^(٤) التي يصدر عنها .

(١) رسمت في الأصل وم : « ائحاء » مع وضع شدة على النون .

(٢) م : « فبعد » .

(٣) في الأصل : « يبين » ، صوابه في م .

(٤) م : « سلطانها » .

ومنها أن يعرف أحوال الزمان ، وعوارض الحدّثان ، فيتصرّف معها على مقاديرها في النقص والإبرام ، والبسط والانتقباض .

ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل ، والإيجاز والتخفيف ؛ فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار ، حتّى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدارَ الفصائد الطويلة ، ويتفق أيضا ما تُعني فيه الإشارة ، وما يجري مجرى الوحي في الدلالة .

ومنها أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل ولا يشتطّ في الحكومة ، ولا يعدل فيما يحطّ عن المحجّة . فهو إنّما يترسّل في عهد الولاة والقضاة ، وتأكيّد البيعة والأيمان ، وعمارة البلدان ، وإصلاح فساد ، وتحريض على جهاد ، وسدّ ثغور ورثق فتوق ، واحتجاج على فئة ، أو مجادلة لئليّة ، أو دعاء إلى ألفيّة ، أو نهي عن فرقة ، أو تهنئة بعطيّة ، أو تعزية برزية ، أو ماشاء كلّ ذلك من جلائل الخطوب ، وعظائم الشئون التي يُحتاج فيها إلى أدوات كثيرة ، ومعرفة مفتنّة .

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المظلمين بجودة النثر أعزّ ، وعددُهم أنزر . وقد ستمتهم الكتابة بشرفها ، وبوأتهم منزلة رياستها ، فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ، ومعاقب رياستهم ، وشدة الفاقة إلى كفايتهم .

والشعراء إنّما أغراضهم التي يُسدّدون نحوها ، وغاياتهم التي ينزّعون إليها ، وصف الديار والآثار ، والحنين إلى المعاهد والأوطان ، والتشبيب بالنساء ، والتلطيف في الاجتداء ، والتفنن في المديح والهجاء ، والمبالغة في التشبيه والأوصاف . فإذا كان كذلك لم يتدانوا في المضمار ، ولا تقاربوا في الأقدار . وهذا القول كافٍ .

وإذ قد أتينا بما أردنا ، ووفينا بما وعدنا ، فإننا نشتغل بما هو القصد من شرح الاختيار ، والله الموفق للصواب ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الأخيار .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

باب الحماسة

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الإصفهاني رحمه الله .
الحماسة : الشجاعة ، والفعل منه حَمَسَ ، ورجلٌ أَحْمَسُ . وكانت العرب
تسمي قريشا : مُحَسًّا^(١) لتشدُّدهم في أحوالهم ديناً ودُنْيَا وتسمي بني عامر :
الأحامِسَ ، وكانهم ذهبوا في واحد مُحَسِّ إلى أنه صِفَةٌ ، فجمعوه جمع الصفات ،
كما يقال أَحْمَرُ وُحْمَرٌ ، وأشقر وشُقْرٌ ، وذهبوا في واحد الأحامس إلى أنه اسم ،
فجمعوه جمع الأسماء كما يقال أحمد وأحمد ، وأجدل وأجدل . وهم يُخْرِجون
الأسماء إلى باب الصفات كثيراً ، فيقولون : بنو فلان الذوائب لا الذنائب ،
والمراد هم الأعالي لا الأسافل ، كما يُخْرِجون الصفات إلى باب الأسماء كثيراً .
وعلى هذا الأسود : الحياتُ ، والأداهِمُ : القيود : قال :

* أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ^(٢) *

والأباطح : جمع الأبطح . وكلُّ ذلك صفات أُخْرِجتُ إلى باب الأسماء .
وقال الدرَيْدِيُّ^(٣) : حَمِسَ الشَّرُّ : اشتدَّ . والحُمَسُ : قريش ، وكنانهُ
وخزاعةُ ، تَحَمَّسُوا في دينهم . وبنو حَمَّاسٍ : قبيلة من العرب ، وكذلك بنو
حَمَيْسٍ^(٤) . وقوله :

(١) م : « الحمس » .

(٢) نسبه العيني (٤ : ١٩٠) للعديل بن الفرخ ، قاله حين دعا الحجاج فتوعده . وبعده :

* رَجُلِي فِرْجَلِي شَشْنَةُ الْمَنَامِ *

(٣) يعني أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد .

(٤) انظر جمهرة ابن دريد (٢ : ١٥٦) .

١

قال بعض شعراء بلعنبر (١) :

المراد به بني العنبر ، ولهذا وجب ألا يصحب الكسرة التي في الراء التنوين .
 وإنما حذف النون من « بني » لاجتماعه مع اللام من العنبر ، وتقاربهما في
 المخرج . وذلك لأنه لما تعذر الإدغام فيه جعل الحذف بدلاً من الإدغام .
 وإنما تعذر الإدغام لأن الأول متحرك والثاني ساكن سكوناً لازماً ، فلما كان
 من شرط المدغم تحريك الثاني إذا ادغم الأول فيه ، وكان لام التعريف ساكناً
 سكوناً لازماً ، جعل الحذف لكونه مؤدياً إلى التخفيف المطلوب من الإدغام
 بدلاً لما تعذر هو . ولا يلزم على هذا أن يحذف النون من بني التجار لأن
 اللام قد ادغم في النون التي بعده ، فلا يمكن تقدير إدغام النون التي قبله فيه ،
 حتى إذا تعذر جعل الحذف بدلاً من الإدغام ، بدلالة أن ثلاثة أشباه (٢)
 لا يصح إدغام بعضها في بعض ، ومما يشبه هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين
 واستعمال الحذف في أحدهما بدلاً من الإدغام قولهم علماء بنو فلان (٣) ، والمعنى
 على الماء . ومما يشبهه لكنهما التقياً في كلمة واحدة ، قولهم ظَلَّتْ وَمَسَّتْ
 يقال منهما ظَلَّتْ وَمَسَّتْ ، وإن شئت ظَلَّتْ وَمَسَّتْ . تُلْقَى حركة المحذوف
 على فاء الفعل . قال الله تعالى : ﴿ فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ ﴾ . وإنما تعذر الإدغام ها هنا
 لأن لام الفعل في مثل هذا المكان إذا اتصل به ضمير الفاعل يسكن البتة ، فلما

(١) في شرح التبريزي : « واسمه قريظ بن أنيف » ، وفي التنبيه لابن جني : « وقد
 تروى لأبي الغول الطهوي » .

(٢) في النسختين : « أشياء » ، وكذا النص عند التبريزي . والوجه ما أثبتنا .

(٣) شاهده ما أنشده التبريزي وابن جني في المبهج من قول قطري :

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعيجنا صدور الخيل نحو تميم

لزمه التكون لم يصح إدغام العين فيه ، فلذلك حُذِف .
 والعَنْبَرُ في اللغة : الثُّرْسُ والطَّيْبُ . وَعَنْبَرَةُ الشَّتَاءُ : شِدَّتُهُ . وَعَنْبَرَةُ القَوْمِ :
 خلوص أنسابهم . ويقال : رأيتُه بهذا البلد عَنبَرِيًّا . يُضْرَبُ به مثلاً في الهداية .
 وبنو العنبر أهدى قَوْمٍ . ويمكن تقدير النون زائدة فيه ؛ فيكون فنَعلاً من عَبْرَتُ ،
 كأنه بحسن تأتية للاهتداء يَعْبُرُ الطُّرُقَ . ومنه قيل في البعير : [هو^(١)]
 عُبْرُ أسفار .

١- لو كنت من مازن لم تستبح إيلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا^(٢)

مازِنُ بن مالك بن عمرو بن تميم ، هُمُ بنو أخي العنبر بن عمرو بن تميم ، وإذا
 كان كذلك فمدح هذا الشاعر لهم يجري مجرى الافتخار بهم ، وفي بني مازن
 عصبية شديدة قد عرفوا بها وحذوا من أجلها ، ولذلك قال بعض الشعراء^(٣)
 موبخاً لغيرهم :

فهلّا سَعَيْتُمْ سَعِي عَصْبَةِ مَازِنٍ وهل كَفَلَايِي في الوفاء سِوَاءِ
 كَأَنَّ دَنَايِرًا على قِسْمَاتِهِمْ وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء

وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بعث قومه على الانتقام له من
 أعدائه ومهتضميه ، وتهيبجهم وهزيمهم ، لاذمهم . وكيف يذمهم ووبال الذم راجع
 إليه ؟ ! لكنه في هذا المعنى سالك لطريقة كبشة أخت عمرو بن معد يكرب
 في قولها :

(١) التكلية من م .

(٢) في شرح التبريزي : « وزعم أبو محمد الأعرابي أن الرواية :

... لم تستبح إيلي بنو الشقيقة من ذهل بن شيبانا

قال : « الشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان » ثم ذكر أن اللقيطة

هي نضيرة بنت عصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سمد بن عدي بن فزارة .

(٣) هو محرز بن مكعب الضبي ، كما في اللسان (قسم) ، وسترده هذه المقطوعة

في الحماسة برقم ٦١١ .

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقُلُوا لَهُمْ دَعِي
الآتري أنها قالت في جملة هذه الأبيات :

وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَلِّمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرِ غَيْرُ شَبْرٍ لِمَطْعَمٍ
فلا يجوز أن يتوهم أنها كانت تهجوا أخاها عمراً أو تنسبه إلى العجز والتقصير
في طلب ثأر أخيه ، وعمرو هو الذي كان يُعَدُّ بِالْفِ فَارِسٍ ، ولكن مرادها
بَعَثُهُ وَتَهْيِيجُهُ . وهذا كما يقول العبد لمولاه والغلام لصاحبه وقد لحقتهما هَضِيمَةٌ
من أجنبي : لو كُنَّا فِي خَدْمِهِ فَلَانَ عَمَّكَ أَوْ أَخِيكَ لَمَّا جَسَرَ هَذَا أَنْ يِنَالَنَا بِمَكْرُوهِ !
ولا يجوز أن يقال إنهما هَجَّوَا سَيِّدِيهِمَا أَوْ فَضَّلَا غَيْرَهَا عَلَيْهِمَا ، ولكن المراد
تَحْرِيكُهُمَا لَهَا ، وإذا كان الأمر على هذا فمن الظاهر بطلان قول من يذهب إلى
أن هذا الشاعر هجا قومه ومدح بني مازن يؤكِّد ما قلته قوله :

يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمَنْ إِسَاءَ أَهْلَ الشُّوءِ إِحْسَانًا
لأنه لا يقال لمن يُمْسِكُ عَجْزًا عَنِ الْإِتِّصَارِ إِنَّهُ غَفَرَ ، ولا لمن يقدر على
جزاء الإساءة إنه اختار الإحسان . فإن قيل : أليس قد قال :

* لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا *

وقال أيضا :

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا
قلت : ليس يزيدُ شَيْءٌ مِمَّا قَالَهُ عَلَى قَوْلِ كَبْشَةَ :

* وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَلِّمٌ *

وإذا كانت أبياتها باتفاق من أصحاب المعاني لا تكون هجواً ، فكذلك
أبيات هذا العنبري . ومما يشهد للطريقة التي سلكناها ويؤيدها ، أن في جملة
أبياته التي وصف فيها قومه :

يُحِبُّونَ نِيرَانَهُمْ حَتَّى إِذَا خَدَّتْ شَبُّوا لِمَوْقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانًا (١)

(١) هذا البيت مما لم يختره أبو تمام من هذه القصيدة .

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفات نفسه فقال :
 أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوِهِ (١) فكيف الفرارُ إذا ما اقترب
 بل الذي ذكره العنبري أزيد ، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن ،
 فإذا احتاجوا زادوا على كل هائج . ألا ترى أنه قال :

* شَبُّوا لِمَوْقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانًا *

ومعنى البيت لو كنت مازنيا لم تُغِرْ بنو اللَّقِيْطَةِ على إيلي .
 وَلَقِيْطَةُ الْحَقِّ بِهَا الْهَاءُ وَإِنْ كَانَ فَعِيْلًا فِي مَعْنَى مَفْعُوْلَةٍ ، لِأَنَّهُ أَفْرَدَ عَنِ
 الْمُوصُوفِ بِهِ وَجُعِلَ اسْمًا . وهذا كما يقال النَّشِيْطَةُ (٢) وَالذَّبِيْحَةُ ، وَالْبَنِيَّةُ
 فِي الْكَعْبَةِ .

فأما الاستباحة ، فقد قيل هي في معنى الإباحة ، وقد قيل : إن الإباحة هي
 التَّخْلِيَةُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَبَيْنَ طَالِبِهِ ، وَالِاسْتِبَاحَةُ اتِّخَاذُ الشَّيْءِ مَبَاحًا لِلنَّفْسِ . وكان
 الأصل في الإباحة إظهار الشيء للمناظر ليتناولوه من شاء ومنه بَاحَ بِسَرِّهِ بَوْحًا
 وَبُوُوْحًا . وَالْمَازِنُ فِي اللَّغَةِ : بَيْضُ النَّمْلِ ، وَيُقَالُ : هُوَ يَتَمَزَّنُ عَلَى أَصْحَابِهِ ،
 كَأَنَّهُ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . وَذُهْلٌ مَنْ ذَهَلَتْ عَنِ الشَّيْءِ .

٢- إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُسْنٌ عِنْدَ الْحَفِيْظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَانَ (٣)

(١) الرخو : مافيه رخاوة وسهولة . وفي م : « رِخْوَةٌ » وهي أجود .

(٢) النشيطة من الإبل : التي تؤخذ فتستاق من غير أن يعمد لها . والأوفق كما ورد
 في م « النسيكة » ، وهي الذبيحة التي تذبح بمكة .

(٣) نص التبريزي على أن الرواية ضم اللام في « لوثة » . قال : « ومن روى اللوثة
 بالفتح قال : إذا لَانَ ذُو الْقُوَّةِ ، وَكَانَ أَبْلَغَ فِي الْمَعْنَى » . يذهب التبريزي إلى أن هناك فرقا
 بين الضم والفتح ، وهو قول لبعض اللغويين ، وزعم أن معناها بالضم الضعف ، وبالفتح القوة
 والشدة . والأصح أنهما لفتان بمعنى واحد ، وهو الحمق والاسترخاء والضعف ، وسيأتي للمرزوقي
 كلام في هذا .

اللام في «لقام» جواب يُمينٍ مضمرة، والتقدير إذاً والله لقام [بنصري^(١)].
 فإن قيل: فأين جواب لو كنت؟ قلت: هو لم تستبح إبلي. وفائدة «إذا»
 هو أن هذا أخرج البيت الثاني مُخْرَجَ جواب قائلٍ قال له: ولو استباحوا ماذا
 كان يفعل بنو مازن؟ فقال: إذاً لقام بنصري مَعَشَرٌ حُشْنٌ. قال سيديويه:
 «إذاً جوابٌ وجزأ»، وإذا كان كذلك فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزأ
 على فعل المستببح. ويجوز أن يكون أيضاً إذاً لقام جواب «لو»، كأنه أجيب
 بجوابين. وهذا كما تقول: لو كنت حُرّاً لاستقبحت ما يفعله العبيد، إذاً
 لاستحسن ما يفعله الأحرار^(٢). وقوله «إن ذو لوثة» يرتفع ذو عند حُذَاقِ
 النحويين بفعل مُضَمَّرٍ، الفعل الذي بعده تفسيره، وهو لأن. والتقدير إن لأن
 ذو لوثة لانا. وإنما قالوا هذا لأن «إن» لما كان شرطاً كان بالفعل أولى،
 وعمله الجزم فيجب أن لا يفارق معموله في اللفظ والتقدير. وليس هذا موضع
 الكلام على من يجعل «ذو» بعد إن وما أشبهه مبتدأ. ومعنى البيت إذاً والله
 لقام بنصري، أي لتكفل به قومٌ أشدّاء عند الغضب، إذا الضعيف لأن.
 ويقال: قام بالأمر، أي تكفل به. وهو القائم والقيم. وقام بالقسط والعدل
 في الرعيّة، وقام عليه إذا ساسه ووليه، ومنه القيوم والقيام^(٣) في صفات الله
 تعالى، وقوله: «إلا ما دُمت عليه قائماً» أي قاهراً. وأقمت الرُمحَ فقام، بمعنى
 قوّمته فتقوم. وقوله «إن ذو لوثة» تعريضٌ منه بقومه ليغضبوا ويهتاجوا
 لنصرتِه. وهو في البعثِ والتهيجِ أحسن من التصريح، كما أنه في الذمِّ والهجو

(١) هذه من ل.

(٢) ما بعد هذه الكلمة إلى كلمة «والتقدير» تجده بلفظه عند البريزي بدون تنبيه على مأخذه.

(٣) أصله «قيوم» على فيعال كما ورد في اللسان: ومثله «صياغ» من الصوغ. وقد قرأ بها عمر بن الخطاب في سورة آل عمران: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم». انظر كتاب المصاحف للسجستاني ٥٢ بتحقيق المستشرق آرثر جفري.

كذلك . وهذا بعضُ الناس رواه « إن ذُو لَوْثَةٍ » وزعم أن ذُو لَوْثَةٍ ليس بجيد لأن الضعيف أبداً مَهِينٌ ، والواجب أن يقول إن القويُّ لَانَ ، واللَّوْثَةُ هي القوَّة . والرِّوَاية الصحيحة هي ضم اللام من اللوثة (١) . والفائدة ما ذكرت من التعريض بقومه . ولأنَّ يكون طرفاً البيت متناولين لمعنيين متقابلين ، أحسن من أن يكونا مفيدين لمعنى واحد . و « المَعْشَرُ » : اسم للجماعة ، لا واحده من لفظه . وقال الخليل : هو اسم لجماعة أمرهم واحد . ويقال جاءوا مَعْشَرَ مَعْشَرَ ، أي عَشْرَةَ عَشْرَةَ . و « خُشْنٌ » : جمعُ خَشِينٍ وَأَخْشَنَ . و « الحَفِيظَةُ » : الخِصْلَةُ يُحْفَظُ لها ، أي يُفَضَّبُ . وقيل هي الحَمِيَّةُ ، وفي المثل : « الحفائظُ تحلُّ الأحقادَ » وقيل أيضاً « أهل الحفائظِ أهل الحفاظ » . وذلك أن ذا الأنفِ يحترسُ من العارِ ، فلا يزال يتحفظ ويحافظ حتى يسلم منه . وكان الأصل في الكلِّ الحِفْظُ الذي هو نقيض النسيان . وقد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعة به ، وجاد البيتُ له ، كأنه (٢) قال معشَرُ خَشِينُونَ عند الحفيظة إن كان ذُوو اللوثة لِينِينَ عندها .

٣- قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانًا

أراد أن يصف بني مازن بما يحتاج له قومه فينصرونه ، فقال : هم قوم إذا ظهر لهم الشرُّ واشتدَّ سارعوا إليه غير متوقِّعين (٣) لتَجَمُّع ، ولا مُعَرَّجِينَ على تَأَهُب ، لكنهم يتبادرون أفراداً وثبَّاتٍ ، وأشتاتاً وجماعاتٍ . وإبداء النَّاجِدِ - وهو ضرس الحِلْمِ - مَثَلٌ لاشتداد الشرِّ . ومثله قولُ الآخر :

فَمَنْ يَلِكُ مِعْزَالِ الْيَدِينِ ، مَكَانُهُ إِذَا كَشَرَتْ عَنْ نَابِهَا الْحَرْبُ خَامِلُ

(١) انظر ما سبق من التعليق عند إنشاد البيت .

(٢) في الأصل : « أنه » ، وأثبتنا ما في م .

(٣) كلا في الأصل . وفي م : « متوقِّقين » .

فأما قول عَنترَة :

* إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَن وَضَحِ القَمِّ (١) *

وقول الأَعشى :

* سَعَةُ الشَّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلْحِ (٢) *

وقول الآخر :

* وَقَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ الفَمَا *

فإنما هو صفةٌ للمُصطلي بنار الحرب عند اشتداد الأمر عليه . ومثله لبعض البلغاء : « صارَ الأَكْسُ كالأَرُوقِ ، والمُحتال كالأحمق ؟ وذو البصيرة كالأخرق (٣) » . ويقال : عَضَّ على نَاجِدِهِ (٤) ، إذا صَبَرَ على الأمر . ونَجَدَتُهُ الأمورُ : أحكمته . قال الشاعر (٥) :

* وَنَجَدَنِي مُدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ *

• المداورة : المعالجة .
والشؤون : الأمور .

ويقول الرجل إذا أراد أن يتشدد على صاحبه : لأرَبَنَّكَ نَاجِدِي ! والمعنى أنه يَكْثِرُ له وَيَكْلَحُ في وجهه حتى يبدو نَاجِدُهُ . ويقولون : « خَلَّتُهُ لِعُبُوسِهِ يَبْتَسِمُ (٦) ، ولإِقْدَامِهِ يَنْهَجِمُ (٧) » . وقال بعضهم : النواجِدُ : الضَّوْاحِكُ ، واحتجَّ بحديث النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحك حتى بدت نواجذُه » . قال :

(١) صدره : * ولقد حفظت وصاة عمي في الضحى *

(٢) صدره في الديوان ١٦١ : * وله المقدم في الحرب إذا *

(٣) الأَكْسُ : القصير الأسنان الصغيرها . والأرُوقُ : الطويل الأسنان .

(٤) م : « نَاجِدِيه » .

(٥) هو سحيم بن وثيل الرياحي ، كما في اللسان (نجد) والأصمعيات . وصدر البيت :

* أخو خمسين مجتمع أشدِّي *

(٦) في النسختين : « يتبسم » ، والتصحيح بعده يقتضى ما أثبتنا ليصلح السجع .

(٧) كذا على الصواب في م . يقال انهجم الحياء : سخط . وفي الأصل : « يتهجم » ،

ولا أصل له في اللغة . وعلى هذا فالوجه أن يكون الفعل قبله : « يتبسم » لكنه ورد كذا في النسختين .

• اجتماع الأسد : كناية
عنا تمام القوى في البدن
والعقل .

وأقاصى الأسنان لا يُبديها الضحك . والصحيحُ الأوَّل ، فأما الخبزُ فمحمولٌ
على المبالغةِ وإن لم تبدُ النواجِدُ .

وجواب « إذا » طاروا . و « وُحْدَانَا » هو جمعُ واحد ، وواحدُ صِفَةٍ ،
كصاحبٍ وصُحْبَانٍ ، ورَاعٍ ورُعْيَانٍ . ويقالُ طِرْتُ إلى كذا ، إذا أسرعتُ
إليه ، وطِرْتُ بكذا ، أي سبقتُ به . والزَّرَافَاتُ : الجماعاتُ ، واشتقاقه من
من الزَّرْفِ ، وهو الزيادةُ على الشيء . ويقالُ زَرَفْتُ القومَ قَدَّامِي ، أي
قَدَّمْتُهُمْ فِرَاقًا . وحُكِي في الزَّرَافَةِ تشديدُ الفاء ، يقالُ جاء القومُ بِزَرَافَتِهِمْ ،
أي بجماعتِهِمْ ؛ وهو غريب . والمعنى أنهم لحرصهم على القتالِ وجُرأتِهِمْ ،
لا ينتظرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، لكنَّ كلاً منهم يعتقدُ أن الإجابةَ تعيَّنت عليه إذا
تشدَّد الشرُّ لهم . وفي طريقته قول بعض الشعراء (١) :

قومٌ إذا هتَفَ الصَّريخُ رأيتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ (٢)

سَافِعٌ : أخذُ بناصيةِ فرسه . ومنه قولُ الله تعالى : ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ .
وقول الآخر (٣) :

وكنتُ إذا جاري دعا لمضوفةٍ أشمرُّ حتى ينصفُ الساقَ مئزري

ع - لا يسألون أخاهم حينَ يندبُهُمْ في النائباتِ على ما قالَ برهاناً

الأصلُ في الثدبةِ - وإن اشتهرت ببيكاءِ الأمواتِ وقولهم عنده :
وأفلاناه : - الدعاءُ ، وتوسَّعوا فيه فقالوا : نُدِبَ فلانٌ لكذا وكذا ، إذا
نُصِبَ له ورُشِحَ للقيامِ به . ويقولون : تكلمَ فلانٌ فانتدبَ له فلانٌ ، إذا عارضه .
والشاعرُ يقول : هؤلاء القومُ ، يعني بني مازن ، لحسنِ محافظتهم وقوَّةِ تناهيهم

(١) هو عمرو بن معديكرب ، كما في تفسير أبي حيان (٨ : ٤٩١) .

(٢) رواية أبي حيان : « إذا كثُر الصيالح » .

(٣) هو أبو جندب الهذلي ، كما في اللسان (نصف) وديوان الهذليين (٣ : ٩٢) .

في نُضْرَةِ الْمُنتَسِبِ إِلَيْهِمْ وَالْمُعَاقِّ (١) حَبْلَهُ بِحَبْلِهِمْ ، لا يسألون الواحد منهم إذا دَعَاَهُمْ حُجَّةً على دعواه ، ولا يراجعونه في كيفية ما أُلْجَاهُ إِلَيْهِمْ ، لكنهم يُعَجِّلُونَ الإِغَاثَةَ لَهُ . وهذا تعريضٌ منه بما لِحَقَّهُ من قومه أو رآه من عاداتهم عند الاستغاثة بهم . والعرب تقول : يا أخا قريش ؛ والمعنى يا وَاحِدًا منهم . ومِثْلُهُ : إذا اسْتُنْجِدُوا لم يسألوا من دَعَاَهُمْ لآيَةٍ حَرْبٍ أم بأيِّ مَكَانٍ (٢) وقد وَصَفَ بني مازنٍ غيرُ واحدٍ من الشعراء بمثل ما وصفهم هذا الشاعر ، فمن ذلك قول بعضهم :

نَفْسِي فِدَاءُ لِبَنِي مَازِنٍ من شُمُسٍ فِي الْحَرْبِ أَبْطَالِ
وقول الآخر (٣) :

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعِي عُضْبَةِ مَازِنٍ وهل كُفَلَّائِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءِ

٥- لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

رَجَعَ إلى صفة قومه بما يأنفون منه عنده ؛ وتَدْخُلُهُمُ الحِمِيَّةُ لدى الإضغاء إليه ، وليس قَصْدُهُ ذَمُّهُمْ فَقَالَ : لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ كَثْرَةٌ عَدَدٍ وَعُدَّةٌ لَيْسُوا مِنْ دَفْعِ الشَّرِّ وَإِنْكَارِهِ ، وَقَصْدُهُ وَاِرْتِكَابُهُ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ خِيفَةٌ وَقِلَّةٌ . وقد قَابَلَ الشَّرْطَ بِالشَّرْطِ فِي الصَّدْرِ وَالْعَجْزِ ، وَطَابَقَ الْعَدَدَ وَالكَثْرَةَ بِالْهَوْنِ وَالخِيفَةَ فِي هَذَا الْكَلَامِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَصِفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ السَّلَامَةَ وَالْعَفْوَ عَنِ الْجُنَاةِ مَا أَمَكْنَ ، وَلَوْ أَرَادُوا الْإِنْتِقَامَ لَقَدَرُوا بِعَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ وَلَكِنَّ الْمِرَاقِبَةَ وَالتَّقْوَى تَدْعُوهُمْ إِلَى إِثَارِ الْحُسْنَى .

(١) كذا ضبط في الأصل . وفي م : « المعاق » بسكون العين وتخفيف اللام المكسورة ، وكلاهما بمعنى واحد . اللسان (علق) .

(٢) لُوْدَاكُ بْنُ نُمَيْلِ الْمَازِنِيِّ ، سِيَأْتِي فِي الْمَقْطُوعَةِ ١٧ .

(٣) هُوَ مُحَرِّزُ بْنُ مَكْبَرٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي ص ٢٣ .

٦- يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشُّؤْمِ إِحْسَانًا
 روى بعضهم « من ظلم أهل الظلم » والظلم بالفتح المصدر وبالضم الاسم .
 وهذه الرواية عندي أحسن . وقد بينت ما في المغفرة والإحسان من الدلالة
 على أنهم كانوا يقدرُونَ على إثارة ضدهما . والظلم : انتقاص الحظ والنصيب .
 وقيل هو وضع الشيء في غير موضعه ، ونقيضه العدل . وينتصب إحساناً
 بيجزُونَ مضمراً ، كأنه قال : ويجزُونَ من الأساءة إحساناً . وجاز حذفه
 لأن الفعل قبله يدلُّ عليه .

٧- كَانَ رَبِّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِسَانًا (١)
 الحشية والحشي والخشاة : مصدر خشى . ويقولون : هذا المكان أخشى
 من ذلك ، وهو نادرٌ لأنَّ المكان يُخشى فهو مفعول . ورجل خشيانٌ وامرأة
 خشيانةٌ . وقوله « سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ » هو استثناءٌ مقدَّمٌ ، ولو وقع
 موقَّعه لكان الكلامُ لم يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ إِسَانًا سِوَاهُمْ ، فكان يجوزُ في سِوَاهُمْ
 البَدَلُ والاستثناءُ والصفةُ ، فلما قدَّم بطلَ أن يكونَ بدلاً وصفةً لأنهما
 لا يتقدَّمان على الموصوف والمبدل منه ، فبقي أن يكونَ استثناءً . وقد نَبَّه بهذا
 الكلام أن احتمالهم لاحتساب الأجرِ على زعمهم ، وإبقاءهم في الانتقام لِحَشِيَّةِ
 فِوَاتِ الدُّخْرِ فِي دَعْوَاهُمْ ، فَكَانَ اللهُ لَمْ يَخْلُقْ لِحَوْفِهِ غَيْرَهُمْ .

(١) بعده بيت ثامن لم يروه المرزوقي ، ورواه التبريزي ، وهو :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدوا الإغارة فرساناً وركباناً

قال التبريزي في تفسيره : « ويروى : شنوا الإغارة : أي فرقوها . يقال شن عليهم الغارة
 بالشين معجمة . وسن عليه درعه بالسین ، إذا صها عليه . ومن روى : شدوا الإغارة ،
 فليس الإغارة مفعولاً به ولا انتصابها على ذلك . لكن انتصابها انتصاب المفعول له ، أي شدوا
 للإغارة كقولك حملوا للإغارة فرساناً وركباناً ، أي في هذه الحالة . وهو كقول الآخر :

• شددنا شدة فقتلت منهم •

أي حملنا حملة . وشدت هذه غير متعدية ، وإذا أريد تعديتها وصلت بعل . قال :

أشد على الكتيبة لا أبالي أحتني كان فيها أم سواها •

٢

وقال شهلُ بن شيبانَ الزَّمَانِيُّ (١) :

ويُلَقَّبُ بِالْفِنْدِ . وَالْفِنْدُ فِي اللُّغَةِ : الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَبَلِ ، وَجَمْعُهُ أَفْنَادٌ .
قال الدَّرَيْدِيُّ : لُقِّبَ بِهِ لِعَظْمِ شَخْصِهِ . قال : وهو أحدُ الفرسان . وقال غيره :
لُقِّبَ بِهِ لِأَنَّهُ قال لِأَصْحَابِهِ فِي يَوْمِ حَرْبٍ : « اسْتَنْدُوا إِلَيَّ فَإِنِّي لَكُمْ فِنْدٌ » .

١ - صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهَلٍ وَقَلْنَا الْقَوْمَ إِخْوَانَ (٢)

صَفَحْتُ عَنْهُ : عَفَوْتُ عَنْ جُرْمِهِ . ويقالُ أَعْرَضْتُ عَنْ الْأَمْرِ صَفْحًا ،
إِذَا تَرَكْتَهُ . وقد يقالُ : أَصَفَحْتُ عَنْهُ ، كما يقالُ أَضْرَبْتُ [عنه (٣)] . ويقالُ :
أَبْدَى لِي صَفْحَتَهُ ، إِذَا مَكَّنَكَ مِنْ نَفْسِهِ . يقولُ عَفَوْنَا عَنْ جَرْمِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ،
وَرَاعَيْنَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَوَاشِحَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، مَا حَمَلْنَا عَلَى الْإِغْضَاءِ عَلَى قَبِيحٍ
يَتَّفِقُ مِنْهُمْ ، وَالتَّجَاوُزِ عَنْ هَفْوَةٍ تَحْصُلُ مِنْ جَهْتِهِمْ ، وَقَلْنَا : إِنَّ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
مِنَ الْإِخْوَةِ يَقْتَضِي الْإِبْقَاءَ عَلَى الْحَالِ مَعَهُمْ ، وَانْتِظَارًا لَفَيْئَةٍ (٤) تَكُونُ مِنْهُمْ .
وَحَقِيقَةُ صَفْحِنَا عَنْ بَنِي ذُهَلٍ : أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ : وَلَيْتَنَاهُمْ صَفْحَةً أَعْنَقْنَا
وَوَجَّوْهُنَا ، وَهِيَ جَانِبُهَا ، فَلَمْ نَتَّخِذْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ . وقال في هذا المعنى
ضَرَبْنَا عَنْهُمْ صَفْحًا ، وَفِي الْقُرْآنِ : (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا) .

٢ - عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَ نَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا

إِنَّمَا نَكَّرَ قَوْمًا لِأَنَّ فَائِدَتَهُ مِثْلُ فَائِدَةِ الْمَعَارِفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا فَصْلَ بَيْنَ

(١) هو شاعر جاهلي قديم ، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب بكر وتغلب
وقد قارب المائة . الخزانة (٢ : ٥٨ - ٥٩) والأغاني (٢٠ : ١٤٣ - ١٤٤) واللائلي ٥٧٩ .

(٢) التبريزي : « ويروى : * صفحنا عن بني هند * وهي هند بنت مر بن أد أخت
تميم ، وهي أم بكر وتغلب ابني وائل . فيقول : « صفحنا عن بني تغلب لأنهم إخوتنا عطفتنا
عليهم الرحم » .

(٣) هذه من م . (٤) الفئحة : الرجعة .

أن تقول عَفَوْتُ عن زيدٍ فلعلَّ الأيامُ تُرُدُّ رَجُلًا مثل الذي كان ، وبين أن تقولَ فلعلَّ الأيامُ تُرُدُّ الرجلَ مثل الذي كان ؛ لأنك تريد في الموضعين به رَجُلًا أو الرَّجُلَ . والمعنى فَعَلْنَا ذلك بهم رجاء أن تُرُدَّهُم الأيامُ إلى أَحْسَنِ ما كانوا عليه من قَبْلُ . وَعَسَى من أفعالِ المِقَارِبَةِ . وأن يَرَجِعَنَّ في موضع خبر عسى ، ولو قال عَسَى أن يَرَجِعَ الأيامُ قوماً لكان أن يرجعَ في موضع فاعل عَسَى وكان يَكْتَنِي [به (١)] ؛ وذلك لأنَّ عَسَى لمقاربة الفعل ، والفعل لا يُبدَلُه من الفاعل ، فإذا تقدَّم الفِعْلُ مع أن وتبعه الفاعل فقد حصل ما يطلبه ، فإذا وليه الاسم بقي ينتظر الفعل وإن ارتفع ذلك الاسم به ، فيجري الفعل مع أن بعده مجرى خبر كان بعد اسم كان . ومعنى يَرَجِعَنَّ : يَرُدُّنَّ ، وهو باب فَعَلَ وفَعَلْتُهُ . يقال رَجَعَ فلانٌ رجوعاً ومَرَجَعًا ورُجِعًا ورُجِعَانًا ، ورَجَعْتُهُ رَجْعًا . ومعنى يرجع قوماً يَرُدُّنَّ بأمرهم أمر قوم ، وبإتلافهم إتلاف قوم . فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وخبر كان محذوف كأنه قال كالذي كأنوه ، أي كانوا عليه قبلُ من الإِتْلَافِ والتَّوَادِّ والاتِّفَاقِ . والضمير الذي أظهرناه في « كأنوه » هو الذي تصحُّ الصلَّةُ به ، لأنَّ الموصول لا بد من أن يكون في صلته ضمير يعود إليه إذا كان اسماً ، والذي ليس يرجع إليه من كانوا شيئاً إلا ما أبرزناه من الضمير . ومن جَوَزَ حذف الجارِّ والمجرور من الصفة في نحو قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ويقدر فيه أن الكلام لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً ، لا يسوغ له أن يقدر في الصلَّة أيضاً كذلك . وإذا كان الأمر على هذا فلا يجوز أن يكون التقدير يَرَجِعَنَّ قوماً كالذي كانوا عليه ، لأن مثل عليه لا يجوز حذفه من الصلَّة ، لا تقولُ الذي مَرَرْتُ جالساً ، وأنت تريدُ مسررتُ به ، والذي دَخَلْتُ منطلقاً ، وأنت

(١) دونه من م .

تريد الذي دخلت عليه . وبمثل هذا توصل من زعم في الآية أن التقدير : واتقوا يوماً لا تجزيه نفس عن نفس شيئاً ، لأنه قال : الصفة كالصلة ، فكما لا يجوز حذف فيه وأشباهه من الصلة ، كذلك لا يجوز حذفها من الصفة ، فاعلمه . ويجوز أن يكون قوله كالذي كانوا ، أراد « كالذين » كانوا ، وحذف النون تخفيفاً ، كما قال (١) :

إِنَّ الَّذِي حانت بفلج دماؤهم هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ - يَا أُمَّ خَالِدٍ (١)
فيكون المعنى يرجع بهم قوماً كالذين كانوا من قبل . وفي هذا الوجه يجوز أن يجعل « الذي » للجنس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ثم قال ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢) ، والفصل بين هذا الوجه وبين الوجه الأول أنه أمّل في الوجه الأول أنهم إذا عفوا عنهم أدبتهم الأيام وردت أحوالهم في التوادد والتحاب كأحوالهم فيما مضى ، وأزالت من فساد ذات البين ما اعترض بسوء عشرتهم . وفي الوجه الثاني أمّل أن ترجع الأيام أنفسهم إذا صفحوا عنهم كما عهدت : سلامة صدور ، وكرم اعتقاد وعهود .

٣ - فَلَمَّا صَرَخَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانٌ

فائدة أمسى وأصبح وظلّ وبات في مثل هذا المكان على حدّ الفائدة في « صار » لو وقع موقعها ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ ، والبشارة بالأنثى تقع ليلاً ونهاراً . وكذلك تقول : أصبحوا خاسرين وأمسوا نادمين ، وإن كانوا في كل أوقاتهم على ذلك . « ولما » علم للظرف ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره ، ولهذا لا بد له من جواب . ويقال صرّح الشيء إذا كشف عنه وأظهره ، وصرّح هو إذا انكشف (٣) . ومثله بين .

(١) البيت للأشهب بن ربيعة ، كما في البيان (٤ : ٥٥) والخزانة (٢ : ٥٠٨) .

(٢) هم المتقون ، من م .

(٣) م : « بمعنى انكشف » .

الشيء وبين هو ، أى تبين ، وفي المثل « قد بين الصبحُ لذي عينين » . وفعل بمعنى تفعل واسع ، يقال وجّه بمعنى توجه ، وقدم بمعنى تقدم ، ونبه بمعنى تنبه ، ونكّب بمعنى تنكّب . فيقول : لما ظهر الشرُّ كلَّ الظهور وصار بحيث لا يستره شيء ولم يبق بيننا وبينهم سوى الصبر على الظلم الصريح . والمعنى أنهم لما تجاوزوا الأحوال المتشابهة ، والأخذ بالإنصاف والمعدلة ، إلى استعمال الظلم ورفع الحشمة ، حينئذ جازيناهم بمثل ما ابتدءونا . وذكر العريان مثل لظهور الشر . وقد اشتمل هذا الكلام على تفسير البيت الذي يتلوه ، وهو قوله :

٤ - ولم يبقَ سوى العُدْوَا نِ دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

العدوان والعداء والعدو^(١) : الظلم . وأما قوله دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا ، والأول ليس بجزء ، فهذا ليلهم إلى المطابقة والموافقة ، وإخراج اللفظ في معرض صاحبه^(٢) ليُعْلَمَ أَنَّهُ جَزَاؤُهُ عَلَى حَدِّهِ وَقَدْرِهِ ، أو ابتداءه . وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ و ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾^(٣) وما أشبهه . وجواب لما صرح « دِنَاهُمْ » . وقوله في البيت التالي^(٤) هو تفصيل لما أجمله قوله دِنَاهُمْ ، لأنه فسّر كيف كان ذلك الجزء . والدين لفظة مشتركة في عدة معان : الجزء ، والعادة ، والطاعة ، والحساب . وهو هاهنا الجزء . ويقولون : « كما تدين تُدان » أي كما تصنع يُصنع بك .

٥ - مَشِينَا مِشِيَةَ اللَّيْثِ غَدَاً وَاللَّيْثُ غَضَبَانٌ^(٥)

كرّر الليث ولم يأت بضميره تفخياً وتهويلاً ، وهم يفعلون ذلك في أسماء

(١) كذا ضبط في الأصل ، ومثله العدو بالفتح أيضاً .

(٢) يعني ما يسميه البلاغيون المشاكلة .

(٣) قبلها : (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) .

(٤) م : « الثاني » .

(٥) التبريزي : « ويروى : شددنا شدة الليث » .

الأجناس والأعلام . قال عدي :

لا أرى الموت يسبق الموت شيئا^(١) نَفَّصَ الموتُ ذا الغني والفقير^(١)

فيقول : سَعَيْنَا إِلَيْهِمْ مِشِيَّةَ الْأَسَدِ ابْتَكَرَ وَهُوَ جَائِعٌ ، وَكُنِّيَ عَنِ الْجُوعِ بِالغَضَبِ لِأَنَّهُ يَصْحَبُهُ . وهذا التشبيه أخرج ما لا قوة له في التصوُّر إلى ما له قوة فيه ، ومن روى « عَدَا » على أن يكون من العدوان فليست روايته بحسنة ، لأنَّ الليث في أكثر أحواله ظالمٌ عادٍ . والمِشِيَّةُ : اسم الحالة التي يكون عليها الماشي في مشيه ، والمِشِيَّةُ المَرَّةُ الواحدة ، والفعل يتعدَّى إلى كلِّ واحدٍ منهما . والليث من أسماء الأسد . ويقال : استَلَيْتَ الرجل ، إذ اشتدَّ وقوي .

٦ - بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِيَةٌ نٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانٌ^(٢)

تَعَلَّقَ الباءُ منه بِمَشِينَا ، أَي مَشِينَا بِضَرْبٍ فِي ذَلِكَ الضَّرْبِ تَضْعِيفٌ لِلْمَضْرُوبِ بِهِ ، وَتَذْلِيلٌ وَلِينٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِيهِ تَوْهِينٌ وَصَوْتٌ فِي الْقَطْعِ وَكَسْرُ الْعِظَامِ وَإِطَاقَةٌ وَقُوَّةٌ . وَيَكُونُ حِينُذُ « تَخْضِيعٌ » مِنَ الْخَضْعَةِ وَالْخَضِيعَةِ وَهِيَ اخْتِلَاطُ الصَّوْتِ فِي الْحَرْبِ . وَمِنْهُ خَضِيعَةُ بَطْنِ الْفَرَسِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ « لِلسَّيَاطِ خَضْعَةٌ » لَا أُدْرِي أَمِنَ الصَّوْتِ هُوَ أَوْ مِنَ الْقَطْعِ^(٣) . وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ :

* وَالضَّارِبِينَ الْمَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ^(٤) *

وقال : هي السيوف . و « إقْرَانٌ » من قولهم : أَقْرَنَ فُلَانٌ ، أَي أَطَاقَ .

(١) انظر الخزانة (١ : ١٨٣ / ٢ : ٤ / ٥٣٤ : ٤٠٢) وسيبويه (١ : ٣٠) .

(٢) التبريزي : « ويروى : تخذيع ، وهو التقطع . ويروى :

بضرب فيه تفجيع وتأيم وإرنان

(٣) م : « أم من القطع » .

(٤) الرجز للبيد في ديوانه ٧ - ٨ وأما لي ثعلب ٤٠٤ والخزانة (٤ : ١١٧) . وهي

مع قصتها في الخزانة وأما لي المرتضى (١ : ١٣٤ - ١٣٧) والحيوان (٥ : ١٧٣)

والأغاني (١٤ - ٩١ - ٩٢) والعمدة (١ : ٢٧) .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ . وفي الأول (ك) إقران من قولهم :
أقرن الدمل ، إذا نضج ولان . ويقال استقرن الحبن أيضا . و « تخضيع »
من الخضوع يكون ، وهو الذل . ويقال خضع الرجل وأخضع ، إذا لَبَّنَ
كلامه للنساء . وفي الحديث : « نهي أن يخضع الرجل لغير امرأته » ، أي
يبدن كلامه .

٧ - وَطْنٍ كَفَمِ الزَّقِّ غَذَا وَالزَّقُّ مَلَانُ

كرر ذكر « الزَّقِّ » كما كرر ذكر الليث فيما قبله . وهذا الوصف أبلغ
من قول النابغة :

• الإيزاع : رمي الناقة بيولها
متقطعا . قال الأصمعي :

• * وَطْنٍ كإيزاع المخاضِ الضَّوَارِبِ (ك) *
وهذا التشبيه أبرز ما يقل في الاعتیاد في صورة ما يكثر فيه : ومثله :
فَجَبَّهَنَاهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا يَخُذُ رُجُجٌ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ (ك)

الغذاء . فأما قول الهذلي (د) :
أي ويطئن في اتساعه وخروج الدم منه كغم الزَّقِّ إذا سال بما فيه وهو
مملوء . وَغَدَاً يَغْدُو غَدْوًا (د) ، إذا سال . وَغَدَاةٌ يَغْدُوهُ غَدْوًا . والاسم
والخاض : الإبل الحوامل .

• شغسفة : حكاية

• لصوت الطعن .

• والهيعة : حكاية لصوت
الضرب بالسيف .

• * فَالطَّنُ شَغْسَفَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْعَةٌ (د) *
فهو حكاية صوت الوقع ، وقوله « غَدَاً » في موضع النصب على الحال ،
والأجود أن يجعل « قَدْ » مضمرة (٧) .

(١) يريد في أصل استعماله .

(٢) ويروى : « كإيزاغ » بالعين المعجمة . وصدوره كما في ديوانه ٨ :

* بضرب يزال الهام عن سكناته *

(٣) البيت للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته . شرح القصائد العشر للتبريزي ٢٦٦ .

(٤) كذا ضبط في الأصل . وفي اللسان : « غدوا » بالفتح .

(٥) عبد مناف بن ربيع الهذلي .

(٦) عجزه . * ضَرَبَ المَعْوِلَ تحت الديمة العَصْدَا *
• المعول : الذي يبني

(٧) ابن جني : « غذا حال من المضاف إليه ، وهو قليل . ويجب أن تكون قد

ها هنا مرادة ذوفة ، أي قد غذا ، من حيث كانت قد تقرب الماضي من الحال » .

• الهام : جمع هامة ،
وهي الرأس .
وسكناته : حيث
يسكن ويستقر .

• المعول : الذي يبني

• عالة ، وهي شجر يقطع

الرأي فيستظل به .

• والعصد : ما قطع من

الشجر . وجعله تحت الديمة .

لأنه أشمَّ لصوته إذا

ابتل .

٨ - وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلِ لَذَّةِ إِذْقَانٍ

يَعْتَذِرُ مِنْ تَرْكِهِمُ التَّحَلُّمَ مَعَ الْأَوْدَاءِ وَالْأَقْرَابِ ، لَمَّا كَانَ مُنْفِصِيًّا إِلَى اكْتِسَابِ ذَلِكَ ، وَاكْتِسَابِ خُضُوعٍ وَعَارٍ . وَالتَّقْدِيرُ : بَعْضُ الْحِلْمِ إِذْقَانٌ لِلذَّيْلَةِ عِنْدَ جَهْلِ الْجَاهِلِ . وَهَذَا إِذَا تَوَهُّمَ أَنْ الْمُحْتَمِلَ إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَهُ خَوْفًا وَعَجْزًا ؛ لَا مَيْلًا مِنْهُ إِلَى التَّجَاوُزِ وَالْإِغْضَاءِ وَاسْتِبْقَاءِ الْأُخُوَّةِ وَالْوِدَادِ . وَيُقَالُ : أَذْعَنَ لِكَذَا : إِذَا انْقَادَ لَهُ . وَمِنْهُ نَاقَةٌ مِدْعَانٌ . وَأَذْعَنَ بِكَذَا : أَقْرَبَهُ .

٩ - وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانٌ

قَوْلُهُ « فِي الشَّرِّ نَجَاةٌ » أَرَادَ : وَفِي دَفْعِ الشَّرِّ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ : وَفِي عَمَلِ الشَّرِّ نَجَاةٌ ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ وَفِي الْإِسَاءَةِ مَخْلَصٌ إِذَا لَمْ يُخَلِّصْكَ الْإِحْسَانُ . وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : « الطَّعْنُ يُظَارُّ » أَيْ يَعْطِفُ ، وَكَأَنَّ زُهَيْرًا :

وَمَنْ يَعْصِي أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ (١)
 وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي مِنْهُ مَجْرَى الْعِذَارِ مَا أَجْرَى إِلَيْهِ مَعَ الْقَوْمِ ، فَاعْلَمَهُ
 وَيَقُولُونَ أَيْضًا : « مَنْ لَمْ تُقَوِّمِهِ الْكِرَامَةَ قَوِّمْتَهُ الْإِهَانَةَ » .

• الزجاج : جمع زجاج ، وهو الحديد المركب من أسفل الرمح .
 اللهدم : السنان الطويل .
 أي من أبي الصلح ذللته الحرب ولينته .

٣

وقال أبو الغول الطهوي (٢) :

الغول مأخوذٌ من غاله يُغولُهُ غَوْلًا ، إِذَا أَهْلَكَهُ . وَهُمْ يُسَمُّونَ كُلَّ دَاهِيَةٍ

(١) م : « يطيع العوالي » ، وهي الرواية المشهورة .

(٢) شاعر إسلامي كان في الدولة المروانية . الحزانية ٣ : ١٠٩ واللالى ٥٧٩ .

غولاً . وبذلك سَمَّوا الشيطانَ والحَيَّةَ^(١) غولاً . والغِيلانَ عِندَهم سَحَرَة الجنِّ . قال :

* كَمَا تَلَوْنُ فِي أُنُوبِهَا الْغُولُ^(٢) *

١- فَدَتُ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَّقُوا فِيهِمْ ظُنُونِي

لَفْظُهُ لَفْظُ الْخَبْرِ . وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدَّعَاءِ . يَقُولُ : تَفَدِي نَفْسِي مَالِي أَجْمَعُ فَوَارِسَ يَكُونُونَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدْ رُوي آخِرُ الْبَيْتِ عَلَى وَجْهِ تَتَقَارَبُ مَعَانِيهَا . رُوي : « فَوَارِسَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي » . وَيَكُونُ ظُنُونِي فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِصَدَّقَتْ وَيُرُوي : صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي « بِفَتْحِ الصَّادِ . وَتَضْعِيفِ عَيْنِ الْفِعْلِ يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ . وَظُنُونِي يَرْتَفِعُ بِالْفِعْلِ . وَتَخْصِيسُ الْيَمِينِ فِي قَوْلِهِ : « وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي » لِفَضْلِهَا وَقُوَّةِ التَّصَرُّفِ بِهَا . وَهُمْ يَقِيمُونَ الْبَعْضَ مَقَامَ الْجَمَلَةِ فَيُنْسَبُونَ إِلَيْهِ الْأَحْدَاثَ وَالْأَخْبَارَ كَثِيرًا ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ . وَقَوْلُهُمْ : عُدْتُ بِحَقْوِ فُلَانٍ . وَهُوَ عَبْدُ الْمُقَدِّ^(٣) ، وَحُرُّ الْوَجْهِ ، وَلِثِمُ الْقَفَا وَمَا أَشْبَهَهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ . وَفَوَارِسٌ شَاذٌّ فِي الْجُمُوعِ عِنْدَ سَيْبَوِيهِ ، لِأَنَّ فَوَاعِلَ إِنَّمَا تَكُونُ جَمْعَ فَاعِلَةٍ فِي صِفَاتٍ مَا يَعْقِلُ دُونَ فَاعِلٍ ، وَاسْتَدْرِكَ عَلَى سَيْبَوِيهِ هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ .

• أَحَقَّوْ : الْإِزَارُ ، وَعُدَّتْ لِحَقْوِهِ : أَيِ اسْتَجَرَتْ بِهِ .

وبيتُ الفرزدق :

وَإِذَا الرَّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالْجَنَّةُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) لِكَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ ، وَصَدْرُهُ :

* فَمَا تَدُومُ عَلَى وَصَلِ تَكُونُ بِهِ *

(٣) الْمُقَدِّ : مِنْهُنَّ مَنبِتُ الشَّعْرِ مِنْ مُؤَخَّرِ الرَّأْسِ .

وبيتُ عُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ :

* ومثلي في غَوَائِبِكُمْ قَلِيلُ *

وقال أبو العباس المبرّد : هو الأصلُ في جميعه ، ويجوز في الشعر .

٢- فَوَارِسُ لَا يَمَلُّونَ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزَّبُونِ

مَلَّتِ الشَّيْءَ أَمَلَهُ مَلَالًا وَمَلَالَةً وَمَلَلًا ، إِذَا سَمَّيْتُهُ . ويقال : فَلَانٌ ذُو مَلَةٍ طَرَفٌ ، إِذَا خَجَرَ بِشَيْءٍ فَطَرَفَهُ . قال :

* إِنَّكَ وَاللَّهِ لَذُو مَلَةٍ (١) *

ويجوز الرفعُ في فوارِسِ على أن يَكُونَ خبر ابتداءٍ مُضْمَرٍ ، كأنه قال : هم فوارِسُ . ويجوز النصب فيه على أن يَكُونَ بدلًا من فوارِسِ الأولى ، ولا يَمَلُّونَ في موضع الصفة للفوارِسِ . والمعنى فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ لَا يَضْجُرُونَ بِمُكَايِدَةِ الْحَرْبِ (٢) وَمَقَاسَاةِ الشَّدَائِدِ فِيهَا ، وَلَا يَكْرَهُونَ الْمُقَاتَلَةَ إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ بِأَهْلِهَا . وَالزَّبُونُ : الدَّفُوعُ ، وَمِنهُ الزَّبَانِيَةُ . وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْحَرْبَ بِالنَّاقَةِ الزَّبُونِ فوصف بصفتها ، وهي التي تَزْبِنُ حَالِبَهَا وتدفعه برجلها . قال :

تَزْبِنُ بِالْأَخْفَافِ وَالْمَنَاسِمِ عَنْ ذِرْوَةِ تَخْضِبُ كَفَّ الْهَاشِمِ

ويقولون : ثَبَّتَ فَلَانٌ فِي مَرَحَى الْحَرْبِ ، أَي حَيْثُ دَارَتْ رَحَاها ، وَمَنْيَّةٌ وَمَنَايَا ، كصَحيفةٍ وَصَحَائِفَ ، وَالأصلُ مَنْأِيٌّ فَاسْتَنْقَلَتِ الضَّمَّةُ فِي الْيَاءِ فَحَذَقَتْ ثُمَّ فَرَّوْا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتِ الْيَاءُ أَلْفًا فَصَارَ مَنَاءً ، فَأَبْدَلُوا مِنَ الْهَمْزَةِ لَتَوْشَطِهَا أَلْفَيْنِ يَاءً فَصَارَ مَنَايَا .

٣- وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غَلْظِ بَلِينٍ (٣)

(١) لعمر بن أبي ربيعة في اللسان (طرف) وإصلاح المنطق ٢٢٢ ، ٢٨٨ . وعجزه .

* يطرفك الأدنى عن الأبعد *

(٢) م : « لمكاييدة » .

(٣) التبريزي : « ويروى : من حسن بسوء ، ومن حسن بسوأى ، على فعلى » .

هذا الكلام من صفة الفوارس . يريد أنهم يعرفون تجاري الأمور
ومقادير الأحوال فيوازنون الخشن بالحنين واللين باللين ، كما قال الآخر :
تَجَارِي الْوَافِي بِكَيْلِ وَافٍ مَلَانَ وَالطَّفَافُ بِالطَّفَافِ
وقوله « بَسِيءٌ » أراد بسِيءٍ نحف ، كما قالوا في هَيْنٍ هَيْنٌ وفي لَيْنٍ
لَيْنٌ . وروى بعضهم : بسِيءٍ (١) . والمعنى أنهم يزيدون في الجزاء على قدر
الابتداء . وليس ذلك بشيء لأن سِيءٍ في مقابلة حَسَنٍ ، كما أن اللين في
مقابلة العَظ ، وفي العُدُول عنه إلى سِيءٍ إخلالٌ بالتقابل ، والبيت إنما حَسُنَ به .

٤ - وَلَا تَبْلَى بِسَأَلَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
يقال : بَلِيَ الثَّوبُ يَبْلَى بِلَى وَبَلَاءٌ (٢) ، ويستعار فيقال : لَبِستَ فُلَانًا
وَبَلَيْتَهُ ، إذا استمتعت به وتمليتته . وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة
في مُزَاوَلَةِ الْحَرْبِ ، وأنَّ شَجَاعَتَهُمْ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَبْلَى عِنْدَ امْتِدَادِ الشَّرِّ ،
واتصال البلاء . والبسالة تُوصَفُ بها الأَسَدُ وَالرَّجَالُ ، يقال أَسَدٌ بَاسِلٌ
وَبَسُولٌ . كما يقال رجل باسل وبسول . قال امرؤ القيس :

* مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ (٣) *

و « صَلُّوا » هو من صَلَّيتُ بكذا أي مُنيتُ به ، وهو من الْفِعْلِ فَعَلُوا
بكسر العين ، ولهذا انضم اللام من صَلُّوا ، ولو كان فَعَلُوا بفتح العين ل قيل صَلُّوا ،
كما قيل دَعَوْا وَرَمَوْا . فإن قيل : فأين جواب الشرط في قوله « وَإِنْ هُمْ صَلُّوا
بالحرب » ؟ قيل : هو متقدم ، والتقدير إن صَلُّوا وَمُنُوا بالحرب لم تَخْلُقْ
شَجَاعَتَهُمْ . وفصل بين الفعل وإن بـ « هُمْ » ، لأنه ماض لم يظهر فيه أثر إن

(١) السبي : المثل . وهما سيان أي مثلان .

(٢) التبريزي : « إذا فتحت الباء مددت ، وإذا كسرت قصرت » .

(٣) صدره كما في ديوانه ١٤٨ :

بالجزم . ولو كان الفعلُ مُسْتَقْبَلًا لَظَهَرَ الجزمُ فيه ، ولَمَّا حَسَنَ الفصلُ بينه وبين إن بالاسم . يُقْبَحُ أن يقال إن زَيْدٌ يَأْتِنِي أَكْرِمُهُ ، وتقولُ إن الله أَقْدَرَنِي عَلَى زَيْدٍ فَعَلْتُ بِهِ كَذَا . وهذا شيءٌ يَجُوزُ في إن دون سائر حروف الجزاء ، لأنه الأصلُ في الجزاء والحرفُ الذي لا يَرَوُلُ عنه . وروى بعضهم : « وَلَا تُتَبَلَى بِسَالَتِهِمْ » من بَلَوْتُهُ إِذَا اخْتَبَرْتُهُ ، ويكون المعنى لا يمكن اختبار شجاعَتِهِمْ فَيُعْرِفُ عَوْرَتَهَا وَمُنْتَهَاهَا عَلَى مَرِّ الْأَزْمَانِ ، واختلاف الأحوال .

٥- هُمُ مَنْعُوا حِمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ (١)

قوله « بضرب يؤلف » وقد وقع المنع والضرب جميعاً حكايةً حال ، لولا ذلك لقال : بضرب ألف . ومثله في القرآن : ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . يقول (٢) : هؤلاء القوم الذين أشرت إليهم بقولي : فوارس صدقوا فيهم ظنوني ، هم الذين منعوا حمى هذا المكان بضربٍ يجمع بين المنايا المتفرقة . وهذا تقييدٌ بعد إطلاق ، وتخصيصٌ بعد تعميم : وَالْحِمَى : موضع الماء والكلا . ويقال : أَحْمَيْتُ الْمَكَانَ ، أي جعلته حِمَى . وَحِمَيْتُهُ : ذَبَبْتُ عَنْهُ . وقوله « يؤلف » من صفة الضرب ، ويحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون المعنى إن هؤلاء لو بقوا في أماكنهم ولم يجتمعوا في هذه المعركة لَوَقَعَتْ مَوَاتِهِمْ مَتَفَرِّقَةً فِي أَمَكْنَةٍ مَتَغَايِرَةٍ ، وَأَزْمَنَةٍ مَتَغَاوَتَةٍ ، فلما اجتمعوا تحت الضرب الذي وصفه صار الضربُ جامعاً لتلك المنايا ووجوهها . وَحِكْيِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الضَّرِيرِ (٣) أَنَّ الْمَعْنَى إِذَا وَقَعَ بِهِمْ أَلْفٌ بَيْنَ أَقْدَارِهِمُ الَّتِي قُدِّرَتْ عَلَيْهِمْ . ويجوز

(١) الوقبى ضبط في الأصل و م بسكون القاف ، وضبطه ياقوت بفتحها . وانظر ليوم

الوقبى شرح التبريزي ومعجم البلدان والخزانة (٣ : ١٠٧) والميداني (٢ : ٣٥٧) .

(٢) م : « فيقون » .

(٣) هو أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير . لقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي . وكان

يلقى الأعراب الفصحاء الذين استوردتهم ابن طاهر نيسابور فيأخذ عنهم ، مثل عرام ، وأبي

العميشل . نكته الحميان ٩٦ - ٩٨ .

أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفةٌ ، وكأن هذا الضرب جمع بين الأسباب كلها . ويجوز أن يكون المراد ضرباً لا يُنفسُ المضروبَ ولا يمهلُهُ ، لأنه جمع فرّق الموت له . وقوله « أشتات المُنون » واحداً شتٌ . والمُنون : الموت ، وهو من مننتُ أي قطعت .

٦- فَكَبَّ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوَوْا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

نَكَبَ قَدْ جَاءَ مَتَعَدِّيًّا إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، قَالَ أَوْسٌ :

نَكَبْتُهَا مَاءَهُمْ لَمَّا رَأَيْتَهُمْ صُهَبَ السَّبَالِ بِأَيْدِيهِمْ بِيَازِيرٍ يُقَالُ لِلْأَعْدَاءِ : صُهَبَ السَّبَالِ ، وَسَبَلَةُ الرَّجُلِ : الدَّائِرَةُ فِي وَسْطِ سَفْتِهِ العَلِيَا ، أَوْ طَرَفِ الشَّارِبِ مِنَ الشَّعْرِ ، أَوْ مَعْدَمِ اللِّحْيَةِ . وَالبِيَازِيرُ : العَصِي وَالضَّخَامُ . وَالْأَكْثَرُ نَكَبْتُ عَنْ كَذَا . يَقُولُ : حَرَّفَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذَا الضَّرْبُ اعْوَجَاجَ الْأَعْدَاءِ وَخِلَافَهُمْ ، وَدَاوَوْا الشَّرَّ بِالشَّرِّ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : « الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ » . وَكَمَا قِيلَ : « لَا يُفْلِحُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ » . وَأَصْلُ النَّكَبِ : اللَّيْلُ ، وَلِذَلِكَ يَقَالُ نَكَبْتُ الْإِنَاءَ ، إِذَا أَمَلْتَهُ . وَنَكَبَ الرَّجُلُ نَكَبَةً . وَعَلَى هَذَا النَّكْبَاءُ فِي صِفَةِ الرِّيحِ : وَالذَّرُّ ، أَصْلُهُ الدَّفْعُ ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ فِي الْخِلَافِ ، لِأَنَّ الْمُخْتَلِفِينَ يَتَدَافَعَانِ . وَمِثْلُهُ : * وَقَوِّمْتُ عَنْهُ دَرَاهُ فَتَنَكَّبَا (١) *

٧- وَلَا يَرَعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ

يُرْوَى : « وَلَا رَوْضَ الْهُدُونِ » ، وَهُوَ أَفْصَحُ . وَالْهُدُونُ : الصُّلْحُ وَالشُّكُونُ . وَفِي الْحَدِيثِ : « هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ » ، أَي صُلْحٌ عَلَى فَسَادٍ دَخِيلَةٍ . يَصِفُهُم بِالْمِيلِ إِلَى الشَّرِّ ، وَالْحَرَصِ عَلَى الْقِتَالِ وَالْقَتْلِ ، وَأَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ جَانِبَ الْخِصْمَةِ عَلَى الصُّلْحِ ، وَنَاحِيَةَ الذُّعْرِ عَلَى السُّكُونِ ، فَيَقُولُ : لَا يَرَعِي هَؤُلَاءِ

(١) لابن مفرغ الحميري ، كما في البيان (٢ : ٢٨١) . وصدوره :

* فيارب خصم قد كفت دفاعه *

القومُ جوانبَ الخصال السهلة والأمور الهينة ، ولا ينزلون منازل الأئمن والراحة . والهويني : تصغير الهوني ، والهوني : تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهوني فُعلَى اسماً مبنياً من الهينة ، وهي السكون . ولا تجعله تأنيث الأهون .

٤

وقال جعفر بن علبه الحارثي^(١) :

١- أَلْهَنِي بِقُرَى سَحْبَلٍ حِينَ أَحْلَبْتَ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْعَدُوَّ الْمُبَاسِلُ

التلّهف يكون على الفأنت بعد الإشراف عليه ، يقولون : وا لهفاه ، ووالهف أمه . ولهف نفسه وأمه إذا قال ذلك . وفي المثل : « إلى أمه يلهف اللهان » . وقوله « ألهنّي » يجوز أن يكون مُنادى مفرداً ، ويجوز أن يكون مضافاً . فإذا جعلته مضافاً فإن أصله ألهنّي أو ألهف . فإذا كان ألهنّي فكأنه فرّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفاً . وعلى ذلك يا غلاماً أقبل . وقوله :

* وهل جَزَعُ أَنْ قَلْتُ وا بأبأها *

وإنما المعنى بأبيهما . وعلى ذلك طريقهم في مداري ومداري ، وعذاري وعذاري ، وصحاري وصحاري ، وفي بقي بقي ، وفي رضي رضي^(٢) . وإذا كان ألهف يكون الألف قد زيدت لامتداد الصوت به ليكون أدل على التحسّر . وكذا إن جعلته ألهف مفرداً يكون الألف زيدت لذلك . ومعنى « أحلبت » : أعانت . وأصله الإعانة في الحلب خاصة ، ثم استمرت في الإعانات كلها . وقد

(١) في الأصل : « عليّة » صوابه في م والتبريزي والمهجع وابن جني .

(٢) التبريزي : « ويروي : أحلبت . والأصل الجلبة رفع الأصوات » .

(٣) بقي ورضي ، بفتح القاف والضاد لغة طيبي ، يعملون كل ياء انكسر ما قبلها

ألفا . اللسان (بقي) .

يكون الشيء مختصاً في الأصل ثم يصير بالعرف عامّاً ، كما قد يكون عاما في الأصل ثم يصير به مختصا . ورُوي : « الوَلَايَا » وهي جَمْعُ الوَلِيَّةِ ، وهي البرذعةُ ، وهي تكون كنايةً عن النساء إن شئت ، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت . ويشبه هذا قول أم تأبّط شرّاً توثبته : « وا ابناه ليس بملفوف ، حُشِي من صوف ، تَلَفَه هُوفٌ ^(١) » . وقولهم : « هو كالحلّس الملقى » . ويروى : « الموالِي » ومعنى البيت أنه يتلف لِمَا نزل بهم في الموضع الذي ذكره حين أعان الأعداء عليهم كَوْنُ الحُرْمِ مَعَهُمْ أو مَنْ يجري تجرّمي الحُرْمِ من الضعفاء الذين لا دِفَاعَ بهم ؛ لِمَا وَجَبَ عليهم من الذبّ عنهم ، والاشتغال بالحماية عليهم . ومن رَوَى الموالِي - وهم أبناء العم - فإنما خَصَّهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشدّ تأثيراً في النفس . ألا ترى أن مَنْ كان بنو عمه عليه فهو كمن قُوْتَل بِسِلَاحِهِ ، ألا ترى إلى قول الآخر حيث يقول :

خِخَافَةَ جَوْرِ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلِّطٍ وَرَهْطِي وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الْأَقَارِبِ

والعدوّ إشارة إلى الجنس . وللبأسيل ، من البَسالة . وأجراه على لفظ

العدوّ لا على معناه . وفي القرآن : (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ^(٢)) .

٣- فقالوا لنا ثنتان لا بُدَّ منهما صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلَسِلُ

التاء في « ثنتان » كالتاء في بنتان ، إلا أنه لم يُستعمل واحدهُ كما استعمل

بنت . وكذلك التاء في اثنتان كالتاء في ابنتان إلا أنهم لم يقولوا اثنةُ كما قالوا

ابنةُ . والشاعر حكى ما دار بينهم عند الالتقاء فيقول : أَدَارَنَا ^(٣) أَعْدَاؤُنَا عَلَى

(١) الملفوف : الخافي الكثير اللحم والشعر . والهُوف : الريح الحارة . وفي اللسان

(هوف) : « وقيل لم يسمع هذا إلا في كلام أم تأبّط شرا » .

(٢) إلا رب العالمين ، من م فقط » .

(٣) كذا في الأصل و م بتقديم الدال ، وهي هنا أليق من « أرادنا » .

خَصَلْتَيْنِ حَكَمُوا عَلَيْنَا بِهِمَا ، وَخَيَّرُونَا فِيهِمَا ، وَهُوَ (١) الاستسلام الذي آخره
الاسْرُ ، أو القتل الذي أولُهُ الامْتِنَاعُ والدَّفْعُ . وقوله « ثنتان » أراد خصلتان
اثنتان ، ثم فسَّرهما بقوله « صُدُورُ رِمَاحٍ [أشْرِعَتْ (٢)] » وخصَّ الصُدُورَ لِأَنَّ
المَقَاتِلَةَ بِهَا تَقَعُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ الصُّدُورَ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ الْكُلَّ كَمَا قَالَ :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ *

وإن كان الوطاء للصدور والأعجاز . وكفى عن الأسر بالسلاسل . وقوله
« لا بدّ منهما » أراد لا بدّ منهما على طريق التعاقب لا على طريق الجمع بينهما ،
وإلّا سقط التخيير الذي أفاده « أو » من قوله « أو سلاسل (٣) » . ألا ترى
أنّه إذا قال خذ الديفار أو الثوب ، وكلّ السمك أو اشرب اللبن ، فليس فيه
الجمع بينهما . وإذا كان الأمر على هذا فالمعنى لا بدّ من إحداهما (٤) .
و « أشرعت » : هَيَّئْتُ لِلطَّعْنِ . وكذلك شُرِعَتْ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي السَّيْفِ
أَيْضًا وَكَانَ الْأَصْلُ فِيهِ مَشَارِعُ الْمِيَاهِ . وَفِي الْمَثَلِ : « أَهْوَنُ الْوَرْدِ التَّشْرِيعُ » ،
أي إيراد الشريعة .

٣- قَقُلْنَا لَهُمْ تِلْكَ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ مُتَعَادِرٍ صَرَغِي نَوْءِهَا مَتَخَاذِلٌ

يقول : أجبناهم وقلنا بتلك ، [أي تلك (٥)] التخييرة وذلك التحكّم . ولا يجوز
أن تكون الإشارة بتلكم إلى واحدة من هاتين الخصلتين اللتين تقدّم ذكرهما ،
لأنّه لا اختيار فيهما لمختارٍ حكمه حكم هؤلاء ، إلا أن يكون الكلام على طريق

(١) الوجه « وهما » .

(٢) هذه من م .

(٣) كلمة « أو » هنا من م فقط .

(٤) قال ابن جنّي : « لك في منهما وجهان : إن شئت كان على حذف المضاف ، أي

لا بدّ من إحداها . ألا تراه قال أو سلاسل . أو إنّما توجب أحد الشئيين . وإن شئت كان على
ظاهره لا بدّ منهما جميعا . فصدور الرماح لمن يقتل ، والسلاسل لمن يؤسر ، أي يكون بعضنا
كذا وبعضنا كذا » .

(٥) هذه من م .

التهمك والسخرية . والمعنى إنما يكون ذلك بعد عطفة وجولة تترك بيننا قوماً مصروعين يخذلهم النهوض ولا يطيقون الحراك . وإذا ، هو جوابٌ وجزءٌ ، وهو مُلغى هاهنا . وكُم من تَلْكُم للخطاب لا للضمير ، فلا موضع له من الإعراب . واختار أن يقول « متخاذلٌ » لأن هذا البناء يختص بما يحدث شيئاً بعد شيء . على ذلك قولهم تداعى البناء^(١) كأن أجزاء النهوض يخذل بعضها بعضاً فلا يكمل ، وكأنه أنكّر عليهم الاشرط والتحكم والإجاء منهم إلى ذلك ، فقال : يسوغ ما ابتدأتم فيه لكم بعد جولة يتعقبها هذا الأمر . ويجوز أن يكون الحكم والتخيير بقوله « ثنتان لا بد منها » وقع بين الحرب والاستئثار ، لا القتل والاستئصال ، فاختاروا المحاربة . والإشارة^(٢) بقوله تلكم حينئذ يجوز أن تكون على ما قدمته ، ويجوز أن تكون إلى ما دلّ عليه قوله أو سلاسلُ ، من الأسر فكأنه قال : الخصلة الثانية تؤخرها ونظر في الأولى ماذا ينتج منها . وقوله « تغادِرُ » صفة للكثرة ، وقوله « نوبها » الضمير يعود^(٣) إلى صرعى ، والجمع مآله إلى التأنيث ، ولو قال نوبهم لكان أحسن . والنوء : النهوض ، وهو أصل المناوأة ، وإن اشتهرت في المعادة . ويكون النوء : السقوط أيضاً . ويُشبه هذا قول الآخر :

* يفوء بصدرة والرمح فيه *

٤- ولم ندر أن جِضْنَا من الموت جِيضَةً كَمِ العُمُرُ باقٍ والمدى مُتَطَاوِلٌ^(٤)

(١) م : « البيان » .

(٢) م : « ويكون الإشارة » .

(٣) م : « يرجع » .

(٤) التبريزي : « كلهم روى هذا البيت إن جِضْنَا من الموت جِيضَةً ، بكسر الهمزة

على ما مر تفسيره ، غير أبي العلاء المعري فإنه أخذ على أن جِضًا بفتح الهمزة . وكأنه ذهب في هذا إلى أن إن بكسر الهمزة لما يستقبل ، وأن بفتح الهمزة لما مضى . والشاعر في ذكر قصة قد مضت فيحمل قوله أن جِضْنَا بفتح الهمزة ، على تقدير لما جِضْنَا » .

جاضَ عن قِرْنِه وحاصَ بِمَعْنَى ، أَي عَدَلَ وانحرفَ . والعُمرُ والعُمُرُ لغتانِ :
 الحياةُ والبقاء . ومنه قولُهُم : لعمرِ الله ، وعمرَكَ اللهُ . إلا أنه في اليمين لا يستعمل
 إلا بفتح العين . وقوله « كم العُمُر » في موضع الظرف ، والمعنى كم يوماً أو وقتاً
 العمر باقٍ . وارتفع العمر بالابتداء . والواوُ في قوله « والمدى متطاول » واو الحال ،
 أي كم العمر باقٍ ومداه متطاول . ولم يأت بالضمير لأنَّ الواوُ أغْنَى عنه ، والمعنى
 لم نَعْلَمْ إن عَدَلْنَا عن الحربِ عَدْلَةً كم بَقِيَ من أعمارنا ، وغاياتِ العمر ممتدة
 مبهمه حتى لا ينتهي أحدٌ منها إلى حدٍّ إلا وكما يرجو أن يتصل بعده أيضاً
 لا يأمن أن ينقطع ، فكأنه قال : إذا كان الحال في الأعمارِ على هذا أبداً
 فلا معنى للعدول عن الحرب ، إذ لا يمتنع مع تطاول المدى في رجاء العُمُر أن
 يقصُرَ في نفسه وينقطعَ عن المأمول فيه . ويجوز أن يتعلق الحال الذي دلَّ
 عليه « والمدى متطاول » بإن جِضْنَا . والتقدير لم ندرِ إن جِضْنَا ومداناً
 متطاولٍ كم العمر باقٍ أي مدى رجائنا . وهذا حسنٌ عندي . ويجوز أن
 يكون الواو عاطفةً كأنه قال : لم نَعْلَمْ كم العُمُر باقٍ وكم المدى متطاولٍ إن
 جِضْنَا . وحكي عن بعض المتأخرين أنه فسَّرَ العُمُر على أنه الحِينُ ، قال ومنه
 قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ وهذا إذا حُقِّقَ يرجع إلى الأول (ط) .

٥- إذا ما ابْتَدَرْنَا مَا زَقَا فَرَجَتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ

يقول : إذا ما استَبَقْنَا إلى مَضِيْقٍ في الحربِ وَسَعَتْهُ لَنَا سِيُوفٌ مَصْقُولَةٌ بِأَيْمَانِنَا

(١) ابن جني : « لك في كم وجهان إن شئت جعلتها زماناً فتنصبها حينئذ على الظرف

بباق ، أي يبقَى عشرين أو ثلاثين . وإن شئت جعلتها أفعالاً فتنصبها حينئذ على المصدر ، أي

ببقية تبقى أم ألف بقية أم أقل أم أكثر ، وهي منصوبة أيضاً بباق .

والفائدة في قوله « جلتها الصياقل » اهتمامهم بإصلاح آلات الحرب ، لدوام
مزاولتهم لها (١) . وجعل الفعل للسيوف على المجاز والسعة .

٦- لَهْمُ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ (٢)

هذا مثل قوله :

منايرُهُنَّ بطونُ الأَكْفِ وأغمادُهُنَّ رموسُ الملوكِ
وإن كان في هذا تقسيمٌ خلا منه المشبه . وَلَكَّ أن تَرَوِي « ما ضَمَّتْ
عليه الأناملُ » و« ضَمَّتْ » ، فإذا قلت ضَمَّتْ فالعنى قبضت عليه الأناملُ (٣) .
وإذا قلت ضَمَّتْ فالعنى قبضته الأناملُ . والبطحاء والأبطح : مسيلٌ فيه دقاقُ
الحصى واسعٌ . وهما صفتان أُخْرِجتا إلى باب الأسماء . وبطحاء مكة وأبطحها
معروفان ، والتأنيث والتذكير فيهما يُحْمَلان على البلدة والبقة ، والبلد
والمكان ، إلا أنه لا يُقال مكانٌ أبطحٌ ولا بقةٌ بطحاء . ويقال : تَبَطَّحَ
السَّيْلُ ، إذا سال عَرِيضاً . فأما « سَحْبَلٌ » فاسم موضع أضيف البطحاء إليه ،
كما يقال صحراء سَحْبَلٍ . ويقال ضَبَّ سَحْبَلٌ ، إذا كان عريضَ البطنِ .
ولا يمتنع أن يكون المكانُ سُمِّيَ به لاتساعه .

٥

وقال أيضاً :

٧- لا يَكْشِفُ العَمَاءُ إِلَّا ابنَ حُرَّاقٍ يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ مُمَّ يَزُورُهَا

معنى « يرى غمرات الموت » أن يتحققها بالممارسة حتى يصير كأنه أدرَكها

(١) التبريزي : « وقوله جلتها الصياقل ، ضرورة ، لأن السيوف لا تجلوها إلا
للصياقل ، ولو كان يجلوها غيرهم وكان جلاؤهم إياها فضل على جلاء غيرهم لكان لذكورهم هاهنا
معنى . . . ولو قال اجتهد في صقلها الصياقل وما أشبه كان حسناً .

(٢) م : « ولي فيه » . (٣) انظر الحماسية ٨٢ .

(٤) م : « قبض عليه بالأنامل » .

بحاسة العين وشاهدتها، فيقول: لا يكشف الخصلة الشديدة إلا رجلٌ كريم يرى قبح الموت ثم يتوسطها ويصبر فيها ولا يعدل عنها. وإنما قال «ابن حُرّة» لينتبه على زوال الهجنة منه، وخلص مولده مما يشوبه، وليصير كرمه مهيجاً لأنفته، ومصبراً له على كل ما يدفع إليه من الشر إلا أن يزيد. ولأن ما يستنكف منه العرب هو الهجنة إذ كان من ليس أبوه من العرب خارجاً من أن يكون عربياً. والغماء والغم والغمة والغم مرجع جميعها إلى التغطية. فإن قيل: لم عطف الزيارة على رؤية الغمرات بحرف المهلة، وهلا جعلها عقيب الرؤية؟ قلت: إن «مُم» وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدل على التراخي فإنه في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك. ألا ترى قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ فك رقية. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتياً ذامقربة. أو مسكينا ذامقربة. ثم كان من الذين آمنوا. ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عدده وذكره (٤١).

٢- يُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنَا شَرًّا قِسْمَةً فَنِينَا غَوَاشِيَهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا

وَضَعَ «قِسْمَةً» مَوْضِعَ مَقَاسِمَةٍ، أَرَادَ شَرًّا مَقَاسِمَةً. وَانْتَصَابَ «شَرًّا» عَلَى الْمَصْدَرِ.. وَالغَوَاشِي: الْقَوَائِمُ، وَتَكُونُ الْأَغْنَادَ أَيْضًا. وَالصُّدُورُ، أَرَادَ بِهِ الْمَضَارِبَ، وَإِنَّمَا قَالَ: شَرًّا قِسْمَةً، لِأَنَّ مَنْ حَمَلَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ فِيمَا يُقَاسِمُ عَلَيْهِ كَانَ الشُّرُّ لَهُ. وَهَذَا أَيْضًا مِثْلُ قَوْلِهِ:

* لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ (٤٢) *

(١) زاد التبريزي: «وأصل الزيارة الميل، وهو من الزور، والميل في أحد الشقين»

فقوله يزورها، أي يميل إليها فيأتيها.

(٢) من الحماسية السابقة.

والمعنى قاسمناهم سيوفنا ففينا مقايضها وفيهم مضاربها (ط).

٦

وقال أيضا:

١- هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وَجُشْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ

هذه الأبيات ضمنها هذا الباب لما اشتملت عليه من حُسن صبره على البلاء، وقلة دُعره من الموت والفناء^(٢)، واستهانته بوعيد المتوعد وحذقه برسفان المقيّد. و«هَوَايَ» ياء الإضافة فَتَحَتْ منه على الأصل، وذلك أن هذه الياء لما كان ضمير اسمٍ على حَرْفٍ واحدٍ متطَرَّفٍ كَرِهُوا أَنْ تُسَكَّنَ فَتَخْتَلَّ^(٣) فجعلوا من أصله التحريك، فإذا كان ما قبله متحركا كغلامي وداري: كان لك فيه وجوه: تحريك الياء وهو الأصل، وتسكينه تخفيفا، وحذفه من النداء إذا قلت ياغلام، وإبدال الألف منها مع انفتاح ما قبلها كقولك واياها وياغلاما أقبل. وإذا سَكَّنَ ما قبله فتى كان واوا أو ياء أدغم فيه ولم يكن بُدْءً من تحريكه لثلاثا يلتقى سا كنان، تقول مُسَلِّمِي فِي الْجَمِيعِ^(٤) ومَسَلِّمِي فِي الثَّنِيَةِ. وإذا كان ما قبله أَلْفًا كَعَصَايَ وَقَفَايَ وَهَوَايَ، لم يكن بُدْءً من الإتيان به على الأصل، وهو تحريكه، لثلاثا يلتقى سا كنان أيضا، ولا يجوز الإدغام هاهنا كما جاز مع الواو والياء، لأنَّ الألف لا تُدْغَمُ فِي شَيْءٍ وَلَا يُدْغَمُ فِيهَا غَيْرُهَا، لكونها هوائية

(١) ابن جني: «في هذا البيت دلالة على قوة شبه الظرف بالفعل، وذلك أنه عطف قوله: ففيناغواشيها على قوله: تقاسمهم، ومن شرط المعطوف أن يكون وفق المعطوف عليه».

(٢) هذا ما في م. وفي الأصل: «من الموت والقتل».

(٣) م: «أن يسكن فيختل».

(٤) م: «في الجميع».

لا مُعْتَمِدَ لها في المخرَج ، إلا في لُفَةِ هُذَيْلٍ ، لأنهم يُبَدِّلُونَ من الألفِ الياءَ
ويُدْغِمُونَ . على هذا قوله :

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ (١)

والِيَمَانُونَ : جمع يَمَانٍ ، والنسبةُ إلى يَمَنِ يَمَنِيٌّ ، لكنّه حُذِفَ إحدى
ياءِ النسبِ وأُتِيَ بالألفِ عِوَضًا مِنْهُ . ومِثْلُهُ شَامٌ وَتِهَامٌ ، ومعنى البيت هَوَايَ
رَاحِلٌ وَمُتَبِعٌ مع رُكْبَانِ الإِبِلِ (٢) القاصِدِينَ نحو اليَمَنِ ، مُنْظَمٌ إِلَيْهِمْ ،
مَقُودٌ مَعَهُمْ ، وبَدَنِي مَأْسُورٌ مُقَيَّدٌ بِمَكَّةَ . وَرَاكِبٌ وَرَكَبٌ مِثْلُ تَاجِرٍ وَتَجَرٍ .
وقد قيل في الجَمَانِ إنه الشَّخْصُ والجُسمَانُ الجِسمُ ، هكذا قاله الأَصْمَعِيُّ . والشَّخْصُ
إنما يُستعملُ في بدن الإنسان إذا كان قائمًا . والخَلِيلُ ذَكَرَ في العَيْنِ أَنَّ الجَمَانَ
والجُسمَانَ بِمعنى واحدٍ . وَأَضَعَدَ في الأَرْضِ : أَبْعَدَ ، وَحُكِيَ أَنَّ صَعْدَةَ اسْمٌ
عَلِمَ للأَرْضِ ، وَأَنَّ الصَّيْدَ مِنْهُ . ولهذا قيل لِحُمْرِ الوَحْشِ : بَنَاتُ صَعْدَةَ ،
وأولادُ صَعْدَةَ . وهذا إن ثبتَ فهو كما يقال بناتُ البَرِّ . وقوله « جَنِيبٌ »
أى مَجْنُوبٌ مُسْتَتَبِعٌ . وذكر أَنَّ بَعْضَهُمْ يرويه « حَيْثُ » (٣) ، والصحيحُ
الأولُ لفظًا ومعنى .

• أَعْنَقُوا : تبع بعضهم
بعضاً . أي ما تَوَاقَبُوا ،
ولم يلبثوا الهواي ، وكنت
أحب أن أبعث قتلهم ،
لكنهم مضوا الهواهم ،
فجعلهم كأنهم ضَعُوا الذناب
لتسارعهم إلى الميتة .

٣- عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقٌ

يقول : تَعَجَّبْتُ من سِيرِ هَذِهِ (٤) الخيالِ إِلَيَّ ، ومن حُسْنِ تَوْضِيحِهَا مع هذه
الحال ، وهو أَنَّ بَابَ السَّجْنِ مَرْتَجٌ (٥) دُونِي . فَأَمَّا تَعَجُّبُهُ من سِيرِهَا فَعَلَى غَاةِ
العرب والشُّعراءِ في وصف الخيال ، وذلك أَنَّهم يُجْرُونَهَا مَجْرَى المَرَاةِ نَفْسِهَا ،

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، من قصيدته التي رثى بها بنيه . وهي أول ديوان الهذليين .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من م .

(٣) لم يذكر التبريزي هذه الرواية .

(٤) كذا وردت ، كأنه جعل الخيال مؤنثاً لأنه خيال أنثى .

(٥) هذا ما في م . وفي الأصل : « مرتد » .

• تخرموا : أخذوا واهداً
واهداً .

فِيستطرفون منها ما يُستطرفُ من تلك لو وَقَعَ الفعل منها على الحقيقة مع نَعْمَتِهَا . وهذا كما قال غيره :

• المدبح : السائر ليلاً
• السدك : المدلزم .
• لم يتعرج : لم يقم .

طَرَقَ الخيالُ ولا كَثِيلَةَ مُدْبِحٍ سِدِّكَأَ بأَرْحَلِنَا ولم يَتَعَرَّجْ (١)
وكما قال الآخر (٢) :

وَأَنِّي اهْتَدَتُ والدَّوُّ بيني وبينها وما خِلْتُ سَارِي الليل بالدَّوِّ يَهْتَدِي
وَأَمَّا تَعَجُّبُهُ من تَوْصُلِهَا فهو تَعَجُّبٌ من لُطْفِهَا في ذَلِكَ ، وَحُسْنِ تَأْتِيهَا ،
مع العوارض والموانع . وَالسَّرَى يصلح في اللُّغَةِ أن يكون مصدرًا ومكانًا
ووقتًا، والبيت لا يمتنع من وُجُوهِهِ . وَأَنِّي معناه كيف ، أو مِنِ أَيْنَ ، كذا
قال سيبويه . وقد تَجَرَّدَ لأن يكون بمعنى كيف في قول الكميت :

• الدو : الصبراء
• الواسعة .

* أَنِّي وَمِنِ أَيْنِ آبَكَ الطَّرَبُ *

٣- أَتَنَفَّحْتِ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

التَّحِيَّةُ : السَّلَامُ والمُلْكُ والبقاء . والمُحَيَّا : الوجهُ من الإنسان ، لأنه يُخَصُّ عند التسليم بالدُّكْرِ فيقال حَيًّا اللهُ وَجْهَكَ ، وإن كَانَتْ الجُمْلَةُ متلقاةً به . وقيل التَّحِيَّةُ مشتقة من الحَيَاةِ أو الحَيَاءِ . والمُحَايَاةُ : تَحِيَّةُ القومِ بعضهم بعضًا . والحَيَاةُ من الفرس : حيث انفَرَقَ اللَّحْمُ تحت النَّاصِيَةِ . فيقول حَاكِيًا لِحَالِ الخيالِ : جَاءَ تَنَا فَسَلَّمَتْ عَلَيْنَا ، ثم لم تلبث إِلَّا قليلًا حَتَّى قَامَتْ وَأَعْرَضَتْ ، فلما تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَخْرُجُ في أَثْرِهَا . وَيُرْوَى : « أَلَمَّتْ فَحِيَّتْ » . والإلْمَامُ : الزيارة الخفيفة . وقوله « لَمَّا تَوَلَّتْ » جوابُهُ « كَادَتِ النَّفْسُ » وهو عَلِمَ للظرف . ومتى كان عَلَمًا للظرف لم يكن له بُدٌّ من جَوَابٍ ، لأنَّهُ يكون لوقوع الشيء لوقوع غيره . وتَزْهَقُ

(١) مطلع قصيدة للحارث بن حلزة اليشكري ، في المفضليات (٢ : ٥٥) .

(٢) هو الخطيئة من قصيدة في ديوانه ٢١ - ٢٥ .

خبر كادت ، لأن كاد^(١) كان وأخواته ها هنا إذا وقع بعده الاسم ، وهو موضوعٌ لمشاركة الفعل ومشافهته ، ولهذا وجب ألا يكون معه « أن » .
تقول : كاد يفعل ، ولا يجوز أن يفعل إلا في الشعر . ومعنى ترهق : تهلك ،
ومنه قيل للبئر البعيدة القعر والمتلفة البعيدة : زاهقة وزهوق . وفي القرآن :
﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ . ويجوز أن يريد به في البيت تخرج في إثرها سريعة لما
تولت . ومنه زهقت الراحلة : تقدمت . وزهق السهم : أسرع .

٤- فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ

ترك الإخبار عنها وأقبل عليها يخاطبها ، جرّياً على عادتهم في التنقل
والافتنان في التصرف . ومعنى تخشعت : تكلفت الخشوع . والخشوع في
البصر كالحضوع في البدن . ويقال : اختشع فلان ، إذا طأطأ رأسه رامياً
ببصره إلى الأرض وهو خاشع الطرف خاضع العنق . يقول مستهيناً بما
اجتمع عليه من الحبس والتقييد ، ومتبجحاً عندها بالصبر على الهوى والتهالك
فيه - وبهذا دخلت الأبيات في الحماسة - لا تظني أنني تكلفت الخشوع
بعدكم لشيء عارض ، ولا أنني أخاف من الموت . والفراق : الخوف ، وهو
فراق وفروق وفروقة . وقال :

* أنوراً أسرع ماذا يا فروق^(٢) * * نرت من الشيء أنور

فإن قيل : فأين مفعول تحسبي ؟ قلت : قد نابت الجملة ، وهي قوله « أني
تخشعت بعدكم » عن المفعولين . ألا ترى أن تقديره لا تحسبيني خاشعاً ، فكما
أن المفعولين يحصلان من دون « أن » كذلك إذا دخل « أن » في الكلام

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « لأنه كادت » .

(٢) صدر بيت لزغبة الباهلي ، أو مالك بن زغبة الباهلي ، أو أبي شفيق الباهلي .

اللسان (نور ، حذق) ، وعجزه :

* وحبل الوصل منتكث حذيق *

ينوب مع ما بعدهُ عنهما ، لأن اللفظ بالمفعولين قد حصل وإن كانا في صلة أن .
وَأَنَّ وما بعده في تقدير اسم ، وهذا كما تقول : لو أنك جئتني لأكرمك ،
إذ كنت قد لفظت بالفعل في صلة أن ، وإن كنت لا تقول لَوْ جئتك .

٥- وَلَا أَنْ نَفْسِي يَزِدْهَا وَعِيدُكُمْ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشِيِّ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ^(١)

الوعيدُ والوعْدُ من أصلٍ واحدٍ ، وإن كان أحدهما ضمّانا في الخير والآخر
ضمّانا في الشرِّ ، لكنه فرّق بين المعنيين بتغيير البناءين ، كما فعلوا مثل ذلك
في العدل والعدل ، فجعلوا أحدهما في الأناسي والآخر في غيرهم . يقول :
وَلَا تَطْنِي أَنْ نَفْسِي يَسْتَخِفُّهَا تَهْدُدُكُمْ ، وَلَا أَنَّنِي خَجَرْتُ بِالرَّسْفَانِ ، وهو المشي
في القيد . ويقال زهَاهُ زَهْوًا وازدهاه ، إذا استخفه . ويُستعمل الزهوي في الباطل
والتزيُّد في القول . يقال : قال زهواً ، وفي الكبر يقال زهياً لا غير ، وهو
مزهوٌّ ، والأصل الخفة . والأخرق : القليل الرقق بالشيء . وقال أهل اللغة :
أخرق : ضد الرفق . وفلان رقيقٌ وفلان أخرق . وربما قالوا : فلان صنّع
وفلان أخرق . قال :

* وَهِيَ صِنَاعُ الرَّجْلِ خَرَقَاءَ الْيَدِ *

ويروى «أخرق» بضم الراء فيكون فعلاً ، و«أخرق» بفتح الراء فيكون صفةً .

٦- وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ صِبَابَةٌ كَمَا كُنْتَ أَلْتِي مِنْكَ إِذَا نَامُطَلَقُ^(٢)

قوله « كما كنت ألتى منك » ، الأجود أن يكون « ما » موصوفة غير

(١) أشار التبريزي إلى أنه يروى : « وعيدهم » ، وابن جني إلى رواية : « ولا أنا

من يزدهيه وعيدهم » .

(٢) أشار ابن جني إلى رواية : « زمانة » بدل « صيبابة » .

موصولة ، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة وفي تقدير الذي ، والقصد إلى تشبيه صباية مجهولة بمثلها ، والتقدير عرّت صباية تشبه صباية كنت . أكابدها فيك في ذلك الوقت . كأنه شبه حاله فيها بعد ما مني به (ك) بحاله من قبل . ومفعول ألقى محذوف تخفيفاً له ، [أراد (٢)] كما كنت ألقاه منك . ويقال عراه وأعراه بمعنى واحد . ومنه عراه الدار وعرّوتها بفتح العين ، أي حيث تُعرى منه أي تُؤتى . يقول : ولكني تعروني في الهوى رقة شوقٍ وجهد صباية ، كما كنت أقاسيه منك وفيك حين كنت مُطلقاً ومُخلى . والفعل من الصباية صببت بكسر الباء ، والصفة صب . وقوله « إذ أنا مطلق » الجملة في موضع جرّ بالإضافة ، وقد شرح بها « إذ » كأنه قال : وقت إطلاقي (٣) .

٧

وقال أبو عطاء السندي (٤) :

١- ذَكَرْتُكَ وَالْخَطِيئُ يَخِطِرُ بَيْنَنَا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنَّا الْمُثَقَّفَةَ السَّمْرُ

يعني بالخطيئ رُمح نفسه ، أي يتردد بالطعن . كأنه يُصوّر حاله وما يُكابده في مجاهدة أعدائه . والخط : سيف البحرين وعمان (٥) وإليه يُنسب القنا .

• السيف : ساحل

البحر .

(١) به ، باتفاق النسختين ، فالضمير للحال . وفي التبريزي : « بها » .

(٢) هذه من م والتبريزي .

(٣) أورد التبريزي عقب شرح هذه المقطوعة « حديث جعفر بن علبة الحارثي وسبب حبسه وقتله » ، وهو حديث طويل .

(٤) التبريزي : « واسمه أفلح مولى عنبر بن سمالك بن حصين ، وكان به عجمة شديدة يجعل الجيم زايا والشين سينا ، وهو من شعراء بني أمية » . وانظر ترجمته أيضاً في الشعر والشعراء ٧٤٢ والأغاني ١٦ : ٧٨ - ٨٤ والخزافة ٤ : ١٦٧ .

(٥) وردت في النسختين بتشديد الميم ، وهو ضبط لا تقره المعاجم ولا كتب البلدان . وهذه هي المجاورة للبحرين . وأما المشددة الميم المفتوحة العين فهو التي بالشام .

وكان قولهم : الخطيئة ، وهي أرض لم تُمطر بين أرضين ممطورتين ، منه .
 والخطر أصله التحرك ، يقال مرَّ يخطر خطراً ، وخطر البعير بذنبه خطراً
 وخطرانا . فنبه بهذا الكلام على قلة مبالاته بالحرب ، وأن نفسه تافت والرمح
 يختلف بالطعن بينهم^(١) إليها حتى كانت تلك همهم وشغلهم ، فقال : ذكركم
 بقلبي ورماح الخط تضرب في الحرب بيننا ، وقد رويت منا أي من
 دمائنا^(٢) . وروى بعضهم : « وقد نهكت^(٣) منا المثقة » من نهك
 المرض ، وليس بشيء : ومصدر ذكركم بضم الذال ، لأن الذكر
 بالقلب والذكر باللسان . والاسم من نهيت النهل . والمورد : النهل : وقد
 عدّ الناهل في الأضداد ، لوقوعه على الریان والعطشان ، وكان حقيقة النهل
 أول السقي ، والاكتفاء به قد يقع وقد لا يقع^(٤) فذلك استعمل الناهل
 في الرّي والعطش .

٢ - فوالله ما أذري وإني لصادقٌ أداي عراني من حبابك أم سحرٌ

أقسم بالله على استواء علمه^(٥) بالحالتين اللتين ذكرهما . ويسمى الألف التي
 في قوله « أداي عراني » ألف التسمية ، لهذا الذي ذكرناه . وكذلك لو قال :
 ليت شعري أزيد في الدار أم عمرو ، لكان الألف ألف التسمية أيضاً ، لأنه
 بتمنيه العلم بما ذكره من الأمرين ، دل على استواء درأيته بهما : « وعراني »
 معناه أصابني . يقال عراه يعرفوه ، واعتراه يعتريه ، وعراه يعرفه بمعنى واحد .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « بينهما » .

(٢) أشار ابن جني أن جملة « وقد نهكت » بدل من الحال الأولى ، أو هي حال من

الضير في « بيننا » .

(٣) كذا في النسختين بالبناء للمفعول .

(٤) بعض النحويين لا يميز هذا التعبير ، وهو إيلاء الثاني للفظ « قد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من م .

و « الْحَبَابُ » بمعنى الحُبِّ ، كأنه مصدر حَبَبْتُهُ . وقد يكون مصدر حَابَبْتُهُ ويكون من اثنين . ويكون أيضا جَمَعَ الحُبَّ ، وكأنه جَمَعَهُ على اختلاف أحواله فيه ، كما تُجْمَعُ الشَّمْسُ على مَوَاقِعِهَا . وَيُرْوَى « جَنَابِكِ (١) » والمعنى من ناحيتك . وقوله « إِنِّي لَصَادِقٌ » يجوز أن يريد به صِدْقَهُ في الخبر ، ويجوز أن يُريدَ بَرَّهُ في الخلفِ ، ومرجع الوجهين إلى معنى واحد .

٣- فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاغْذِرْ نِيَّ عَلَى الْهَوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَاكَ الْعُذْرُ

السَّحْرُ والتَمْوِيهِ يرجعان إلى معنى واحد ، ولذلك قال تعالى : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ ، أى أخرجوه على وَجْهِهِ في مَرَأَى العَيْنِ وحقائقته على خِلافِهِ . وَالسَّحَارَةُ (٢) : لُغْبَةٌ ذَلِكَ صِفَتُهَا . وَيُقَالُ عَزَزْتُ مَسْحُورَةً ، إِذَا عَظُمَ ضَرُّهَا وَقَلَّ لَبَنُهَا . وَأَرْضٌ مَسْحُورَةٌ ، إِذَا لَمْ تُنْبِتْ شَيْئًا : فيقول : إِنْ كَانَ مَا بِي سِحْرًا فَلِي عُذْرٌ فِي هَوَاكِ ، لِأَنَّ مِنْ يُسْحَرُ يُحِبُّ ، وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَ السَّحْرِ فَالْعُذْرُ لَكَ ، لِأَنِّي وَقَعْتُ فِيهِ بِتَعَرُّضِي لَكَ ، وَفِكْرِي فِي مَحَاسِنِكَ ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ « فَاغْذِرْ نِيَّ » فِي مَوْضِعِ فَلِي عُذْرٌ ، مَا قَابَلَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ « فَلَاكَ الْعُذْرُ » . وَفِي هَذَا إِسْقَاطُ سُؤَالِ السَّائِلِ : لَمْ قَالَ اعْذِرْ نِيَّ وَلَا ذَنْبَ لِي وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى بَسْطِ الْعُذْرِ مَنْ لَهُ ذَنْبٌ أَوْ يُتَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ ، وَانْتِصَابِ « دَاءً » عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبْرَ كَانَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَإِنْ كَانَ مَا بِي دَاءً . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَوْهَمٌ أَنْ تَلْكَ تَصَوُّرَتُهُ (٣) بِصُورَةِ الْمَذْنَبِ (٤) فِيمَا أَظْهَرَهُ مِنْ عَشْقِهِ فَقَالَ لَهَا : إِنْ أَنْتِ فَتَنْتِنِي

(١) زاد التبريزي : « من جنابك » بالكسر ، أى مجانبتك .

(٢) ضبط في م بتخفيف الحاء ، والصواب تشديدها كما في اللسان . قال : « شيء يلعب به الصبيان إذا مد من جانب خرج على لون ، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر مخالف وكل ما أشبه ذلك سحارة » .

(٣) م : « صورته » .

(٤) في الأصل : « الذنب » صوابه في م والتبريزي .

وأوقعتني في حِبَالَتِكَ لِمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ مِنْ مَحَاسِنِكَ فلي عُدْرٌ حين افتنت ،
لأن مثل محاسنك تزلُّ العفيف ، وتقلُّ عن طبعه الحليم . وإن كنتُ
المتعرِّضَ لك والجالب على نفسي ما شقيتُ به ، فالعُدْرُ لك .

٨

وقال آخر (١) :

١- وفارسٍ في غَمَارِ المَوْتِ مُنْغَمِسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهِهِ صَدَقًا (٢)

جَعَلَ المَوْتَ غَمَارًا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالمَاءِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ مُنْغَمِسًا فِيهَا فَحَسُنَتْ
الاستعارة جِدًّا : وَتَأَلَّى وَائْتَلَى وَآلَى مِنَ الأَلْيَةِ . وَلَا حَلْفَ ثُمَّ ، إِنَّمَا يَرِيدُ
الحْتَمَ والإِجَابَ ، فيقول : رَبِّ فَارِسٍ دَاخِلٍ فِي شِدَائِدِ المَوْتِ إِذَا حَلَفَ
عَلَى مَا يُكْرَهُ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ كَرِيهًا فِي نَفْسِهِ بَرًّا وَلَمْ يَحْنَثْ أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا .
وَيُرْوَى « مَكْرُوهِةً » وَالمَعْنَى خَصَلَةٌ تُكْرَهُ وَتَشُقُّ . فَعَلَى هَذَا يَكُونُ صِفَةً
مُفْرَدَةً عَنِ المَوْصُوفِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا كَالْمُصَدِّقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ
المُصَادِرِ الجَائِيَةِ عَلَى زِنَةِ المَفْعُولِ . وَأَضَافَ المَكْرُوهُ إِذَا رُوِيَ « مَكْرُوهِةً »
إِلَى الفَارِسِ لَوُقُوعِهِ مِنْهُ . وَالمُنْغَمِسُ : الدَاخِلُ فِي الشَّيْءِ ، يُقَالُ غَمَسْتُهُ
فِي المَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَرَجُلٌ مُغَامِسٌ لِذِي يَغْشَى الحَرْبَ وَيَتَرَدَّدُ فِيهَا . وَغَمَارُ
وَالغَمَرَاتُ جَمْعُ غَمْرَةٍ ، وَهِيَ فِي المَاءِ وَالحَرْبِ وَالشَّرِّ تَرْجِعُ إِلَى السَّتْرِ .
وَيُقَالُ رَجُلٌ مُغَامِرٌ ، إِذَا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الغَمَرَاتِ وَالمِهَالِكِ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ
« فِي غَمَارِ المَوْتِ » بِضَمِّ الغَيْنِ ، وَكَسْرُهَا أَجُودٌ مَعَ ذِكْرِ المُنْغَمِسِ .

(١) م : « آخر » فقط . وعند التبريزي وابن جني : « وقال بلعاء بن قيس الكناني » .
وكان بلعاء هذا رأس بني كنانة في حروبهم ، وهو شاعر محسن . المؤلف ١٠٦ . ومات قبل
يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار . العقد الفريد .
(٢) يروى « مكر وهه » بالإضافة إلى الهاء ، و« مكر وهه » بابتداء في آخره .

٢ - غَشِيَّتُهُ وَهُوَ فِي جَأَوَاءٍ بَاسِلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَأَنْفَلَقَا

العَضْبُ : القَطْعُ ، وتوسَّعوا فيه فقالوا : عَضَبَهُ عن حاجته ، أي حَبَسَهُ ، وامرأةٌ مَعْضُوبَةٌ أي معضولة^(١) ، وسَيْفٌ عَضْبٌ أي قاطع ، كأنه وُصِفَ بالمصدر . والتغشي أصله الإتيان والملابسة ، ومنه الغشاوة : الغطاء . وتوسَّعوا فيه حتى قيل تغشَّاهم بالعدل أو الجور . وفي القرآن : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ ﴾ . فقوله غَشِيَّتُهُ ، هو كما يُقال قَنَّعْتُهُ ، وهو جَوَابُ رَبِّ فَارِسٍ هكذا أنَاضِرْبْتُهُ وهو في جيشٍ تامِّ السِّلاحِ كَرِهَ اللِّقَاءَ ، بسيفٍ قاطعٍ أَصَابَ وَسَطَ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ . والسَّوَاءُ : الوسطُ ها هنا ، وفي التنزيل : ﴿ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ . ويوضَعُ موضعَ المصدرِ ثم يوصَفُ به ، وفي التنزيل : ﴿ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ . وَأَصَابَ ، بمعنى طَلَبَ وبمعنى نَالَ ، ويقالُ أَصَبْتُ الصَّوَابَ فأَخْطَأْتُهُ . والجَأَوَاءُ : الخُضْرَاءُ ، وهو من الجُؤْوَةِ ، يعني اخضرارِ السِّلاحِ . والبَسَالَةُ تستعملُ في الناسِ وغيرهم ، وهي الشَّجَاعَةُ . ويقالُ رَجُلٌ بَاسِلٌ وَأَسَدٌ بَاسِلٌ وَبَسُولٌ . قال :

* ما غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ ^(٢) *

وهذا يجوز أن يكون من البَسَلِ ، وهو الحرام ، كأنه لتمنعه محرَّم .

٣ - بِضْرَبَةٍ لَمْ تَكُنْ مِني مُخَالَسَةً وَلَا تَعَجَّلْتُهَا جُبْنًا وَلَا فِرَاقًا

يُقَالُ تَعَجَّلْتُ الشَّيْءَ ، أي تكلَّفْتُهُ على عَجَلَةٍ . ويقالُ أيضًا أَعْجَلْتُهُ واستعجلْتُهُ وتَعَجَّلْتُهُ بمعنى . والِخْلَاسُ : أَخَذَ الشَّيْءَ مِخَالَسَةً ، وقيل الاختلاسُ أَوْحَى من من الخِلسِ . ويقالُ هُوَ لَكَ خُلْسَةٌ ، كما يُقالُ نَهْزَةٌ وَفُرْصَةٌ . يقولُ : غَشِيَّتُهُ

(١) أ معضولة ، ساقط من م .

(٢) لامرئ القيس . وصدرة :

* قولاً لدودان عبيد العصا *

سَيْفًا بَأْنَ ضَرْبَتُهُ ضَرْبَةً هَكَذَا . فَأَمَّا قَوْلُهُ لَمْ تَكُنْ مَنِي مُخَالَسَةً ، فَهُوَ خِلَافُ
قَوْلِ الْآخِرِ (٤) :

وَقَدْ أَخْتَلَسُ الضَّرْبَ : لَا يَدْمَى لَهَا نَصْلِي
وقول الهذلي (٥) :

* وَطَعَنَةَ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتَ مَرِشَةَ (٦) *

• مرشّة : أي تُرْسٌ بالدم .

لأنّ قُضِدَ الشاعِرَ ها هنا إلى أَنَّهُ تَنَاولَ مِنْ خِصْمِهِ ما تَنَاولَ بِتَثْبِيتِ وَقوَّةِ
قَلْبٍ لا كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَبانُ . وَثُمَّ يَذْكَرُ تَمَكُّنَهُ مِنْ خِصْمِهِ على شِدَّةِ احْتِرازٍ مِنْهُ
حَتَّى تَنَاولَ ما تَنَاولَهُ خَلْسًا . وَقَدْ وُصِفَ الشِّجَاعُ بِالْمُخالِيسِ وَالْحَلِيسِ ، وَكَذَلِكَ
المُصارِعُ . وَمَنْ مَدَحَ خِصْمَهُ ثُمَّ ذَكَرَ غَلْبَتَهُ لَهُ كانَ أَبلَغَ في الافتخارِ بِهِ ،
فَاعْرِفْ فَرَقَ ما بَيْنَ المَوْضِعِينَ . وَقَوْلُهُ : « لا تَعَجَّلْتِها جُبْنًا ولا فَرَقًا » يُؤَكِّدُ
ما ذَكَرناهُ . وَاِنْتِصابُ « جُبْنًا » على أَنَّهُ مَفْعولٌ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى مُصدِرًا
لِعَلَّةٍ . وَالْمَعْنَى : وَلَمْ أَتَكَلَّفْ مَجَّلتِها لَضَعْفِ قَلْبِي وَلا لِحُوفِي مِنْ صاحِبِي .
وَضَرْبَةُ الْجَبانِ أَعْجَلُ وَأَسْرَعُ .

٩

وقال ربيعة بن مقروم الضبي (٧)

١ - ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل

اطراد الماء والشراب (٥) والكلام : اتساقها على حد الاستقامة والمراد .

(١) هو الفند الزماني ، أو امرؤ القيس بن عابس الكندي . انظر اللسان (دفنس) .

(٢) هو ربيعة بن الجحدر الهذلي . اللسان (مبحج) وشرح أشعار الهذليين للسكري ٢٨٥

(٣) عجزه : * يمج بها عرق من الجوف قالس * . قالس : من يقلس الدم ، يقينه .

(٤) شاعر مخضرم ، ترجم له في الشعر والشعراء ٢٧٩ والأغاني ١٩ : ٩٠ - ٩٣

والإصابة . وفي المبهج : « الربيعة : بيضة الحديد ، والربيعة أيضا : الحجر الذي يرتبع ، أي
يشال : وأما مقروم فمفعول من قولك قرمت الشيء بأسناني فهو مقروم ، أي مقطوع » .

(٥) في الأصل : « والشراب » ، والوجه ما أثبتنا من م .

ويقال : جَدَوْلٌ مطرَدٌ ، وَبَلَدٌ طَرَّادٌ ، أي واسعٌ يطرد فيه السراب . وأراد
 بالخيال الفرسان لا الأفراس ، ألا ترى أنه قال « يوم طَرَّادِهَا » . والطَّرَّادُ
 من الفُرْسَانِ : حَمَلُ بعضهم على بَعْضٍ . وعلى هذا ما روي عن النبي صَلَّى اللهُ
 عليه وسلم ، وهو « يا خَيْلَ اللهِ اركبي » . والمعنى حَضَرَتْهُمْ يوم تَطَارُدِهِمْ
 بالرَّمَّاحِ وأنا على فرسٍ ضَخِمٍ سليم الأوظقة من العيوب . ول « شهدتُ »
 مَوْضِعَانِ : الحضورُ من قول الله تعالى : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ
 لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ،
 وحينئذ يتعدى إلى مفعول واحدٍ . والعِلْمُ والتبيين ، على ذلك قول الله تعالى :
 ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، وحينئذ يتعدى إلى مفعولين . وقد يُقَسَمُ
 به كما يُقَسَمُ بِالْعِلْمِ ، فيقال يشهدُ اللهُ كما يقال يعلمُ اللهُ . فأما شهادةُ الشاهدِ
 فلا بدَّ من القول فيها : والهَيْكَلُ أصله في البناء العظيم ، ثم وُصِفَ به الفرس .

٢- فَدَعَا نَزَالَ فَكَانَتْ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

• الوظيف : مُسْتَدَقَّ
 الذراع والساق من
 الحبل وغيرها .

قوله « دَعَا نَزَالَ » أي صاحوا : نزال نزال . ومنه قيل لتطريب النائحة
 في نياحتها : التَدْعَى . وهذا كما قال الأعشى :

* قَالُوا الطَّرَّادَ فَقَلْنَا تَلَكَّ عَادَتْنَا (١) *

وفي القرآن : ﴿ وَأَخِرُّ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . ويجوز أن
 يكونوا جعلوا نَزَالَ على التوشع هي المدعوَّة وإن كانت دُعَى إليها ؛ ويشهدُ
 لهذا الوجه قولهم (٢) :

* دُعِيَتْ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ (٣) *

(١) عجزه : * أو تنزلون فإننا معشر نزل *

(٢) كذا في النسختين .

(٣) لزهير بن أبي سلمى ، في ديوانه ٨٩ . وصدده :

* ولنعم حشو الدرع أنت إذا *

وفي القرآن : ﴿ دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا
وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ . ونزال : اسمٌ لا نزل ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْكسْرِ ، معرفةٌ
مؤنث معدول . والدلالة على تأنيثه قول زهير :

* دُعَيْتُ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ *

والمعنى تنادوا وقالوا نزال فكنت أول الغازين . ثم قال مظهرًا لترك
التحمُّد بذلك ، وأنه فيما فعله كمن أدى واجباً عليه : « وعلام أركبه » .
المعنى لأي شيء أركب فرسي إذا لم أنزل إذا دُعيتُ إلى النزال . و « ما » من
« عَلامَ » حُذِفَ أَلِفُهُ لِأَنَّهُ فِي الِاسْتِفْهَامِ إِذَا اتَّصَلَ بِحَرْفِ الْجَرِّ يَخَفُّ
بِالْحَذْفِ (١) ، عَلَى ذَلِكَ بِمِثْلِ وَفِيمَ وَعَمَّ وَمِمَّ ، إِلا إِذَا اتَّصَلَ بِذَا فَيُقَالُ بِمَاذَا
ولماذا ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَاذَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فَلَا يَغَيَّرُ « ما » ، وَقَوْلُهُ « وَعَلامَ أَرْكَبُهُ
إِذَا لَمْ أَنْزِلْ » يَجْرِي مَجْرَى الِاتِّفَاتِ وَيُقَارَبُهُ ، وَفَائِدَتُهُ أَنَّهُ أَسْقَطَ التَّحْمُّدَ بِمَا فَعَلَهُ
بِهِ . وَفِي طَرِيقَتِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى قَوْلُ الْآخَرِ :

وَلَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكِرَامُ أَخَاهُمُ إِلا عَتِيدَ السَّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يَمَارِسَا
ومثل الأول قوله :

عَلامَ تَقُولُ الرِّيحُ يُنْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعَنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتِ (٢)
٣ - وَالَّذِي حَنَقَ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
أَخْرَجَ التَّشْبِيهَ مَا لَا يُدْرِكُ مِنَ الْعَدَاوَةِ بِالْحَسِّ إِلَى مَا يُدْرِكُ مِنْ غَلِيَانِ

(١) وأحيانا لا يخفف ، وقرئ : « عما يتساملون » . وأنشدوا لحسان :

على ما قام يشتمني لثيم كخنزير تمرغ في رماد

انظر حواشي البيان (٣ : ١٢٥) .

(٢) لعمر بن معديكرب . الحماسية ٣٠ .

الْقَدْرِ ، حَتَّى تَجَلَّى ، فَصَارَ كَالْمَشَاهِدِ^(١) . وَالْأَلَدُّ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةَ . كَأَنَّهُ لَدًّا بِالْخُصُومَةِ ، أَيْ أُوجِرَ فَلَدًّا بِهِ . وَلِذَلِكَ كَانَ اللَّدُّ مُصْدَرُ اللَّدِّ . وَيُقَالُ فِي مَعْنَاهُ الْأَنْدَادُ^(٢) . وَالْحَنْقُ : شِدَّةُ الْغَيْظِ ، يُقَالُ أَحْنَفُهُ فَحَنْقُ ، يَقُولُ رَبُّ خَضَمٍ شَدِيدِ الْخُصُومَةِ ذِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ عَلِيٍّ تَغْلِي عِدَاوَتَهُ لِي فِي صَدْرِهِ غَلِيَانِ الرَّجُلِ بِمَا فِيهِ إِذَا كَانَ عَلَى النَّارِ ، أَنَا دَفَعْتُهُ عَنْ نَفْسِي . وَجَوَابُ رَبِّ هُوَ صَدْرُ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَالْحَنْقُ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّزُوقِ ، كَأَنَّ الْحَقْدَ لَزِقَ بِصَدْرِهِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ أَحْنَقْتُ الدَّابَّةَ ، إِذَا ضَمَّرْتَهُ .

ع - أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِيٍّ^(٣)

ذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي أَرْجَيْتُهُ ، أَنَّ الرَّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ « أَوْجَيْتُهُ » وَمَا عَدَاهُ تَصْحِيفٌ . قَالَ . وَهُوَ أَفْعَلْتَهُ مِنَ الْوَجَى ، وَإِنَّمَا أُوجِبَ ذَلِكَ لِیَكُونَ لِفَقِّ قَوْلِهِ بِزُعْمِهِ : « وَكَوَيْتُهُ » . وَالْمَعْنَى أَذَلَّتُهُ وَرَدَدْتُهُ رَازِحًا كُرُزُوحَ الْفَرَسِ الْوَجِي . ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ طَرْفَةَ مُؤَنِّسًا بِهِ :

وَقَوْمٍ تَنَاهَوْا عَنْ أَذَاتِي بَعْدَمَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشَ السَّنَابِكِ^(٤)

قَالَ الشَّيْخُ : وَلَقَدْ قَضَيْتُ الْعَجَبَ مِنْ هَذَا الْمُسْتَدْرِكِ ، وَمِنْ ضَلَالِهِ عَنِ حَطْرِيقِ الرَّشَادِ فِيمَا قَصَدَهُ مِنَ الْمَعْنَى ، وَرَوَاهُ فِي الْإِسْتِشْهَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّ شِعْرَ طَرْفَةَ إِنَّمَا هُوَ :

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « كالمشاهدة » .

(٢) ويقال يلندد أيضا .

(٣) ابن جني : « أكثر من ترى يروي هذا البيت أرجيته بالراء ، فإذا تعالى شيئا رواه أوجأته ، وكلاهما تصحيف ، وإنما هو أوجيته بالواو ، أي ذلته وقهرته . كذلك رويناه وكذلك وجدته أيضا في شعر القبيلة » .

(٤) ديوان طرفة ٥٦ بهذه الرواية عينها في نهاية القصيدة . قال صانع ديوانه : « ولم

يرو الشنمري هذا البيت » .

وما زال شُرْبِي الرَّاحَ حَتَّى أَشْرَنِي صَدِيقِي وَحَتَّى سَاءَنِي بَعْضُ ذَلِكَ (١)
 وَحَتَّى يَقُولَ الْأَقْرَبُونَ نَصَاحَةً دَعِ الْغِيَّ وَأَصْرِمِ حَبْلَهُ مِنْ حَبَالِكَ (٢)
 وَحَتَّى تَنَاهَوْا عَن أَذَاتِي بَعْدَمَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشَ السَّنَابِكِ

فقوله : « حتى تناهوا » ليس مما فسره واستشهد له بسبيل ، إنما يريد طرفه أنه أبعد غايته في الخسارة ، وتمادى في تعاطي الصبا والجهالة ، فلم يصح لناصر ، ولم يرعو لعاذل ، حتى نفضوا أيديهم من إنايته ، ويئسوا من قبوله وإعتابه ، فالتقوا حبله على غاربه : وصاروا من بين ناسب له إلى الشر ، ومسيء إليه في القول ، وقاذف إياه بالغي ، فأفضت بهم الحال إلى أن تناهوا بعد أن بلغ منهم العناء كل مبلغ ، وأثر فيهم الإعياء والإخفاء أشد تأثير . ألا ترى أنه جعل الوجى في المشاش من السنابك منهم . فهذا ما عليه في الرواية ، والذهاب عن طريقة الشاعر . وبعد فإنه لا يقال أوجيت الدابة عني ويبراد الإخفاء ، ولم يسمع في التذليل ذكر الحنى والوجى مستعاراً كما سمع الكي والوسم فيه . وبعد الغوص (٣) لا يدري على ماذا يهجم بصاحبه . والرواية الصحيحة « أَرْجَاتُهُ » و « أَرْجِيَّتُهُ » وهما لغتان ، والهَمْزُ أَفْصَحُ . قد قُرِيءُ : ﴿ تَرْجِيٌّ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ و ﴿ تَرْجِيٌّ ﴾ . ويروى : « أَوْحِيَّتُهُ » ، ويروى : « أَرْجِيَّتُهُ » والمعاني تتقارب (٤) في الكل . يقول : رَبِّ خَصْمٍ هَكَذَا أَنَا وَحِيَّتُهُ (٥) عن نفسي وصرفته ، وقد أبصر رُشْدَهُ ، وعرف مقدار نفسه ، فعاد إليه بعد أن كان يشتط فيما له ، ويتغابي عما عليه . والقصد : ما لا سرف فيه ، ولذلك قيل اقتصد في

(١) ديوان طرفه ٥٥ واللسان (شرر) مع تحريف . أشره : نسبه إلى الشر .

(٢) الديوان : « ذر الجهل واصرم حبلها »

(٣) م : « الغرض » .

(٤) م : « والمعنى يتقارب » .

(٥) وحاه توحية : عجله .

كذا . وطريقٌ قاصِدٌ ، إذا كان على حَدِّ الاستواء . ومن كلامهم : ضَلَّ
عن قَصْدِ الطريق ، كما قيل : ضَلَّ عن سواء السَّبِيل . قال الراجز (ك) :

إِنِّي إِذَا حَارَ الْجَبَانَ الْهُدْرَةَ (ك) رَكِبْتُ مِنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ مَنْجَرَةَ (ك)

وقوله : « وكويته فوق النواظر » ، يشبهه قول الآخر (ك) :

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا تَقِيصِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا

أى كويته من علٍ فوق ناظره ، أى وَسَمْتُهُ بِسَمَةِ مِنَ الذَّلِّ اشتهر بها ، ولم
يمكنه إخفاؤها . ويقال لمن يُتَوَعَّدُ بِالْإِذْلَالِ وَالتَّشْوِيهِ : لِأَسْمِكَ وَسَمًا
لا يفارقك . ولذلك قال جرير :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

• صفا : استخذي .

وكما يجعلون هذه السمة في الجبين يجعلونها في الأنف ، ولذلك قال الأعشى :

* أَنْفَ مَنْ أَنْتَ وَأَسِمِ (م) *

وفي القرآن : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم ﴾ . فإن قيل : لم أتى بقوله من علٍ ،

وقد قال فوق النواظر ويُعلم منه أنه أعلى ؟ قيل : إن التقدير كويته من علٍ فوق

النواظر ، أى من أعلاه فوق ناظره ، وفيه التقديم والتأخير ، ولو سكت على من

علٍ لكان يجوز أن يكون فوق النواظر ودون النواظر ، لكنه بيّن أن قَصْدَهُ

إلى الجبين بميسمه . والمعنى شهرته بإذلاله ، ووسمته بكبي حيث يظهر للناظرين

ولا يخفى . وانتصاب « فوق » يجوز أن يكون على البدل من الضمير في كويته ،

(١) هو الحسين بن بكير الربيعي . اللسان (هدر) .

(٢) الهدرة كهزمة : الساقط . ويروى : « الهدرة » بالذال المعجمة ، وهو بالمهملة أجود .

(٣) المنجر : الطريق المستقيم . اللسان (هدر ، نجر) . م : « منحرة » .

(٤) هو المتلمس . ديوانه نسخة الشنقيطي .

(٥) قطعة من بيت لم يرو كاملا في ديوانه ٥٧ ، يل روي على هذه الصورة الناقصة :

..... يفنيك واعمد لغيرها بشعرك واعلب أنف من أنت واسم خطاه

• العلي : الأثر .

في ديوانه ، المقطوعة « ٩ » ، تحقيق : د . محمد حسين :

فَدَعَا مَا بَعِيكَ وَأَعْمَدَ لغيرها

لأن « فوق » من الظروف المتكئة . ويجوز أن تجعله ظرفاً تريداً كَوَيْتُهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ مِمَّا عَلَا مِنْهُ . وإنما لم يبين من علي لأنه جعله نكرةً ، كما تقولُ أَيْتُهُ قَبْلًا أَي أَوْلَا ، وَأَنْتَ لَا تَقْصِدُ إِلَى أَنَّهُ مُضَافٌ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ ، فَاعْلَمْ . وَمِنْهُ (٤٣) :

* كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ (٤٤)

فالكسرة في الموضعين كسرة إعراب ، وإن شئت جعلته معتلاً الآخر لا منقوصاً كشج وقاضٍ ، وجعلته في النية مضافاً ، فيكون معرفةً وتنوي ضمة البناء في موضع لامة ، كما تنويها في الياء من قاضٍ وغازٍ إذا ناديت بهما واحداً بعينه . وفي علي لغات كثيرة ، وله نحو في البناء والإعراب ليس لأخواته من الغايات ، وليس هذا موضع شرحه .

١٠

وقال سعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم (٤٥) :

١ - سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَيَّ قِضَاءَ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا

القضاء ، أصله الحتم والإيجاب ، ثم يستعمل في إكمال الصنع والفراغ من الشيء . ولهذا قيل قُضِيَ قِضَاؤُكَ ، أَي فُرِغَ مِنْ أَمْرِكَ . وفي القرآن : ﴿ فِقِضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ . ويروى : « قِضَاءَ اللَّهِ » بالرفع والنصب ، فإذا رفعت فإنه يكون

(١) م : « ومثله » . والبيت التالي لاسري القيس في معلقته .

(٢) صدره : * مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٣) شاعر إسلامي ، كان من شياطين العرب ، وهو صاحب يوم الوقيط في الإسلام

بين تميم وبكر بن وائل . الشعر والشعراء ٦٧٧ والخزانة (٣ : ٤٤٤ - ٤٤٦) واللاللي ٧٩٢ - ٧٩٤ . وفي شرح التبريزي : أنه كان أصاب دما فهدم بلال داره . واشتقاقه

« ناشب » من قولهم رجل ناشب ، أي ذو نسب .

فاعلا لِحَالِبًا عَلِيٌّ ، وما كان جَالِبًا في موضع مَفْعُولِهِ ^(١) ، ويكون القضاء بمعنى الحكم . والتقدير : سأغسل العارَ عن نفسي باستعمال السيف في الأعداء ، في حال جَلَبِ حَكَمِ اللَّهِ عَلَيَّ الشَّيْءِ الذي يجلبه . وإذا نَصَبَ القضاء فإنه يكون مفعولاً لِحَالِبًا وفاعله ما كان جَالِبًا ، ويكون القضاء الموت المحتوم والقدر المقدر ، كما يقال للمصيدِ الصَّيْدُ ، وللمخلوق الخلقُ . والمعنى جَالِبًا الْمَوْتَ عَلَيَّ جَالِبُهُ . وذكر بعضهم أن « كان » من قوله ما كان جَالِبًا في معنى صار . قال : ومثله :
بِتَيْهَاءٍ قَفَرٍ وَالْمَطِيِّ كَأَنَّهُ قَطَا الْحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فِرَاحًا بِيَوْضَاهَا ^(٢)
لأن المعنى قد صارت .

٣ - وَأَذْهَلَ عَن دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعِرْضِي مِّنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا ^(٣)
الذَّهْوَلُ : تَرَكَ الشَّيْءَ مَتَنَاسِيًا لَهُ وَمَتَسَلِيًا عَنْهُ ، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ ذُهْلٍ .
يقول : إذا ضاق المنزلُ بي حتى يصيرَ دارَ الهوانِ انتقلت عنه ، وأَجْعَلُ خَرَابَهُ وَقَايَةَ لِلنَّفْسِ ^(٤) مِنَ الْعَارِ الْبَاقِي ، وَالذَّمُّ الْلاحِقُ . وهذا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ :

* وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلِ ^(٥)

وهو ضدّ المعنى الذي يقصدونه بالثبات فيه والصبر عليه ، من الإقامة في دار الحفاظ والافتخار به ، لأنّ الانتقال ثمّ هو الجالب للعار ، كما أن الإقامة هنا هو الجالب . فمن ذلك قوله :

(١) م : « مفعولة » .

(٢) البيت لابن أحرر في اللسان (كون) . ونسبه ابن يعيش في شرح المفصل إلى ابن

كنزة . ويروى : « كأنها » .

(٣) انظر الإشارة إلى هدم بيته في ترجمته السالفة .

(٤) م : « لنفسي » .

(٥) لعبد قيس بن خنفاف التميمي ، كما في حاسة البحترى ١٧٩ . وصدوره :

* احذر محلّ السوء لا تخلل به *

وَتُقِيمُ فِي دَارِ الْحِفَاطِ بِيُوتُنَا زَمْنَا وَيَطْعَنُ غَيْرُنَا لِلْأَمْرِعِ (١)

ومنه قوله :

يُقَالُ مَحْبِسُهَا أَدْنَى لِمَرَّتَيْهَا وَإِنْ تَعَادَى بِيَبْكَ كُلُّ مَحْلُوبٍ (٢)
على مقربة من دورهم ،
ويؤثرون عدم إرسالها إلى
المراعي حثية أن يفاجؤا
وفي ضده قوله :

دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارَهُ أَفْرَاحٌ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَرْحَلِ
بغارة من أعدائهم فتكون
خيلهم بعيدة عنهم فلا يقدر
على رد غارة المعتدين . وبها
وقول الآخر :

وَلَسْنَا بِمُحْتَلِّينَ دَارَ هَضِيمَةَ مَخَافَةَ مَوْتٍ إِنْ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ
انهم لا يرسلونها إلى المراعي
منهم يؤثرونها باللبن المخلوط
مع الماء ، حتى أنهم أيام
وانتصب « حاجبا » على أنه مفعول ثانٍ لأَجْعَلُ ، لأنه بمعنى أَصْبِرُ .

والتقدير : أَجْعَلُ هَدْمَهَا حَاجِبًا لِعِرْضِي ، وما نَمًا من باقي الذم . ولـ « جعلت »
غير هذا مواضع ، يكون بمعنى خَلَقْتُ وَأَنْشَأْتُ فيتعدي إلى مفعول واحد ،
كقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ﴾ ؛ ويكون بمعنى سَمَّيْتُ ، كقوله
تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الملائكةَ الذين هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَا ﴾ ؛ ويكون بمعنى
ظَنَنْتُ ، تقولُ : جَعَلْتُهُ عَبْدًا وَشَتَمْتُهُ ، أي ظَنَنْتُهُ ؛ ويكون بمعنى طَفِقَ
فلا يتعدي . تقول : جَعَلَنِي يَكَلِّمُهُ ، أي أَقْبَلَ . وعلى هذا قوله :

جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قَلِيٍّ (٣) أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

٣- وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا أَنْثَنَتْ يَمِينِي بِأَدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

أراد بقوله « يصغر » صغر القدر وخففته ونزارته في الهمم والفكر .

(١) للحادرة الذبياني في المفضليات (١ : ٣) . و « للأمرع » ضبطت في الأصل بضم
الراء وفي م بفتحها ، وهما روايتان .

(٢) لسلامة بن جندل في المفضليات (١ : ١٢٢) .

(٣) في الأصل : « عن جفاء » ، والوجه ما أثبتنا من م .

وخصّ « التلاد » وهو المال القديم ، لأنّ النفس بمثله أضنّ ، وبه أنفس ، وله أضبط . تبه بهذا الكلام على أنه يخفّ على قلبه ترك الدار والوطن خوفاً من التزام العار ، كذلك يقلّ في عينه إنفاق المال عند انصراف اليد حائزةً للمطلوب ، جامعةً له . وجواب « إذا » قدّم عليه وهو قوله « يصغرُ » ، فأما قوله « كنت طالباً » ، فقد حذف منه الضمير العائد إلى الذي ، والتقدير كنت طالبةً .

٤- فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تَرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا

الهدمُ : القلع والتخريب ، ويسمى الهدوم هدمًا . قال :

* كَأَنَّهُ هَدَمَ فِي الْجَفْرِ مُنْقَاضٌ (١) *

وتوسعوا فيه فليل للشوب الخلق هدم ، وجمعه أهدام . وقيل مجوز متهدمة أي هرمة فانية . وتهدم عليه من الغضب ، كما يقال تهجم . والغدر : ترك الوفاء ، ومنه غادرته ، والغدير . وكان هذا الرجل كان أخلّ بداره لنائبة نابتة (٢) فصار يخاطب أعداءه ويريههم قلة فكره فيما تجرى عليه أحواله من جهتهم ، وفيما تفضي عواقب أمره إليه معهم ، فيقول : إن تخربوا داري غدرًا منكم فإنها ميراث رجل هكذا ، ويعني به نفسه ، وسمى ملكه ميراثًا وهو حيّ ، والمعنى أنه سيورث ، وهذا تسمية الشيء المتنقل في أيدي ملاك والمتصرفين فيه على التشبيه : ميراثًا ، وإن لم ينتقل بالأسباب والأنساب . على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ . وتراث ، أصله وراث ، والتاء فيه كالتاء في تكاة وتخمّة . وقوله : « تراث كريم » أراد بالكرم التنزه عن

(١) في الأصل : « منفاض » ، صوابه في م واللسان (هدم) . وصدده :

* تمضي إذا زجرت عن سوءة قدما *

(٢) انظر ما سبق في ترجمته من هدم بلال داره .

«الأقذار ، والتباعد من جوالب العار . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . وقوله : « لا يبالي العواقبا » يقال : ما باليتُه بآلة وباليتة ومبالاة وبلاء ، وما باليت به . وكأنه أخذ من البلاء ، واستعمل في المفاخرة وتمداد الخصال الحسنة عند المنافرة ، ثم كثر استعماله حتى صار يُقال في الاستهانة بالشيء . ويشهد لهذا الذي قلناه قول الآخر :

مَالِي أَرَاكَ قَائِمًا تُبَالِي وَأَنْتَ قَدِمْتَ مِنَ الْهَزَالِ^(١)

أى تفاخر .

٥- أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهْمُ بِهِ مِنْ مَقْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِبًا

يقال : ماله عزمٌ وماله عزيمة ، أي تثبت وصبرٌ فيما يعزم عليه . وحقيقة العزم : توطين النفس وعقد القلب على ما يرى فعله ، ولذلك لم يجز على الله عز وجل . والاعتزام : لزوم القصد وترك الانثناء ، ولذلك قيل اعتزم الفرس على الجري . يصف نفسه بأنه صاحب همٍّ وأخو عزماتٍ ، مستبدٌّ برأيه فيها غير متخذٍ رفيقًا ، ولا مستنصرٍ أخًا وصديقًا . و « مقطع الأمر » أراد فضله والخروج منه . ويروى : « أخي عَمَرَاتٍ » وهي الشدائد . ويروى : « من مُفْطِعِ الْأَمْرِ » وهو من فطع الأمر وأفطع ، فطاعة وإفطاعًا ، وهو فطيعٌ ومُفْطِعٌ . أو من أفطعني الأمر ففطعتُ به ، أي أعياني فضيقتُ به ذرعا . وقوله : « صاحبًا » صفةٌ في الأصل استعملت استعمال الأسماء ، فلم يجز مجرى أسماء الفاعلين ، ويجري على طريقته قولهم والدٌ .

٦- إِذَا هَمَّ لَمْ تُرَدِّعْ عَزِيمَةَ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا

الهمُّ : ما تُجِيلُ لِعِلهِ وإيقاعه فِكْرَكَ . والهِمَّةُ : اسم الحالة التي تكون

(١) أنشد الرجز في اللسان (بلا) .

عليها في ذلك . ويقال في المثل لمن يُعَيَّرُ^(١) بطول الأمل : « تَهْمٌ وَيَهْمٌ بِكَ » ،
ومنه المَهْمَاتُ ، وهذا يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأي الأول . وهذا طريقة
الْفَتَّاكِ لأن الرجوع عن الرأي إلى غيره طريقة من يتدبَّرُ العواقب فيترك^(٢)
الشيء إلى الشيء لما يرجوه من حُسنِ المآب . فقال : إذا هَمَّ هذا الرجل بشيء
أنفذ عزمته ولم يردعها ، ولم يفعل ما يفعله خائفاً . ومثله قول الآخر :

جَسُورٌ لَا يُرْوَعُ عِنْدَهُمْ وَلَا يَذْنِي عَزِيمَتَهُ اتِّقَاءً

ويقال : رَدَعْتُهُ فَارْتَدَعَ ، أي كَفَفْتُهُ ورددته رَدَعًا . ومنه الرُدَاعُ في
العِلَّةِ وهو النُّكْسُ ، يقال رُدِعَ رُدْعًا ورُدَاعًا . والهَيْبَةُ تكون من الذُّعْرِ
ومن الإجلال جميعاً ، ويقال للجبان هَيْبٌ وهَيْبَةٌ ، والهَاءُ للمبالغة ،
والمحتشم مَهْيَبٌ . وفي الحديث : « الإيْمَانُ هَيْبٌ » . ويقال : تَهَيَّبْتُ الشَّيْءَ
وتَهَيَّبَنِي بِمَعْنَى ، لَمَّا كَانَ لَا يَلْتَبِيسُ ، ومثله من المقلوب كثير .

٧ - فَيَالَ رِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدِّمًا إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكِرَائِبَا^(٣)

ويروى : « الكرأبَا » . الفاء من قوله « فَيَالَ رِزَامٍ » التَّيَّةُ بها استئناف
ما بعدها وإن نُسِقَ بها جملة على جملة . واللام من يال رِزَامٍ ، هو لامُ الاستغاثة ،
ورِزَامٍ ينجرُّ به وهم المدعوون . وأصل حركة لام الإضافة إذا دَخَلَ على ظاهرِ
الكسر ، ولهذا إذا عَطِفَ على هذه اللام بلام أخرى كَسِرَتِ الثانية ، تقولُ :
يَالزَيْدِ لِعَمْرٍو ، ولكن هذه فُتِحَتْ لكون ما بَعْدَهَا مُنَادَى ، ووقوعِ المنادى
على هذا الحدِّ موقعِ المضمرات ، فكما قيل لكوله ، قيل يَالزَيْدِ . وقوله « رَشَّحُوا بِي
مُقَدِّمًا » بكسر الدال بمعنى متقدِّمًا ، فهذا كما يقال وَجَهَ بِمَعْنَى تَوَجَّهَ ، وَنَبَّهَ بِمَعْنَى تَنَبَّهَ .

(١) كذا في النسختين . وليست « ينتر » .

(٢) في الأصل : « فينزل » ، ووجهه من م .

(٣) ابن جني : « هذا البيت شاهد على إعمال فعال إعمال اسم الفاعل » .

ونكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ . وعلى هذا قولهم مُقَدِّمَةُ الجِيشِ ، ومن فتح الدال فالعنى على أنه يُقَدِّمُ لِيَقِيَهُمْ بنفسه . « خَوَّاضًا إِلَيْهِ الكِتَابُ » ، انتصب الكتاب على أنه مفعول خَوَّاضٍ . ويُروى « الكرائب » وهي الشدائد جمع كَرِيْبَةٍ ، والأصل في الكَرَبِ : الغَمُّ الذي يأخذ بالنفس . والتَّرْشِيحُ أصله التَّنْيِيتُ والتَّرْبِيَةِ ، ومنه قيل رَشَّحَتِ المرأَةُ ولَدَهَا إذا دَرَجَّتُهُ فِي اللَّبَنِ ، ثم قيل رُشِّحَ فلانٌ لكذا ، توشعًا . ومعنى البيت : يا بني رِزَامِ هَيِّئُوا لِي رَجُلًا يَتَقَدَّمُ إِلَى المَوْتِ وَلَا يَحِيدُ عَنْهُ ، مقتحما الجيوش والشدائد غير متنكِّبٍ ولا حائد . ويروى : « رَشَّحُوا بِي مُقَدِّمًا » ، وتلخيصه : رَشَّحُوا بِتَرشِيحِكُمْ رجلاً هذه صفته ، فأقام الصِّفَةَ مقامَ الموصوف .

٨ - إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبًا^(١)

قوله : « ألقى بين عينيه عزمه » ، أى جملة بمرأى منه لا يفعل عنه ، وقد طابق في المعنى أما قَابَلْ قَوْلُهُ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ، بقوله : نَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبًا . ومثله قول الآخر :

* وَلَا نَاطِرٌ عِنْدَ الوَغَى فِي العَوَاقِبِ *

وانتصب « جانباً » على أنه ظَرْفٌ . وَنَكَّبَ يَكُونُ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ . والمعنى أَنَّهُ إِذَا هُمْ بِالشَّيْءِ جَعَلَهُ نَصَبَ عَيْنَيْهِ^(٢) إِلَى أَنْ يَفُذَّ فِيهِ وَيَخْرُجَ مِنْهُ ، وَيَصِيرُ فِي جَانِبٍ مِنَ الفِكْرِ فِي العَوَاقِبِ . ويجوز أن ينتصب جانباً على المفعول ، ويكون نَكَّبَ بِمَعْنَى حَرَّفَ . والمراد انحرَفَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِبِ وَطَوَى كَشْحَهُ دُونَهُ . وَسُمِّيَ المَعْرُومُ عَلَيْهِ عَزْمًا عَلَى عَادَةِ العَرَبِ فِي وَصْفِ الفَاعِلِ وَالمَفْعُولِ بِالمَصَادِرِ .

(١) مثله ما أنشده له البكري في اللالي ٧٩٣ :

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ السَّرِيحِيِّ ذِي الأَثَرِ

(٢) كذا ورد في النسختين ، بفتح النون ، وهو من أخطأهم ، والصواب ضم النون .

وفي اللسان : « القتيبي : جعلته نصب عيني بالضم ، ولا تقل نصب عيني » ، يعنى بالفتح .

٩- ولم يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ولم يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا

مِثْلُ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ قَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :

* وَلَا يَنْتَجِي الْأَذْنَيْنِ فِيمَا يُحَاوِلُ *

ويقارب الثاني قول الآخر :

* فِي السَّيْفِ مَوْلَى نَصْرُهُ لَا يُحَارِدُ *

• هَرَمِدُ الرَّجُلِ : اغْتَاظُ

وغيظ .

والشاعر يصف استبداده وتفردَه عند ما يذُهمه بما يأتيه^(١) فِعْلًا وَرَأْيًا .

وإنما نَبَّهَ عَلَى الرَّأْيِ بِقَوْلِهِ : « لَمْ يَسْتَشِرْ » ، وَعَلَى الْفِعْلِ بِقَوْلِهِ : « وَلَمْ يَرْضَ

إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا » . وَانْتَصَبَ قَائِمًا عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ . أَلَا تَرَى أَنَّ

الْأَصْلُ وَلَمْ يَرْضَ صَاحِبًا إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ . وَلَوْ أَتَى عَلَى هَذَا لَكَانَ الْوَجْهُ أَنَّ

يَكُونُ بَدَلًا ، فَقَدَّمَ الْمُسْتَثْنَى كَمَا تَرَى .

١١

وقال تَأَبَّطُ شَرًّا (٥) :

١- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ

قَوْلُهُ « لَمْ يَحْتَلْ » ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْحِيلَةَ مَا خُوذَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ حَالَ الشَّيْءِ ،

أَي انْقَلَبَ عَنْ جِهَتِهِ^(٣) ، كَأَنَّ صَاحِبَهَا يَرِيدُ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مَا يَحُولُ^(٤) عِنْدَ غَيْرِهِ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « وما يأتيه » .

(٢) هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي ، وسمي تأبط شراً لأنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شراً وخرج ، وهذا أشهر ما قيل في سبب تلقبه . وكان أحد لصوص العرب المغيرين ؛ قرينا للشنفرى وعمرو بن براق . الشعراء ٢٧١ وشرح الأنباري للمفضليات ١ - ٢ ، ١٩٥ - ١٩٦ والأغانى ١٨ : ٢٠٩ - ٢١٨ والاشتقاق ١٦٢ - ١٦٣ - والحزانة ١ : ٦٦ - ٦٧ واللالي ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) م : « عن وجهة » . (٤) يحول بالحاء كما في النسختين ، ولعلها « يحول » .

ولذلك قيل : **فُلَانٌ حَوْلٌ قُلَّبٌ** . وقوله « **جَدَّ جِدَّهُ** » أي ازداد **جِدَّهُ جِدًّا** .
ويكونُ مثلَ قوله :

* حتى أُسْتَدَقَّ نُحُولُهَا *

المعنى ازداد دَقِيقَهَا دِقَّةً ، ويجوز أن يكونَ المعنى صارَ غَيْرُ الْجِدِّ جِدًّا
بِمَالِهِ^(١) ، وهذا كما يُقال رِيْعٌ رَوْعُهُ ، وَخَرَجَتْ خَوَارِجُهُ ، وَجُنَّ جُنُونُهُ ،
وقال الهذلي :

* يُدْعَوْنَ حُمَسًا وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ فَزَعُ *

وإنما هو رِيْعٌ أَمْنُهُ ، وَخَرَجَتْ دَوَاخِلُهُ ، وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ أَمْنٌ . فَسَمِيَ الشَّيْءُ
بِمَا آلَ إِلَيْهِ . وقوله « **أَضَاعَ** » يجوز أن يكونَ معناه وَجَدَ أَمْرَهُ ضَائِعًا ، ويجوز
أن يكونَ بمعنى ضَيِّعَ . ويقال : ضَاعَ الشَّيْءُ ضَيْعَةً وَضِيَاعًا ، وَتَرَكَهُمْ بَضَيْعَةً
وَمَضِيْعَةً . وإذا أَخَذَ الرَّجُلُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، قِيلَ : فَشَتَّ عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ .
ويقاربه قولهم :

* اتَّسَعَ الْخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ^(٢) *

وقوله : « **وهو مُذْبِرٌ** » يجوز أن يكونَ الضميرُ للأمر ، والمعنى قاسَى أَمْرَهُ ،
أَي شَقِيَ بِهِ وَهُوَ مُوَلِّ فَائِتٌ . ويجوز أن يكونَ الضميرُ للمرء ، والمعنى عَالَجَ أَمْرَهُ
وَكَابَدَهُ مُذْبِرًا فِيهِ غَيْرَ مُقْبِلٍ وَلَا مَنْصُورٍ ، ومعنى البيت إذا الرَّجُلُ لَمْ يَطْلُبْ
رَشْدَهُ وَلَمْ يُنْفِذِ الْحِيلَةَ فِي إِصْلَاحِ أَمْرِهِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ ،

(١) م : « بما آل إليه »

(٢) عجز بيت لشقران السلامي في المجتبي لابن دريد ٧٨ ، أو لابن حمام الأزدي في

المؤتلف ٩٢ . وصدوره :

* كنا نداريها فتد مزقت *

ونحوه قول أبي عامر جد العباس بن مرداس ، في العيني (٢ : ٣٥١) :

لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراقع

وقد صار الأمر جِدًّا لا شُبْهَةً فيه ، عَالَجَهُ وهو هكذا ، أو عالجَه والأمر هكذا . ومثله :

ولكنَّ مَنْ لا يَلِقُ أَمْرًا يَنْوُبُهُ بَعْدَتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وهو أعزَلُ

٢- ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطب إلا وهو للقصد مبصرٌ

السائرُ عنهم في مَثَلِ قولهم : « رَوَيْتُ حَزْمُ ، فإذا رَوَاتُ فاعزِمُ » ، فيقول : صاحبُ الحزم هو الذي يَسْتَعِدُّ للأمر قبل نزوله ، ويدبِّرُه قبل فَوْتِهِ ، حتى إذا نَزَلَ بِهِ يكونُ عارفاً بالقصة فيه ، سالكا للوجه الذي يفصلُه منه . وهذا كما قيل في المثل : « قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمَلَأُ الكِنَانُ (١) » . والحزمُ في اللغة : الشَّدُّ والضبط ، ومنه الحزام ، والحزامة ، والحيزوم ، والمخزم : والخطب : الأمر المطلوب ، ويقال : خطبتُ الأمر فأخطبَ ، كما تقول طلبتُه فأطلبَ .

٣- فذاك قرير الدهر ما عاش حوّل إذا سدَّ منه منخرٌ جاش منخرٌ

« ذاك » أشار به إلى أخي الحزم . و « قرير الدهر » يحتمل وجهين : يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر ، ويكون من قرعتُ الشيء أي اخترته وخصصته بقرعتي ، ويقال هو قريرهم وقريرتهم وقريرهم بمعنى واحد . ويجوز أن يكون بمعنى من قرعه الدهر بنوائبه حتى جرب وتبصر . ويكون قرير في الوجهين فعيلًا في معنى مفعول . ولا يمتنع أن يكون المراد بقرير الدهر فحل الدهر ، ويكون في هذا الوجه قرير في معنى فاعل ، لأنه يقرعُ الناقة أي يضربها . وما تقدم أحسن . وقوله « ما عاش » في موضع الظرف ، والمعنى مُدَّةَ عَيْشِهِ . وقوله « إذا سدَّ منه منخرٌ » مَثَلٌ للمكروب المضيق عليه ، وهذا كما استعمل

(١) الكنان : جمع كنانة ، وهي جعبة السهام .

فيه الخَنْقُ والخِنَاق . وأصل المنخر في الأنف من النخير ؛ ويسمى النُّخْرَةُ أيضاً . والجميع النُّخْر . والنخير : مدّ النَّفْس ، ومنه نَخِيرُ الحمار . وقيل نُخْرَتَا الأنفِ : حَرَفَاهُ . وجاشتِ القِدْرُ : غَلَت . وجاشَ البحرُ : اِهْتاجَ ، وأصلُهُ التَّعَرُّكُ في الموضوعين والاضطراب ؛ ومنه الجيشُ واحدُ الجيوش . والمعنى : لافتنانه في الحِيلِ لا يُؤخَذُ عليه طريقٌ إلاّ نَفَذَ في آخِر . و « الحَوْل » : الكثير التحوُّل في الأمور . ويقال هو قَلْبٌ وَحَوْلٌ ، وفي معناه رَجُلٌ حَوْلٌ وَحَوَالِيٌّ . قال ابن أحرر (١) :

أَوْ يُنْسِنَ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ أَنِي حَوَالِيٌّ وَأَنِّي حَذِرٌ

ويقال : هو ذو حَوْلٍ وَحَوِيلٍ ، وفي المثل : « لو كان ذا حيلة تحوّل » . فأما قولهم : هو ذو مَحَلَّةٍ (٢) ، فهو في معنى مَحَالَّةٍ ، وَلَيْسَ من بَنَائِهِ ، لأن الميم في مَحَلَّةٍ أصلية ، وفي مَحَالَّةٍ زائدة .

٤- أَقُولُ لِلْحَيَانِ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيَوْمِي ضَيْقُ الْحَجْرِ مَعْمُورٍ (٣)

من كلامهم : « نعوذ بالله من صَفْرِ الإِنَاءِ ، وقرَعِ الفِئَاءِ » . وهذه الاستعارة من شُمُولِ القَحْطِ وهَلَاكِ المَالِ . ولِحَيَانِ : بَطْنٌ من هُذَيْلٍ كان تَأَبَّطَ شَرًّا رَاعَمَهُمْ وَوَتَّرَهُمْ ، فكانوا يطلبون غَفْلَتَهُ ، حتى اتفق منه الصُّعُودُ إلى الجبل الذي وصفه ليشتر العسل ، ولم يكن له إلا طريقٌ واحد ، فجاءوا وأخذوا عليه ذلك الطَّرِيقَ ، فقال : أقول لهم ، يعني عند مخاطبته إيتاهم وهو على الجبل . وقوله

(١) في اللسان (حول) : « ويتمال للمرار بن منقذ العدوي » . وروايته عند التبريزي : « أو ينسان » .

(٢) ضبط في م بضم الميم .

(٣) الحجر ، كذا وردت في النسختين بتقديم الحاء وفتحها وهو الناحية . وتفسير المرزوقي يحتم هذه الرواية عنده . وفي مطبوعات الحماسة : « الحجر » بتقديم الجيم المضمومة . وفي شرح التبريزي : « وذلك أن الحشرة إذا لجأت إلى جحر ضيق لا منفذ له وصل إليها الطالب » . فتنسيبه يعين روايته كذلك .

« وقد صَفِرَتْ لَمْ وَطَابِي » يحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون المعنى وقد خلا قلبي من ودِّهم . وبعضهم يستضعف هذا ويقول : ومتى كان يودُّهم ؟ وهذا اللفظ كيف يفيد هذا المعنى . ويمكن أن يُقال في ذلك إنّما أراد وِطَابَ ودِّي . وهذا كما قال بشر :

وَإِذْ صَفِرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكْ بَيْنَنَا فِيهَا ذِمَامٌ^(١)
 كَأَنَّهُ تَبَيَّنَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُبْقُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرَعُونَ ذِمَامًا لَهُ ، فَلَا رِعةَ
 وَلَا رِقةَ لَدَيْهِمْ ، وَلَا بُقْيَا وَلَا مَحَافِظَةَ عِنْدَهُمْ ، فَصَارَ اعْتِقَادُهُ فِيهِمْ كَمَا بَانَ لَهُ
 اعْتِقَادُهُمْ فِيهِ . فلهذا قال ما قال . ويجوز أن يكون المعنى أشرفت نفسي ،
 بسببهم ولتعرُّضهم وهَمُّهم بانتهاز الفرصة لما أمكنهم ، على الهلاك . ويكون
 هذا من قوله :

* أَي هَلَكْتَ فَخَلَا جِسْمَهُ مِنْ
 رَوْحِهِ تَمَا يَلْوُ الْوِطَابُ مِنَ
 اللَّيْلِ .

* وَلَوْ أَدْرَكَنَّهُ صَفِرَ الْوِطَابُ^(٢)

وفي طريقته قول الآخر^(٣) :

هَرَقْنَا بِسَاحِقٍ جِفَانًا كَثِيرَةً وَأَدَّيْنِ أُخْرَى مِنْ حَقِينٍ وَحَازِرٍ

والمراد بهما الشريف والوديع . وقال غيره :

يَا جَفْنَةَ كَنْضِيحِ الْحَوْضِ قَدْ كَفَيْتُ بِنْتِي صَفِينٍ يعلو فوقها القتر^(٤)
 ويجوز أن يكون أشار بالوِطَابِ إلى الجسم ، أي كاد تفارقه الرُّوح .
 وهذا كما يقال : الإنسان^(٥) : زِقٌّ مَنفُوخٌ . ويجوز أن تكون الإشارة إلى

• كَفَيْتُ : اللَّبِيءُ الَّذِي صَبَّ
 فِي السَّاءِ لِإِضْرَاحِ زَيْدِهِ .
 وَحَازِرٍ : اللَّبِيءُ الْحَامِضُ .
 وَالمراد بهما الشريف والوديع .
 يريد أن يحل قتل أصحاب
 الجفان ، فكانها لما قتلتم
 أرقبتها . « أدينا أخرى »
 أي جنت بأسرى .

(١) في المفضليات (٢ : ١٣٥) : « فإذا صغرت » .

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ١٦٠ ، وصدرة :

* وَأَفْلَتْنِ عِلْبَاءَ جَرِيضًا *

(٣) هو سلمة بن الحرشب الأنماري ، كما في المفضليات (١ : ٢٦) وانظر معجم

• أَفْلَتْنِ : أَي أَفَلَّتْ

أخيل .

• وَأَجْرِيضُ : الَّذِي الْبُلْدَانُ (ساحوق) .

(٤) عجز هذا البيت من م ، وهو ساقط من الأصل .

يفض بريقه عند

(٥) في الأصل : « للإنسان » وأثبتنا ما في م .

الموت .

ظروف العسل التي اشتارها^(١) لأنه لما تيقن قصدهم لقتله وتركهم مسامحته صبَّ العسل على الجبل من الجانب الآخر وركبه متزلقاً عليه ، حتى لحق بالسَّهْل . قوله : « وَيَوْمِي ضَيِّقُ الْحَجَرِ مُعَوِرٌ » ، أي ضيقُ الناحية مُمكنٌ . ويقال في الحجرِ الحجرةُ أيضا . وفي المثل : « يَرِبِضُ حَجْرَةٌ وَيَرْتَعِي وَسَطًا » . ومُعَوِرٌ ، من أَعَوَرَ لك الشيء ، إذا بدت لك عورته ، وهي موضع الخفاة . قال الله تعالى في الحكاية عن المنافقين لما قعدوا عن نُصرة النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي واهيةٌ يجب سترها وتحصينها بالرجال ، وكما قيل يوم مُعَوِرٌ قيل مكان معورٌ ، أي تخوفٌ . ويقال : عَوَرَ المكانُ إذا صار كذلك ، وقري : ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ . وقال بعضهم : كلُّ ما طلبته فأمكنك فقد أعورك وأعورَكَ لك . ومعنى البيت : أقول لهؤلاء القوم والحالُ هذا ، وهو أنني قد جعلتُ لنفسي طريقاً إلى الخلاص منهم أو أنني أشرفتُ على الملاكِ واليومُ يوم شديدٌ عسيرٌ .

هـ - هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ

الخطَّةُ مأخوذةٌ من الخطِّ ، وهي تجري مجرى القِصَّةِ ، وإن كان لها مواضعٌ تفرِّدُ بها ، وحذف النون من « خُطَّتَا » إذا رفعت « إِمَّا إِسَارٌ » استطالةٌ للاسم ، كأنه استطال خُطَّتَا ببدله وهو قوله إِمَّا إِسَارٌ ، كما استطال الشاعرُ الآخرُ الموصل [بصلته ، والموصوف^(٢)] بصفته فقال :

أَبْنِي كَلِيبٌ إِنْ عَمِّي اللَّذَا قَتَلَ الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَ^(٣)

(١) كذا في م . وفي الأصل ؛ « الذي اشتاره » . والعسل يذكر ويؤنث .

(٢) هذه قراءة ابن عباس . وابن يعمر ، وقتادة ، وأبي رجا ، وأبي حيوة ، وابن أبي عيلة ، وأبي طلوت ، وابن مقسم ، وإساعيل بن سليمان عن ابن كثير . وقرأ الجمهور بإسكان الواو . تفسير أبي حيان في (سورة الأحزاب) .

(٣) التكلة من م .

(٤) البيت للأخطل في ديوانه ٤٤ . ونسب في الضرائر للألوسي ٦٨ إلى الفرزدق « وهو خطأ . وبنو كليب هم قوم جرير . وعمّا الأخطل هما : عصم بن النعمان ، ودوكس بن الغدوكس .

فحذف النون من اللذا . ومثله في الحذف قول الآخر (د) :

لها مَتْنَتَانِ خَطَّاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّيْمُ

• خطَّاتَانِ : أي مَكْتَرَانِ
قَلِيلًا ، وَذَهَبَ إِلَى
الصَّلَابَةِ فِي وَصْفِهِ لِأَنَّ
كَثْرَةَ اللَّيْمِ .

فحذف النون من خطَّاتَا . وقول الآخر :

لَنَا أَعْزُ لُبْنٌ ثَلَاثٌ قَبَعُضُهَا لِأَوْلَادِهَا ثِنْتًا وَمَا بَيْنَنَا عَزْرٌ (٢)

ويجوز أن يكون الحذف على وجه الحكاية ، كأنه قال : هُمَا خُطَّتَا
قَوْلِكُمْ إِمَّا كَذَا وَإِمَّا كَذَا ، فَلَمَّا تَوَى ذَلِكَ حَذَفَ النُّونَ لِلإِضَافَةِ . وَكَانَهُمْ
كَانُوا يُدِيرُونَهُ عَلَى الْخَصْلَتَيْنِ (٣) ، فَأَخَذَ يَتَهَمُّ عَلَيْهِمْ وَيُحْكِي مَقَالَتَهُمْ ،
وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْخَلِيلِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى
الرَّحْمَنِ عُتْيًا (٤) ﴾ ، قَالَ مَعْنَاهُ لَنَنْزِعَنَّ مِنَ الْمُتَشَابِعِينَ الَّذِي يُقَالُ لَعْتُوهُ أَيُّهُمْ
أَشَدُّ ؛ فَحَكِي . وَقَوْلُهُ :

* فَأَبَيْتُ لَا حَرَجٌ وَلَا مَحْرُومٌ (٥) *

وَإِذَا جَرَّرْتَ « إِمَّا إِسَارٍ » يَكُونُ حَذْفُ النُّونِ لِنَيْتَةِ الإِضَافَةِ ، وَالتَّقْدِيرُ :
هُمَا خُطَّتَا إِسَارٍ وَمِنَّةٍ . وَالْمَعْنَى لَيْسَ [لِي (٦)] إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْ خَصْلَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ
عَلَى زُعْمِكُمْ (٧) : إِمَّا اسْتِسَارٌ وَالتَّزَامُ مِنْتِكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ الْعَفْوَ ، وَإِمَّا قَتْلٌ وَهُوَ بِالْحَرِّ
أَجْدَرُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمَا يُخْزِيهِ وَيُكْسِبُهُ الذِّلَّ . فَهَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ هُمَا اللَّتَانِ أُشَارَ إِلَيْهِمَا

(١) هو امرؤ القيس . ديوانه ١٤ .

(٢) أنشد هذا البيت التبريزي وابن جني كذلك ، ولم ينسباه .

(٣) انظر مثيل هذا التعمير فيما مضى ، ص ٤٥ س ١٨ .

(٤) كذا وردت الآية بهذا الضبط في النسختين ، وهي قراءة الجمهور ، وانفرد حمزة
والكسائي وحفص بالقراءة بكسر العين والجيم والصاد في «عتيا» و«جثيا» وصليا .

انظر تفسير أبي حيان (٦ : ٢٠٨) . والكلام بعد هذه الكلمة إلى «أشد» ساقط من م .

(٥) للأخطل في ديوانه ٨٤ وسيبويه (١ : ٢٥٩) . وأنشده في المخصص (٨ : ٦٩ ،

١٦ : ١١٠) . وصدده :

* ولقد أبيت من الفتاة بمنزل *

(٦) هذه من م .

(٧) الزعم : مثلث الزاي ، كما في القاموس . وتكاد النسختان تجمعان على ضم الزاي في

كلم موضع ترد فيه هذه الكلمة ، كما هنا .

بقوله هما خطتان ؛ وقد ثلثهما بخطّة أخرى ذكرها فيما بعد . وفي هذا الكلام تهكم وهُزء . وقوله : « والقتل بالحرّ أجدر » يسمّى اعتراضاً لوقوعه بين ما عدّده من الخصال .

٦- وأخرى أصادي النفس عنها وإنها لمورد حزم إن فعلت ومصدر

المصاداة : إدارة الرأى في تدبير الشيء والإتيان به على أتقنه ، ومنه يقال : إنه لصدى مال ، إذا كان حسن القيام به . يقول : وهاهنا خصلة أخرى أداري نفسي فيها ، وأداورها عليها ، وإنها للموضع الذى يرده الحزم ويصدر عنه إن فعلت . وهذا إنما قسم الكلام هذه الأقسام لأنه رأى يبنون أمره عليها ، ولأنه نظر إلى جهتي الجبل فعلم أنه إن رضى الطريق التي عليها بنو لحيان لنفسه طريقاً كان فيها إحدى الحالتين : من الأسر أو القتل ، على ما كانوا يزعمون ويقولون . وإن احتمال للجهة الأخرى والحزم فيها ، لأن خلاصه منها ، كان أسراً ثالثاً . ثم اقتص ما فعله ^(١) . وقوله « وإنها لمورد حزم » اعتراض أيضاً ، لوقوعه بين قوله وأخرى أصادي النفس عنها ، وبين تبين كيفية مزاولته لها وشرحها .

٧- فرشت لها صدري فزل عن الصفا به جوجو عبل ومئن مخصر

الفرش : البسط ، ثم توسعوا فيه فقالوا : فرشته أسري ، وافترش لسانه فتكلم كيف شاء . وقوله « لها » الضمير للخصلة التي عبر عنها بقوله « وأخرى » . يقول : فرشت من أجل هذه الخطة صدري على الصفا . وهذا حين صب العسل فزلق [به] عن الصفا . أي بصدري صدر ضخم ومئن دقيق ، والصدر والمئن صدره ومئنّه ، ولكن أخرجه مخرج قولهم : لقيت بزيد الأسد ^(٢) ، وزيد هو

(١) م : « على ما فعله » .

(٢) هذا مما يسميه البلاغيون « التجريد » ، ويسمون الباء في مثل هذا بـاء التجريد .

الأسد عندهم . وَوَضَعَ فرشت موضع أَلْقَيْتَ ووضعت . ويقال : فرشتُ ساحتي بالآجر ، وافرشت الشاة للذبح إذا أضجعتها . وذكر بعضهم أنه يجوز أن يكون الضمير من « لها » للصفة ، والكلمة مقلوبة ، والمعنى فرشتها لصدري . وفي هذا إضمارٌ قَبْلَ الذِّكْرِ والقلب ، وإذا كان كذا فالأوَّلُ هو الوَجْه .

٨- فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لِمِ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهٍ كَدْحَةً وَالْمَوْتَ خَزِيَانٍ يَنْظُرُ

انخلط أصله تداخل أجزاء الشيء في الشيء ، وقد توسع فيه حتى قيل : رَجُلٌ خَلَطٌ (١) ، إذا اختلط بالناس كثيراً . وجاء في الحديث : « لا خِلاطَ ولا وِرَاطَ » ، وفي المثل : « ليس أوَانُ يُكْرَهُ الخِلاطُ » . يقول : أَسْهَلْتُ ولم يؤثر الصفا في صدري أثراً ، لا خدشاً ولا خمشاً ، والموتُ كان طَمِعَ فِيَّ ، فلما رأني وقد تَخَلَّصْتُ بقي مُسْتَحْيِيًّا يَنْظُرُ ويتحير . والواو من قَوْلِهِ « والموت » واوُ الحال . وهذا من فصيح الكلام ، ومن الاستعارات المليحة . وقد نُجِلَ قولُ الله عز وجل : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ على أن يكون المعنى (٢) تتحيدون . وقد سَلَكَ أبو تَمَّامٍ مَسَلَكَ هذه الاستعارة فقال :

* إِنْ تَنْفَلْتِ وَأَنْوَفِ الْمَوْتَ رَاغِمَةً (٣) *

ويقال إنَّ الموضع الذي يقع عليه كان بينه وبين الطريق الذي عليه بنو لحيان أميالاً عِدَّةً . وقوله « يَنْظُرُ » يجوز أن يكون في موضع الحال ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر ، ويكون معناه في مقابلي . ويقال : بَيُّوتُهُمْ تَتَنَاطَرُ ، إذا تقابلت ، لأنَّ النَّظْرَ تَقْلِيْبُ الْعَيْنِ نحو المرئي وفي مقابله . لذلك صَحَّ أَنْ

• الخِلاطُ : مصدر
خَالَطَهُ يُخَالِطُهُ مُخَالَطَةً
و خِلاطاً ، إذا مازجه
وصنعه . يضى (صلى الله
عليه وسلم)
أن يخلط رجلاً أبله
بأبٍ غيره أو بقره أو
عنه لعلَّ فيما يجب
عليه من الزكاة . وذلك
أن يكون ثلاثة نفر
مثلاً لك واحد أربعون
شاة ، فقد وجب على
كل واحد منهم شاة ،
فإذا أتاهم المصدق ،
جمعوها لئلا يكون
عليهم فيما إلا شاة -
واحدة .
والوراط : الخديعة
في العثم وهو أن
يجمع بين متفرقين أو
يفرق بين مجتمعين ،
وقيل غير ذلك .

(١) كذا ضبط في الأصل ، وضبط في م بضم الحاء واللام ، وهما لغتان صحيحتان .
ولغة ثالثة « خلط » بكسر الحاء . وشاهد الأخير في اللسان قوله :

وأنت امرؤ خلط إذا هي أرسلت يمينك شيئاً أمسكته شمالكما

(٢) م : « بمعنى » . (٣) م : « إن تنقلب » . وصجزه في الديوان ٩٨ :

* فاذهب فأنت طليق الركض يا لبد *

يقال للأعمى : نَظَرَ إِلَيَّ ، ويجوز أن يكون معنى يَنْظُرُ يَعْلَمُ حُسْنَ حِيلَتِي
وَعَنَائِي فيما يَدَهْمُنِي . وفُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ،
أي يعلمون ذلك ويتيقنون . وقوله « لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا » قيل الكدح
بالأسنان والحجر دون الكدم ، ومنه قيل المكدح المكدم في حمار الوحش ،
لتمضيض بعضها بعضاً . وقوله « خَزَيَانُ » يجوز أن يكون من الخزي :
التهوان ، ويجوز أن يكون مِنَ الْخَزَايَةِ : الاستحياء .

٩ - فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكْ آيِبًا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِرُ (١)

يقول : رجعتُ إلى قبيلتي فهمٍ ، وكذتُ لا أووبُ ، لأني شافهتُ
التلفَ . ويجوز أن يُرِيدَ : ولم أَكْ آيِبًا في تقديرهم وظنهم . واختار بعضهم (٢)
أن يُرَوَى : « فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كَذْتُ آيِبًا » وقال : كذا وجدته في أصل
شِعْرِهِ . قال : ومثله في أَنَّهُ رَدَّ إِلَى الْأَصْلِ وَوَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ (٣) مَوْضِعَ
الْفِعْلِ قَوْلُ الْآخِرِ :

أَكْثَرْتُ فِي الْعَدْلِ مُلِحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنِ إِنِّي عَسَيْتُ صَامِمًا (٤)

• الغوير : تصفير غار ،
وهي المغارة ، الحجر الذي
يأوي إليه الوحش .
والأبوس : جمع بؤس ،
وهي الشدة .

والمثل السائر : « عَسَى الْغُوَيْرُ أَبْوَسًا » . ولا أدري لم اختار هذه الرواية ؟
الآن فيها ما هو مرفوض في الاستعمال شاذٌ ، أم لأنه غلبَ في نفسه أن الشاعرَ
كذا قاله في الأصل ؟ وكلاهما لا يُوجِبُ الاختيار . عَلَى أَنِّي قَدْ نَظَرْتُ فَوَجَدْتُ

(١) مثلها ، ضبطت في الأصل بالجر ، وفي م بالرفع . وفي الخزانة (٣ : ٥٤١) أنه يروى
بالجر والرفع والنصب . فالجر على أن كم خبرية ، والنصب على أنها استفهامية ويكون مثلها صفة
لنكرة محذوفة تقديره كم مرة مثلها ، والرفع على معنى كم مرة وقع مثلها .
(٢) هو ابن جني في التنبيه على الحجاسة . قال التبريزي : « وتكلم المرزوقي على اختيار
أبي الفتح هذه الرواية رادا عليه ولم ينصفه » .

(٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « اسم النعل » . والذي في التنبيه : « فاستعمل
الاسم الذي هو الأصل ؛ المرفوض الاستعمال ، موضع الفعل الذي هو فرع » .
(٤) في الخزانة (٤ : ٧٩) : « نسب إلى ربيعة بن العجاج ولم أجده في ديوان رجزه »

أبا تمامٍ قد غيّر كثيراً من ألفاظ البيوت التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، ولعله لو أنشَرَ اللهُ الشعراء الذين قالوها لتبعوه وساموا له . ويروى : « ولم آلُ آيباً » والمعنى لم أدع جهدي آيباً وفي الإياب . والأوّل أحسن . وكَمِثْلِهَا ، أي كم مثل هذه الخطة (١) فارتقتها بالخروج منها ، وهي مغلوبة تَضْفُو (٢) وأنا الغالب . وصنير الطائر معروف ، ومنه ما في الدار صافراً ، أي ذو صنير .

١٢

وَقَالَ أَبُو كَبِيرِ الْهُذَلِيِّ (٣) :

١٥- وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمِغْشَمٍ جَلِدٍ مِنَ الْفِثْيَانِ غَيْرِ مُثَقِّلٍ (٤)

يقال مَرَى يَسْرِي سُرَى ، وَأَسْرَى إِسْرَاءً بِمَعْنَى ، وَهُوَ سَيْرُ اللَّيْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ . وَعَلَى الظَّلَامِ ، أَي فِي الظَّلَامِ مَوْضِعَهُ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ . وَيُقَالُ فَعَلْتُهُ ظَلَامًا وَلَيْلًا فِي مُقَابَلَةِ فَعَلْتُهُ نَهَارًا . وَيَقُولُونَ : عَمَّ ظَلَامًا وَعَمَّ صَبَاً ، وَهَذَا كَمَا جَعَلُوا فِي مُقَابَلَةِ الْيَوْمِ اللَّيْلَةَ . وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ عَلَى الظَّلَامِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَي وَأَنَا عَلَى الظَّلَامِ ، أَي رَاكِبٌ لَهُ . يَقُولُ : وَلَقَدْ سَرَيْتُ لَيْلًا بِرَجُلٍ غَشُومٍ قَوِيٍّ مِنَ الرَّجَالِ غَيْرِ مَنْسُوبٍ إِلَى الثَّقَلِ وَالْكَسَلِ فِي الْأُمُورِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِذَا كَانَ الشَّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا لَيْلًا

(١) وفي التنبيه : فأنت المثل حملا على المعنى ، لما كان المراد به الحال والصورة التي ذكرها .

(٢) الضغاء : صوت الذليل المقهور . م : « تصفر » . وانظر بيت جرير في ص ٦٦ .

(٣) اسمه عامر (أو عويمر) بن الحليس ، وهو مخضرم ذكره بعضهم في الصحابة .

الشعراء والشعراء بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ٦٥٢ والإصابة والخزانة (٣ : ٤٦٦ - ٤٧٣ / ٤) :

١٦٥ - ١٦٧) والمعنى (٣ : ٥٤ - ٥٧) واللائي ٣٨٧ . قال التبريزي : « أحد بني سعد بن هذيل » .

(٤) قصيدة هذه المقطوعة في ديوان الهذليين (٢ : ٨٨ - ١٠٠) .

فلم قال على الظلام ، ولم جاء في القرآن : ﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ و : ﴿ فَأَسْرَى بِعِبَادِي لَيْلًا ﴾ ؟ قلت : المراد تَوَسُّطُ الليل والدخولُ في معظمه ، تقول : جاء فلانُ البَارِحَةَ بِلَيْلٍ ، أي في معظمِ ظُلْمَتِهِ وَتَسَكَّنَ ذلكَ الوقتِ من لَيْلَتِهِ .
والجلدُ : الضَّلبُ القويُّ ؛ ومنهُ الجلدُ من الأرضِ . وإنما قال « مِغْشَمٌ » لأنه جَعَلَهُ كَالآلَةِ في الغَشْمِ ، ومِفْعَلٌ بناءٌ لهذا المعنى ، ويريد به تَأَبَّطُ شَرًّا .
وكان لأبي كبيرٍ مَعَهُ قِصَّةٌ معروفةٌ (١) ، والأبياتُ مَقْصُورَةٌ عليها ، وناطقةٌ بها أو بأكثرها . والغَشْمُ والاعتِسَافُ يتقاربان . ويقالُ غَشِمَ الوالي رَعِيَّتَهُ غَشْمًا . وفي كلام بعضهم : « أَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ من سلطانِ غَشُومٍ » . ويجوز أن يكون معنى « غَيْرِ مُثْقَلٍ » أي كان حَسَنَ القَبُولِ ، مُحِبِّبًا إلى القلوبِ .

٢ - مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النُّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلٍ

قوله : وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ « حكايةُ الحالِ وإن كان ذلكَ فيما مضى . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . وَيُرْوَى : « مِمَّا حَمَلْنَ بِهِ » أي هو من الحَمْلِ الذي حَمَلْنَ بِهِ . والضميرُ في حَمَلْنَ للنساءِ ولم يَجْرَ لهنَّ ذِكْرٌ ، ولكن لما كان المرادُ مفهومًا جازَ إضمارها . وَيُرْوَى : « مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ » ، والمعنى : هذا الفتى من الفتيان الذين حَمَلَتْ أمهاتهم بهم وهُنَّ غيرُ مستعدَّاتٍ للفراشِ ولا واضعاتٍ ثِيَابِ الحَفْلَةِ (٢) فَنَشَأَ مَحْمُودًا مَرَضِيًّا ، لم يُدْعَ عَلَيْهِ بِالهَبَلِ

• تحببت المرأة
بنطاقها؛ شدته في
وسطها.

(١) كان أبو كبير قد تزوج أم تابط شرأ ، وكان تابط شرأ يدي الكراهة لأبي كبير ويرتاب به وهو صغير ، فلما كبر وترعرع خشى أبو كبير بأسه فاحتال ليقتله وخرج به في غزوة ودفع به إلى بعض الأعداء ولكنه تمكن من الفتك بهم ، ثم حاول أبو كبير أن يقتاله في نومه فكان يخبئه بأن يرمي بحصاة إليه فيهب من نومه سريعاً ، فعل ذلك مراراً إلى أن عرف أنه لا يمكن اغتراره في نومه ، وكف عن عزمه ، وقال في ذلك ما قال . انتهى ملخصاً من التبريزي .

(٢) الحفلة : الاحتفال والجد ، يقال رجل ذو حفلة إذا كان مبالناً فيما أخذ فيه ، وأخذ للأمر حفلة إذا جد فيه . يقول : غير متبدلات ملقيات ثيابهن .

وَالشَّكْلُ (١) . وَإِنَّمَا قِيلَ : مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ ، لِأَنَّهُ رَدَّ الضَّمِيرَ عَلَى لَفْظِ مَنْ ، وَلَوْ رَدَّ عَلَى الْمَعْنَى لَقَالَ بِهِمْ . وَفِي الْقُرْآنِ فِي مَوْضِعٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ، وَفِي آخَرَ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ . وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُنَجِبَ الْمَرْأَةَ فَأَغْضِبِهَا عِنْدَ الْجَمَاعِ . وَأَنْشُدُ :

تَسَنَّمْتُهَا غَضَبِي فَجَاءَ مُسَهَّدًا وَأَنْفَعُ أَوْلَادِ الرَّجَالِ الْمُسَهَّدُ

وَكَذَلِكَ يُقَالُ فِي وَلَدِ الْمَذْعُورَةِ : إِنَّهُ لَا يُطَاقُ . وَالْحُبُّكَ : الطَّرَائِقُ . وَالنُّطَاقُ : مَا تَشَدُّ (٢) الْمَرْأَةُ فِي حَقْوِهَا . وَالرَّوَايَةُ : « حُبُّكَ الثِّيَابِ » ، لِأَنَّ النُّطَاقَ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدُ فِي صِفَةِ أُمِّ الْمَغْشَمِ فَتَكَرَّرَ ، وَلِأَنَّ النُّطَاقَ لَا يَكُونُ لَهُ حُبُّكَ وَطَّرَائِقُ . وَوَاحِدُ الْحُبُّكَ حَبِيكُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْحُبُّكَ ﴾ . وَقَالَ الْبَاهِلِيُّ : الْحُبُّكَةُ وَالْحَبَّاكُ : الْإِزَارُ أَيْضًا . وَقَدْ احْتَبَكْتَ الْمَرْأَةَ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُهَبَّلَ : الْمَعْتَوَى الَّذِي لَا يَتَمَسَّكُ (٣) فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ مِنَ الْإِسْرَاعِ ، يُقَالُ جَمَلٌ هَبِلٌ (٤) .

٣ - وَمَبْرَأٌ مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مَرْضِعَةٍ وَدَاءِ مُعْضِلٍ (٥)

غُبْرُ الْحَيْضِ وَغُبْرُهُ : بَاقِيهِ قَبْلَ الطَّهْرِ . وَكَذَلِكَ غُبْرُ اللَّبَنِ : بَاقِيهِ فِي الضَّرْعِ . وَتَزْوُجَ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ بِامْرَأَةٍ (٦) مُسِنَّةٌ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : « لَعَلِّي أَتَغَبَّرُ مِنْهَا وَلَدًا » . وَالْحَيْضَةُ وَالْحَيْضُ وَاحِدٌ . وَالغُبْرُ يَكُونُ جَمْعَ غَابِرٍ أَيْضًا . وَلَمْ يَرْضَ بِلَفْظِ التَّبْرُثَةِ حَتَّى أَتَى بِلَفْظِ الْكَلِّ مَعَهُ تَأْكِيدًا ، كَأَنَّهُ نَفَى قَلِيلَ ذَلِكَ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي م . وَضَبَطَ فِي الْأَصْلِ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ لَفْتَانُ .

(٢) م : « مَا تَشَدُّ » . (٣) م : « يَتَمَسَّكُ » .

(٤) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلَيْنِ . وَيُقَالُ أَيْضًا : هَبِلَ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ .

(٥) حَيْضَةٌ ، بِكَسْرِ الْهَاءِ فِي النُّسَخَتَيْنِ فِي مَتْنِ الْبَيْتِ وَشَرْحِهِ ، وَفِي اللِّسَانِ أَنَّهُ الْأَسْمُ

مِنَ الْحَيْضِ ، وَأَمَّا الْحَيْضَةُ بِالْفَتْحِ فَاسْمُ الْمَرَّةِ مِنْهُ .

(٦) م : « امْرَأَةٌ » .

وكثيره . وأضاف الفساد إلى المرُضعة لأنه أراد الفساد الذي يكون من قبلها .
 وهم يُضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة . ويروى « مبرأ » بالنصب والجر ،
 فإذا نصبته فإنه ينعطف على « غير مُهَبَّل » ، كأنه قال : شَبَّ في هاتين الحالتين .
 وإذا جَرَرْتُهُ ينعطف على قوله « جَلِدِ من الفتيان » كأنه بِمِغْشَمِ جَلِدٍ ومبرأ .
 والمعنى أن الأم حَمَلت به وهي طاهرٌ ليس بها بَقِيَّةُ حَيْضٍ ، ووضعتُه ولا دَاءَ به
 استصحبه من بطنها فلا يقبلُ علاجًا ، لأن داءَ البطن لا يفارق . ولم تُرَضِعْهُ
 أمُّهُ غِيلاً ، وهي أن تَسْقِيَهُ وهي حُبْلَى بعد ذلك . ويروى عن أمِّ تَابِطَ شَرًّا
 قالت : « ما وضعتُه يَتَنَّا ، ولا أرضعته غِيلاً ، ولا أبنتُه مَتِيقًا ، ولا رأيتُ
 بنفسي دَمًا . ولقد حَمَلتُ به في لَيْلَةٍ مظلمة وتحت رأسي سَرِجٌ ، وعلى أبيه
 دِرْعٌ » . وإنما تريد بهذا الكلام الآخر (١) ما تقولُ العربُ من أن المرأة إذا
 أَكْرَهَتْ على الوطء ، أو وُطِئَتْ وهي مدعورة ، أنجبت وأذْكَرَتْ . الداء
 المُعْضِلُ : الذي لا دواء له كأنه أعضل الأطباء وأعيامهم ، وأصل العَضْلُ المنع ،
 ومنه عَضَلَتِ المرأةُ إذا نَسِبَ ولدها في بطنها فلم يخرج . وعَضَلْتُهَا : منعها
 التزويج ظلما .

• تَنَّتْ كما ملَّتَيْنِ يَتَنَّا .
 وضعت ولدها منكوساً ،
 فخرصت رجلاه قبل رأسه
 ويديه ، فيقال وضعتُه
 يَتَنَّا .
 والمثاق : الباسي ، من
 المأقاة ، وهو شبه الفواق
 يأخذ الإنسان كأنه نفس
 يعلو من الصدر عند
 البكاء والنشيج .

والسرج : الرَّحْلُ ، وهو
 ما يوضع على ظهر البعير
 للركوب .

ع - حَمَلتُ به في لَيْلَةٍ مَزُودَةٍ كَرَهَا وَعَقَدُ نِطَاقِهَا لَمْ يَحْلَلِ

الزَّادُ (٢) : الذَّعْرُ ، وقد زُودَ فهو مَزُودٌ . والمعنى حَمَلتُ الأمُّ بهذا المِغْشَمِ . ويروى
 « مَزُودَةٌ » بالنصب على الحال للمرأة ؛ ويروى « مَزُودَةٌ » بالجر ، ويجوز فيه
 وجهان : أحدهما أن تجعله صفةً لِللَّيْلَةِ ، كأنه لما وقع الزُّوْدُ والذَّعْرُ فيها جعله
 لها ، والأكثر في المجاز والاتساع أن يُنسب الفعلُ إلى الوقت فيؤتى به على أنه
 فاعل ، كما قيل : نهاره صائمٌ ، وليله قائمٌ . وحسن هذا لأن الظرف قد بقدر

(١) م : « الأخير » .

(٢) يقال زاد بالفتح والتحرك ، وزود بالضم ، وزوود كسرور .

تقدير المفعول الصحيح ، بأن يُنزع منه معنى في ، كما قال الشاعر :

* وَيَوْمَ شَهِدْنَا سَلِيماً (١) *

فعل ذلك تقول شُهِدَتِ اللَّيْلَةُ ، وَزُيِّدَتِ اللَّيْلَةُ ، وليلة مشهودة ومنه وودة . ويجوز أن يكون انجراره على الجوار ، وهو في الحقيقة للمرأة ، كما قيل : هذا جُحْرٌ ضَبَّ خَرَبٍ . وهذا الميلهم إلى الحمل على الأقرب ، ولأمنهم الالتباس . وانتصاب « كَرِهًا » على أنه مَصْدَرٌ في موضع الحال ، والتقدير كارهةً . ومعنى البيت بما تقدم ظاهر . وقوله : « عَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحَلَّلْ » ، ابتداء وخبر ، والواو للحال . وأظهر التضعيف في قوله لَمْ يُحَلَّلْ ، وهو لغة تميم ، ووجه الكلام لَمْ يُحَلَّلْ . والنطاق : ما تَنَطَّقَ به المرأة : تشدُّ به وَسَطَهَا للعمل .
• النكة : رباط المراويل . قال الأصمعي : كن في القديم ينتظن بخيطٍ أو تِكَّةٍ . وذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه . والمنطقة أُخِذَتْ من هذا . والمعنى أُكْرِهَتْ ولم تحلَّ نطاقها . وحكي عنها في وصف ابنها قالت فيه : « إِنَّهُ وَاللَّهِ شَيْطَانٌ ، مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ مُسْتَقِيلاً وَلَا ضَحِكاً وَلَا هَمَّ بِشَيْءٍ مِنْذُ كَانَ صَبِيّاً إِلَّا فَعَلَهُ ، وَلَقَدْ حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ وَإِنَّ نِطَاقِي لَشَدُودٌ (٢) » .

٥ - فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مَبْطَنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوْجَلِ

حُوشُ الْفُؤَادِ وَحُوشِيُّ الْفُؤَادِ : وَحْشِيَّةٌ ، لِحَدِّثِهِ وَتَوَقُّدِهِ . وَرَجُلٌ حُوشِيٌّ : لَا يُخَالِطُ النَّاسَ . وَلَيْلٌ حُوشِيٌّ : مُظْلِمٌ هَائِلٌ ، وَكَذَلِكَ إِبِلٌ حُوشٌ وَحُوشِيَّةٌ أَيْ وَحْشِيَّةٌ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : لَيْلٌ سُخَامٌ وَسُخَامِيٌّ : أَسْوَدٌ . وَقِيلَ : الْحُوشُ :

(١) كلمة « سليما » ليست في م . والبيت بتمامه كما في سيبويه (١ : ٩٠) والكامل

٢١ ليسك :

ويوم شهدناه سليما وعامراً قليل سوى الطعن النبال نوافله

ورواية المبرد وابن جني : « ويوما » .

(٢) كذا في م والتبريز . وفي الأصل : « مشبود » .

بلاد الجن . مبطنًا : خميص البطن (١) . وقوله « نامَ ليلُ الهَوْجَلِ » ، جعل الفعل لليل ، لوقوعه فيه . والمعنى نام الهَوْجَلُ في ليله . والهَوْجَلُ : الثقل الكَسْلَانُ ذو الغفلة . يقول : أنت الأمُّ بهذا الولد متيقِّظًا حذرًا ، حديدَ الفؤاد ذَكِيًّا ، يَسَهْرُ إِذَا نامَ الثَّقِيلُ البليد . والشَّهاد والشَّهْد (٢) : السَّهْر . وَرَجُلٌ سُهْدٌ وَمُسَهَّدٌ . ويقولون للملذوغ : سَهْدُوهُ لا يَسِرْ فيه السَّم . وقيل الهَوْجَلُ : الأحق لا مُسَكَّةَ به . قالوا : وبه سُمِّيَ الفَلَاةُ لا أعلامَ بها ولا يُهْتَدَى فيها : الهَوْجَلُ .

٦- وَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ فَرِحًا لَوْقَعَتِهَا طُمُورَ الْأَخْيَلِ (٣)

يقال : نبذتُ الشيءَ من يدي ، إذا طرحته ، وتوسَّعوا فيه فقبل صبيٌّ منبوذٌ ، ونابذتُ فلانًا ، إذا فارقتَه عن قَلْبِي . والحصى : صغار الحجارة (٤) . والشاعر إنما يحكي ما رآه منه ؛ وذلك أن أبا كبير ذكر أنه كان أراد أن يفتاله ، وكان يطلبُ منه فرصةً ينتهزها في نومِهِ أو غَفْلَتِهِ مع أنه كان لا يجترئُ عليه ، فكان يَرُوزُ أحواله ليتمكَّن من صراجه فيه . والمعنى إذا رميته بحصاةٍ وهو نائمٌ وجدته ينتبه انتباهً مَنْ سَمِعَ بوقعها هَدَّةً عظيمةً ، فيطمُرُ طُمُورَ الْأَخْيَلِ ، وهو الشَّقْرَاقُ . وانتصاب « طُمُورَ » بما دلَّ عليه قوله « فَرِحًا لَوْقَعَتِهَا » ، كأنه [رأيتَه] (٥) [يَطْمُرُ طُمُورَهُ ؛ لِأَنَّ الخائفَ المتيقِّظَ يفعل ذلك . والطُمُورُ : الوَثْبُ ؛ ومنه قيل فرَسٌ طِمْرٌ ، أي وثابٌ . وذكر أبو العباس أن الطِمْرَ في وصف الفرسِ

• الشَّقْرَاقُ : طائرٌ صغيرٌ
قد رُهِدَ بِرَقَطٍ
بخصرةٍ وحمرةٍ وبياضٍ ،
والعربُ تتشائمُ به .

(١) ابن جني : « قوله مبطنًا من ألفاظ السلب لا الإثبات . وأصل هذه الأحرف وهي بطن أن تجيء لإثبات البطن ، كالبطن والبطين والمبطان ونحو ذلك . ومبطن هنا أي خميص البطن ، فهو من سلب ذلك المعنى لا إثباته . »

(٢) ويقال سهد بالضم ، وسهاد كذلك .

(٣) رواه التبريزي : « ينزو لوقعها » ، ثم نبه في الشرح على رواية : « فرحًا

لوقعها » .

(٤) م : « ضعاف الحجارة » . (٥) هذه من م .

هو المُشْرِفُ ، ومنه قيل للموضع العالي : طَمَارٍ . وفزيرًا انتصابه على الحال ،
وجواب إذا قوله رأيتَهُ . وقال بعضهم : الأَخِيلُ : الشاهينُ . ومنه قيل
تَخَيَّلَ الرَّجُلُ ، إذا جَبُنَ عند القتال فلم يَتَثَبَّتْ . والتَّخَيَّلُ : المُضِيُّ
والشَّرْعَةُ والتلَوْنُ .

٧ - وإذا يَهَبُّ من المنامِ رأيتَهُ كَرْتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمَلٍ

أصلُ هَبَّ تَحَرَّكَ واضطرب ، ثم قيل هَبَّ من نَوْمِهِ هَبًّا^(١) ، وهَبَّتِ
الريحُ هُبُوبًا ، وهَبَّتِ النَّافَةُ في سيرها هَبَابًا ، وهَبَّ التَّيْسُ هَبِيْبًا . وأهْبَيْتُ
السَّيْفَ : هَزَزْتُهُ . يقول : إذا استيقَظَ هذا الرَّجُلُ من منامه انتصب في
مضجعه سريعًا كانتصاب كَعْبِ السَّاقِ في الساق ، وهو ليس بضعيفٍ .
وإنما يعني شهامته وتشمُّره في تلك الحالة . وكَعْبُ السَّاقِ مُنْتَصِبٌ أَبَدًا في
موضعه ، فلذلك شَبَّهَهُ به . والرَّاتِبُ : القائمُ ، ومنه المراتب . وتحقيق الكلام :
وإذا يَهَبُّ رأيتَ رُتُوبَهُ كَرْتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ ، لكنه حذف المضاف وأقام
المضاف إليه مقامه . وهذا التَّشْبِيهُ يجري مجرى التصوير . والزُّمَلُ والزُّمَالُ
والزُّمَيْلَةُ ، كله الضَّعِيفُ ، واشتقاقه من التَّلْفِيفِ كأنه متساقطٌ لا مُتَشَمَّرٌ مُتَجَرِّدٌ .

٨ - ما إن يَمَسُّ الأَرْضَ إِلا جَانِبٌ منه وحرَفُ السَّاقِ طَيِّ الحِمَلِ

إن ، زيد لتوكيد النفي ، ويبطلُ عمل « ما » بانضمامه إليه في لغة من يُعْمَلُهُ .
وانتصب طَيِّ على المصدر مما دلَّ عليه ما قبله ، لأنه لما قال ، ما يمسُّ الأَرْضَ منه
إذا نامَ إِلا جانبُهُ وحرَفُ السَّاقِ ، عَلِمَ منه أن الرَّجُلَ مَطْوِيٌّ غيرَ سَمِينٍ ، وهَضِيمٌ
الكَشْحِ غيرَ ثَقِيلٍ . والمعنى أنه إذا نامَ لا يَتَبَسَّطُ^(٢) على الأَرْضِ ولا يتمكن
منها بأعضائه كلها ، ففعل من يُرْخِيهِ نَوْمُهُ وَيَتِمَكَّنُ منه ، حتَّى لا يكاد يَتَجَمَّعُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م .

(٢) م : « ينبسط » .

ويتشتر عند الانتباه إلا بعد مزاولته وتهيؤه يُعْمَلُهُ في كلِّ عضو . وهذا من أبياتِ كتابِ سيبويه^(١) . واحتجَّ به بقوله « طيَّ المحملِ » . وأراد بالمحمل حائل السيف ، وهذا كما يُقال : هو كالجديل ، وكالزمام . والمحمل والحِجَالَةُ بمعنى .

• الحِجَالَةُ : علاقة السيف .

٩ - وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوَى غَوَارِبَهَا هُوِيَّ الْأَجْدَلِ

قال الخليل : الفَجَّجُ : الطَّرِيقُ الواسع في قَبَلِ ^(٢) جَبَلٍ ونَحْوِهِ ، والجميعُ الْفِجَاجُ . وغَرِبُ كُلِّ شَيْءٍ : أعلاه ، ومنه غَرِبَ البعير . والشَّاعِرُ يحكي في هذا أيضاً عنه ما رآه منه عند استصحابه له ، فيقول : إِذَا وَجَّهْتَهُ فِي طَرْقِ الْجَبَلِ ^(٣) رَأَيْتَهُ يَقْصِدُ عَالِيَهَا قَصْدَ الصَّخْرِ . والهَوِيَّ بضم الهاء ، هو الْقَصْدُ إِلَى أَعْلَى ، وبفتح الهاء الْقَصْدُ إِلَى أَسْفَل . على ذلك قوله :

• أَسْلَمَهُ : خَذَلَهُ ، وَخَذَلَهُ

انقطاعه .

• والرَّشَاءُ : الجبل .

* هَوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهُ الرَّشَاءُ ^(٤) *

ولا تَخْتَرُ في رواية البيت على الضَّمِّ . وأنشد فيه قوله ^(٥) :

كَانَ هُوِيَّهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيْقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالِ ^(٦)

• الخَرِيْقُ : من أسماء الرياح .

ويروى : « مَخَارِمَهَا » . والمَخَارِمُ : جمع المَخْرِمِ ؛ وهو منقطعُ أنفِ الجبل . الباردة الشديدة الهبوب .

والمَخْرِمُ : أنف الجبل ، وجمعه خُرُومٌ . ومن فصيح كلامهم : « هذه يَمِينٌ طَلَعَتْ » والأعلام : جمع علم ، وهو

الجبل .

• أنف الجبل : ما نأى منه وخصص .

(١) كتاب سيبويه (١ : ١٨٠) .

(٢) ضبط في الأصل واللسان بضمين ، وليس بشيء . وقد ضبط في م بالتحريك .

والقبيل ، بالتحريك : سفح الجبل . وفي اللسان : « يقال انزل بقبل هذا الجبل ، أي بسفحه » .

(٣) م : « الجبال » .

(٤) الدلو ، تذكر وتؤنث . ويروى : « أسلمها » . والبيت لزهير في ديوانه

٦٧ . وصدوره :

* فشج بها الأماعز وهي تهوي * • شج : علا . والضمير في « بها »

(٥) هذا ما في م . وفي الأصل : « وأنشد قوله فية » .

(٦) للأعلم الهذلي . اللسان (خرق) .

• والأماعز : جمع أَمْعَزٍ ومَعْرَازٍ وهو المكان الفليظ الكثير الحمى .

في المحارمِ ، وهي التي تجعل لصاحبها منها مخرجا . والأجدل ، من جدل الخلق .

١٠- وإذا نظرت إلى أسيرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

الخطوط التي في الجبهة الأغلب عليها سرارٌ ويجمع على الأسيرة ، والتي في الكف الأغلب عليها سررٌ وسررٌ ويجمع على الأسرار . قال :

أنظر إلى كف وأسارها هل أنت إن أوعدتني ضائري (١)

وقد قيل : الأسيرة : الطرائق . يقول : إذا نظرت في وجه هذا الرجل رأيت أسارير وجهه تبرق وتشرق إشراق السحاب المتشقق بالبرق . يصفه بحسن البشر وتطلق الوجه في (٢) كل حال . والعارض : ما يعرض في جانب من السماء من السحاب . وعلى ذلك العارض في الأسنان ، ولهذا قيل العارضان لما يبدو من جانبيها . ويقال : تهلل الرجل فرحا ، واهتل ، إذا افتتر عن أسنانه في التبسم .

١٣

قال آخر ، ويقال إنها لتأبط شرا (٣) :

١- إنني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدق شمس بن مالك (٤)

لا يقال في الهدية إلا أهديت . ويقال في العروس : هديتها وأهديتها

(١) البيت للأعشى في ديوانه ١٠٧ واللسان (سرر) . وعجزه لم يرو في م . وهو في الأصل : « ضائر » بالروى المرفوع ، وهو خطأ .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية شرح هذا البيت ساقط من م .

(٣) عند التبريزي : « وقال تأبط شرا » . وقد سبقت ترجمة تأبط شرا في المقطوعة

١١ . وعبرة الإنشاد هذه وما بعدها من البيتين الأولين وشرحهما ساقط من م .

(٤) شمس ، بفتح الشين هي الرواية التي اعتمدها المرزوقي . وسيأتي تنبيهه على رواية

ضم الشين .

جميعاً . والأصل واحد ، لأنَّ المعنى على القصدِ والدلالة ، فيقول : إني أمدح ابنَ عمِّي الكريمِ الصادقِ في الودِّ شمس بن مالك ، بما أقصدُ به راغباً ، وأنفذهُ إليه مُتَحِفًا . والمعنى : إني في غيبتِي منه وحضورِي له ، مولعٌ بالثناءِ عليه ، فلا أُخْلِيهِ من المَدْحِ في الحالتين جميعاً . واللامُ في قوله : « لابن عمِّ الصدق » يجوز أن يتعلّق بمُهدٍ ، يقال : أهديتُ له كذا ، وعلى هذا تكونُ أَعْمَلَتَ الفِعْلَ الأوّل ، وما أهداهُ يكونُ محذوفاً لِعِلْمِ السامعِ بأنه يُريدُ شِعْرَهُ وتقريظَهُ . وكان الأجوذُ أن يقال فقاصدٌ إِيّاهُ به ، ويجوز أن يكونَ على قولٍ من يزيد « مِنْ » في الواجب (١) أن يكونَ قوله ثنائِي مفعولٍ مُهدٍ ، فيكونُ أهداهُ مذكوراً . ويجوز أن يتعلّق اللامُ بقوله فقاصدٌ ، يقال قَصَدْتُهُ بكذا وقَصَدْتُ له به . وعلى هذا تكونُ قد أَعْمَلَتَ الفِعْلَ الثاني ، وهو المختار إذا جَمَعْتَ بين فعلين عند أصحابنا البصريين ، ويُقال هذا ثوبٌ صِدْقٍ وأخو صِدْقٍ ، وُضِعَ الصِّدْقُ موضعَ الفضلِ والصَّلاحِ . والتسميةُ بالشمسِ كالتسميةُ بالبدرِ والهلالِ . وذكر بعضُ المتأخرين (٢) أنه يروى « شمسِ بن مالك » بضمِّ الشين ، قال : ويكونُ هذا في أنه عَلِمَ لهذا الرجلِ فقط ، كحَجَرٍ في أنه عَلِمَ أبي أوسٍ الشاعرِ ، وأبي سلمى في أنه عَلِمَ أبي زهير الشاعرِ . والأعلامُ لا مضايقة فيها .

(١) الأكثر في « من » أن تكون زيادتها بعد النفي ، كما في قوله تعالى : « ما جاءنا من بشير » . وفي التنبيه لابن جنّي : « وسيبويه لا يرى زيادة من في الواجب وأبو الحسن يراه ويحكى عن العرب في تصحيحه قولها : قد كان من مطر ، وقد كان من حديث فخل عني ، أي كان مطر وكان حديث » .

(٢) يعني بذلك ابن جنّي . ونصه في التنبيه : « ومن رواه شمس بضم الشين فيحتمل أن يكون جمع شمس سمي به ، منه قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدزوا

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام نحو معديكرب ... وغير ذلك مما غيّر عن حال نظائره لأجل العلمية الحادثة فيه . وليس في كلام العرب شمس عَلَمًا إلا هذا الموضع ، ولا في كلامهم حجر عَلَمًا إلا أبو أوس الشاعر ، ولا في كلامهم سلمى بضم السين إلا أبو زهير . ابن أبي سلمى » .

٢ - أَهْزُبُهُ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفُهُ كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ.

عِطْفُ كُلِّ شَيْءٍ : جَانِبُهُ . وَيُقَالُ ثَنَى عِطْفَهُ ، إِذَا أَعْرَضَ وَجَفَا . وَكَانَ الْقَوْسَ وَالرِّدَاءَ سُمِّيَا عِطْفًا لِاشْتِمَالِهِمَا عِنْدَ التَّوَشُّحِ بِهِمَا عَلَى الْعِطْفِ . يَقُولُ : أَحْرَكْتُ بِالثَّنَاءِ جَانِبَهُ كَمَا حَرَّكَ جَانِبِي بِعِطْفِيهِ ، أَي أَسْرُهُ بِذَلِكَ حَتَّى يَرْتَاحَ وَيَطْرِبُ كَمَا سَرَّنِي حَتَّى اهْتَزَزْتُ . وَالْهَجَانُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ الْكِرَامُ . وَالْأَوَارِكُ : الَّتِي رَعَتِ الْأَرَاكُ ، يُقَالُ أَرَكْتَ الْإِبِلَ فِيهِ أَرْكَةً . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : الْأَوَارِكُ الَّتِي تَرَعَى الْأَرَاكُ (ط) ، وَهُوَ نَبْتُ . وَالنَّدْوَةُ أَصْلُهُ الْجَمْعُ ، وَيُقَالُ نَدَّاهُمُ النَّادِي ، أَي جَمَعَهُمْ . وَانْتَدَى الْقَوْمُ وَتَنَادَوْا ، إِذَا تَجَمَّعُوا . وَمِنْهُ دَارُ النَّدْوَةِ . وَالنَّدِي : الْجُلُوسُ ، وَالْجَمِيعُ أُنْدِيَّةٌ . وَيَقَعُ لَفْظُ هَجَانٍ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، يُقَالُ نَاقَةٌ هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَانٌ ، وَمِثْلُهُ دِرْعٌ دِلَاصٌ ، وَدِرْوَعٌ دِلَاصٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِعَالًا وَفَعِيلًا يَتَشَارِكَانِ كَثِيرًا ، وَكَمَا جُمِعَ فَعِيلٌ فِعَالًا كَذَلِكَ جُمِعَ فِعَالٌ فِعَالًا . أَلَا تَرَى أَنَّ الْعِدَدَ وَالْوِزْنَ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَحَرْفُ الْمَدِّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ يَأْزَاءُ مَا فِي الْآخِرِ ؟ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ مُحْمَلٌ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ فِعَالًا إِذَا كَانَ جَمْعًا يُنْوَى بِحَرَكَاتِهِ وَأَلْفُهُ أَنَّهَا حَرَكَاتُ بِنَائِهِ وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ ، كَأَنَّ الْكِسْرَةَ فِي أَوَّلِ الْكِسْرَةِ الَّتِي فِي أَوَّلِ ظُرَافٍ وَكِرَامٍ ، لَا الْكِسْرَةَ الَّتِي فِي أَوَّلِ حِمَارٍ وَإِزَارٍ ، وَكَذَلِكَ أَلْفُهُ فَاعَلَمَهُ .

• الدلاص: اللين
البراق الأملس

٣ - قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُهْمِّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْمَهْوَى شَتَّى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ

الْمُهْمُّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْمِّ الَّذِي هُوَ الْحَزْنُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْمِّ الَّذِي هُوَ الْقَصْدُ . يَقُولُ : هُوَ صَبُورٌ عَلَى النَّوَائِبِ وَالْعَلَّاتِ ، لَا يَكَادُ يَتَأَلَّمُ

(١) كذا ضبط في الأصل بالفتح ، وضبط في التاموس بالكسر .

مما يَعْرُوهُ من المَهْمَاتِ . واستعمل لفظ القليل والقصدُ إلى نفي الكلِّ ، وهذا كما يقالُ فُلَانٌ قَلِيلٌ الاكترات بوعيدِ فُلَانٍ ، والمعنى لا يكثرث . وعلى ذلك قولهم : قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا ، وأقلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا . والمعنى معنى النفي ، وليس يرادُ به إثباتُ قليلٍ من كثير . فإن قيل : من أين ساغَ أن يُستعملَ لفظُ القليلِ وهو للإثباتِ في النفي ؟ قلتُ (١) : إنَّ القليلَ من الشيءِ في الأكثرِ يكونُ في حكمِ ما لا يُعْتَدُّ به ولا يُعْرَجُ عليه ، لدخوله بحفّةِ قدره في مَلَكَةِ الفناء ، والدُّروس والالتحاء ، فلما كان كذلك استعملَ لفظه في النفي على ما في ظاهره من الإثباتِ محترزين من الرد ، ومُجْمَلين في القولِ ، وليكونَ كالتعريضِ الذي أثره أبلغُ وأنكى من التصريح . وقوله : « كثيرُ الهوى » طابقَ القليلَ بقوله كثيرٌ ، من حيث اللفظ لا أنه أثبت بالأوّل شيئاً نَزْرًا فقابله بكثير . والمعنى أنه كثيرُ الهَمِّ مختلفُ الوجه والطرق ، لا يوقفُ منه على مَدَى غَوْرِهِ في الأمور ، ولا يَقِفُ به أمله على فنٍّ لا يتجاوزه (٢) إلى الفنون . ويريدُ بالهوى الجنسَ وكذلك الفوى ، وهي وَجْهَتُهُ التي بنويناها . ومثله قول الآخر :

عَلَى الحَدَثَانِ مَخْتَلِفُ الشُّوْنِ (٣)

٤ - يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ المَهَالِكِ

المَوْمَاةُ : المَفَاذَةُ ، ووزنه فَعْلَلَةٌ ، وجمعها مَوَامٍ . وإنما قال « يُمْسِي بِغَيْرِهَا » ولم يقل يبيت ، لأنَّ قصدهُ إلى أن يصفه بأنه يقطعُ في بياضِ نهاره مَفَاذَةً ، ولو قال يبيت لم يتبين منه ذلك . فيقول : يقطعُ المَفَاوِزَ لا اكتسابَ المكارم ، فتراهُ

(١) كذا ضبط بفتح التاء في النسختين في أشباه هذا الموضع .

(٢) م : « فلا يتجاوز » .

(٣) صدره عن التبريزي : * شديده مجامع الكتفين باق * .

يكون نهاره بمفازة فإذا^(١) أنى عليه المساء تجده في أخرى فريداً وحيداً — ويقال : حلَّ فلانٌ جحيشاً ، أي منفرداً — ويركبُ ظهور المَهالكِ والمعاطبِ غير مستصحبٍ رفيقاً ، ولا مستجمعٍ سلاحاً . وهذا كما يقال : أعموريتُ الفرسِ ، إذا ركبته عُرياً . وكانت طباعهم أن من كدَّ نفسه وابتذلها ، وتوحَّشَ في المهالكِ ولزِمَها ، وتعرَّضَ للمعاطبِ ولم يتوقَّها ، كان ذلك أدعى إلى ما يُنوءُ به ويميّزه عن رجالِ جنسِهِ . وانتصب « جحيشاً » على الحال ، وقولها بغيرها لا يجوز أن يكون مستقراً فاعلته .

٥- وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرَّيْحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدَّةِ الْمِتْدَارِكِ

قوله « من حيث ينتحي » يجوز أن يكون للممدوح ، ويجوز أن يكون لوفد الريح ، لأن المراد أنه يسبقه وإن أعطاه مهلةً . ومعنى ينتحي : يقصد . والشاعر إنما يصف خفته وتشمُّره وجده وتيقظه ، فيقول : من حيث اعتمد في السير جاء سابقاً للريح بعدو له واسع من عدوه . المتتابع . وجعل العدو منخرقاً^(٢) لاتساعه . والمتدارك : المتلاحق . ويقال : أدرك فلانٌ عدو من أصحابه ، أي لحقهم وشاهد أيامهم . وأخذ أبو تمام هذا فزاد عليه وإن كان في لفظة ركافة ، فقال :

فَمَرَّ وَلَوْ يَجَارِي الرِّيحَ خَيْلَتُ لِدَيْهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ فِي الْقِيُودِ^(٣)

٦- إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فَاتِكِ^(٤)

الكرى : النوم الخفيف ، وكأنه مأخوذ من كريت ، إذا عدوت عدواً

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « فإن » .

(٢) م : « متحركا » ، والصواب ما في الأصل .

(٣) يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي . وقبلة :

رأه العليج مقتحماً عليه كما اقتحم الغناء على الخلود

(٤) رواه التبريزي : « إذا حاص » ، وهي بمعنى خاط ، ثم نبه على رواية « خاط » .

شديداً . فقوله : « خاط عينيه » يريد مرّ فيه ، وليس يريد التمكّن منه حتى يجعل أجفانه كالمخيطه . ومنه قوله :

* حَتَّى تُخَيِّطَ بِالْبَيَاضِ قُرُونِي ^(١) *

وأضاف الكرمي إلى النوم كما يُضاف البعض إلى الجنس ، كأن النوم لجنس الفعل ، والكرمى لما كان على جهة مخصوصة . يقول : إذا نام النومة التي أشار إليها لم يزل له رقيبٌ وحافظٌ من قلب رجلٍ جادٍ في الأمور ، مفاجيٌ عريّض ، وهذا الرجل هو هو . كأنه يريد إذا نام عينه لا ينام قلبه . والشّيحان والشّائحُ والشّيحُ : الحذر الحازم . قال الهذلي :

* وشايحتَ قبلَ اليومِ أنكَ شيحٌ ^(٢) *

والفاتكُ : الذي يفاجي غيره بمكروهٍ أو قتلٍ . وفي الحديث : « الإيمان قيّد الفتك ^(٣) » . وقال الدرّيدي : هو الذي إذا همّ بالشيء ففعل .

٧ - وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَيْبَةً قَلْبِهِ إِلَى سَلَّةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقَ بِأَتِكَ ^(٤)

يُرْوَى :

إِذَا طَلَعْتَ أَوْلَى الْعَدِيِّ فَنَفْرُهُ إِلَى سَلَّةٍ ^(٥)

(١) ويروى : « تخييط » . والبيت لبدر بن عامر الهذلي ، في اللسان والمقاييس

(خيطة) . وصدده :

* تالله لا أنسى منيحة واحد *

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ١١٦ واللسان والمقاييس (شيخ) . وصدده :

* بدرت إلى أولاهم فسبقتهم *

(٣) ويروى : « قيّد الفتك » على المصدرية . وفي اللسان : « ومنه الحديث : أن رجلا

أتى الزبير فقال له : ألا أقتل لك عليا ؟ فقال : فكيف تقتله ؟ فقال : أفنك به . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قيّد الإيمان الفتك ، لا يفتك مؤمن » .

(٤) رواه التبريزي : « أخلق صائلك » ولم يفسر الصائلك ، وهو المتغير الريح . ثم

دروى رواية أخرى قال فيها : « وهي أسلم الروايتين » . وهي كما رواها :

إذا طلعت أولى العدي فنفره إلى سلة من صارم اللرب باتك

(٥) انظر الحاشية السابقة .

وهي أسلم الروائيتين . والمدِيُّ : الرَّجَالَةُ الَّذِينَ يَعْدُونَ قُدَّامَ الخيل . وهو اسم صيغ للجمع ، كالكلِّيب والضَّيْن . وعلى الرواية الأولى يقول : لا يَنْفُلُ قلبه عن التحفُّظ ، وعينه دَيْذَبَانُهُ إلى سلِّ سيفه . فإن قيل : كيف يكون العَيْنُ دَيْذَبَانُ القلب ، وهذا يقول إذا نام بعينه لم يَمِّمْ بقلبه ، أم كيف تصحَّ هذه الرواية وفيها يتكرَّر معنى واحد في مصراعَي البيتين ، وهل الواجب في هذا إلا أن يقال إن القلب هو دَيْذَبَانُ العين ، لأن العين نائمة والقلب منتبِّه ؟ قلت : إنَّه وصفَ حالتين ، بالمتقدِّم صِفَةُ حال النَّوم ، والثاني هو صِفَةُ حال اليقظة . والمعنى أن العين رقيب القلب ، والمنتظر لإظهار ما يكرهه وتغييره ، فإذا كره القلب شيئاً كان العينُ صاحبه الذي يُظهره ، فهو ربيئته إلى نزع السِّيفِ وتجريدِه ، وإنكارِه ما أنكره وتغييره . والأخلقُ : الأملس . والبانِكُ : القاطع . وقوله « إلى سلة » يجوز أن يكون إلى بمعنى مع ، كما تقول هذا إلى ذلك ، أى مع ذلك ، ويجوز أن يكون المعنى أنها ربيئته إلى أن يستلَّ سيفه ، وبعد ذلك فالعملُ للقلب ، ويكونُ إلى للاتِّهاء . وقوله : « من حدَّ أخلق » فيه توسُّع ، لأن السِّيفَ بُسِّتِلَ من الغمِّدِ فيصير مسلولاً . ألا ترى قوله :

إذا سُلَّ من جَفْنٍ تَأْكُلُ أَثْرُهُ • المصاة : إناء للشراب
من الفضة ، وجمع
مصاح .
على مثلِ مصحاة اللجَّينِ تَأْكُلُ (١)
وهذا جعل الجفن مسلولاً والسيف مسلولاً منه . ألا ترى قوله : « إلى سلة من حدَّ أخلق » ، فهو في ذلك كقولهم : أدخلت الخفَّ في رجلي ، والقانسوة في رأسي .

٨ - إذا هزَّه في عَظْمٍ قَرْنٍ تَهَلَّتْ نواجذُ أفواهِ المنايا الضواحيك
مثله قول الآخر :

• القرن : المثل في
الشجاعة والشدة .

سقاء الردى سيف إذا سُلَّ أو مضت إليه ثنايا الموت من كلِّ مرقب

وإن كان هذا وصفَ السيفِ وقوَّةَ صاحبه في الضرب . والمعنى أنه متى حرَّكَه في الضريبة ضحك الموتِ علماً بظفره بالضروب . وذِكْرُ التهليلِ والناجذِ مثلُ وتصويرُ المراد . وقوله « المنايا الضواحك » . أي التي من شأنها أن تضحك عند الظفر بمطوبها ، وإنما قال « في عَظْمِ قِرْنِ » إيداناً بأنَّه لا يتعرَّضُ له إلا من يقارنه بأساً وشدةً ، وكذلك هو لا يُعملُ هذا السيفَ إلا في عَظْمٍ من يقارنه حَزْماً ونَجْدَةً . ونسبَةُ التهليلِ إلى النواجذِ مجازٌ وسَعَةٌ ، وهذا كما يقال سُرَّ فلانٌ بكذا حتى صار لكلِّ سِنٍّ له ضحكٌ . وقد سُمِّيتُ ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك .

٩- بَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسَ الْأَنْسَ وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

قوله : « يرى الوحشة الأنس » أي ذلك مذهبه . وهذا كما يقال هو يرى رأي أبي حنيفة ، أي يذهب مذهبه . فيقول : أنسُ هذا الرجلُ التامُّ في التفرُّدِ الذي يعدُّه غيره وحشةً . وإتباعه الأنسَ الأنيسُ تأكيدٌ وإظهارٌ للمبالغة . وهذا كما قيل : ظلٌّ ظليلٌ ، وداهيةٌ دهيةٌ . وهم يبنون من لفظ الشيء ما يتبعونه به طريق التأكيد . وقوله : « يهتدي بحيث اهتدت » يصفُ علمه بالطُّرُقِ واستغناءه عن الدليل . وقد قيل في « أمِّ النجومِ » إنه الشمسُ ، وقيل هو المجرَّةُ . والمعنى أنه يهتدي بحيث تهتدي الشمسُ . ويُسمَّى معظمُ الشيء أمَّهُ . والشمسُ أعظمُ الكواكبِ . ويسمَّى جامعُ الأشياءِ أمَّها ، يُعنى^(١) أنها تأوي إليه . والشَّوَابِكُ : المشبَّكةُ . وإذا جعلت أمَّ النجومِ المجرَّةَ فيجوز أن يكون المعنى أنه يهتدي بالكواكب التي تجمعها ، فجعل الفعل لها لاجتماعها فيها . ويجوز أن يكون المعنى أنه يستغني عن الدليل كما تستغني تلك .

١٤

قال بعض بني قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لبشامة بن جزء (ج) النهشلي :

١ - إنا مَحْيُوكِ يا سَلْمَى فَحْيِينَا وإن سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا

يقول : إنا مُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ أَيَّتْهَا الْمَرْأَةُ فِقَابِلِينَا بِمِثْلِهِ ، وإن خَدَمْتَ الْكِرَامَ وَسَقَيْتِهِمْ فَأَجْرِينَا مُجْرَاهُمْ فَإِنَّا مِنْهُمْ . والأصل في التحية أن يقال حَيَّاكَ اللَّهُ ، ثم اسْتَعْمِلَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الدُّعَاءِ عِنْدَ اللِّقَاءِ . وأما قوله :

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْقَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَةَ (ج)

فالمراد به تحية الملوك خاصة ، وهو قولهم : أبيت اللعن ! وقيل في سَقَيْتِ إِنْ مَعْنَاهُ : إِنْ دَعَوْتَ لِأَمْثَلِ النَّاسِ بِالسُّقْيَا فَادْعِي لَنَا أَيْضًا . والأشهرُ في الدُّعَاءِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ سَقَيْتُ فُلَانًا فَيُقْتَلُ ، [والحجة في التخفيف قول أبي ذؤيب : سَقَيْتُ بِهِ دَارَهَا إِذْ نَأَتْ وَصَدَّقَتْ الْخَالَ فِيهِ الْأَنْوَحَا (ج)]

* صواب « فيه » :

« فيها » ، ديوان الهذليين

٢٠١ / ١ والبيت

لأبي ذؤيب ماقصيدة

له .

وعلى هذا يكون في الكلام إضمار ، كأنه قال : وإن سَقَيْتِ بظَهْرِ الْغَيْبِ الْكِرَامَ بِالدُّعَاءِ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ فَافْعَلِي بِنَا مِثْلَهُ ، وَقُولِي سَقَاكُمْ اللَّهُ . وقد فصل بعضهم بين سَقَيْتُ وَأَسْقَيْتُ بأن قال : أُسْقِيْتُهُ : جَعَلْتُهُ لهُ سُقْيَا يَفْعَلُ بِهَا مَا شَاءَ ، وَسَقَيْتُهُ : أَعْطَيْتُهُ مَاءً لَفِيهِ . ومثله كَسَوْتُهُ وَأَكْسَيْتُهُ ، لأن معنى كَسَوْتُهُ

(١) كذا في النسختين . وعند التبريزي والمبرد ٦٥ والبغدادي (٣ : ٥١٥) : « حزن » . وكذلك عند ابن جني في المبحج . قال : « والحزن : الموضع الغليظ » . قال البغدادي : « والظاهر أنه إسلامي كما يظهر من شرح المبرد لأبياته » . أي لتعنيبه على أنه أخذ بعض معانيه من شعراء إسلاميين . انظر الكامل ٦٥ - ٦٧ لبيسك . ونسب ابن قتيبة الأبيات في الشعر والشعراء ٦٢٠ إلى نهشل بن حري ، وفي عيون الأخبار (١ : ١٩٠) إلى بشامة .

(٢) لزهير بن جناب الكلبي في اللسان (حيا) والمعمرين ٢٦ .

(٣) ائتكملة من م . والبيت لم يرو في قصيدة أبي ذؤيب التي على هذا الوزن والروي . انظر ديوانه ١٢٩ - ١٣٦ لكنه نسب إليه في اللسان (أنح) ، وفسر الخال فيه بأنه المتكبر .

وَالْأَنْوَحُ : الَّذِي يَنْزَمُ ، وَالزَّمِيرُ إِضْرَاحُ الصَّوْتِ أَوِ النَّفْسِ بِأَنْ يَنْعَمَ عِنْدَ عَمَلِ أَوْشَدَةٍ .

أَلْبَسْتُهُ ، وَأَكْسَيْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ كِسْوَةً (١) ، وبعضهم يجعلهما سواءً ، ويحتجُّ
بيت لبيد :

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ (٢)
وإذا فُصِّلَ بينهما في البيت لم يختلَّ به لفظاً ولا معنىً ، كما أنه إذا سُويَ
بينهما لم يختلَّ معنىً ولا لفظاً ، فكانه لا حُجَّةَ فيه لواحدٍ من القولين . والقصدُ
في الدعاءِ بالسُّقْيَا إلى أن يُمدَّ اللهُ المدعوَّ له بما يزيد في نمائه ونضارته . ألا ترى
الآخرَ قال لما دعا على ما تَسَخَّطَهُ (٣) :

إذا سَقَى اللهُ أرضاً صَوَّبَ غَدِيَّةً فلا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارَ تَضَطَّرِمُ
فذكر ما يُحْرِقُ وَيَسْتَأْصِلُ .
• الصوب : نزول المطر .
و الغادية : العجاجة تنشأ
فمطر صابماً .

٢- وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيٍّ وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سَرَاةً كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا
جُلِّيٌّ فُعْلَى ، أجراها مجرى الأسماء ويُرادُ بها جليلةٌ . كما يُرادُ بأفْعَلٍ
فَاعِلٌ وفِعِيلٌ ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ، أي هَيِّنْ ؛ وكما قال :
* فتلِكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ (٤) *

أي بواحدٍ ؛ وكقولك : اللهُ أَكْبَرُ ، تريدُ كبير . يقول : إنْ أَشَدَّتْ
بذكر خيار الناس بجليلة (٥) نَابَتْ ، أو مَكْرُمَةٍ عَرَضَتْ وَسَنَحَتْ ، فأشيدي
بذكرنا أيضاً . وهذا الكلام ظاهره استعطفُ لها ، والقصدُ به التوصلُ إلى بيانِ

(١) ضبط في النسختين بكسر الكاف ، ويقال كسوة أيضا بالفهم .

(٢) وكذا روايته في اللسان والتبريزي والديوان ١٢٧ . قال الطوسي : « مجد ابنة

تيم بن غالب بن فهر بن مالك ، وهي أم كلاب وكليب ابني ربيعة بن عامر بن صعصعة » .
وفي م فقط : « بني بدر » .

(٣) م : « ما يسخطه » .

(٤) صدره كما في أمالي القالي (٣ : ٢١٨) :

* تمنى أناس أن أموت وإن أمت *

(٥) م : « لجليلة » .

شرفه واستحقاقه ما يستحقه الأفاضل الأشراف ، والأماثل الكرام . ولا سنيّ
 ممّ ولا تحية ولا دعاء ولا مفاة . ألا ترى كيف اشتغل بمقصوده من الافتخار
 فيما يتلو هذا البيت . وهم كما يتخلصون من التشبيبات وغيرها إلى أغراضهم على
 اختلافها^(١) فإنهم قد يتوصلون بمبادي كلامهم إلى أمثالها ، فتقلّ المؤونة ،
 وتخفّ الكلفة . ولهذا نظائر وأشبهه تبيء فيما بعد . والسرة في الناس ،
 والسرة بالشين معجمة في المال والخليل . وفي حديث أم زرع^(٢) : « فنكحت
 بعده رجلاً سرياً ، ركب شرياً ، وأخذ خطياً ، وأراح عليّ نعماً ثرياً » .
 والجلّ بالالف واللام : تأنيث الأجلّ ، كما يقال الأكبر والكبرى ، وكما
 قيل السبع الطول جمع الطولي . ولا يُحذف الألف واللام منه حينئذ ، لأنّ
 أصله يكونُ أفعل الذي يتمُّ بمن . ويقال لكلّ ما علاً شيئاً : جلّله ،
 ومفه الجلالة .

٣- إنا بني نهشل لا ندعي لأبٍ عنه ولا هو بالأبناء يشرينا^(٣)

ندعي : نفتعل من الدعوة . وقوله « عنه » تعلق به . ويقال ادعى فلان
 في بني هاشم ، إذا انتسب إليهم ؛ وادعى عنهم ، إذا عدل بنسبهم عنهم . وهذا
 كما يقال : رغبت في كذا ورغبت عن كذا . وقوله : « لأب » أي من أجل
 أب ولمكان أب . وانتصاب « بني » على إضمار فعل ، كأنه قال : أذكر بني
 نهشل . وهذا على الاختصاص والمدح . وخبر إن « لا ندعي » . ولورفع فقال :
 بنو نهشل ، على أن يكون خبر إن كان لا ندعي في موضع الحال . والفصل
 بين أن يكون اختصاصاً وبين أن يكون خبراً صراحاً : هو أنه لو جعله خبراً
 لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان لا يخلو فعله لذلك من

(١) في الأصل : « على اختلافهم » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) انظر حديث أم زرع في أوفى رواياته عند السيوطي في المزهري (٢ : ٥٣٢) .

(٣) التبريزي : « إن كان الشعر للقيسي فالرواية : إنا بني مالك » .

خُولٍ فِيهِمْ ، أَوْ جَهْلٍ مِنَ الْمَخَاطَبِ بِشَأْنِهِمْ . فَإِذَا جُعِلَ اخْتِصَاصًا فَقَدْ أَمِنَ هُوَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا . فَقَالَ مَفْتَحْرًا : إِنَّا نَذْكَرُ مِنْ لَا يَخْفَى شَأْنُهُ ، لَا نَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . وَإِنَّمَا قُلْتُ خَبْرًا صُرَاحًا ، لِأَنَّ لَفْظَ الْخَبَرِ قَدْ يُسْتَعَارُ لِمَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ ، لَكِنَّهُ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ بِقِرَائِنِهِ ؛ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

* أَنَا أَبُو النِّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي (١) *

وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنَّا لَا نَزْعَبُ عَنْ أَيْبِنَا فَنَنْتَسِبَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَهُوَ لَا يَزْعَبُ عَنَّا فَيَتَبَنَّى غَيْرَنَا وَيَبِينَنَا بِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ كُلُّ مَنْا بِصَاحِبِهِ ، عَلِمًا بِأَنَّ الْاِخْتِيَارَ لَا يَعْدُوهُ لَوْ خَيْرٌ فَاخْتَارَ . وَيُقَالُ : شَرَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى بَعْتُهُ وَاشْتَرَيْتُهُ جَمِيعًا ، وَمِنْهُ الشَّرْوَى ، وَهُوَ الْمِثْلُ .

٤- إِنْ تُبْتَدَرُ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَ يُقَالُ : بَادَرْتُهُ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا (٢) ، وَإِلَى مَكَانٍ كَذَا . قَالَ :

* فَبَادَرَهَا وَجَلَّتِ الْخَمْرُ *

وَكَذَلِكَ يُقَالُ : ابْتَدَرْنَا الْغَايَةَ وَإِلَى الْغَايَةِ . وَقَوْلُهُ : « لِمَكْرَمَةٍ » أَي لَا كِتْسَابٍ مَكْرَمَةٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ مُضِيْفَةً لِلْغَايَةِ إِلَى الْمَكْرَمَةِ ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ تَسَابُقَهُمْ إِلَى أَقْصَاهَا . يَقُولُ : إِنْ تُسْتَبَقُ نِهَائَةً مُجَدِّدًا أَوْ غَايَةً مَكْرَمَةً تَرَ السَّابِقِينَ مِنَّا وَالتَّالِينَ أَيْضًا مِنَّا . وَإِنَّمَا قَالَ « الْمُصَلِّينَ » وَلَمْ يَقُلِ الْمُصَلِّياتِ مَعَ السَّوَابِقِ ، لِأَنَّ قَصْدَهُ إِلَى الْأَدْمِيَيْنِ ، وَإِنْ كَانَ اسْتِعَارُهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْخَلِيلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَخْرَجَ السَّابِقَ لِانْقِطَاعِهِ عَنِ الْمَوْصُوفِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ،

(١) الرجز ينطق بنسبته إلى قائله ، وهو أبو النجم العجلى .

(٢) وكذا الثانية ، ليست في م .

ولنبايته عن المُجَلِّي وهو اسم الأول منها^(١) إلى باب الأسماء جَمَعَهُ على السَّوابق ، كما يقال كاهِلٌ وكواهلٌ ، وغاربٌ وغواربٌ . والمُصَلِّي هو الذي يتلو السابق فيكون رأسه عند صَلَاة . والصَّلَوَان : العظمان الناتئان من جانبي العَجُز . وقال الدَّرِيدِي : هو العظم الذي فيه مَغْرَزَ عَجَبِ الذَّنَب . وقال بعض أهل اللغة : هما عِرْقَانِ فِي مَوْضِعِ الرَّدْفِ .

٥ - لَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا

نَبَهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ السِّيَادَةَ فِيهِمْ يَكْثُرُ وَلَا يَقَلُّ ، فَتَمَّى دَرَجَ مِنْهُمْ رَيْسٌ تُرَشِّحُ^(٢) لَسَدِّ مَكَانِهِ وَاحِدٌ . وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ :

وإِئْتِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(٣)

والافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأمر ، ومنه الفلؤ . والمعنى هنا الترشيح والتهيئة والصرفُ عما عليه إلى الرِّياسة . و «أبدًا» في المستقبل بمنزلة قَطُّ في المُضِيِّ . والقصدُ أنهم كلُّ وقتٍ على ذلك ، فلا يحتاجون إلى الاستعانة بالأجانب دون الأقارب . والأبدُ : الدهر ، وقيل سُمِّيتِ الْوَحْشُ أَوَابِدَ لِأَنَّهَا تُعَمَّرُ عَلَى الدَّهْرِ ، حَتَّى لَا تَمُوتُ إِلَّا بَأْفَةِ . وَأَنْ يَكُونَ مِنَ التَّأْبُدِ التَّوَحُّشُ أَحْسَنُ ، وَإِنْ أَمَكْنَ رَدُّ الْكَلِّ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ .

٦ - إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نَسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِينَا^(٤)

(١) م : « منها » .

(٢) م : « رشح » .

(٣) البيت للقيط بن زرارة كما في الحيوان (٣ : ٩٣) . ونسب إلى أبي الطمحان القيني في الكامل ٣٠ والوساطة ١٥٩ . وذكر التبريزي أن البيت أيضا نظير قول أوس بن حجر :

إِذَا مُقَرَّمٌ مِنْ ذُرَا حِدَانِهِ تَحْمَطُ مِنْهُ نَابٌ آخِرٌ مَقْرَمٌ

المقرم : السيد الرئيس من

الرجال .

و التحط : الأخذ والقهر

بقلبة .

(٤) في الكامل ٦٧ أنه أخذه من قول الأجدع الهمداني :

« أغلينا » الألف للإطلاق، والنون ضمير الأنفس، ومعنى أغلينا
وُجِدَتْ غَالِيَةً أَوْ جُعِلَتْ غَالِيَةً. وهو هكذا أجود، وليس يُريد أنهم مع
الغلاء يمكنون منها، بل المرادُ قَطْعُ المَقْدُرَةِ عنها. ومثل هذا:

نُعْرَضُ لِلشُّيُوفِ بِكُلِّ ثَغْرِ خُدُودًا لَا تُعْرَضُ لِلسَّبَابِ (١)

فيقول: نبتذل أنفسنا في الحروب ولا نصونها، ولو عُرضَ علينا إذا آلتها
في غيرها لامتنعنا. وهذا لِحِرْصِهِمْ على تخليد الذِّكر الجميل، والأبانة عن محلّ
النفس في الشجاعة. والرُّخْصُ في السَّعر: سهولته وليينه، وهو من قولهم فيما
أظن امرأة رَخْصَةً، إذا كانت ناعمة. وقوله: « ولو نُسِمَ بها » أي نُحْمَلْ
على أن نسومَ بها. ويقالُ سامَ بسلعته كذا وكذا، واستامَ أيضًا، وأغلى
السَّوْمَ والسَّيْمَةَ. وأسمتهُ أنا، أي حَمَلْتُهُ على أن سامَ. ولا يمتنع أن يكون
قولهم: سُمْتَهُ خَسْفًا، أصله من ذاك وإن استُعْمِلَ في المكروه، ومنه قوله تعالى:
﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾. وفي البيت طَباقٌ بذكر الإرخاص والإغلاء،
والرَّوْع والأمن، في موضعين، وهو حسنٌ جيّد.

٧ - بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

يُروى: « بِيضٌ مَعَارِفُنَا »، وهي الوجوه. والمراد بذلك نَقَاء العِرْضِ
وانتفاء الدَّم والعيب. ويقال: امرأةٌ حَسَنَةُ المَعَارِفِ، أي الوجهِ بما يشتملُ
عليه. وقيل الأنفُ وما والاهُ. وقيل: الحُسْنُ في الأنف، والمَّلَاحَةُ في

لقد علمت نسوان همدان أنني
وأبذل في الهيجاء وجهي وإنني
ومن القتال الكلابي حيث يقول:

أنا ابن الأكرمين بني قشير
نعرض للطمان إذا التقينا
وأخوالي الكرام بنو كلاب
وجوها لا تعرض للسباب

(١) عند التبريزي: « إذا التقينا نفوسا ».

الأسنان . وواحد المعارفِ مَعْرِفٌ وَمَعْرِفٌ^(١) ، وكانَّ الوجهَ سُمِّيَ بها لأنَّ معرفةَ الأجسامِ وتمييزها تقعُ^(٢) بها . والأشهر والأحسن « بيضٌ مفارقنا » . ويجوز أن يكون أراد ابيضت مفارقنا من كثرة ما نقاسي الشدائد . وهذا كما يقال أَمْرٌ يُشِيبُ الذَّوَابِ . وفي القرآن : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ . و « تَغْلِي مَرَاجِلُنَا » أي حروبنا ، كقول الآخر^(٣) :

• فَتَأَ الْقِدْرُ : سَكَنَ غَلِيَانَهَا
تَفَوَّرُ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَغَدِيْمُهُمَا وَنَفَثُوْهَا عَنَّا إِذَا حَمِيْهَا غَلَا
بهاء بارد .
ويجوز أن يكون المراد : ابيضت مفارقنا لانحسار الشعر عنها ، باعتبارنا

لبس الغافر والبييض ، وإدماننا إياه ، ويكون هذا كما قال :

قد حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِيْ فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ^(٤)
وتكون المراجِلُ على هذا كنايةً عن الحروب أيضا . ويجوز أن يكون المراد : ابيضت مفارقنا من كثرة استعمالنا للطيب ، ويكون كقول الآخر :
• مصت رأسه : أذهب شعره ونثرته لطول مكثها على رأسه .
• والبَيْضَةُ : الخُوْذَةُ ، سميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام .
* جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرَقَهُ^(٥) *
والتهجاء : النومة الخفيفة .

ويكون على هذا معنى « تغلي مراحلنا » أي قدورنا للضيافة ، ويجوز أن يُرِيدَ : مَشِيْبُنَا مَشِيْبُ الْكِرَامِ ، لامشيب اللثام . وأنشد ابن الأعرابي في نوادره :

وَشِيْبَتِ مَشِيْبَ الْعَبْدِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا وَشِيْبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ
وعلى هذا يُحْمَلُ الْمَرَاجِلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا قَدُورَ الضِّيَافَةِ . فَأَمَّا قَوْلُهُ : « نَأْسُو

(١) ذكر في اللسان والقاموس « المعرف » مفتوح الراء فقط .

(٢) هذه الكلمة من م ، وفي أصلها « يقوم » وكتب تحتها « تقع صح » إشارة

إلى الصواب .

(٣) هو النابغة الجعدي ، كما في اللسان (فتأ) ومقاييس اللغة (دوم) .

(٤) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري ، كما في المفضليات (٢ : ٨٤) .

(٥) روي في الكامل ١٠٣ ليسك والبيان (٣ : ٣٠٥) :

جلا المسك والهمم والبيض كالدمى وقرق المدارى رأسه فهو أنزع

حوانظر للخلاف في نسبة الشعر الخزانة (٢ : ٥٣٢) .

بأموالنا آثارَ أيدينا » وإنما يريد تَرْفَعُهُمْ عن القَوَدِ ودَفَعَ أطماع النَّاسِ عن مُقَاصَّتِهِمْ ، فيداوون جراحاتهم ببذل الأروشِ والذِّياتِ . والأَسْوُ : مداواة الجرح وإن استعمل في موضع الإصلاح . قال :

والأُساةُ الشُّفَاةُ للدَّاءِ ذِي الرَّيْبَةِ والمُدْرِكُونَ للأَوْغَامِ (١)
ويقال للضَّارِّ النَّافِعِ : يَشُجُّ ويَأْسُو . ومنه اشتقاق الإِسْوَةِ ، ويقال الأَسْوَةُ أيضا . ويروى أن مُصْعَبَ بنَ الزُّبَيْرِ لما انهزمَ النَّاسُ عنه يومَ مَسْكَنَ جعل يُقاتِلُ ويتمثلُ :

وإنَّ الأوَّلَى بِالطَّفِّ من آلِ هَاشِمٍ تَأْسَوُا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّاسِيَا (٢)
وفي البيت مع حُسنِ المعاني التي بَيَّنَّتْها تَوَازُنٌ في اللفظِ مستقيمٌ ، وسلامةٌ مما يجلب عليه التَّهجينُ .

٨ - إني لَمِنَ مَعْشَرِ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قَوْلُ الكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ المَحَامُونَا (٣)
يقاربه قول الخنساء :

* أَقَلَّتْ مُسَامَاةُ الرَّجَالِ عَدِيدَنَا *

فيقول مفتخراً إني لَمِنَ قومٍ أَهَلَكَ أسلافُهُم قَوْلُ الأبطالِ لَهُمُ الأبنِ الذَّابُّونَ والمَحَامُونُ ؟ فكانوا يتقدّمون ويفنّون . والكُمَاةُ : جمع الكميِّ ، وهو من قولهم كميَّ شهادته ، إذا كتمها ؛ لأنَّ الشُّجاعَ يستغني بالفعالِ ، عن الدَّعْوَى والمقالِ ، فكأنه يسترُ أمره وشأنه لوقت الحاجة ، ولأنه إذا سَكَتَ دَلَّ على صِفَاتِهِ بلاؤُهُ .

٩ - لو كانَ في الألفِ مَنَّا واحِدٌ فدَعَوْنا مَنَ فَارِسٍ خالَهُمُ إِيَّاهُ يَعنُونَا

(١) في الأصل : « للأرغام » بالراء ، صوابه بالواو كما في م . والأوغام : الثرات ،

واحدها وغم .

(٢) كذا ورد إنشاده في النسختين . وفي اللسان والكمال ١٠ :

* تأسوا فسنوا للكرام التأسيا *

(٣) رواية التبريزي : « قيل الكمأة » .

• الكمي : الشجاع
المقدام ، أضاف عليه
سلاح أو لم يكن .

يعني بقوله « فدعوا » أعلنوا الاستغاثة بيال فلان ، ومن فتى ، وما أشبهه . ويقال خلتُه أخاله خيلاً ومخيلةً وخيلاً^(١) . وهذا مثل قول طرفة :
 إذا القومُ قالوا من فتى خلتُ أنبي عُنيتُ فلم أكسل ولم أتبدل
 وقد زاد هذا عليه بقوله « لو كان في الألف مناً واحداً » . لأن ذلك قال :
 إذا القومُ قالوا من فتى ، فنصب نفسه مع قومه ؛ وهذا جعله مُفضاً مع
 الكثرة إلى الغرباء . وإنما قال : « من فارس » فنكر ، كما قال طرفة : « من
 فتى » فنكر . ولم يُعرف واحداً ، منها ، لأن السؤال بالمتكسر لشدة إبهامه يكون
 أشملَ لتناوله واحداً واحداً لاسيماً وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين ،
 ولا إلى الجنس فيقال : من الفتى ، ومن الفارس . وفي هذه الطريقة قول الآخر :
 إذا القومُ قالوا من فتى لعظيمةً فما كُلهُم يُدعى ولكنه الفتى
 وبيت بشامة أجود الثلاثة . وقد أحسن الفرزدق كل الإحسان لما أشار
 إلى هذا المعنى فقال :

إذا ما قيل يا لحمة قومٍ فنحنُ بدعوةِ الداعي عُنينا
 ١٠ - إذا الكمأة تنحوا أن ينالهم حدُّ الطُّباتِ وصلناها بأيدينا^(٢)

إنما قال حدُّ الطُّباتِ - وظبةُ : السيفُ حدُّه - لأنه أراد المضارب
 بأسرها . وكما صلح أن يُقال أصابتهُ ظبةُ السيفِ صلح أن يُقال حدُّ الطُّبةِ .
 وقيل الظبةُ : طرفُ السيفِ ، والشبابةُ حدُّ طرفه . يقول : إذا الأبطالُ
 تباعدوا عن المصادمةِ والمكاحفةِ ، مخافة أن ينالهم حدُّ السيوفِ مددنا أرباعنا
 إليهم بها^(٣) أو وصلناها ، وفي هذا المعنى قوله :

(١) ضبط في النسختين بكسر الخاء . وفي اللسان والقاموس « الخيلان » بالتحريك .

(٢) رواية التبريزي : « أن يصيهم » .

(٣) في الأصل : « بنا » ، والكلمة ساقطة من م .

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَّضَارِبِ (ك)
 وقوله « تنحوا أن ينالهم » أى تنحوا أن ينالهم ، ومخافة أن ينالهم ؛ فلما
 حُذِفَ مِنْ وَصَلِ الْفِعْلِ فَعَمِلَ . وعلى هذا قولهم : تَحَصَّنَ فُلَانٌ أَنْ يُطْلَبَ ،
 وقول الله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ . وقوله : « وصلناها بأيدينا »
 أى إذا عجزت جعلنا وصلها أيدينا . وهذه الأبيات إذا تُؤمِّلت فكلٌّ منها
 غاية يدعو إلى نفسه لفظاً ومعنى .

١١- وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ
 مع البكاة على من مات يَبْكُونَا
 يصف تعوُّدهم للشكل ، وإلفهم للمصائب والقتل ، وأن قلوبهم قد مرَّتْ
 عليها حتَّى قَسَتْ ، فلا يكون مع البكاة على من قُتِلَ منهم . ومثله قول
 عمرو بن كلثوم :

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا
 عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَصِيحَ مِنَ الْقَتْلِ
 ١٣- وَنَزَكَبُ الْكُرْهَ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ
 عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسْيَافُ تَوَاتِينَا
 يجوز أن يكون هذا كما قال الآخر :

* فحالفنا السيفَ على الدهرِ *

ويجوز أن يكون أراد بالسيف رجلاً كأنهم السيف مضاءً ونفاذاً . والأول
 أولى . وإنما يصفُ خِطَارَهُمْ بِمُهْجِهِمْ ، وركوبهم المهالك ، ورميهم بأنفسهم
 المرَّامِي المَعْطَبَةَ . فيقول : إذا فعلنا ذلك في الوقت بعد الوقت ، وسعت المضايقَ عَنَّا
 مُحَافِظَتُنَا عَلَى الْكُرْمِ وَصَبْرُنَا عَلَى الشَّدَائِدِ ، واستعمالنا سيوفنا المطاوعة لنا . ومعنى

(١) كذا جاءت الرواية في النسختين . والمعروف في رواية بيت قيس بن الخطيم :

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ

ولالأخمس بن شهاب التغلبي في المفضليات (٢ : ٧) :

وإن قصرت أسيافا كان وصلها خطانا إلى التوم الذين نضارب

يفرُّجُه : يكشفه ويوسِّعه . ويقال : فرَّجَ اللهُ غَمَّهُ وفرَّجَه ، بالتخفيف والتشديد .
ومنه سُمِّيَ ما بين القوائم : الفروج . وإطلاق لفظ الفرج على العورة يجري
مجرى الكنايات . وعلى هذا قيل : رَجُلٌ فُرَجَةٌ ، إذا كان كشافاً لأسراره .

١٥

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ويقالُ إِنَّهُ لِلسَّمَوِئِلِ^(١)

ابن عادي اليهودي :

١- إِذَا المرءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرَضُهُ فكلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

يقال : دَنَسَ دَنَسًا ، وَتَدَنَسَ تَدَنَسًا ، إذا تكلَّفه . فيقول : إذا لم يتدنَّس
الرجلُ باكتساب اللُّؤْمِ واعتياده فأَيُّ مَلْبَسٍ لَبِسَهُ بعد ذلك كان حَسَنًا جميلًا .
وذكر الرِّداء هاهنا مُستعارًا ، وقد قيل : رَدَّاه اللهُ رِداءَ عَمَلِهِ ، فجعل كنايةً
عن مكافأة العبد بما يعملُه ، أو تشهيره به ، كما جعله هذا الشاعر كنايةً عن
الفعلِ نَفْسِهِ . وتحقيقه : فأَيُّ عَمَلٍ عَمَلَهُ بعد تَجَنُّبِ اللُّؤْمِ كان حَسَنًا . واللُّؤْمُ :
اسمٌ لخِصالٍ تجتمع ، وهي البُخلُ واختيار ما تَتَّقِيهِ المروءة^(٢) ، والصَّبْرُ على
الدنِيَّةِ ، ودناءةِ النَّفْسِ والآبَاءِ . وإذا يَتَضَمَّنُ معنى الجزاء ، والفاء مع ما بعده
جوابه . وليس هنا من قول عمرو بن معديكرب :

ليس الجمالُ بمزِرٍ فاعلمْ وإن رُدِّيتَ بِرُودَا

(١) لم يذكر التبريزي النسبة الأولى في صدر الإنشاد ، ولكنه ذكرها قبل تفسير البيت
الأول . قال : « ويقال إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، وهو إسلامي » . وهو السموعل
ابن غرييض بن عادي ، المضروب به المثل في انوفاء ، لأنه أسلم ابنه حتى قتل ولم يخن أمانته في
أذراع أُرَدِّعها عنده امرؤ القيس . انظر الأغاني (١٩ : ٩٨ - ١٠٠) وابن سلام ١٠٩ .
وهذا الإنشاد وما بعده من الكلام إلى البيت الثالث - ما عدا سطرًا قبله - ساقط من م .
(٢) في الأصل : « يتقيه » وعند التبريزي : « ما تنفيه » ؛ والمؤدى متقارب .

فَيُعْتَقَدُ أَنَّهُ يَرِيدُ بِالرَّدَاءِ الثِّيَابَ بِسَبِيلٍ ، فَاعْلَمْهُ .

٢ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ^(١)

يقول : إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ ظَمًّا نَفْسِهِ عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَصْبِرْهَا عَلَى مَكَارِهِهَا ، فَلَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الثَّنَاءِ الْحَسَنِ . وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى كَظْمِ الْغَيْظِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْحِلْمِ ، وَتَرْكِ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ مَعَ ذَوِيهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الشَّقِ ، وَإِهَانَةِ النَّفْسِ فِي طَلْبِ الْحُقُوقِ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَوَّدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عَلَا ذِكْرُهُ ، وَحَسُنَ ثَنَاؤُهُ . وَيُقَالُ : ضَامَهُ ضَيْمًا ، وَهُوَ مَضِيمٌ ، إِذَا عَدَلَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ النَّصْفَةِ وَاهْتَضَمَهُ . وَمِنْهُ قِيلَ : قَعَدَ فِي ضَيْمِ الْجَبَلِ ، أَيْ فِي نَاحِيَةِ تَنَعُدٍ إِلَيْهِ^(٢) . وَكَأَنَّ اسْتِعْمَالَ الضَّيْمِ مِنْ ضَامٍ ، كَذَلِكَ اسْتِعْمَالَ الْمِضْمِ وَاحِدٌ أَهْضَامٍ الْوَادِي مِنْ هَضَمَ . وَيَبْعُدُ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ « ضَيْمَهَا » ضَيْمَ الْغَيْرِ لَهَا فَأَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ ، لِأَنَّ احْتِمَالَ ضَيْمِ الْغَيْرِ لَمْ يَأْتِ مِنْهُ ، وَيَعْدُونَ تَذَلُّلاً .

• الْهَضْمُ : بَطْنُ الْوَادِي .

٣ - تُعَيِّرُنَا إِنْ أُنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

يُقَالُ عَيَّرْتُهُ كَذَا ، وَهُوَ الْخِتَارُ الْحَسَنُ ، وَقَدْ جَاءَ عَيَّرْتَهُ بِكَذَا . قَالَ عَدِيٌّ :

أَيْهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِاللَّهِ رِ أَأَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ

وَالْمَعْنَى أَنْكَرْتَ مِنَّا قَلَّةً عَدَدِنَا فَعَدَّتْهُ عَارًا ، فَأَجَبْتُهَا وَقُلْتُ إِنَّ الْكِرَامَ

يَقِلُّونَ . وَالْكَرَمُ : اسْمٌ لِلْخِصَالِ تَضَادُّ خِصَالِ التُّؤْمِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا^(٣) . وَهَذَا

الاعترافُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ اعْتِرَافٌ بِقَلَّةِ الْعَدَدِ لَا بِقَلَّةِ الْقَدْرِ وَالْغِنَاءِ ،

(١) التبريزي : « وإن هو لم يحمل » .

(٢) في الأصل : « في ناحيته يتعدك إليه » تحريف . وفي الخفاسة : « في ناحية

تعدل إليه » .

(٣) في تفسير البيت الأول ص ١١٠ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ رَجَعَ عَلَيْهِ بِالنَّفِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ :

* وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا *

على أن قوله « إن الكرام قليل » يشتمل على معانٍ كثيرة : وهي ولوعُ الدهر بهم ، واعتيام الموت إليهم ، وقلة النّسل فيهم ، واستقتالهم في الدّفاع عن أحسابهم ، وإهانتهم كرائم نفوسهم مخافة لزوم العار لهم ، ومحافظتهم على عمارة ما ابتناه أسلافهم . وكلُّ ذلك يقلل العدّد ، ويقصر المدد . وقليلٌ وكثيرٌ يوصف بهما الواحد والجمع .

٤ - وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَا وَكُهُولٌ

الماء من قوله « بقاياها » راجعة إلى لفظ « مَنْ » لأنّ معناه الكثرة . ولورد عليه (١) لقال بقاياهم . يقول : وما حصلت القلة في القدر والغناء ، ولا لحقت الذلّة في اللقاء والدفاع لأسلافٍ أخلافهم نحن ، شبانٌ وكهولٌ يتسامون في اكتساب المعالي ، ويترقّون في درجات الفضل . و « شبابٌ » مصدرٌ في الأصل ووُصِفَ به ، ولذلك لا يثنى ولا يُجمع . يقال شبَّ الصبي يشبُّ شباباً . وقوله « تسامى » أراد تتسامى ، فحذف إحدى التائين استنقلاً للجمع بينهما . فإن قلت : هَلَّا أُدغمت كما أُدغمت في أدراك - والأصل تدارك ؟ قلت : ليس هذا موضع إدغام ، لأنّه فعل مضارع . ألا ترى أنه لو أُدغم لاحتيج إلى جلب ألف الوصل لكون أوله ، وألف الوصل لا يدخل على الفعل المضارع . والكهل : الذي قد وخطه الشيب ، ومنه اكتهل النّبت ، إذا شمّه النور .

٥ - وَمَا ضَرَرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْإِلَهِ أَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

في هذا الكلام تعريضٌ بعشيرة من جاذبه الكلام (٢) . يقول : وما يضرنا

(١) أي على المعنى . وفي م : « عليهم » .

(٢) م : « بالكلام » .

قلَّةٌ عددنا وجارُّنا في عِزِّ ، وجار من لهم العدَدُ والكثرة في ذلِّ . وقوله : « وماضِرُّنا » يجوز أن يكون ما حَرَفَ نبي ، والمعنى لم يَضُرُّنا ؛ ويجوز أن يكون اسمًا مستفهما به على طريق التَّقْرِيرِ ، والمعنى أي شيء يَضُرُّنا . والواو من قوله : « وجارُّنا عزيزٌ » واو الحال ، أي لا يضرُّنا ذلك والحال هذا . وكذلك الواو من قوله : « وجارُّنا كثيرين ذليل » واو الحال . وإنما صَلَحَ الجمع بين الحالين لأنَّهما لذاتين مختلفتين ، ولو كانا لذات واحدة لم يَصْلُح . والعِزُّ والعِزَّاة استُعْمِلَ في القُدْرَةِ وَالْمَنَعِ ، وفي الصَّلابة والشَّدَّةِ . ويقال : تعرَّزَ اللحم ، لأنَّ الكلَّ يرجع إلى أصل واحد ، كما أنَّ الذَّلَّ والذَّلَّ الذي هو ضدهُ استُعْمِلَ في الانقياد والسَّهولة واللِّين والوَطْءة ، إذ جميعه يدعو إلى شيء واحد . وفي طريقته :

فجارك عند بيتك لحمٌ ظبيٌّ وجاري عند بيتي لا يرأَمُ

وقول الآخر (ك) :

* وهم يَمْنَعون جارهم أن يُقَرِّداً (ك) *
• قَرَّدَ الرجلُ : ذلَّ وضعه .

٦ - لنا جبلٌ يَحْتَلُهُ من نُجَيْرُهُ مَنِيعٌ يرُدُّ الطَّرْفَ وهو كليلٌ (٣)

ومثله :

لنا هَضْبَةٌ لا يدخلُ الذَّلُّ وَسَطَهَا ويأوي إليها المستجيرُ لِيُعَصَمَا

وأراد بذكر الجبل العِزَّ والسمو . فيقول : لنا جبلٌ عِزٌّ يدخله من ندخله في جوارنا ، ممتنعٌ على طالبيه ، يرُدُّ لإشرافه وسُمُوقة طَرَفِ الناظر إليه وهو حسير .

(١) هو الحصين بن القعقاع ، كما في اللسان (سنت ، ألس) .

(٢) صدره : * هُمُ السَّنُّ بالسَّنُّوتِ لا ألسَ بينهم * السنوت : الكمُون .

(٣) في الأصل : « برد الطوف » ، صوابه في م والتبريزي . والألس : الخداع والقدور .

ومنيعٌ : اسم الفاعل من مَنَعَ مَنَاعَةً وَمَنَاعًا (ط) ، ومنه المنعة . ويجوز أن يكون
 فعيلًا في معنى مفعول ، أي ممنوع منه ، وكما استُعْمِلَ المنيع في العِزِّ اسْتُعْمِلَ .
 أيضا في العِفَّةِ ، فقيل امرأة منيعةٌ وممتنعةٌ (٢) أي عفيفةٌ . وحلٌّ واحتلٌّ بمعنى .
 والظَّرْفُ : النَّظْرُ والعين جميعا . وقال الدُّرَيْدِيُّ : ظَرَفَ العَيْنَ امتدادَ لِحْظِهَا (٣) .

٧ - رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَابِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ

رَسَا الجِبَلُ : ثبتَ أَصْلُهُ فِي الأَرْضِ . ومنه رَسَتِ السُّفُنُ ، إِذَا اتَّهَتْ إِلَى
 قَرَارِ البَحْرِ (٤) . والرُّسُوُّ والرُّسُوحُ يتقاربان . والثَّرَى : النَّدى . وما تحت
 الأَرْضِ ثَرَى . ويقال : ثَرَى ثَرِيٌّ ، عَلَى المبالغة . يقول : ثبتَ أَصْلُ هَذَا الجِبَلِ
 - وهو يريد العِزَّ عَلَى مَا بَيَّنْتُ - تَحْتَ الأَرْضِ وَارْتَفَعَ بِهِ أَعْلَى طَوِيلٌ لَا يُنَالُ
 إِلَى مَحَلِّ النَّجْمِ . والمرادُ : عِزَّنَا أَصْلُهُ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِغَةَ ، وَفَرَعُهُ عِنْدَ النَّجْمِ .
 ومعنى لَا يُنَالُ : لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ وَلَا يُحْصَلُ مِنْهُ . وكما كان يُقالُ فِي الرَّفِيعِ الشَّانِ
 العَالِي القَدْرِ : هو فِي النَّجْمِ وهو فِي الشَّكَاكِ ، وكان قَصْدُهُ فِي الفَرَعِ أَنَّهُ مَدِيدٌ
 حَتَّى اتَّصَلَ بِالنَّجْمِ ، زَادَهُ صِفَةً فَقَالَ طَوِيلٌ . وقد طَابَقَ الرُّسُوُّ بِالسُّمُوِّ ، كما قَابَلَ
 الأَصْلُ بِالفَرَعِ . ونقله أبو تمامٍ فقال :

لَنَا نَبْعَةٌ فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ وَفِي هَامَةِ الحَوْتِ أَعْرَاقُهَا
 ٨ - وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَارَاتُهُ حَامِرٌ وَسَلُولٌ
 كان وجه الكلام أن يقول : ما يروون القتل سببةً ، حتى يرجع الضمير من

• النَّبْعُ (أصلاً) : شجر
 ينبت في قلة الجبل تنبت
 منه القسي والسمام ،
 يقال هو ما نبعة سربية ،
 أي ما جد الأصل عريق .

(١) هذا المصدر مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٢) م : «متمنعة» .

(٣) نبه التبريزي إلى أنه روي بيت آخر بعد هذا البيت في بعض الروايات ، وهو :

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعز على من رماه ويطول

(٤) م «إلى قرار الأرض» ، والمؤدى واحد . وفي اللسان : «ورست السفينة

قرسورسوا : بلغ أسفلها القعر وانتهى إلى قرار الماء ، فثبتت وبقيت لا تسير» .

صفة القوم إليه ولا تعرَى منه ، لكنه لما عِلِمَ أن المرَادَ بالقومِ هُم قال :
ما نرى . وقد جاء في الصلّة مثلُ هذا ، وهو فيه أفضع ، قال :

* أنا الذي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَهُ ^(ط) * . الحيدرة : الأسد .

والوجه « سَمَّته » حتّى لا يعرَى الصلّة من ضمير الموصول . قال أبو عثمان
المازني : لولا صحّة مورِدِهِ وتكرُّره لردّته . فضّل عشيرته في الصبر على الموت ،
والثبات في الحرب على عامرٍ وسُلول ، وهما قبيلتان ^(ك) . فيقول : إذا حَسِبَ
هؤلاء القتل والقتال عارًا ومنقصةً عدّها عشيرتي نخرًا ومكرمةً . والسبّ :
ما يُسبّ به ، كما أن الخدعة ما يُخدع به . وأصل السبّ : القطع ، ثم استُعْمِلَ
في الشتم . وهذا كما يقال : فلانٌ يُقَطِّعُ أعراضَ الناس . وقوله : « ما نرى »
أى لا نجعل ذلك مذهبًا .

٩- يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ ^(٣)

قوله : « يقرب حبُّ الموت » أي حُبُّنا للموت . وجعل في مقابلته :
« وتكرُّهُ آجالهم » لأنّه يشتمل على ما يوفّيها حقّها من اللفظ . وإن كانت ^(٤)
من حيث المعنى قد حصّلت : ويبعدُ بفضّهم إياه آجالهم . ويكون الشاعر مُلِمًا
في المصراع الأوّل بقول الآخر :

* رأيتُ الكريمَ الحرّاً ليس له عُمرٌ * .

لأنه يشير إلى أنهم يُعْتَبَطُونَ لاقتحامهم المنايا ، وحرّصهم على ملابسة

(١) لعلي بن أبي طالب ، كما في اللسان (حدر ، سندر) .

(٢) التبريزي : « يعني عامر بن صعصعة . وبنو سلول هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية

ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان » .

(٣) ويروى : « يقصر حب الموت » ، كما سيأتي ، وكما عند التبريزي .

(٤) الضمير في « كانت » للمقابلة . في الأصل : « وهو وإن كانت » . م : « وهو وإن كان »

الحروب ، وأن أولئك يعمرون لجانبتهم الشرور ، وزهدهم في مجاذبة العدو^(١) .
ويجوز أن يكون أضافَ الحُبَّ من قوله « حُبُّ الموت » إلى الفاعل ، فيكون
المعنى : يقربُ حُبُّ الموت لنا آجالنا ، ويكون هذا كقول طرفة :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطنى عقيلة مال الفاحش المتشدد
ويكون على هذا قوله « وتكرهه آجالهم » محمولا على أنه إذا كرهت
آجالهم الموت فقد كره الموت آجالهم أيضاً . ألا ترى قول دُرَيْد :
أبى القتل إلا آل صمة إنهم أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
وقول مُتَمِّم :

* أرى الموت طلاءً على من ترَفَعَا^(٢) *

وإذا كان كذلك فالتقابل في هذا الوجه حاصل أيضاً . وبعضهم روى :
« يُقَصِّرُ حُبُّ الموت » واختاره ، ليكون القصرُ بإزاء الطول . وهم لا يُراعون
مثل هذا إذا تناسبت المعاني وتقابلت ، ويكون ذلك منهم كالمتهري^(٣) من
التكلف . ألا ترى أبا ذؤيب الهذلي قال :

وشيكُ الفصولِ بعيدُ القفولِ إلا مُشاحاً به أو مُشيجاً
وقد كان يمكنه أن يقول بطيء القفول فلم يُراع ذلك . وقد أحسن عنتره
كلَّ الإحسان في سُلوِكِ هذه الطريقة ، حين قال :

* ليسَ الكريمُ على القنأ بمُحرَّم^(٤) *

• الاعتيام : الاختيار .
• العقيلة : مفرد
العقائل ، وهي سرائم
المال والنساء .
• والفاحش : الخيل .

• فصل القوم عن البلد
فصولاً : خرجوا ؛ أي
هو سريع الفزوة .
• بعيد القفول : أي
يبطئ في رجوعه .
• مشاحاً : مُجاداً به ،
من اشاح الرجل إذا
جدَّ وماذر .

(١) م : « محاربة العدو » .

(٢) م : « توقعا » . وفي المفضليات (٢ : ٧٠) :

فلا تفرحن يوماً بنفسك إنني أرى الموت وقاعاً على من تشجعا

(٣) م « كالمتهري » .

(٤) صدره :

* فشككت بالرمح الأصم ثيابه *

١٠ - وَمَامَاتٍ مِّنَّا سَيْدٌ حُتِفَ أَنْفُهُ وَلَا طُلٌّ مِّنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ^(١)

« حُتِفَ » انتصب على الحال ، ولم يُستعمل منه حُتِفَ ولا هو محتوف .
وليس هذا مثل تَبَسَّمتُ وَمِيضَ البرقِ^(٢) ، فاعلمه . يقول : لم يَمُتْ رَئِيسٌ مِّنَّا
على فراشه ، بل مات ميتةً كريمةً في الحرب تحت ظلالِ السُّيوفِ والرِّماحِ ،
ولا أَبْطَلَ دَمٌ قَتِيلٍ مِّنَّا حَيْثُ كَانَ ، وعلى يَدِ مَنْ انْفَقَ . وهذا غاية ما يَتَحَمَّدُ به
الْفُتَاكُ وأبناء الحروب ، حتَّى إنَّ بعضهم اعتذَرَ عن مات على فراشه فقال :
بِحَمْدِ مَنْ سِنَانِكَ لَا يَدَمُ أَبَا قُرَّانَ مِتَّ عَلَى مِثَالِ^(٣)
وفي هذه الطريقة قوله :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ^(٤)

وقوله : « مات حُتِفَ أَنْفُهُ » يقال إنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ به النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم . وتحقيقه : كان حُتِفَهُ بِأَنْفِهِ ، أي بالأنفاس التي خرجت من أنفه
عند نُزُوعِ الرُّوحِ ، لا دَفْعَةً واحدة . ويقال حُصَّ الأنفُ بذلك لأنه من جهته
ينقضي الرَّمَقُ . ويقال : طُلَّ دَمُهُ يُطَلُّ طَلًّا ، إذا أُهْدِرَ .

١١ - تَسِيلٌ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلٌ

يُرَوَى : « تَسِيلٌ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ نَفُوسُنَا » . ولم يقل وليست على
غيرها تَسِيلٌ في الروايتين ، لأنهم يكررون أسماء الأجناس والأعلام كثيرًا ،

(١) التبريزي : « ويروى :

* وما مات منا سيد في فراشه *

وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاهلية .

(٢) أي ليس من المنصوب على أنه مصدر مرادف .

(٣) المثال : الفرائش . وفي قول الأعشى :

بكل طوال الساعدين كأنما يرى بسرى الليل المثال الممهدا

(٤) لعمر بن أبي ربيعة . الأغاني (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) وعيون

الأخبار (٢ : ٤٩) .

ولا سيمًا إذا قصدوا التفخيم بها . كما قال عديُّ :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَعَّصَ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

وفي الرواية الثانية - وهي المشهورة - أضافَ الحَدَّ إلى الظُّبَاتِ . وهذا فيه وجهان : أحدهما أن يكون أراد بالظُّبَاتِ السيوفَ كلها ثم أضافَ الحَدَّ إليها ، والمعنى : تسيل على حَدِّ السيوفِ دماؤنا وليست تسيل على غيرها . وهذا كما يُسَمَّى السيفُ كما هو نَصْلًا ، وكما يُسَمَّى السهمُ نَصْلًا كما هو . والثاني أن إضافةَ الحَدِّ إلى الظُّبَاتِ كإضافة البعض إلى الكل ، ويكون التقدير : تسيل على الحَدِّ من الظُّبَاتِ ، وتكون الظُّبَاتُ مَضَارِبَ السيوفِ . فإن قيل : كيف تبجَّح بأن تكون دماؤهم تسيل على حَدِّ السيوفِ لا على غيره ؟ قلت : إنَّ الدماء قد تُسَالُ بالعِصِيِّ وبغيرها مما لا يكون شَرَفًا ، فعَدَّ القِتْلَةَ التي تكون بالسِّيفِ أكرم . ألا تَرَى أَنَّ بَنِي أَسَدٍ يُسَمَّونَ « عبيد العَصَا » لما كان حُجْرُ أبو امرئ القيس حين أوقع بهم قتلهم بها ، لتكون قتلتهم ذميمة . وقد قُتِلَ كثيرٌ منهم بالجلاميد والصُّخُورِ ، ولذلك قال بعضهم :

جلاميدُ أملاء الأكَفِّ كأنها رءوسُ رِجَالٍ حُلِّقَتْ في المَواسِمِ (١)
وقال آخر (٢) :

وَلَا تُنْقَاتُلُ بِالْعَصِ يِّ وَلَا نَرَامِي بِالْحِجَارَةِ
إِلَّا عُمَّالَةً أَوْ بُدَا هَةَ سَابِحِ نَهْدِ الْجُزَارَةِ

• العلالة : البقية من الشيء .
• البداهة : المفاجأة .
• النهدي : الضخم القوائم .
• الجزارة : الأطراف .
• والرأس .
• والسابح : الفرس .

وإذا كان الأمر على هذا فعنى التبجَّح أن تكون منيتهم بالسيوف ظاهرة .

وأما قوله :

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا رُمْلَ مَا أَنْفُ خَاطِبِ بَدَمِ (٣)

والسابع : الفرس

(١) انظر البيان (٣ : ١٥) والكامل ٣٣٣ ليسك .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ١٤٤ - ١١٥ .

(٣) لمهلهل بن ربيعة ، كما في معجم البلدان (أبانان) .

السريع كما هنا يسبح بيديه

في العدو .

فإن الفحل المهجين إذا تعرض للفاقة الكريمة قرع أنفه بالعصا وضرب
وجهه بها ، فهو من ذلك مأخوذ .

١٢- صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرِّنَا إِنْأَتْ أَطَابَتْ حَمَلْنَا وَفُحُولٌ^(١)

أشار بهذا الكلام إلى كرم المناصب والمناصب ، وطيب المنبت والمغرس .
فيقول : صَفَتْ أَنسَابُنَا فَلَمْ يَشُبْهَا كُدُورَةٌ . وَخَلَصَ نِكَاحَنَا أُمَّهَاتٌ طَيِّبَاتٌ
حَمَلْنَا ، وَأَبَاءٌ كَرَّمَتْ عُرُوقَنَا . ويقال : كَدِرَ الْمَاءُ يَكْدِرُ كَدْرًا وَكُدُورًا
وَكَدُورَةً ، وَهُوَ أَكْدَرُ وَكَدِرٌ . وَفِي ضِدِّهِ صَفَا الْمَاءُ يَصْفُو صُفُوءًا ؛ وَالصَّفَاءُ
الاسم . وَمِنْ أَمْثَلِهِمْ : « خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَدِرَ » . وَالسَّرُّ : النَّكَاحُ .
وَسِرُّ الشَّيْءِ : خَالِصُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ سُرِّيَّةٌ فُعْلِيَّةٌ مِنْ هَذَا .

١٣- عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا لَوْقَتٍ إِلَى خَيْرِ البَطُونِ نُزُولٌ

يصف ترددهم في شرف المصعد والمنحدر ، وكرم العنصر والتحول ، كما
ذكر طهارة المنكح والمولد ، وجلالة المعتلى والمستقر ، فيقول : عَلَوْنَا فِي خَيْرِ
الظُّهُورِ ، أَي حَصَلْنَا فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنْ ظُهُورِ أَكْرَمِ الْآبَاءِ ، وَحَدَرْنَا مِنْهَا لَوْقَتٍ
مَعْلُومٍ - يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الْأَطْهَارِ - نُزُولٌ إِلَى خَيْرِ البَطُونِ مِنْ أَشْرَفِ الْأُمَّهَاتِ^(٢) .
والمعنى أَنَّا كَرَّمْنَا الْأَطْرَافَ . وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِذَا تَوَمَّلْتَ أَدَّى التَّأْمُلَ مِنْهَا إِلَى
سَلَامَةِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مِنْ كُلِّ مَعَابٍ^(٣) ، وَحُصُولِ الْفَخَامَةِ وَالْجَلَالَةِ لَهَا فِي كُلِّ
جَانِبٍ وَبَابٍ .

(١) نكدر ، ورد بفتح الدال في النسختين ، ويجوز ضمها ، فإن ماضيها مثلث الدال كما
في القاموس .

(٢) أي نزول من ظهور آبائهم إلى خير بطون من أشرف أمهات .

(٣) معاب ، أي عيب ، وفي الأصل : « مصاب » صوابه في م .

١٤- فنحنُ كماءِ المزنِ مافي نصابنا كهامٌ ولا فينا يمدُّ بخيلٌ

ماء المطر أصفى المياه عندهم ، فشبهه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر . والمزنُ : السحابُ . وقوله : « مافي نصابنا كهامٌ » ، أي ليس فينا كليل الحدِّ ، ولكن كلُّ منا ماضٍ نافذٌ ، ولا فينا بخيل فيعدُّ . وهو تنفي للبخل رأساً ، وليس يريد أن فيهم بخيلاً ومع ذلك لا يعدُّ^(١) . ومثله :

* ولا ترمى الضبَّ بها ينججر^(٢) *

أى ليس بها ضبُّ رأساً فينججر ، ومثل هذا كثير . ويقال كهم وكهم يكهم ويكهم كهامةً ، فهو كهامٌ وكهمٌ . يقال ذلك للرجل إذا ضعف ، وللسيف إذا كَلَّ .

١٥- نُنكرُ إن شينا على الناسِ قولهمُ ولا يُنكرونَ القولَ حينَ نقولُ

هذا مثل قول الآخر :

وما يستطيعُ الناسُ عقداً نشدهُ وننقضُهُ منهمُ وإن كان مُبرماً^(٣)

يصف رياستهمُ وعلوَّ كلامهم ونفاذَ حكمهم ، ورجوعَ الناسِ في المهماتِ إلى رأيهم ، والاعتمادَ على تدبيرهم^(٤) ومشورتهم . فيقول : نُغيِّرُ ما نريدُ تغييرَه من قول غيرنا ، وأحدُّ لا يجسرُ على الاعتراضِ علينا ، والإنكارِ لقولنا ، انقياداً لهوانا ، واقتداءً بحزمننا . وهذا كما قال الأعشى :

(١) لا يعد ، ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م .

(٢) البيت لابن أحر ، ، كما في الخزانة (٤ : ٢٧٣) . وصدده :

* لا تفرع الأرنب أهوالها *

(٣) عند التبريزي : « نشده » و « وينقضه » .

(٤) في الأصل : « في تدبيرهم » ، وأثبتنا ما في م .

* كَلُّ سَيْرَضَى بَأَن يُبَلِّغِي لَهُ تَبَعًا (١) *

١٦- إِذَا سَيْدٌ مِّنَّا خَلَا قَامَ سَيْدُهُ قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ

يشبهه قول حاتم :

إِذَا مَاتَ مَنَا سَيْدٌ قَامَ بَعْدَهُ نَظِيرُهُ لَهُ يُعْنِي غَنَاهُ وَيُخْلَفُ

وقولُ عُروَةَ :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيْدٌ قَامَ بَعْدَهُ عَلَى مَجْدِهِ غَمْرُ الْمَرْوَةِ سَيْدٌ (٢)

١٧- وَمَا أَخْجَدَتْ نَارُ لِنَا دُونَ طَارِقٍ وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ

أراد بقوله « نَارُ لِنَا » نار الضيافة . يقول : نُدِيمُ إِيقَادَهَا فَلَا تُطْفَأُ دُونَ طَارِقِ لَيْلٍ . وَالضَيْفُ إِذَا فَارَقْنَا حَمْدَنَا وَلَمْ يَذُمَّنَا ، لِحُسْنِ تَوْفَرِ نَاعِلِيهِ ، وَاحْتِفَالِنَا عِنْدَ سَوْقِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ . وَالنَّزِيلُ ، كَالرَّفِيقِ وَالْجَلِيسِ وَالْأَكِيلِ . وَالطَّرُوقُ يَخْتَصُّ بِاللَّيْلِ . وَسُمِّيَ النِّجْمُ طَارِقًا لِذَلِكَ .

١٨- وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا غُرْرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُوكُ

يقول : وَقَعَاتُنَا مَشْهُورَةٌ فِي أَعْدَائِنَا مَعْلُومَةٌ ، فَهِيَ بَيْنَ الْأَيَّامِ كَالْأَفْرَاسِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلَةِ بَيْنَ الْخَيْلِ ، يُعْرَفُ بِلَاؤُنَا فِيهَا ، وَحُسْنِ آثَارِنَا عِنْدَ النَّهْوضِ لَهَا . وَهَذَا كَمَا قَالَ :

* وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغْرُ مُحَجَّلُ *

والتحجيل : أن يبيض من الأوظفة مواضع الحجل ، وهو القيد والخلخال . . . الوظيف : مستدق

الذراع والساق من

الحجل وغيرها .

(١) كذا في الأصل ، وفي م : « يلقى لها » ، وفي الديوان ٨٦ : « بأن يرعى له » . .

وصدر البيت :

* تلقى له سادة الأقبام تابعة *

(٢) عجز هذا البيت من م . والبيت لم يرو في ديوان عروة .

فإذا ارتفع التَّحجِيلُ حتى يبلغُ الفخذين فما فوقُ فهوَ التجويفُ . قال طَنْبِيلٌ :

* شَمِيطُ الذَّنَابِي جُوِّقَتْ فِي جَوْنَةٍ ^(١٤) *

• شَمِيطُ الشَّيْءِ : خَلَطُهُ ،

وَشَمِيطُ الذَّنَابِي أَي فِي

ذَنَبِهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ .

١٩- وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُوكُ

مثله قولُ النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرُ أَنْ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُوكٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ

يقول : قد تَفَلَّلَتْ سَيُوفُنَا بِمَا نَضَارِبُ بِهَا الْأَعْدَاءَ ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ

ومغاربها . وقال : « مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ » ، لِأَنَّ الْغَرَضَ أَنْ يَكُونَ عَدُوَّهُمْ

عَلَى غَايَةِ الْإِحْتِرَازِ مِنْهُمْ ؛ وَفِي أَكْمَلِ الْأَسْتِعْدَادِ لَهُمْ . وَقَوْلُهُ : « فِي كُلِّ غَرْبٍ

وَمَشْرِقٍ » ظَرْفٌ لِقِرَاعِ الدَّارِعِينَ . أَي بِأَسْيَافِنَا فُلُوكُ مِنْ الْقِرَاعِ فِي كُلِّ

غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ .

٢٠- مُعَوَّدَةٌ أَلَّا نُسَلَّ نِصَالُهَا فَتَعْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلٌ ^(١٥)

مثله قولُ الآخر ^(١٤) :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيْمُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتْ

(١) عجزه كما في الديوان ٦٠ واللسان (شط ، جوف)

* بِنَقْبَةِ دِيْبَاجٍ وَرِيْطٍ مُتَطَعٍ *

(٢) فِي الْأَصْلِ : « قَبِيلٌ » ، وَصَوَابُ الرَّوَايَةِ مِنْ مِ وَالْتَبْرِيْزِيِّ ، وَهُوَ مَا يَقْتَضِيهِ التَّنْفِيْسُ بَعْدَهُ .

(٣) هُوَ سَلِيْمَانُ بْنُ قَنْسَةَ ، أَوْ الْفَرَزْدَقُ . دِيْوَانُهُ ١٣٩ وَاللِّسَانُ (شِيْمٌ) وَالْكَامِلُ

١٧٤ لَيْبَسُكَ وَالْعَمْدَةُ (٢ : ١٥١) . وَقَالَ الْمُبَرِّدُ « وَهَذَا الْبَيْتُ ظَرِيْفٌ عِنْدَ أَصْحَابِ الْمَعَانِي ، وَتَأْوِيلُهُ

لَمْ يَشِيْمُوا : لَمْ يَغْمَدُوا . وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى ، أَي لَمْ يَغْمَدُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا وَقَدْ كَثُرَتْ الْقَتْلَى حِينَ

سُلَّتْ » . وَقَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ : « أَرَادَ لَمْ يَغْمَدُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى ، كَمَا

تَقُولُ : لَمْ أَضْرِبْكَ وَ [أَنْتَ] لَمْ تَجْنِ عَلَيَّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنَيْتَ عَلَيَّ . وَقَالَ آخَرُونَ : أَرَادَ لَمْ

يَسْلُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا وَقَدْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى . كَمَا تَقُولُ : لَمْ أَلْقُكَ وَلَمْ أَحْسَنْ إِلَيْكَ إِلَّا وَقَدْ أَحْسَنْتَ

إِلَيْكَ . وَالتَّوْلَانُ جَمِيعًا صَحِيْحَانِ ، لِأَنَّهُ مِنْ الْأَضْدَادِ » .

• النَّقْبَةُ : وَاحِدَةٌ
النَّقْبُ ، وَهُوَ الْجَرْبُ .

وانتصب «مُعَوَّدَةً» على الحال . ويجوز أن تُرْفَعَ على أن تكون خَبَرُ ابتداء مُضْمَرٍ ، والعامل فيه إذا كان حَالاً ما يَدُلُّ عليه قوله : « بها من قِرَاعِ الدَّارِ عَيْنَ فُلُولٍ » . فيقول : عَوَّدَتْ سِوْفُنَا أَلَّا تُجْرَدَ من أَعْمَادِهَا فَتُرَدَّ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُسْتَبَاحَ بِهَا قِبَائِلُ . ويقال : عَوَّدْتُهُ كَذَا فَتَمَوَّدَهُ وَاعْتَادَهُ . والعادة من العَوْدِ وهو الرُّجُوعُ ، ولذلك قالوا المُواظِبِ على الشيء : هو معاوِدٌ له . وقوله « فَتُعَمِّدَ » ، يُقالُ نَعَمْتُ السَّيْفَ وَأَعَمَّدْتُهُ ، وَأَصْلُهُ السَّتْرُ ، وَمِنْهُ تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ .

٢١- سَلِي إِنْ جَهَلْتَ النَّاسَ عَنَّا وَعَنَّاكُمْ^(١) وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالِمٌ وَجَهْلٌ

يُرْوَى : «عَنَا فَتُخْبِرِي» . كأنه استدلَّ على تصحيح ما ادَّعَاهَا مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي عَدَّدَهَا بِشَهَادَةِ النَّاسِ لَهُ وَتَصْدِيقِهِمْ مَقَالَهُ . يقولُ : سَلِي النَّاسَ عَنَّا إِنْ جَهَلْتَ مَا حَكَيْتَهُ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى تُخْبِرِي فَتُؤْمِنِي بِهِ وَتَسْكُنِي إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ الْعَالِمُ بِالْشَيْءِ كَالْحَمَّانِ أَوِ الْمَجُوزِ أَوِ الشَّاكِّ أَوِ الْخَادِسِ أَوِ الْمَقْدَّرِ^(٢) . وَالْعِلْمُ قَدْ يَحْصُلُ بِإِخْبَارِ الْخَبْرِينَ كَمَا يَحْصُلُ بِالشَّاهِدَةِ ، فَلِذَلِكَ دَعَاهَا إِلَى مَا دَعَا مِنَ السُّؤَالِ وَالْكَشْفِ . وَقَوْلُهُ : «فَتُخْبِرِي» يَنْتَسِبُ بِأَنْ مَضْمَرَةٌ وَهُوَ جَوَابُ الْأَمْرِ بِالْفَاءِ . وَالسُّوَاءُ يَكُونُ مَصْدَرًا وَوَصْفًا فِي مَعْنَى مُسْتَوٍ . يُقَالُ : هَذَا دِرْهَمٌ سَوَاءٌ ، أَيُّ مُسْتَوٍ ؛ وَهَذَا دِرْهَمٌ سَوَاءٌ أَيُّ اسْتَوَاءٍ ، كَمَا تَقُولُ هَذَا دِرْهَمٌ تَمَامًا ، أَيُّ نَمَّ تَمَامًا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ أَيُّ مُسْتَوِيَاتٍ ، وَقُرْيٌ ﴿ سَوَاءٍ ﴾^(٣) عَلَى الْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ قَالَ : اسْتَوَاءً . حَكَى أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ : هُمَا سَوَاءٌ وَهِيَ سَوَاءٌ أَنْ .

(١) التبريزي : «عنا وعنهم» .

(٢) م : «أو المقلد» .

(٣) قراءة النصب على الحال هي قراءة الجمهور . وقرأها بالجر على النعت زيد بن علي ،

والحسن ، وابن أبي إسحاق ، وعمرو بن عبيد ، وعيسى ويعقوب . وقرأها أبو جعفر بالرفع ، أي هو سواء . تفسير أبي حيان (سورة فصلت) .

٢٢ - فَإِنَّ بَنِي الدِّيَّانِ قُطِبَ لِقَوْمِهِمْ تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

القُطْبُ: الحديدية في الطبَّقِ الأَسْفَلِ مِنَ الرِّحَى يدور عليها الطبَّقُ الأَعْلَى .
وَسُمِّيَ قُطْبُ السَّمَاءِ لِمَا يَدُورُ عَلَيْهِ الفَلَكَ . وعلى التشبيه قالوا : فُلَانٌ قُطْبُ بَنِي
فُلَانٍ ، أَيْ سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَلُودُونَ بِهِ ، وَهُوَ قُطْبُ الحَرْبِ .

١٦

الشميذر الحارثي :

قال الدُرَيْدِيُّ : شميذر : دابةٌ زعموا ، ولا أَحْسِبُهَا عَرَبِيَّةً صَحِيحَةً .

قال البرقيُّ : هذا الشعر لسُوَيْدِ بْنِ صَمِيْعِ المَرْتَدِيِّ ، من بني الحارث ،
وكان قَتَلَ أَخُوهُ غَيْلَةَ فَقَتَلَ قَاتِلَ أَخِيهِ نَهَارًا فِي بَعْضِ الأَسْوَاقِ مِنَ الحَضَرِ .

١ - بَنِي عَمَّنَا لا تَذْكُرُوا الشُّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغُمَيْرِ القَوَافِيَا

الصحراء : اسم للمكان الواسع ، وَجَمْعُهُ صَحَارٍ وَصَحْرٌ . قال :

* أَتَيْتُ مَدَّةَ صَحْرٍ وَوُوبٍ (ط) *

• الأقي : السيل .

• وُوبٍ : جمع لابة ، وهي

الصحرة ، أي الأرض ذات

المنشأ البركاني ، وتمتاز

بجارتها السود .

وأَحْرَجَ القَوْمُ : بَرَزُوا إِلَيْهَا ، وَمِنْهُ قِيلَ لِقَيْتِهِ صَحْرَةٌ بَحْرَةٌ ، أَيْ عَيَانًا وَمُبَارَزَةً .
يقول : دَعُوا التَّفَاخُرَ فِي الشُّعْرِ وَبِالشُّعْرِ ، فَإِنَّكُمْ قَصَرْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغُمَيْرِ وَلَمْ
تُبَلُّوا فِيهَا فَتَنْطَلِقَ أَسْنَتُكُمْ لَدَى المَسَاجِلَةِ ، وَتَسْتَجِيبَ قَوَافِي الشُّعْرِ لَكُمْ ، إِذَا
أَرَدْتُمْ نَظْمَهَا وَإِنْشَادَهَا ، عِنْدَ المُنَافَرَةِ وَالمُحَاكَمَةِ ، لِأَنَّكُمْ أَمْتُمْ قَوَافِي الشُّعْرِ
وَدَفَنْتُمُوهَا . فَكَمَا أَنَّ المَيْتَ لا يُجِيبُ إِذَا دُعِيَ ، كَذَلِكَ لا يُجِيبُكُمْ الشُّعْرُ إِذَا
أَرَدْتُمُوهُ ، مَعَ سُوءِ بِلَائِكُمْ ، وَقُبْحِ آثَارِكُمْ . والقافية : آخر البيت المشتمل على

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ٩٢ واللسان والمقاييس (صح) . وصدوره :

* سَيْبِيٌّ مِنْ يَرَاعَتِهِ نَفَاهُ *

• سَيْبِيٌّ : بَعْنِي المِزْمَارِ ، قَصَبٌ

مِنَ أَرْضِ غَرْبِيَّةٍ . وَالمِرَاعَةُ :

القصبه . . نفاه ١٤٠٠ -

ما بُنِيَ عَلَيْهِ الْقَصِيدَةُ . وَقَدْ يُسَمَّى الْبَيْتُ كَمَا هُوَ قَافِيَةٌ . قَالَ :

وَقَافِيَةٌ مِثْلُ حَدِّ السَّنَانِ تَبَقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالَهَا (١)

قَالَ الْأَخْفَشُ : وَتَسَمَّى الْقَصِيدَةُ بِأَسْرِهَا قَافِيَةٌ . قَالَ :

• حاك الثوب يحوكه : بنجه ، ويريد

• بنج الشر وبتجويد .

* فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ كَعْبٍ يَحُوكُهَا (٢) *

٢- فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِيبُونَ سَلَةً فَتَقْبَلُ ضَيْمًا أَوْ نُحَكِّمُ قَاضِيًا

في هذا الكلام تعريضٌ بقومٍ أشار إليهم بقوله : « كمن كنتم » ، وتصريحٌ للمخاطبين ، ومجاهرةٌ (٣) بالقول ، فهو يرميهم بالضعف وأنهم إذا نالوا من العدو شيئاً نالوه سرقةً . فيقول : لسنا كالذين كنتم تنالونهم سرقةً ، فلتزيم لكم الضيم ، أو ننصب حاكماً يقضي بيننا وبينكم . وأشار بالضم إلى التغميض على ما يكون من سرقته . وكان القوم الذين أشار إليهم وانتفى من أن يكون حاله كحالهم ، كانوا يقابلون سرقته وتجاسرهم عليهم إما بالتغميض ، وهو التزام الضيم عندة ، وإما بالمرافعة إلى الحاكم ونصب المتوسط ، والعجز في حكمه . وانتصاب « نقبل » على أنه جواب التني بالفاء . ويقولون : في بني فلان سلة ، أي سرقة . وانتصاب سلة على أنه مصدر في موضع الحال ، والتقدير : تصيبونهم سائلين وساقين .

• غمض عنه : تجاوز

• وتغافل عنه .

٣- وَلَكِنْ حَكَمَ السَّيْفُ فِيكُمْ مُسَلِّطٌ فَفَرَضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيًا

بقول : متى عدوتم طوركم ، أو خر جتم من حدكم ، فإننا نسلط السيف

(١) البيت للخنساء ، كما في اللسان .

(٢) البيت لكعب بن زهير في الشعر والشعراء ١٠٣ ، ١٠٧ . وعجزه :

* إذا ما مضى كعبٌ وفوزٌ جرول * فوز وفاز : مات ، كأنهم جعلوا

الموت نجاة للمرء من شر هذه الدار .

(٣) م : « ومجاهدة » .

• جرول : هو الحظية .

عليكم، ولا نَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ فِيكُمْ. فَتَى رَضِيَ رَضِينَا^(١)، وفي طريقته قوله :
* وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِمْ *

٤- وَقَدْ سَاءَ نِي مَاجَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا بَنِي عَمَّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيًا

دَلَّ بِقَوْلِهِ : « لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيًا » عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسُوهُ مَا جَنَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ،
لأنه وقع بالاستحقاق . ألا ترى أنه قال ساءني ذلك لو كان الأمر المؤدي إليه
أمرًا مُدَانِيًا ، وكنا نعرفُ للاحتِمالِ فيه موضعًا ، ولصبرِ عليه مجالًا ومذهبًا .
فأما والشان مُسْتَفْجِلٌ ، وتعديكم متفاقمٌ ، فإنه لا يسوءني . وقوله : « لَوْ كَانَ
أَمْرًا مُدَانِيًا » ، أراد لو كان الأمرُ أمرًا أَمَّا لَسَاءَ نِي . وإذا كان كذلك
جواب لو متقدّم ، وتلخيصه : لو كان ما تردّدنا فيه قريبًا لساءني ما جنته
الحرب بيننا ، ولكن الآن لم يسؤ . وهذا تعظيم لما كان منهم إليهم ،
وكالاعتذار عن الأخذ بالفضل عليهم ، وترك الصّح عنهم .

٥- فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا

رواه بعضهم : « فَإِنْ تَزَعُمُوا أَنَّا ظَلَمْنَا » . والزعمُ في دَفْعِ الدَّعْوَى أبلغُ ،
وإنما نَبّه بهذا الكلام على أنه لا يَعُدُّ ما عُمِلُوا بِهِ ظلمًا ، مع كونه ابتدائه
منهم ، وإن كان فيه سَرَفٌ . فيقولُ : إِنْ ادَّعَيْتُمْ عَلَيْنَا أَنَّا ظَلَمْنَا كَمْ فَإِنَّا لَمْ
نظلمكم ، مع عدوانكم ، وَسَبَقِكُمْ إِلَى الشَّرِّ وَتَهْيِيجِهِ ، وَلَكِنَّا أَسَأْنَا فِي تَقَاضِيَكُمُ
الْحَقَّ ، وَإِيفَاتِكُمُ الْجَزَاءَ ، حِينَ اسْتَخْرَجْنَا بِالْعُنْفِ وَالْقَهْرِ ، وَمَجَاوِزَةَ الْأَدْنَى مِنَ
الْأَمْرَيْنِ إِلَى الْأَقْصَى . فَكَأَنَّهُ سَمَّى مَا عَدَّهُ أَوْلَثُكَ ظَلْمًا سُوءَ تَقَاضٍ . وَالظُّلْمُ
قِيلَ فِيهِ : إِنَّهُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْأَرْضِ الصُّلْبَةِ إِذَا
حُفِرَتْ : مَظْلُومَةٌ ، وَلِلسَّقَاءِ إِذَا تُنَوَّرَ مَا فِيهِ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ : ظَلِيمٌ . وَقِيلَ : الظُّلْمُ :

(١) في الأصل : « فن رضي رضينا » ، وأثبتنا ما في م :

انتقاصُ الحق . قوله « فلم نكنْ ظلمنا » إذا كان من حكم الجواب أن يكون طبقاً للابتداء ومبنيًا عليه ، فمن الواجب عليه أن يقول : فإن قلتم إنا كنا ظلمنا . ألا ترى أننا نقولُ في قولِ الله تعالى : ﴿ وما كان اللهُ ليعذبَهُمْ ﴾ إنه كان جوابَ قائل قال كان اللهُ سيعذبُهُمْ . فننى على حدِّ الابتداء وطريقته ، لكنَّ الشاعرَ حدَّفَ من الابتداء كُنَّا ، لأن ما في الجواب يدلُّ عليه .

١٧

وَدَاكُ بْنُ نَمِيلٍ الْمَازِنِيُّ

قال البرقيُّ هو وداك بن سنان بن نميل (١) :

١ - رُوِيَ دَبْنِي شَيْبَانَ بَمَضٍ وَعِيدِكُمْ تَلَاقُوا غَدًا خَيْلِي عَلَى سَفْوَانِ

رويدًا : تصغيرُ إروادٍ ، وهو مصدرُ أرودتُ فلانًا ، على طريق الترخيم ، وانتصابه بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه لفظه . وأكثر ما يجيء تصغير الترخيم يجيء في الأعلام ، وقد يُجعلُ رويدًا اسمًا لارتُق ، فيُبنى حينئذ كما يُبنى أخواته من أسماء الأفعال . على ذلك ما جاء في المثل من قولهم : « رويدَ يعلونَ الجدد » . وقد تزايد كاف الخطاب عليه فيقال : « رويدك » ، على ذلك قولهم : « رويدك الشَّعْرَ يَغِبَّ » . وقوله : « بعض وعيدكم » انتصب بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه رويدَ ، لأنَّ مع استعمالِ الرُّفُق كفا عن بعض الوعيد ، فكأنه لما قال

• الجدد : الأرض الصلبة .
يضرب مثلًا للرجل يكون به
علة ، فيقال : دعه حتى
تذهب علة .

• يغيب : من الغاب ،

وهو اللحم البائت أي

دع الشعر حتى تأق عليه

أيام فتظفره فيضامته

أحمد أم يدم .

أو إنه أراد دع

الشعر يغيب ، أي يأمز

عن الناس ، من قولهم :

غبت الكمي إذا تأمرت

يومًا . أي لا يتواتر

شعرك عليهم فيملوه .

(١) نميل ، وردت هكذا بالنون في الأصل في هذا الموضع وسابقه ، وهي رواية نص عليها التبريزي فيما يلي . ويبدو أن « وداكا » شاعر جاهلي ، ولم نثر له على ترجمة . التبريزي : « وداك فعال من الودك والدةكة ، وأصله الصفة ، ألا ترى أن فعلا بابه بالصفة ، وقلما توجد في الأسماء . وفي الكتاب من ذلك الكلاء والجبان . قال أبو الفتح : وزادنا أبو علي الفياد : ذكر اليوم . ووجدت أنا الجيار ، وهو السعال أو نحوه ، والصاروخ أيضا . وشميل : تصغير شمل أو ثامل على الترخيم . ويقال فيه أيضا نميل بالنون » .

أزودوا يا بني شيبان قال : كُفُوا بَعْضَ الوَعِيدِ . وهذا تهكمٌ وسُخْرِيَةٌ (١) .
 وقوله : «تلاقوا» ، الجزم على أنه جوابٌ للأمر الذي دلَّ عليه رُوَيْدًا . وإنما
 جُعِلَ للأمرِ الجوابُ لأنه ضَمَّنَ معنى الجزاء والشَّرْطِ . وسَفَوَانُ : اسمُ ماءٍ قالوا
 هو من البَصْرَةِ على أميالٍ . ومعنى البيت مفهوم . وقوله « غداً » لم يُشِرْ به
 إلى اليوم الذي يلي يومه ، وإنما دلَّ على تقريب الأمر ، فكأنه قال : تلاقوا
 خَيْلي قريباً على هذا الماء (٢) .

٢- تُلَاقُوا جِيَادًا لَا تَحِيدُ عَنِ الوَعْيِ إِذَا مَا غَدَتِ فِي المَازِقِ المِتْدَانِي

الوَعْيُ ، أصله ، الجَلْبَةُ والصَّوْتُ ، وكذلك الوَعْيُ بالعين غير معجمة . قال :

• النجوش : البعوض . * كَأَنَّ وَعَى الخُمُوشِ بِجَانِبِهَا (٣) *

وجِيَادٌ هاهنا : جمع جَوَادٍ ، يقال فَرَسٌ جَوَادٌ : عتيقٌ ، وخيلٌ جِيَادٌ :
 عتاقٌ . وفي غير هذا المكان يكون جمع جَيْدٍ . وتُلَاقُوا بدل من تُلَاقُوا الأوَّلُ .
 نَبَّةٌ بهذا على أن المراد بالخيل الفُرْسَانُ ، على عادتهم في قولهم الخَيْلُ والرَّجُلُ .
 قال الله تعالى : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ ، ولهذا قال فيما بعده :

(١) السخرية ، وردت في النسختين بتشديد الياء ، وهو مصدر سخر به ، كما في اللسان ،
 ولم ترد في القاموس . والسخرية بتخفيف الياء اسم منه .

(٢) ابن جني : « وبني شيبان منصوب على نداء المضاف البتة في التولاب جميعاً ، كقولك
 مع التنوين رفقا يا بني شيبان ، وكذلك حاله إذا بناه وجعله اسماً للفعل في الأمر كأنه قال : رويدكم
 يا بني شيبان ، أي انتظروا الأمر يا بني شيبان . فإن قلت : فهل تجوز أن تكون بني شيبان مع
 كون رويد اسماً للفعل مجروراً بإضافة رويد هذه إليه ، كما تقول في الكاف والميم ، من رويدكم
 إنها مجرور بإضافة هذا الاسم المبني عليه ويستدل على أنها اسم لا حرف خطاب بما حكاه سيبويه
 عنهم من قولهم رويدكم أجمعين وأجمعون ، فأجمعين توكيد للكاف والميم ، وأجمعون توكيد الضمير
 المرفوع فيه . فالجواب أن ذلك لا يجوز هنا ، من قبل أن هذه الأسماء المسمى بها الأفعال
 لا يؤمر بها الغائب ، وإنما هي موضوعة لأمر الحاضر . »

(٣) للمتخل الهذلي ، كما في اللسان (خش ، وعى ، وعى) وديوان الهذليين (٤) :

(٢٥) . وصواب الرواية « بجانبيه » لأنه في صفة ماء . وعجزه :

* وهي ركبٌ أميمٌ ذوي هَيْاطُ *

• الهياط : الصياح والمجادلة .

• الأميم : المصاب بأتم

رأسه وهو الدماغ ،

وزم الدماغ الجملة

الرقعة التي تجعه .

« تُتْلَقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ » . ويجوز أن يكون أراد بالخيل الدواب ، ووصفها بأنها لا تجبن عن الوعى ، لدوام ممارستها له ، وتعودها إياها . ثم خبر في قوله : « تُتْلَقُوهُمْ » عن أربابها ، فيقول : أُرْفُقُوا تُتْلَقُوا فُرسَانًا كِرَامًا لا تملُّ الحروبَ ولا تغدِلُ عنها إذا ابتكرت في مضيقٍ منها ، تتلاحمُ فيه الفرسان وتتداني فيه الأبطالُ والشجعان . وإنما قال ذلك لأنه مع التداني لا يكون إلا التجالد ، وعنده تشكلُ الأمهات . والمأزق : المضيقُ ، وكان أصله من الأزق في الحرب ، فهو مفعِلٌ منه .

٣- تُتْلَقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْخَدَثَانِ

قوله « على ما جنت » يريد على جنابة . وموضعه نصبٌ على الحال ، والعاملُ فيه تعرفوا . أو تلاقوا . يقول : تلاقوا من بلائهم ما يستدلُّ به على حسن صبرهم وثباتهم في جلاذهم ، هذا مع تحامل الزمان عليهم ، وسوء تأثير الدهر فيهم . وأصل الصبر : الحبسُ ، ومنه قتل فلان صبراً . وحدث الدهر وأحدثه وحدثاته وحوادثه : نوازلُهُ .

٤- مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطْوُهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يَمَانِ

مَقَادِيمُ : جمع مِقْدَامٍ . وبشبه هذا البيت قوله :

إِذَا قَصَّرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَّضَارُبِ (١)

وقد مرَّ مثله ، لكن في هذا قلباً ، وذلك أنه قال : وَصَّالُونَ خَطْوُهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ ، وكان الواجب أن يقول : كُلُّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يَخْطُوهُنَّ . ألا ترى أنه قال : إِذَا قَصَّرَتْ أَسْيَافُنَا وَصَلْنَاهَا بِخُطَانِنَا ؟ وقال الآخر :

(١) سبق البيت في ص ١٠٩ .

* نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرُنَ بِمُخْطَوِنَا (١) *

ومثل هذا البيت في القلب بل في تبين جواز القلب ، وقول حميد بن ثور :
نَصِلُ اُلْخَطَى بِالسَّيْفِ وَالسَّيْفَ بِالْخَطَى إِذَا ظُنُّ أَنْ السَّيْفَ ذَا الأَثْرِ قَاصِرُ
٥ - إِذَا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَاهُمْ لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ (٢)

هذا مثل قوله :

لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهِمَ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا (٣)
والمعنى : إنا لا نطلب العِللَ على الاستنجيد توذلاً إلى دفعه أو مَطْلِهِ ،
ولكننا نعجل غَوْنَهُ على كلِّ حال . والاستنجاد : الاستصراخ . ورجل
مِنْجَادٌ : مِعْوَانٌ ، وقد أَنْجَدَنِي ، وَيُقَالُ هُوَ نَجَدٌ مِنْ قَوْمِ أَنْجَادٍ . ومثله
قول الآخر :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحٌ فَرِغَ كَانَ الشَّرَاخُ لَهُ قَرَعٌ الظَّنَابِيْبِ (٤)

الظنوب : حرف عظم

الساق . ويقال قرع

ظنوبه لهذا الأمر كناية

عنا بحجة وسرعة الإجابة

له .

١٨

سَوَّارِ بْنِ الْمُضْرَبِ السَّعْدِيِّ (٥) :

من سَعْدِ بَنِي تَمِيمٍ . وَقَالَ الْبَرْقِيُّ : مِنْ سَعْدِ بَنِي كَلَابٍ .

١ - فَلَوْ سَأَلْتُ سَرَاةَ الْحَيِّ سَلَمَى عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي

(١) لكعب بن مالك الأنصاري كما في الخزانة ٣ : ٢٢ والسيرة ٧٠٥ - ٧٠٦ وشرح

شواهد المغني ١٢٢ . ونسبه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢٧٩ إلى ربيعة بن مقروم . وعجزه :

* قدما ونلحقها إذا لم تلحق *

(٢) م : « أم لأى مكان » .

(٣) البيت ٤ من الحماسة الأولى .

(٤) لسلامة بن جندل في المفضليات (١ : ١٢٣) .

(٥) المضرب بتشديد الراء المفتوحة ، ذكر الخريزي أنه سمي بذلك لأنه شيب بامرأة

فحلف أخوها ليضربنه بالسيف مائة ضربة ، فضربه فغشي عليه ، فسمي مضرباً لذلك . وهو شاعر

إسلامي ، ذكر المبرد في الكامل ٢٨٩ ، ٦٦٦ أنه هرب من الحجاج ، وقال :

أقاتلي الحجاج إن لم أزر له دراب واترك عند هند فؤاديا

وذكره الأمدى في المؤتلف ١٨٣ .

سَرَاةُ النَّاسِ : خِيَارُهُمْ . وَسَرَاةُ الْإِبِلِ بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةٌ : كَرَامُهَا . وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ ^(١) . وَقَالَ الْخَلِيلُ : السَّرْوُ : سَخَاءٌ فِي مَرْوَةٍ . وَسَرَا يَسْرُو فَهُوَ سَرِيٌّ وَقَوْمٌ سَرَاةٌ ، وَلَمْ يَجِيءْ عَلَى فَعْلَةٍ غَيْرِهَا . يَعْنِي أَنَّ فَعْلَةً يُخْتَصُّ بِهَا الصَّحِيحُ فِي الْجَمْعِ دُونَ الْمَعْتَلِّ ، وَذَلِكَ كَالْفَجْرَةِ وَالْفَسَقَةِ . وَتَلَوَّنَ الزَّمَانُ يُشِيرُ بِهِ إِلَى تَصَارُيفِهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ . فَيَقُولُ : لَوْ بَحَثْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِي عَلَى تَبَدُّلِ الْأَبْدَالِ ، وَتَغْيِيرِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ بِي فِيمَا مَضَى ، وَتَنَقُّلِ الْأَحْدَاثِ عَلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَجَوَابُ « لَوْ » يَجِيءُ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِ : « أَنْ تَلَوَّنَ » ، وَأَنْ إِذَا وُصِّلَ بِالْمَاضِي أَفَادَ حَدَثًا مَاضِيًّا ، وَإِذَا وُصِّلَ بِالْمُسْتَقْبَلِ أَفَادَ حَدَثًا مُسْتَقْبَلًا .

٢ - لَخَبَّرَهَا ذَوُو أَحْسَابٍ قَوِيٍّ وَأَعْدَائِي فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي

قَوْلُهُ : « لَخَبَّرَهَا » جَوَابُ لَوْ . وَأَحْسَابٌ : جَمْعُ حَسَبٍ ، وَهُوَ مَا يُحْسَبُ وَيُعَدُّ عِنْدَ التَّفَاخُرِ . يَقُولُ : لَوْ سَأَلْتُ لِأَنْبَاءِهَا بِخَيْرِي أَشْرَافُ قَوْمِي ، وَأَمَائِلُ أَعْدَائِي ، فَكُلُّ مِنْهُمْ قَدْ خَبَّرَنِي . يُشِيرُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ زَعَمَاءَ قَبِيلَتِهِ وَذَوِي الشَّرَفِ مِنْ رَهْطِهِ ، يَعْتَرِفُونَ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِمَا يَكْسِبُهُ جَمِيلَ الذِّكْرِ ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ عَلَى مَا قَاسَوْا مِنْ وَقَعَاتِهِ بِهِمْ ، وَكَابَدُوا مِنْ بَدْرَاتِهِ فِيهِمْ ، لَا يَجْحَدُونَ تَبْرِيْزَهُ ، وَلَا يُفَكِّرُونَ تَقْدِيمَهُ . وَمَنْ اعْتَرَفَ لَهُ بِالْفَضْلِ مُوَالِيَهُ وَمُعَادِيَهُ ، وَصَدَّقَهُ فِي دَعْوَاهِ أَقَارِبُهُ وَأَجَانِبُهُ ، فَهُوَ النَّهَائِيَّةُ فِي الْكَمَالِ ، وَالغَايَةُ عِنْدَ الْبَحْثِ عَنِ الْفَعَالِ . وَقَوْلُهُ : « فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي » اعْتِرَاضٌ حَصَلَ بَيْنَ خَبَرٍ وَمَفْعُولِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « بَدَّبِّي الذَّمَّ » ، وَالْفَاءُ دَخَلَتْ مَعْلَقَةً لْجَوَابِ الْجُمْلَةِ بِهَا .

٣ - بَدَّبِّي الذَّمَّ عَنْ حَسْبِي بِمَالِي وَزَبُونَاتِ أَشْوَسَ تَيْحَانَ

الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « بَدَّبِّي » تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ لَخَبَّرَهَا . وَكَأَنَّ الْإِخْبَارَ بِحَسَنِ دِفَاعِهِ

عن حَسَبِهِ بِمَالِهِ ، وَكَرَمِ مَحَافِظَتِهِ عَلَى شَرَفِهِ وَحَالِهِ ، مِنْ تَرْكِيَةِ ذَوِي الْأَحْسَابِ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِ ، وَالْإِنْبَاءِ بِدَفْعِهِ مَعْرَةَ الْأَشْوَسِ التَّيَّحَانَ ، مِنْ إِخْبَارِ أَعْدَائِهِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ . فَكَمَا أَجْمَلَ فِي الْأَوَّلِ أَجْمَلَ فِي الثَّانِي ، ثِقَةً بِأَنْ مَسَامِعَ عِنْدَ التَّفْصِيلِ يَرُدُّ كَلًّا إِلَى مَوْضِعِهِ . وَإِنَّمَا خَصَّ ذَوِي الْأَحْسَابِ مِنْ قَوْمِهِ لِأَنَّ شَهَادَتَهُمْ أَوْجَهُ ، وَالتَّحَاوُدَ لَهُمْ أَشْمَلُ ، وَالقَرِينَ بِمُقَارَنِهِ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ : « زَبُونَاتٍ » فَعُولَاتٌ مِنَ الزَّبْنِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ . وَالتَّيَّحَانَ : العَرِيضُ المِقْدَامُ ، وَهُوَ فِعْلَانٌ يَفْتَحُ العَيْنَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَوَى بِكسرها ، لِأَنَّ فِعْلَانَ لَمْ يَجِيءْ فِي الصَّحِيحِ فَيُنَبِّئُ المَعْتَلَّ عَلَيْهِ قِيَاسًا . وَفِعِلُّ كسيدٍ مِنَ الأَبْنِيَةِ المَخْتَصَّةِ بِالمَعْتَلِّ . وَمِثْلُ تَيَّحَانَ هَيَّيَانٌ ، وَهِيَ صِفَتَانِ حَكَاهُمَا سِيبَوِيهٌ بِالفَتْحِ ، وَمِثْلَهُمَا مِنَ الصَّحِيحِ قَيْقَبَانٌ وَسَيْسَبَانٌ . وَتَيَّحَانٌ ، مَنْ تَاحَ لَهُ يَتَوَحُّ وَيَتِيحُ لَغْتَانٌ ، إِذَا أَشْرَفَ وَتَهَيَّأَ . وَرَجُلٌ مَتِيحٌ ، وَيُقَالُ قَلْبٌ مَتِيحٌ أَيْضًا . وَأَتِيحُ لَهُ كَذَا . وَمِثْلُ الزَّبُونِ البَيْتُوتُ ، وَهُوَ السَّقِيطُ (١) ، وَالهَمُّ المَبَايِتُ لِصَاحِبِهِ . يُقَالُ زَبَنَتْهُمْ الحَرْبُ ، وَحَرْبُ زَبُونٌ وَطَحُونٌ . وَالزَّبْنِيَّةُ وَاحِدُ الزَّبَانِيِّ مِنْ هَذَا . وَفِعْلِيَّةٌ مِنَ الأَبْنِيَةِ الَّتِي تَلَزِمُهَا الهَاءُ . وَالْأَشْوَسُ : الَّذِي يُعْرَفُ فِي نَظَرِهِ الغَضَبُ وَالحَقْدُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي المَتَكَبِّرِ وَالمُهَيَّبِ .

• القَيْقَبَانُ : ضُشْبٌ تَعْمَلُ مِنْهُ السَّرُوجُ .

٤ - وَأَيْنِي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مَجْنَنًا جَانِ

فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الآخَرِ :

وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلِيَّهٗ فَأَسَى وَآدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى (٢)

وَيُرَوَى : « وَأَيْنِي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ » فَيُعْطَفُ عَلَى بَدْيِ الذَّمِّ ، وَيَكُونُ مَوْضِعُهُ جَرًّا ، وَيَكُونُ هَذَا مِمَّا شَهِدَ بِهِ الأَعْدَاءُ لَهُ أَيْضًا . فَإِنْ كَسَرْتَ إِني

(١) السَّقِيطُ ، مَا سَقَطَ مِنَ النَّدَى عَلَى الأَرْضِ .

(٢) آدَاهُ : عَاوَنَهُ . وَهَذِهِ رِوَايَةٌ م . وَفِي الأَصْلِ : « وَآدَاهُ » بِالدَّالِ مَجْجَمَةً .

فهو على الاستئناف والانقطاع عما قبله . والمعنى : إني ألبسُ الحروبَ وأمارسُها دائماً ، فإذا لم يكن لي من أحوالي وزماني ما يبعثني على مجاذبة الأعداء ومدافعتهم ، طلبت من قد شقي بمثل ذلك ، فدافعتُ دونه وحميتُ عليه ، لأنني لا أصبر على حال السلامة والسلم . ومثله قول الآخر :

وما إن تراه الدهرَ إلا مُغرراً بنفسِ أبتِ إلا صعبَ المرآكبِ

١٩

آخر (ك) :

١- ولقد شهدت الخيل يوم طرادها فطمعت تحت كنانة المتمطر^(٢)

• طراد الخيل هو

يحمل بعضهم على بعض
ويطارد بعضهم بعضاً
في الحرب أو غيرها .

يقال : تمطر الرجل ، إذا أسرع . ويقال مطر به ، وقطر به ، إذا بادر^(٣) . وأراد بالخيل الفرسان ، كأنه يخاطب بهذا الكلام من شهيد معه المعركة ، فخيره بمعاملته المتمطر الذي عهدته ، وقوله : « تحت كنانة » أشار به إلى المقتل . وهذا المتمطر كأنه كان بارزه ، أو أراد أن يبادر إلى أمر ، فحال بينه وبينه . والكنانة من الكن : الستر ، لأنه يَصَانُ بها النبل .

٢- ولقد رأيتُ غداة شلنَ عليكم شولَ المخاضِ أبتِ على المتغبر^(٤)

يُروى : « ولقد رأيتُ الخيلَ شلنَ عليكم » ، أي شائلة . والتقدير : وقد شلن . وأراد بالخيل هاهنا الدواب ، وهي تشولُ بأذنانها إذا اشتدَّ عدوُّها ؛

• سالت الدابة
بذنبها : رفضته .

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : هذه الأبيات لبعض بني تيم الله بن ثعلبة ، يوم أواره . وأواره : موضع ، وهو الموضع الذي أحرق به عمرو بن هند بني دارم » .
(٢) أشار التبريزي إلى رواية : « لبابة المتمطر » ، وقال : اللبابة : ثوب يتلبب به الرجل على ثيابه ، إذا تحزم لحرب » .
(٣) التبريزي : « والمتمطر : اسم رجل من لحم ، وهو من قوطم : تمطر الرجل ، إذا أسرع » .
(٤) ترتيب هذا البيت عند التبريزي ثالث الأبيات ، وثالثها هنا ثانيها عنده .

وَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ مِنْهَا عَلَى قُوَّةِ ظَهْرِهَا . فيقول : لقد رأيتكم منهزمين والخيل
تعدو عليكم رافعةً أذنانها ، رَفَعَ النَّوْقِ الحَوَامِلَ لها إذا طَلَبُ حَلْبُ غُبْرِ لَبْنِهَا .
والغُبْرُ : البقيّةُ ثَبَقِيَ مِنَ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ . وَيُقَالُ تَغَبَّرْتُ الغُبْرَ ، كما يُقَالُ
تَحَلَّبْتُ الحلوب . والمخاضُ لا واحدَ لها من لفظها ، وهي اسم مفردٌ موضوع
للنَّوْقِ الحوامل ، والواحد من غير لفظها : خَلْفَةٌ . وقوله : « أبتُ على المتغبر »
قد معه مضمره ، وهو واقعٌ موقع الحال . أراد : رأيتُ الخيلَ شائلةً أذنانها
عليكم شَوْلَ المخاضِ آبيَّةً على المتغبر . ومن روى : « ولقد رأيت غداة » فقد
أضمر مفعول رأيت ، وهو الخيل . وساغ ذلك ، لأنَّ قوله ولقد شهدتُ الخيلَ
— وإن أريد به الفرسان — يدلُّ عليه .

٣- ونطاعين الأبطال عن أبنائنا وعلى بصائرنا وإن لم نبصر

ذَكَرَ الأبناء كنايةً عن الحَرَمِ ، كما قال الآخر :

* نَقَاتِلُ الأبطالِ عَن بَنِينَا *

والبصائرُ : جمع بصيرة ، وهو ما يستدلُّ به الرجلُ من رأيه وَعَقْلِهِ على
ما يَغِيبُ منه . وعلى ذَا سُمِّيَتِ الطَّرِيقَةُ مِنَ الدَّمِ بصيرةً ، لأنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِهَا على
الجرحِ ، وفُسرَ قوله :

رَأَوْا بِصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتافِهِمْ وَبصيرتي يَعْدُو بِهَا عَتْدُ وَأَيُّ (١)

على الوجهين جميعاً . فإذا جعلتها بصائر الرأي يكون المعنى خَلَفُوا آراءَهُمْ
وطرَحُوهَا ، كما يقالُ تَرَكْتُ الرَّأْيَ بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، وَجَعَلْتُ غَدًا مَنِيَّ عَلَى
ظَهْرِي (٢) . ومعنى « وبصيرتي يعدو بها عتد وأي » أن رأيه معه نافذٌ مستمرٌّ ،

• العتد : الفرس التام
أخلاقه ، السريع الوثبة ،
المعد للجرى ، ليس فيه
اضطراب ولا رفاوة .
الوأي : الطويل من
الخيل . أي حملوا دم
أيهم على أكتافهم
وتسوا طلب الثأر ،
ببناهم ثأره ليطالب
به .

(١) للأسعرا الجعفي من قصيدة في أول الأصمعيات طبع لبيسك . وأنشده في اللسان (وأي) .

(٢) م : « بظهر » .

وإذا جعلتها بصائر الدم يكون المعنى أنهم مهزومون مكلمون^(١) في ظهورهم وأقفاهم، فدماؤهم على أكتافهم . ومعنى « وبصيرتي يعدو بها عتد وأى » في هذا الوجه أن دمي سالم في نفسي وفرسي يعدو بي . ومعنى البيت : إنا ندافع عن حرمنا وحرينا ، وعلى ما يعترض في الوقت ، نفعل ذلك وإن لم نبصر عاقبة الأمر ، ولم نتبّعها بالفكر فيها ، وتأمل نتائجها ، فنعلم مآلها . وهذا شأن الفتاك فيما يمشونه من أحكام الحرب وينفذونه ، ويفتلونه من أسباب الجذاب والنزاع ويبرمونه . وقد قيل في هذا البيت إنه كما حكي عن مسيئة حين قال لبني حنيفة : « قاتلوا عن أحسابكم ، فأما الدين فلا دين » . وكان المعنى على هذا : وعلى بصائرنا في الحرب عند المحافظة على الشرف وإن لم نبصر أمر الدين . وهذا بعيد متعسف ، وإذا تأملته ظهر لك . وفي الطريقة الأولى قول القطامي :

وخيّر الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبّعه أتباعا

وسمعت بعض أصحاب المعاني يقول : المعنى إنا نقاتل الأبطال جرياً على عادة الناس عند نظرهم لدنياهم ودينهم ، في الذبّ عن الحرم والعشيرة والشرف ، وعلى الأديان والاعتقادات والبصائر ، وإن لم نبصر وجهاً واحداً من هذه الوجوه نقاتل أيضاً ، لأنّ همّنا القتل والقتال . قال : فحذف مفعول وإن لم نبصر لأنّ المراد مفهوم . وكذلك حذف جواب إن ، لأنّ فيما تقدّم دليلاً عليه .

(١) م : « مكلمون » .

٢٠

القطريُّ بن الفجاءة المازني (١)

١ - لا يَزَكَنُّ أَحَدٌ إِلَى الْأَحْجَامِ يَوْمَ الْوَعْيِ مُتَخَوِّفًا لِحِمَامٍ

قَصْدُهُ إِلَى الْبَعْثِ وَالتَّحْضِيضِ ، عَلَى التَّفْرِيرِ بِالنَّفْسِ وَالتَّعْرِيفِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَحْتُ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى تَرْكِ الْفِكْرِ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَرَفْضِ التَّحَرُّزِ خَوْفًا مِنَ الْمَاعِطِ . وَيُنَبِّهُ عَلَى أَنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْأَجَلَ إِذَا جَاءَ لَمْ تُغْنِ مَعَهُ قُوَّةُ الْأَمَلِ ، فَيَقُولُ : لَا يَمِيلَنَّ أَحَدٌ إِلَى هَجْرِ الْإِقْدَامِ ، وَالسُّكُونِ إِلَى الْإِحْجَامِ فِي الْحَرْبِ مُتَخَشِّعًا مِنَ الْمَوْتِ . وَالْإِحْجَامُ : مَطَاوَعَةٌ حَجَمْتُ أَي كَفَفْتُ وَدَقَفْتُ . فَهُوَ كَالْإِكْبَابِ فِي أَنَّهُ لِمَطَاوَعَةٍ كَسَبْتُ . وَيُقَالُ حَجَمْتُ الْبَعِيرَ ، إِذَا خَطَمْتَهُ بِمَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْعَضِّ ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الشَّيْءَ الْحِجَامَ .

٢ - فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاكِ دَرِيئَةً مِنْ عَنِّ بَمِيْنِي مَرَّةً وَأَمَامِي

الدَّرِيئَةُ تَهْمَزُ وَلَا تُهْمَزُ ، فَتُجْعَلُ مِنَ الدَّرِّ وَهُوَ الدَّفْعُ ، وَمِنَ الدَّرِيِّ وَهُوَ الْخَيْلُ ، وَهَذَا سُمِّيَتْ الدَّابَّةُ الَّتِي يَخْتَلِبُ بِهَا الصَّيْدُ لِيُمْكِنَ فِرْمَى : دَرِيئَةً ، وَالحَلْقَةُ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّنُّ دَرِيئَةً . وَيُمْكِنُ خَمَلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا . فَإِذَا جَعَلْتَ الدَّرِيئَةَ الحَلْقَةَ يَقُولُ : لَا يَفْعَلَنَّ ذَلِكَ أَحَدٌ وَلِيَعْتَبِرُ بِحَالِي ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ نَفْسِي فِي غَيْرِ وَقْتٍ وَحَالٍ ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَاكِ بِمَنْزِلَةِ الحَلْقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّنُّ ، فَتَأْتِنِي الرَّمَاكِ مِنْ جَوَانِبِي كَلَّمَا ثُمَّ سَلِمْتُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ

(١) قطري أحد زعماء الخوارج ، خرج زمان مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله . وكانت ولاية مصعب في سنة ٦٦ للهجرة ، فبقى قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش فيهمزه ، ولم يزل كذلك حتى توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ . وقطري : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وليس قطري اسما له ، بل اسمه جمونة بن مازن . وفيات الأعيان .

اليمن والتقدم لأنه يعلم أن اليسار في ذلك كاليمين . فأما الظهر فإن الفارس لا يُمكنُ منه أحداً . وإذا جعلت الدرّية الدابة الموصوفة يكون المعنى : فلقد أراني وقد اتقيت بي فصرتُ سُرةً لغيري من الطعن ، كما تكون تلك الدابة سُرةً للصائد^(١) والطعنُ يتناولني . وعلى هذا يكون معنى « للرّماح » من أجل الرّماح . والأوّلُ أحسنُ . وقوله : « من عن يميني » من تعلقَ بفعلٍ دلّ عليه قوله أراني دريئةً للرّماح ، وهو تأتيني وما يجري جِراهُ . وعن من قوله « عن يميني » اسمٌ هاهنا ، وليس بحرفٍ . والمعنى من جانب يميني ، ومثله قول الأعشى^(٢) :

* من عن يمين الحبيّا نظرةً قبل^(٣) *

وقول الآخر :

• من عن يمين الدارِ والحائطِ *

٣- حتى خضبتُ بما تحدرّ من دمي أكنافَ سرجي أو عنانَ لجامي

• العنان : سُرّ
اللجام الذي تمسك به
الدابة .
واللجام : الحديدية في
فم الفرس ، ثم سمّوها
مع ما يتصل بها من سُور
وآلةٍ للجام .

وقوله « أو عنان لجامي » ، أو هاهنا ليست للشك ، وإنما هي التي يُراد بها أحدُ الأمرين على طريق التعاقب ، أي إمّا ذا وإمّا ذا . ولك أن تريد الجمع ، لأن أصل « أو » الإباحة . وهذا كما يُسأل الرجل فيقال له : ما كان طعامك في بلدك ؟ فيقول : الحنطة ، أو الأرز . والمعنى أحد هذين ، على أن يكون كلُّ واحد منهما بدلاً من صاحبه أو الجميع . ومعنى البيت : انتصبتُ للرّماح حتى خضبتُ بما سال من دمي إمّا عنانَ لجامي وإمّا جوانبَ سرجي ، أي على

(١) في الأصل : « للصيد » وأثبتنا ما في م .

(٢) كذا . والصواب أنه القطامي ، كما في اللسان (عنن) وديوان القطامي ه .

(٣) صدره : * فقلت للركب لما أن علا بهم

حَسَبَ مَا اتَّفَقَ مِنَ الطَّعْنِ . فَالْعَيْنَانِ لِمَا سَالَ مِنْ أَعَالِيهِ ، وَجَوَانِبِ السَّرْحِ لِمَا سَالَ مِنْ أَسَافِهِ .

٤- ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جَذَعَ البصيرة قَارِحَ الإقدام

• الْجَذَعُ مِنَ الرِّجَالِ : الشَّابُّ الْكَحْتُ . وَمِنْ الْإِبِلِ : مَا اسْتَكْمَلَ أَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ وَدَخَلَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ . وَمِنْ الْكَيْلِ وَالْبَعْرِ : مَا اسْتَكْمَلَ سِتِينَ وَدَخَلَ فِي الثَّلَاثَةِ وَمِنْ الصَّنَانِ : مَا بَلَغَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ أَوْ سِتَّةَ .
وَالْقَارِحُ مَنْ ذِي الْكُفْرِ : مَا اسْتَمَّ الْخَامِسَةَ وَسَعَطَةَ سَنَهُ النَّبِيِّ لِلرَّبَاعِيَةِ وَنَبَتْ مَكَانَهَا نَابَهُ .

الجدوعه قبل الإثناء بسنة ، والدَّهْرُ لجدته يُسَمَّى جَدْعًا ، وكذلك يقال لمن يُرَى في أمر ما على حالة واحدة : هو جَدَعٌ فيه . وانتصابُ « جَدَعَ البصيرة » على أنه حالٌ وهو نِكْرَةٌ . والمعنى ثم انصرفت مع ما وصفتُ من حالي واتَّفَقَ مع ضيق المجال عليّ ، وقد نلتُ ما أردتُ من الأعداء ولم ينالوا مني ما أرادوا ، وأنا على بصيرتي الأولى لم يبدُ لي في الاقتحامِ ، ولا غلبَ في اختياري التَّطَرُّفَ والانحرافَ ، بل صار إقدامي في الحرب قَارِحًا لَطُولِ ممارستي ، وتكرُّر^(١) .

والمبارزتي ، وإن كان بقي رأبي فيه جَدْعًا . وهذا يريدُ به ما يترقى فيه الإنسان من التدرُّبِ والتمرُّنِ عند مزاولَةِ الأعمالِ ، ومن بقاء ولوعِهِ بها ، وحرصِهِ عليها على حدِّه في أوّل الشَّأنِ . وكما جعلَ هذا القروح والجدوعه : البصيرة والإقدام ، قال أبو تمام :

* كَهْلُ الْأَنَاةِ فَتَى الشَّدَاةِ (٢) *

فنقله كما ترى . واقتدى به البحترى فقال :

* إِقْدَامُ غَيْرٍ وَعِزَامُ مُجْرَبٍ (٣) *

وقد أشار الأعشى إلى كلِّ ذلك في قوله :

(١) في الأصل : « وتكنه » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) هو بتمامه كما في الديوان ٢٠٧ :

كهل الأناة فتى الشداة إذا عدا للحرب كان التشعم الغطريفا

(٣) في ديوان البحترى ٢٠ :

ملك له في كل يوم كرية إقدام ليث واعتزام مجرب

* تَمَهَّلَ فِي الْحَرْبِ حَتَّى امْتَهَنَ (١) *

وفي طريقته قولُ أبي الغولِ :

وَلَا تَبَلَى بَسَاتِهِمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا لِلْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ (٢)

٢

الحريشُ، ويُرَوَّى للعبَّاسِ بنِ مردَّاسٍ (٣) :

١ - شَهْدَنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوِّمَاتٍ حُنَيْنًا وَهِيَ دَائِمِيَّةُ الْحَوَامِي

الْحَوَامِي مِنَ الْحِمَايَةِ ، وَهِيَ الْمَنَعُ . وَكَمَا جَعَلُوا لِلْحَوَافِرِ حَوَامِيَّ سَمَّوْا مَا يُطَوَّى بِهِ الْبُرُّ مِنَ الْحِجَارَةِ وَغَيْرِهَا لِيَحْمِيَ جَوَانِبَهَا مِنَ التَّشَعُّثِ وَالتَّهْدُمِ : حَوَامِيَّ . يَصِفُ خَيْلًا فَيَقُولُ : حَضَرَتْ حُنَيْنًا مَعَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، مُعَلَّمَاتٍ وَقَدْ دَمِيَتْ جَوَانِبُ حَوَافِرِهَا لِكثْرَةِ الْعَدُوِّ ، وَلِمَا لَحِقَهَا مِنَ التَّعَبِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا هَوَازِنَ بَوَادِي حُنَيْنٍ ، وَرَئِيسُ هَوَازِنَ مَالِكُ بْنُ عَوْفِ النَّصْرِيِّ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ دُرَيْدُ ابْنِ الصَّمَّةِ الْجَشْمِيِّ . وَإِنَّمَا قَالَ « مُسَوِّمَاتٍ » لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَاتٍ لِيَبِينَ بِهَا فَضْلُ كُلِّ مِنْهُمْ وَبِلَاؤِهِ . وَالسِّيَاءُ : الْعَلَامَةُ ، وَقَدْ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَالتَّخْلِيلِ الْمُسَوِّمَةِ ﴾ عَلَى ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ سِيَاءٌ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ﴾ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي م : « امْتَحَنَ » . وَفِي الدِّيْوَانِ ٢١ : « حَتَّى امْتَحَنَ » . وَاللِّسَانُ (تَحْنَن) : « حَتَّى امْتَحَنَ » . وَصَدْرُهُ :

* عَلَيْهِ سِلَاحٌ امْرِيٌّ مَاجِدٌ *

(٢) انظُرِ الْهِمَاسِيَّةَ ٣ : ٤ .

(٣) التَّبْرِيذِيُّ : « وَقَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هَلَالِ الْقُرَيْعِيِّ ، وَيُرَوَّى لِلْجِحَافِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ عَاصِمٍ » . وَالْحَرِيشُ هَذَا مُخْتَلَفٌ فِي صَحْبَتِهِ . انظُرِ الْإِصَابَةَ ٢٠٨٣ . وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ فَهُوَ صَحَابِيُّ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ . انظُرِ تَرْجُمَتَهُ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٢٥٩ وَالْأَغَانِي (١٣ : ٦٢ - ٧٠) وَالْحِزَافَةَ (١ - ٧١ - ٧٤) وَالْمَرْزُبَانِيَّ ٢٦٢ - ٣٦٣ . عَلَى أَنَّ الْأَبْيَاتَ رَوَاهَا الْأَعْلَمُ فِي شَرْحِ الْهِمَاسَةِ لِحِفَافِ بْنِ نَدْبَةَ . انظُرِ الْإِصَابَةَ ٢٠٨٣ .

٢ - وَوَقَعَةَ خَالِدٍ شَهَدَتْ وَحَكَّتْ سَنَا بِكَمَّا عَلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ

أصلُ الحَكِّ صَدْمٌ جَسْمٌ بآخِرٍ وَتَرْدِيدُهُ عَلَيْهِ لِيؤْتِرَ فِيهِ . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ
فَقَالُوا : حَكٌّ هَذَا الْأَمْرُ فِي صَدْرِي ، لِمَا يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِكَ . وَهُوَ يَتَحَكَّكَ
بِفُلَانٍ أَيْ يَتَعَرَّضُ لَهُ ، حَتَّى إِذَا يَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الْخَفِيِّ : هُوَ حَكِّكَ نَحِيَّتٌ (١) .
وَيَعْنِي خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ . وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ ، وَإِنَّمَا نَسَبَهَا إِلَى
خَالِدٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ خَالِدًا يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى الْخَيْلِ فَلَقِيَ
قَرِيشًا بِالْخَنْدَمَةِ (٢) ، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ . فَيَقُولُ : وَحَضَرَتْ أَيْضًا وَقَعَةَ خَالِدٍ يَوْمَ
الْفَتْحِ ، وَحَكَّتْ أَطْرَافَ حَوَافِرِهَا بِأَرْضِ الْحَرَمِ . وَالْمُرَادُ بَيَانُ طَوْلِ مُمَارَسَتِهَا
لِلْحُرُوبِ وَالْوَقَعَاتِ ، وَتَرَدُّدِهَا فِي تَحْمُلِ أَعْيَابِ الشَّرِّ وَالْمَشَقَّاتِ .

٣ - نَعْرَضُ لِلسُّيُوفِ بِكُلِّ تَعْرِ خُدُودًا مَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ

مثله :

نُهَيْنُ النَّفُوسَ وَهُونُ النَّفُوسِ سِ يَوْمَ الْكَرْبِيَّةِ أَوْقَى لَهَا (٣)
يقول : نبتدل في الحروب أنفسنا طلباً لصياتها ، ونستقتلُ فنتعرضُ
ولا نتقبضُ (٤) عنها ، بل نبذلُ لها وجوهنا التي هي حرمُ النفوسِ ، ولو عرضَ
علينا في السلمِ والسلامِ بذلُها للطَّامِ ، لأنفناً منه وامتنعنا . والمعنى : نتلقى السيوفَ
بخُدودِنا إذا كسبنا ذِكْرًا ، وإن صُنَّاهَا عن الأذى اليسيرِ . وَأَكْشَفُ مِنْ
هَذَا وَأَشْرَفُ قَوْلُ الْآخِرِ :

(١) في الأصل : « نخبث » ، صوابه في م .

(٢) الخندمة : جبل بمكة .

(٣) للخنساء ، كما في الحيوان (٦ : ٤٢٧) . على أن أقرب تمثيل له هو قول القتال

الكلابي ، في الكامل ٦٧ :

نمرض للطعان إذا التقينا وجوها لا تعرض للسباب

(٤) م : « ننتقبض » .

ويبتذلُ النفسَ المصُونَةَ نَفْسَهُ إذا ما رأى حَقًّا عليه ابتذالها^(١)
 ٤- وَلَسْتُ بِمَخَالِعِ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الكِمَاءُ وَلَا أَرَامِي^(١) • هَرَّ الكَلْبُ نَهْرًا هَرِيرًا
 نَجًّا وَكَثَّرَ عَدَايَايَ .

الثَّيَابُ يَعْنِي بِهَا السَّلَاحَ ، وَهَذَا كَمَا يُسَمَّى بَزًّا . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ :

* بَزُّ امْرِي مُسْتَسْلِمٌ حَازِمٌ^(٢) *

وقول الهدليّ :
 * فَوَقَّرَ بَزًّا مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(٣) *
 • وقمر : صارت فيه وقرات ،
 أي هزّمت بالسيف .

يعني السيف . وهذا يحتمل وجهين : يجوز أن يكون المعنى لا أنزعُ ثيابي
 وقت هَرِيرِ الأبطالِ تَشْمُرًا وَتَخَفُّفًا ثم لا أُبْلِي ولا أُجْتَهِدُ ، ولكن إذا وَطَّنتُ
 نفسي على الشَّرِّ تَقَصَّيْتُ أبلغ ما يكون منه بأبلغ ما يكون من بلائي . وموضع
 « ولا أرامي » نَصَبٌ على الحال ، أي لا أفعل ذلك غَيْرَ مُرَامٍ . وَيَعْنِي بِالْمُرَامَةِ
 مَدَافِعَةَ الخِصْمِ وَمَجَاهَدَتَهُ بكلِّ ممكن ومُعْرِضٍ . وليس يريدُ الرَّمِيَّ بالنَّبَالِ .
 وقد توسَّعُوا في الرَّمِيِّ والمُرَامَةِ حتَّى اسْتَعْمِلَ في الافتخار ، واستُعير لتأثير
 الدَّهْرِ والشَّيْبِ وَلِنَظَرِ المَجْبُوبِ المُفْتَنِّ . ويجوز أن يكون نَفَى الأمرين جميعاً
 فقال : لا أَخْلَعُ ثِيَابِي تخفيفاً عن نفسي في التَّوَلِّيِّ والانهزام عند هَرِيرِ الشُّجْعَانِ ،
 ولا أَرَامِي أيضاً ، يعني الرَّمِيَّ بالنَّبَالِ ، ولكن أتلقَّى الشَّرَّ وَأصْدِمُهُ بوجهي .
 ويشهد لهذا أوَّلُ البَيْتِ التَّالِيِ له ، وإنما قال ذلك لأنَّ المُرَامَةَ تكون من بعيد
 فتمْخِطُ وتصيب ، وعند الكافية^(٤) تَشْكُلُ الأمهات .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « نفسها » .

(٢) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري في المفضليات (٢ : ٨٥) برواية : « حاذر » .

وعجزه : * للدهر جلد غير مجزاع *

(٣) لتيس بن عيزارة الهدلي في ديوان الهدليين (٣ : ٧٨) . وصدده :

* فَوَيْلٌ أُمَّ بَزٍّ جَرَّ شَعْلًا عَلَى الحصى *

* انظر ص ٣٩٠ *

(٤) م : « المفاتحة » .

٥- وَلِكِنِّي يَجُولُ الْمُهْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

العَضْبُ: القَطْعُ والمنع ، ثم قيل سَيْفٌ عَضْبٌ ، أي قاطِعٌ ، كما قيلَ ضَيْفٌ فِي الضَّائِفِ (١). وقال الخليل: سُمِّيَ السَيْفُ حُسَامًا لِأَنَّهُ يَحْسِمُ الْعَدُوَّ عَمَّا يُرِيدُ مِنْ بُلُوغِ عَدَاوَتِهِ . وقوله: « بِالْعَضْبِ » ، أي وَمَعِيَ الْعَضْبُ ، وهو فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . ومعنى البيت ظاهر .

٢٢

ابنُ زِيَابَةَ التَّيْمِيِّ: (٢)

مأخوذٌ من زَيْبِ الرَّجُلِ (٣) .

١- نُبِيتُ عَمْرًا غَارِزًا رَأْسَهُ فِي سِنَةِ يُوعِيْدُ أَخْوَالَهُ

جَعَلَ غَرَزَ الرَّأْسِ كِنْيَةً عَنِ الْجَهْلِ وَالذَّهَابِ عَمَّا عَلَيْهِ وَهُوَ مِنَ التَّحْفُظِ . وَنُبِّي وَأُنْبِيٌّ مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلٍ . فَعَمْرًا انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ . وَغَارِزًا ، انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَالِثٌ ، وَرَأْسَهُ انْتَصَبَ مِنْ غَارِزًا . وَأَرَادَ بِالسَّنَةِ: الْغَفْلَةَ ، وَهِيَ مَا يَحْدُثُ مِنْ أَوَائِلِ النَّوْمِ فِي الْعَيْنِ وَلَمْ يَسْتَحْكِمْ بَعْدَ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ التَّشْبِيهِ وَأَبْلَغِ التَّعْرِيفِ . وَالْإِبْعَادُ إِذَا كَانَ عَلَى مَا وَصَفَ حَقِيقٌ بِالتَّهْجِينِ . يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

(١) الضائف: الذي يضيف القوم ضيفا وضيافة ، أي ينزل بهم ويميل إليهم .

(٢) هو عمرو بن الحارث بن همام ، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة ، شاعر جاهلي ، وزياطة أمه . يقول فيها :

يا لطف زياطة للحارث الـ مصابيح فالغائم فالأزيب

وقال أبو ريش: هو فارس مجلز عمرو بن لأي . انظر اللآلي* ٥٠٤ .

(٣) التبريزي: « زياطة اسم مرتجل للعلم ، وهو فعالة أو فيعالة أو فوعالة ، من لفظ الأزيب ، وهو النشاط » .

• يقال أقصدت الرجل :

إذا طعنته أو رميته بسهم

فلم تخطي مقاتلته .

• رنقا النوم في عينه :

خالطها .

• الركاب للترح :

ما توضع فيه الرجل .

وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ الْعَاسُ فَرَنْقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِفَائِمٍ (١)

وقد فصل الله تعالى بينهما بقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ . والفعل

وَسِنَّةٌ يَوْمَسْنُ وَسَنًا . وموضع « يُؤْهِدُ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ . ومعنى « غَارَزَا

رَأْسَهُ » : مُدْخِلًا ؛ ومنه الْغَرَزُ بِالْإِبْرِ . ويقال : غَرَزَ فُلَانٌ رَجُلَهُ فِي الْغَرَزِ ،

أَي فِي الرَّكَّابِ . وَتَوَسَّعُوا حَتَّى قَالُوا : اغْتَرَزَ فُلَانٌ فِي رَكَابِ الْقَوْلِ .

٢ - وَتِلْكَ مِنْهُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ إِذَا قَالَهُ

هذا الكلام تهكمٌ وسُخْرِيَّةٌ ، وفي طريقته قول الآخر :

وَأَمَّا أَخُو قَرْطٍ فَلَسْتُ بِسَاحِرٍ فَقَوْلًا أَلَا يَا اسْمَ بُمْرَةَ سَالَا

قال هذا ومُرَّةٌ مُعَرَّضٌ لِكُلِّ بَلَاءٍ . « أَنْ يَفْعَلَ » مَوْضِعُهُ رَفْعٌ عَلَى الْبَدَلِ

من قوله وتلك منه . والمعنى تلك الخصلة لا يؤمن وقوعها من عمرو ، وهو

فَعَلَهُ لَمَّا يَقُولُهُ .

٣ - الرُّمْحُ لَا أَمْلَأُ كَفِّي بِهِ وَاللَّبْدُ لَا أَتَّبِعُ تَرْوَالَهُ

هذا التمدح منه تعريضٌ بخصمه وإزراءٌ بفروسيته ، وإشارةٌ إلى أن أصدقاء

هذه الأوصاف مجتمعة فيه . فيجوز أن يكون المعنى : إني لا أقتصرُ من تعاطي

أنواعِ السلاحِ على الرُّمْحِ فقط ، ولكنني أجمع في الاستعمالِ بينها . وهذا كما

يُقال : مَلَأَ كَفَّهُ مِنْ كَذَا (٢) فليس فيه موضعٌ لغيره . ويجوز أن يكون

المعنى : [إني أستعمل رُمحي بأطراف أصابعي لحذقي واقتداري ، ولا آخذه

بجميع كفي (٣)] . وهذا كما يُقال : أَقْبِضُهُ وَلَا أَقْبِضُهُ ؛ لأنَّ الْقَبْضَ : الْأَخْذُ

بأطراف الأصابع ، والقَبْضُ بِالْكَفِّ كُلِّهَا . ومثله قول الآخر (٤) :

(١) لعدي بن الرقاع ، كما في اللسان (رنق) .

(٢) في الأصل : « من هذا » وأثبتنا ما في م .

(٣) التكللة من م .

(٤) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي . المفضليات (١ : ١٥٦) .

• اللَّبَقُ : الظرف والرفق
والحذق، ومنه اللبق واللبيق.

• اللبد : ما يوضع
السرّج .

* لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بِنَانِيًا (١) *

وقوله : « واللبد لا أتبع تزواله » أراد : أزم ظهر دابتي ، وإن مال اللبد لم أمل معه . وهذا كما قال أبو النجم :

أدرك عقلاً والرهانُ عملةً ثقفُ أعاليهِ وقارُ أسفلهُ (٢)

أي كأنه يُلصِقُ الأسفل بظهر الفرس فلا يزول ولا يميل .

٤ - والدرع لا أبغي بها ثروة كل امرئٍ مُستودعٍ ماله

لولا أن قصده في التمدح إلى التعريض بالمخبر عنه لكان لا معنى لهذا الكلام . ألا ترى أن قوله : « والدرع لا أبغي بها ثروة » وقد فسّر على أنه يجوز أن يكون المراد : لا أقتني الدرع لكي أتجرّ فيها فأتمول . وترك التجارة في الأسلحة ليس فيه كبير تمدح (٣) . ويجوز أن يكون المعنى : لا أعدّها سبباً في ارتفاع المغنم فأثري ، ويكون كقول عنتره :

يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدَةِ الْوَقِيعَةِ أَنِّي أَغَشَى الْوَعْيَ وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وقوله : « كل امرئٍ مُستودعٍ ماله » ، يريد به : المال ودائع عند الناس ، ولا بدّ من اجتماعها والتقاضي بها وإن أمهلوا مدّةً ، فلم أتجرّ في درعي أو لم ألبسها لتغنم الأنفال بها ، والمال هذه حاله عند أربابه . ويكون هذا كما قال الآخر (٤) :

وما المالُ والأهلون إلا ودائعٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

ويجوز أن يكون « ما » من قوله « ماله » بمعنى الذي ، فيكون المعنى : كل

(١) صدره : * وكنْتُ إذا ما الخيلُ شَمَّها القنَا *

(٢) م : « ثقف » بالنون .

(٣) هذا ما في م . وفي نسخة الأصل : « كثير تمدح » .

(٤) هو لبيد . ديوانه ٢٢ طبع فينا ١٨٨٠ .

• شَمَّها : نفرها ، كشمها
بالسين .

امري مرتين بأجله ، وبالذي كتب له ، ولا يمتنع أن يكون أشار به « ما » إلى ما يقتنى من أعراض الدنيا . ويروى : « كلُّ امريُّ مُستودِعٌ ماله » بكسر الدال ، والمعنى أن ما يجمعه المرء يكسبه إذا جاء تحتوم القضاء يتركه لغيره لا تحالة ، فلم أرغب فيه وفي ادخاره ، وأزهد في اكتساب المحامد والمعالي ؟ وهذا الكلام نهاية في التنقص من عرض به ، وغاية في الطعن عليه ، والقذح في عادته . ويروى : « والدرع لا أبغي بها نثرة » ، وهي الواسعة . والمعنى : إني أكتفي من الدرع ببذنة ، فلا أطلب ما يفيض فيضاً ، ويجب مع هذه الرواية والتفسير أن يكون معنى المضراع الثاني : كلُّ امريُّ مرتين بأجله ، يومئذ ليومه .

• البدن : القصيرة من الدروع .

٥ - آليت لا أذفن قتلاًكم فدخلوا المرء وسرباله

• دخلنا النوب : نخره بالدمنة ، وهي ما يتبخر به من الطيب .

هذا البيت لم أجده في نسخ كثيرة ، فيغلب في ظني أنه ليس من الاختيار . هو على ما به فله قصة مشهورة زعموا . وهي أنه يروى فيه أن واحداً من المخاطبين كان أحدث في حرب حضرها خوفاً على نفسه ، فعرض الشاعر بهم وذكركم سوء بلائهم ، وضعف ثباتهم . وإنما يريد أنهم إذا صرعوا في المعركة عثر منهم إن لم يطيبوا على مثل ما فعله ذلك الواحد المعرض به ، أو استدل بالرائحة عليه فانتضحوا . وهذا تهكم أيضاً وتعيير بالاتفاق السبي . وآليت معناه حلفت ولفظه لفظ الخبر ، والمعنى معنى القسم . وربما قالوا : آليت على نفسي .

(١) بين هذا البيت وسابقه بيت رواه التبريزي وهو :

إنك يا عمرو وتترك الندى كالعبد إذ قيد أجماله

وقال : « قال ابن السكيت : أنت كالعبد اقتصر على موضع يرعى فيه ولا يتعزب بإبله . وقال غيره : أي إنك قد تركت الندى واكتساب الشرف به ، فلا تستفيد ، كالعبد يقيد أجماله ويونام فيستريح . وطلب الشرف إنما يكون مع التعب » .

٢٣

الحارث بن همام الشيباني^(١)١ - أَيَا ابْنَ زِيَابَةَ إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَلَقَّنِي فِي النَّعْمِ الْعَازِبِ^(٢)

النَّعْمُ يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ ، والتذكير فيه أغلب . وفائدته في الإفراد الإبلُ في الأكثر ، وإذا جُمِعَ دَلَّتْ على الأزواج الثمانية^(٣) . يُعْرَضُ بأنه راجع فيقول : يا ابنَ زِيَابَةَ إِنَّكَ لَا تَجِدُنِي رَاعِيًا يَبْعِدُ فِي المَرَعَى بِإِبِلِهِ . والمعنى أنت كذلك ، ويُقالُ : مَالٌ عَازِبٌ وَعَزَبٌ^(٤) ، إِذَا بَعُدَ عن أَهْلِهِ . وَرَوْضٌ عَازِبٌ : بعيد المَطْلَبِ .

٢ - وَتَلَقَّنِي يَشْتَدُّ بِي أَجْرَدُ مُسْتَقْدِمُ البِرْكَهِ كَالرَّارِكِبِ^(٥) فرس أجرد : قصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم .

قوله : « وتلقني » عطفه على الجواب ، لأنه يصلح أن يكون جواباً . ألا ترى أنه لو قال : إِنْ تَلَقَّنِي تَلَقَّنِي كَذَا ، لَصَلَحَ ؟ يقول : تَلَقَّنِي يَبْعُدُو بِي فَرَسٌ قَصِيرُ الشَّعْرِ ، مُتَقَدِّمُ الصَّدْرِ ، مُشْرِفٌ كَالرَّارِكِبِ ، [أي إشرافه إشرافُ الرَّاكِبِ^(٥)] لا المَرْكُوبِ . وَيَشْتَدُّ : يَفْتَعِلُ من الشَّدِّ ، وهو العَدُو . وَيُقَالُ : اسْتَقْدَمُ وَتَقَدَّمَ ، واستأخر وتأخر ، بمعنى . والبِرْكَهُ ، كُسْرًا باؤها عند اتِّصَالِ الهَاءِ بِهَا ، لولا ذلك لَقِيلَ بَرَكٌ بفتح الباء .

• البرك والبركة : الصدر ، وقيل ما يلي الأرض من صدر البعير إذا برک .

(١) الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، شاعر جاهلي .

(٢) ابن زياية ، مضت ترجمته قريباً ، وهو ابن الحارث بن همام . ولهذا المقطوعة :

استبعد بعضهم أن يكون ابن زياية هو عمرو بن الحارث بن همام ، وارتضى القول الآخر .

(٣) هي النضآن والمعز والإبل والبقر ، ذكورها وإناثها . انظر الآيتين ١٤٣ ، ١٤٤ ،

من سورة الأنعام .

(٤) كذا في النسختين ، والمعروف « العزيب » .

(٥) التكلة من م .

٢٤

فأجابه ابن زيابة

١ - يا لهف زيابة للحارث ال صابح فالغائم فالآيب

يخوز أن يكون أورد هذا الكلام ساخراً متهانفاً ، ومستهنزناً متهكماً ، فوصفه بهذه الصفات وكان الأمرُ بخلافه ، ويقربُ هذا أن ما قبل هذه المقطوعة في مثل هذه الطريقة . ويخوز أن يكون ذكر ما كان منه (١) على الحقيقة ، فهو يتحسرُ لما رأى من فلاحه في غزاته ، وسلامته في مآبه . ويقولُ : يا حسرة أُمِّي (٢) من أجل هذا الرجل فيما ارتفع له من المراد في الغزو ، وجمع له من السلامة والوفْرِ . والصابحُ ، يخوز أن يكون في معنى مُصبحٍ ، كما قال :

* حين لاحت للصابحِ الجوزاء (٣) *

والغارة وقتها الغداة ، فذلك قال : للحارث المصبح عندنا والغائم منا . والترتيب الذي يفيدُه الفاء جارٍ على سَنَنِه ، كأنه أراد للحارث الغازي نحونا والغائم منا - والغنمُ بعد الغزو - فالآيب إلى قومه - والأوبةُ بعد الاستغنام . ويخوز أن يكون الصابحُ من صَبَحْتُ القومَ ، إذا أتيتهم صباحاً . وفي اللَّئْل السائر « صَبَحْنَاهُمْ فَعَدَوْا شَامَةً (٤) » . وهذا الوجهُ أوجهٌ وأجودُ . واعلم أن الصفة إذا جاءت للتبيين وإزالة اللبس عن الموصوف ، فالوجهُ أن يُعمدَ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « أن يكون ذكر منه » .

(٢) في الأصل : « يا حسرة بي » ، وفي م : « يا حسرة أي » .

(٣) لأبي زيد الطائي . الحيوان (٥ : ٢٣١) والخزانة (٣ : ٢٨٣) . وصدوره :

* أي ساع سعى ليقطع شربي *

(٤) ذكره الميداني في مجمع الأمثال وقال : « أي أوقعنا بهم صباحاً فأخذوا الشق

الأشام ، أي صاروا أصحاب شامة ، وهي ضد البينة » .

الإهناف : صبحك
المستهنزي . تهانفاً
به : صبحك ساخراً .

إلى أخصها بالوصوف ، وأحققها بالبيان والشرح ، حتى تُغني عن العُدُول عنها إلى غيرها من الصفات . فإن اتفق بعد ذلك لبسٌ حينئذٍ يُزال بما يُضمُّ إليه . وإذا جاءت للتعظيم أو التهجين فإنه قد يُوالى بين عدّةٍ منها بحروف النَّسَقِ وَمِنْ دُونِهَا : تقول : جاءني زيدٌ الظريفُ الكاتبُ الفاضلُ العالمُ : وإن أتيت بالواو العاطفة متخللةً له ساغ^(١) ، فإن قيل : إذا كانت الصفة هي الموصوف ، والشئ لا يُعطفُ على نفسه ، فكيف جازَ عطفُ بعضِ الصفاتِ على بعض ؟ قلتَ : تَفايُرُ المعاني الحاصلةِ بها وقوّةُ اتّصالِ بعضها ببعضٍ في بابي الصلّةِ والصفةِ ، سوَّغَ ذلك في ألفاظها .

٢ - وَاللَّهِ لَوْ لَاقَيْتُهُ خَالِيًا لَأَبَّ سَيْفَانَا مَعَ الْغَالِبِ

أَقْسَمَ بِاللَّهِ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ لَاقَيْتُهُ مِنْفَرِدًا عَنْ أَشْيَاعِهِ لِحَصَلِ سَيْفَانَا لِلْغَالِبِ مَنًّا . وَذَكَرَ السَّيْفَيْنِ وَالْمَرَادُ جَمِيعُ مَا مَعَهُمْ مِنْ بَرِّهَا وَسِلَاحِهَا ، لَعَلَّوْا شَأْنَهُمَا . وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلْسَّيْفَيْنِ عَلَى الْمَجَازِ . وَالْمَعْنَى : لَوْ خَلَوْتُ بِهِ لَقَتَلْتُهُ أَوْ قَتَلْتَنِي .

٣ - أَنَا ابْنُ زَيْبَابَةَ إِنْ تَدْعُنِي آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ

قوله : « وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ » يَجْرِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ ، وَيَكُونُ مَبْنِيًّا عَلَى مَا قَالَ لِبَيْدٍ ، وَهُوَ :

وَكَذِبِ النَّفْسِ إِذَا حَدَّثَهَا إِنْ صَدَقَ النَّفْسِ يَزُرِّي بِالْأَمَلِ

وَالْمَعْنَى : كُلُّ مَنْ يَحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَكْذِبُهَا ، ثُمَّ الْظَّنُّ عَلَى مَنْ لَا يَتَحَقَّقُ أَمَلُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ : أَنَا الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ ، إِنْ دَعَوْتَنِي لِمَبَارَزَتِكَ جِئْتُكَ ، فَإِنْ كُنْتَ تَظُنُّ غَيْرَ هَذَا فَظَنَّكَ عَلَيَّ ، لِأَنَّكَ تَكْذِبُ نَفْسَكَ فِيمَا تَتَوَقَّعُهُ مِنْ قُعودِي عَنْكَ ، أَوْ نُكُولِي عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَيْكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى :

(١) هذا الصواب من م . وفي الأصل : « لما ساغ » .

إِنْ تَدْعُنِي أَجْبِكَ ، فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنْ تَكُونَ الْغَالِبَ فَظَنُّكَ عَلَيَّ ، لِأَنَّكَ تَكْذِبُ نَفْسَكَ .

٢٥

الأَشْرُ النَّخَعِيُّ (١) :

١- بَقِيتُ وَفَرِي وَأَنْحَرَفْتُ عَنِ الْعَلَاءِ وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بَوَجْهِ عُبُوسٍ

الْوَفْرِ : لِلْمَالِ الْكَثِيرِ . وَالْعُبُوسُ : الْكُلُوحُ عَنِ غَضَبٍ ، وَتَوَسَّعُوا فَقَالُوا :

يَوْمَ عُبُوسٍ ، أَي شَدِيدٍ . وَهُوَ جَبَسٌ عَبْسٌ ، فِي اللَّثِيمِ . وَهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ الشَّرِيفَةِ ، وَاللَّفْظُ لَفْظُ الْخَبَرِ ، وَظَاهِرُهُ الدُّعَاءُ ، وَمَحْصُولُهُ الْقَسَمُ . فَيَقُولُ :

ادَّخَرْتُ مَالِي وَلَمْ أَفَرِّقْهُ فِيمَا يَكْسِبُ لِي حَمْدًا ، فِعْلَ الْبُخْلَاءِ ، وَزَهَدْتُ فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ وَالْمَأْتَرُ زُهْدَ الْأَدْنِيَاءِ ، وَتَلَقَّيْتُ الْأَضْيَافَ (٢) بَوَجْهِ رَجُلٍ كَالْحَرِّ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الْيَمِينِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي (٣) *

٢- إِنْ لَمْ أَشَنَّ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ (٤)

شَنَّ الْغَارَةَ مُعْجَمَةً ، وَسَنَّهَا مُعْجَمَةً : صَبَّهَا . وَأَصْلُ جَمِيعِهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الأشر : لقب له ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يفيوث بن مسلمة بن ربيعة النخعي الكوفي . أدرك الجاهلية ، وكان من أصحاب علي ، شهد معه الجمل وصفين وغيرها ، وكان ممن ألب على عثمان وشهد حصره ، وولاه علي بن أبي طالب مصر بعد صرف قيس بن عباد عنها ، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات سنة ٣٨ . ولقب بالأشر لأن رجلا ضربه في يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قبيحا إلى عينه فشترتها . الإصابة ٨٣٣٥ وتهذيب التهذيب ومعجم المرزباني ٣٦٢ . التبريزي : « وفي الشعراء آخر يقال له الأشر بن عامر ، أحد بني عوف بن ولاد بن تيم اللات . ومنهم الأشر الهامي الأزدي من بني حمارة من أزد عمان » .

(٢) م : « أضيافي » .

(٣) صدره : * ما قلت من سيبي * مما أتيت به *

(٤) التبريزي : « ابن حرب ، يعني معاوية بن أبي سفيان » .

• الجبوس : الجبان الضعيف ، وهو الجامد من كل شيء ، الشتل الروح والفاسق .

• الأشر : السلابجي هذا العيين الأسفل ، ثم أطلق على قطع الجفنة الأسفل .

ثم حَصَلَ التَّوَشُّعُ فِيهَا . يَقُولُ : تَصَوَّرْتُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا وَأَقْسَمْتُ بِهَا ، إِنَّ لَمْ أَصُبَّ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ خَيْلًا لَا تَحْلُو يَوْمًا مِنْ اخْتِلَاسِ نَفُوسٍ ، وَاتِّهَابِ آجَالٍ . وَسَمِّيَ الْخَيْلُ غَارَةً لِمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِهَا تَكُونُ . وَمَوْضِعُ « لَمْ تَحْلُ يَوْمًا » نَصَبٌ عَلَى الصِّفَةِ لِلغَارَةِ ، أَيْ خَيْلًا جَرَتْ عَادَتُهَا بِذَلِكَ . وَالنَّهَابُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا نَاهَبْتُهُ وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْمَغَاوِرَةِ وَالْمَارَاةِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ النَّهَبِ . وَجَوَابُ « إِنَّ لَمْ أَشُنَّ » فِيمَا تَقْدِمُ .

٣- خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالِيِّ شُرْبًا تَعْدُو بِيضٍ فِي الْكِرِيهَةِ شَوْسٍ

• السُّلَى وَالسُّعْلَاءُ :
أَجْدُ ، وَجَمْعُهَا سَعَالِي .

الشُّرْبُ (١) : الضُّمُّرُ . وَالشُّوسُ : جَمْعُ أَشْوَسٍ . وَيُقَالُ شَاسَ يَشُوسُ وَشَوْسَ يَشُوسُ ، إِذَا عُرِفَ فِي نَظَرِهِ الْغَضَبُ أَوِ الْكِبَرُ . وَانْتَصَبَ « خَيْلًا » عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ غَارَةٍ . وَشَبَّهَ الْخَيْلَ فِي ضَمْرِهَا وَسُرْعَةِ نَفَاذِهَا بِالْجَنِّ . وَانْتَصَبَ « شُرْبًا » عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْخَيْلِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ « كَأَمْثَالِ » ، أَيْضًا صِفَةٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا لِلضُّمْرِ فِي كَأَمْثَالِ السَّعَالِيِّ . وَالْمَعْنَى : خَيْلًا تَشَابَهَ السَّعَالِي فِي حَالِ شُرُوبِهَا وَضَمْرِهَا . وَقَوْلُهُ : « تَعْدُو بِيضٍ » أَيْضًا صِفَةٌ ، إِمَّا لِقَوْلِهِ شُرْبًا ، وَإِمَّا لِلأَوَّلِ تَعْدُو بِرِجَالِ كِرَامٍ ، مُتَكَبِّرِينَ فِي الْحَرْبِ ، ذَوِي أَنْفَةٍ . وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ مَفْرَدَاتٍ وَجُمَلٍ فِي الوَصْفِ ، فَالترتيب المختار تقديم المفردات على الجُمَلِ ، وَقَدْ جَاءَ الْبَيْتُ عَلَى ذَلِكَ . وَالعَرَبُ تَجْعَلُ الْبِيضَ كِنَايَةً عَنِ الْكِرَامِ ، كَأَنَّهَا تُرِيدُ نَقَاءَ العِرْضِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* أُمَّكَ بِيضَاءٌ مِنْ قِضَاعَةٍ ... (ط)

وَكَأَنَّ فَعَلُوا هَذَا جَعَلُوا العُرَّ كِنَايَةً عَنِ الْكِرَامِ ، وَرَبَّمَا قَالُوا غُرَّانُ .

(١) هذا ما في م والتبريزي . وفي الأصل : « الشزوب : الضمر » يقرآن على المصدرية .

(٢) البيت بتمامه كما في شرح ديوان زهير ٥٢ واللسان (بيض) :

أملك بيضاء من قضاة في البيت الذي يستكن في طنبو

سأما قولهم : « بيض الوجوه » فالمراد أنهم لم يفعلوا شيئاً يشينهم فيغير لونهم عند ذكره . وقد قالوا في ضده : « أَوْجُهُمْ كَالْحَمِّ » ، و « سُودُ الْوُجُوهِ » .
وأما الشَّوْسُ فكما وُصِفَ به الرَّجَالُ وُصِفَ به الخيلُ أيضاً ، والمراد به عِزَّةُ النفس . وقوله « في الكريهة » للحوق الهاء بها الحِقُّ بباب الأسماء ، ويُستعمل في نوازل الدهر وشدائد الأمر . وهو ظَرْفٌ إن شئتَ لما دلَّ عليه قوله « بيضٌ » من الكرم ، وإن شئتَ لقوله شُوسٌ . والكرم في الكرائه : نزاهة النفس عن لوازم العار .

ع - حَمِيَّ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ وَمَضَانَ بَرَقِ أَوْ شَعَاعُ شُمُوسٍ
شَعَاعُ الشَّمْسِ : انتشار ضوئها . ويقال : أَشَعَّتِ الشَّمْسُ : انتشر شعاعها .
يقول : حَمِيَّتِ الْأَسْلِحَةُ يَوْمَ الْوَعْيِ لَصَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ ، وَطُولِ مُقَامِهِمْ . ثُمَّ شَبَّهَ لِمَعَانِهَا بِوَمَضَانَ الْبَرَقِ أَوْ شَعَاعِ الشَّمْسِ ، وَجَمَعَ الشَّمُوسَ لِاخْتِلَافِ مَطَالِعِهَا .
وَالْوَمَضَانَ : مَصْدَرٌ وَمَضٌ ، وَكَذَلِكَ الْوَمَضُ وَالْوَمِيضُ . وَيُقَالُ فِي فِعْلِهِ : أَوْمَضَ أَيْضًا .

٢٦

مَعْدَانُ بْنُ جَوَّاسِ الْكِنْدِيِّ (١) :

وَدَخَلَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي الْبَابِ لِمَا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى مِنْ
الْفِظَاظَةِ وَالْقِسْوَةِ .

(١) معدان بن جواس بن فروة بن سلمة بن المنذر بن المضرب بن معاوية بن عامر بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن السكون السكوني الكندي ، وكان له حلف في ربيعة . مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ونزل الكوفة وكان نصرانياً فأسلم في أيام عمر بن الخطاب ، وقام الزبير بن العوام بأمره . الإصابة ٨٤٣٥ ومعجم المرزباني ٤٠٧ . على أن هذه الخماسة تنسب أيضاً إلى أبي حوط حجبة بن المضرب السكوني ، وهو شاعر جاهلي فارس . نص على ذلك التبريزي ، وكذا الأمدى في المؤلف ٨٥ .

١- إن كان ما بُلِّغْتَ عَنِّي فَلَا مَنِيَّ صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلُ (١)

قوله « صديقي » يجب أن يُريدَ به الكثرة لا الواحد . ويقال : شَلَّتْ يَدُهُ شَلًّا . وهذا من الجنس الأول في أن لفظه لفظُ الخبر ، والمعنى معنى الدعاء ، وللراد القسم . وقوله « فلاني » لاني في موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : فأنا لاني . والفاء مع ما بعده جواب إن . والمعنى : إن كان ما أَدَّيَّ إِلَيْكَ عَنِّي حَقًّا ففعلت ما استحققتُ به لَوْمَ الصديق ، واسترختُ أصابعي . فإن قيل : اليمين والشرط (٢) كيف يصح ؟ قلت : هذا كلام مُبْطَلٌ لما ادَّعِيَ عليه ، نافٍ له ، فاليمين تناوَلَتْ نَبِيَّ ما أُثْبِتَ فيه ، ودفعَ ما قَرِفَ به . ودلَّ على ذلك فحوى الكلام . ويجوز في « كان » أن يكون التامة لا الناقصة ، فيكتفي بالفاعل ولا يحتاج أن يُضْمَرَ بَعْدَهُ « حَقًّا » . والمعنى إن وقع ما بُلِّغْتَ عَنِّي وَحَدَّثَ . وتخصيصه للأنامل لأن أكثر المنافع بها . وجاز إضمارُ خبر كان إذا جعلتها ناقصة لأن في الكلام والحال دليلاً عليه ، ولأن دخوله على المبتدأ والخبر ، فكما يُحذفُ الخبر في ذلك الباب يُحذفُ هنا .

٢- وَكَفَّنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا بِرِدَائِهِ (٣) وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أَعَادِي قَاتِلٌ

وَخَدِي انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ التَّوَحُّدِ . وَفِي النَّحْوِيِّينَ مِنْ يَجْعَلُهُ وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةً فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . يَقُولُ : وَفَجِئْتُ بِمُنْذِرٍ وَأُحْوِجْتُ إِلَى أَنْ أَبْأَشَرَ تَكْفِينَهُ وَتَجْهِيْزَهُ بِنَفْسِي - وَهَذَا مِمَّا يَزِيدُ الْمَصَابَ كَلْمًا وَدَاءً - وَصَادَفَ ابْنِي مِنْ أَعْدَائِي مَنْ لَا يُبْقِي عَلَيَّ (٤) . وَأَعَادِي بَقَاءُهُ عَلَى الْفَتْحِ خَلْفَتُهُ ،

(١) بلغت ، بخطاب المؤنثة كما في النسختين . وعند التبريزي : « بلغت » بخطاب المذكور .

(٢) م : « اليمين في الشرط » .

(٣) م : « في ثيابه » . التبريزي « في ردايه » .

(٤) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن الصحيح نسبة الشعر إلى حجية بن المضرب . وأن المنذر هو أخو حجية ، وأن حوطا هو ابنه الذي كنى به . ثم روى عنه سبب الشعر .

ولأنه الأصل في ياء الضمير إذا حُرِّك . وعلى هذا تقول : هؤلاء بَنِيَّ ومُعْطِيَّ ، وهذا قَاضِيَّ . وأَعَادِيَّ يجوز أن يكون أَفَاعِلَ وأضافه ، ويجوز أن يكون أَفَاعِيلَ كأبَابِيَّتِ وخَفَّفَهُ ، كما خَفَّفَ أَثْنَابِ ثُمَّ أضافه . ويجوز أن يكون لَمَّا رَامَ الإِضَافَةَ اجتمع ثلاث ياءاتٍ فَحَذَفَ مَدَّةَ أَفَاعِيلِ .

٢٧

عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ الكِلَابِيِّ (١) :

١- طَلَّقْتِ إِنْ لَمْ تَسْأَلِي أَيُّ فَارِسٍ حَلِيلِكَ إِذْ لَاقَى صُدَاءَ وَخَشَعَمَا

جَعَلَ الإِقْسَامَ عَلَيْهَا بِمَا يَضِيقُ طَرِيقَهَا فِي التَّجَوُّزِ وَالإِهْمَالِ ، لَمَّا وَلاَهَا
الْبَحْثَ وَالسُّؤَالَ . هَذَا إِذَا جَعَلْتَ الْكَلَامَ دُعَاءً . يَقُولُ : بِنْتِ مِنْ زَوْجِكَ
إِنْ لَمْ تُنَشِّئِي بِالسُّؤَالَ عَنْ أَحْوَالِهِ حِينَ لَاقَى هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ ، هَلْ أَبْلَى فِي
مَلَاقَاتِهِمَا ، وَكَيْفَ ثَبَّتَ فِي وَجوهِهِمَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ طَلَّقْتَ وَعِيداً تَوَعَّدَهَا
بِهِ إِنْ لَمْ تَنْتَهَ إِلَى مَرْسُومِهَا (٢) . وَالْحَلِيلُ : الزَّوْجُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُحَالُ

« أن النعمان بن المنذر أغار على بني تميم فنذروا به ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب ، وكان فيمن معه حجة بن المضرب ، وكانت أخته فكيمة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة ، فنذر بنو تميم بالنعمان بن المنذر فهزموه ، فاتهم النعمان حجبة أن يكون أنذرهم فقال . . . » وأنشد البيت وما بعده .

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، وهو ابن عم لبيد ، وكان فارس قيس . وكان عامر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : تجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأمر من بعدك وأسلم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني عامراً واهد بني عامر » . فانصرف وهو يقول : لأملأنها عاملك خيلاً جرداً ، ورجالا مردأً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ! فظعن في طريقه فأتاه وهو يقول : غدة كغدة البعير ، وموت في بيت سلوية ! الشعراء ٢٩٣ - ٢٩٥ والخزاعة ١ : ٤٧٣ - ٤٧٤ والمؤتلف ١٥٤ والمرزباني ٣٢٢ والأغاني ١٥ : ٥٠ - ٥٦ والنقائض ٦٥٤ - ٦٧٨ .

(٢) م : « مرسومه » .

صاحبته . وَخَثَمٌ هُوَ خَثَمٌ بِنِ أَنْتَارٍ . وَالخِثْمَةُ : التَّلَطُّخُ بِالدَّمِ . وَيُقَالُ :
كَانُوا تَحَالَفُوا فَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِي دَمٍ بَعِيرٍ نَحَرُوهُ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَسُتُوا
خَثَمًا . وَمَفْعُولٌ تَسْأَلِيٌّ مَحذُوفٌ ، الْمُرَادُ تَسْأَلِيُّ النَّاسِ . وَقَوْلُهُ « أَيُّ فَارِسٍ »
هُوَ الْمَسْأَلَةُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ أَيْضًا . وَجَوَابُ الشَّرْطِ مُقَدَّمٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
إِن لَمْ تَسْأَلِي النَّاسَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَأَنْتِ مَطْلُوقَةٌ مِنْ بَعْدُ ، أَوْ فَجَعَلَ اللَّهُ خَاتِمَةً
أَمْرِيكَ ذَلِكَ .

• أَيُّ جِلَانٍ وَيَنْزِلَانِ
فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ .

٣- أَاكْرُهُمْ دَعَلَجًا وَلِبَانَةً إِذَا مَا اشْتَكَى وَقَعَ الرِّمَاحُ تَحْمَحَمًا (١)

أَجَلٌ فِي اقْتِصَاصِ بِلَانِهِ ، ثِقَّةٌ بِأَنَّ بَحْثَهَا وَاسْتِقْصَاءَهَا يَأْتِي عَلَى تَفَاصِيلِهِ .
يَقُولُ : أَعْطِفُ فَرَسِي دَعَلَجًا عَلَيْهِمْ ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَكِرًّا بَعْدَ فَرٍّ ، وَإِذَا
اشْتَكَى مِنْ كَثْرَةِ وَقُوعِ الطَّعْنِ بِصَدْرِهِ حَمَمٌ . وَجَعَلَ الْفِعْلُ لِلصَّدْرِ عَلَى الْمَجَازِ
وَالسَّعَةِ لِكُونِهِ مَوْقِعَ الطَّعْنِ . هَذَا إِذَا رَوَيْتَ : « وَلِبَانَةً » بِالرَّفْعِ ، لِأَنَّ بَعْضَ
النَّاسِ رَوَى « وَلِبَانَةً » بِالنَّصْبِ ، كَأَنَّهُ فَرَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْاِشْتِكَاءُ وَالتَّحْمَحَمُ لِلْبَّانِ
عَلَى كَثْرَةِ نِسْبَةِ الْاِشْتِكَاءِ إِلَى الْأَعْضَاءِ الْآلِمَةِ ، فَوْقَ مَا هُوَ أَقْبَحُ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ
أَاكْرُهُمْ عَلَيْهِمْ فَرَسِي ، فَلَا مَعْنَى لِعَطْفِ اللَّبَانِ عَلَيْهِ . وَسَمِعْتُ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ بَابِ
تَكَرُّبِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ بِالْعَطْفِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ
الِاخْتِصَاصِ وَتَفْخِيمِ الشَّانِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ . قَالَ : وَوَجْهَ الْاِخْتِصَاصِ أَنَّ الدَّكْرَ بِصَدْرِهِ ،
كَأَنَّ الْأَنْثَى بَعَجُزُهُ . وَالِدَعَلَجُ : الْمَرِيحُ فِي السَّيْرِ وَالتَّرَدُّدِ ، وَيُوصَفُ بِهِ الْفَرَسُ

• هَمَمُ الْفَرَسِ : صَاتٍ
صَوْتًا دُونَ الْعَالِي .
• اللَّبَانُ : الصَّدْرُ .

• الْمَرِيحُ : النَشِيطُ .

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : الصواب :

أقدم فيهم دعلجاً وأكره إذا أكرهوا فيه الرماح تحمحا

والبيت لعبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فارس دعلج ، قاله يوم
غيف الريح ، وليس هو لعامر بن الطفيل . وأنشده في تصدق ذلك لمروان بن سراقه الجعفري :
وعبد عمرو منع القياما ودعلجا أقدمه إقداما

والبعير والجمار، وذكر بعضهم أنه يقال في الضَّبِّ الهاجج أيضاً. [وقد أحسن
عنتره كلُّ الإحسان حين سلك هذا السبيل فقال :

فازورَّ من وقع القنا بلبانه وشكا إليَّ بعبرةٍ وتحمُّمٍ^(١)]

٢٨

زُفَرُ بن الحارثِ الكِلَابِيِّ^(٢) :

١- وَكُنَّا حَسْبِنَا كُلَّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ لِيَاكِي قَارَعْنَا جُدَامَ وَجَمِيرًا^(٣)

حكى الأصمعيُّ في الأمثال : « ما كلُّ بِيضَاءِ شَحْمَةٍ ، ولا كلُّ سَوْدَاءِ
تَمْرَةٍ » . والمعنى : ليس كلُّ ما أشبه شيئاً ذلك الشيء . ومعنى البيت : ظننا لما
التقينا مع جُدَامَ وَجَمِيرَ أَنْ سَبِيلَهُمْ سَبِيلُ سَائِرِ النَّاسِ ، وَأَنَا سَنَقَهْرُهُمْ قَهْرًا قَرِيبًا
ثم وجدناهم بخلاف ذلك ، لكون أصلهم من أصلنا ، واجتماعهم فيما تميَّزنا فيه
عن سائر الناس معننا ، وجُدَامُ أبو هذه القبيلة فسميت به ، وأصله الجذم :
القطع ، وبه سُمِّيَ الداء المعروف جُدَامًا ، وقيل للمقطوع اليد : أَجْدَمَ . وحكى
بعضهم : ما سَمِعْتُ لَهُ جَذْمَةً ولا زَجْمَةً ، أي كلمة ، لتقطع الصَّوت بها عند
النطق . والقرعُ : ضَرْبُ الشَّيْءِ بغيره ، ثم توسَّعوا فقالوا : قرَعْتُ باطله بحقِّي ،
وقرَعَ الشَّارِبُ جِبْهَتَهُ بالإناء ، إذا استوفى ما فيه .

• الجذام : Leprosy
آفة اتانية مزمنة تصيب
الإنسان فقط ، فتصطفي
فيه الجلد والأعضاء مسببة
انتشار البقع والدرنات
والفقاعات ومصاصات

٢- فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ بِيَعْضِ أَبْتِ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسُرًا

الأشعار في الجلد ، مما
تؤدي إلى اضطراب في

بعضه ، انتصب على البدل من النَّبْعِ . وجوابُ لما قوله « أَبْتِ » .

وتخامة الأعصاب ، تنتهي
جميعها إلى تشوهات وتبور

(١) هذه التكلة من م .
(٢) زفر بن الحارث الكلابي ، أحد بني عمرو بن كلاب ، كان قد خرج على عبد الملك
ابن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة . وكان سيد قيس في زمانه ، وكان على
قيس يوم راهط . وزفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج .
الكامل ٥٣٣ والجهشياري ٣٥ والمؤتلف ١٢٩ وشرح شواهد المغني ٣١٣ .

(٣) التبريزي : « ليالي لاقينا » .

وتكسر أصله تكسر . والشاعر اعترف بأن أصل أولئك نبع ، كما أن أصلهم نبع ، النبع خبز الأشجار التي يتخذ منها القسي وأصلها ، كما أن الغرب شرها وأرخاها ، فجعلت العرب تضرب المثل بهما في الأصل الكريم واللثيم ، حتى إن بعض المحدثين قال :

هَيْهَاتَ أَبْدَى الْيَقِينُ صَفْحَتَهُ وَبَانَ نَبْعُ الْفَخَارِ مِنْ غَرَبِهِ

فيقول : لما قرعنا أصلهم بأصلنا أبت العيدان من التكسر . والمعنى أن كلاً منّا أبى أن ينهزم عن صاحبه . فالعيدان مثل للرجال ، والنبع مثل للأصل .

٣ - وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةَ تَغْلِيَّةَ يَقُودُونَ جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ مُضْمَرًا

يقال تغلي وتغلي ، والكسر أكثر ، ومن فتح فلتوالي الكسرات والياءين . وهذا كما قالوا : نَمَرِيٌّ فَرَدُّوا مِنْ فَعِلٍ إِلَى فَعَلٍ . يقول : لما لقينا جماعة من بني تغلب (١) يقودون للحرب خيلاً مُضْمَرًا قِصَارَ الشُّعُورِ . وجواب لما فيما بعد ، وهو سقينا . وإنما احتاج إلى الجواب متى كان علماً للظرف ، لأنه يجيء لوقوع الشيء لوقوع غيره . وجعل الخيل جُردًا لأن العراب منها تكون كذلك . واللام من قوله « للمنية » يجوز أن يتعلّق بيقودون ، ويجوز أن يتعلّق بقوله مُضْمَرًا ، أي ضمرت لها .

• العراب : الخيل العربية المنسوبة إلى العرب ، ولقد فرقوا بين الخيل والناس ، فقالوا بني الناس : عرب وأعراب ، وبني الخيل : عراب .

٤ - سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَأْنَوعِ الْمَوْتِ أَصْبَرًا

يقول : قابلناهم بمثل ما بدؤونا به من سقي كأس الموت ، لكن القتل كان فيهم أعم ، ولهم أشمل . وجعل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه (٢) . ويقرب أن

(١) التبريزي : « يعنى تغلب بن حلوان ، بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، لأن الظفر في يوم مرج راهط كان لكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وليس لتغلب وائل هنا مدخل » .
(٢) ذهب التبريزي إلى أن هذا التفسير خطأ ، وأن المعنى أنه شهد لهم بالغلبة واعترف أنهم أهل صبر ، وقد أقر بهزيمة قومه في قوله :

ولم تر مني نبوة قبل هذه فراري وتركي صاحبي وراثيا

يكون قول الله تعالى : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ على هذا الوجه . كأن النار حَقَّتْ عليهم وَوَجَبَتْ ، بما كان منهم من المعصية ، فجعل ذلك فيهم كالصَّبْر منهم عليه ، ولذلك قال بعض المفسرين في معناه : ما أعملهم بعمل أهل النار . كأن إصرارهم على ذلك العمل كالصَّبْر منهم على النار . وردُّ الآية إلى البيت وإجراء القول فيها على هذا الحدِّ غريبٌ حَسَنٌ . وقوله : « أَصْبَرَ » أي أَصْبَرُ مِنَّا ، وأفعل الذي يتمُّ بَيْنَ يُحذف منه « من » في باب الخبر دون الوَصْف . وساغ ذلك لأنَّ الخبر كما يجوز حَذْفُه بأشْرِهِ لقيام الدلالة عليه يجوز حَذْفُ بعضِهِ أيضاً له .

٢٩

عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ (١) :

حكى ابن الأعرابي : قالوا مَعْدِيكَرِبَ لَأَنَّهُ عَدَا الْفَسَادَ . وَالكَرْبَ : الْفَسَادَ .

١- وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ زُرْعٍ خَلَيْتُ فَاسْبَطَرْتُ (٢)

اسبطرت : امتدَّتْ ، وَالسَّبَطُ وَالسَّبْطُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . يَقُولُ : لَمَّا رَأَيْتُ الْفُرْسَانَ مَنحَرِّفِينَ لِلطَّعْنِ ، وَقَدْ خَلَّوْا أَعْنَةَ دَوَابِّهِمْ وَأَرْسَلُوهَا ، وَقَرَّطُوا آذَانَهَا بِهَا ، فَكَأَنَّهَا أَنْهَارُ زُرْعٍ أُرْسِلَتْ مِيَاهُهَا فَامْتَدَّتْ بِهَا . وَالنَّشْبِيهِ وَقَعَ عَلَى جَرِي الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ لَا عَلَى الْأَنْهَارِ ، كَأَنَّهُ شَبَّهَ امْتِدَادَ الْخَيْلِ فِي انْحِرَافِهَا عِنْدَ الطَّعْنِ بِامْتِدَادِ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ ، وَهُوَ يَطْرُدُ مَلْتَوِيًّا وَمُضْطَرِبًا . وَكَأَنَّهَا وَصَفَ الْخَيْلَ

(١) هو أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيدي ، كان من فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد بعد وفاته فيمن ارتد من اليمن ، ثم هاجر إلى العراق فأسلم ، وشهد القادسية وأبلى فيها . الشعر والشعراء ٣٣٢ والأغاني (١٤ : ٢٤ - ٣٩) والخزانة (١ : ٤٢٢ - ٤٢٦) وكتب الصحابة .

(٢) التبريزي : « أرسلت فاسبطرت » .

في انحرافها بزورٍ وُصِفَتْ أَيْضًا بِنُكْبٍ ، فقال بعضهم :

* لِأَعْدَائِنَا نُكْبٌ إِذَا الطَّنُّ أَفْقَرًا *

فالنُّكْبُ : جَمْعُ أَنْكَبٍ ، وهو الذي ينحطُّ أحدُ مَنْكبيه عن الآخر ، كما أن الزُّورَ جمعُ أَزُورٍ ، وهو المَعْوَجُّ الزُّورُ . وهذا من التشبيه الحسن الصائب . وقوله : « خُلِّيتُ فاسْبَطَرْتُ » جُمُلاً للجداول على الجواز والسَّعة ، لأنَّ المياه هي التي تَخَلَّى وتمتدَّ . وهذا كما يقال نَهْرٌ جَارٍ ، وإن كان الماء هو الذي يجري .

٢ - فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ (١)

فجاشت إلى النفس أول مرة . اعترض بعضهم فقال : لولا أنه جَبُنَ لما جاشت إليه النفس . قال : ومثله في الرداءة قول عنتره :

إِذْ يَتَّقُونَ بِيِ الْأَسِنَّةِ لَمْ أَخِمِ عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَاقِقُ مُقَدِّمِي

هَلَا قَالَ كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لِأَبَائِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أُمُّ سِوَاهَا

قال الشيخ : وليس الأمر كما توهم ، لأن ما ذكره عمرو وعنتره بيان حال

النفس ، ونفسُ الجبان والشجاع على طريقة واحدة فيما يَدُهُمَا عند الوهلة الأولى ،

ثم يختلفان : فالجبان يَرَكِبُ نَفْرَتَهُ (٢) ، والشجاع يَدْفَعُهَا فَيَثْبُتُ . فأما قول العباس

ابن مرداس فليس مما ذكراها بسبيلٍ ، وإنما هو بيانُ الحالة الثانية وما يعزُّمُ

عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتمسك . فاعلمه إن شاء الله . وقوله : « أَوَّلَ

مَرَّةٍ » وذات مَرَّةٍ ، لا يكونان إلا ظَرَفَيْنِ ؛ لأنَّ مَرَّةً ليس باسمٍ للزمان لازمٍ ،

وإنما هو مُدْخَلٌ عليه . فإذا قلت مَرَّةً فإنما حقيقتها فَعْلَةٌ واحدةٌ ، ويجوز أن

(١) م والتبريزي : « فردت » بالفاء .

(٢) هذا ما في م والتبريزي . وفي الأصل : « نفسه » .

يكون وقتاً واحداً . ويجوز أن يكون الفاء في « نجاشت » زائدة ، في قول الكوفيين وأبي الحسن الأخفش ، ويكون جاشت جَوَابًا لِلْمَا . والمعنى : لما رأيت الخيل هكذا خافت نفسي وثارت . وطريقة جُلِّ أصحابنا البصريين في مثله أن يكون الجواب محذوفاً ، كأنه قال : لما رأيت الخيل هكذا نجاشت نفسي وردت على ما كرهته فقرت ، طعنت أو أبلت . ويدل على ذلك قوله : « علام تقول الرمح يثقل ساعدي إذا أنا لم أظن » ، فحذف طعنت أو أبلت لأن المراد مفهوماً . وهذا كما حذفوا جواب لو رأيت زيدا وفي يده السيف ! وعلى هذا الكلام على المذهبين في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ ﴾ ^(١) أَبْوَابُهَا ، وفي قول امرئ القيس :

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَىٰ بِنَا بَطْنُ خَبْتِ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلٍ

• انتحى : مال .
• واجبت : ما انخفضت من
الارض واسع .
العقاف : جمع قفا ، وهو
ما ارتفع من الأرض .
العقنقل : المنعد المتدخل

وحذف الجواب في مثل هذه المواضع أبلغ وأدل على المراد وأحسن ، بدلالة أن المولى إذا قال لعبده : « والله لئن قمت إليك » وسكت ، تراحمت عليه من الظنون المعارضة للوعيد ما لا يتزاحم لو نص من مؤاخذته على ضرب من العذاب . وكذلك إذا قال المتبجح : « لو رأيتني شاباً » وسكت ، جالت الأفكار بما لم تجل به لو أتى بالجواب .

٣ - عَلَامَ تَقُولُ الرَّمْحُ بِثِقَلِ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَظُنُّ إِذَا انْخِيلُ كَرَّتِ

« ما » في الاستفهام إذا اتصل بحرف جرٍ يحذف الألف من آخره تخفيفاً ، على ذلك فيم وبم ولم ، إلا إذا اتصل ما بذا فقلت : بماذا ولماذا ، لأنه يُتْرَكُ عَلَى تَمَامِهِ ^(١) . وقوله : « تقول الرمح » يُرْوَى بفتح الحاء وضمها ، فإذا

(١) وقد يترك على تمامه مع عدم اتصاله بذا . وقرأ عكرمة وعيسى : « عما يتساءلون » . وقال حسان : على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد انظر المغني في (ما) والحزانة (٢ : ٣٥٧) والبيان (٣ : ١٢٥) .
(٢) كذا في النسختين . وقرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف والأعمش بتخفيف التاء .
• وبقي القراء بتشديدها .

نَصَبْتَ فَلَانَكَ جَعَلْتَ تَقُولُ فِي مَعْنَى تَظَنُّ . وَهُمْ — عِنْدَ الْخُطَابِ وَالْكَلَامِ اسْتِفْهَامٌ — يَحْمِلُونَ الْقَوْلَ عَلَى الظَّنِّ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* قَمَتِي تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا (١) *

أَيُّ مَتَى تَظَنُّ ذَلِكَ فَتَقُولُ ، فَجَعَلَ الْقَوْلَ يَدُلُّ عَلَى الظَّنِّ لَمَّا كَانَ الْقَوْلُ تَرَجُّمَةً عَنِ الظَّنِّ . وَالْخُطَابُ وَالِاسْتِفْهَامُ يَحْتَمِلَانِ مَا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرُهُمَا . وَإِذَا رَفَعْتَ الرَّمْحَ فَالْقَوْلُ مَتْرُوكٌ عَلَى بَابِهِ ، وَالرَّمْحُ يَرْتَفِعُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَالْكَلَامُ حِكَايَةٌ ، وَمَا بَعْدَ الْقَوْلِ إِذَا كَانَ كَلَامًا مُفِيدًا يُحْكِي . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَلَايِي وَجِهِي تَقُولُ : أَحْمِلُ الرَّمْحَ فَيُثْقِلُ سَاعِدِي إِذَا لَمْ أَعْمَلْهُ إِذَا حَصَلَ الْكَرْهُ مِنَ الْخَيْلِ بَعْدَ الْفَرِّ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ . وَالْمَعْنَى بِأَيِّ حُجَّةٍ أَحْمِلُ السَّلَاحَ إِذَا لَمْ أَبْلِ فِي الْحَرْبِ وَلَمْ أَسْتَعْمِلْهُ فِي وَقْتِهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ إِسْقَاطٌ لِلتَّبَجُّحِ بِالْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ : « إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ » أَيُّ لَمْ يُثْقِلْ سَاعِدِي الرَّمْحُ فِي وَقْتِ تَرْكِي الطَّعْنَ زَمَانَ كَرِّ الْخَيْلِ ، فَإِذَا الْأَوَّلُ ظَرَفٌ لِقَوْلِهِ يُثْقِلُ ، وَإِذَا الثَّانِي ظَرَفٌ لِقَوْلِهِ لَمْ أَطْعُنْ .

٤ — لَحَا اللَّهُ جَرَمًا كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازَبَارَتْ

والشارق والشرق: الشمس. ازبَارَتْ: انتفش حتى ظهر أصول شعره. قال:

وذرت: طلع، وذرت

الشمس، ظهرت أقول شروعتا.

فَهُوَ وَرَدُ اللَّوْنِ فِي ازْبِرَارِهِ وَكَيْتُ اللَّوْنِ مَا لَمْ يَزْبِرْ (٢)
كَلَّمَا انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَ« وَجُوهَ » انْتَصَبَ عَلَى الشَّتْمِ وَالذَّمِّ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ فِعْلٌ مُضْمَرٌ وَهُوَ أَذْكَرُ . كَأَنَّهُ شَبَّهَ وَجُوهَهُمْ بِوَجْهِ الْكِلَابِ فِي الْحَالَةِ الْمَذْكُورَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ « جَرَمًا » . وَمَعْنَى

(١) لعمر بن أبي ربيعة ، كما في اللسان (قول) . وصدوره :

* أما الرحيل فدون بعد غد *

(٢) البيت للمرار بن منقذ في المفضليات (١ : ٨١) .

لَحَا اللهُ : قَسَرَ اللهُ ، أَي فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ غَدَاةَ كُلِّ يَوْمٍ ، أذْكَرُ قَوْمًا يُشْبَهُونَ الْكِلَابَ إِذَا وَاثَبَتْ غَيْرَهَا وَسَاوَرَتْ ، فَانْتَفَشَتْ وَتَجَمَّعَتْ لِلوُثْبِ ؛ وَتِلْكَ الْحَالَةُ مِنْ أَحْوَالِهَا أَشْنَعُ وَأَنْكَرُ . وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلشَّبْهِ ، وَتَصْوِيرٌ لِقَبَاحَةِ الْمَنْظَرِ . وَالذَّرُورُ فِي الشَّمْسِ أَصْلُهُ الْإِنْتِشَارُ وَالتَّفْرِيقُ . قَالَ :

• كَالشَّمْسِ لَمْ تَعْدُ سِوَى ذُرُورِهَا *

أَي طَوَّعَهَا وَانْتَشَرَ ضَوْئُهَا . قَالَ الْخَلِيلُ : الْمَهَارِشَةُ مِنَ الْكِلَابِ وَغَيْرِهَا كَالْمَحَارِشَةِ . وَيُقَالُ : فَلَانٌ يُهَارِشُ بَيْنَ الْكَلْبَيْنِ .

٥ - فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقِيَا وَلَكِنَّ جَرْمًا فِي اللِّقَاءِ أَبْذَعَرَتْ (١)

جَرْمٌ وَنَهْدٌ : قَبِيلَتَانِ مِنْ قِضَاعَةَ (٢) . وَمَعْنَى أَبْذَعَرَتْ : تَفَرَّقَتْ . وَأَضَافَ نَهْدًا إِلَى ضَمِيرِ جَرْمٍ ، لِاعْتِمَادِهِ كَانَ عَلَيْهَا ، وَاعْتِقَادِهِ الْاِكْتِفَاءَ بِهَا . وَالْمَعْنَى لَمْ تَنْصُرْهَا فَكَانَتْ تَكْتَفِي بِهَا وَتَغْنِي ، وَلَكِنَّ جَرْمًا انْهَزَمَتْ ، وَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فَمَضَتْ ، وَاصْطَلَتْ نَهْدٌ بِنَارِ الْحَرْبِ ، فَامْسَتْ حَاجَتُهَا إِلَى مَنْ يُؤَازِرُهَا ، وَيُنَاضِضُ الْأَعْدَاءَ مَعَهَا .

٦ - ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَّاحِ دَرِيَّةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ

يَقُولُ : بَقِيْتُ نَهَارِي مُنْتَصِبًا فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ ، وَالطَّعْنُ يُأْتِينِي مِنْ جَوَانِبِي ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَّاحِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلْقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنُ ، أذُبُّ عَنْ جَرْمٍ وَقَدْ هَرَبَتْ هِيَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ : كَأَنِّي لِلرَّمَّاحِ صَيْدٌ . فَقَدْ حَكَى أَبُو زَيْدٍ أَنَّهُ يُقَالُ

(١) رَوَايَةُ التَّبْرِيْزِيِّ : « إِذْ تَلَاقِيَا » .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : وَكَانَتْ جَرْمٌ وَنَهْدٌ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، فَتَقَاتَلَتْ جَرْمٌ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ يُقَالُ لَهُ مَعَاذُ بْنُ يَزِيدٍ ، فَارْتَحَلَتْ جَرْمٌ فَتَحَوَّلُوا إِلَى بَنِي زَبِيدٍ قَوْمِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرْبٍ ، فَجَاءَتْ بَنُو الْحَارِثِ يَطْلُبُونَ بَدْمَ صَاحِبِهِمْ ، فَعَبَسَ عَمْرُو بْنُ جَرْمًا لِبَنِي نَهْدٍ ، وَتَعَبَسَ هُوَ وَقَوْمُهُ لِبَنِي الْحَارِثِ ، فَكْرَهَتْ جَرْمٌ دِمَاءَ بَنِي نَهْدٍ فَفَرَّتْ ، وَانْهَزَمَتْ بَنُو زَبِيدٍ ، فَلَامَهُمْ عَمْرُو .

للصيد خاصةً دَرِيَّةٌ ، غيرُ مهموزةٍ ، ودَرَايَا ؛ كأن هذا من دَرَبْتُ أَى خَتَلْتُ .
فأما الدابة التي يُسْتَرُّ بها من الصَّيْدِ ، فإذا أَكْثَبَ رُحِي من خَلْفِهَا ، فذَكَرَ
أبو زيدٍ أنها تسمى دَرِيَّةَ الصَّيْدِ ، بالهمز . قال : ويقال : دَرَأْتُهَا نحوَ الصَّيْدِ
وإلى الصيد وللصيد ، إذا سُقَّتْهَا . وكأن هذا من الدَّرءِ ، وهو الدفع . وقد تسمى
تلك الدابة الذَّرِيعَةَ والسَّيْقَةَ والقَيْدَةَ . وأنشَدتُ عن أبي العباس المَبْرَدِ ، رحمه
الله ، أنشدني حمزة بن الحسن ، قال : أنشدني علي بن سليمان الأخفش عنه :

إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا نَدِبُ لَهُمْ كَمَا تَدِبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ (١)

الذَّرْعُ : جمع ذريعة ، كصحيفةٍ وصُحُفٍ . وإن جعلت « كَأَنِّي » في موضع
الحال فأقاتل في موضع الخير لظَلَّت حينئذ .

٧ - فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقتُ ولكنَّ الرِّمَّاحَ أَجَرَّتِ

النُّطْقُ اسْتُعْمِلَ فِي الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ مَنْطِقُ الطَّيْرِ ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا
فَقَالُوا : نَطَقَ الْكِتَابُ بِكَذَا . يَقُولُ : لو أن قومي أَبْلَوْا فِي الْحَرْبِ وَاجْتَهَدُوا
لَا فِتخرت بهم ، وَذَكَرْتُ بِلَاءَهُمْ ، وَلَكِنَّ رِمَاحَهُمْ أَجَرَّتِ لِسَانِي ، كَمَا يُجْرُئُ
لِسَانَ الْفَصِيلِ . وَجَعَلَ الْفَعْلِينَ لِلرِّمَّاحِ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفهُومٌ فِي أَنَّ التَّقْصِيرَ كَانَ مِنْهُمْ
لَا مِنْهَا . وَالْإِجْرَارُ : أَنْ يُشَقَّ لِسَانُ الْفَصِيلِ لِلرِّمَّاحِ فَيُجْعَلُ فِيهِ عُوَيْدٌ لثَلَاثَ
يَرْضَعُ أُمَّهُ . وَقَدْ اسْتُعْمِلَ الْإِجْرَارُ فِي الرِّمَّاحِ إِذَا تَكَسَّرَ فِي الْمَطْعُونِ . قَالَ :

* أَجْرُهُ الرِّمَّاحَ وَلَا تُهَالَهُ (٢) *

(١) أنشد في اللسان (ذرع) :

وللمنية أسباب تقربها كما تقرب للوحشية الذرع

(٢) في اللسان : « فتح اللام لسكون الهاء وسكون الألف قبلها . واختاروا الفتحة

لأنها من جنس الألف التي قبلها ، فلما تحركت اللام لم يلتق ساكنان فتحذف الألف لانتقاهما »
وقبله :

* ويا فداء لك يا فضاله *

وفي طريقه قوله : « أنطقني رماحهم » قول الآخر (١) :

أقولُ وقد شَدُّوا لساني بِنِسْعَةٍ أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَن لِسَانِيَا
لأنَّ المعنى أَحْسِنُوا إِلَيَّ بِنَطْلِقُ لساني بِشُكْرِكُمْ .

٣٠

مَيْيَارُ بْنُ قَصِيرِ الطَّائِي

١ - لو شَهِدَتْ أُمُّ الْقُدَيْدِ طِعَانَنَا بَمَرْعَشِ خَيْلِ الْأَرْمَنِ أَرَنْتِ (٢)

جواب لو ، « أَرَنْتِ » . يقال رَنَّ وَأَرَنَّ بِمَعْنَى واحد . وَمَرْعَشُ من ثغور
أَرْمينية . وَأُمُّ الْقُدَيْدِ ، قيل هي امرأته . والخيل ينتصب من قوله « طِعَانَنَا » .
ومعنى البيت : لو حَضَرَتْ هذه المرأة مطاعننا بمرعش خيل هذا الرجل
الأرمني لَوَلَوْتَ وَخَجَّتْ ، إشفاقاً علينا ، لكثرتهم وقتلنا . والباء من قوله
« بَمَرْعَشِ » تعلق بطعاننا ، وهو ظرفٌ مكان له قد عمل فيه . وإنما قلت هذا
لثلاثي توهم أنه تعلق بشهدت ، وأنه في موضع الحال للخيل أو للمطاعنين ،
فيكون قد فصلَ به بين الصلَّة والموصول ، وهما طعاننا وخيل الأرمني .

٢ - عَشِيَّةَ أَرْمِي جَمْعُهُمْ بَلْبَانِهِ وَنَفْسِي وَقَدْ وَطَّئْتُهَا فَاطْمَأَنْتِ

لبان الفرس : صدره . ويقال : وَطَّئْتُ نَفْسِي على كذا فتوطئت ، أي
حملتها عليه فذلت . وانتصب « عَشِيَّة » على أنه ظرفٌ لَطِعَانِنَا . ويجوز أن
يكون ظرفاً لشهدت ، ولا يجوز أن يكون ظرفاً لأرمني ؛ لأن أرمي أضيفت
عشيَّة إليه ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف . ومعنى البيت : عشيَّة أحمل على
القوم ولا أبالي إن كانت عليّ أو لي ، لأنني وطئت نفسي على الشر فالفته

(١) هو عبد ينفوس بن وقاص الحارثي . المفضليات (١ : ٥٥)

(٢) أنشد هذه الأبيات ياقوت في (مرعش) بدون نسبة .

وسكنت إليه . فمن روى : « ونفسي قد وطنتها » يكون الواو للحال ، ونفسي يرتفع بالابتداء ، ووطنتها في موضع الخبر . ومن روى : « ونفسي وقد وطنتها » فإن نفسي يكون في موضع الجر عطفاً على بلبانه ، أي أرمي جيشهم بنفسي وفرسي ، ويكون قد وطنتها في موضع الحال . وتحقيق الكلام : وقد وطنتها على الشرفسكنت إليه ، ورضيت به . ومثله قول عنتره :

مازلت أرميهم بقرحة مهري ولبان لا وكل ولا هياب
وقول الآخر :

• القرحة : بياض بين عيني الفرس مثل الدرهم الصغير مادونه .
و الوكل : الجبان .

مازلت أرميهم بقرحة نخره وفارسه حتى ثارت ابن واقد^(١)

٣- ولا حقة الأطل أسندت صفها إلى صف أخرى من عدى فاقشعرت

إنما نكر قوله « عدى » لينبه به على اختلافهم وكثرتهم ، وأن ذلك لتوفر فضائلهم ، وتظاهر عزمهم ورياستهم ، إذ كان الحسد يتبع ذلك ، ولأنهم يترون من لا يذل لهم ، ولا يهوى هوام . يقول : ورُبَّ خيلٍ قد لحقت بطونها بظهورها^(٢) ، وارتفعت جنوبها إلامتونها ، أنا أملت صفها إلى صف خيلٍ مثلها من الأعداء ، نخافت لقلتنا وكثرتهم . وأصل الاقشعرات قبض الجلد وانتصاب الشعر ، وقد تكلم الناس في قول امرئ القيس :

• الأطل : إطل ، وهي الحاصرة .

* والقلب من خشية مقشعرت^(٣) *

فقال بعضهم : الاقشعرات لا يصح في القلب ، لأنه يُخبر به عما عليه شعره ، ولا شعره على القلب . وقال غيره : إنما هو كناية عن الوجل ، ولما كان

(١) في الأصل : « وبوجهه حتى » ، ولا يستقيم به الوزن . وهو من الطويل مع الحزم في أوله . وأثبتنا ما في م .

(٢) م : « وظهورها » .

(٣) هو بتمامه ، كما في الديوان ٩ :

فبت أكابد ليل التما م والقلب من خشية مقشعرت

الاقشعراؤ يقع عنده كني به عنه . وإذا كان كذلك فكأنه قال : والقلب من خشية وجل .

٣١

بعض بني بولان من طي^(١)

بولان فعلان ، من قولهم رجل بولة ، إذا كان كثير البول . والبول : داء يصيب الغنم فيبول حتى يموت .

١ - نحن حبسنا بني جديلة في نار من الحرب جحمة الضرم

جديلة من الجدل ، وهي فيما زعموا أمهم . والجدل : القتل . قال الدردي : جديلة من قولهم امرأة مجدولة ، إذا كانت قضيفة . ويقال ضرمت النار ، إذا التهمت ، تضرم ضرما . ولهذا ما تلتهم به النار سريعا من الحطب قيل له الضرام . فيقول : حبسنا هؤلاء القوم على نار من الحرب شديدة الالتهاب . والجحمة : مصدر جحمت النار فهي جاحمة ، إذا اضطرمت ؛ ومنه الجحيم . قال : وصفت النار بالجحيم لحمرتها ، ولذلك سُميت عين الأسد جحمة ، لأنها تترأى بالليل كأنها نار . وقال الدردي : الجحمة العين ، لغة يمانية . وعين الأسد خاصة في كل اللغات الجحمة .

• قصف الشيء : دقا
• وحفّا لا عند هزال

٢ - نستوقد النبل بالحضيض ونص طاد نفوسا بنت على الكرم

قوله « نستوقد النبل » من فصيح الكلام ، كأنه جعل خروج النار من

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : « هذا الشعر لرجل من بلقين ، وسبب ذلك أن القين بن جسر وطيشا كانوا حلفاء ، ثم لم تزل كلب بأوس بن حارثة حتى قاتل القين يوم ملكان ، فحبسهم بنو القين ثلاثة أيام ولياليها لا يقدرّون على الماء ، فنزلوا على حكم الحارث بن زهدم أخي بني كنانة بن القين ، فقال شاعر القين يومئذ : نحن حبسنا .

(٢) في الأصل : « عين الشمس » تحريف ، صوابه في م والتبريزي واللسان .

الحجر عند صدمة النبل استيقاداً منهم . والوقد ، توسعوا فيه حتى قيل قلبٌ
 وقادٌ . فإن قيل : هلاً قال نستقدح النبل ، فكان أصح ؟ قلت : الذي قاله
 أفصح ؛ وقد قيل زندٌ ميقادٌ ، إذا كان سريع الوري . وقال الخليل : كلُّ
 ما تلاًلاً فقد وقد ، حتى الحافر . يقول : تنفذ سهامنا في الرمية حتى تصل إلى
 حضيض الجبل فتخرج منه النار لشدة رمينا ، وقوة سواعيدنا ، ونصيد بها نفوساً
 مبنية على كرم . أي نقتل الرؤساء ومن تكرر نفسه وتعرّض حياته . وقوله
 « بُنتٌ » أصله بُنيتٌ ، فأخرجه على لغة طيِّ ، لأنهم يقولون في بقي بقي ،
 وفي رضى رضى . ولهذا قال بعضهم :

* على محمّرٍ ثوبتموه وما رضى (١)

وقالوا في بادية : باداة ، كأنهم يفرّون من الكسرة بعدها ياء إلى الفتحة ،
 فتقلب الياء ألفاً . والحضيض : قرار الأرض عند سفح جبل . والنبل لا واحد
 له من لفظه .

٣٢

وقال رويشد بن كثير الطائي :

١ - يأيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسدٍ ما هذه الصوت (٢)

المطية من المطا ، وهو الظهر . ويقال مطاه وامتطاه ، إذا ركب . وللحوق
 الماء به صار اسماً ، وقد مر مثله . ويروى : ببلغ بني أسدٍ . وقوله : « ما هذه

• المطية : ما يمتطي
 من الدواب ، أي
 يركب .

(١) لزيد الخليل ، كما في نوادر أبي زيد ٨٠ والأماي (٣ : ٢٤) وشرح
 شواهد المغني للسيوطي ١٦٥ . واللسان (أم) . وصدوره :
 * أفي كل عام ماتم تجمعونه *

(٢) التبريزي : « هذه الأبيات شاذة في الشعر القديم ، لأن العادة قد جرت إذا
 استعملوا هذا الوزن أن يكون اللين فيه كاملاً ، وذلك أن يكون قبل الروي ألف أو واو
 قبلها ضمة ، أو ياء قبلها كسرة . وقوله : الصوت ، قد جاء بالواو وما قبلها مفتوح . »

«الصوت» الجملة في موضع المفعول، وارتفع الصوت على أنه عطف البيان. يُخاطبُ الراكب السائق لمطيته بإجمال، يسأله أن يُبلغ بني أسدٍ عنه عن طريق الفحص والاستعلام: ما هذه الجلبةُ. وهذا الكلامُ تهكمٌ وسخريةٌ، لأنه هو الذي أثار عليهم ما احتاجوا له، وجلبَ عليهم ما أشكاهم. وإنما قال ما هذه الصوت، والصوت مُذكرٌ، لأنه قصدَ به إلى الصيحةِ والجلبةِ. وهذا كما قال حاتم:

أماويّ قد طال التجنّبُ والهجرُ وقد عذرتني في طلابكم العذُرُ
يريد المذرة. وكما قال الآخر (١):

وكان مجنّي دون من كنت أتقي ثلاثُ شُخُوصٍ كاعبانٍ ومُفصِرُ
فأنت الشُخُوصَ لأنه قصد بها إلى النفوس. وحكى عن أبي عمرو ابن العلاء أنه سمع بعضهم يقول: «جاءته كتابي فاحتقرها». قال أبو عمرو: قلت: أتقول جاءته كتابي؟ قال: نعم، أليست هي صحيفة؟ وقد قيل: لما كانت الشُخُوصُ شُخُوصَ النساءِ أنت العدد. وقوله: «الراكب المزجي» الراكب يقع على راكب البعير خاصة؛ لأن راكب الخيل يقال له فارس. والمزجي، يُقال زجا الشيء يزجو زجوا وزجاء، وأزجيتُه أنا وزجيتُه، إذا استحثته. ومنه زجاء الخراج. وفي هذا الكلام دلالةٌ على أنه ليس يُقنعُه ما أوقعهم فيه. ألا ترى أنه يتوعد بالاستئصال إن لم يصح عذرهم. ويجوز أن يكون المراد بقوله «ما هذه الصوت» ما الذي يتأذى إليّ عنكم، ويتحدث به الناس من شأنكم وقصبتكم. ويقال: ذهب صوت هذا الأمر في الناس للتحدث به، وذهب صيتُ بني فلان في الناس إذا ذكروا بالخير. فكانت على هذا يوهمهم

(١) هو عمر بن أبي ربيعة، من قصيدته التي مطلعها:

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أم رائح فهجر

أنه لم يصح عنده ما يُقال، وأنهم إن لم يقيموا المَعذِرَةَ والدَّلالة على براءة الساحة حينئذ عاقبهم. وهذا المعنى في نهاية الحُسن^(١).

٢- وَقُلْ لَهُمْ بَادِرُوا بِالْعُذْرِ وَالتَّمِسُوا قَوْلًا يُبْرِئُكُمْ إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ

مفعول بادروا محذوف، كأنه قال: بادِرُوا الْعِقَابَ بِالْعُذْرِ، أي سابقوه. يقول: قُلْ لَهُمْ: سارعوا بِالْعُذْرِ فيما ركبتموه واطلبوا قَوْلًا يُبْرِئُكُمْ سَاحَتِكُمْ، إِنِّي أَنَا حَتْفُكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، أي أَقْرَبَ حَيْنَكُمْ، وَأَسْعَى فِي هَلَاكِكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا. ويقال: لَمَسَ وَالتَّمَسَ فِي مَعْنَى طَلَبَ. على ذلك قولُ الله تعالى: حَاكِيًا عَنِ مَسْتَرْقَةِ السَّمْعِ: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها ملئت حَرَ سَاشِدًا﴾، أي طلبناها. وقال الشاعر:

الْأَمُّ عَلَى تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فَلَا أَجِدُهُ

و « يبرئكم » في موضع الصِّفة للقول، أي قولاً مبرئاً لكم من الذنب.

٣- إِنْ تَذُنِبُوا نَمَّ يَأْتِنِي بِقِيَّتِكُمْ فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوْتُ^(٢)

قوله « بذنب » أي بسبب ذنب، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه قال مجزأ ذنب، ويقال: « لا فوتَ عليك في كذا »، كما يقال لا بأس عليك. والمعنى: لا يفوتك. وفي هذا الكلام إيدانٌ بأنه مستعملُ الأناة والحلم معهم، ثقةٌ بأنهم لا يفوتونه. يقول: إِنْ تُجْرِمُوا نَمَّ عِنْدِي تَعْمُدُكُمْ فِي إِجْرَامِكُمْ وَتَيَقُّفِكُمْ مَا يَلْحَقُكُمْ مِنْ لَائِمَةٍ وَعَيْبٍ^(٣) وَأَنْكُمْ أَقْدَمْتُمْ مَسْتَهِينِينَ، وبمن يأخذكم نكيره غير حافلين، فما يفوتني.

(١) كذا في م. وفي الأصل: « في نهاية » فقط.

(٢) يروي أيضا: « بقيتكم » كما نص التبريزي. ويروي: « بقيتكم » كما سيأتي.

(٣) م: « وعتب ».

مكافآتكم ، ولا يُعَيِّنِي مؤاخذتكم ومحاسبتكم . ورُوي : « ثم يأتيني بقيتكم »
 وفسر على وجهين : أحدهما أن المعنى ثم تأتيني خياركم وأماثلكم ، يقيمون
 معذرة أنفسهم ، ويبينون أنهم لم يساعدوكم لا بالرأي ولا بالفعل . وهذا كما يقال :
 فلان من بقية أهله ، أي من أفاضلهم . والآخر أن يكون المعنى : ثم تأتيني
 بقيتكم الذين لم يذنبوا متنصلين بأنهم قد فارقوكم وأسلموكم ، لعظيم جنابتكم ،
 وخلصوا ربة النضرة والمعاونة لكم .

٣٣

أنيف بن حكم النهائي (١)

١ - جمعنا لهم من حي عوف بن مالك كتاب يردي المرفين نكالها

الكتيبة من الجيش : ما جمع فلم ينشر . وقوله : « يردي » مع ما بعده
 في موضع الصفة للكتاب . يقول : جمعنا لهؤلاء القوم جيوشاً من خلص العرب
 تهلك عقوبتها الذين في نسبهم هجنة أو إقراف إذا بر كوا عليهم . وهذا يجوز أن
 يكون تعريضاً بمنابذيه ووعيداً لهم . والإقراف يكون من قبل الفحل ، والهجنة
 من قبل الأم . وذكر المرفين ولم يذكر الهجاء لأنهم وإن كانوا يأخذون
 مأخذهم في أنه لا يخلص نسبهم ، [ولا يصفو سببهم (٢)] ، فنافيهم أشد نقداً ،
 ومزيفهم أنكر دفعا . وكان عنتره العبسي هجيناً فقال :

إني امرؤ من خير عبس منصباً شطري وأحي سائري بالمنصل

[نافياً للإقراف (٣)] ، فجعل أحد شطريه من خير عبس ، وجعل الباقي
 يحميه من الذم باستعمال السيف يوم الرؤع ، وحسن البلاء في الحرب ، حتى

(١) التبريزي والمهجع : « أنيف بن زبان النهائي » .

(٢) التكلة من م .

(٣) التكلة من م . وما بعده إلى « عبس » ساقط من م .

بِنَحِيقَةِ الْبُلْحَلِصِ ، وَلَا تَقْعُدَ بِهِ هُجْنَتُهُ عَنِ الدُّخُولِ فِي زُمْرَةِ الصَّرْحَاءِ .

٣- لَهُمْ عَجْزٌ بِالْحَزْنِ فَالرَّمْلُ فَاللَّوَى وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّ جَدِيسَ رَعَالَهَا

الرَّعِيلُ: قِطْعَةٌ مِنَ الْخَيْلِ مُتَقَدِّمَةٌ ، وَتَوَسَّعُوا فَقَالُوا: أَرَاعِيلُ الرِّيَّاحِ . وَيُقَالُ: اسْتَرْعَلَ فُلَانٌ ، أَي خَرَجَ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ . يَقُولُ: سَوَابِقُ هَذِهِ الْكُتَابِ وَأَوَائِلُهَا قَدْ جَاوَزَتْ بِلَادَ طَسْمٍ وَجَدِيسَ ، وَلَوْاحِقُهَا قَدْ شُحِنَتْ بِهَا هَذِهِ الْمَوَاضِعُ . وَبَيْنَ بِلَادِ حَيٍّ جَدِيسَ وَالبَقَاعِ الَّتِي ذَكَرَهَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ . وَاللَّوَى ، حَيْثُ يَرِقُّ الرَّمْلُ فَيُخْرِجُ السَّائِرَ فِيهِ إِلَى الْحَزْنِ . وَطَسْمٌ وَجَدِيسٌ : أُمَّةٌ مِنَ الْعَرَبِ بَادُوا وَانْقَرَضُوا . وَقِيلَ أَرَادَ بِالْحَيِّينِ جَدَسًا (د) وَجَدِيسًا ، وَذَكَرَهُمُ وَالْقَضْدُ إِلَى دِيَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ ، وَرَتَّبَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي عَدَّدَهَا بِالْفَاءِ ، وَجَعَلَ أَعْجَازَ الْكُتَابِ فِيهَا تَكْثِيرًا لَهَا .

• الْحَزْنُ مِنَ الْأَرْضِ
مَا غَاطَّ وَحُشِّنَ .

٣- وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ تَتَّاحُ لِعِرَاتِ الْقُلُوبِ نِبَاهَا

رَجَلَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِأَدْنَى الْعَدَدِ ، بِدَلَالَةِ أَنَّكَ تَقُولُ : ثَلَاثَةٌ رَجَلَةٌ . وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يُقَدِّمُوا الرَّجَالَ عِنْدَ تَعْبِئَةِ الْجَيْشِ ، لِيَسْتَنْدُوا إِلَى الْفُرْسَانِ . وَقَوْلُهُ : « وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ » أَرَادَ قِطْعَةً مِنَ الرَّجَالَةِ . وَمَعْنَى تَتَّاحُ : تُقَدَّرُ وَتُهَيَّأُ . وَيُقَالُ : تَتَّاحَ لَهُ كَذَا وَأَتَتْخَتْهُ أَنَا ؛ رَجُلٌ مِتَّيْحٌ . وَمَوْضِعُهُ جَرٌّ عَلَى الصِّفَةِ لِرَجَلَةٍ . فَيَقُولُ : تَحْتَ صُدُورِ الدَّوَابِّ قِطْعَةٌ مِنَ الرَّجَالَةِ تُقَدَّرُ نِبَاهًا لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ ، أَي لَا يُشْعِرُ بِهِمْ فَإِذَا نِبَاهَهُمْ تَعَمَلُ هَذَا الْعَمَلِ . وَالْحَرَشَفُ ، الْأَصْلُ فِيهَا أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الْجِرَادِ ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِلْجَمَاعَةِ مِنَ الرَّجَالَةِ عَلَى التَّشْبِيهِ ، وَقَالَ اسْرُو الْقَيْسِ :

• الرَّجَالَةُ: جَمْعُ رَجُلٍ
(بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ وَالسُّكُونِ) ،
وَهُوَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ
ظَهْرٌ يَرْتَبِعُهُ .

كَانَهُمْ حَرَشَفٌ مَبْثُوثٌ بِالْجَوِّ إِذْ تَبْرُقُ النَّعَالُ

(١) فِي الْقَامُوسِ : « وَجَدَسٌ مَحْرُوكَةٌ : بَطْنٌ مِنْ لَحْمٍ ، أَوْ هُوَ تَصْحِيفٌ وَالصَّوَابُ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ »

وغيرَاتٌ : جمع غِرَّة ، وهي صفةٌ ، يقال رجلٌ غِرٌّ وغِريرٌ ، وجاريةٌ غِرَّةٌ وغِريرةٌ ، ومصدره الغرارة .

٤- أَبِي لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّهُمْ بَنُوا نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالَهَا
هذا الكلام من صفة الكتاب . و « أن يعرفوا » في موضع المفعول لِأَبِي ، وفاعله قوله « أنهم بنون اتق » . وقوله « كانت » من صفة الناتق . يقول : منع لهم معرفة الضيم كثرتهم وترادفهم . والناثق : المرأة الكثيرة الأولاد . وجعل العيال كنايةً عن الأولاد ، وهو جمعُ عَيْلٍ ، كجيدٍ وجياد . يقال : عند فلان كذا عيالاً ، وهو مُعِيلٌ ومُعَيْلٌ^(١) : كثير العيال . والفعل من نَاتِقٍ نَتَقْتُ نَتَقًا .

٥- فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَاقَى طَلْحُهَا وَسَيَّالُهَا

الباء من قوله « بحيث » تعلق بفعلٍ دَلَّ عليه أتينا ، كأنه قال : حصلنا بحيث تلاقى طلحها وسيالها . وموضعه من الإعراب نصبٌ على الحال للمضمرين في أتينا . والسفحُ : أسفل الجبل ، ولاشهره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل . والطلحُ والسَّيَالُ : شجران . فيقول : لما بلغنا أسفلَ الجبل من بطن هذا الوادي بحيث التقي هذان الجنسان من الشجر . وهذا إشارةٌ منه إلى موضع العراكِ والقتال . وجوابٌ لما فيما بعده .

٦- دَعَوْا لِنِزَارٍ وَانْتَمِينَا لِطَيِّئٍ كَأَسَدِ الشَّرِيِّ إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

انتمينا : انتسبنا ، أي قالوا يا نِزَارِ ، وقلنا نحن : يا لَطَيِّئِ ، مشابهيين للأسود . وقوله « كأسد الشري » حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : وكإقدام أسد الشري إقدامها ونزالها وجاز الحذف لأنه لا يلتبس

(١) كذا في الأصل . وفي م : « مُعَيْلٌ وَمَتَمِيلٌ » ، وكلها صحيح .

وجه التشبيه بغيره . ومعنى « دَعَوْا لِنَزَارِ » : انتسبوا إلى نِزار . وهذا الاعتزاء الذي أشار إليه قد يفعله الفارسُ عند الطعن والضرب أيضاً ، يقول الواحد منهم : خذها وأنا من بني فلان ، وأنا فلان بن فلان .

٧ - فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَيْنَ السَّيْفِ بَيْنَنَا لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سَوَّأَهَا

الإحفاء يكون في السؤال عن الشيء ، ويكون في طلب الشيء من الغير ، وهو المبالغة فيهما ، والذي بينه السيف هو حُسن بلاءِ أحدِ الفريقين وزيادته فيما يُحمدُ من الصبرِ والثباتِ على صاحبه . وقد حَذَفَه من اللفظ لأنَّ المفاعيل تُحذف كثيراً إذا دلَّ الدليل عليها . ومعنى قوله : « لسائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سَوَّأَهَا » أن الإحفاء في السؤال والاستقصاء في البحث ، ممَّا يزداد معه بينات الأحوال ، وجَلِيَّاتِ الأمور . وجعل الحفِيَّ للسؤال على المجاز والسعة . وفسر قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ : كأنَّ المعنى كأنك عالمٌ بها ، لما كان الإحفاء في المسألة حقيقةً بأن يؤدي إلى العلم بالمستول عنه . والسائِلَةُ يجوز أن يريد بها قبيلةً ، ويجوز أن يريد بها امرأةً . وجعل قوله « السَّيْفُ » كنايةً عن أنواع السلاح ، بدلالة أنه أعادَ ذكر استعمال السيف فيما بعده ، لما فصل أحوالهم وفسر مقاماتهم فقال : ولَمَّا عَصَيْنَا بِالسُّيُوفِ .

٨ - وَلَمَّا تَدَانَوْا بِالرَّمَاكِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ الْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا

يقول : ولما تقاربنا باستعمال الرماح رَوَيْتِ الْقَنَا مِنْ دِمَائِهِمْ ، وصار النَّاهِلُ منها عَالًا . والنَّهْلُ : الشُّرْبُ الأوَّلُ ، والعللُ : الشُّرْبُ الثاني كأنهم عاودوا الطَّعْنَ وكرَّروا حالاً بعد حال . والتَضَلَّعَ ، حقيقةً أن يُستعمل فيما له ضلعٌ ، وعند الارتواء تفتخ الأضلاع ؛ واستعاره ها هنا . ويقال : تَضَلَّعَ شَيْعًا ، وتَجَبَّبَ رِيًّا . وخصَّ الصُّدُورَ لأنَّ الطَّعْنَ بها . ويقال عَلَّ إِيلَهُ يُعَلُّ وَيُعَلُّ ، فَعَلَّتْ

هِيَ . وإن شئت على هذا رَوَيْتَ : « وَعَلَّتْ نِهَالَهَا » ، وإن شئت رويت : « وَعُلَّتْ » .

٩- وَلَمَّا عَصِينَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا
وَسَلَّتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً ، أَي تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِقُرْبَةٍ . ويقال تَوَسَّلْتُ أَيضاً . وفي
القرآن : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ . ويقال . عَصَيْتُ بِالسَّيْفِ (١) ، إِذَا ضَرَبْتَ
بِهِ ، وَعَصَوْتُ بِالْعَصَا . وَجَعَلَ انبَتَاتِ الْوَسَائِلِ وَانْقِطَاعِ الْأُوَاحِي عِنْدَ اسْتِعْمَالِ
السُّيُوفِ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَشْتَدُّ عِنْدَهُ ، وَالْقِنَاعَ يَكْشِفُ مَعَهُ . وَهَذَا لَمَّا اسْتُوصِفَ
عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ أَنْوَاعَ السَّلَاحِ قَالَ فِي السَّيْفِ : « عِنْدَهُ تَشَكُّلُ الْأَمَّاتِ » .
وقوله : « كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا » ، يريد به أَنَّ حِبَالَ تِلْكَ الْوَسَائِلِ كَانَتْ
مَفْتُولَةً عَلَى الصُّلْحِ (٢) فَتَقَطَّعَتْ بِاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهَا صَارَ وَاتِرًا
وَمُوتِرًا ، فَسَقَطَ الْمَلَامَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ .

١٠- فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرَّمَّاحِ عَلَيْهِمْ قَوَادِرَ مَرْبُوعَاتِهَا وَطَوَالِهَا
قوله : « وَأَطْرَافُ الرَّمَّاحِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمُضْمَرِ فِي « وَوَلَّوْا » . وَذَكَرَ
الْأَطْرَافَ لِأَنَّ الطَّنْفَنَ بِهَا يَقَعُ ، وَإِن كَانَتْ الرَّمَّاحُ بِأَسْرِهَا مَقْصُودَةً . يَقُولُ :
انْهَزَمُوا وَأَسْنَهُ الرَّمَّاحَ مَتَمَكِّنَةً مِنْهُمْ ، وَمُقْتَدِرَةً عَلَيْهِمْ ، طَوَالِهَا وَأَوْسَاطُهَا .
وَالْمَرْبُوعُ وَالْمَرْتَبِعُ (٣) : مَا كَانَ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطَّوِيلِ ، وَمِنْهُ رَجُلٌ رَبْعَةٌ .
وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَنْهَزِمِينَ إِذَا مَنَحُوا أَكْتَفَاهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ أَثْرَهُمْ وَيَقْصِدُ
النِّكَايَةَ فِيهِمْ ، فَتَأْتِيهِمُ الْأَسْلِحَةُ عَلَى اخْتِلَافِهَا مُتَقَارِبًا . وَارْتَفَعَ « مَرْبُوعَاتُهَا »
عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْأَطْرَافِ . وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْقَصْدَ بِهَا إِلَى جَمِيعِهَا ، لَا إِلَى بَعْضِهَا .

(١) كذا جاءت هذه اللفظة في الأصل وم . ويقال أيضاً : عصاه يعصوه ، وعصاه يعصاه .

(٢) كذا في م مع أثر تصحيح من الناسخ . وفي الأصل : « الصلح » .

(٣) المرتبع ، بفتح الباء وكسرها ، كما في اللسان (ربيع ٤٦٣) ، وجاءت اللفظة الأولى

في م ، والأخيرة في الأصل .

٣٤

قال عمرو بن معديكرب (١) :

١ - ليس الجمال بمنزرة فاعلم وإن رُدِّيتَ بُردًا

• المنزرة : ثوبٌ جَبِيظٌ
بالنصف الأسفل من البدن .
والبرد : ثيابٌ مَنطَطَةٌ
يَلْتَحِفُ بِهَا .

قوله « فاعلم » اعتراضٌ تأكَّدَ به الكلام ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلَإِنَّ أَقْسِمَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ؛ لأن قوله « وإن رُدِّيتَ » متعلِّقٌ بما قبله تعلُّقٌ جواب القسم بالقسم . يقول : ليس جمالُ المرءِ فيما يلبسه من الثياب وإن استسرى الملابسَ واختار أرضاها وأكملها . وكانوا يأتزون ببردٍ ويرتدون بأخر ، ويسميان حُلَّةً ، وباجتماعهما كان يكمل اللبوس ، حتى كانت خِلعةٌ ملوكهم لا تغدوهما . ولذلك سُمِّيَ من سُمِّيَ ذا البردَيْنِ . قال :

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالكٍ ويا ابنةَ ذي البردَيْنِ والفرسِ الوردِ (٢)

وقوله : « وإن رُدِّيتَ بُردًا » في موضع الحال ، كأنه قال : ليس جمالك بمنزرة مُردِّي معهُ بُردًا . والحال قد يكون فيه معنى الشرط ، كما أن الشرط يكون فيه معنى الحال . فالأولُ كقولك : لافعلته كائنًا ما كان ، أي إن كان هذا وإن كان هذا . والثاني كبيت الكتاب :

* عاوِدْ هَرَاةَ وَإِنْ مَعْمُورُهَا خَرِبًا (٣) *

لأنَّ الواو منه في موضع الحال ، كما هو في بيت عمرو ، وفيه لفظ الشرط ومعناه ، وما قبله نائبٌ عن الجواب . والمعنى : إن خربَ معمور هراة فعاوِدْها . وكذلك بيت عمرو ، تقديره : إن رُدِّيتَ بُردًا على منزرة فليس الجمالُ ذلك .

(١) سبقت ترجمته في المقطوعة ٢٩ .

(٢) البيت لحاتم الطائي . وابنة عبد الله هي ماوية بنت عبد الله زوج حاتم . وذو البردين :

عامر بن أحيمر بن بهدلة . انظر حواشي البيان (٣ : ٣٠٩ - ٣١٠) .

(٣) كتاب سيديويه (١ : ٤٥٧) .

٢ - إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِينٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنِ مَجْدَا

أراد أن جمال المرء في أصوله الزكّية ، وأفعال له كريمة تورث المجد والشرف . والمَعْدِينُ ، هو من عَدَنَ بِالْمَكَانِ عَدْنًا وَعُدُونًا ، إِذَا أَقَامَ . وكذلك • المعدن : الأصل ، عَدَنَتِ الْإِبِلُ فِي الْخُضِّ ، وَقِيلَ الْمَعْدِينُ اشْتِقَاقُهُ مِنْ عَدَنَتُ الْحَجَرِ ، إِذَا قَلَعْتَهُ . وَإِذَا جَمَعَ الرَّجُلُ بَيْنَ الشَّرَفِ الْمُرُوثِ وَالْمُسْتَحْدَثِ الْمَكْسُوبِ فَهُوَ النَّهْيَةُ . وَمَنَاقِبُ الْإِنْسَانِ : مَا عُرِفَ فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْجَمِيلَةِ ، وَالطَّرَائِقِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْوَحْدَةُ مَنْقَبَةٌ . وَالنَّقَبُ كَأَنَّهُ مِنْهُ . قَالَ الدَّرِيدِيُّ : يَقَالُ نَقَبٌ بَيْنَ النَّقَابَةِ بِالْفَتْحِ ، مِثْلَ كَفِيلٍ بَيْنَ الْكِفَالَةِ . فَأَمَّا التَّعْرِيفُ فَمَصْدَرُهُ الْعِرَافَةُ بِالْكَسْرِ : وَالْمَجْدُ : الشَّرَفُ وَالرَّفْعَةُ ، وَسُمِّيَتِ الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ مَجْدًا وَنَجْدًا بِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ الْكَثْرَةُ ، يَقَالُ أَجَدْتُ الدَّابَّةَ عِلْفًا ، أَي وَسَّعْتُهُ لَهَا .

• المعدن : الأصل ، وكذلك المكان الذي يُشَبَّهُ بِهِ النَّاسُ لِأَنَّ أَهْلَهُ يَقِيمُونَ فِيهِ وَلَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهُ شَاءَ وَلَا صِفًا .

• النقاب : العالم الفطن .

٣ - أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ مَاءً بَغَةً وَعَعْدَاءً عَلَنْدَى

أَعَدَدْتُ وَاعْتَدْتُ وَاحِدًا ، وَالاسْمُ الْعُدَّةُ وَالْعَتَادُ . يَقُولُ : هَيَّأْتُ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، أَي لِدَفْعِهَا دِرْعًا وَاسِعَةً وَفَرَسًا ضَخْمًا جَيِّدَ الْعَدْوِ كَثِيرَهُ . وَالْعَلَنْدَى أَلْفُهُ لِلْإِلْحَاقِ ، كَسَفَرِ جَلِّ . وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ ثَلَاثِيٌّ ، وَالنُّونُ وَالْأَلْفُ زَائِدَتَانِ ، فَهُوَ مِنَ الْعَلْدِ . قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ الْغَلِيظُ الشَّدِيدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالِدَلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْأَلْفَ لِلْإِلْحَاقِ أَنْتَ تَقُولُ لِلْمَوْثِ عَلَنْدَاةً ، وَأَنْتَ تَنْوِّنُ فَتَقُولُ عَلَنْدَى . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَلَنْدَى : الضَّخْمُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ جَمِيعًا ، وَجَمْعُهُ عَلَانِدٌ وَإِنْ شَتَّتْ عَلَادٍ ، كَمَا قَالُوا فِي حَبَنْطَى حَبَانِطٌ وَحَبَاطٍ . وَفَرَسٌ عَدَّاءٌ وَعَدَّوَانٌ ، إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْعَدْوِ .

• الحسبى : الغليظ القسير السمين ، أو الممتلئ غضباً وغنطاً .

٤ - نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يُقْرِ دُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًا

نَهْدًا ، أَي فَرَسًا غَلِيظًا . وَالنُّهُودُ فِي النَّدِيِّ : بَيَانُ حُجْمِهِ وَتُتَوَّهُ مِنْ هَذَا .

وسَيْفًا ذَا شُطْبٍ : ذَا طَرَاتِقٍ ، يَقَطَعُ الْبَيْضَ وَالذَّرُوعَ قَطْعًا . وَالْقَدَّ : الْقَطْعُ طُولًا ، وَالْقَطُّ : الْقَطْعُ عَرْضًا . وَالْبَدَنُ مِنَ الدِّرْعِ : قَدْرًا مَا يَسْتُرُ الْبَدَنَ . وَيُقَالُ سَيْفٌ مُشَطَّبٌ : فِيهِ شُطُوبٌ وَطَرَاتِقٌ .

• الطرائق: المخطوط
التي تراءى في متن
السيف .
والبيض: جمع بيضة،
وهي الحوذة .

٥ - وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدًا

قوله : « يَوْمَ ذَا كَ » يَجُوزُ أَنْ يُشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَمْرٍ قَدْ عَلِمَهُ السَّامِعُونَ ، وَهُوَ الْحَرْبُ ، لِأَنَّ النَّزَالَ يَكُونُ فِيهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِهِ إِلَى السَّلَاحِ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ . وَيَوْمُ السَّلَاحِ : يَوْمُ الْحَرْبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِهِ إِلَى الْخَدَثَانِ ، لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ « أَعَدَدْتُ لِلْخَدَثَانِ » . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلِمْتُ أَنِّي مُنَازِلٌ هُوَ لِأَنَّ فَاعِدَدْتُ لَمْ يَكُنْ هَذَا السَّلَاحُ ، لِعَلْمِي بِالْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَالْحَازِمُ يَتَهَيَّأُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَعَلْتُ ذَلِكَ بِحِزَامَتِي ^(١) ، وَعَلْمِي بِمَوَارِدِ الْأُمُورِ وَمَصَادِرِهَا .

٦ - قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ دَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقَدًّا

انْتَصَبَ حَلَقًا عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَيُرِيدُ بِهِ الذَّرُوعَ الَّتِي نُسِجَتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ . وَالْقَدُّ ، أَرَادَ بِهِ الْيَلْبَ ، وَهُوَ شَبْهُ دِرْعٍ كَانَ يُتَّخَذُ مِنَ الْقَدِّ . وَيُرْوَى : « حَلَقًا وَقَدًّا » وَيَكُونُ انْتِصَابُ حَلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، أَيْ تَشَبَّهُوا بِالنَّمْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ . وَدَلَّ عَلَى الْخَلْقِ قَوْلُهُ قَدًّا . وَمَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَنَّهُمْ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ الذَّرُوعَ وَالْيَلْبَ تَشَبَّهُوا بِالنَّمْرِ فِي أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَرْبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِتَنَمَّرُوا تَلَوَّنُوا بِالْوَانِ النَّمْرَ ، لِطُولِ ثَبَاتِهِمْ وَمَلَاذِمَتِهِمْ الْحَدِيدَ ، وَحِينَئِذٍ يَصْحَحُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُ حَلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ . وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَجُودٌ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ دَخَلَ قَوْلُهُ : « وَقَدًّا » بِالْعَطْفِ عَلَى حَلَقًا فِي أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْحَدِيدِ

(١) م : « الحزامي » .

وليس منه؟ قيل: لما كان يُعني غنَاءَ دِرْعِ الحديد، جاز أن يصحبه في أن يكون بدلاً. وقوله «إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ» ظَرْفٌ لَتَنَمَّرُوا.

٧ - كُلُّ امْرِيٍّ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيْجِ بِمَا اسْتَعَدَّ

هذا كما قيل في المثل: «قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمَلَأُ الْكِنَانُ (١)»، فيقول: كُلُّ رَجُلٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْحَرْبِ بِمَا أَعَدَّهُ وَاسْتَعَدَّهُ. والضمير من صلة «ما» محذوفٌ استطراداً للاسم. ويجوز أن يكون استعدَّ فعلاً ليوم الهياج لا لكل امْرِيٍّ، ويكون معناه بما كَلَّفَ يَوْمُ الْهَيْجِ أَنْ يُعَدَّ لَهُ. يقال: استعدته كذا، أي سألته أن يُعَدَّ.

٨ - لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءً نَا يَفْحَصْنَ بِالْمَغْزَاءِ شَدًّا

الأمعز والمغزاء: الأرض الحزنة ذات الحجارة، والجميع المغز والأماغر والمغزاوات. والأصل في المغز الصلابة. ويقال رجل ماعزٌ ومعزٌ. ويروى: «يَفْحَصْنَ»، ومعناه يؤثرن لشدة العدو في المغزاء، حتى يصير به لآثارهن كالأفاحيص. ويقال: استضحك فلانٌ حتى فحَصَ برجليه. وقيل على التوشع: فحَصْتُ عن الأمر. وينتصب «شَدًّا» على أن يكون مفعولاً له، كأنه قال: يَفْحَصْنَ بِالْمَغْزَاءِ لَشَدِّهِنَّ ويجوز أن يكون شَدًّا مصدرًا في موضع الحال، أي يفعلن ذلك بالمغزاء شَادَاتٍ. ويروى: «يَمْحَصْنَ»، والمحص: العدو الشديد، وينتصب شَدًّا على أنه مصدرٌ من غير لفظه، كأنه قال: يَشُدُّنَّ شَدًّا وَيَمْحَصْنَ مَحْصًا. وجواب لَمَّا قَوْلُهُ «نَازَلَتْ»، وسيجيء من بعده. وَإِنَّمَا عَمِلَتِ النِّسَاءُ مَا ذَكَرَ إِشْفَاقًا مِنَ الْغَارَةِ وَالسَّبَاءِ.

• الأفاصيد: جمع
أَفْصُودٍ، وهي حفرة
تخفرها القطة أو الدجاجة
في الأرض لتبيضها ورقد
فيها.

(١) انظر ما سبق في ص ٧٦٠..

٩ - وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى (١)

قوله : « كأنها بدرُ السماء » في موضع الحال للمرأة ، أي بدت مُشَبَّهةً
 البدر ، وقوله : « إذا تبدي » ظرّف لما دلّ عليه كأنّ من معنى الفعل .
 يقول : وبرزت هذه المرأة كاشفةً عن وجهها سافرةً ، كأنها قد أرسلت نقابها .
 ودلّ على هذا بقوله : « كأنها بدرُ السماء إذا تبدي » . وإنما قعلت كذلك
 لأحد وجهين : إمّا للتشبهه بالإماء حتى تأمن السباء ، أو لما تداخلها من
 الرعب . وفي طريقته :

وَنِسْوَتِكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءً وَالْإِمَاءُ حَرَّائِرُ (٢)

١٠ - نَازَلَتْ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرَّ مِنْ نِزَالِ الْكَبَشِ بُدًّا

لا بدّ يستعمل استعمال لا محالة ، وتحقيقه لا محيد ولا معدل . ومنه قولهم :
 استبدّ فلان بالأمر ، أي انفرد به . والبَدْدُ والتَّبَدُّدُ : مَصْدَرُ الأَبْدِ . وهذا
 جواب قوله : « لما رأيتُ نساءنا يفحصن » . وكبشُ الكتيبة : رئيسها (٣) .
 فيقول : لما رأيت الأمر على ما ذكرتُ أنفتُ وقصدتُ رئيسَ الأعداء وملاقاته
 ولم أجد من ذلك بُدًّا . وإنما قال : « نازلتُ كبشَهُمْ » ليرى أنه ممن تدعوه
 نفسه إلى مجاهدة الرؤساء والتعرض لهم في الحرب ، وأنه ممن لا يرضى عن
 المبارزة بالمنزل الأذنى . والرئيسُ متى كان واثقا بنفسه طلب أمثاله ،
 واستغنى من مبارزة من لا يُؤبّه له ، وتفادى منها ، إلّا عند الضرورة .

(١) روى التبريزي بعد هذا بيتاً لم يروه المرزوقي ، وهو :

وَبَدَتْ مُحَاسِنُهَا الَّتِي تَحْفَى وَكَانَ الأَمْرُ جَدًّا

(٢) البيت لسبرة بن عمرو الفقعسي . وهو من أبيات الحماسة .

(٣) ابن جني : « أعاد لفظ الكبش دون ضميره لأنه موضع تفخيم وتنظيم ، وكان إعادة

لفظ المعظم أوكد وأفخم » .

١١ - هُمْ يَنْذِرُونَ دَمِي وَأَزْ ذُرِّ إِنْ لَقَيْتُ بَأْسَ أَشَدِّ

يقول : هم يقولون لله علينا سفك دم عمرو ، وأنا أقول لله علي أن أحل عليهم وأبدل نفسي لهم ، ثقة بكفايتي واستهانة بنذرهم . ويقال في الحملة : شددنا عليهم شدة صادقة ، وشدة غير كاذبة ، إذا أرادوا المبالغة .

١٢ - كَمِ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ يَدَيَّ لَخْدَا

بَوَّأْتُهُ مُبَوَّأً صِدْقٍ : أنزلته . والباءة : المنزل . وإنما فرغ من التبجج بالشجاعة ثم ذكر صبره على البلاء ، وتوطين نفسه على اللأواء ، فيقول : كم من أخ موثوق به فوجئت بموته ، وأخوجت إلى تولي دفينه ، ومباشرة تجهيزه . وهذا إذا ابتلي به المرء كان أعظم لجزعه ، وأنكى في قلبه .

١٣ - مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَعْتُ وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدًا

الهلَعُ : أفحش الجزع ، لأنه جزع مع قلة صبر . وقد فسره التنزيل في قوله تعالى : ﴿ إِنْ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ . لأن المعنى أن الإنسان لا يصبر على ضير ، ولا على خير ، فكأنه قال : ما حزنت عليه حزناً هيئاً قريباً ، ولا فظيماً شديداً . وهذا نفي للحزن رأساً ، فهو كقولك : ما رأيت صغيرهم ولا كبيرهم . وقد أعطى الترتيب حقه لأنه ارتقى فيه من الأدوب إلى الأعلى ، إذ كان قوله « ما إن جزعت » وإن كان مستصلاً لجميع أنواعه مفيداً للأدوان ، وقد جاء بعده « وَلَا هَلَعْتُ » ، وقوله : « وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدًا » ، وكان بعض الناس

(١) أشار التبريزي إلى رواية ابن دريد :

ما إن جزعت ولا هلع ت ولا لظمت عليه خدا

برويه : « ولا يرُدُّ بكاي زيداً » ، وزعمَ أنه أخ له . ورأيت من زعمَ أنه
فَقَسَ عن نَسَبِ عمرو فلم يجد له نَسِيباً^(١) ولا شقيقاً يسمي زيدا . على أن قوله
« كم من أخ لي صالح » لا يلائمه - فيما يقتضيه سياق اللفظ ونظام المعنى ، ومع
إفادته الكثرة - أن يُقابل بولا يرُدُّ بكاي أخي زيداً مع تخصُّصه . فأما من
روى « زندا » فبعض الشيوخ كان يقول : أراد ولا يرُدُّ بكاي شرارة ،
فذكر الزند وأراد ما يخرج منه عند القدح . وأحسن من هذا أن يكون ذكر
الزند تقييلاً لعائدة الحزن لو تكلفه عند ما دهمه من الفجعة بالأخ المذكور .
وهم يستعملون الزند في هذا المعنى ، كما يستعملون الفوف والنقير والقطير والفتيل .
وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا قللوا مال الرجل : « زندان في مِرْقَعَةٍ^(٢) » .
وهذا المعنى حسنٌ ، والشاهد له قويٌّ . ورأيت في بعض النسخ : « ولا يرُدُّ
بكاي رداً » ، وهذا حسنٌ أيضاً ، ويكون المعنى : ولا يرُدُّ بكائي مردوداً .
والمعنى : ولا يُغني بكائي شيئاً . وفي كلام الناس : هذا الأمرُ أَرَدُّ عليك ،
أي أنفع وأجدى . وإنما عَقَّبَ نفي الجزع بهذا الكلام تنبيهاً على أن صبره
عن تأدبٍ وتبشُّرٍ ومعرفةٍ بالعواقب ، وحسنٍ تأملٍ .

١٤ - أَلْبَسْتُهُ أُثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا

يقول : توليت تكفينه وتجهيزه بنفسي ، وخلقْتُ صبوراً حين خُلِقْتُ .
وهذا يريدُ به أنه جمع إلى الجَلادة المكتسبة جَلادة الخَلقة والطبيعة .

١٥ - أُغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ نَ أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا

قول « الزاهبين » يجوز أن يريدَ بهم من انقرضَ من عشيرته وذويه ،
ويكون المعنى أنه المعتمدُ عليه بعدهم ، ويجوز أن يريدَ بهم المتغيِّبين عن

(١) في الأصل « نسباً » صوابه في م .

(٢) المِرْقَعَةُ : كناية أو خريطة قد رقت . أمثال الميداني .

المشاهد والمعارك . وقوله « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا » يجوز أن يكون المعنى : يقال في الأعداء : خذوا فلاناً فإنه يُعَدُّ بكذا وكذا من الفرسان . ويقال إن عمرا كان يعدّ بألف فارس . ويجوز أن يكون المعنى أهياً للأعداء معدوداً ، فيكون عَدًّا انتصابه على الحال ، وموضوعاً موضع المعدود ، وأَعَدُّ مستقبل أُعِدَّتْ ، أي هَيَّئْت . وفي الأول يكون مصدرًا لأَعَدُّ . والواحد لا يصح عَدُّه ولكن كأنه يقال فيه : إنه يقوم مقام كذا وكذا من العَدَد . ويروي « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ » بفتح الهمزة ، ويحتمل وجهين من المعنى : أن يقول أعدُّ لهم وقعاتي وأيامي عند المفاخرة والمنافرة عَدًّا ؛ وهذا معنى حَسَنٌ . والآخر أن يكون المعنى : أعدُّ لهم كل ما يحتاج إليه من عَدَدٍ وَعُدَّةٍ ، وهذا يؤذن بأنه يدبرُ أمرَ الحرب ؛ ويرجعُ إليه في أسبابها والجمع لها وهذا يرجع معناه إلى معنى من يروي « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ » بضم الهمزة وكسر العين . وفي هذه الرواية يجوز أن يكون عَدًّا مفعولاً به ، والمعنى : أعدُّ لها معدوداتها .

١٦- ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ وَبَقِيَتْ مِثْلَ السِّيفِ فَرْدًا

يقول : فُجِعْتُ بِأَحْبَابِي وَبَقِيَتْ مَنْفَرِدًا بِالسِّيَادَةِ ، فَأَنَا كَالسِّيفِ لَا يُجْمَعُ اثْنَانِ مِنْهُ فِي غَمْدٍ . ويجوز أن يكون : بقيت لِنَفَازِي فِي الْأُمُورِ وَمِضَائِي كَالسِّيفِ . وفردًا ينتصب على الحال ، أي منفردًا .

٣٥

وقال عمرو أيضاً :

١- وَلَقَدْ أَجْمَعُ رَجُلِي بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرُّوزٌ^(١)

هذا كلام من جمع إلى شجاعته وإقدامه حذراً وحرامةً، وإلى جرأته وتهوُّره

(١) هذه المقطوعة رويها في الأصل متيِّد بالسكون ، وهي في م مطلقه الروي بالضم . وقال التبريزي : « من الرمل الأول إذا أطلقت ، ومن الثاني إذا قيدت ، مردف في الضربين جميعاً ، والتعاقبية من المتواتر إذا أطلقت ، ومن المترادف إذا قيدت » .

رِفْقًا وَأَصْلًا ، ثم يكونُ عارفاً بوقتِ كلِّ منها ، وبالحالة الموجبة لاختياره
بَعْضَهَا . وَأَجْمَعُ رِجْلِيَّ ، أى أَسْتَحِثُّ فَرَسِي . وهو من فصيح الكلام ، ومن
العبرة التي تصوّر المعنى . ومن لفظه وبابه قولهم : جَمَعْتُ يَدِي عَلَى كَذَا (١) ،
ورَفَعْتُ يَدِي عَنْ كَذَا . وَحَذَرَ الْمَوْتَ ، انتصب على أنه مفعولٌ له ، والضميرُ
من قوله : « بها » للفرس . والمعنى : أَرَكُضُهَا وَأَسْتَدِرُّ جَرِيهَا ، ذَهَابًا فِي الْفِرَارِ ،
واحترازًا من الموت إذا كانَ الْوَقْتُ وَقْتَهُ ، وَإِنِّي لَكَثِيرُ الْهَرْبِ إِذَا كَانَ الْهَرْبُ
أَغْنَى ، وَإِلَى مِرَاعَةِ الْعَدُوِّ أَدْعَى .

٢ - وَلَقَدْ أَعْطِفُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ

يقول : كما أهرَبُ وقتَ الهربِ فَإِنِّي أَعْطِفُ وقتَ العطفِ ؛ لأنَّ الكَرَّ
والفَرَّ من شأني ، والإِقْدَامَ والإِحْجَامَ عَادَتِي وَدَأْبِي . وأشار بقوله : « حِينَ لِلنَّفْسِ
مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ » إلى شدة الأمرِ وتفاقمِ الخَطْبِ . أي أَعْطِفُ الْفَرَسِ وَهِيَ
كَارِهَةٌ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَهَرُّ النَّفْسُ وَتَضِجُ مِنْ شِدَّةِ الْبَلْوَى . وَالْهَرِيرُ ، قِيلَ هُوَ
دُونَ النَّبَاحِ .

٣ - كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خُلُقٌ وَبِكُلِّ أَنَا فِي الرَّوْعِ جَدِيرٌ

« ما » زائدةٌ . وأشار بقوله : « ذلك » إلى ما قَدَّمَهُ مِنَ الْكَرِّ وَالْفَرِّ .
أَي كُلُّ مَا وَصَفْتُ عَادَةً مِنِّي وَطَبِيعَةً ، وَبِفِعْلِ كُلِّهِ أَنَا خَلِيقٌ فِي الرَّوْعِ .
ويقال : هُوَ جَدِيرٌ بِكَذَا ، وَجَدِيرٌ لِكَذَا ، وَجَدِيرٌ أَنْ يَنَالَ كَذَا ، وَلَقَدْ جَدَرَ
جَدَارَةً ، وَأَجْدِرُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ . قَالَ :

(١) في الأصل : « على يدي » ، وأثبتنا ما في م .

* جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَفْلُوا (١) *

٤ - وابنُ صُبَيْحٍ سَادِرًا يُوعِدُنِي مَالَهُ فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ مُجِيرٌ

قال الدردي : يقال أتى فلانُ أمره سادراً ، إذا جاءه من غير جهته .
يقول : وهذا الرجلُ مع ما ذكرتُ من قصتي في الحرب يتهددني ساهياً
لاهياً ، وماله عاصمٌ مني في الناسِ ما عشتُ . وموضعُ « ما عشتُ »
ظرفٌ ، بيانه أن ما مع الفعل في تقدير المصدر ، واسم الزمان محذوف معه ،
كأنه قال : مدة عيشي .

٣٦

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الْأَوْسِيِّ (٢) :

١ - طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا (٣)

الشَّعُّ والشَّعَاعُ : المتفرَّق . ومنه شَعَّ الغارَةُ ، وتطَايَرَ القَوْمُ شَعَاعًا . يقول :
طَعَنْتُ هَذَا الرَّجُلَ طَعْنَةً طَالِبٍ بِالْدَمِّ فَاتِكٍ (٤) لَا بُقْيَا مَعَهَا ، وَلَا تَقْصِيرَ

(١) لزهير في ديوانه ١٠٣ . صدره :

* بخيل عليها جنة عبقرية *

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو الأوسي ، شاعر فارس ؛ كان له في وقعة
بعث التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة ، كان بينه وبين حسان بن
ثابت منافسة : كان حسان يذكر ليل بنت الخطيم أخت قيس في شعره ، وكان قيس يذكر
عمره امرأة حسان في شعره . وذكره بعض المؤرخين في الصحابة خطأ ، فقد ذكر أصحاب
الغازي أنه قدم مكة فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وتلا عليه القرآن فقال : إني
لأسمع كلاماً عجيباً فدعني أنظر في أمري في هذه السنة ثم أعود إليك . فبات قبل الحول . انظر
الإصابة ، والخزاعة (٣ : ١٦٨ - ١٦٩) والأغاني (٢ : ١٥٤ - ١٥٩) ومعاهد
التنصيص (١ : ٦٧) .

(٣) روى التبريزي هذه المقطوعة تسعة أبيات ، إذ روى بين البيتين الخامس والسادس
بيتين آخرين سنبه عليهما فيما سياتي .

(٤) م : « قاتل » .

في اللبافة فيها، لها نَفَذٌ، أى خَرَقٌ، لولا انتشار الدَّم لأضاءها. وأضاءها جواب لَوَلَا، واللبتدأ وهو «الشَّعَاع» خبره محذوف، كأنه قال: لولا الشَّعَاع مانع لأضاءها النَّفَذُ. ومن رَوَى «الشُّعَاعُ» بضم الشين، فإنه يُرِيدُ به نُورَ الشَّمْسِ. والأول أجودُ وأشهر. ويقال: أشعتِ الشَّمْسُ، إذا امتدَّتْ نُورُها وانتشر.

٢- مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَمَّهَا يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يُروى: «يُرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا» و«ما وراءها»، ويُرَوَى: «يُرَى قَائِمًا» أيضًا. ويقال: مَلَكْتُ الْعَجِينَ وَأَمْلَكْتُهُ، إذا بَالَعْتَ فِي عَجْنِهِ وَشَدَدْتَ. وكان الأصمعيّ يمتنع من أملكك، فيكون المعنى شَدَدْتَ بِهَذِهِ الطَّعْنَةَ كَفِّي وَوَسَّعْتُ خَرَقَهَا حَتَّى يَرَى الْقَائِمُ مِنْ دُونِهَا الشَّيْءَ الَّذِي وَرَاءَهَا. وهذا التفسير في ملكك تفسير القدماء. ويجوز أن يكون معنى «ملكك بها كفي» أي تمكنت من فعلها، فأطقتُ تصريفَ كَفِّي فِي إِيقَاعِهَا عَلَى مَرَادِي. وهذا كما يقول^(١): أَنَا أَمْلِكُ هَذَا الْأَمْرَ، إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ. وكأنه أشار بهذا الكلام إلى أن الطعنة لم تكن على دَهَشٍ واختلاس، ولكن عن تمكُّنٍ واقتدار. ويروى: «يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا» و«ما وراءها» ومن روى «مَنْ وَرَاءَهَا» فالعنى يُرَى مَنْ وَرَاءَهَا إِذَا كَانَ قَائِمًا مِنْ دُونِهَا. ووراء ههنا بمعنى خَلْفَ، وإن كان يقع على الخَلْفِ وَالْقُدَّامِ جَمِيعًا. وَمِنْ دُونِهَا، أَي مِنْ قُدَّامِهَا. وبيت الأعشى على هذا، وهو قوله:

* تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ^(٢)

أى تريك الخمرَةَ فِي الزَّجَاجَةِ الْقَدَى مِنْ قُدَّامِهَا، وَهِيَ قُدَّامُ الْقَدَى؛

(١) في النسختين: «تقول».

(٢) عجزه كما في ديوان الأعشى ١٤٧:

* إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاقِهَا يَتَمَطَّقُ *

أي تريك الزُّجاجة ما خلفها من قدامها لصفاء الخمرة فيها . ومعنى أَنهَرَتْهُ : وسَّغَتْهُ حتى جعلته كالنهر سَعَةً . والنهر نفسه سُمِّيَ بذلك لاتساعه . ومنه النَّهْرَةُ ، وهي فضاء بين بيوت الحيِّ يلقون فيه كَنَاسَتَهُمْ . وفي هذا الوصف سَرَفٌ مُسْتَنَكِرٌ وخروجٌ عن القصدِ مُسْتَهْجَنٌ . ويجري مجراه في الغلوِّ قول مُهَلِّيل :

• الصليل : صوت الحديد هاهنا .

فلولا الريحُ أسمع أهلَ حجرٍ صليلَ البيضِ يُقرَعُ بالذُّكُورِ (١)

• حجر : قصبه اليمامة .

واستعمل عنترَةُ لفظَ الإنهار مع اقتصادٍ فقال :

أَنهَرْتُ لَبَّتَهُ بِأَحْمَرَ قَانِيٍّ وَرَشَّاشٍ نَافِذَةٍ عَلَى الْأَثْوَابِ

• اللَّبَّةُ :

• البيض : بالكسر ، السيف

جمع أبيض ، وبالفتح جمع بيضة ، وهي الخوذة .

والذُّكُور : جمع دَكر ، وهو السيف الصارم .

٣ - يَهُونُ عَلِيٌّ أَنْ تَرَدَّ جِرَاحُهَا عِيُونَ لَأَوَاسِيٍّ إِذْ حَمِدَتْ بِلَاءَهَا

وسط الصدر والمتر .

الأوَّاسِي : النساءُ المداويات للجراح ، والفعلُ منه أسوت . ويقال للرجال الآسُون والآساةُ . وإنما ذَكَرَ النساءَ لأنهم يَأْنِفُونَ من الصناعات ، ويعلمونها العبيد والإماءَ وحرائرَ النساءِ أحيانًا ، إذ لم يكنَّ في غايةِ بعيدةٍ من الشرفِ . وقوله « أن ترَدَّ » موضعه رَفَعُ على أنه فاعلُ يَهُونُ . و « إِذْ حَمِدَتْ » ظَرْفٌ لِيَهُونَ ، وهي حكاية حالٍ ماضية . والمعنى : يَحْفُ عَلِيٌّ رَدُّ جِرَاحِ هذه الطعنة عيونَ النساءِ المداويات لها ، إِذْ حَمِدَتْ أثري فيها . وبلاءها ، يجوز أن يكون المراد بلائي فيها ، ويجوز أن يريد ببلائها شدتها وفضاعتها . والمصادر تُضَافُ إلى الفاعلين والمفعولين جميعاً .

٤ - سَاعَدَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ زُهَيْرٌ فَأَدَى نَعْمَةً وَأَفَاءَهَا (٢)

(١) انظر البيان (١ : ١٢٤) والحيوان (٦ : ٤١٨) ونقد الشعر ٨٤ ، والموشح ٧٤ ، والعمدة (٢ : ٧٠) والأغاني (٤ : ١٦٤) .

(٢) التبريزي : « خداش فآدى » . وروى من الخبر : أن خداش بن زهير كان للخطيم والد قيس عنده يد ، فدل قيساً على قاتل أبيه وأعانه عليه ومكته من أن ينال ثأره . وقد ساق الآمدي في المؤلف ١٠٧ نسب خداش ، وهو خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن عامر بن عامر بن صعصعة .

يجوز أن ينتصب نعمة على الحال ويكون مفعول أدّى محذوفاً كأنه قال :
فأذاها نعمةً ويبدأ يستحق عليها شُكراً ، ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول
أدّى ، ويكون المعنى : ساعدني في هذه الطعنة زهير بن عمرو ، فأدّى صنيعه
كانت لي عنده بمساعدته ، واتخذها مَفْناً لنفسه أيضاً . ويجوز أن يكون
أفاءها من النية : الفنيمة ، وهذا قول أبي عبيدة . ويجوز أن يكون أفاءها
من النية : الرجوع ، أي أداها ورجعها إلى مُصْطَنِعِها ، لأن الأيدي قروضٌ
في الصالحين .

٥ - وكنتُ أمراً لا أسمعُ الدهرَ سبّةً أُسبُّها إلا كَشَفْتُ غِطَاءَها (١)

يُرْوَى « لا أسمعُ » و « لا أسمعُ » . ومن الغطاء قيل غطاء الليل ، وغطا
عليهم الشرُّ وغيره . يقول : كنت رجلاً لا أعيرُ شيئاً طول الدهر إلا بينتُ
للناس براءة ساحتِي منه . وحقيقَةُ « كَشَفْتُ غِطَاءَها » أي لم أتركُ الشُّبَّةَ
ملتبسةً على سامِعِها ، فكان يتردد بين تصديقها وتكذيبها ، بل أبنتُ أمرها (٢)
وأظهرتُ وجهها ، حتى بان للناس اختلاقُ السابِّ بها ، وكذابه فيها . والشُّبَّةُ ،
كالغُفَّةِ والغُصَّةِ وما أشبهها . وذهب بعضهم إلى أن المعنى : إذا رُميت بعيبٍ
كان حقاً عليَّ مَحْوُهُ عن نفسي ، بما استأنفه من سَعْيِي . والأوَّل أحسن .

٦ - متى يأتِ هذا الموتُ لا تَبْقُ حاجةٌ لِنَفْسِي ، إلا قد قَضَيْتُ قِضَاءَها (٣)

(١) روى التبريزي بعده هذا البيت :

فإنِّي في الحرب الضروسُ مَوْكَلٌ

بإقدام نفسٍ ما أريد بقاءها

وقال في تفسيره : « الضروس : الشديدة ، من ضرس البئر ، وهو طيبها بالحجارة .

ويروى : العوان ، وهي التي قوتل فيها مرة بعد مرة » . ثم روى بعد هذا البيت الزائد ، البيت

رقم ٧ لرواية « إذا ما اصطبحت أربعاً » .

(٢) م : « بأن أبنت أمرها » .

(٣) روى هذا البيت عند التبريزي مؤخراً عن تاليه ، ثم روى بعدها :

يُرَوَى « لا يُلْفِ حَاجَةً » على أن يكون الفعل للموت ، و « لا تُلْفَ حَاجَةً » على ما لم يسم فاعله ، أي لا توجد . يقول : أجتهد في إدراك الآثار ^(١) ، وطلب الأوتار ، قبل دُتُوُّ الأجل ، فمتى جاء الموت لا يجد حَاجَةً تتعلَّقُ نفسي بها قبلُ إلا وهي مقضيةٌ . ومعنى « قَضَيْتُ قَضَاءَهَا » أي فرغْتُ منها كقضائي لأمثالها . وقوله « هذا الموت » يجوز أن يكون تصوُّرُه [حاضرًا^(٢)] لمعرفة بإدراكه لا محالة ، وأشار إليه . ويجوز أن يكون لدوام استمقاله وتحديثه بمجيئه ، وكونه من همه ، أشار إليه على جهة التقريب له .

٧- إذا ما شربتُ أربعةً أكويسٍ جرتُ مِزْرِي وأتبتُ دُلُوي في السَّماحِ رِشَاءَهَا^(٣)

يقول : إذا شربتُ أربعةً أكويسٍ جرتُ مِزْرِي ، فأثرتُ في الأرض خِيَلًا وكِبْرًا ، وتممتُ ما بقيَ عليّ من السَّماحِ في حال الصَّحْوِ ، كأنَّ معظمه فعلةٌ صاحِبًا ، والباقي منه تممةٌ في حال الشُّكْرِ . وهذا الكلام يجري مجرى المثل للمعنى الذي بيَّنت . حكى الأصمعيُّ أنهم يقولون : « أتبع الفرسَ لجامها » ، و « أتبع الدُّلُورِشَاءَهَا » ، أي تمَّ ما بقيَ عليك من أمرِك . وكأنه يُضْرِبُ لمن جاد بالكثير وترك القليل الحقيير . وهذا أجود من قول عنزة العبسيِّ ، وإن

- ثارتُ عَدِيًّا والخطيمَ فلم اصبحْ ولايةَ أشياخٍ جُمِلتُ إزاءها

وقال في تفسيره : « ثارته : طلبت بثأره ثاراً . والثار : المصدر . والثار : المطلوب بالدم ، سمي بالمصدر . يقال فلان الثار المنيم ، أي هو الذي إذا قتل أنام طالب الدم عن الطلب . والمثور به : المقتول . والثورة : المصدر على فعالة . قال الشاعر :

طللت به ثأري وأدركت ثورتي بني عامر هل كنت في ثورتي نكسا

وقوله : جعلت إزاءها ، جعلوني أقوم بها . من قولك : فلان إزاء مال ، إذا كان يقوم

بإصلاحه .

(١) آثار مقلوب أنار ، جمع ثار . كما في اللسان .

(٢) التكلمة من م .

(٣) التبريزي : « إذا ما اصطبحت أربعا » كما سبق التنبيه .

كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كُثُوم ، وقول عنترَةَ :
 وَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعِرْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يُكَلِّمْ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكَرُّمِي
 وبيت عمرو :

• انتشى فلان : بدأ
 سكره .
 ويقال وقَرَّ عرضُه : إذا
 تَرَمَّ ولم يُبْتَدَل .

مُسْفَسَمَةٌ كَأَنَّ الْحِصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا
 لأنَّ هذا قال : إنا نتسخى إذا شربنا الخمر ممزوجة . وما قاله عنترَةَ في بيتين
 أشار إليه قيسٌ في مِضْرَاع . وكان ابنُ الأعرابي يذهب في قوله « سخينا » إلى
 أنه يقال ماء مُسَخَّنٌ وَسَخِينٌ ، وإن كان فعيلٌ في معنى مُفَعَّلٍ قليلاً . وانتصب
 عنده على أنه حال الماء . ويكون المراد على طريقته : كأنَّ الحِصَّ فيها إذا مُزِجَ
 بماء سخين . وهذا لهربه بما استقبحه الناسُ . وهو حَسَنٌ ، لكنَّهُ يقتضي أن
 يكون بلادهم صُرُوداً (١) .

• متعشع الشراب
 مزجه بالماء .
 الحِص : الزعفران .

٣٧

الحَارِثُ بْنُ هِشَامِ الْمَخْزُومِيِّ (٢) :

وهو أخو أبي جهلٍ لعنهُ اللهُ . وكان هرب يوم بدرٍ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى
 لِلنَّصْرَةِ عَلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

١ - اللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكَتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرِ مُزَيْدٍ

(١) الصرود : البلاد الباردة ، يقابله الجروم ، وهي البلاد الحارة .
 (٢) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، كان شريفاً مذكوراً ،
 شهد بدرًا مع المشركين وكان فيمن أنهزم ، فغيره حسان بقوله :
 إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
 ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة وجام
 فأجابه الحارث بهذه الحماسية ، ثم شهد أحداً مشركاً أيضاً ، ثم أسلم يوم فتح مكة ،
 واستشهد يوم اليرموك . الإصابة ١٥٠٠ والسيرة في غير ما موضع .

• الطرة : الفرس
 الكثير الجري .

أخذ يستشهد برّبه ، ويتنصل من هربه ، بأنه لم يأتِه إلا بعد غلبة اليأس من نفسه عليه إن ثبت ، وإلا بعد أن ضُرِّج بالدم الشامل له ولقرسه . ومثله قول مهمل :

لَمْ أَرِمُ حَوْمَةَ الْكُتَيْبَةِ حَتَّى حُدِيَ الْوَرْدُ مِنْ دُمِّي نِعَالًا (١)
وهذا قاصِرٌ عن درجة ما تقدّم ، لأنه يعتذر مما آثره من الهرب في وقته ، وذلك أورده مورد المتبجح ، وأنه خلقه ومذهبُه ، لعلمه بمصادر الحروب ومواردها . وقوله : « الله يعلم » لفظه لفظ الخبر ، والقصد إلى الحلف ؛ لأنه يستشهد برّبه فيقول : علم الله ما تركت مقاتلتهم ، حتى جرحوني فسأل مني على فرسي دمٌ أشقر كثيرٌ ، علاه زبد .

٣ - وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي (٢)

أراد : وحتى علمت . وإنما أطلق لفظة علمت لارتفاع الشبه عن اعتقاده ذلك (٣) . وانتصب واحداً على الحال ، والمعنى منفرداً ، وواحداً هاهنا صفةً ، والمعنى : وحتى تيقنتُ أنني إن ثبتتُ في وجوههم ، وأنتصب منفرداً لمقاتلتهم قتلتُ ، ولا يضرُّ حضوري أعدائي . وتبه بقوله : « وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي »

(١) الذي : جمع دم . وفي م : « من دماء » وهما بمعنى .

(٢) روى التبريزي بيتاً بين هذا وسابقه ، وهو :

وَسُمِّمْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ فِي مَازِقِ الْخَيْلِ لَمْ تَتَبَدَّرْ

قال التبريزي : « ويروى : ووجدت . وهو مثل ، ومعناه أنه غلب ظنه أنه لو وقف قتل . والتلقاء ، مأخوذ من لقيت ، فيجوز أنه يستعمل في معنى اللقاء . وعلى ذلك حملوا قول الراعي :

أملت خيرك هل تأتي مواعده فاليوم قصر عن تلقائك الأمل

وأكثر ما يستعمل تلقاء في معنى نحو الشيء ، كما جاء في الكتاب العزيز : تلقاء أصحاب النار . أي نحوهم .

(٣) هذا الصواب من م والتبريزي . وفي الأصل : « لإيقاع الشبه على اعتقاده ذلك » .

أنه لو كان في ثباته ضررٌ عدوّ لثبتَ في وجهه ، ولم يُبالِ بقتله . وقوله « عَدُوِّي » يفيد الكثرة وإن كان لفظه موحّداً .

٣- فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ سَرْمَدٍ (١)

يقال : صَدَّ فُلَانٌ عَنِّي ، إِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ صَدُودًا ، وَصَدَدْتُهُ أَنَا عَنْ كَذَا صَدًّا . وَحُكِّي أَصَدَدْتُهُ ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ . يَقُولُ : أَعْرَضْتُ عَنْهُمْ وَدَمَاؤُهُمْ وَأَسْرَاؤُهُمْ فِيهِمْ ، وَلَمْ أَنْلِهَا وَلَمْ أَظْفَرْ بِهَا . وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَوْتُورًا . وَإِنَّمَا حَارَبَهُمْ لَطَلَبِ دِمَاءٍ كَانَتْ لَهُ فِيهِمْ . وَقَوْلُهُ « الْأَحِبَّةُ » عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَحَبَّتَهُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْأَحِبَّةِ أَحِبَّةَ نَفْسِهِ ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ : وَدِمَاءَ أَحَبَّتِي وَأَسْرَائِي فِيهِمْ . وَقَوْلُهُ « طَمَعًا » انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْمَى مَصْدَرًا لِعَلَّةٍ . وَالْمَعْنَى : فَعَلْتُ ذَلِكَ لَطَمَعِي فِي أَنْ يُعْقِبَ اللَّهُ تَعَالَى لِي يَوْمًا يُرْصِدُ الشَّرَّ لَمْ ، وَيُمْكِنُنِي مِنْهُمْ ، فَأَنْتَهزُ الْفُرْصَةَ وَأُرْوِي الْغُلَّةَ (٢) . وَيُقَالُ : رَصَدْتُ فُلَانًا بِالْمَكَافَأَةِ ، وَرَصَدْتُ لَهُ أَيْضًا وَأُرْصَدْتُهُ ، وَأَنَا مُرْصِدٌ لِفُلَانٍ بِمَا كَانَ مِنْهُ حَتَّى أَكْفَيْتُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتَصَابُ « طَمَعًا » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالتَّقْدِيرُ : صَدَدْتُ عَنْهُمْ طَمَعًا . وَالْعِقَابُ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْعَاقِبَةُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْمَكَافَأَةُ . يَقَالُ : أَوْلَاهُ خَيْرًا فَعَقَبَهُ بِشَرٍّ ، عُقْبَةً وَعِقَابًا وَعُقْبِي . وَإِذَا كَانَ لِلْفَرَسِ بَعْدَ انْقِطَاعِ جَرِيهِ جَمَامٌ قِيلَ لَهُ عِقَابٌ ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ . وَمَنْ رَوَى « يَوْمِ سَرْمَدٍ » فَالسَّرْمَدُ قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ دَوَامُ الزَّمَانِ وَاتِّصَالُهُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : بِعِقَابِ يَوْمٍ طَوِيلٍ

• انجاء : الرامة .

(١) كان حقه أن يثبت في المتن رواية « مرصد » لأنها الرواية التي جعلها أساسا في التفسير ، كما صنع التبريزي من جملة رواية « مرصد » أساسا في المتن والتفسير .
(٢) هذا ما في م . وفي الأصل : « غليل » .

يَتَّصِلُ زَمَانُهُ ، وَيَمْتَدُّ بِلَاؤُهُ . وَأَيَّامُ النِّعَمِ وَالْحِنَّةِ تُوصَفُ بِالطُّوْلِ ، وَلِهَذَا قِيلَ :
مَضَى لِفُلَانٍ يَوْمٌ كَأَيَّامِ ، وَشَهْرٌ كَدَهْرٍ .

٣٨

قال الفرارُ السلمي (١) :

١ - وَكُتِبَتْ لِبَسْتِهَا بِكُتَيْبَةٍ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدَيْ

هذا يقبَّحُ بأنه مهَيَّاجٌ شَرٌّ وَأَذَى ، وَجَمَاعٌ بَيْنَ كِتَابَيْ شَيْءٍ تَتَقَاتَلُ مِنْ
دُونِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ هُوَ مِنْ بَيْنِهِمْ غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا يُجْرُونَ إِلَيْهِ ، وَلَا مَفْكَرٍ فِيمَا يَنْتَجِ مِنْ
الشَّرِّ فِيهِمْ . فَيَقُولُ : رَبُّ كُتَيْبَةٍ خَلَطَتْهَا بِكُتَيْبَةٍ ، فَلَمَّا اخْتَلَطَتْ نَفَضَتْ يَدَيْ
مِنْهُمْ وَلَهُمْ ، وَخَلَيْتُهُمْ وَشَأْنَهُمْ . وَكُتَيْبَةٌ ، أُلْحِقَ الْمَاءُ بِهَا لِأَنَّهُ جُعِلَ اسْمًا ، وَهُوَ
مَنْ كَتَبَتْ أَى جَمَعَتْ . وَتَوَسَّعُوا فِي النَّفْضِ - وَأَصْلُهُ الْإِلْقَاءُ وَالْإِمَاطَةُ -
فَقِيلَ : نَفَضْتُ الْيَدَ مِنْ فُلَانٍ وَلِفُلَانٍ أَشَدَّ النَّفْضِ ، إِذَا وَكَلْتَهُ إِلَى نَفْسِهِ ،
يَأْسًا مِنْ رَجَعْتَهُ ، وَفِي ضِدِّهِ يُقَالُ : قَبَضْتُ عَلَيْهِ كَفِي ، وَجَمَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيْ .
وَقَدْ قَالُوا : نَفَضْتُ الطَّرِيقَ أَيْضًا ، وَفَرَّقْتُ النَّفْضَةَ فِي الطَّرِيقِ . وَذَكَرَ
بَعْضُهُمْ (٢) أَنَّ قَوْلَهُ : « حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدَيْ » وَ« بِهَا يَدَيْ » ،
المرادُ بِهِ قَنَعْتُ فَرَسِي بِسَوْطِي ، كَأَنَّهُ لَمَّا ضَرَبَ فَرَسَهُ إِنَّمَا نَفَضَ يَدَهُ . يَصِفُ
سُرْعَةَ ضَرْبِهِ بِالسَّوْطِ ، وَأَنَّهُ لَا كُفَّةَ عَلَيْهِ بِهِ . قَالَ : وَهَذِهِ السَّرْعَةُ مُسْتَحَبَّةٌ
فِي ضَرْبِ السَّوْطِ ، كَمَا يَسْتَحَبُّ فِي الْعَمَلِ بِالسَّلَاحِ . وَمَنْ رَوَى « بِهَا » يَجُوزُ أَنْ

(١) الفرار شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، واسمه حبان (ويقال حيان) بن
الحكم . أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم راية سليم يوم الفتح ثم نزعها منه وأعطها
يزيد بن الأخنس . وكان الفرار من شهد حنيناً . وسليم ، بالتصغير : اسم قبيلته . انظر
الإصابة ١٥٥١ .

(٢) يعني بذلك ابن جني ، والنص الذي نقله المرزوقي مثبت في كتاب التنبيه لابن جني .

المخصرة: ما يؤكدها. علمها كالعصا وغونها. يُرِيدُ الْمَخْصِرَةَ . انْتَهَتْ الْحِكَايَةَ عَنْهُ . وَالتَّعَجُّبُ مِنْ إِدْرَاكِ هَذَا الْمَعْنَى يَمْنَعُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ . فَسَبْحَانُ مِنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ .

٣- فَتَرَ كُتُبَهُمْ تَقِصُّ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ

قوله « تَقِصُّ » أي تَكْسِرُ في موضع الحال لم . وكذلك قوله « من بين مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ » يقول: فَارَقْتُهُمْ وَالرِّمَاحُ تَمْتَلِفُ بِالطَّعْنِ بَيْنَهُمْ ، وَتَكْسِرُ ظُهُورَهُمْ ، فَهْمٌ مِنْ بَيْنِ مَصْرُوعٍ أُلْقِيَ فِي الْعَفْرِ ، وَهُوَ التُّرَابُ ، وَآخَرَ مَطْعُونٍ أَوْ مَجْرُوحٍ ، وَقَدْ أُسْنِدَ إِلَى مَا يُمَسِّكُهُ وَبِهِ رَمَقٌ .

٣- مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ قَتَلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ لَا تَبَعْدُ^(١)

قول « ما كان » يجوز أن يكون ما استفهاماً وكان تجعله الناقصة ، ويجوز أن يكون نفيًا وتجعل كان مؤكدة ، ونبه بهذا الكلام على أنه لو ثبت لم ينفعه الثبات . فيقول: أي شيء كان ينفعي قول النوادب لي لا تبعد وقد قتلته . ومعنى لا تبعد: لا تهلك . يقال بعد ، إذا هلك ، وبعده ، إذا نأى . وكانوا يدلون بهذه اللفظة عند الندبة بها على مساس الحاجة إلى حياة المندوب ، وقلة الاستغناء عنه . وإذا كان كذلك فالوجه أن يُنْدَبَ بِهِ مَنْ كَانَ مَحْمُودَ الْحَيَاةِ ، وَعَزِيزَ الْفِقْدَانِ . وَقَوْلُهُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ « نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ لَكَانَ يَدْفَعُ وَجْهَ الْكُتَيْبَةِ ، وَيَصِيرُ وَاقِيًا لِأَصْحَابِهِ ، وَحَائِلًا بَيْنَ الْأَعْدَاءِ وَبَيْنَهُمْ ، فَلَا يُمْكِنُهُمْ تَجَاوُزُهُ إِلَّا وَقَدْ فَرَّغُوا مِنْهُ . فَلِهَذَا قَالَ « وَقَتَلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ » . وَمَوْضِعُ « لَا تَبَعْدُ » وَهُوَ حِكَايَةٌ ، رَفَعُ أَوْ نَصَبُ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ أَوْ مَفْعُولٌ مِنَ مَقَالِ نِسَائِهِمْ . وَقَوْلُهُ وَقَتَلْتُ ، فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمُضْمَرِ فِي يَنْفَعُنِي ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَقَالُ أَيْضًا ، وَخَلْفَ رِجَالِهِمْ حَالٌ لِلْمُضْمَرِ فِي قَتَلْتُ .

(١) التبريزي: « دون رجالها » .

٣٩

وقال بعضُ بني أَسَدٍ (١) :

١ - يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهْبٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْجَدَاةِ يَدَا الْكَرِيمِ (٢)

إنما عُدِّي يَدَيْتُ بَعَلَى ، لأنه أُجْرِي مجرى أَنْعَمْتُ . وهم يَحْمِلُونَ النَّظِيرَ عَلَى النَّظِيرِ ، كما يَحْمِلُونَ النَّقِيضَ عَلَى النَّقِيضِ . وقال الأَخْفَشُ : يقال يَدَيْتُ عِنْدَهُ وَأَيْدَيْتُ جَمِيعًا ، إِذَا اتَّخَذْتَ عِنْدَهُ صَنِيعَةً ، وَإِنْ كَانَتْ أَيْدَيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَشْهَرَ مِنْ يَدَيْتُ ، لِأَنَّ يَدَيْتُ اشْتَهَرَ فِي أَصْبَتْ يَدَهُ ، كما تقول : رَأْسُهُ وَوَجْهَتُهُ وَصَدْرَتُهُ ، إِذَا أَصْبَتْ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ مِنْهُ . ومعنى هَذَا الْبَيْتِ : اتَّخَذْتُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ بِهَذَا الْمَكَانِ يَدًا غَرَاءً ، وَصَنِيعَةً شَرِيفَةً ، مِثْلُهَا يَفْعَلُهُ الْكِرَامُ . وقوله : « يَدَا الْكَرِيمِ » نَبْءٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ يَدَيْتُ يَدِيًا ، مِثْلُ جَرَيْتُ جَرِيًا ، لَكِنَّهُ وَضَعَ الْيَدَ مَكَانَهُ . فَإِنْ قِيلَ : مَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدَثِ ، وَقَدْ حُذِفَ لَامُهُ كَمَا حُذِفَ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ ؟ نَقَلْتُ : اسْمُ الْحَدَثِ لَمْ يَكُنْ كَثْرَةَ اسْمِ الْعَيْنِ ، وَإِذَا كَانَ حُذِفَ اللَّامُ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ حُذِفَ لِكثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدَثِ الَّذِي لَمْ

(١) هو معقل بن عامر الأسدي . ذكر التبريزي من سبب الشعر « أن معقل بن عامر الأسدي أخا حضرمي بن عامر ، وهو فارس الدهماء ، مر يوم جبلة على ابن الحسحاس بن وهب الأعيوي وهو صريع ، فاحتمله إلى رحله وداواه حتى برئ ، ثم كساه وأداه إلى أهله » .
(٢) الجداة ، بالذال المهملة هي رواية الأصل ومعجم البلدان . قال ياقوت : « موضع في بلاد غطفان » . وفي م والتبريزي : « الجداة » بالذال المعجمة . وذكر ياقوت أنها لغة في « الجداة » بالذال المهملة ؛ ومهما يكن فالكلمة مفتوحة الجيم . لكن نقل التبريزي عن النمري « أن الرواية المشهورة « الجداة » بكسر الجيم . وابن حسحاس ، نقل التبريزي أنه يروى : « ابن حسحاس » .

يكثر استعماله لا يجري مجراه . وقوله : « ابن حسحاس » من الحسحسة ، وهو إحراق الجلد بالنار .

٢ - قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الْحَمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ عَن دَارِ الْحَمِيمِ

القَصْرُ : الخُبْسُ والرَّدُّ ، ومنه القَصْرُ والقُصَارَى : الغاية . وَالْحَمَاءُ : تَأْنِيثُ الْأَحْمِ ، وهو الأسود من كل شيء . وَالْحَمَمُ : الفَحْمُ . وجارية مُحَمَّةٌ ، أي سوداء . وهذا تفسير النعمة التي اتخذها عنده . فيقول : لَمَّا وَجَدْتَهُ جَرِيحًا ، وفي المعركة طريحًا ، قد غابَ عَنْهُ ذَوُوهُ وَالْمَشْفِقُونَ عَلَيْهِ ، حَبَسْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي فَأَرَدْتُهُ . وجوابُ لَمَّا مُقَدَّمٌ ، وهو قَصَرْتُ . كأنه قال : لَمَّا رَأَيْتَهُ كَذَا حَبَسْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي . وحذف مفعول شهدت لأنه أَمِنَ الالْتِبَاسَ . وقوله : « وَغَابَ عَن دَارِ الْحَمِيمِ » كان وجهه أن يقول : لَمَّا شَهِدْتُهُ وَغَابَ حَمِيمُهُ ، لكنَّ الْمَعْنَى لَا يُخِيلُ (١) . وَالْحَمِيمُ : الْقَرِيبُ الْمُسْتَفِيقُ . وَالْحَامَةُ : خَاصَّةُ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، وَيُقَالُ هُوَ الْأَحْمُ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ (٢) ، أَيْ الْأَخَصُّ .

٣ - أُنْبِئْتُهُ بِأَنَّ الْجُرْحَ يُشْوِي وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلِزَةٍ جُمُومٍ

هذا مما تَمَّ بِهِ الصَّنْعَةُ عِنْدَهُ ، بَعْدَ أَنْ ارْتَدَفَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَّاهُ بِقَوْلِهِ « الْجُرْحُ يُشْوِي » ، وَمَنَاهُ بِقَوْلِهِ « وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلِزَةٍ جُمُومٍ » . وَيُقَالُ : رَمَاهُ فَأَشْوَاهُ ، إِذَا أَصَابَ غَيْرَ الْمَقْتَلِ . وَالْجُمُومُ : الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ جَرِيهٌ ، وَالْعِجْلِزَةُ : الصُّلْبَةُ . وَبِئْرٌ جُمُومٌ مِنْ هَذَا ، لِأَنَّ مَاءَهَا يَغُورُ أحيانًا ثُمَّ يَعُودُ وَيَغْزُرُ . وَالْمُرَادُ : أَنَّ تَبْلِيغَكَ الْمَأْمَنَ بِهِ سَهْلٌ ، وَأَنَّ مَا بَكَ (٣) مِنَ الْجُرْحِ هَيِّنٌ .

(١) يقال أخال الشيء : اشتبه ، وهذا الأمر لا يخيل على أحد ، أى لا يشكل . اللسان .

(٢) هذا ما فى م . وفى الأصل : « من ذى قرابة » .

(٣) فى الأصل : « ما بان » ، صوابه من م والتبريزى .

٤ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ

يُبَيِّنُ بهذا أنه تَبَرَّعَ بِمَا فَعَلَ ، وأنه لم يَلْزِمُهُ لزومَ الواجب الذي لا يَسُوغُ الإِخْلَالَ بِهِ ، فيقول : لو شئت لبعدتُ منه بُعدَ الفرقدين من النُّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وهي التي يَحُلُّ فيها النَّيِّرَانِ ، والفرقَدَانِ لِحُلُولِ فِيهِ (١) ، وهذا يَجْرِي مجرى قولِهِمْ : « هُوَ مِنِّي مَنَاطَ الثُّرَيَّا » في أن المراد به التَّبَعِيدُ ، ويجوز أن يريد بَعْدتُ منه بُعدَ الفرقدين ، ثم يَبَيِّنُ أَنَّ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ ، فيكون من النجوم تَبَيَّنَا ، كقوله تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ . ويجوز أن يريد بالنُّجُومِ نباتَ الأرضِ ، لأنَّ كُلَّ مَا طَلَعَ فَقَدْ نَجِمَ ، ويكون المعنى بُعِدَ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ الْأَرْضِ وَمَنَابِتِهَا ، ويكون في هذا المعنى شبه الْغَازِ فيضُف .

٥ - ذَكَرْتُ تَعَلَّةَ الْفِتْيَانِ يَوْمًا وَإِلْهَاقَ الْمَلَامَةِ بِالْمَلِيمِ

يَبَيِّنُ بهذا الكلام أنه اتقى بما فعلَ تَوَجَّهَ الذَّمُّ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ ، فيقول : أَخْطَرْتُ بِبَالِي مَا يَتَعَلَّلُ بِهِ الْفِتْيَانُ فِي مُحَافِلِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ ، وتقبيحهم من أخبارِ النَّاسِ مَا يُسْتَحَقُّ بِفَعْلِهِ أَوْ بِتَرْكِهِ عِنْدَهُمْ ذَمٌّ ، فيُلْحِقُونَ بِهِ اللَّوْمَ ، وبهَجْنُونَهُ فِي أَحْكَامِ الْفُتُوَّةِ . وَمَصْدَرُ قَوْلِهِ « ذَكَرْتُ » الذُّكْرُ بِضَمِّ الذَّالِ لِأَنَّ هَذَا كَانَ بِالْقَلْبِ ، وَالذُّكْرُ بِكَسْرِ الذَّالِ بِاللِّسَانِ . وَالْمَلِيمُ : الَّذِي يَأْتِي بِمَا يُيْلَمُ عَلَيْهِ . قَوْلُهُ « تَعَلَّةً » مَصْدَرُ عَلَّتُهُ ، فَهِيَ كالتَّكْرِمَةِ وَالتَّكْرَمَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَسْمِيَتِهِمُ الْمَعْلَلِ ، وَهُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَجُوزِ ، مِنْ هَذَا ، كَأَنَّهُ يَعْطَلُّ النَّاسُ بِشَيْءٍ مِنْ تَخْفِيفِ الْبَرْدِ .

٤٠

وقال الشداخ بن يعمر الكناني^(١) :

١ - قَاتِلِي الْقَوْمَ يَا خُزَاعُ وَلَا يَدْخُلُكُمْ مِنْ قِتَالِهِمْ فَشَلُّ^(٢)

يُرَوَّى « قَاتِلُوا » و « قَاتِلِي » على اللفظ مرّة وعلى المعنى أخرى ، وجعل النَّهْيَ فِي اللَّفْظِ لِلْفِشَلِّ ، وَالْمُرَادُ لَا تَفْشَلُوا . وَهَذَا بَعَثٌ وَتَحْضِيضٌ ، فَيَقُولُ : حَارِبِي^(٣) أَعْدَاءِكُمْ^(٤) يَا خُزَاعَةَ ، وَلَا يَتَدَاخَلُكُمْ الْجُبْنُ وَالضَّعْفُ مِنْهُمْ . وَخُزَاعَةٌ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ مِنْ خَزَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ إِذَا تَخَلَّفَ ، لِأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ بِمَكَّةَ أَيَّامَ سَيْلِ الْعَرَمِ .

٢ - الْقَوْمُ أَمْثَالُكُمْ لَهُمْ شَعْرٌ فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا^(٥)

يَبَيِّنُ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُمْ نَاسٌ كَمَا أَنَّ خُزَاعَةَ نَاسٌ ، فَيَقُولُ : لَا تَهَابُواهُمْ فَإِنَّ خَلْقَهُمْ كَخَلْقَتِكُمْ ، وَإِنَّهُمْ إِذَا قُتِلُوا لَمْ يَحْيُوا مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَيُرْجَعُونَ إِلَى الْقِتَالِ . هَذَا

(١) الشداخ بن يعمر الكناني ، شاعر جاهلي ، من بني كنانة بن خزيمه . وكان من خبر هذه الأبيات كما روى التبريزي ، أنه كان بين بني كنانة وخزاعة حلف على التناصر والتعاقد على سائر الناس ، فاقتتل خزاعة وبنو أسد فاعتلتها بنو أسد ، فاستعانت خزاعة ببني كنانة ، فذكر الشداخ قرابة بني أسد ، فغذل كنانة عن نصره خذاعة ، وبهذا السبب انحدرت بنو أسد من تهامة إلى نجد غضبا على بني كنانة إذ لم تنصرهم .

(٢) ابن جني : « هذا الشعر من البحر المنسرح ، وإنشاده على هذا الظاهر يكسره ، وذلك أن أول المنسرح لا يجوز فيه فاعلن ، ويروى : فقاتلي ، وإذا روى هكذا كان وزنه مفاعلن ، وهذا جائز فيه ، لأنه خبن مستفعلن » .

(٣) م : « جازي » .

(٤) في الأصل : « أعدائي » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٥) ابن جني : « وضع الرأس موضع الرؤوس كقوله :

* في حلقكم عظم وقد شجينا *

مبالغة في الاستحاث والتجسير . وجعل قوله : « لَهْمُ شَعْرُ فِي الرَّأْسِ » بما بعده ، تفسيراً للمائلة وتبديناً . وجواب إن قُتِلُوا فيما تقدّم عليه .

٣- أَكَلَّمَا حَارَبَتْ خُرَاعَةٌ تَحَ دُونِي كَأَنِّي لِأَمِّهِمْ جَمَلٌ

قوله « كأني لأمهم » في موضع الحال ، أي تحدونني مُشَبَّهًا جَمَلًا لِأَمِّهِمْ . وَكَلَّمَا ظَرَفُ لِقَوْلِهِ تَجِدُونِي . وَكَأَنَّهُ قَالَ : تَحْدُونِي خُرَاعَةٌ كَلَّمَا حَارَبَتْ ، أَي تَسَوَّقُنِي لِنَصْرِهَا وَالدَّفَاعِ عَنْهَا ، كَأَنِّي نَاضِحٌ لِأَمِّهِمْ يُسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ ، فَيُقَالُ لَهُ أَقْبِلْ بِالذَّلْوِ وَأَذْبِرْ . وَذَكَرَ الْأَمَّ تَغْلِيظًا لِلْقَوْلِ وَتَمْحِينًا . وَقَوْلُهُ « أَكَلَّمَا » ، كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى إِنْسَانٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ بَعْتَهُمْ وَجَرَّأَهُمْ عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِمْ ، فَقَالَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ مَا قَالَ .

٤١

وقال الحُصَيْنُ بنُ الحُمَامِ المري (ك) :

١- تَأَخَّرْتُ أُسْتَبِقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

يجوز أن يكون هذا مثل قولهم : « الشُّجَاعُ مُوتَى » . وفي طريقته

قول الآخر :

أَكَانَ الْجَبَانَ يُرَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

(١) الحصين بن الحمام المري ، من مرة غطفان ، وهو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . والحمام ، بضم الهاء ، قبيل إنه عرق الخيل . وهو شاعر جاهلي مقل . قال أبو عبيدة : اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة : المسيب بن علس ، والمتلمس ، وحصين بن الحمام المري . والشعراء ٦٣٠ والاشتقاق ١٧٦ والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ، والمؤتلف ٩١ والأغاني (١٢ : ١١٨ - ١٢٤) والخزانة ، (٢ : ٧ - ٣/٩ : ٣٥٢ - ٣٥٥) .

فَقَدْ تُدْرِكُ الْحَادِثُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطْلَانُ
ومثله قول الآخر (١) :

نُهِنُ النَّفُوسَ وَهُونُ النَّفْوِ سِ يَوْمَ الْكُرِيَةِ أَوْقَى لَهَا
ويجوز أن يقول : أَحَجَمْتُ مُسْتَبْقِيًا لِعَيْشِي ، فلم أجدُ لِنَفْسِي عَيْشًا
كما يكونُ في الإقدام ، وذلك لأنَّ الأحدثوةَ الجميلةَ ، والنُّجْحَ عند الناس في
الْبَغْيِ الحميدة ، إنما يكون بالتقدم لا بالتأخر ، وبالاختار لا بالانحراف ، ومن
ذَكَرَ بالجميل وتحدث عنه بالبلاء الحسن حَيَّيْ ذِكْرُهُ واسمُهُ ، وإنْ ذَهَبَ
أثرُهُ وجِسْمُهُ . وقولُهُ : « حَيَاةٌ مِثْلُ أَنْ تَقْدَمَ » معناه حَيَاةٌ تُشْبِهُ الحَيَاةَ
المكتسبة في التقدم وبالتقدم .

٢- فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّومَنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ (٢)

أراد : لَسْنَا بِدَامِيَةِ الْكُلُومِ عَلَى الْأَعْقَابِ . ولو لم يجعل الإخبار عن أنفسهم
لكان الكلام لَيْسَتْ كُلُّومُنَا بِدَامِيَةِ عَلَى الْأَعْقَابِ . فيقول : نتوجه نحو
الأعداء في الحرب ولا نعرض عنهم ، فإذا جُرِحْنَا كَانَتْ الْجِرَاحَاتُ فِي مُقَدِّمِنَا
لَا مُؤَخَّرِنَا ، وسالت الدماء على أقدامنا لا على أعقابنا . وقولُهُ « تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ »
إِذَا رُوِيَتْ بِالتَّاءِ كَانَ الْمَعْنَى تَقَطَّرُ الْكُلُومُ الدَّمُ ، فيكون الدماء مفعولاً به . ويقال : قَطَرَ
الدَّمُ وَقَطَرْتُهُ ، وهذا وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَإِنْ شَدَّتْ جَعَلَتْ الدَّمُ مَنْصُوبًا عَلَى التَّمْيِيزِ ،
كَأَنَّهُ أَرَادَ تَقَطَّرُ دَمًا ، وَأَدْخَلَ الْأَلِفَ وَاللَّامَ وَلَمْ يَعْتَدِّ بِهِمَا ، كَقَوْلِ الْآخَرِ (٣) :

* وَلَا بِفَزَارَةِ الشُّعْرِ الرَّقَابَا (٤) *

(١) هو الخنساء ، كما سبق في حواشي ص ١٤٠ .

(٢) رواية ابن جني : « الدماء » بكسر الدال على أنه مقصور « الدماء » . وذكر ابن جني في روايته أيضا : « تقطر الدماء » . من قولهم أقطرت الدم ، أي أسلته .

(٣) هو الحارث بن ظالم المري . المفضليات (٢ : ١١٤) .

(٤) صدره : * فا قومي بثعلبة بن سعد *

ويجوز أن يُرَوَى « يَقَطُرُ الدَّمَآ » بالياء ، ويكون الدَّمَآ في موضع الرفع على أنه فاعِلٌ يَقَطُرُ ، لكنَّهُ رَدَّه إلى أصله فأتى به مقصوراً وإن كان الاستعمال يحذف لامه . ومثل هذا البيت قول القطامي :

لَيْسَتْ تُجْرَحُ فُرَّاراً ظُهُورُهُمْ وفي النحورِ كُؤُومٌ ذاتُ أَبْلَادِ
٣ - نَفَلْتُ هَاماً مِنْ أَنْاسٍ أَعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

يقول : نَشَقُّ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا لِأَنَّهُمْ مِنَّا ، وَهُمْ كَانُوا أَسْبَقَ إِلَى الْعُقُوقِ وَأَوْفَرَ ظُلْمًا ، لِأَنَّهُمْ بَدَعُونَا بِالشَّرِّ ، وَالْجُؤُونَا إِلَى الْقِتَالِ ، وَنَحْنُ مُنْتَقِمُونَ وَمُجَازُونَ .

٤٢

وقال رجلٌ من بني عقيل^(١) :

وَحَارَبَهُ بَنُو عِمَّةٍ فَقَتَلَ مِنْهُمْ :

١ - بَكَرُهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نَعَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ

الكَرُّهُ بِالضَّمِّ : الْمَشَقَّةُ ، وَالكَرُّهُ بِالْفَتْحِ الْإِكْرَاهُ . وَسَرَاةُ الْقَوْمِ : خِيَارُهُمْ . فيقول : بِمَشَقَّةِ رُؤْسَانَا وَكَرَاهَتِهِمْ نَبَا كِرْكَمِ بَسِيوْفٍ مُحَدَّدَةِ الْحَدِّ^(٢) مصقولةً ، وَإِنَّمَا قَالَ « بَكَرُهُ سَرَاتِنَا » لِأَنَّ الرُّؤْسَاءِ يَجْبُونَ التَّأَلُّفَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَتَرَكَ التَّدَابُرَ وَالْإِخْتِلَافَ ، إِذْ كَانَ عِزُّ الرَّئِيسِ بِأَصْحَابِهِ ، وَحِشْمَتُهُ فِي نَفْسِ مُنَابَذِيهِ بِقُوَّةِ ذَوِيهِ وَأَقَارِبِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ السَّرَاةَ وَالْمُرَادَ الْجَمِيعُ . وَالْمَعْنَى : عَلَى كُرْهِ مَنَا نَقَاتِلُكُمْ وَلَكِنَّمْ أَجَاءْتُمُونَا إِلَيْهِ . وَجَمَعَ

(١) التبريزي : « عقيل : تصغير عقل أو عقل مصدر عقل ، ويجوز أن يكون تحقير

عقيل تحقير الترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير عقال وتصغير أعقل تصغير الترخيم منهما .

(٢) م والتبريزي : « مرققة الحد » .

صقيلاً وهو فمیل بمعنى مفعول على صقالٍ وذلك على غير بابه، لأن التفسير على
 قِقال يكون في الأصل فَعِيلٌ إذا كان بمعنى فاعِلٍ، نحو ظَرِيفٍ وَظَرَافٍ وَكَرِيمٍ
 وَكَرَامٍ، ومثله قولهم فَصِيلٌ وَفِصَالٌ، وساغ ذلك لاتفاقهما في الزنة والوصفية .
 ورُوي: « بمرهفة الصقال »، وتكون إضافة المرهفة إلى الصقال كإضافة
 البعض إلى الكل، لأن المعنى بالمرهفة^(١) الحد من الصقال، أي من السيوف
 المصقولة^(٢).

٢ - نُعَدِّيهِنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُتَمِّمَةَ النَّصَالِ

قوله « نعديهن » أي نصرهن . ويقال: عدَّ الهمَّ عنك، أي اصرفه .
 والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى نصرِفُ السيوفِ عنكم إبقاءً
 عليكم، وكرهية لاستئصالكم، وإن كانت نصالها قد تفلتت من كثرة
 ما تقارع بها الأعداء . ويجوز أن يكون المعنى: نصرفها وإن تثلت بكم
 وفيكم، لأن القدرة تُذهبُ الحفيظة، ولأن ما يجمعنا يدعو إلى البقيا، والأخذ
 فيكم بالحسنى .

٣ - لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصَّقَالِ

قوله « من الهامات » أي من دماء الهامات ومن التأثير فيها . يقول: لهذه
 السيوف لونٌ متغيّرٌ قبيحٌ، لكثرة ما يُسْفِكُ بها الدماء، وإن كانت يحدّدُ
 صقلها كلَّ يومٍ . والمحادثة: إعادة الماء إلى السيفِ بالصقل . وقد قال الحسن
 رحمه الله فيما حكى عنه من مواعظه: « حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة
 الدثور، وأقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعةٌ » . وقوله « كابٍ » من قولهم كبا

• المحادثة: جلاء
 السيف .

• القدع: الكف

و المنع .

• الطلعة: الكثرة
 التطلع إلى الشيء،
 أي أنها سيرة أهل
 إلى هواها تشبهه متى
 تهلك صامراً .

(١) والتبريزي: « بالمرقمة » .

(٢) وذكر ابن جني أن الصقال هنا أيضا مصدر صقلت، وتأويله: بمرهفة عند
 الصقال، كما أن قوله « بضة المتجرد » معناه بضة عند المتجرد .

وَجْهَهُ ، إِذَا أَرَبَدَّ [وَاسْوَدَّ] . وَكَبَا نُورُ [الصُّبْحِ وَ^(١)] الشَّمْسِ ، إِذَا نَقَصَ وَأَظْلَمَ . وَجَوَابُ إِنْ كَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلْمُرْهَفَةِ .

٤- وَنَبِيِّ حِينَ نَقَتْلُكُمْ عَلَيْنُكُمْ وَنَقَتْلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وَصَفَ حُسْنَ صَبْرِهِمْ ، عَلَى مَا يَتَّفِقُ مِنْ نَائِبَةٍ ، وَيَتَجَدَّدُ مِنْ عَارِضِ حَادِثَةٍ ، فَيَقُولُ : نَبِيِّ قَتْلَاكُمْ إِذَا قَتَلْنَاكُمْ لِمَا يَجْمَعُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الرَّحِمِ الْمَأْسَةِ ، وَالْقَرَابَةِ الدَّانِيَةِ ، وَنَقَتْلُكُمْ إِذَا أَحْوَجْتُمُونَا إِلَى قَتْلِكُمْ ، كَأَنَّا لَا نُبَالِي بِمَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى الْجَزَعِ لَهُ . وَقَوْلُهُ « نُبَالِي » نُفَاعِلٌ مِنَ الْبَلَاءِ . فَإِذَا قَالَ لَا أُبَالِيهِ كَأَنَّهُ أَرَادَ : لَا أَحْتَفِلُ بِهِ فَأَعَادَهُ بِلَائِي وَبِلَاءِهِ وَأَفَاخِرِهِ . هَذَا أَصْلُهُ ، وَقَدْ مَضَى . وَحِكْيَ سَيْبِيهِ : مَا أُبَالِيهِ بِالَّةِ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْبَالَةَ كَالْحَانَةِ ، وَأَنَّهُ حَذَفَ يَأْوُهُ حَذْفَ تَخْفِيفٍ لَا حَذْفَ قِيَاسٍ .

٤٣

وقال القتال الكلابي^(٢) :

١- نَشَدْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ يَبْنَا وَذَكَرْتُهُ أَرْحَامَ سِعْرِ وَهَيْمِ

يقال : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ ، وَنَشَدْتُكَ اللَّهُ ، أَي سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ .

(١) هذه من م .

(٢) القتال لقب غلب عليه ، واسمه عبد الله بن المحيب بن المضر جي بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهو شاعر إسلامي . وكان من حديث هذا الشعر كما روى التبريزي وأبو الفرج أن القتال كان يتحدث إلى ابنة عم له ولها أخ غائب ، فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته ونهاه ، وحلف له لئن رآه ثانية ليقتلنه . فلما كان بعد ذلك رآه عندها ، فأخذ له السيف ، ورآه القتال فخرج هاربا وخرج في أثره ، فلما دنا منه فاشده القتال بالله والرحم ، فلم يلتفت إليه ، فبينما هو يسمي وقد كاد يلحقه وجد رمحا مركزا عند بيت ، فأخذه القتال ثم عطف عليه فقتله . وانظر ترجمته في الأغاني (٢٠ : ١٥٨ - ١٦٦) والمؤتلف ١٦٧ والخزانة ٣ : ٦٦٧ - ٦٦٨ والشعر والشعراء ٦٨٦ - ٦٨٧ .

يقول : أفسمتُ على زيادٍ بالله وأهلُ المجلس بيننا حاضرُونَ ، ولِمَا يأتِيه كُلُّ
مِنَّا مُشَاهِدُونَ^(١) ، وذَكَرْتَهُ ما يجمعني وإِيَّاهُ من الرِّحِمِ من جهة هذين
الرجلين ، وإِنَّمَا ذَكَرَهُ بهذا على زُعْمِهِ طَلَبًا لِلصُّلْحِ ، أو استظهاراً بِإِقَامَةِ الحُجُجِ
عليه ، وإلقاء مغاليق البغي إليه .

٢ - فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرَ مُنْتَهٍ أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَدْنٍ مُقَوِّمٍ

يقول : لما وجدته لا ينتهي بالقول ، ولا يرعوي بالزجر ، حدثت له
كفِّي برُمحٍ لَيْنٍ منقَفٍ فَطَعْنَتْهُ . وقوله « أَمَلْتُ لَهُ » ، أي من أجله « كَفِّي
بِلَدْنٍ » ، من فصيح الكلام ، وبلغ الكنايات .

٣ - وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ^(٢)

يقول : لما بان لي إتيانُ تلك الطعنة عليه ندمتُ في وقتٍ لم تنفع الندامة
فيه ، لفوت الأمرِ في الإبقاء . وهذا في إظهار التحسُّرِ به كقول الآخر^(٣) :

* وَدِدْتُ وَأَيْنَ مَا مَنِّي وَدَادِي^(٤) *

وانتصب أَيَّ سَاعَةٍ على الظرف ، لأنَّ أَيًّا لما كان للبعض من الكلِّ
جُعِلَ حُكْمُهُ حُكْمَ المُضَافِ إليه من جميع الأجناس .

(١) م : « شاهدون » .

(٢) هذا ما في م والتبريزي . وفي نسخة الأصل : « فلما رأيت » .

(٣) هو عمرو بن معديكرب . اللالكى ٦٣ .

(٤) صدره : * تمناني ليلقاني قيس *

٤٤

قيس بن زهير العبسي (١)

١ - شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسَيِّئِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي

كان حَمَلُ بْنُ بَدْرِ قَتَلَ مَالِكَ بْنَ زُهَيْرِ أَخَا قَيْسٍ ، فَظَفِرَ بِهِ وَبِأَخِيهِ حُدَيْفَةَ فَقَتَلَهُمَا . يَقُولُ : اشْتَفَيْتُ بِقَتْلِ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ . ثُمَّ قَالَ : وَشَفَانِي سَيِّئِي أَيْضًا مِنْ أَخِيهِ حُدَيْفَةَ ، لِأَنَّهُ أَتَى عَلَيْهِ لَمَّا أَعْمَلْتُهُ فِيهِ . وَهَذَا مِمَّا جَرَى بَيْنَ عَبْسٍ وَفَزَارَةَ بِسَبَبِ دَاحِسٍ وَالْغُبَرَاءِ .

٣ - فَإِنْ أَكُّ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيْلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

يَقُولُ : إِنْ سَكَنْتُ لَوْعَتِي بِمَجَازَاتِهِمْ ، وَبَرَدَتْ غُلَّتِي ، فَإِنِّي لَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا أَطْرَافَ أَصَابِعِي . وَذَلِكَ أَنْ عَزِيَّ كَانَ بِهِمْ ، وَكَانُوا كَالْكَفِّ ، فَلَمَّا مَاتُوا وَأَعْوَزَنِي التَّبَجُّحُ بِمَكَانِهِمْ (٢) ، وَالِاسْتِعْلَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ بِهِمْ ، صِرْتُ كَمَنْ قَطَعَتْ أُنَامِلُهُ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : « بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الْكَفَّ » .

٤٥

وقال الحارث بن وعلّة الذهلي (٣) :

الوَعْلَةُ : الصخرة المشرفة من أعلى الجبل .

(١) قيس بن زهير : شاعر جاهلي ، كان سيد عبس ، وكانت له ضلع كبيرة في حرب داحس ، وهو صاحب داحس . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) والأغاني (٧ : ١٦/١٤٣) : (٢٣) والعقد وكامل ابن الأثير وغيرهما ، في حرب داحس والغبراء .

(٢) التبجح : الافتخار .

(٣) شاعر جاهلي ، ذكر نسبه في الأغاني (٢٠ : ١٣٢) والمؤتلف ١٩٧ قال « الحارث بن وعلّة بن المجالد بن يثري بن الديان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة » . وهو غير الحارث بن وعلّة الجرمي . انظر المفصليات (١ : ١٦٢ - ١٦٣) .

١ - قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

يقول: قومي، يا أميمة، هم الذين فجعوني بأخي ووتروني فيه، فإذا رمت الانتصار منهم عاد ذلك بالنكابة في نفسي، لأن عز الرجل بعشيرته، وهذا الكلام تحزن وتفجع وليس بإخبار.

٢ - فَلَيْتَ عَفْوَتُ لَأَعْفُونَ جَلًّا وَلَيْتَ سَطَوْتُ لَأَوْهِنَ عَظْمِي

عفا عن المذنب والذنب عفوا، إذا صفع. وحذف حرف الجر فوصل لأعفون بنفسه. والكلام تحسر وتوجع. يقول: إن تركت مؤاخذتهم، وأطراحت طلب الانتقام منهم، صفحت عن أمر عظيم، وإن سطوت عليهم أضعفت عظمي، وهددت ركني. والجلل يزعم أهل اللغة أنه من الأضداد، يقع على الصغير والكبير، وها هنا يراد به الكبير. وكذلك في قوله:

* وَمِنَ الْأَرْزَاءِ رُزِي ذُو جَلَلٍ * (١)

والسطو: الأخذ بعنف. وفي كل واحد من المصراعين يمين مضمرة، جوابها في الأول لأعفون، وفي الثاني لأوهن. واللام من لئن في الموضعين موطنة للقسم.

٣ - لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِالشِّمِّ وَالرَّغْمِ

حوّل الكلام عن الإخبار توجعاً على عاداتهم إلى الخطاب، متوعداً. يقول: لا تسكن إلى ناحية قوم اهتصمتهم وبدأتهم بسبهم وأطراحتهم، وإسقاطهم وتذليلهم. وظلمتهم مع ما بعده من صفة القوم. والرغم مصدر رغمت فلاناً إذا قلت له رغماً أو فعلت به ما يرغم به أنفه ويذله. والرغام: التراب،

• أرغم الله أنفه: أي
الزقه بالرغام، وهو
التراب. هذا هو

الأصل، ثم استعمل في

الذل والعجز عند الانتصاف

و الانقياد عن سره .

(١) للبيد في ديوانه ص ١٧ . وصدده :

* وأرى أربد قد فارقتي *

وحكى الخليل : أرغمته : حملته على ما لا يقدر على الامتناع منه .

٤ - أَنْ يَأْبُرُوا نَخْلًا لِنَعِيرِهِمْ وَالْقَوْلُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِي

موضع قوله « أن يأبروا » نصبٌ على البدل من قومًا في البيت الذي قبله ، كأنه قال : لا تأمن أبر قومٍ ظلمتهم وأوحشتهم نخلاً لنعيرهم . ويقال : أبرت النخل وأبرته ، إذا ألقته . وجعل هذا الكلام وعيدًا في مفارقة القوم الذين وصفهم إياهم ، وتقويتهم لأعدائهم بعد الانتقال إليهم ، وإصلاحهم الفاسد من فخرهم وأمرهم نصرته لهم ، وجعل قوله « أن يأبروا » كناية عن هذا المعنى ، كما قال طرفة :

وَلِيَّ الْأَصْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْأَبْرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ

وقد قيل : أراد : لا تأمن قومًا أسأت في معاملتهم أن يتركوا أرضهم وديارهم ويلحقوا بالأعداء فيأبروا نخيلهم ويتصرفوا في مهنتهم ، ليكونوا معهم عليكم . والأول أحسن وأغرب . وقوله « والقول تحقيره وقد ينمي » يجوز أن يكون ضربه مثلاً في التهاون بما لا يجوز التهاون فيه ، ويجوز أن يشير بالقول إلى ما يقوله في شعره هذا ، ويريد أنه سيزداد بانضمام الفعل إليه .

٥ - وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِنَدِي الْحِلْمِ

زعم زُعماً وزُعماً ومزُعماً ، وأكثر ما يستعمل فيه ما كان باطلاً أو فيه ارتياب . ولذلك يقال : تزعم ، أي تكذب ؛ وزعم في غير مزعم ، أي طمع في غير مطمع . و « أن لا حلوم » أن فيه مخففة من الثقيلة . أراد : زعمتم أنه لا حلوم لنا . والهاء ضميرٌ للأمر والحديث ، و « لا حلوم » في موضع الخبر . أراد : وزعمتم أن الأمر والشأن لا عقول لنا ، فإن كان الأمر على ما زعمتم فنبهونا أتم ، فإن عامر بن الظرب حكّم العرب كان يُقرعُ له العصا فينبّه ، لما

كان يَزِيغُ في الحُكْمِ لِكَبْرَتِهِ وَسِنِّهِ . وهذا الكلام تهكُّمٌ وسخريةٌ . ومثله قولك لمن أنكَرَ عليك ما لا يُشكُّ في صلاحه وصحَّته : إن كان ذلك فاسداً فصحَّحه أنت . وهذا ظاهرٌ . وذو الحِلم الذي قُرِعَ له العصا مختلفٌ فيه ، فتدَّعيه اليمينُ وتقول : هو عمرو بن حَمَمَةَ الدَّوسِيِّ ، روى ذلك الشَّعْبِيُّ عن ابن عباس رضي الله عنه . وتدَّعيه مُضَرٌّ ، فتقول : هو عامرُ بن الظَّرِبِ العَدَوَانِيُّ ، وإياه عَنَى ذُو الإصْبَعِ في قوله :

وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضِي وَلَا يُنْقِضُ مَا يَقْضِي

وتدَّعيه ربيعة فتقول : هو قيس بن خالد الشَّيبَانِي ، وهو جدُّ بَسْطَامِ بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد .

٦ - وَوَطِئْنَا وَطْئًا عَلَى حَنْقٍ وَطْءٌ الْمُقَيْدِ نَابِتِ الْهَرَمِ

يقول : أثرت فينا تأثير الحنق الغضبان ، كما يؤثر البعير المقيد إذا وطئ هذه الشجيرة . وخصَّ المقيدَ لأنَّ وطْأته أثقل ، كما خصَّ الحنقَ لأنَّ إبقاءه أَقْلٌ . والهرمُ : ضربٌ من الحمض ، يُقالُ جملٌ هارِمٌ ، وإبلٌ هوارِمٌ إذا رعت الهرم . وانتصب وطاءً المقيدَ على البدل ، أي وطاءً يُشبه هذا الوطاءً . ومما حكي عن العرب : « أعودُ بالله من طِئَّةِ الذليل » ، أي من أن يطأني ، لأنَّ وطْأته أشدُّ ، لسوء مَلَكَته ، كما قال الآخر (١) :

• الحَمْضُ : كل شئ حامض أو مالٍ يقوم على ساق ولا أصل له . وهو للماشية كالفاكهة للإنسان .

* وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ *

وعلى هذا قيل : ضَرَبْتَهُ ضَرْبَةَ الْجَبَانِ ، وضبطته ضبطة الأعمى .

٧ - وَتَرَكْتَنَا لِحْمًا عَلَى وَضْمٍ لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ

• الوَضْمُ : كل ما يوضع عليه اللحم مناخسب أو حصير أو نحو ذلك ، يُوقَى به من الأرض .

(١) هو امرؤ القيس . ديوانه ١٧٧ . والبيت بتمامه :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي الْإِنْقِيَادِ وَالذَّلِّ . وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ : « النَّسَاءُ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ إِلَّا مَا ذُبَّ عَنْهُ » . يَقُولُ : تَرَكْتَنَا لِادِّفَاعِ بِنَا ، كَاللَّحْمِ عَلَى خِيَانِ الْجَزَارِ يَتَنَاوَلُهُ مَنْ شَاءَ ، لَوْ كُنْتَ تَتْرَكُ مِنَّا بَقِيَّةً ، وَتَطْلُبُ عَلَيْنَا بَقِيَّةً . وَالْمَعْنَى أَنَّكَ تَرُومُ اسْتِثْصَالَنَا ، فَلَسْتَ تَرْضَى بِالْإِذْلَالِ . وَجَوَابُ لَوْ فِيمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ .

• الخوان : المائدة ،
منضدة يوضع عليها
الطعام ويجلس حولها
الآكلون .

٤٦

وقال أعرابي

قَتَلَ أَخُوهُ ابْنًا لَهُ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ لِيَقْتَادَ مِنْهُ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ وَهُوَ يَقُولُ :

١ - أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَّةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ

التَّأْسَاءُ : تَفْعَالٌ مِنَ الْإِسْوَةِ . وَيُقَالُ إِسْوَةٌ وَأُسْوَةٌ ، فَيُضْمُّ أَوَّلَهُ وَيُكْسَرُ ، وَانْتِصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . أَيِ أَقُولُ مَتَأْسِيًا بَغَيْرِي ، وَمَسْلِيًا لِنَفْسِي : جَنَى عَلَيَّ أَخِي الَّذِي حَمَلَهُ مِنِّي مَحَلُّ إِحْدَى يَدَيَّ ، سَهْوًا لِإِرَادَةِ لَمْسَاءِ تِي وَخَطَأً لَا عَمْدًا . وَقَوْلُهُ « إِحْدَى يَدَيَّ » فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ وَ « أَصَابَتْنِي » خَبْرُهُ ، وَقَوْلُهُ « وَلَمْ تُرِدِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لِقَوْلِهِ أَقُولُ .

٢ - كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ فَقَدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

يقول : كلُّ واحدٍ مِنَ الْأَخِ الْوَاتِرِ وَالابْنِ الْمَفْقُودِ يَصْلُحُ لِأَنَّ يُرَضَى بِهِ عِوَضًا مِنْ فِقْدَانِ الْآخَرِ ، فَإِنْ اقْتَدَتْ مِنَ الْأَخِ مِنتَصَفًا لِلابْنِ فَقَدْتُهُمَا جَمِيعًا ، فَاسْتَبْقَائِي أَخِي هُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ وَأَعْوَدُ (١) .

(١) أعود . أي أكثر عائدة ؛ والعائدة : الفائدة .

٤٧

وقال إياس بن قبيصة الطائي (١) :

١ - ما ولدتني حاصنٌ ربيعةٌ^٢ لئن أنا مألأتُ الهوى لا تباعها

امرأة حاصنٌ وحصانٌ ، أي ممتنعة^(٢) عن الرفث ، عفيفة . ومصدره الحصانة والحصن ، وربيعيةٌ : منسوبةٌ إلى ربيعة : وهذا الكلام خبرٌ يجري مجرى اليمين ، واللام من « لئن » يؤذن بأن الكلام قسمٌ ، فيقول : لست ابن امرأة من بني ربيعة كريمة عفيفة إن كنت شايغتُ الهوى وتابعتُهُ في طلبِ امرأة . والمعنى : لست لِرشدَةٍ إن فعلتُ ذلك . ومألأتُ ، مأخوذٌ من قولهم : هو مليٌّ بكذا ، وقد ملؤُ يملؤُ ملاءةً . وجواب الشرط فيما تقدم .

٢ - ألم تر أن الأرضَ رَحْبٌ فسيحةٌ فهل تُعجزني ببقعةٍ من بقاعها

قال الخليل : البقعة : قطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها ، واستشهد الشاعر لنفسه في إنكار ما انتفى من فعله بقوله : ألم تر أن الأرض ، لأن ألم تر وإن كان لفظه لفظ الاستفهام ، كلمةٌ يوافقُ بها المخاطبُ في تحقيق الأمور ، وتثبيت الخطوب ، وربما صحبها معنى التعجب . فيقول : إنك تعلم أن الأرض واسعةٌ عريضةٌ ، وأن بقاعها لا تنبؤ بي ، ولو نبت لم تُعجزني ، فكما أنني في هذا بهذه الصفة ، فكذلك أنا في الأوّل . ومذهب هذا الكلام

(١) كان إياس هذا عاملاً لكسرى على عين التمر وما والاها إلى الحيرة ، وقد جعله كسرى على رأس العرب في يوم ذي قار ، الذي كان بين بكر بن وائل ، وبين الفرس وأحلافهم من تغلب وطيب وضية وتميم وبهراء وتنوخ ، وقد هزمت الفرس وأحلافها ، وقال في ذلك رسول الله : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبني نصرُوا » ، وفي أثناء عماله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . الأغاني (٢٠ : ١٣٤ ، ١٣٨) والتنبية بالإشراف ١٥٨ ، ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) م : « ممتنعة » .

مذهب قول القائل عند تحقيق أمر وتصويره للمخاطب : إن هذا حق كما أني حاضر، وكما أنك تسمع وتُجيب .

٣ - ومَبْثُوثَةٌ بَثَّ الدَّبَا مُسْبَطَرَةٌ رَدَدْتُ عَلَى بَطَائِهَا مِنْ سِرَاعِهَا

• بَثَّ الشَّيْءُ وَأَبَثَهُ :
فَرَّقَهُ وَسَثَرَهُ .

• الدَّبَا : الجراد قبل
أن يطير ، أو أصفر
ما يكون من الجراد .
والمُسْبَطَرُ : الممتد .

يقول : رُبَّ خَيْلٍ مَتَفَرِّقَةٍ مَمْتَدَّةٍ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ امْتِدَادَ فِرَاحِ الدَّبَا وَتَفَرُّقِهَا - والمعنى أنهم يُمُوجُونَ فِي انْتِشَارِهِمْ ، كَمَا أَنَّ الْجِرَادَ إِذَا انْبَثَّتْ مَاجَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ - أَنَا رَدَدْتُ أَوْلَهَا عَلَى آخِرِهَا ، وَحَبَسْتُ مُتَقَدِّمَاتِهَا عَلَى مُتَأَخِّرَاتِهَا ، حَتَّى لَحِقَتْ الْأَعْمَازُ بِالصُّدُورِ ، وَاخْتَلَطَتِ اللَّوَاهِقُ بِالسَّوَابِقِ . وَيُقَالُ : هُمْ يَتَهَافَتُونَ تَهَافَتَ الْفَرَاشِ ، وَيَتَمَوجُونَ تَمَوجَ الْجِرَادِ .

٤ - وَأَقْدَمْتُ وَالخَطِيئُ يَخْطِرُ بَيْنَنَا لِأَعْلَمَ مَنْ جَبَانُهَا مِنْ شُجَاعِهَا

• الخَطِيئُ : الرمح

المنسوب إلى الخط ،
وهو موضع ببلاد
البحرين تنسب إليه
الرمح الخطية لأنها
تباع به .

• وَصَطَّ الرَّمْحُ يَصْطِرُ :

اهتز ، وخط العبر

بدينه : رفعه وخطه .

قوله « وَالخَطِيئُ » واوه واو الحال . واللام من « لِأَعْلَمَ » لام العلة . يقول : تَرَكْتُ الْإِحْجَامَ ، وَآثَرْتُ الْإِقْدَامَ ، وَرَمَاحُ الْخَطِّ تَخْتَلِفُ بِالطَّعْنِ ، وَتَحْكُمُ لِلشُّجَاعَةِ عَلَى الْجُبْنِ ، لِأَتَبَيَّنَ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَالْمُتَقَدِّمَ مِنَ الْمُتَخَلِّفِ . والمعنى فعلت ذلك لِيَبَيِّنَ فَضْلِي عَلَى غَيْرِي .

٤٨

وقال رجل من بني تميم (١)

وطلَبَ مِنْهُ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ فَرَسًا يُقَالُ لَهُ (٢) سَكَابٌ فَمَنْعَهُ إِيَاهَا :

١ - أَيْبَتَ اللَّعْنُ إِنَّ سَكَابَ عِلْقُ نَفِيسٍ لَا تَعَارُ وَلَا تَبَاعُ (٣)

قوله « عِلْقُ نَفِيسٍ » أَي مَالٌ يُبْخَلُ بِهِ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : هُوَ عِلْقُ مَضِنَّةٍ .

• العلق : النفيس

من كل شيء يعلق به

القلب .

• النفيس : العظيم

القيمة .

(١) هو عبدة بن ربعة بن قحطان بن ناشرة بن سيار بن رزام بن مازن ، كما في كتاب الخيل لابن الأعرابي ٦٢ حيث أنشد الأبيات . وفي همدان فرس يقال له سكاب ، مقارسه الأجدع بن مالك . الخيل لابن الأعرابي ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) كذا في النسختين والتبريزي ، ذكر اللفظ ، وأنت بعد ذلك للمعنى .

(٣) رواية ابن الأعرابي : « ليست بعلق يستعار ولا يباع » .

ويقال : عَالَقْتُهُ بِعِلْقِي وَعَلِقِهِ ، إِذَا خَاطَرْتَهُ بِكَرَاهِمِ الْمَالِ . يَقُولُ : مُنِعْتَ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ اللَّعْنُ ، إِنْ فَرَسِي سَكَابٍ مَتَاعُ نَفِيسٍ ، وَعَلِقٌ كَرِيمٌ ، لَا يُعْرَضُ لِلْبَيْعِ ، وَلَا يُبَدَّلُ لِلْإِعَارَةِ . وَ « سَكَابٍ » إِذَا أَعْرَبْتَهُ مِنْعَتَهُ الصَّرْفِ ، لِأَنَّهُ عَلَمٌ ، فَلْحُصُولِ التَّعْرِيفِ فِيهِ وَالتَّأْنِيثِ مَعَ كَثْرَةِ الْحُرُوفِ يُنَمَّعُ الصَّرْفِ . وَالشَّاعِرُ تَمِيمِيُّ ، وَهَذَا لُغَةٌ قَوْمِهِ . وَإِذَا بَنَيْتَهُ عَلَى الْكَسْرِ أَجْرِيتهُ مَجْرَى حَدَامٍ ، لِأَنَّهُ مُؤَنَّثٌ مَعْدُولٌ مَعْرُوفٌ ، فَلَمَشَابَهَتِهِ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ دَرَاكٌ وَنَزَالٌ يُبْنَى ؛ وَهَذِهِ اللَّغَةُ حِجَازِيَّةٌ . وَاشْتِقَاقُ سَكَابٍ مِنْ سَكَبْتُ إِذَا صَبَبْتُ . وَيُقَالُ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ : هُوَ بَحْرٌ وَسَكَبٌ . وَقَوْلُهُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، تَحِيَّةٌ كَانَ يُسْتَعْتَفُ بِهِ الْمَلُوكُ . وَأَصْلُ اللَّعْنِ : الطَّرْدُ . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ (١) :

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ

يَعْنِي إِلَّا أَنْ يُقَالَ لِي : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، لِأَنَّهُ تَحِيَّةُ الْمَلُوكِ . وَكَأَنَّهُ قَالَ : نِلْتُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْمَلْكَ .

٢ - مَفْدَاةٌ مُكْرَمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تَجَاعُ

يَقُولُ : لِعَزَّتْهَا عَلَى أَرْبَابِهَا تُفَدِّي بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وَتُؤَثِّرُ تَكْرِيماً لَهَا عَلَى الْعِيَالِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالْإِقْتَارِ ، فَيَجُوعُ الْعِيَالُ وَلَا تَجُوعُ هَذِهِ .

الإضافة : بمعنى
النازلة والشدة .

٣ - مَلِيلَةٌ سَابِقِينَ تَنَاجَلَاهَا إِذَا نُسِبَا يَضْمُهُمَا الْكِرَاعُ (٢)

يَقُولُ : هِيَ وَوَلَدُ فَرَسَيْنِ سَابِقِينَ ، إِذَا نُسِبَا ضَمَّ مَنَاسِبَهُمَا وَمَنَاصِبَهُمَا الْكِرَاعُ ، وَهُوَ فَحْلٌ كَرِيمٌ مَعْرُوفٌ . وَسَلِيلَةٌ الْحِقُّ الْمَاءِ بِهَا وَإِنْ كَانَ فَعِيلاً

(١) هو زهير بن جناب الكلبي ، كما سبق في حواشي صفحة ١٠٠ .

(٢) ابن الأعرابي : « يضمهما إذا نسبا » .

في معنى مفعول ، لأنه جُعِلَ اسْمًا ، كما تقول هي قتيلة بني فلان . ومعنى سُلَّ :
نَزَعَ . ويقال : نَجَلَا وَلَدَهُمَا وتناجلاه ، بمعنى واحد ، قال :

* إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ مَا نَجَلَا^(١) *

وأصل الكُرَاع في اللغة : أَنْفٌ يَتَقَدَّمُ مِنَ الْجَبَلِ ، فَسُمِّيَ هَذَا الْفَجْلُ بِهِ
لِعَظَمِهِ . وأما الكُرَاع الاسم الجامع للخيل ، فهو غَيْرُ ذَا .

٤ - فَلَ تَطْمَعُ أَيَّتَ اللَّعْنِ فِيهَا وَمَنْعُكَهَا بِوَجْهِهِ يُسْتَطَاعُ

يقول : ارفعْ طَمَعَكَ في تحصيل هذه الفرس ، أَيَّتَ أَنْ تَأْتِيَ مَا تَسْتَحِقُّ
به اللَّعْنِ ، وَدَفَعُكَ عَنْهَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ مَا وَبِحِيلَةٍ مَا . والمعنى : إني لا أسفكُ
بها اسْتَبَعْتَهَا أو اسْتَوْهَبْتَهَا ، ما وجدتُ إلى الرَّدِّ طريقًا ، فلا تطمع فيه مادامت
لي هذه الحالة . وقوله « وَمَنْعُكَهَا » أي مَنْعُكَ عَنْهَا . ويقال مَنْعُكَ كَذَا ،
وَمَنْعُكَ عَنْ كَذَا ، وَأَمَّا الْمَنْعَةُ الْعِزُّ^(٢) فهو مصدرٌ كالحركة والجلبة مِنْ مَنْعٍ
مَنْعَةً وَمَنْعًا ، فهو مَنْعٌ .

٤٩

وقالت امرأة من طي^(٣) :

١ - دَعَا دَعْوَةً يَوْمَ الشَّرَى يَأْمَالِكِ وَمَنْ لَا يُجِبُّ عِنْدَ الْحَفِيزَةِ يُكَلِّمُ

يقول : استغاثَ هذا الرَّجُلُ في يومِ اجْتِمَاعِنَا بِالشَّرَى - وهو مكانٌ معروفٌ
اتفقت فيه وقعةٌ فنُسبَ يومُها إليه - استغاثَةً وقال : يَا مَالِكِ ؛ وَمَنْ لَا يُجِبُّ

(١) للأعشى في ديوانه ١٥٧ . وصدوره :

* أنجب أيام والداه به *

(٢) م : « العزة » . والمنعة تقال بفتح النون وإسكانها .

(٣) هي بنت بهدل بن قرفة البطائي ، أحد اصوص العرب زمان عبد الملك بن مروان .

كما سيأتي في التفسير .

إذا استصرخ ، ولم يُفْتِ إِذَا اسْتَنْصَرَ ، يُهْتَضَمُ وَيُجْرَحُ . وقوله « يا لَمَالِكِ » اللام فيه للإضافة ، وإنما فُتِحَ لِأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مَا هُوَ وَقَعٌ مَوْجِعُ الْمَضْر ، فكما يُفْتَحُ لَامُ الْإِضَافَةِ مَعَ الْمَضْر كَذَلِكَ فَتَحَ مَعَ الْمُنَادَى لَوْقُوهُ مَوْجِعُهُ . فإن قيل : فما المدعو؟ قلت : : مالك ، كأنه قال : دُعَايَ لِمَالِكِ . والحفيظة : الخصلة التي يُحْفَظُ الْإِنْسَانُ عِنْدَهَا ، أَي يُفَضَّبُ . وكذلك الحفظة . قال :

* وَحِفْظَةٌ أَكَنَّهَا ضَمِيرِي (١) *

وقوله « يُكَلِّمُ » كناية عن الغلبة أو القتل .

٣ - فِإِضْيَعَةَ الْفَتِيَانِ إِذْ يَعْتَلُونَهُ بِيَطْنِ الشَّرَى مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُسَدِّمِ

الفنيق : الفحل المُنْفَق لا يُرَكَّبُ لِكِرَامَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ . وَالْمُسَدِّمُ : الفحل الهاجج المنوع . ويقال : عَتَلَهُ يَعْتَلُهُ وَيَعْتَلُهُ جَمِيعًا ، إِذَا قَادَهُ بَعْنَفٍ . ومعنى « يَا ضَيْعَةَ الْفَتِيَانِ » وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ النَّدَاءِ ، مَعْنَى الْخَبَرِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : ضَاعَ الْفَتِيَانُ جَدًّا . فيقول على وجه التعجب والاختصاص : مَا أَضْيَعَ الْفَتِيَانُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَفِي تِلْكَ الْحَالَةِ . كَأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يُنْصَرَفِي تِلْكَ الْحَالَةَ وَلَمْ يَحْضُرْهُ فَتَى يُعِينُهُ كَانَ الْفَتِيَانُ ضَائِعِينَ ، إِذْ كَانُوا يُعْنَفُونَ فِي قَوْدِمِ إِيَّاهُ ، وَهُوَ كَأَنَّهُ فحل مشدود الفم خَوْفًا مِنْ صِيَالِهِ ، فَلَا يُنَاكِرُ بِنَفْسِهِ (٢) ، وَلَا يَدَافِعُ أَحَدَ دُونَهُ . وذكر بعضهم أن هذا المقتول هو بهذل بن قرفة ، أحد بني نبهان ، وأخذ بسبب دم ابن جعدة الخزومي (٣) فقتل بالمدينة صبرًا . وما اقتصت في الأبيات يدل على خلافه (٤) .

• المُنْفَقُ : الْمُنْعَمُ فِي عَيْشِهِ .

• صَلَّه صَبْرًا : سَبَّه وَرَمَاهُ صِتَامَاتٍ .

(١) للعجاج في ديوانه ٢٦ واللسان (حفظ) .

(٢) المناكرة : المحاربة والقتال .

(٣) هو عون بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب الخزومي ، كما ذكر التبريزي .

(٤) قال التبريزي : « بل الذي اقتصت في الأبيات يدل على صحته » . ثم نقل نصا طويلا

من كتاب أخبار الصوص للسكري .

٣- أَمَا فِي بَنِي حِصْنٍ مِنْ ابْنِ كَرِيهَةَ مِنْ الْقَوْمِ طَلَّابِ التَّرَاتِ غَشَمَشَمٍ .
 هذا الكلام بَعَثٌ وَتَحْضِيضٌ لِأَبْنَاءِ حِصْنٍ . وَالغَشَمَشَمُ : الَّذِي يَرْكَبُ
 رَأْسَهُ وَلَا يَهَابُ الْإِقْدَامَ عَلَى شَيْءٍ . وَالْكَلَامُ لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى
 التَّمَنِّيِّ ، كَأَنَّهُ يَبْعَثُ وَيُحْضِضُ مَنْ يَطْلُبُ دَمَهُ إِذَا فَاتَ نَصْرَتَهُ حَيًّا . فَيَقُولُ :
 أَمَا فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ابْنُ حَرْبٍ مُتَنَاهٍ فِي طَلْبِ الدَّمِ وَإِدْرَاكِ الثَّارِ ، ظُلُومٌ غَشُومٌ ،
 يَرْكَبُ الْكِرَائَةَ وَالْأُمُورَ الصَّعْبَةَ ، غَيْرَ مُرْعَوٍ وَلَا مُنْقَبِضٍ .

٤- فَيَقْتُلُ جَبْرًا بَامْرِيٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَكَايِلَ بِالْدَّمِ (١)

جَبْرٌ هُوَ الْقَاتِلُ لِوَلِيِّ هَذِهِ الْمَرْأَةِ . وَيُقَالُ : بَاءَ فُلَانٍ بِفُلَانٍ يَبُوءُ بِوَاءٍ ، إِذَا
 ارْتَضِيَ لِقَتْلِهِ بَدَلًا مِنْهُ . وَأَبَاتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ ، أَي قَتَلْتُهُ . وَانْتَصَبَ « يَقْتُلَ »
 عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ التَّمَنِّيِّ بِالْفَاءِ ، وَالْعَامِلُ فِي الْفِعْلِ أَنْ مَضْمَرُهُ ، أَي أَمَا فِيهِمْ رَجُلٌ
 هَكَذَا فَيَقْتُلُ هَذَا الرَّجُلَ بِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرًا ، فَيَكُونُ فِي دَمِهِ وَفَاءً بِدَمِهِ ،
 وَلَكِنْ سَقَطَتِ الْمَكَايِلَةُ فِي الدَّمَاءِ مِنْذُ جَاءَ الْإِسْلَامُ ، فَلَا يُقْتَلُ بِدَلِّ الْوَاحِدِ
 إِلَّا وَاحِدًا ، شَرِيفًا كَانَ أَوْ وَضِيعًا .

٥٠

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي فِقْعَسٍ (٢) :

١- رَأَيْتُ مُوَالِيَّ الْأَوْلَى يَخْدُلُونِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ

الموَالِي هَاهُنَا : أَبْنَاءُ الْعَمِّ . وَالْأَوْلَى فِي مَعْنَى الَّذِينَ ، وَيَخْدُلُونِي مِنْ صِلَتِهِ .
 يَقُولُ : رَأَيْتُ أَبْنَاءَ عَمِّي هُمُ الَّذِينَ يَقْعُدُونَ عَنْ نَصْرَتِي عَلَى تَقَلُّبِ الزَّمَانِ ،
 وَتَصَرُّفِ الْحَدَثَانِ . وَقَوْلُهُ « عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَي

(١) فِي الْأَصْلِ : « حَبْر » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ فِي الْمَتْنِ وَالشَّرْحِ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م وَالتَّبْرِيْزِيِّ .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « قِيلَ هُوَ مَرَّةُ بَنِ عِدَاءِ الْفِقْعَسِيِّ » .

يخذلونني مُقَاسِيًا لما يحدث في الدهر أو ان تقلبه وتغيره .

٢ - فَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إِذَا الْخُصْمُ أَبْزَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ (١)

قوله : « تفاقدوا » دعاء ، وقد اعترض بين أوّل الكلام وآخره ، ولكنه أكد ما يقتضيه فَصَحَ لذلك . يقول : هَلَّا جَعَلُونِي عُدَّةً لِرَجُلٍ مِثْلِي ، فقد بعضهم بعضاً وقد جاءهم الْخُصْمُ متأخراً الْعَجْزُ مائل الرأس منحرفاً . وهذا تصويرٌ لحال المُقاتِلِ إذا انتصب في وجه مقصوده ، وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه ، ومثله قول الآخر (٢) :

• المذق : اللبن الممزوج بالماء ، * جاءوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُّ *
وهو يشبه لون الذئب لما فيه

من كدره وغبرة ، وقد أوماً
الراجز إلى تشبيه لون « إِذَا الْخُصْمُ » هو حكاية الحال المتوهمة ، وهو الرواية المختارة . وقد روي :
اللبن الممزوج ماءً بلون « إِذَا الْخُصْمُ » والجُمْلَةُ التي تبين بها إذا هذه يجب أن يكون فيها فعلٌ ،
الذئب . وهذا البيت شاهد
وقد عرّيت منه ها هنا ، وأظن أن الأخصس جَوَزَ مثله . والمعنى : لِمَ أَفَاتُونِي
لوقوع جملة « هل رأيت
الذئب قط » الاستفهامية
أنفسهم ، وهلا ادّخروني ليوم الحاجة إذا كان الخصم هكذا . وأراد بِالْخُصْمِ
الجنس . وقال الأصمعيّ : الْبَزَى : تأخر العجز . وقال غيره : هو إشرافُ
وسط الظهر على الأست . والبيت يشهد للأصمعيّ . والنَّكْبُ : شبه الميل في
المشي ومنه الأنكب من الإبل ، وهو الذي يمشي في شقّ .
جاءوا بِمَذْقٍ يَقُولُ مَنْ
رآه : هل رأيت الذئب
قط .

٣ - وَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَفِي الْأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبٌ

الكلام في « تفاقدوا » وأنه دعاء واعتراض ، على ما مرّ . وإِنَّمَا كَرَّرَ

(١) إذا ، كذا ورد رسمها في النسختين بالألف مع كسر الذا ، وذلك لتقرأ بالروايتين ،
إذ وإذا . قال ابن جني : « فن رواه إذ حكى الحال المتوقعة كقول الله سبحانه : إذ الأغلال
في أعناقهم . ومن رواه إذا فهو كقوله آتيك إذا زيد قائم . وهذا جائز على رأي أبي الحسن ،
وذلك أنه يميز الابتداء بعد إذا الزمانية المشروط بها » .
(٢) قيل هو العجاج . الخزانة (١ : ٢٧٧) .

ما كرره على وجه التأكيد ، وتفظيماً للأمر . والمعنى : هَلَّا جعلوني عُدَّةً لرجلٍ مثلي في البأس ، فقدَّ بعضهم بعضاً . وقد انتشرَ في الأرض أعداء كثيرة ، وأنواعٌ من الشر فظيعة . والشُّجاع : الحَيَّة . وَكُنِيَ بالعُقْرَبِ وبه عَنِ الأعدَاءِ والشرِّ . وارتفاعُ شُجاعٍ ، يجوز أن يكون على البدل ، ويجوز أن يكون على الابتداء ومبثوثٌ خَبْرٌ له قُدِّم عليه ، ويجوز أن ينصب مبثوث على الحال ، ويُعمل في الأرض الخَبْرُ (١) . ولم يُثنَّ مبثوث لأنَّ القصد بالشُّجاع والعقرب إلى خيل الأعداء والشرِّ ، فكأنهما شيء واحد .

٤ - فَلَا تَأْخُذُوا عِقْلًا مِنَ الْقَوْمِ إِنِّي أَرَى الْعَارَ يَبْقَى وَالْمَعَاوِلُ تَذْهَبُ

لك أن ترفعَ المعاولَ على الاستئناف ، ولك أن تحمله على ما قبله فتعطفه على العار . يقول : لا ترغبوا في قبول الدية فإنه عارٌ ، والعار يبقى أثره ، والأموال تفتى . والمعاولُ : جمع المَعْقَلَةِ . والمُعْقَلَةُ والعَقْلُ : الدية ، وأصله الإبل كانت تُعَقَّلُ ببناء وَلِيٍّ المقتول ، وهو مصدرٌ وُصِفَ به . وحكى الأصمعيُّ : صار دمه مَعْقَلَةً على قومه ، أي صاروا يدونه .

٥ - كَأَنَّكَ لَمْ تُسَبِّقْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتِ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ

يقول : مَنْ أدرك ما طلبه من النَّارِ فكأنه لم يُصَبِّ ولم يُوتَرَ . وهذا بعثٌ وتخصيض على طلب الدَّمِ والزُّهْدِ في الدية . وفي طريقته قول الآخر (٢) .

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرِ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكُ صُغْلوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا (٣)

لكنَّ هذا بعثٌ على طلب المال .

(١) ابن جني : « فن نصب فإنه وصف نكرة قدم عليها فنصب على الحال منها ، كقولك : * لمية موحشاً طلل قديم * »

(٢) هو جابر بن ثعلبة الطائي ، كما في الكامل ٢٩٩ لبيسك . وفي الحماسية ٩٥ أنه

جابر بن الثعلب .

(٣) التبريزي : « ولم يك في بؤس إذا ما تمولا » .

• عَقَلَ البعير : صَمَّ
رَسَعَ يده إلى عَصَدِهِ
وَرَبَطَها معاً لِيَبْقَى
بَارِكًا .

٥١

وقال آخر :

١- فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً لَسَقْنَا لَكُمْ سَيْلًا مِنَ الْمَالِ مُفْعَمًا

انتصب فدية على الحال من المال ، والمراد به الإبل لا غير ، ونكر قوله « حياً » وهو يقصد به قصد حي بعينه ، لأن المراد كان مفهوماً عند من عرف القصة ، فجعله كالتعريض . وقوله « سَيْلًا مُفْعَمًا » والسَّيْلُ يُفْعَمُ به الشيء ، يجوز أن يكون من باب هم ناصبٌ وما أشبهه ، ويكون المعنى سَيْلًا ذا إقعام ، ولكن أكثر ما يجيء معنى النسبة فيما كان للفاعل ، كطالقي ومرضع . ومثله قولهم نخلة موقر . ويجوز وهو الأجود أن يكون عبر عن الكثرة بقوله مُفْعَمٌ كما عبر في قولهم شعرٌ شاعرٌ وموتٌ مائتٌ عن التناهي بلفظ فاعل ، وإن كان الموت لا يموت ، والشعر لا يشعر ، كما أن السَّيْلَ لا يُفْعَمُ . وقد قيل امرأة فعمّة المُخْلَخِلِ ، أي غليظة كثيرة اللحم عليه . والمعنى : لو كانت معاملتنا مع حي يرمى قبول المال فداء لأرضيناه بالمال الكثير .

• نخلة موقر: كثيرة
كحل ، أجمع مواقر .

٢- وَلَكِنْ أَبِي قَوْمٌ أُصِيبَ أَخُوهُمْ رَضِيَ الْعَارِ وَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّمَ

يقول : ولكن امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرضا بالدنية ، وآثروا طلبَ الدم على قبول الدية . وجعل اللبن كنايةً عن الإبل تؤدى عقلاً ، [لأنه ^(١)] منها ، وكما نكر حياً في البيت الأول نكر أيضاً في الثاني قوله « أَبِي قَوْمٌ » ، والغرضُ بهما على حدٍ واحد ، ولا يجوز أن يكون « يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً » صفةً لقوله حياً ، لأنه يبقى أن بلا خبر . فأما قوله « أُصِيبَ أَخُوهُمْ »

فهو صِفَةٌ لقوله قَوْمٌ . وقوله « رَضِيَ العارِ » العارُ في موضع المفعول ، أي أبوا ، أن يَرْضُوا العار خُطَّةً لأنفسهم .

٥٢

وقالت كبشةُ أخت عمرو بن معد يكرب (١) :

١ - أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دَمِي

الشعر لكبشة أخت عبد الله (٢) . والكلام بَعَثُ وَتَهَيَّجُ . وَإِنَّمَا تَكَلَّمْتُ

به على أنه إخبارٌ عما فعله عبد الله وأقامه من الوصاة عند الوفاة ، فتقول : راسل عبد الله بن معد يكرب لما دنا أجله قومه وذويه ، بأن لا تَعْقِلُوا دَمِي . وغرض كبشة تحضيضهم على إدراك الثأر ، وترك التباطؤ والتكاسل فيه ، وإن كانت آمنة من ميلهم إلى قبول الدية ، فغلظت القول لتهتاج حميتهم . ويقال عَقَلْتُ فُلَانًا ، إذا أعطيت ديتَهُ . وجعل هذا المفعول الدَّم لأن المراد مفهوم ، كأنه قال : لا تأخذوا بدلَ دَمِي عَقْلًا . ويقال عَقَلْتُ عَنْ فُلَانٍ ، إذا غَرِمْتُ عَنْهُ دِيَةَ جَنَابَتِهِ أَوْ أَرَشَهَا .

٢ - وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأُتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظْلِمٍ

الإِفَالُ : جَمْعٌ وَوَاحِدُهُ أَفِيلٌ ، وَهِيَ صِغَارُ الْإِبِلِ ، وَالْأَبْكَرُ : جَمْعُ الْبَكْرِ ،

وَهُوَ الْفَتِيُّ مِنْهَا . يَقُولُ : لَا تَأْخُذُوا مِنْ قَتَلَتِي صِغَارَ الْإِبِلِ وَبِكَارَتِهَا ، فَتَرَكُونِي

فِي قَبْرِ مُظْلِمٍ بِصَعْدَةٍ ؛ وَهُوَ مَكَانٌ بِالْيَمَنِ . وَإِنَّمَا جَعَلَ قَبْرَهُ هَكَذَا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا

يَزْعَمُونَ أَنَّ الْمَقْتُولَ إِذَا ثَارُوا بِهِ أَضَاءَ قَبْرَهُ ، فَإِنْ أُهْدِرَ دَمُهُ أَوْ قُبِلَتْ دِيَتُهُ بَقِيَ

(١) سبقت ترجمة أخيها عمرو في الحماسية ٢٩ . التبريزي : « كبشة اسم مرتجل علماء ،

وليس بتأنيث كبش ، لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، إنما هي نعجة » .

(٢) عبد الله أخو كبشة وأخو عمرو بن معد يكرب .

قبره مظلمًا . فإن قيل : لم ذكر الإفال والأبكر وما يؤدى في الديات لا يكون .
منهما ؟ قلت : أراد تحقير الديات ، وهذا كما يقول الرجل إذا أراد تحقير أمر
خلة فاز بها إنسان : إنما أعطى خرقًا وفلوسًا ! وإن كانت الثياب المغطاة
كسوة فاخرة ، والمال الموفر جائزة سنية . وانتصب « وأترك » بإضمار أن
وهو جواب النهي بالواو .

٣- ودع عنك عمرًا إن عمرًا مسلمٌ وهل بطن عمرو غير شبر لمطمٍ

عمرو هو أخوها ، وكان يُعدُّ بألف فارس ، ولم يكن ممن يُسلم ولا سياً
في طلب دم أخيه . وإنما رمته بهذا الكلام لتهييج منه وتبعته على التعجل
في درك النار ، والتسرع في الانتقام . وقوله : « وهل بطن عمرو غير شبر
لمطم » تزهيد في الدية ، وهذا كما روي في الخبر : « وهل بطن ابن آدم إلا
شبر في شبر » لما أريد تزهيدُهُ في الدنيا وحطامها . أي ما يصنعُ بالمال وجوفهُ
يمتلئ باليسير . وعمرو لم يكن ممن يميل إلى الدية ، كما لم يكن يميل إلى المسألة ،
ولكن المراد ما ذكرناه من التحضيض والحث .

٤- فإن أنتم لم تثاروا واتدبتم فمشوا بأذان النعام المصلم

المصلم : قطع الأذن من أصلها ، ومنه الصيلم : الداهية المستأصلة . واتدبتم ،
معناه قببتم الدية . يقال : ودبته فاددى ، كما يقال وهبته فاتهب ، أي قبل
الهبة . وفي الحديث : « هممت ألا أتهب إلا من قرشي أو أنصاري »
ومثله قضيتُهُ الدين فاقترضاه ، أي قبله وتوفره . وقوله : « فمشوا » أي امشوا .
وضمَّ الفعل للتكثير . ومن روى « فمشوا » بضم الميم فعناه امسحوا ؛ ويقال
لمندبل الغمر : المشوش . والمعنى : إن لم تقتلوا قاتلي وقببتم ديتي فامشوا أذلاء
بأذان مجدعة كآذان النعام . ووصف النعام بالمصلم تصويراً لها ، وإن كانت

خِلْقَةً جَمِيعًا ذَلِكَ . وَمِنْ أَحَادِيثِهِمْ عَنِ الْبِهَائِمِ : « ذَهَبَتِ النَّعَامَةُ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَجُدَّتْ آذَانُهَا ^(١) » . وَمِنْ رَوَى « فَمُشُوا » فَالْمَعْنَى امْسَحُوا بِآذَانِكُمْ مَجْدَعَةً مُثَلَّةً بِكُمْ كَأَذَانِ النَّعَامِ .

٥- وَلَا تَرِدُوا إِلَّا فُضُولَ نَسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلْتُمْ أَعْقَابَهُنَّ مِنَ الدَّمِّ

تَرَمَلٍ وَارْتَمَلٍ إِذَا تَلَطَّخَ بِالْدَمِّ . قَالَ :

* إِنَّ نَبِيَّ رَمَلُونِي بِالْدَمِّ ^(٢) *

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ دَعَاءً عَلَيْهِمْ ^(٣) ، أَيْ أَحَلَّكُمْ اللَّهُ مَحَلَّ مِنْ ذَا صِفَتِهِ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ « فَمُشُوا » مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَيْضًا ^(٤) . وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ نَهْيًا ، وَفَشَّوْا أَسْرَأَ . وَالْمَعْنَى : إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَتَأَخَّرُوا فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا وَالْمَنَاجِعِ ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَوَارِدِ ، وَأَلْبَسُوا الذُّلَّ رَاضِينَ بِهِ ، فَإِنَّ مَا لَأَمْرِكُمْ ^(٥) مَعَ تَضْيِيعِكُمْ دَمَ صَاحِبِكُمْ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ . وَكَانَ عَادَتُهُمْ إِذَا وَرَدُوا الْمِيَاهَ أَنْ يَتَقَدَّمَ الرَّجُلُ ثُمَّ الْعَضَارِيطُ وَالرُّعَاةُ ، ثُمَّ النِّسَاءُ ، إِذَا صَدَرَتْ كُلُّ فَرِيقَةٍ عَنْهُ ، فَكُنَّ يَغْسِلُنَّ أَنْفُسَهُنَّ وَثِيَابَهُنَّ وَيَتَطَهَّرْنَ آمِنَاتٍ مِمَّا يَزِعُجُنَّ غَيْرَ مُسْتَعْجَلَاتٍ ، فَمَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تَصُدَّرَ النِّسَاءُ فَهُوَ الْغَايَةُ فِي الذُّلِّ . وَجَعَلَ النِّسَاءُ مُرْتَمِلَاتٍ بِدَمِ الْحَيْضِ تَفْظِيحًا لِلشَّانِ ، وَتَدْنِيصًا لِلْمَاءِ . وَالْأَعْقَابُ وَاحِدًا عَقِبٌ ، وَهُوَ مُؤَخَّرُ الرَّجُلِ . يُقَالُ : وَلى عَلَى عَقْبِيهِ ، إِذَا انْصَرَفَ رَاجِعًا عَنِ مَطْلُوبِهِ .

(١) انظر الحيوان (٤ : ٣٢٣ ، ٣٩٨) .

(٢) لأبي أحزم الطائي ، كما في اللسان (رمل) .

(٣) في الأصل : « عليه » وفي م : « عليكم » ، والوجه ما أثبتنا .

(٤) أي يكون على معنى الدعاء .

(٥) كذا في م . وفي الأصل : « فإن ما لكم » .

٣٣

وقال عنتره بن الأخرس المعني من طي^(١) :

١- أَطْلَحَ حَمَلَ الشَّاءِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِيتَ فَاَنْظُرْ مِنْ تَضِيرِ^(٢)

يقال : شَنِتُّهُ شَنَاةً وَشَنْتًا^(٣) وَشَفَانًا^(٤) وَمَشْنَاءً ، إِذَا كَانَ بُغْضًا مُخْتَلَطًا بِعَدَاوَةٍ وَسُوءِ خُلُقٍ ، كَمَا أَنَّ الشَّنْفَ اسْمٌ لِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ . يَقُولُ : أَدِمَّ احْتِمَالَ الضَّغَائِنِ وَالْبُغْضِ لِي ، وَعِشْ مَدَّةَ مَشِيَّتِكَ فَتَأْمَلْ مِنْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ . وَيُقَالُ ضَارَهُ يَضِيرُهُ ، وَضَرَّهُ يَضُرُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَانْتَصَبَ مَوْضِعَ مَا شِيتَ عَلَى أَنَّهُ ظَرَفٌ . وَ« مَنْ » مَفْعُولُ تَضِيرٍ ، لِأَنَّهُ اسْتِفْهَامٌ فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ مَا قَبْلَهُ . أَيِ انْظُرْ تَضِيرَ مَنْ .

٢- فَمَا بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صَدُودِكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ^(٥)

بَيَّنَّ وَجْهَ اسْتِهَانَتِهِ بِهِ ، وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِبَغْضَائِهِ وَعَدَاوَتِهِ . فَيَقُولُ : لَا نَفْعَ عِنْدَكَ أَعْلَقَ رَجَائِي بِهِ ، وَغَيْرُ إِعْرَاضِكَ هُوَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ ، فَمَا إِعْرَاضُكَ فَأَهْوَنُ بِهِ وَأَحْقَرُ بِكُونِهِ . وَأَرْتَجِيهِ ، فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلنَّفْعِ ، أَيِ نَفْعٍ مُرْتَجَى .

٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرَكَ سَارَ عَنِّي وَشِعْرِي حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ^(٦)

(١) ويعرف أيضاً بعنتره بن عكبيرة، وعكبيرة اسم أمه . قال الأمدى في المؤلف ١٥٢ : « شاعر محسن وفارس » . والعنتره : واحدة العنتر ، وهو الذباب الأزرق ، فهو اسم منقول كما في المبهج لابن جنى . والمعني : نسبة إلى معن بن عتود .
(٢) رواية الأمدى : « حبل الشناء » بالباء . قال التبريزي : « الرواية الجيدة : حمل الشناء بالميم . ويروى : حبل الشناء ، بالباء ، وهو استعارة حسنة أيضاً ، جعل للشناء حبلاً » .
(٣) هذه مثلثة الشين .
(٤) الشنآن بسكون النون وفتحها .
(٥) وكذا رواية الأمدى . وفي م والتبريزي : « نفع أرتجيه » .
(٦) شعرك ، أى شعري المقول فيك ؛ وشعري ، أى شعرك المقول في . والأوفق . رواية الأمدى والتبريزي : « إن شعري سار عني وشعرك » .

هذا تقريره له في بيان فضله عليه ، وسلامة عرضه من قرّفه إياه . يقول :
 ألم تعلم أن شعرك الذي قلته فيّ لم يعلق بي ذمّه ، لأنّه كان كذباً وزوراً ، وشعري
 الذي قلته فيك يطوف حول دارك وبيتك ولا يفارقك ، لأنّه كان صدقاً .
 ويجوز أن يكون المعنى : ألم تر أن شعري الذي قلته فيك سار عني ، لأن الرواة
 احتملوه استجادةً له واستلذاذاً ، وشعرك الذي قلته فيّ ملازمٌ لك لزهد الناس
 فيه لمتا كان سفسافاً . وساغ الوجهان جميعاً لأن المصدر يُضَافُ إلى المفعول كما
 يُضَافُ إلى الفاعل ، فعلى ذلك جاز أن يقول شعرك ويريد شعري المقول
 فيك . وروى بعضهم :

ألم تر أن شعري سار عني وشعرك حول بيتك ما يسيرُ

وهذا الراوي^(١) صرح بالتفسير الثاني .

٤ - إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

في طريقته قول أوس :

إِذَا بَشَرْتَنِي إِلَى الطَّرْفِ عَنْ عُرْضٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَغْضَتِي عُورُ

يقول : إذا رميتني ببصرك لم يمكنك ملؤه مني بغضاً وعداوة ، حتى

تعرض عني فعل الناظر إلى الشمس ، فكأن الشمس تدور من جهتي . فأما
 قول الآخر :

* نَظْرُهُ يَرْكُ مَوَاطِيءَ الأَقْدَامِ *

فهو صفة نظر المهيب المعظم . وفي نظر الناظرين على اختلافهم ما يستدلُّ به

على أحوالهم ، وسندكر ما يجيء عنه مُبَيَّنًا من بعد .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « وهذه الرواية » .

(٢) صواب روايته : « نظراً » . وصدر البيت كما في البيان (١ : ١١) .

* يتقارضون إذا التقوا في موقف *

٥٤

وقال الأحوص بن محمد (١) :

١ - إني على ما قد علمت محسداً أنمي على البغضاء والشنان

علمت بمعنى عرفت ، ولهذا اكتفى بمفعول واحد . ومعنى البيت . إني مرموق محسود على ما قد عرفت من أحوالي ، زائد كل يوم على بغضاء الناس وشنانهم لي ، ويكون قوله « على ما قد علمت » ، وقوله « على البغضاء » جميعاً في موضع الحال . والعامل في الأول قوله محسداً ، وفي الثاني أنمي . ويجوز أن يكون على ما قد علمت من صلة محسداً ، كما تقول حسدته على كذا . وقال بعض الناس : الشنان : بغض يختلط به عداوة وسوء خلق ، فلماذا جاز الجمع بينه وبين البغضاء . وقال غيره : بل هما بمعنى واحد ، واللفظان إذا اختلفا على اتفاق معناه جاز الجمع بينهما تأكيداً . واحتج بقوله :

* وهند أتى من دونها النأي والبعد (٢) *

قال : ولا خلاف بين أهل اللغة أنه لا فصل بينهما .

٢ - ما تعتريني من خطوب مئمة إلا تشرّفني وتظم شاني
أضاف الخطوب إلى مئمة لأنه أراد بها أوائل أمر عظيم ، وجوانب شرّ

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م . وعند التبريزي : وقال الأحوص ابن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الألقح الأنصاري « . والأحوص : لقب له ، ومعناه الضيق . العين ، واسمه عبد الله . وهو شاعر إسلامي أموي ، من شعراء المدينة ، وقد نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة لهم وجهت إليه . الشعر والشعراء ٤٩٩ : وابن سلام ١٣٧ - ١٤٠ والأغاني (٤ : ٤٠ - ٥٨) والخزانة (١ : ٢٣١ - ٢٣٤) .

(٢) للحطيئة في ديوانه ١٩ . وصدده :

* ألا حبذا هند وأرض بها هند *

فظيع . وأصل الخطب الطلب ، يقال خَطَبْتُ كذا فأخَطَبْتَنِي ، كما تقول طلبته فأطلبْتَنِي ، فكأنه أراد أوائل مُلِمَّةٍ وأسباباً لها تطلبُهُ . ويقال : هذا خَطْبُ أمرٍ عظيم ، وهذا خطبُ أمرٍ يسير . فيقول : ما يَطْرُقُ ساحتي أسبابُ نازلةٍ شديدةٍ إلا عَظَمْتُ شأني ، ورفعتُ قَدْرِي ، لأنه يُعْرِفُ بلائي فيها ، وحسنُ مَحَلَّصِي منها ، فازددتُ في عيون الناس وقلوبهم .

٣ - فإذا تزولُ تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ تُخَشِي بَوَادِرُهُ لَدَى الْأَقْرَانِ (١)

المتخَمِّطُ : المتغَضِّبُ لَهُ سَوْرَةٌ وَالتَّهَابُ ، واستعير في آذِي البحر وأمواجه إذا التَجَّتْ . قال :

* خَمِطِ التَّيَّارِ يَرِي بِالْقَلْعِ (٢) *
القلع : جمع قلعة ، وهي الصخرة العظيمة ، والمراد هنا الأمواج .

يقول : إذا انكشفت تلك الخطوبُ والممات انكشفت عن رَجُلٍ متكبرٍ يُخَافُ فلتاتُهُ وَبَدْرَاتُهُ عند نُظْرَائِهِ في البأس والشدة . والمعنى : إنَّ الدَّوَاهِي إذا نزلت بساحتي لا تلين لها عريكتي ، ولا تُحَصِّلُ عَلَيَّ تَذَلُّلاً لم يكن من قَبْلُ لي . وقوله : « تُخَشِي بَوَادِرُهُ » في موضع الصفة للمتخَمِّطِ . ولم يَرْضَ حَتَّى يَجْعَلَ البَوَادِرَ مُخَشِيَةً عند أشباهه ، فكلت الصفة ، وتمكنت القافية .

٤ - إني إذا خفي الرجالُ وجدتني كالشمس لا تخفى بكل مكان

إني إذا خفي مواقعهم من قلوب الرؤساء ، ومواضعهم من صدور المجالس فانا بخلافهم . يصف اشتهاؤه في الأماكن وجلالته في النفوس ، فيقول : إذا غَشِيَ الرَّجَالَ خُمُولُ الْفَيْتِنِي في شهرتي ونباهتي كالشمس التي يتصل شعاعها بكل مكان ، ويُعْرِفُ شأنها في كل نفس وكل زمان .

(١) ابن جني في التنبية : « على الأقران » .

(٢) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في المفضليات (١ : ٢٠٠) . وصدوره :

* ذو عُبَابٍ زَبِيدٍ آذِيَهُ *
العباب : تكايف الموج واضطرابه
الآذي والتيار واحد ، وهما
الموج .

٥٥

قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب (١) :

١ - مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا

المَهْلُ والمَهْلُ والمُهْلَةُ تتقارب في أداء معنى الرِّقِّ والسكون . ويقال :
لَا مَهْلَ لَكَ ، وَمَالِكَ مِنْ مَهْلٍ . قال :

يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لِأُقْسِمُ مَا بِي عَنْ بُشَيْنَةَ مِنْ مَهْلٍ (٢)

يقول : رِقًّا يَا بَنِي عَمَّنَا ، رِقًّا مَوَالِينَا . وهذا التكرار يريد به التأكيد .
ويجوز أن يكون هذا الكلام تهكمًا ، ويجوز أن يكون رآهم ابتدوا في أمرٍ
لم يأمن معه من تفاقم الشأن ، واستفحال الخطب ، ما لا يقدر على تلافيه ،
فاسترفقهم لذلك . وقوله : « لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا » أي لَا تُثِيرُوا مَا كَانَ مُسْتَوْرًا
مِنَ الشَّرِّ . وَذِكْرُ الدَّفْنِ وَالتَّبَشُّ اسْتِعَارَةٌ فِي الإِظْهَارِ وَالتَّكْمَانِ .

٣ - لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَنَاوُنَا نَكْرِمَكُمُ وَأَنْ نَكْفِيَ الأَذَى عَنْكُمْ وَتُوذُونَا

يقال : طَمِعَ فُلَانٌ فِي كَذَا طَمَعًا وَطَمَاعِيَّةً وَمَطْمَعًا . وَأَوْصَلَ الفِعْلَ بِنَفْسِهِ
مِنْ دُونَ فِي ، لِأَنَّ أَنْ الخفيفة والشديدة إِذَا اتَّصَلَتْ بِهَا حُرُوفُ الجِرِّ حَسُنَ حَذْفُهَا
لِطَوْلِ الكَلَامِ بِهَا . تَقُولُ : أَنَا رَاغِبٌ فِي أَنْ أَلْقَاكَ ، وَطَامِعٌ فِي أَنْ يُحْسِنَ
زَيْدٌ إِلَيْكَ ، وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أَصِلَكَ . وَلَوْ قُلْتَ : أَنَا رَاغِبٌ أَنْ أَلْقَاكَ ،

(١) هو المسمى بالأخضر الهببي ؛ لقوله :

وَأَنَا الأَخْضَرُ مِنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ العَرَبِ

وهو شاعر خبيث متمكن . معاصر للأحوص والفرزدق ، وكان يميل إلى الوليد بن
عبد الملك منقطعاً إليه ، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه . الأغاني (١٥ : ٢ - ٩)
والمؤتلف ٣٥ والمرزباني ٣٠٩ واللكلي ٧٠٠ - ٧٠١ .

(٢) الشعر ينطق بنسبة قائله ، وهو جميل .

وطامِعٌ في أن يُحسِنَ زيدٌ إليك ، وحريصٌ على أن أصِلَكَ ، ولو قلت : أنا راغب أن ألقاك ، وطامِعٌ أن يحسِنَ زيدٌ إليك ، وحريصٌ أن أصِلَكَ لجاز . ولو جَعَلْتَ مكانَ أن المصدرَ فقلتَ : أنا راغِبٌ في لقائك ، وطامِعٌ في إحسانِ زيدٍ إليك ، وحريصٌ على صِلَتِكَ ، لم يَجُزْ حذفَ حرفِ الجرِّ . لا تقول : أنا راغب لقاءك ، وطامِعٌ إحسانهُ إليك ، وحريصٌ صِلَتِكَ ؛ لأن ما كان يطول الكلام به لم يَحْصُلْ . يقول : لا تُقدِّروا أنكم إذا أهتمونا قابلناكم ، بالإكرام ، وأنكم إذا أذيتونا كففنا عن أذاكم ، لأنَّ عزتنا تمنعُ من ذلك .

٣ — مَهْلًا بِنِي عَمَّنَا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا سِيرُوا رُؤَيْدًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَ

هذا الكلام فيه تهكم فيقول رفقا يا بني عمنا عن ثلبننا ، والوقوع فينا ، وسيروا على هينة^(١) ووقار ، وسكينة وانخفاض ، على عادتكم المتقدمة ، وسنتكم المعهودة ، ودعوا ما استأنفتموه من الأخلاق المنكرة ، والسير الذميمة . والأثلة : شجرة تُجْعَلُ مَثَلًا لِلْعَرِضِ ، فيقال : فلانُ يَنْحَتُ أَثْلَةَ فلان ، إذا ذمَّهُ وتَنَقَّصَهُ . وقوله « سيروا رؤيدا » أراد سيرُ واسيرا تروِدُونَ فيه ، أي تَرُقُّونَ فيه وتَسْكُنُونَ . « كما كنتم تسيرونا » أي ارجعوا إلى مثل سيرتكم الأولى ، وإلى طريقتكم المثلى ، واركوا ما ابتدعتموه ، فإننا لا نَحْتَلُهُ ولا نُصَابِرُكُمْ عليه . وروى بعضهم بدلا من المضراع الثاني :

* مَهْلًا بِنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا *

ويحمل التكرار فيه على أنه تَوَعَّدُ وتَأْكِيدُ .

٤ — اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا لَا نَحْبُكُمُ وَلَا نَلُومُكُمْ إِلَّا تَحِبُّونَا

استشهد بربه في انتفاء الحب عن قلوبهم ، وذكر أنهم لا يلومونهم إذا

(١) م : « هية » .

لم يحببهم . كأن المعنى أن القلوب مجبولة على حبِّ المحسنِ وبُغضِ المسيء ،
فإذا ارتفع التعامل بالإحسان مما بينهم ، وحدث التجاذب بالإساءة فيهم ،
فالتحابُّ لا محالة ساقطٌ ، والتباغضُ حاصلٌ .

٥ - كلُّ لَهْ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَقْلِيكُكُمْ وَتَقْلُونَا

يقول : كلُّ واحدٍ منا ومنكم من قبلُ وإلى الآن له نيةٌ صادقة لصاحبه
في العداوة والبغضاء ، وعقيدةٌ خالصة في القطيعة والجفاء ، فيحمد الله ومَنَّهُ
وجزيلٍ مِنِّهِ قد استمرَّ أمرُّنا على أننا نبغضكم وتبغضوننا . وقوله « بنعمة
الله » هو كما جاء في القرآن : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ . وقوله
« تَقْلِيكُكُمْ وَتَقْلُونَا » إشارةٌ إلى الحال . وحذَفَ المفعول من الثاني لأنَّ في
الكلام ما يدلُّ عليه . ويجوز أن يكون أراد وتقلوننا فحذَفَ الثانية عن
الإعراب ، وهي لغة حجازية . ومثله :

* قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي (١) *

يريد تحذرين ، وعلى هذا قولُ الآخر :

* إِلَىٰ مِنْ بِالْحَنِينِ تُشَوِّقِيَنِي *

وهذا يؤيدُ مذهب سيبويه في تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب
عند الضرورة .

(١) نسب في حياة الحيوان للدميري إلى طرفة بن العبد . وقبله :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري

ونفري ما شئت أن تنفري

٥٦

وقال الطرمّاحُ بن حَكِيمِ الطائِي ^{يُريد} :

١ - لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِيٍّ غَيْرِ طَائِلِ

قوله «أنني بغيض» في موضع الفاعل، والمعنى: زادني بغاظتي إلى كل رجلٍ لا فَضْلَ فيه ولا خَيْرَ عنده، حُبًّا لنفسِي، لأنَّ التمايز بيني وبينه والتباين، هو الذي أداه إلى بُغْضِي، ولو كان بيننا تشاكلٌ وتقاربٌ لما نَبَأَ عَنِّي ولا أَبْغَضَنِي. وهذا الكلام تعريضٌ بمنابدٍ له. وقوله «غير طائل» هو من طال عليهم يطول طَوُّلاً. والطَوُّلُ: الفضل. وقال الخليل: يقال للشَّيءِ الدُّونِ الخسيس: هذا غير طائل، والمذكَرُ والمؤنَّثُ فيه سواء. ويقال: زِدْتُ فُضْلاً كما يقال ازددتُ فضلاً وزادني كذا.

٢ - وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

قوله «وأنني شقيٌّ» أصله أنِّي، لكنّه حذَفَ النون الأولى من أنَّ تخفيفاً لأنّه اجتمع ثلاث نونات. وهو محمول في الإعراب على أنِّي في البيت الأول ومعطوف عليه، فيقول: وزادني حُبًّا لنفسِي أيضاً شِقْوَتِي بِاللَّثَامِ حَتَّى تَنْقُصُونِي واغتابوني، ثم قطع الإخبار وكأنّه أقبل على مُحَاطَبِ مَلْتَفَتَا إِلَيْهِ فَقَالَ: وَلَا تَرَى أَحَدًا يَشْقَى بِهِمْ إِلَّا وَهُوَ كَرِيمُ الطَّبَائِعِ، مَجَانِبٌ لَهُمْ بَعْرُضُهُ وَأَصْلُهُ، وَخُلُقُهُ وَفِعْلُهُ.

(١) هو الطرمّاح بن حكيم بن نضر بن قيس بن جحدر، شاعر خطيب، وكان يعد في المعلمين، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم، ومنشؤه بالشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك، وكان صديقاً للكثير على ما كان بينهما من تباعد في النسب والبلاد، وكان يمدح خاله ابن عبد الله القسري. الأغاني (١٠: ١٤٨ - ١٥٣) والمؤتلف ١٤٨، والعيني (٢): ٢٧٦ - ٢٧٨) والشعر والشعراء ٥٦٦.

ويقال شَقِيْتُ شِقْوَةً [وشَقَاوَةً] ^(١) وشَقَاءً. والشَّمَالُ : الطَّبَاعُ ، واحدها شِمَالٌ. قال :

* أَلُومٌ وَمَا لَوْجِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا *

ثم يقال : هو حَسَنُ الشَّمَالِ ، والمراد به الهَيْئَةُ وَالشَّكْلُ .

٣ - إِذَا مَارَأَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فِعْلَ العَارِفِ المِتْجَاهِلِ

رجع إلى اقتصاص ^(٢) الحال بينه وبين من عَرَّضَ به فيقول : إِذَا أَبْصَرَنِي المُبْتَاعِضُ لِي ارْتَدَّ طَرْفُهُ عَنِّي ، وَقَطَعَ نَظْرَهُ إِلَيَّ ، فِعْلَ مَنْ يَعْرِفُ الشَّيْءَ وَيَتَكَلَّفُ جَهْلَهُ . وقوله « قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ » ، الطَّرْفُ : مصدر طَرَفْتُهُ ، إِذَا أَبْصَرْتَهُ . وعلى هذا قوله :

* تَحَسَّبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةٌ ^(٣) *

وقد يراد بالطَّرْفِ العَيْنُ أَيْضاً فيكون اسماً للجَارِحَةِ وَالْحَدِثِ جَمِيعاً . وانتصب « فِعْلَ العَارِفِ » على المصدرِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي . والمتجاهل : متكلف الجهل . وعلى هذا : تَعَامَى ، وَتَعَارَجَ ، وَتَخَازَرَ . وفي طريقته لفظاً ومعنى قول الآخر :

* تَشَاوَسَ يَزِيدُ إِنِّي مَن تَأْمَلُ *

٤ - مَلَأْتُ عَلَيْهِ الأَرْضَ حَتَّى كَانَهَا مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنِيهِ كِفَّةً حَابِلِ

يقال : مَلَأْتُ عَلَيْهِ الأَرْضَ ، إِذَا ضَيَّقْتُهَا عَلَيْهِ . وَمَلَأْتُ مِنْهُ الأَرْضَ ، إِذَا ثَمَّتْ وَقَعَدَتْ بِذِكْرِهِ . وَالْحَابِلُ : نَاصِبُ الحَبَالَةِ . وَيُقَالُ حَبَلْتُ الصَّيْدَ وَاحْتَبَلْتُهُ ، إِذَا أَخَذْتَهُ ؛ وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : احْتَبَلَهُ المَوْتُ بِجِبَالِهِ . وَالكِفَّةُ ، يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ

• الخزر : النظر
بمؤخر العين .

• تشاوس : تكلف
الشؤس ، يقال شامس
إذا نظر بمؤخر عينه
تكبراً وتغليظاً .

• الحباله : المصيدة .

(١) هذه من م .

(٢) في نسخة الأصل : « اختصاص » ، صوابه في م .

(٣) في الأصل : « علينا » صوابه في م . وهو لطرفة في ديوانه ٦٤ . وعجزه :

* يا لقومي للشباب المسبكر * المسبكر : التام .

به الحفيرة التي ينصب الحابل فيها الحباله . ويجوز أن يريد بها قترته ، ويجوز أن يريد بها عين الحباله ، لأنها تجعل كالطوق . وهذا أقرب لأن الخليل فسّر الكفة على ذلك . وجاز إضافتها إلى الحابل كما يجوز إضافة نفس الحباله إليه ، والمعنى : ضيّقت عليه الأرض على اتساعها ، لشدة بغضه لي ، أي حتى كأنها برحبها في عينيه كفة حابل إذا اجتمع فيها معي . وهذا يشير به إلى تضاد الطبعين ، وتباين الخلقين ، وأنه لو أمكنه لا تنفي وجوده في الأرض انتفاء الضد للضد ، قلة موافقة وكثرة مخالفة .

٥٧

وقال بعض بني قحس (١) :

١ - وذوي ضبابٍ مُظهِرينَ عداوةً قرّحى القلوبِ معاوديِ الإفنادِ

يقول : رب قوم ذوي أحقادٍ وضمائن ، مجاهرين بعداوتي ، مراجعين حالاً بعد حال قول الفحش فيّ ، متقرّحى الأفتدة لشدة الحسد والبغض لي ، فعلت بهم كذا . وجواب ربّ فيما بعد . وذَكَرَ قرّح القلب مثلاً في العداوة ، كما يذكر مرضه مثلاً في النفاق . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً ﴾ . فأما ذكر الصعر والشّوس فهو من هذا الباب ، لكنه تصوير حال المباغض أو المتكبر في نظره ، أو إقباله أو التفاته ، وكذلك ما يشبهه . وقوله

« معاودي الإفناد » الإفناد بكسر الهمزة : مصدر أفند الرجل ، إذا أتى بالفند . الفند : الباطل . وإذا روي « الأفناد » بفتح الهمزة فهو جمع الفند ، وهو الفحش والخطأ في الكذب .

(١) التبريزي : قال أبو محمد الأعرابي : الصواب أنه لمرداس بن جشيش ، أخي بني سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة .

الرأي . ويقال في اللوم : فَنَدَّتْهُ ، لأنه يجمع تخطئة الرأي وذكر القبيح .
والضباب : جمع الضب ، وهو الحقد . قال :

* يارُبُّ ذِي ضِغْنٍ وَضَبِّ فَارِضٍ ^(١) *
عفا بضب فارض :
عداوة عظيمة شديدة ،
من الفارض وهي ويقال : فلان خبُّ ضبِّ ، إذا كان مُنْكَرًا في المعادة .
المسنة من الإبل .

٢ - نَأْسَيْتُهُمْ بَعْضَاءَهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ وَهُمْ إِذَا ذَكَرَ الصَّدِيقُ أَعَادِ

يقول : رَبِّ قَوْمٍ هَكَذَا أَنَا نَسَيْتُ بَعْضَهُمْ لِي حَتَّى نَسُوا أَيْضًا - لَأَنَّ
المناساة تكون من اثنين فصاعدًا - وتركتهم وهم من جملة الأعداء ، إذا مُيِّزَتْ
بالذكر الأصدقاء . وقوله « الصديق » أراد به الجنس .

٣ - كَيْمَا أَعَدَّهُمْ لِأَبْعَدَ مِنْهُمْ وَلَقَدْ يُجَاءُ إِلَى ذَوِي الْأَحْقَادِ

يقول : لم أكتشفهم ، ولا أظهرت لهم علمي بعداوتهم ، بل استمررت في
مداجاتهم ومساترتهم ، وعركت بجنبي ما بدر من هفواتهم ، طلبًا لأن أعدهم
لمن هو أبعد شأوا في العداوة ^(٢) ، أو أشد تأخرًا في الالتحام والقرابة . ثم قال :
ولقد يضطر الإنسان إلى نصرته بني الأعمام وإن كانوا مُنْطَوِينَ على ضعائن ،
فإذا قاتل بعضهم بعضًا لآئمة ذلك وواقفه ، وحصلت الدبرة ^(٣) على من حصل ،
إذ كان فيه تفانيهم ، واشتفاء الصدور منهم . وهذا كما قيل لبعض حكماء
العرب ما تقول في ابن العم ؟ قال : عدوك وعدو عدوك .

(١) انظر الحيوان (٦ : ٦٦) ومجالس ثعلب ٣٦٤ واللسان (فرض) .

(٢) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن الصواب : لأبعد قرابة منهم . قال : وهو مثل

قول حضرمي بن عامر :

أي طويكم على ما فيكم من أذى . ولقد طويتمكم على بللاتيكم . وعلمت ما فيكم من الأذراب . الأذراب : جمع
وعداوة ، يقال ألم أطوك على . كَيْمَا أَعَدَّكُمْ لِأَبْعَدَ مِنْكُمْ . ولقد يجاء إلى ذوى الأنساب ذَرَبًا ، وهو فساد
بِلَلَّتِي أَيْ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ . (٣) الدبرة ، بالفتح : الظفر والنصرة ، كما اللسان (٥ : ٣٥٣) . اللسان وبداؤه .

وهذا يضرب مثلاً لإبقاء
الوحدة وإخفاء ما ظهر من الحقد ،
ومنه قولهم : أطور السقاء على
بِلَلَّتِي لأنه إذا طوي وهو جاف
تكسر ، وإذا طوي على لبله لم يتكسر .

٥٨

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (١) :

١ - دَفَعْنَا كُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى بَطَرْتُمْ وبالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ

يقول : دَرَجْنَاكُمْ فِي اسْتِبْقَائِكُمْ (٢) وَرَتَبْنَا الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِي اسْتِفَاءِ تِكُمْ وَإِصْلَاحِكُمْ ، فَوَعَّظْنَاكُمْ أَوَّلًا بِاللِّسَانِ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْجِدَالِ ، حَتَّى أَبْطَرَكُمْ ذَلِكَ وَزَادَكُمْ إِغْرَاءً ، فَارْتَقَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الدَّفْعِ بِالرَّاحِ ، وَتَقْبِيحِ مَا تَأْتُونَهُ بِأَحْسَنِ الْمَسِّ ، فَلَمَّا لَمْ يُغْنِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَدَلْنَا مِنْهُ إِلَى الدَّفْعِ بِالْأَصَابِعِ ، وَمَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَازِلِ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْخَشُونَةِ وَاللِّيَانِ مَعْلُومٌ عِنْدَ ذَوِي الْأَبَابِ . وَمَرَّ بِي فِيمَا قَرَأْتُهُ مِنْ مَجَاوِبَاتِ قُرَيْشٍ ، أَنْ بَعْضُهُمْ قَالَ لِآخِرِ مَنْهُمْ مُسْتَضْعِفًا لِمَا أوردَهُ عَلَيْهِ : هَذَا دَفْعٌ بِالرَّاحِ ! فَقَالَ مَجِيئًا : كَلَّا إِنَّ مَعَهَا الْأَصَابِعَ ! وَقَوْلُهُ « حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ » انْتَصَبَ دَفْعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى كَانَ الدَّفْعُ دَفْعَ الْأَصَابِعِ . وَلَكِ أَنْ تَرْفَعَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ ، وَتَضْمُرَ الْخَبَرَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ دَفَعْنَا ، أَوْ عَلَى أَنْ يَكُونَ كَانَ بِمَعْنَى حَدَثَ ، فَتَكْتَفِي بِالْفَاعِلِ ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى كَانَ التَّامَّةَ .

٢ - فَامَّارًا يَنَاجِهَكُمُ غَيْرَ مُنْتَهٍ وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرِ رَاجِعٍ

يقول : وَلَمَّا وَجَدْنَاكُمْ لَا تَرَعُونَ لِمَوَاعِظِكُمْ وَنُذْرِكُمْ ، وَلَا يِعَاوِدُكُمْ مَا عَزَبَ مِنْ بَصَائِرِكُمْ وَعَقُولِكُمْ ، وَلَا يَقِفُ الْجَهْلُ بِكُمْ عَلَى غَايَةٍ لَا مَتَجَاوَزَ وَرَاءَهَا ، وَلَا يُغْنِي مَا اسْتَفْرَغْنَا فِيهِ الْوُسْعَ مِنْ رَدِّكُمْ وَزَجْرِكُمْ ، رَاجِعْنَا أَنْفُسَنَا

(١) التبريزي : « يزيد بن الحكم الكلابي » . وهذا غير يزيد بن الحكم الثقيفي ، المترجم في الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠٠) والخزانة (١ : ٥٤ - ٥٦) .
(٢) م : « درجنا في استصلاحكم » .

مُنْكَرِينَ وَمَتَعَجِّبِينَ ، وَأَقْبَلْنَا نُبَاحِثُ عَنْ أُصُولِنَا وَفِرْعَوْنَا مُعْتَزِينَ ^(١) ، لِنَقْفَ عَلَى مَا وَطَّأ لَكُمْ مَرَائِبَ الْعُقُوقِ ، وَحَسَّنَ فِي آرَائِكُمْ تَخْطِي مَوَانِعَ الْحُقُوقِ ، إِلَى نَكْتِ قَوْمِي الْعُهُودِ .

٣ - مَسِينَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُلْنَا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِحٍ

قوله « مَسِينَا » يجوز أن يكون بمعنى أَصَبْنَا واختَبَرْنَا ، لأنَّ الْمَسَّ بِالْيَدِ قَدْ يُقْصَدُ بِهِ الْاِخْتِبَارُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى طَلَبْنَا . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ : إِنَّ الْمَعْنَى لَا يَطْلُبُهُ . قَالَ : وَاللَّسَّ كَالْمَسِّ فِي أَنَّهُ يَوْضَعُ فِي مَعْنَى الطَّلَبِ . قَالَ : وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِيئَةً حَرَسًا ^(٢) ﴾ . فَمِنْ الْأَوَّلِ قَوْلُهُمْ : مَسَّهُ الْكِبَرُ ، وَأَفْضَى الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ إِفْضَاءً مَسِيئًا . وَمِنَ الثَّانِي مَسَّاسُ الْحَاجَةِ . فَأَمَّا قَوْلُهُمْ : بِهِ مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ ، فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَوَّلِ وَمِنَ الثَّانِي جَمِيعًا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : بِهِ لَمَمٌ مِنْ جُنُونٍ ، وَأَصْلُهُ مِنَ اللَّمِّ وَهُوَ الْجَمْعُ أَوْ الْإِلْمَامُ . وَقَوْلُهُ « وَكُلْنَا إِلَى حَسَبٍ » أَي يَنْتَمِي وَنَتَمِي ^(٣) . فَ« إِلَى » تَعَلَّقَ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ اللَّضْمَرَاتِ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : أَنَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ . وَقَوْلُهُ « كُلُّنَا » أَي كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا ، يَعْنِي أَهْلَ بَيْتِهِمْ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ « إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ » . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَمَّا اشْتَدَّ لِحَاجَتُهُمْ وَطَالَ تَمَادِيهِمْ ، وَصَارُوا لَا يَنْزِلُونَ عَنْ مَرَائِبِ الْبَغْيِ ، وَلَا يَرْتَجِعُونَ عَنِ الذَّهَابِ فِي طُرُقِ الْفَسَادِ ،

(١) م : « معتبرين » .

(٢) وإنا ، وردت بكسر الهمزة في النسختين . وقد اختلف القراء في كسر همزة إن وفتحها في اثني عشر موضعاً من هذه السورة ، وهي سورة الجن ، فقرأ بعضهم بالكسر في جميعها ، وبعضهم بالفتح في جميعها ، وبعضهم بالكسر في بعضها والفتح في بعضها الآخر . إتحاف فضلاء البشر .

(٣) م : « أي ننتمي وننتهي » .

نَظَرْنَا : أَيُّ عَرَقٍ يَقْتَضِي مُنْكَرَ الْخِلَافِ مَعْنَا ، وَمَا الَّذِي يُوَجِّبُ التَّدَابُرَ مِنَ الْأَنْسَابِ وَالْأَسْبَابِ بَيْنَنَا ، فَلَمَسْنَا أَطْرَافَ أُبُوتْنَا ، وَاسْتَشْفَفْنَا جَوَانِبَهَا ، وَوَجَدْنَا كَلًّا مَنَا يَنْتَمِي إِلَى حَسَبٍ يَرْفَعُهُ وَلَا يَضَعُهُ . وَيُقَالُ : وَضَعْتُهُ ، إِذَا حَطَّطْتَ مِنْهُ . وَوَضَعَ الرَّجُلُ ، وَهُوَ وَضِيعٌ بَيْنَ الضَّعَةِ وَالضَّعَةِ . وَالتَّوَضِيعُ : التَّائِثُ وَالانْكَسَارُ مِنْ هَذَا . وَيُقَالُ : دَابَّةٌ حَسَنَةٌ الْمَوْضِعِ ، وَضِدُّهُ الْمَرْفُوعُ . وَبَعِيرٌ عَارِفٌ الْمَوْضِعِ ، أَيُّ ذَلُولٌ عِنْدَ الرَّكُوبِ .

٤ - فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْأُمَهَاتِ وَجَدْتُمْ بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمُضَاجِعِ
جَعَلَ الْمُضَاجِعَ كِنَايَةً عَنِ الْأَزْوَاجِ . وَهَذَا كَمَا يُكْنَى عَنْهُنَّ بِالْمَفَارِشِ . قَالَ :

سُجَّرَاهُ نَفْسِي غَيْرَ جَمْعِ أُشَابَةِ حُسْدٍ وَلَا هُلْكَ الْمَفَارِشِ عُدْلٍ

• السجراء : جمع سجير ،
و سجير الرجل خليله
و صفيته .

يَعْنِي أَنَّ أُمَهَاتِهِمْ عَفَائِفٌ . فَيَقُولُ : لَمَّا تَقَصَّيْنَا بِالْبَحْثِ وَالْكَشْفِ أَنْسَابَ آبَائِنَا ، وَعِلَاقَتَنَا ^(١) وَوَصَلْنَا فَلَمْ نَجِدْ فِيهَا مَعْمَزًا ، وَلَا إِلَى مَا ذَمَّمْنَا مِنْ أَخْلَاقِكُمْ مِنْهَا دَاعِيًا ، عَدَلْنَا إِلَى النَّظَرِ فِي أَنْسَابِ أُمَهَاتِنَا ، وَالتَّوَضُّعِ إِلَى مَكْنُونِ وَشَائِبِهَا ، وَجَهْلِ مَوَاصِلِهَا ، فَأَلْفَيْتُمْ أَبْنَاءَ عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْقُرُوشِ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَارِضِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ : كَانَتْ أُمَهَاتُنَا أَشْرَفَ مِنْ أُمَهَاتِكُمْ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ مَا خَالَفْتُمُونَا فِيهِ ، وَصَرْتُمْ عَلَى حَرْفٍ مَبَايِنَةٍ لَنَا مِنْ أَجْلِهِ ، شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ . وَإِنَّمَا قَالَ « وَجَدْتُمْ » لِيَكُونَ كَالْتَقْرِيرِ لَهُمْ ، وَيَصِيرَ مَا ادَّعَى مِنَ الْفَضْلِ عَلَيْهِمْ بِاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : وَجَدْتُمُونَا ، فَوَضَعَ بَنِي عَمِّكُمْ مَكَانَ « نَا » ، وَهُوَ أَحْصَى مِنْ بَنِي عَمِّكُمْ ، بِدَلَالَةِ أَنَّ مَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ أَحْصَى مِمَّا يَكُونُ لِلْغَائِبِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَضَعَ الْأَدْوَانَ مَوْضِعَ الْأَخْصِ .

والبيت لأبي سبير الهذلي
وقوله : « لاهلك المفارش »
أي ليس أمهاتهم أمهات
سوء ، والرهلوك : هي
الفاجرة المتساقطة على
الرجال .

وليس الأمر على ما قال، لأن الرجل إنما يريد بيني عمكم الآباء، وقد قدم ذكرهم في قوله « مسنن من الآباء ». ألا ترى أنه قال: كانوا كرام المضاجع. وإذا كان الأمر على هذا، كان الواجب عليه أن يقول: وجدتم آباءنا كانوا، لا وجدتمونا.

٥٩

وقال جابر بن رالان (١):

﴿ لَعَمْرُكَ مَا أَخْزَى إِذَا مَا نَسَبْتَنِي إِذَا لَمْ تَقُلْ بُطْلًا عَلَيَّ وَمِينَا ﴾

لعمرُك مبتدأ، وخبره محذوف، فكأنه قال لعمرُك ما أقسمُ به، ولا يُستعمل في اليمين إلا بفتح العين، وإن كان ضمًّا لغةً فيه. و« أخزى » يجوز أن يكون من الخزي: الهوان، ويجوز أن يكون من الخزاية: الاستحياء. وللباطل يُراد به الباطل. والمئين: الكذب، وقد مان، وهو مائن وميئون. والمعنى: وبقائتك ما أستحيي أو ما أهون ولا أذلُّ متى ما ذكرت أسلافي وآبائي ولم تقل باطلا، ولم تدع عليّ زوراً. وقوله « إذا ما نسبتني » ظرفٌ لقوله ما أخزى. و« إذا لم تقل » يجوز أن يكون بدلاً منه. ولولا أنه كرر « إذا » لكان الكلام ما أخزى إذا ما نسبتني ولم تقل بطلاً وميناً. ولا يجوز أن يكون العاملُ في إذا « ما نسبتني » لأن ذا قد أضيف إليه وُبين به، والمضاف إليه لا يُعمل في المضاف. ويجوز أن يكون إذا الأولى بما اتصل به وما عمل فيه الجملة في جواب إذا الثانية، كأنه قال: إذا لم تقل بطلاً فللعمرُك ما أخزى إذا ما نسبتني. وانتصب « بطلاً » على أنه

(١) التبريزي: « جابر بن رالان السبسي ». ثم قال: « من همز رالان فهو فعلان من لفظ الرال، ومن لم يهمزه احتمل أمرين: أحدهما أن يكون تخفيف رالان، كقولك في تخفيف رأس راس، والآخر أن يكون فعلان من رولت الخبز في السمن ونحوه، إذا أشبعته منه ».

مفعول لم تقل ، لأن القول يُحكى بعده الجمل فيعمل في مواضعها لا في لفظها ،
ويقع المفرد بعده - إذا كان معنى الجملة - منصوبا به .

٣- ولكنما يخزي امرؤُ يكلمُ امته قنًا قوميه إذا الرماحُ هوينًا^(١)

هذا تعريض بالمخاطب ، يقول : أنا لا أخزي إذا ذُكرَ مسعاةُ آبائي على
حدّها وحققها ، إنما يخزي لذلك رجلٌ هذا صفته ونعته ، وهو أنه يجرح
استه ، لكونه مولياً ومنهزماً ، رماحُ قومه إذا شرعت للطنن . وإنما قال
« قنًا قوميه » لأنه أشار في تعريضه إلى حالة اتفقت للمخاطب مع أبناء عمه .
وكلُّ جرحٍ صغر أو كبر فهو كلمٌ .

٣- فإن تبغضونا بغضةً في صدوركم فإننا جدعنا منكم وشرينا

قوله « في صدوركم » بما تعلق به في موضع الصفة للبغضة . والمعنى : إن
انطوت صدوركم لنا على بغضةٍ راسخةٍ فيها ، متمكنةٍ منها فغيرُ مستنكر عندنا
ولا مُستطرف من أحوالنا ، لأن ما ارتكبناه فيكم من جدع الأنوف وبيع النفوس
بإذلالنا إياكم ، وبما أخذناه في فداكم ، يوجب البغضاء ، ويقتضي الشنآن .

٤- ونحنُ غلبنا بالجمال وعزها ونحنُ ورثنا غيئًا وبديننا

يعني بالجمال أجمًا وسلمى وهضابهما ، ولذلك جمع . وقوله « وعزها » أراد
وعزَّ أربابها وسكانها . ويجوز أن يريد العز الذي يحصل لهم عند التحصن بها .
وطيئًا أبدأً تفتخر بذلك ، لأنهم إذا اعتصموا بها لم تتوصل الأعداء إليهم فيها .
وغيئٌ وبدينٌ : قبيلتان^(٢) . يريد : ورثنا أحسابهم ومفاخرهم . وغيئٌ :

(١) التبريزي : « تكلم امته » .

(٢) التبريزي : « وغيث ودين : اسما رجلين من طيبي » .

فِعِلُّ مِنَ النَّوْثِ ، وَفِي بَطُونِ طَيْبٍ بَطْنٌ يُقَالُ لَهُمُ النَّوْثُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِي .

٥ - وَأَيُّ ثَنَائِيَا الْمَجْدِ لَمْ نَطَّلِعْ لَهَا وَأَنْتُمْ غَضَابٌ تَحْرُمُونَ عَلَيْنَا

الاستفهام هنا يجري مجرى النفي ، كأنه قال : ما ثنيت من ثنايا المجد إلا طلعنا لها . والثنية: فعيلة من ثنيت ، أي عطفت وصرفت ، وكما استعملت في الجبال استعملت في الأمور والخطات (١) . قال :

وثنيت من أمر قوم وعرة فرجت يداي فكان فيها المطلع

فلذلك ذكرها هنا مثلاً ، والمعنى : إن مطالع الشرف على توغرها أو تسهلها ارتقينا إليها ، وأنتم تهتدوننا في غضبكم ، والحرق : حرق أحد النابين بالآخر . وقد حرق نابه يحرق ويحرق ، حرقة وحروقاً (٢) ، من الغيظ . وذكر الخليل : حريق الناب كصريف الناب . و « فلان يحرق علي الأرم » يروى « الأزم » . والأرم : الأكل ، والأزم : العض ، وهما جميعاً بالأسنان ، والمعنى يحرق علي أسنانه . والمتوعد يفعل ذلك يظهر به شدة الغيظ . واكتفى بقوله « يحرقون » عن ذكر المفعول ، لأن المراد مفهوم . ويقال : اطلع عليه وله ، إذا أشرف . والمعنى إننا رددنا على حسدكم لنا ، وتغيظكم فينا ، قوة وشرفاً ، وعزة وكرماً ، حتى لم تبق غاية من المجد إلا ارتقينا إليها وعلوناها .

(١) الخطات : جمع خطة ، وهذا ما في م . وفي الأصل : « والخطاب » .

(٢) حرق ، هذه لازمة ومتعدية ، يقال حرق ناب البعير ، وحرق البعير نابه أيضاً .

٦٠

وقال سبرة بن عمرو الفقعسي (١)

وعيره ضمرة بن ضمرة النهشلي كثيرة إبله .

١ - أَتَنَسَى دِفَاعِي عَنكَ إِذَا أَنْتَ مُسَلِّمٌ وَقَدْ سَأَلَ مِنْ ذُلِّ عَليكَ قَرَأِيرٌ (٢)

لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار . أي لم تنسى مدافعتي عنك حين كنت مخذولاً لا ناصر معك ، وقد امتدَّ سبيل الذلِّ نحوك فسأل عليك . فإذا ظرفٌ لدفاعي . وقراءير : اسمٌ وادٍ ، ويكون ذكره مثلاً . ومن كلامهم : « سال عليه الذلُّ ، كما يسيل السَّيل » . ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذلِّ من ناحية قراير ، فلذلك خصَّه . وقوله « إِذَا أَنْتَ مُسَلِّمٌ » يقال أسلمته وأسلمته ، إِذَا خَلَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَرِيدُ النِّكَايَةَ فِيهِ . وَأَسْلَمْتُ الصَّبِيَّ فِي حِرْفَةٍ ، إِذَا أُرْسَلْتَهُ فِيهَا . وقوله « وَقَدْ سَأَلَ » في موضع الحال ، أي أسلمت وحال ذلك .

٢ - وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهَهَا يُخَلِّنَ إِمَاءَ وَالْإِمَاءَ حَرَارِيرٌ

قوله « ونسوتكم » مع خبره جملة انعطفت على قوله « وقد سال من ذلِّ »

(١) التبريزي : « ذكر أبو عبيدة أن سبرة بن عمرو قال هذه الأبيات في منافرة عباد ابن أنف الكلب ومعبد بن نضلة بن الأشتر الفقعسي . . . تنافرا إلى ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطعن بن نهشل بن دارم ، وبينهما مائة من الإبل خطر ، فقال عباد لضمرة : لك مائة من الإبل ، وتنفرنني على معبد . ففعل ، فهو أول من ارتشى من حكام الجاهلية » . وقد روى ياقوت الأبيات (في قراير) .

(٢) ذكر التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن الصواب : « وقد سال من نصر عليك قراير » ، قال : يعني نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . يقول : دافعهم عنك حين سال الوادي بهم عليك .

وهذا وصفُ الحال التي مُني بها حين نَصَرَه مُخاطِبُه . والمراد : ونساؤكم تشبهن بالإماء ، مخافة السبأ ، حتى تبرجن وبرزن مكشوفات ناسيات للحياء وإن كن حرائر . وإنما قال هذا لأنهم كانوا يقصدون بسبي من يسبون من النساء إلحاق العار ، لا اغتنام الفداء والمال ، ولما كان الأمر على هذا فالحرّة كانت في مثل ذلك الوقت تشبه بالأمّة ، لكي يزهد في سبها . ومعنى و « الإماء حرائر » : واللأني يُحسبن إماء حرائر . ولو قال يُخلن إماءً وهن حرائر لكان مأخذ الكلام أقرب ، لكنه عدل إلى « والإماء حرائر » ، ليكون الذّكر به أنخم ، والاقتصاص^(١) أشنع وأعظم . وقال « بادٍ وجوها » لتقدّم الفعل ، وأن تأنيث الوجوه غير حقيقي ، ولو قال باديةً وجوهاً لجاز . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَخَارِ غَانِيَةٍ عَقَدَتْ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُنْشَرًّا بِشِمَالِهَا

٣ - أَعْيَرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلِحُومَهَا وَذَلِكَ عَارٌ يَا بْنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُهُ

يريدُ على وجه الإنكار والتفريع : لِمَ عَيْرْتَنَا أَلْبَانَ الْإِبِلِ وَلِحُومَهَا وَاقْتِنَاهُ الْإِبِلِ مُبَاحٌ لَا مَحْظُورٌ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ، وَالِانْتِفَاعُ بِلُحْمَانِهَا وَأَلْبَانِهَا مُسَوِّغٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ ، وَتَفْرِيقُهَا فِي الْمَحْتَاجِينَ إِلَيْهَا إِحْسَانٌ وَمَعْرُوفٌ يَجْلِبَانِ (٢) الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ . وَذَلِكَ عَارٌ ظَاهِرٌ ، أَيْ زَائِلٌ . قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ :

وَعَيْرَهَا الْوَأَشُونَ أَنِّي أَحِبُّهَا وَتَلِكْ شَكَاتٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

ومن هذا قولك : ظَهَرَ فَوْقَ السَّطْحِ ، وَقَوْلُكَ : جَعَلْتُهُ مِنِّي بَظْهَرٍ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ اتَّخَذَتْ مُوَهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا ﴾ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالظَّاهِرِ أَنَّ الْحَالَ فِي أَنْ

(١) كذا في م . وفي الأصل : « والقصاص » .

(٢) كذا ضبط بضم اللام في النسختين ، وهي إحدى لغتين : ضم اللام وكسرها .

في المضارع .

ذلك ليس بعار ظاهرةٌ غيرٌ مُلبِسةٍ ولا خافيةٍ . ويقالُ عَيْرْتُهُ كذا وهو الأفضحُ ، وعَيْرْتُهُ بكذا . قال عديُّ :

أُيْهَا الشَّامِتُ المَعِيرُ بِاللَّهِ ر (٤)

والواو من قوله « وذلك عارٌ » واو الحال ، أي أتعيرنا والحال ذلك .

٤ - نُحَايِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهَيْنِيهَا وَنَشْرَبُ فِي أَثْمَانِهَا وَنُقَامِرُ

بين وجوه تصرفهم فيما عيرهم به ، فقال : نجعلها حياءً لنظرنا فتهاذي بها ، ونسهل تمكن العفاة والزوار منها ، بابتدائها وإهاتها - وحذف ذكر من أهينت له لأن المراد مفهوم - ونبيعها فنصرف أثمانها إلى الخمر والإنفاق ، ونضرب بالقداح عليها في الميسر عند اشتداد الزمان ، فنفرقها في الضعفاء والمحتاجين إليها . وفي تعداد هذه الوجوه إبطال لكل ما أوهم أو ادعى يلحق من العار في اقتنائها وادخارها . وروى بعضهم : « نُحَايِي بِهَا أَكْفَاءَنَا » على أن يكون تفاعل من الحياة ، أي نعايشهم بها ونجامل ؛ وليس بشيء ، فلا تُعرج عليه .

• الميسر : القمار ، وكان هذا المعنى يجري مجرى المدح عند جاهلين ، حيث كانت المقامرة عندهم من مظاهر الكرم ، وكانوا يهجون من لا يقامر وينعتونه بالكبرم وجمعه أبرام ، أي المستعدن

الميسر . ولم يكن يقامر إلا سادات القوم ، ويكون ذلك في أسنى الجنب والشتاء خاصة

؛ إذ يعدون إلى جزور - وهي ما يصلى لأن يدخ من الإبل - ويقامرون عليها ، منذ ظفر بالجزور قرقة لذوي الحاجة من قومه . فالميسر كان وسيلة

من وسائل القيام بحاجة ذوي المسغبة من فقراء القوم وفي الإسلام ، وبعد قريم الدين القمار ، صار الميسر والفتن بالميسرة أقرب إلى الرجاء من المدح ، وقد أجرى بعضهم هذا

٦١

وقال آخر من بني فقعس (٤) :

١ - أَيَبْنِي آلَ شَدَادِ عَلَيْنَا وَمَا يُرَغَى لَشَدَادِ فَصِيلٍ

مخرج هذا الكلام مخرج الكلام المتقدم ، في أنه إنكار وتقريع ، وفيه إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من التبخيل ، وهو :

(١) تمامه ، كما في الأغاني (٢٠ : ٣٤ ساسي) : « أأنت المبرأ الموفور » .

(٢) التبريزي : « قال أبو هلال : هو لعمر بن مسعود بن عبد مرارة » .

• السَّلَاءُ: السمن ونحوه
• مادام خالصاً.

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبِنِي بَرَبٍ وَلَا لَحْمِي عَلَيَّ وَلَا سِلَاطِي (١)

أي ما لهم يَبْنُون علينا وحالهم في أنفسهم ما هو نهايةُ البخل والشُّوم ، والدَّقَّة واللُّؤم ، حتى لا يُحْمَلَ فِصِيلٌ لهم على إرغاء بأن يُفْصَلَ بيده وبين أمه بنحرٍ أو هِبَةٍ ، ضَنًّا به ، وإشفاقاً عليه . أي إنهم لا يَسُوغ لهم البَغْيُ مع هذه الحال . ويجوز أن يكون قوله « وما يُرْغَى لشدادِ فِصِيلٍ » يراد به ما لهم فِصِيلٌ فِيرْغَى ، كما قال الآخر (٢) :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ * (٣)

والمعنى : لا ضَبَّ بها فينجحِر . يرميهم بالفقر والفاقة ، وضعف المنة ، وقصور الاستطاعة . ويقال : أرغى فلانُ فِصِيلَهُ ، إذا حَمَلَهُ على الرُّغَاء ، وأرغى فلانٌ فلاناً وأثغى ، إذا أعطاه إبلاً وغنماً . وروى بعضهم : « وما يُرْغِي » بكسر الغين ، أي لا يُعْمَل بالفِصِيل ما يُحْمَلُ أمه على الرُّغَاء له . وليس بشيء .

٢ - فَإِنْ تَغَمَزَ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَاطًا فِي أَنَامِلٍ مَنِ يَصُولُ

هذا تعريضٌ وإيحاءٌ ، فيقول : إن رُزِمْتونا وجدتمونا غِلَاطًا على من يَصُولُ علينا ، جُفَاءً عند من يَسُوْمُنَا مَكْرُوهًا . والمعنى : لا نَسْتَلان عند الامتحان . وجعل الغَمَزَ غَمَزَ المفاصل كنايةً عن الاختبار . وحكي عن بعضهم (٤) : « لا أُغْمَزُ كَتَفَازِ التَّيْنِ » ، ولذلك صَلَحَ أن يقولَ اسْتَفْلَظْتَنَا فِي أَنَامِلِهِمْ . وخصَّ الأناملَ لأنَّ الانفتال عن الشيء والإقبال عليه بسلامتها من الآفات يَقْوَى .

• النعت مجرى الجاهلين

وقصيد به إجادة العطاء

حتى في أيام الجذب .

■ ■

(١) أي لا أجل اللبن بمنزلة المعظم المبجل ، أو المالك لي ، بل أبذله وأهينه للضيف .

(٢) هو عمرو بن أحر ، يصف فلاة . الخزانة (٤ : ٢٧٣) .

(٣) صدره : * لا تفرغ الأرنب أهواها *

(٤) هو الحجاج ، قالها في خطبة له بمسجد الكوفة . البيان (٢ : ٣٠٩) .

٦٢

وقال جزء بن كليب الفقعسي^(١) :

١- تَبَنَّى ابْنُ كُوزِ وَالسَّفَاهَةُ كَاسِمِهَا لِيَسْتَادَ مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لِيَالِيَا

قوله « والسفاهة كاسمها » اعتراضٌ دخل بين تَبَنَّى ومفعوله . والأصل في السَّفَه : الخِلفَة . ويقال : زِمَامٌ سَفِيهٌ ، لا ضطرابه ، كما يقال زِمَامٌ عِيَارٌ^(٢) . فيقول : تَطَلَّبَ هذا الرَّجُلُ ما تَطَلَّبَه سَفَهًا ، وفعلُ السَّفَاهَةِ قَبِيحٌ كما أن اسْمَهَا قَبِيحٌ . وإنما قال هذا لأنَّ السَّفَهَ كما تُنكِرُ العقولُ والقلوبُ ذاتهُ وفعله ، كذلك تَمُجُّ الأذانُ والصُّدُورُ اسْمَهُ . فإن قيل ما اسمُ السَّفَاهَةِ حتى قال : والسَّفَاهَةُ كاسمها ؟ قلت : قوله والسفاهة ، أراد ما يُسَمَّى سفاهةً ، أي المسمى بهذا الاسم ، كما أن الاسمَ الذي هو السَّفَهَ قَبِيحٌ . إلا أنه لما لم يجدْ إلى العبارة عن الذاتِ طريقًا إلا باسمه قال : والسفاهة . ويجوز أن يكون أراد بتَبَنَّى : إِدْخَلَ نفسه في البَنِيِّ ، حينَ عَدَا طَوْرَهُ ، وَسَامَنَا مواصلته ، كما يقال تشجَّعَ وتمرَّأ . وقوله « ليستاد مِنَّا أن شتونا لياليا » أتى بالفعل واللام ، لأنَّ تَبَنَّى مثل أراد . فكما قال الله عز وجل : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، وقال الشاعر :

* أَرَادَتْ لِيَتَنَاشَ الرِّوَاقَ فَلَمْ تَقْمُ *

والمعنى يريدون إطفاء نور الله ، وأرادت انتياش الرِّوَاقِ - كذلك قال هذا :

(١) التبريزي : « قال أبو محمد الأعرابي : هو جرير بن كليب ، لا جزء . وقد ذكر جريرا في المؤلف ٧١ وقال : « جرير بن كليب بن نوفل بن فضلة الشاعر . كذا ذكر ثابن حبيب في كتابه الذي ذكر فيه شعراء القبائل ، ولم يذكر له شعرا ، ولا وجدت له في قبائل بني أسد ذكرا . وهو إسلامي . »

(٢) م : « عيال » كشداد . وكلاهما متجه . فالعيار : الكثير المحيي والذهاب .

موالعيال : المتبختر الميال .

تبغى لِيَسْتَادَ ، والمعنى تَبَغَى الاستيادَ منا ومُراد الشاعر تَطَلَّبَ النِّكَاحَ فِي سَادَتِنَا
 مِنْ أَجْلِ أَنَا دَخَلْنَا فِي الشِّتَاءِ . والمعنى مِنْ أَجْلِ أَنَا افْتَقَرْنَا وَاشْتَدَّ الزَّمَانُ عَلَيْنَا
 فَأَثَرًا فِينَا . قوله « أَنْ شَتَوْنَا » موضعه نَصَبٌ ، أصله لِأَنَّ شَتَوْنَا ، فَلَمَّا حُذِفَ
 الْحَرْفُ الْجَارُ وَصَلُ الْفِعْلُ فَعَمِلَ . ومعنى شَتَوْنَا : قَحِطْنَا (ك) وَأَقَمْنَا فِي الْقَحْطِ ،
 كَمَا تَقُولُ شَتَوْنَا بِمَكَانٍ كَذَا . ويقال : اشْتَيْنَا ، إِذَا أُرِيدَ دَخَلْنَا فِي الشِّتَاءِ .

٢ - فَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَاةٌ بِأَنْ أُبْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيًّا

انتصب « حَزَاةٌ » عَلَى التَّمْيِيزِ ، فيقول : لَيْسَ انصِرْفُكَ عَنَّا عَائِبًا عَلَيْنَا
 حِينَ لَمْ نُسْفِكَ بِمُرَادِكَ ، وَلَمْ نُجِبِكَ لَمَّا خَطَبْتَ مِنْ خَطَبَتِ إِلَى مَلْتَمَسِكَ ،
 وَمَعِييَا عِنْدَنَا حِينَ عَدَوْتَ طَوْرَكَ فَتَجَاوَزْتَ مُسْتَحَقَّكَ وَقَدَّرَكَ ، بِشَيْءٍ يَكْبُرُ عِنْدِي
 تَقْطِيعَهُ (٢) فِي الصَّدْرِ ، وَتَأْثِيرُهُ فِي النَّفْسِ . أَيِ إِرْغَامِكَ وَإِسْخَاطِكَ يَهُونَ عَلَيْنَا .
 وَالبَاءُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ « بِأَنْ أُبْتَ » هُوَ البَاءُ الَّذِي فِي قَوْلِكَ مَا زِيدَ بِمَنْطَلِقِي .
 وَيُقَالُ : زَرَيْتُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ ، إِذَا عِبْتُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ ؛ وَأَزْرَيْتُ بِهِ ، إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ
 وَقَصَّرْتَ بِهِ . وَقَوْلُهُ « وَزَارِيًّا » أَيِ وَزَارِيًّا عَلَيْنَا ، فَحُذِفَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومًا .

٣ - وَإِنَّا عَلَى عَضِّ الزَّمَانِ الَّذِي تَرَى نُعَالِجُ مِنْ كُرْهِ الْمَخَازِي الدَّوَاهِيَا

يقول : إِنَّا نَقَاسِي هَرَبًا مِنَ الْمَكْرُوهِ (٣) الشَّدَائِدِ ، وَنَصْبِرُ تَفَادِيًا مِنْهَا عَلَى
 الْعِظَامِ (٤) . هَذَا - مَا تَرَى مِنْ نَكَايَةِ الْحَدَثَانِ ، وَسَوْءِ تَأْثِيرِ الزَّمَانِ ، وَقَصْدِهِ
 إِيَّانَا بِالْمَكَارِهِ وَالْبَلَاءِ ، وَالْمَفَاقِرِ وَالضَّرَّاءِ . وَهَذَا تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ مَحَافِظَتَهُمْ عَلَى

(١) ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ بضم القاف ، وَفِي مِ بفتحها ، وَكِلَاهِمَا صَحِيحٌ وَإِنْ كَانَتْ لُغَةُ الْفَتْحِ
 أَعْلَى وَأَكْثَرَ . فِي الْقَامُوسِ : « وَقَحِطُوا وَأَقْطَحُوا بِضَمِّهِمَا قَلِيلَتَانِ » .

(٢) م : « نَفْطِيعَهُ » .

(٣) م : « مِنْ مَكْرُوهِ الْمَخَازِي » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « بِبَنِي الْعِظَامِ » : وَأَبْتِنَا مَا فِي م .

الشرف يمنعهم من مناقحة من ليس بكفء لهم ، وأن مُسَاعَفَتُهُمْ إِيَّاهُ بما طلبه مُخْزِيَةٌ عندهم . وقوله « على عرض الزمان » موضعه موضع الحال . والمعنى : إنا منكوبين وفقراء نفعل ذلك حذرًا من العار .

٣- فَلَا تَطْلُبْنَهَا يَا بَنَ كُوزٍ فَإِنَّهُ غَدَا النَّاسُ مُذَقَامَ النَّبِيِّ الْجَوَارِيَا

يقول : لا تطلب التزويج بالمرأة التي خطبتها يابن كوز ، فلك في سائر النساء مندوحة ، سيمًا ومنذ بعث الله عز وجل النبي عليه السلام ، وقام بأداء الرسالة عنه ، ربى الناس البنات وتركوا وأدهن فكثرن (١) . ويقال : غداه يغذوه غذوا ، وتغذى بكذا . والغذاء : الطعام والشراب .

٥- وَإِنَّ الَّتِي حُدَّتْهَا فِي أَنْوْفِنَا وَأَعْنَاقِنَا مِنَ الْإِبَاءِ كَمَا هِيََا

يقول : وإن النخوة التي أبلغتها ، والحميّة التي حُدَّتْهَا ، باقية في أنوفنا حتى لا نشمّ بها مرغمّة ، وفي أعناقنا وراءوسنا حتى لا نلويها إلى مُخْزِيَةٍ وَمَنْقَصَةٍ هي حاصلة فيها كما أبلغت ؛ فالامتناع من مثل ما سُمّت معروف منّا ، ومأخوذ به في عاداتنا ، فلا نستطرفه . وقوله « في أنوفنا » في موضع المفعول الثالث لحدَّتْهَا . وقوله « كما هيا » في موضع خبر إن ، وما زائدة . أراد كهي ، أى هي باقية بحالها ، مستمرة على طريقها . ويجوز أن يكون هي مبتدأ ، وكما في

(١) التبريزي : « وأصل الوأد الشغل ، وذلك أنها كانت تثقل بالتراب . وأول من منع عن الوأد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ، وذلك أنه أصل ناقتين له فخرج في بغائهما ، فلما أجنه الليل رفعت له نار فأماها ، فإذا شيخ وامرأة ماخض ، فسلم فرد الشيخ فسأله عن الناقتين ، فقال : وجدتهما وقد أحيانا الله بهما . ثم قال الشيخ لنساء كن عنده : إن جاءنا غلام فأأدرى ما أصنع به ، وإن جاءتنا جارية فاقنأناها ، ولا أسمعن صوتها . فجاءت جارية ، فاشترأها صعصعة بناقتيه . وجملة الذي ركب في طلبهما ، وجعل ذلك سنة ، فكل من أراد أن يشد ابنة له جاءه فاشترأها ، منه بلقحتين وجم ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلاثمائة موهودة ، فقال الفرزدق :

وجدي الذي منع الوائد وأحيا الوئيدة لم توأد

موضع الخبر . ويقولون : كما أنا كما أنت ، أي تشابهنا ، ويكون ما نَكِرَةً غير موصوفة . ويجوز أن يكون حذف صفته كأنه قال : كما حَدَّثْتَهُ أي كشيء حَدَّثْتَهُ . وإنما خَصَّ « في أنوفنا وأعناقنا » بالذِّكْر لأنه يقال في الكِبَر والصُّعُوبَة : في أنف فلان خُنْزُوانَةٌ ، وزَمَّ فلانُ بأنفه ، وأنفه أنفُ الليث ، وهو أَحْمَى أنفًا من أن يَقْبَلَ كذا . ويقولون : في خده صَعْرٌ ، وفي عنقه صَوْرٌ وصَيْدٌ ، وفي ناظره شَوْسٌ وَصَادٌ . قال يصف سُيُوفًا .

* يُدَاوَى بها الصَّادُ الَّذِي فِي النَّوَاطِرِ *

٦٣

وقال زيادة الحارثي (١) :

١- لَمْ أَرِ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ أَقَلَّ بِهِ مِنَّا عَلَى قَوْمِنَا (٢) نَفْرًا

ينتصب قوله « خير قومهم » على أنه بدلٌ من قوله « قومًا » . ويجوز أن يكون صفة . و « أقل » ينتصب على أنه مفعول ثان ، و « نَفْرًا » ينتصب على التمييز . وقوله « به » الضمير منه يرجع إلى ما ذكره ودلَّ عليه من قوله « خير قومهم » يريد أقل بكونهم خيرين . ومثله قول القائل :

* إِذَا زَجَرَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ (٣) *

أي إلى السفه . وتقدير البيت : لَمْ أَرِ خَيْرَ قَوْمٍ مِثْلَنَا أَقَلَّ بِذَلِكَ نَفْرًا مِنَّا

(١) شاعر إسلامي ، كان بينه وبين هذبة بن الخشرم مهاجاة ومناقضة ، وقد قتله هذبة في قصة رواها أبو الفرج . وهو زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن خنيس بن عمرو ابن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم . الأغاني (٢١ : ١٦٩) .

(٢) التبريزي : « على قومهم » .

(٣) عجزه كما في الخزانة (٣ : ٣٨٣) وأمالي ابن الشجري (١ : ٦٨ ، ٢/٣٠٥ :

١٣٣ ، ٢٠٩) : * وخالف والسفيه إلى خلاف *

على قومنا . والمعنى إننا لا نبغى على قومنا ، ولا نتكبر عليهم ، بل نَعُدُّهم أمثالنا ونظراءنا ، فنباسطهم ونوازهم قولاً بقول ، وفعلًا بفعل .

٢- وما تَزِدْهِنَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزْرًا (١)

ينتصب قوله « نَزْرًا » على أنه صفةٌ لمصدر محذوف ، كأنه قال : نكلّمهم كلاماً نَزْرًا . والمعنى لا يستخفنا التكبر إلى أن نتعلّى عليهم ، ونقل الكلام معهم ترفعاً عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكاثروهم في القول والسؤال ، إيناساً لهم وتسكيناً منهم . ويقال : زهاه وازدهاه بمعنى . والأصل في ازدهى : ازتهى ، لأنه افتعل من الزهو ، لكنه أبدل من التاء دالاً تقريباً للحرف من الزاي . وقوله « أن نكلّمهم » أراد لأن نكلّمهم ، فحذف حرف الجر . و « أن » يفعلُ به ذلك كثيراً .

٦٤

وقال ابنه مسور :

حين عَرَضَ عليه سعيد بن العاصِ سَبْعَ دِيَاتٍ بِأبيه (٢) فَأَبَى . ويقال : هي لَعْمَةٌ :

١- أَبَعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفٍ كُوَيْكِبٍ رَهِينَةَ رَمْسٍ ذِي تَرَابٍ وَجَنْدَلٍ

(١) روى التبريزي بعده بيتاً ، وهو :

ونحنُ بنو ماءِ السماءِ فلا نرى لأنفسنا من دونِ آملكةٍ قَصْرًا

وقال في تفسيره : « القصر هاهنا : الغاية . يقال قصر كذا أن تفعل كذا . وماء السماء :

إمرأة كانت في حسنها وصفاء بشرتها مثل ماء السماء فسميت به . وماء السماء الملك سمي بذلك لأنه كان للناس بمنزلة المطر في جوده . يقول : نحن بنو ملك فلا نرى لأنفسنا غاية دون أن نكون ملوكا » .

(٢) انظر خبر مقتله في الأغاني ، في الموضع الذي سبقت الإشارة إليه .

ألف الاستفهام دخل هاهنا على معنى الإنكار ، وتناول الفعل الذي في صدر البيت الثاني ، لأن ألف الاستفهام يطلبُ الأفعال . والمعنى : أذَكَرُّ بالإبقاء بعد المدفون بنَعْفِ هذا الجبل — وهو ما استقبلك منه — المرهُونِ في قبر ذي تُرابٍ وحجارة . والنَّعْفُ ، اشتقَّ منه انتَعَفَ له ، أي تعرَّض . والمناعفةُ : المعارضةُ من رجلين في طريقين يريد كلُّ واحدٍ سبق الآخر . وقيل النَّعْفُ : المكان المرتفع في اعتراض . وقوله « رهينة » جعله اسماً فهذا الحَقُّ الهاء بها . والرَّمْسُ : القبر . ويقال رَهَنْتُهُ رَهْنًا بمعنى رَهَنْتُ عنده ، وأصله من اللزوم والدوام ويقال هذا لك رَاهِنٌ . والأصل في الرَّمْسِ : التغطية ، يقال رَمَسْتُهُ .
• الروامس : جمع رامية ، بالتراب ؛ ومنه الرياح الروامس .
وهي الریح التي تثير التراب وتدفع الأتار .

٢- أذَكَرُّ بالبُقَيَا على مَنْ أَصَابَنِي وَبُقَيَايَ أَنِّي جَاهِدُ غَيْرُ مُؤْتَلٍ
يقول : أأَسَامُ الإبقاء على من وتراني ؟ إبقائي عليه أي أجتهد في قتله ، ولا أقصر . والإبقاء لا يكون الجهد ، ولكن المعنى : يكون هذا مني عَوْضًا من ذلك . ومثله قول الآخر (١) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ (٢) *

والبُقَيَا : اسمٌ على فُعْلَى ، مبني من الإبقاء وفي معناه ، والواو منه واو الحال ، ولو لم يأت به لكان الكلام على الاستئناف والإنقطاع مما قبله . ويقال : لا آلو في كذا ولا آتلي ، أي لا أقصر ، ولا آلو كذا ، أي لا أستطيعه .
٣- فإلَّا أَنلَ ثَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ بَنِي عَمْنَا فَالْدَهْرُ ذُو مَطْوَلٍ (٣)

(١) هو عمرو بن معديكرب . الخزانة (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٣) ابن جني : « يحتمل متطول هذا أمرين : أحدهما أن معناه ذو تفضل وإيصال لي إلى بغيتي ، والآخر ذو متطول ، أي فيه طول ، فإن تأخر ما أرومه الآن لم أياس منه فيما بعد ، وهذا أظهر الوجهين ، لأن الشعر بمثله ورد كثير أ . وتكون هذه لغة في تطاول الدهر ، وتطول يعتقب عليها تفاعل وتفاعل ، كقولهم تكأده الأمر وتكأده ، وتكأيس وتكأيس » .

يقول مُخْبِرًا عن صَبْرِهِ وَحُسْنِ رِفْقِهِ فِي طَلْبِ الْأُمُورِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ الْمَلَالُ وَإِنْ تَرَاحَى الْمَطْلُوبِ ، وَتَدَافَعَ الْوَقْتُ فِي الْحَصُولِ ، فَيَقُولُ : إِنْ لَمْ أَدْرِكْ تُأْرِي قَرِيبًا يَا بَنِي عَمَّنَا فِي الدَّهْرِ تَطَاوُلًا ، وَالزَّمَانَ بِتَبْدِيلِ الْأَبْدَالِ وَتَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ كَافِلًا ، وَهوَ ضَامِنٌ ، وَمَا يَتَعَسَّرُ فِي وَقْتٍ يَتَيْسَّرُ فِي آخَرٍ . وَذَكَرَ الْيَوْمَ وَالغَدَّ إِشَارَةً إِلَى تَقْرِيبِ الْوَقْتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، كَمَا يُقَالُ فِي الْمَاضِي : كَانَ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا . وَتَطَوَّلَ : مُصَدَّرٌ مِثْلُ تَطَوَّلَ .

ع - فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ لَنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجِّلِ

جَزَمَ « يَدْعُنِي » بِأَعْلَى أَنَّهُ دَعَاءٌ ، وَالْمَعْنَى : لَادْعَيْتُ لِكَشْفِ مَكْرُوهٍ ، وَلَا لِلدَّفْعِ عَنِ مَظْلُومٍ ، إِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً لِمَنْ وَتَرَّانِي ، أَوْ يُعَجِّلْهَا لِي . وَالْمَعْنَى : إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَوْ يَقْتُلْنِي . وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الدُّعَاءِ فَالْمَعْنَى مَعْنَى الْقَسَمِ . وَقَوْلُهُ : « أَوْ أُعَجِّلِ » أَرَادَ : أَوْ لَمْ أُعَجِّلْ لِمَثَلِهَا ، فَحَذَفَ . وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِلتَّوَعُّدِ بِالْإِقْدَامِ ، وَالتَّسْرُّعِ إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الِاسْتِقْتَالِ بَعْدَ الْإِمْكَانِ .

ه - أَنْتَحَمْتُ عَلَيْنَا كَلَّكَ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكَلِّكُمْ (١)

(١) روى التبريزي بعده ثلاثة أبيات : وذكر ابن جني أولها ، وهي :
 يقولُ رجالٌ ما أصيبَ لهم أبٌ ولا من أخٍ أقبيلٌ على المالِ تُعْمَلُ
 كريمٌ أصابته ذنابٌ كثيرةٌ فلم يدرِ حتى جئنا من كلِّ مدخلٍ
 ذكرتُ أبا أروى فأسبلتُ عبْرَةً من الدمعِ ما كادت عن الدمعِ تنجلي
 قال التبريزي : « يقول : يشيرون علي بأخذ اللدية ولم يصبهم ما أصابني ، ولعلهم لو أصيبوا بما أصبت به لم تقنعهم اللدية » . وقال : « ويروى : حتى جئنا من غير مدخل . أراد بالذناب الأعداء . وقوله : حتى جئنا من غير مدخل ، أي من مداخل كثيرة . ويقع في بعض النسخ : ديات كثيرة » .

وقال ابن جني في تفسير أول الأبيات الزائدة : « عطف الثاني - يعني كلمة أخ - على ما من عادته أن يزداد في الأول . ألا ترى إلى جواز قوله : ما أصيب لهم من أب ؟ وهذا مثل قوله : بدا لي أني لست مدرك ما ماضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً » .

هذا الكلام تهديدٌ ، وضمنانٌ في أنه سيكافئهم على ما بدأوا . والمعنى : سنؤثر فيكم كما أثرتم فينا ، ونُنزِلُ الحربَ بكم كما أنزلتموها بنا . ويقال : أنختُ البعيرَ فاستناخَ وبرك ، ولا يقال فناخ . وتقول في شدة التأثير : برَكَ عليهم الدهرُ بكلِّه ، ووطئهم بمناصمه ، وأنحى عليهم بجرائه . وهذا جعل الكل كلَّه .
هو المناخ في صدر البيت ، وفي العجز جعل الحربَ مُناخَةً بكلِّها . وكلُّ ذلك أمثالٌ ، والمعنى من جميعها ظاهر .

• الكلُّ : الصدر .
أنحى عليه : اعتمد ،
والانتحاء أصلاً :
اعتماد الإبل في سيرها
على الجانب الأيسر ، ثم صار
الاعتماد في كل وجه .
وإجران : باطد العنق من
البعير وغيره .

٦٥

وقال بعض بني جرم من طيء :

١ - إخالك مُوعدي بئني جفيفٍ وهالةٌ ، إنني أنهالك هالاً

في قوله « إخالٌ » ضربٌ من الاستهانة ، يقول : أحسبك تُهددني ببني جفيفٍ وبهالةٍ . ثم أقبلَ على هالةٍ فقال : إني أزجرك عن التحكك بنا ، ونُصرةٍ من ينادينا . ومثل هذا الكلام يُسمَّى التفاتاً . والعرب قد تجمع في الخطاب أو الإخبار بين عدَّة ، ثم تُقبل أو تلتفت من بينهم إلى واحدٍ لكونه أكبرهم ، أو أحسنهم سماعاً لما يُلقى إليه ، أو أخصهم بالحال التي تنطق بالشكوى بينهم ، فتفرده بكلام . على هذا بيت الهذلي (١) :

* أحيأ أباكن ياليلي الأماديح *

فقال أباكن ، ثم قال ياليلي . ويقال : خلت أخالٌ ، وإخال طائيةٌ ، فكثرت استعمالها في السنة غيرها ، حتى صار أخالٌ كالمرفوض . والهالة : الدارة

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ١١٣) .

(٢) صدره : * لو كان مدحة حي أنشرت أحداً *

ويروى في عجزه : * أحيأ أبوتك الشم الأماديح *

حَوَّلَ الْقَمْرَ ، فِي اللُّغَةِ ، وَإِذَا أَنْتَ خَاطَبَهَا فَإِنَّهُ جَعَلَهَا قَبِيلَةً ، وَإِذَا ذَكَرَهَا فَعَلَى
إِرَادَةِ رَجُلٍ هُوَ أَبُو الْقَبِيلَةِ ، وَإِذَا جُمِعَ فَعَلَى الْمَعْنَى . وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ قَدْ صَرَّفَ كَلَامَهُ .

٢ - فَإِلَّا تَنْتَهِي يَا هَالَا عَنِّي أَدْعُكَ لِمَنْ يُعَادِينِي نَكَالًا

يقول : إن لم تنزجر عني ولم ترتد عني بكلامي ، أجعلك لأعدائي عبرة .
رادعة ، وعقوبة زاجرة . والنكال : اسم لما يجعل عبرة للغير ، ويقال نكَلَّ
يَنكُلُ ، وَنَكَلَ يَنكُلُ لِقَتَانِ ، الْأُولَى تَمِيمِيَّةٌ وَالْأُخْرَى حِجَازِيَّةٌ .

٣ - إِذَا أَخْضَبْتُمْ كُنْتُمْ عَدُوًّا وَإِنْ أَجْدَبْتُمْ كُنْتُمْ عِيَالًا

يصفهم بالأشر والبطر وسوء الحفظ ، والتعجل إلى الشر ، فيقول : إذا
نلتهم الخير وطاوعكم الوجد خرجتم لنا أعداء ، ثم إن أثر فيكم الدهر ،
أوظفكم البؤس والضر ، أو يتم إلينا ، ولحتم بجملتنا ، فاحتجنا إلى
أن نمونكم .

٦٦

وقال آخر (١) :

١ - اللُّؤْمُ أَكْبَرُ مِنْ وَبْرٍ وَوَالِدِهِ وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَمَا وَلَدَا

فَضَّلَ اللُّؤْمَ فِي اللَّفْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَسْلَافِهِمْ ، وَالْقَصْدُ بِهِ إِلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى
أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَطَبَاعِهِمْ ، لِأَنَّ الشَّرْطَ تَشْبِيهِهِ الْأَحْدَاثَ بِالْأَحْدَاثِ ، وَالذَّوَاتِ
بِالذَّوَاتِ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ حُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ،

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : لم يذكر أبو تمام اسمه واسمه الحكم بن زهرة .
قال الجمحي : زهرة أمه ، وهو الحكم بن المقداد بن الحكم بن الصباح ، أحد بني مخاشن بن
عصيم ، ثم أحد بني زهرة بن قيس بن عمرو بن ثرملة بن مخاشن بن شمع بن فزارة ، ويعرف
بالحكم الأصم الفزاري . وقال أبو رياش : هو لعوييف القوافي » . ونسب في معجم المرزباني
٢٧٨ إلى عوييف القوافي .

كأنه قال : اللؤم أكرم من أخلاق وبرِّ وأخلاق والده ، وقوله « ووالده » دخل فيه كلُّ أبٍ لهم ، كما دخل في قوله « وما ولدًا » كلُّ وُلْدٍ لهم . واللؤم : خصالٌ مُنْكَرَةٌ ، إذا اجتمعت سُمِّت لؤماً ، كدناءة النفس والآباء والبخلِ مردِّدًا فيهم ، والنظر في الأمور التافهة المخزية . ووبر في اللغة : دُوَيْبَةٌ أصغر من السنور طحلاء اللون ترَجُن في البيوت (١) ، وجمعه وِبَارٌ . ويُسمَّى بها ، ثم جُعِلت للقبيلة (٢) . فإن قيل : لمَّ لمَّ يقل : ومن ولدًا ؟ قلت : أشار إلى الجنس وما يقع للأجناس .

• طحلاء اللون : زي
بين العبرة والسواد
والسنور : القط
أو الهر .

٢ - قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبِهِمْ أَمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا يَقُولُ : هُمْ قَوْمٌ إِذَا جَرَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ جَرِيرَةً أَمِنَ جَمِيعُهُمْ ، لِدَقَّةِ أَصُولِهِمْ ، وَلُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ ، أَنْ يُوَاخَذُوا كُلُّهُمْ بِهَا ، فَكَيْفَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ . كَأَنَّ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا لَا يُعَدُّونَ بَوَاءً لِقَتِيلٍ فَيُقْتَلُوا بِهِ ، فَالْأَمْنُ الَّذِي شَمِلَهُمْ عِنْدَ اتِّفَاقِ الْجَنَايَاتِ مِنْهُمْ لِهَذَا . وَالْقَوْدُ : أَنْ يُقْتَلَ الْقَاتِلُ بِالْقَتِيلِ ، فَيُقَالُ : أَقْدَتُهُ بِهِ . وَإِذَا أَتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ بِمَكْرُوهِةٍ فَانْتَقَمَ مِنْهُ بِمِثْلِهَا ، قِيلَ : اسْتَقَادَهَا مِنْهُ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

* مَنْ ذَا يَعْضُ الْكَلْبَ إِنْ عَضَّ *

ونقله أبو تمام فقال :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عَرَضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ

فَازْهَبْ فَإِنَّتِ طَلِيقُ عَرَضِكَ إِنَّهُ عَرَضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

٣ - اللؤم داءٌ لو برِّ يُقتلون به لا يُقتلون بداءٍ غيره أبدًا

أشار بهذا إلى أن مطامعهم الخسيسة تُرْدِيهم ، وإسفافهم لها يعرِّضهم للقتل

(١) ترجن هنا بالراء ، وهي تطابق تدجن بالبدال وزناً ومعنى . والرجون والدجون :

الإقامة . (٢) التبريزي : « وبر بن الأصبط : قبيلة من كلاب » .

ويهلكهم ، فقال : هذا داؤهم لا يُقتلون إلا به ، ولأنَّ حَيْنَ كُلِّ حَائِنٍ فيما يَغْلِبُ به وعليه . ويجوز أن يريد أنه لما تَرَفَّعَ القصاص عنهم عند وقوع الجرائم منهم ، كانت القِتْلَةُ الكريمة فيهم أزهد ، وعندهم أبعد ، ولا يموتون إلا بدائهم الذي هو اللؤم . والموت قد يُسَمَّى قِتْلًا . وإنما أدخل هذه الأبيات في الباب لقوله « قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيهِمْ أَمَنُوا » فلما ذَكَرَ من يجتهد في إدراك الثَّأْر من جهته تيسر أو تعسر ، ذَكَرَ أيضا ما يُضَادُّه من يُرْغَبُ عنه وَيُزْهَدُ في النَّيْلِ منه ، تَرَفُّعًا عن مكافاته . وهذا عادته في إتباع الشيء بضده ، فاعلمه .

٦٧

وقال آخر :

١ - أَلَا أَبْلَغَا خُلَّتِي رَاشِدًا وَصِنُوي قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْ

قَدِيمًا ، انتَصَبَ على الظَّرْفِ لقوله خُلَّتِي . والمراد : أَلْبَغَا خَلِيلِي قَدِيمًا رَاشِدًا ، وَصِنُوي إِذَا مَا انتَسَبَ . والصَّنَوَانِ : الفرعان يخرُجان من أصلٍ واحدٍ . ويقال للأخوينِ هَا صِنَوَانِ ، تشبيهاً بذلك ، ولعمَّ الرجلِ صِنُوُ أَبِيهِ . ويقال صِنُوُ ، وَصِنَوَانِ في التثنية ، وَصِنَوَانٌ في الجميع ، ولا يُعرفُ له نظيرٌ إِلا قِنُوُ . فيقول : رَاشِدُ خَلِيلِي القَدِيمُ ، ونَسِيبِي القَرِيبُ ، فأبْلغَاهُ عني رسالةً . وفي جَمْعِهِ بين خُلَّتِي وَصِنُوي ، وتأخيرهُ قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْ ، ما ذَكَرَهُ أبو العباس المبرِّد رحمه الله ، من أن العرب تَلَفَّتْ الخَبْرَيْنِ لَفًّا ، ثم تَرَمَّيْ بتفسيرها جملة ، ثقةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كُلِّ ما لَهُ .

٢ - بَأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيحُ الجَلِيلَ وَأَنَّ العَزِيزَ إِذَا شَاءَ ذَلَّ

الباء دخل للتأكيد ، وموضع أن مفعول ثانٍ من أبلغاه . فيقول : أبلغاه

أَنْ صَغِيرَ الْأُمُورِ يُجْنِي الْكَبِيرَ ، وَأَنْ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ مَتَى أَرَادَ عَادَ ذَلِيلًا ،
بَأَنْ يَعْدُوَ طَوْرَهُ ، وَيَشْتَغَلَ بِمَا لَا يَهْتَمُّ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُمْ : « الشَّرُّ يَبْدُوهُ
صَغَارُهُ » ، وَقَوْلُ شَاعِرِهِمْ (١) :

* الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتْيَةً (٢) *

وَقَوْلُ الْآخَرِ (٣) :

* كَمْ مَطَرٍ بَدَّوهُ مُطِيرٌ (٤) *

٣ - وَأَنَّ الْحَزَامَةَ أَنْ تَصْرِفُوا لِحَيِّ سِوَانَا صَدُورَ الْأَسَلِ .
هذا الكلام تحذيرٌ وإنذار . يقول : وأبلغناه أَنَّ الحزَمَ في صَرْفِ أَعْنَةِ
خيلكم إلى غيرنا ، فَإِنَّكُمْ لَا تَقُومُونَ لَنَا إِذَا هَيَّجْتُمُونَا ؛ وَالرَّأْيَ فِي أَنْ تَعْدِلُوا
بصُدُورِ رِمَاحِكُمْ إِلَى طَعْنِ مَنْ سِوَانَا ، فَإِنَّكُمْ لَا تَكُونُونَ لِذِفَاعِنَا ، وَلِأَنَّ الْكِرَّةَ
لَا يُخْرِجُ مَنَا إِلَّا إِبَاءً وَامْتِنَاعًا .
الأصل : نبات ذو
أغصان كثيرة رِقَاق بلا
أوراق ، يَنْبَتُ فِي الْمَاءِ وَفِي
الْأَرْضِ الرُّطْبَةِ ، وَيُصْنَعُ
مِنْهُ الْكُضْرُ وَالْحَبَالُ .
وَيُطْلَقُ اللَّفْظُ - سَمَا
هنا - عَلَى الرِّمَاحِ عَلَى
التَّسْبِيهِ .

٤ - فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدَّتْنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلخَالِ فَادْهَبَ فَخَلْ .

العرب تقول : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ » . وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ (٥) :

وَإِنْ سَيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمْ لَهَا صُعْدَاءَ مَطْلَعِهَا طَوِيلٌ (٦)

(١) هو عمرو بن معديكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) عجزه : * تسعى بزيتها لكل جهول *

(٣) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٤) صدره : * رب قليل جنى كثيراً *

(٥) هو الأَعْلَمُ الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٨٧) والبيان (١ : ٢/٢٧٥) :

(٢١٨ : ٣/٣٥٢) .

(٦) صعءاء ، كذا وردت في النسختين ، وكذا في أصل ديوان الهذليين نسخة الشنقيطي .
وشرح السكري لأشعار الهذليين ، ونسخة مكتبة فيض الله من البيان والتبيين . وضبط في
اللسان (صعء) بفتح الصاد وسكون العين ، وفسره فقال : « أَكَّةُ صَعُودِ وَذَاتِ صَعْدَاءِ .
يَشْتَدُّ صَعُودُهَا عَلَى الرَّاقِي » . وَأَمَّا الصُّعْدَاءُ بِضَمِّ فَتْحِهَا ، فَهِيَ التَّنْفِيسُ بِتَوَجُّعٍ ، وَهِيَ الْمَشَقَّةُ أَيْضًا .

فيقول: إن رُمْتَ سيادَتَنَا مِنْ وَجْهِهَا ، وبالآلات التي يُحْتَاجُ إليها في تحصيلها ،
 تمَّ لك ذلك ؛ وإن كنتَ للكِبْرِ فاذْهَبْ فاحْسِبْ أَنَّكَ سَيِّدٌ ، فإنك لا تكون .
 هذا إذا رويتَ « فخلَّ » بفتح الخاء . وإن رويتَ « خلَّ » بضمها فالمعنى :
 اذهب وتكبرْ ، فإننا لن نفقَدَ لك ، واستعمالُ البغيِ والصِّلفِ والكِرْهِ
 لا يزيدنا إلَّا إباءً عليك ، وتمادياً في اللِّجاجِ معك . وانخال : الكِبْرُ . واختالَ
 الرَّجُلُ فهو مُخْتَالٌ وَخَالَ أيضاً . قال الشاعر :

* إذا تجرَّدَ لا خالٌ ولا بخلٌ *

ويقال خالٌ يَخُولُ وَيَخَالُ خَوْلاً وَخَالاً ، وفي الظنِّ يُقالُ خالٌ يَخَالُ
 لا غير . وقوله « فاذْهَبْ » أمرٌ من قولِكَ ذَهَبَ يَقولُ كذا . وعلى هذا
 قول الشاعر :

* فاذْهَبْ فما بِكَ والأيامِ من عَجَبٍ (١) *

وكذلك قولك للغريم : قُمْ فاعْطِنِي حَقِّي . فالأمر في الحقيقة بالعطية لا بما
 سِوَاهُ . وأجْرِي جَجْرَاهُ قَوْلُهُمْ : أخذَ يَتَمَسَّكُ بِكذا ، وطفِقَ يَتحدَّثُ بِكذا ،
 وجعل يشتمني . وخرجوا في التوسُّعِ إلى أن قالوا : قام يَهزأُ بي ، وَقَدَ يظنُّ
 أنه أميرٌ (٢) . وليس القصدُ إلى فعله القيامَ والعود ، ولكن زيادةً كالتصوير
 للحال والتأكيد للقصة .

(١) البيت من أبيات سيويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل . انظر الكتاب (١ : ٣٩٢)

والخزانة (٢ : ٣٣٨) والإنصاف ٢٧٣ . وصدوره :

* فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا *

(٢) م : « أمين » .

٦٨

وقال بعض بني أسد :

١ - كَلَا أَخَوَيْنَا إِنْ يُرَعَّ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِي جَامِلٍ دَثْرٍ وَجَمْعُ عَرَمَرَمٍ

يقوله رجلٌ اقتتل فريقان من قومه على بئرٍ ، فيقول : كَلَا صاحِبِينَا إِنْ يُفْرَعُ يَسْتَعِثُّ بِقَوْمِ ذَوِي عَدَدٍ وَعُدَّةٍ . وَالْجَامِلُ : الإِبِلُ ، وَهُوَ اسْمٌ صَنِيعٌ لِلْجَمْعِ . وَالذَّثْرُ : الكَثِيرُ . وَالْعَرَمَرَمُ : الجَيْشُ العَظِيمُ . وَعَرَامُ الجَيْشِ : حُدُومُهُمْ . وَانْتَصَبَ « ذَوِي » عَلَى الحَالِ . وَالْجَزَاءُ مَعَ جَوَابِهِ خَبْرُ المَبْتَدَأِ ، وَهُوَ كَلَا .

٢ - كَلَا أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَانَهُمْ أَسُودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَعْلَبَ ضَيْغَمٍ

يقول : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صاحِبِينَا مُؤَيَّدٌ بِرِجَالٍ كَانَهُمْ أَسُودُ هَذِهِ المَأْسَدَةِ ، مِنْ كُلِّ لَيْثٍ غَلِيظِ العُنُقِ ، شَدِيدٍ . وَضَيْغَمٌ : قَيْعَلٌ مِنَ الضَّغَمِ ، وَهُوَ العَضُّ . وَكَلَا مُوَحَّدٌ اللَّفْظُ ، مَوْضُوعٌ لِلسَّنِيِّ ؛ لَكِنَّ المَرَادَ بِهِ هُنَا كُلُّ وَاحِدٍ .

٣ - فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَيْئِسًا وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا المَاءَ بِالدَّمِ

يَدْعُوهُمْ إِلَى المَصَالِحَةِ ، وَيَعْرِفُهُمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي مَاءٍ ، بِصِلُونِ إِيَّاهُ بِإِرَاقَةِ دَمَاءٍ ؛ وَيَزْهَدُهُمْ فِي خِصْبِ وَنَعِيمٍ ، يَخْضَلُ عَنِ عَيْشِ بَيْئِسٍ ، فيقول : لَيْسَ الصَّلَاحُ وَالنَّجَاحُ فِي أَنْ تَسْتَبْدَلُوا بِنَعِيمِكُمْ بُؤْسًا ، وَبِسلامتِكُمْ هُلْكَاءً ، وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا المَاءَ بِسَفْكِ الدَّمَاءِ . وَالبَيْئِسُ ، يَكُونُ مَصْدَرًا كَالْبُؤْسِ ، وَيَوْضَعُ فِي مَقَابِلَةِ النِّعَمِ كَمَا فَعَلَهُ هَذَا ، وَيَكُونُ صِفَةً ، عَلَى هَذَا قولِ المَهْدَلِيِّ (١) :

• يَقْصِدُ بِالبُؤْسِ : تَأْبِطِشْرًا . وَمَعْنَى لَبُؤْسٍ لِلْبَيْئِسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ مُجْبِهَةٌ نِجَاجٍ مُجْفَلٍ

• الرَوْقُ : القَرْنُ . وَهُوَ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ ذُو البَأْسِ .

• والنِّجَاجُ : البَقْرُ .

٦٩

وقال حريث بن عتاب (١) :

١ - تَعَالُوا أَفَاخِرِكُمْ : أَعْيَاوَفَقَعَسُ إِلَى الْمَجْدِ أَدْنَى أُمَّ عَشِيرَةِ حَاتِمِ

يقول : هَلُمُّوا أَنْفِرِكُمْ : أهؤلاء البطون أقرب إلى المجد أم رهط حاتم؟
وبنو أعيا : من بني سعد بن قيس ، وبنو فقعس : حي من بني أسد . وروى
بعضهم : « أَعْيَارُ فَعَعَسِ » ، يريد رؤساء فقعس . ورغم أن أعيا لا يعرفه
اسم قبيلة ، وأن هذا تصحيف استدركه . فأما إنكاره لأعيا قبيلة فلا وجه له
لأن بني أعيا من قبائل سعد بن قيس ، وهو مشهور ذكره النسابة وغيرهم ،
ووهب بن أعيا بن طريف الأسدي ، معروف معدود في الأعلام . وأما من
طريق النظم فلأن تكون القبيلة مقابلةً بمثلها ، ومذكورة في المنافرة معها —
أحسن من أن يُقابل الأفراد بالقبيلة . و « أَعْيَارُ » إشارة إلى الأفراد ، لأنه
يراد بها الرؤساء ، يقال : هو عَيْرُ قَوْمِهِ ، أي سيدهم . هذا وقد رجعنا إلى نسخ
مختلفات المصادر ، فوجدناها متوافقة في تحمّلها « أَعْيَاوَفَقَعَسُ » . وإذا كان

(١) عتاب ، بالنون ، كما في م . قال ابن جني في المبهج . « اسم مرتجل غير منقول .
وهذا أحد الأمثلة التي جاءت على فعال اسما لا صفة ، وهي الكلاء ، والجبان ، والقياد : ذكر
اليوم ، والجيار في الصدر وهو أيضاً الصاروج ، والعقار : أحد الأنبية ، وعتاب هذا الرجل
والخطار : دهن طيب . ويجوز أن يكون عتاب من العنب كتمار من التمر » . وحريث ، ذكره
الأمدي في المؤتلف ١٦١ وقال أحد بني نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيب . شاعر محسن
مكثر ، وهو القائل :

أترجو حيسى أن تجيء صفارها بخير وقد أعيا حيبا كبارها
فأخذه الفرزدق فقال :

أترجو كليب أن تجيء صفارها بخير وقد أعيا كليباً كبارها

وقال أبو محمد الأعرابي فيما نقله عنه التبريزي : « وهو في عصر عمر بن الخطاب وبعد-

ذلك إلى زمن معاوية » .

كذلك لا يجوز العُدُولُ عَمَّا قَالَه الشَّاعِرُ إِلَى مَا لَمْ يَقُلْه . وقوله « أَعْيَا وَفَقَعَسَ » استفهام في الأصل نُقِلَ عَنْ بَابِهِ ، والمعنى : أَنَا فَرَكُم بِالْقَضِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ نَتِيجَةَ هَذَا الِاسْتِفْهَامِ ، وقوله « أَذْنَى إِلَى الْمَجْدِ » لَمْ يُثَنِّهِ وَإِنْ كَانَ خَبْرًا عَنْ اثْنَيْنِ ، لِأَنَّهُ أَفْعَلُ الَّذِي يَتِمُّ بَيْنَهُ ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ الِاسْتِفْهَامُ ، فَيَجِبُ أَنْ يَسْتَوِيَ فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانُ ، وَالْمَذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ . وَهَذَا الْكَلَامُ لَوْ أَتَى بِهِ عَلَى وَجْهِهِ لَكَانَ : أُمَّ عَشِيرَةٍ حَاتِمِ أَدْنَى إِلَى الْمَجْدِ مِنْهُمْ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ إِذْ كَانَ الْمُرَادُ مَفْهُومًا . وَإِنَّمَا جَاءَ عَلَى حَرْفِ الِاسْتِفْهَامِ لِيُبَيِّنَ وَأَضَلَّاهُمْ . وَفِي طَرِيقَتِهِ بَيْتُ جَرِيرٍ : هَامُوا نَحَاكُمْ فِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْغُرِّ مِنْ آلِ الْبِطَاحِ الْأَكْرَمِ . وَالتَّقْدِيرُ : أَنَا فَرَكُم أَتَمَّجِدُوا وَأَعْرَفَ . وَحَاتِمٌ الْمَذَكُورُ هُوَ حَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِي . وَ« تَعَالَ » كَانَ يَقُولُهُ مِنْ هُوَ فِي رَابِعَةِ الْمَتَسَفَّلِ ، لِأَنَّهُ تَفَاعَلَ مِنَ الْعُلُوِّ ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى جَرَى مَجْرَى هَلُمَّ ، فَصَارَ الْمَتَسَفَّلُ يَقُولُهُ عِنْدَ الدُّعَاءِ لِلْمُسْتَعْلِي .

٢ - إِلَى حَكْمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فَيَصِلُ وَمِنْ آخِرِ حَيِّ رِبِيعَةَ عَالَمٍ

قيل : أَرَادَ بِأَحَدِ الْحَكَمِينَ عَامِرَ بْنَ الظَّرْبِ (١) وَبِالْآخِرِ دَغْفَلًا النَّسَابَةَ . وَالْفَيْصَلُ : الَّذِي يَفْصِلُ الْأُمُورَ ، وَالْيَاءُ دَخَلَتْهُ لِتَلْحِقَهُ بِنِجْمِ جَعْفَرٍ ، كَمَا أَنَّ الضَّيْغَمَ قَفِيعَلٌ مِنَ الضَّغْمِ ، وَالْبِنَاءُ بِحُصُولِ الْيَاءِ فِيهِمَا صَارَا صِفَتَيْنِ بَعْدَ أَنْ كَانَا مَصْدَرَيْنِ ، لِأَنَّ فَصْلًا مِنْ دُونَ الْيَاءِ مَصْدَرٌ فَصَلَّ ، كَمَا أَنَّ ضَغْمًا مِنْ دُونَ الْيَاءِ

(١) التبريزي : « وقال النمرى : الحكم من قيس عيلان عامر بن الظرب العدواني ، والآخر الذي هو من حي ربيعة دغفل . وحي ربيعة : بكر وتغلب ، ورجل واحد لا يكون من حيين ، وإنما يريد من أحد حيين ربيعة » . وقال أبو محمد الأعرابي معترضاً على ذلك : « كيف يكون الحكم من قيس عيلان هاهنا عامر بن الظرب ، وهو قبل الإسلام بمائتي عام ، ومتى لحقه حريث بن عئاب وهو في عصر عمر بن الخطاب وبعد ذلك إلى زمن معاوية ؟ ! وإنما عني بالحكم من قيس عيلان هرم بن قطبة بن سيار بن عمرو الفزاري . والحكم من حيين ربيعة دغفلا النسابة . وحي ربيعة : ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وذهل بن ثعلبة ، وهو عم ذهل بن شيبان ، وعم الرجل أبوه » .

مصدر ضَنَمَ ، فلَمَّا حَصَلَ الياءُ فِيهِمَا وَصِفَ بِهِمَا وَأَفَادَا مِبَالِغَةً فِي الْمَعْنَى . أَلَا تَرَى
أَنْ فَيَصَلَا يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُهُ فَاصِلٌ ، وَكَذَلِكَ ضَنِغَمٌ يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُ ضَانِغِمٌ ، فَاعْلَمْهُ .

٣ - ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَى عَنْكُمْ بِبَيْضِ صَوَارِمٍ

قَامَ لَهُ بِمَعْنَى تَقَوَّمَ وَتَرَكَ الْخِلَافَ ، وَقَامَ عَلَيْهِ بِمَعْنَى دَاوَمَ وَلَا زَمَ . وَفِي الْقُرْآنِ :

﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . يَقُولُ : قَدَّ عَنَاكُمْ ^(١) بِالْمَكْرُوهِ ، حَتَّى إِذَا بَانَ لَنَا

فَيَنْتَكُمُ وَاسْتَقَامْتُمْ ، حِينَئِذٍ ذَبَبْنَا الْأَعْدَاءَ عَنْكُمْ بِسِوْفِ قَوَاطِعٍ . وَالْمَعْنَى :

بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْمَضِيِّ .

نَعَامَلَكُمْ بِمَعَامِلَةِ الْأَعْدَاءِ ، فَإِذَا اسْتَقَمْتُمْ لَنَا وَذَهَبَ الْخِلَافُ عَنْكُمْ ، ضَمَمْنَاكُمْ إِلَى
أَنْفُسِنَا ، وَحَمَيْنَا عَلَيْكُمْ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ .

٤ - فَحَلُّوْا بَأَا كُنْفَانِي وَأَكْنَفِ مَعْشَرِي أَكُنْ حِرْزَكُمْ فِي الْمَأْقِطِ الْمُتَلَاحِمِ

• الْمَأْقِطُ : الْمَضِيقُ فِي

الْحَرْبِ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ

الَّذِي يَقْتَتِلُونَ فِيهِ أَيْضًا .

فِي جَمْعِهِ لِلْأَكْنَفِ ظُهُورُ تَجَبَّرَ فِيهِمْ ، وَأَخَذُ بِالْتَعَلِّيِّ عَلَيْهِمْ . يَقُولُ : انزَلُوا

بِجَنَابِي وَجَنَابِ عَشِيرَتِي ، وَتَحَصَّنُوا بِفِنَائِي وَفِنَاءِ قَوْمِي أَكُنْ كَهْفَكُمْ فِي

الْمَضِيقِ مِنَ الْحَرْبِ الْمُتَلَاصِقِ . وَالْمُتَلَاحِمِ ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّحَامِ ، لِأَنَّ

كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مُتَبَايِنًا ثُمَّ تَلَازَمَ ^(٢) يُقَالُ فِيهِ : التَّحَمَّ وَتَلَاحَمَ ، وَيَجُوزُ أَنْ

يَكُونَ مِنَ الْمَلْحَمَةِ ، لِأَنَّ أَهْلَهَا يَتَلَاحِمُونَ فِيهَا . يَقَالُ : لَحْمَتُهُ فَهُوَ لَحِيمٌ ، أَيْ

قَتَلْتُهُ . قَالَ الْهَذَلِيُّ ^(٣) :

* فَلَا رَيْبَ أَنْ قَدْ كَانَ نَمَّ لَحِيمٍ ^(٤) *

٥ - فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أُضِيفَ كُمْ إِلَيَّ وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمٍ

(١) م : « فرعناكم » ، أي علوناكم .

(٢) كذا في الأصل ، وفي م : « تلان من » ، والأخيرة محرفة .

(٣) هو ساعدة بن جوية الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٢٣٢) واللسان (حصر ،

لحم) ومقاييس اللغة (ريب ، لحم) .

(٤) صدره : * فقالوا تركنا القوم قد حصروا به *

نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى اسْتِعْلَانِهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا لَمْ
كَانُوا لِحَوْلِ وَالتَّبَعِ ، وَأَنَّ الْأَسْلَافَ كَانَتْ تُوصِي الْأَخْلَافَ بِهِمْ لِتَطَاوُلِ أَيَامِهِمْ
فِي جَنَبَتِهِمْ ، وَاسْتِنَافِ الْعِنَايَةِ بِهِمْ مِنْ مَاضِيهِمْ وَغَايِرِهِمْ .

٧٠

وقال إبراهيم بن كنيف النبهاني: (١)

١ - تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَرِّ أَجْمَلٌ وَلَيْسَ عَلَى رَبِّبِ الزَّمَانِ مَعْوَلٌ (٢)

الخطاب بهذا الكلام للنفس على طريق التسلية ، فيقول : تصبر فإن
الصبر بالرجل الكريم أحسن من التخشع فيما لا يحسن الخضوع فيه وله .
والأصل في الصبر الحبس ، ومنه قولهم : قتل فلان صبرا . وقوله « وليس على
رب الزمان معول » ، يريد به أن الأحداث لا تقف على شيء بحكم واحد ،
ولكنها تنقل وتبديل ، فلا تتكلم عليها ، ولا تعتمد على عهدا ، فهي كما
تحسن نسيء ، وكما تدوي تدوي ، وكما تجمع تفرق . وقوله « تعز » هو
من عز الرجل وعزي الرجل ، إذا صبر عزاء ، ورجل عزى أي صبور . وفي
بناء تفعل زيادة تكلف ، ودلالة على فرط تعمل . والمعول : المحمل والتكلم .

(١) قال البكري في اللآلي ٤٣٠ : « شاعر إسلامي » .

(٢) بعده عند التبريزي أبيات ثلاثة وهي :

فلو كان يُغني أن يرى المرءُ جازعاً لحادثةٍ أو كان يُغني التذللُ
لكانَ التعزِّي عند كل مصيبةٍ ونائبةٍ بالحرِّ أو لى وأهلُ
فكيف وكلُّ ليس يعدُّ وجماعه وما لامري عما قضى الله مَزْجَلُ

وَأُحْرَ أَصْلُهُ الْأَعْتَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَالْأَكْرَمُ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَا بَدَأَ مِنَ الْوَجْهِ فِي اللَّقَاءِ : حُرُّ الْوَجْهِ . قَالَ الشَّاعِرُ (١) :

* لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسْهِرًا (٢) *

٢ - فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ يَوْمَى وَنُعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ

قوله « والحوادث تفعل » يسمى اعتراضاً ، ومثل هذا من الاعتراض يزيد القصة تأكيداً ، وهو هنا حائلٌ بين الجزاء وجوابه ، لأن جواب إن تكن قوله « فَمَا لَيِّنَتْ مِنَّا قَنَاطَةَ صَلِيْبَةٍ » وحسن الكلام به جداً إذ كان تأكيداً لما يقتضيه من تحوُّل الأحوال ، وتحقيقاً لما شكاه من ريب الزمان ، وبعثاً على التسلي ، وأخذ النفس بالتأسي . فيقول : إن كانت الأيام دارت فينا بالنعماء صرّةً وبالأساء أخرى - وهذا عادة الدهر وحوادثه - فما غيّرت منا شيئاً .

٣ - فَمَا لَيِّنَتْ مِنَّا قَنَاطَةَ صَلِيْبَةٍ وَلَا ذَلَّلْتَنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَحْمِلُ (٣)

ذِكْرُ الْقَنَاطَةِ مَثَلٌ ، وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي مِثْلِهِ . وَأَبِينِ مَا يُسْتَشْهَدُ بِهِ فِي اسْتِعَارَتِهَا لِلْإِبَاءِ وَالتَّشْدُّدُ قَوْلُهُ :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِعَامِرٍ فَالْأَنَّهُ الْإِصْبَاحُ وَالْإِنْسَاءُ (٤) . الْغَزْرُ : الْعَصْرُ بِالْبَيْدِ .
وهذا البيت بيانٌ لفائدة الصبر الذي دعاه إليه ، وبعث نفسه عليه ، لأن

(١) هو عامر بن الطفيل . ديوانه ١١٩ والشعر والشعراء ٢٩٣ .

(٢) صدره : * لعمرى وما عمرى على بهين *

(٣) التبريزي : « لتي ليس تحمل » .

(٤) في الكامل ١٢٥ لبيسك : « وقال بعض شعراء الجاهلية » . والبيت مع قرين له

في الكامل وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) . ونسباً في زهر الآداب (١ : ٢٠١) إلى عمرو بن قميئة .

الصابر على الشدائد حقيقاً بالآ يتدلل لما لا يحسنُ به ، ولا تجملُ الأحداثُ فيه عنه ، وألاً يتلنن لما كان يتصلبُ له من قبل . فإن قال قائلٌ : فإذا كان غاية الصبر ومعناه هذا ، فإلى أيِّ شيء دعا نفسه بقوله : تَعَزَّ فَإِنَّ الصبرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ ؟ وقد خبرَ عن نفسه بأنه آخِذٌ بما هو حقيقته ؟ قلتَ : يجوز أن يكون معنى « تَعَزَّ » دُم على التَّعْزِي ، ويكون بناء الأمر لما هو الحال ، ولا يريد استثناءه ، كما أن قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ معناه دُوموا على الإيمان . ويجوز أن يكون أمر نفسه في المستقبل بما كان عادتهم في المُسْتَقْدَم .

٤- وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيمَةً تَحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ (١)

يجوز أن يكون معنى رَحَلْنَاهَا رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا ، والضمير للحوادث ، ويكون هذا كقولهم كَلْتُكَ وَكَلْتُ لَكَ ، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لَكَ ، ويكون نفوساً مفعولاً لِرَحَلْنَا . ويجوز أن يكون الضمير أعني ضمير المنصوب في « رحلناها » للنفوس ، على أن يكون مفعولاً . وأتى بالضمير قبل الذِّكْر ، ثم جعلَ قوله نَفُوسًا بدلاً منها ، على طريق التبيين . وقوله « وَلَكِنْ » حَرْفٌ يُسْتَدْرَكُ بِهَا بَعْدَ النْفِي ، فيكون المعنى ما تذللنا للنوائب ، ولكن هيأنا لها نفوساً تأنف من الرضا بالدنية ، فلا تنسى كَرَمَهَا ، وتكلفُ أموراً لا تنهض بها فتكلفها . وفي وصف النفوسِ بالكرم إشارةٌ إلى الظلف والعفة ، والتأبِّي من المُخْزِيَةِ ، ومجانبة الريبة ، والنفور من كلِّ قبيحة . ولذلك قال الله عزَّ

• الظلف: الشدة
في المعيشة .

(١) بعده عند التبريزي :

وَتَمِينًا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِينًا نَفُوسَنَا فَصَحَّتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هَزَلًا

وجلّ في صفة المختارين من عباده المزكّين (١) : ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا أمرشوا باللغو أمرشوا كراماً﴾ . فأما قوله « رَحَلْنَاهَا » في الاستعارة ، فكما يقال استَحَمَلْتُ فلاناً نفسي ، وركبني ظلماتٌ وما أشبهها . وحُكي : هو يرّحله بما يكرهه ، أي يرّكبه ؛ ولا رَحَلْتُكَ بالسيف ، أي لا علونك .

٧١

وقال آخرُ :

١- وكم دَهَمْتَنِي مِنْ خُطُوبٍ مُلِمَّةٍ صَبَرْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ

يقول : مراراً كثيرة فاجأتني خطوبٌ شديدةٌ ، ونزلت بي ، فحبست نفسي عليها ، وتجلدت لها ، فلم يظهر في مناظري خُشوعٌ ، ولا بدأ في جوارحي خُضوع . وموضعُ كم على هذا التأويل ظرفٌ . « ومن » على طريقة الأخفش تكون زائدة ، لأنه يجوز زيادة « من » في الواجب ، ويستدل من المسموع بقول بعضهم : « قد كان من مطرٍ فخلّ عني » وبغيره . فكأنه قال : كم مرّة دَهَمْتَنِي خطوبٌ كثيرة . ويكون قوله صَبَرْتُ عَلَيْهَا صفةً للخطوب . ويجوز أن يكون كم في موضع الابتداء ، ومن خطوبٍ هو بيان له ، وقد فصل بينهما بجزءه ، وهو دَهَمْتَنِي ، وتقديره كم من خطوبٍ دَهَمْتَنِي ، أي كثيرٌ من الخطوب . فأما فائدة العطف يتم من قوله « ثمّ لم أتخشّع » فهو إبانة الاستمرار في الصبر ، وإن طالت المهلة إلى أن انكشفت تلك الملمات العارضة وانفرجت . ومعنى دَهَمْتَنِي : فاجأتني ، ومنه الدَهْمُ ودَهْمَاءُ الناس .

٢- فأدركتُ نأري والذي قد فعلتمُ قلائدُ في أعناقكم لم تقطع

• الدَهْمُ : الجماعة
الكثيرة . ورنك
الدهاء .

(١) المزكّين ، كذا ضبطت بكسر الكاف في النسختين ، أي الذين زكوا أنفسهم . وفي كتاب الله : « قد أفلح من زكاهها » .

يقول: أَصَبْتُ مَا طَلَبْتُهُ ، وَتَقَاضَيْتُ بِهِ مَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ ثَأْرٌ أَوْ وَثْرٌ ،
فاستنزله عنه ، وما فعلتم من القُعودِ عن نُصْرَتِي ، وَخِذْلَانِي فِيمَا نَابَنِي لَزِمَكُمُ ،
فكَأَنَّهَا قَلَانِدٌ وَأَطْوَاقٌ لَا تَنْحَلُّ عَنْكُمْ وَلَا تَنْقَطِعُ . وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلزُّومِ الْعَارِ
لَهُمْ فِيمَا أَتَوْا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَشْرٍ :

* البية لبشر بن أبي

فازم الأسيدي ، وصدرة :

* وَقُلِّدَهَا طَوِّقَ الْحِمَامَةِ جَعْفَرَ *

هَبَاكَ بِهَا مَوْلَاكَ عَنْ ظَهْرِ بَعْضَةٍ .

يَصِفُ غَدْرَةَ ارْتَكَبُوهَا . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا

خَالِبِ عَيْبَةٍ بِنِ جَعْفَرَ بِنِ كَلَابِ .

بِهَا : أَيِ هَذِهِ السَّبَةِ وَهِيَ

قَدْلُ ابْنِ صَبَاءٍ فِي جَوَارِهِ . بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ .

يَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ السَّبَةَ مِثَاكٌ بِهَا

مَوْلَاكَ عَنْ بَعْضٍ ، وَقَدْ عُلِقَتْ بِبَنِي

جَعْفَرَ طَوِّقَ الْحِمَامَةِ لَا تَنْحَلُّ وَلَا تَنْقَطِعُ .

الديوان ص ٨٩ ، د . عزه حسن .

٧٢

وَقَالَ عُوَيْفُ الْقَوَافِي (١) :

١ - ذَهَبَ الرَّقَادُ فَمَا يُحْسُ رِقَادُ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعَوَادُ (٢)

يقول : طَارَ النَّوْمُ فَلَا يُعْرِفُ لَهُ أَثْرٌ ، مِمَّا دَهَاكَ وَحَزَبَكَ ، وَنَامَ الَّذِينَ كَانُوا

(١) عوف القوافي الفزاري ، وهو عوف بن معاوية بن عتيبة بن حذيفة بن بدر ، سمي

عوف القوافي لبيت قاله ، وهو :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعَمُ أَنِّي إِذَا قَلْتُ شِعْرًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا

وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، مدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك ، وعمر

ابن عبد العزيز . البيان (١ : ٣٧٤) ومعجم المرزباني ٢٧٧ - ٢٧٨ والأغاني (١٧ : ١٠٥)

والاشتقاق ١٧٣ .

قال أبو ريش : « وكانت أخته عند عيينة بن أسماء فطلقها ، فكان مراغما لعيينة وقال :

الحرّة تطلق لغير بأس ! فلما أخذ الحجاج عيينة فحبسه قال عوف هذا الشعر » .

(٢) روى التبريزي بعده :

خَبِرْتُ أَتَانِي عَنْ عَيْيِنَةَ مَوْجِعٌ كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ

بَلَسَخَ الشُّفُوسَ بِلَاؤُهُ فَكَأَنَّنَا مَوْتَى وَفِينَا الرُّوحَ وَالْأَجْسَادُ

يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدِّنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ لَا يَدْفَعُونَ بِنَا الْمَكَارِهَ بَادِرُوا

يعودونك ولم يسهروا لك . والمعنى : إني اختصصتُ فيك بما عرِي منه عوادك ،
وتحمّلت من الجزع ما سقط عنهم وخفّ عليهم . والرقاد والرُقود : النوم بالليل ،
وعرّف الأول تعريف الجنس ، ونكر الثاني لأنه أراد نوعاً من الجنس ، كأن
المراد : ذهب النوم على اختلافه حتى ما يرى لنوعٍ منه مُختصٍّ أثرٌ .

٢ - لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُمَيْنَةَ أَنَّهُ أَمَسَتْ عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الْأَقْيَادُ^(١)

قوله « لَمَّا أَتَانِي » ظرف لقوله « نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي » لأنّ لَمَّا إذا وليه
الفعل الماضي ، كان علماً للظرف ، وفُسِّرَ بـ « حين تَسَاقَطَ إِلَيَّ عَنْ
هذا الرجل وتأدّى أنه أُسِرَ وَقُيِّدَ بِقَيْدٍ بَعْدَ قَيْدٍ ، فَارَقَنِي مَا كُنْتُ أَخَامِرُهُ
وأنطوي عليه من التنكر له ، وأزلتُ عن نفسي ما استجفيتها فيه ، لأنّ الكريم
يرقُّ لمثله من الكرام عند النوازل . ومعنى التظاهر : أن يصير الشيء فوق
الشيء فيقوى . ويقال : ظاهرَ بين ثوبين ، إذ ليس أحدهما فوق الآخر . وقوله
تعالى : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ معناه تعاونا ، ومنه قولهم : هو ظَهَرَ ظَهْرَهُ ، أي
قوى في الاستغاثة .

٣ - نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذَهَبُ الْأَحْقَادُ

يقول : أَصَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ نَفْسِي لَهُ النَّصِيحَةَ ، لأنّ الضغائن تُفَارِقُ عِنْدَ
الشَّدَائِدِ . وهذا الكلام هو بيان علة مفارقة ضغنِه ورجوعه إلى سلامة الصّدْرِ
له . وقد ذكر فيما بعده ما يدلُّ على حسن الإنصاف من النفس ، والاعتراف
بالفضل للغير . ويجوز أن يُرْوَى « أنه » بفتح الهمزة ، والمعنى لأنه عند
الشَّدَائِدِ . وإذا رُوِيَ بالكسر يكون على الاستئناف .

• نَخَلْتُ الشَّيْءَ :
صَفَّاهُ وَأَضَارَهُ
وَأَنْجَلْتَهُ الشَّيْءَ :
اسْتَقْصَيْتَهُ أَفْضَلَهُ .
وَتَخَلَّاهُ : تَخَيَّرْتَهُ .

(١) التبريزي : « أمسى عليه » .

٤ - وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتَى بَسَدُ مَكَانِهِ بِالرَّفْدِ حِينَ تَقَاصَرُ الأَرْفَادُ

مصدر ذكرتُ في هذا الذكر بضم الهمزة ، لأنه بالقلب . وقوله « بالرفد » ، يريد ببذل الرفد ، فحذف المضاف . يقول : أَجَلْتُ فِي فِكْرِي ، وَقُلْتُ فِي حَدِيثِ نَفْسِي : لَوْ خَلَّى مَكَانَهُ مَنْ كَانَ بَسَدُ مَسَدِهِ ، وَمَنْ يُعْطِي عَطَاءَهُ عِنْدَ تَقَاصُرِ العَطَايَا وَتَرَاجُعِ المَعُونَاتِ . وهذا إشارةٌ إلى زَمَانِ الجَدْبِ والقَحْطِ وَوَقْتِ تَنَافُسِ النَّاسِ فِي المَتَمَلِّكَاتِ ، وَالدَّفْعِ عَنهَا بِإِعْدَادِ العِلَالَتِ . والمعنى : إِنِّ مِثْلَهُ لَا يُوجَدُ وَلَا يُظْفَرُ بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الوَقْتِ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَسْمَحُ المُنْصِفُ بِهِ لِذَهْرِهِ ، أَوْ كَيْفَ يَنْطَوِي الصَّدْرُ عَلَى الشُّؤْمِ عَنْهُ وَالخُلُوءُ مِنْهُ ، مَعَ شِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَيُقَالُ : رَفَدْتُ الرَّجُلَ رَفْدًا إِذَا أُعْطِيَتْهُ ، ثُمَّ سُمِّيَ العَطِيَّةُ رِفْدًا بِكسْرِ الرَّاءِ ، وَجَمَعَهُ الأَرْفَادُ . وَأَرْفَدْتُهُ مَحْكِيًّا لِكُنْه لَيْسَ بِالمُتَخَيَّرِ . وَتَقَاصَرُ ، أَصْلُهُ تَقَاصَرُ فَحذف إحدى التاءين تخفيفاً ، وهو في موضع الجر بإضافة حين إليه .

٥ - أُمٌّ مَنْ يَهِينُ لَنَا كَرَامَ مَالِهِ وَلَنَا إِذَا عُدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

أم هذه هي المنقطعة ، والاستفهام دَخَلَ فِي الكَلَامِ عَلَى طَرِيقِ التَّوَجُّعِ وَالتَّلهُّفِ لِمَا جَرَى عَلَى عُيُنِنَةِ المَذْكَورِ . والمعنى : لَوْ فَقدْنَا مَنْ كَانَ يَبْذُلُ لَنَا عَقَائِلَ أَمْوَالِهِ ، وَمَتَى شِئْنَا وَجَدْنَا عِنْدَهُ مَعَادًا فَلَا يَمَلُّ الشُّؤْمَالُ ، وَلَا يُغِيبُ النَّوَالُ ؛ وَهَذَا الكَلَامُ تَنْبِيهٌُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُدِيمُ الإِحْسَانَ ، وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ يَوْمِهِ دُونَ عَطَاءِ غَدِهِ . وَقَوْلُهُ « كَرَامَ مَالِهِ » ، جَمْعُ كَرِيمَةٍ ، وَقَدْ أُجْرِي تَجْرِي الأَسْمَاءِ حَتَّى جَاءَ فِي الحَدِيثِ : « إِذَا جَاءَ كَمِ كَرِيمَةٌ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ (١) » .

(١) قاله صلى الله عليه وسلم ، في إكرام جرير بن عبد الله لما ورد عليه فبسط له رداءه

وعمه بيده . اللسان (كرم) .

٧٣

وقال بشر بن المغيرة (١) :

١ - جفاني الأمير والمغيرة قد جفا وأمسي يزيد لي قد ازور جانبه (٢)

أراد بالأمير المهلب بن أبي صفرة . والمغيرة أخوه ، ويزيد ابنه . وقائل هذا الشعر بشر بن المغيرة ، وهو أحد الفرسان المشتهرين (٣) ، فيقول : جفاني عمي المهلب ، وأبي المغيرة ، وصار يزيد ابن عمي لاقتدائه بهم منحرفاً عني ، غير مائل إلي . والازورار : الانحراف ، وهو من الزور : نعو أحد شقي الصدر واطمئنان الآخر : ويقال رجل أزور ، وامرأة زوراء .

٢ - وكلهم قد نال شبعاً لبطنه وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

أراد بالكل الاتحاد لا الجميع . يقول : كل واحد منهم قد نال من الدنيا وأعراضها قدر ما يشبعه ويمكنه الاكتفاء به ، ثم قال : وشبع الإنسان لؤم إذا لم يشرك صاحبه فيه فبقي جائعاً . أي هو كذلك في ذلك الوقت ، وعلى تلك الحالة . والشبع لا يكون لؤماً ، لكن التفرد به من دون ذويه على حاجة منهم إليه يكونه (٤) ، فرمى بالكلام على ما ترى لأن المراد منه مفهوم . والفرق بين الشبع والشبع ، أن الشبع بسكون الباء : القدر الذي يشبع ، والشبع بفتح الباء :

(١) قال التبريزي : « ويروى أن اسمه كان بسراً » . وقال أيضاً : « وكان بشر بن المغيرة بجراسان مع المهلب فلم يوله شيئاً » .

(٢) يزيد ، ضبطت في الأصل بضميتين في أعلى الدال وضمة في وسطها لتقرأ بالصرف وعدمه ، وذلك مع كلمة « معا » فوق الضمتين .

(٣) م : « المشهورين » .

(٤) أي يكون لؤماً .

الامتلاء من الطعام ، وقد استعمل السَّبْع في غير الطعام فيقال : أَشْبَعْتُ الثوبَ صِبْغًا ، وكذلك في كلِّ ما وُفِّرَتْهُ من القول وغيره ، حتَّى قيل تَشَبَّعَ الرَّجُلُ ، إِذَا تَكَثَّرَ .

٣ - فَيَا عَمَّ مَهَلًا وَاتَّخَذَنِي لِنُوبَةٍ تَلِمُّ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ نَوَائِبُهُ^(١)

قوله « مَهَلًا » معناه رَفَقًا ودَعِ العجلة . ومِحْرَكُ الماء منه فيقال ائت كذا على مَهَلٍ ومَهَلٍ جميعًا . ويقال : ما بي عن كذا مَهَلٌ ، أي إني فيه مستعجل . وفي هذا بعض التوعُّد والنظر وإن كان ظاهره أنه يَسْتَعطف المَهْلَب ويُعَرِّفه أَنَّ الدَّهْرَ ذو غيرِ وذو ألوان فلا يُؤْمَنُ بوائِقه ؛ وأنه قد يُحتَاج إلى المُسْتغْنَى عنه لحادثة تَحْدُثُ . فيقول : ادَّخِرْني لِنُوبَةٍ تَنْزِلُ ، وهي المصيبة أو النَّكبة ، ولا تَطَّرِحْني اغترارًا بالأمنِ ، فإنَّ الدَّهْرَ كثير النوائب ، وشيك التحوُّل . وقوله « يَا عَمَّ » حَذَفَ الياء منه لو وقع موقع ما يُحذفُ في هذا الباب ، وهو التنوين ، ولأنَّ باب النداء بابُ إيجاز ، ولأنَّ الكسرة تدلُّ عليه .

٤ - أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِّلْسَيْفِ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

يُفَضِّلُ نَفْسَهُ في نفاذه في الأمور ومضائه ، على السَّيْفِ ؛ فقال أوَّلًا : أَنَا السَّيْفُ ، أي أشبههُ ، ثم تَلَاَفَى فقال : إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ رَبَّمَا نَبَا عن الضَّرِيبَةِ وَكَبَا ، ومِثْلِي لَا تَكَلُّ وَلَا تَنْبُو حُدُودَهُ عن شيءٍ تُتَلَاقِيهِ . وفي هذه الطريقة قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا
والمضاربُ : جمع مَضْرَبٍ ، وهو الموضع الذي يُضْرَبُ به من السيف .

• الشوى : الأمر الهين .
أي للسيف أهون وقعة
من لسانه .

(١) التبريزي : « جم عجائبه » .

٧٤

وقال بعض بني فقعس (١) :

١- يَا أَيُّهَا الرَّا كِبَانِ السَّائِرَانِ مَعَا قَوْلَا لِسِنْبِسَ فَلْتَقْطُفْ قَوَافِيهَا

الراكب : اسم لمن ركب حيواناً إلا الفرس ، فإنه يقال لراكبه فارس متى أطلق . ومعاً ، انتصب على الحال ، ومعناه مُصْطَحِبِينَ ومُجْتَمِعِينَ . فيقول : يا أيها السائران المصطحبان ، قولاً لهذه القبيلة لتترك قول الشعر ، أو تتوقف قليلاً حتى تتباطأ قوافيها عني (٢) . وفي هذا الكلام ضرب من الاستهزاء بهم ، وإشارة إلى التجبر والتعلي عليهم . والقطف من الدواب : الذي في خطوه بطن مع تقارب . وجعل فعل الأمر للقوافي على السعة والجاز . وسنيس هم المأمورون . وهذا كما يقال في النهي : لا أرينك هاهنا ، والمخاطب هو المنهي ، لأن المعنى : لا تكن هاهنا فأراك . ثم بين هذا الشاعر الوجه الذي أوجب منه اطراح الافتخار ورفض الهجاء له ، فقال :

٢- إني امرؤ مكرم نفسي ومُتَدِّدٌ مِنْ أَنْ أَقَازِعَهَا حَتَّى أَجَازِيهَا

يقول : إني رجل أربأ بقدري عن مكابلتهم ، وأترفع عن موازتهم ، وأتوقف عن ملاحاتهم ، طلباً لجزائهم . والتقدير : لا أقاذعها لكي أجازيها ، لأن حتى الداخلة على الفعل مرة يكون بمعنى كفي ، ومرة يكون بمعنى إلى أن .

(١) التبريزي : « وقال بعض بني عبد شمس من فقعس » .

(٢) جعل « تقطف » هنا من القطف وهو بطن الدابة . وأما أبو رياش فجعلها من قطف الثمرة بمعنى قطعها ، أي لتدع قول الشعر فيما بيننا وبينها . وأما النمرى ففسرها من القطف : جني الثمرة ، أي إن فعلنا بهم شراً فهو جناية قوافيهم عليها . وهذا القول الأخير حسن جداً ، إلا أن ما بعده يدل على أنهم لم يجازوهم بعد ، لقوله : إني امرؤ مكرم نفسي ومتدد . وعلى هذين المعنيين تكون « تقطف » متعدية . وعلى ما فسره المرزوقي تكون لازمة .

ويجوز أن يكون المعنى : لا أفادِعُها إلى أن أُجازِيها ، أي أوَّلًا أُجازِيها فعلاً لأرى القُدرة عليها ، ثم حينئذ أُجازِيها بالكلام . والأول أحسن . ثم أخذ يقتصُّ ما كان منهم لما طلب مكافأَتهم بالفعل . والمُقادعة : المُفاحِشة . ويقال قَدَعْتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْفُحْشِ . وَمَتَّيْتُ : مُفْتَعِلٌ مِنَ التَّوَدُّدِ ، وَهِيَ الرَّفْقُ .

٣ - لَمَّا رَأَوْهَا مِنْ الْأَجْزَاعِ طَالِعَةً شَعْنًا فَوَارِسُهَا شُعْنًا نَوَاصِيهَا

يقول لَمَّا رَأَوْا الخيلَ بارزةً لهم ومفاجئةً إياهم من أجزاء الوادي - وهي جوانبها - مُغْبِرَّةَ النَّوَاصِي مغبرة الفرسان . وجواب لَمَّا فيما بعده . ويقال شَعِثَ شَعْنًا وشُعُوثةً ، وهو أَشَعَثُ وشَعِثُ . وأضمر الخيل في قوله « لَمَّا رَأَوْهَا » وإن لم يجر لها ذِكْرٌ ، لأن الحالة الحاضرة تدلُّ عليه . ويجوز أن يكون تقدّم ذكرها فيما ترك من أبياته .

• شَعِنَ فلان : اسَّخَّ .
• وشَعِنَ شعره : تَغَيَّرَ .
• وتَلَبَّدَ .

٤ - لَأَذَتْ هُنَالِكَ بِالْأَشْعَافِ عَالِمَةً أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ بَلِيلٍ أَمْرًا فَاوِيَهَا

يقول : التجأت في ذلك الوقت إلى قُللِ الجبال وأعالِي الهضاب ، عارفة سوء اختيارها في تحكُّمها بي ، وتعرَّضَها بالشُّعري ، وأنها قد اثتمرت لغواتها بَلِيلٍ . وذَكَرَ الليل هاهنا إشارةً إلى حَيْرَتِها فيما أَتَتْه من تَرَكَها الرَّشاد ، وقبولها مشورة الغواة . والأشعافُ : جمع الشَّعْفَةِ ، وهي أعلى الجبل ، وأعلى كلِّ شيء ، ولذلك قيل شَعْفَةُ القَلْبِ لرأسه عند معلقِ النِّياط . وهنالك ظرف ، ويكون للزَّمانِ والمكانِ جميعاً ، وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه ، كأنَّ البعدَ فيما يُشار إليه بهُنَالِكَ أبلغُ مما يكون فيما يشار إليه بهنالك . وهذا على طريقة ما تقوله في ذلك وذاك . وقوله « أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ » أن فيه مخففة من الثقيلة ، أي عالمة أنها قد أطاعت . ويقولون لما لا يُعْمَلُ بتثبُّتٍ وحُسن تدبُّرٍ : « هذا

أمرٌ قد قُدِّرَ بليلى . وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ .

٧٥

وقال آخر في ابن له :

١- لا تعذلي في حُدْجٍ إن حُنْدُجًا وليتَ عِفْرَيْنِ لَدَيَّ سَوَاءِ

يخاطب لأئمة عذلته في التوفر على ابنه حُنْدُجٍ واختصاصه إياه واستخلاصه ، وذكر الخليل أن حُنْدُجًا في اللغة : رَمَلَةٌ طَيِّبَةٌ تُنْبِتُ أَلْوَانًا مِنَ النَّبَاتِ . فيقول : لا تلوميني في أمر حُنْدُجٍ ، إن حُنْدُجًا وليتَ هذه المأسدة متساويان عندي . وقد قيل في لِيثِ عِفْرَيْنِ : إنها هي التي تصيد الدُّبَابَ وَثَبًا ، فشبَّهه في كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ بِهِ ، وقد وُصِفَ الخبيث المُنْكَرُ بِالْعِفْرِ وَالْعِفْرِيَّةِ وَعَفْرَتِي ، ويقال أيضا للأسد عِفْرٌ وَعَفْرَتِي . وقيل هو أشدُّ عَفَارَةً ، واستعفَرَ فلانٌ . وحكى الأصمعي أن لِيثِ عِفْرَيْنِ دَابَّةٌ كَالْحِرْبَاءِ يَتَحَدَّى الرَّاكَبَ وَيضربُ بِذَنبِهِ (١) . وقيل عِفْرَيْنِ : موضعٌ نُسِبَ إِلَيْهِ ، وقيل عِفْرَيْنِ : فَعِلَيْنِ مِنَ الْعَفْرِ ، وهو التُّرَابُ ، لأنَّ عَادَةَ الْأَسَدِ أَنْ لَا يَصِيبَ مِنْ فَرِيستِهِ حَتَّى يُعِفَّرَهُ ، يشهد لذلك قولُ الآخر في صفتِهِ :

* وَلَا نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعَفَّرَا (٢) *

وذكر بعضهم أن لِيثَ عِفْرَيْنِ كقولهم : لَيْتَ لِيُوثٍ ، لأنه يقال للمُنْكَرِ الدَاهِيَةِ عِفْرٌ ، ويوصف به الأسود والرَّجَالُ . ويكون على هذا عِفْرَيْنِ جُمعَ جَمْعَ السَّلَامَةِ كَالْأَفْوَرَيْنِ ، ومَرَّ بِي أَنْ قَوْلُهُمْ لِيثَ عِفْرَيْنِ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَسَوَاءٌ : مصدرٌ فِي الْأَصْلِ وَصِفَ بِهِ .

(١) م : « تتحدى الراكب وتضرب بذنبها » .

(٢) م « حتى يعفرا » .

٢ - حَمِيَتْ عَلَى الْمُهَّارِ أَطْهَارَ أُمَّهِ وَبَعْضُ الرَّجَالِ الْمُدَّعِينَ جُفَاءً

يُبيِّن في هذا الكلام انتفاء الرِّيبِ عن مشابهته له ، وتقيُّله إِيَّاه ، وأنه لا يُشَكُّ في كونه من صُلْبِهِ ، فيقول : حَفِظْتُ أَطْهَارَ أُمَّهِ عَنِ الزُّنَاةِ ، لِأَنِّي اخْتَرْتُهَا مِنْ بَيْتِ الْعَفَّةِ ، وَأَرُومَةِ الْكَرَمِ ، وَمَغْرَسِ النَّجَابَةِ ، وَالْعِتْقِ وَالشَّهَامَةِ (١) وَدَعَوَايَ حَقًّا ، وَبَعْضُ دَعَاوِي الْمُدَّعِينَ كَالَّذِي يَعْلُو السَّيْلَ وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ سَقَطِ الْأَرْضِ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : وَبَعْضُ دَعَاوِي الرَّجَالِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَالْعَهْرُ وَالْعُهُورُ : الْفَجُورُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « حَمِيَتْ عَلَى الْمُهَّارِ » مَا أَرَادَ امْرَأَتُ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ :

• يَزِنُ : مُيْتِمٌ . * وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الْخَالِي (٢) *

أَي بَفَرَطٍ غَيْرَتِي وَكَمَالَ رُجُولِيَّتِي وَتَمَامِ مُحَاسِنِي . وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَطْهَارَ لِمَا فِي الْحَيْضِ مِنَ الْاعْتِزَالِ ، وَكَأَنَّ الْقَالَ الْآخِرَ (٣) :

* دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ (٤) *

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ جُفَاءً : وَبَعْضُ الرَّجَالِ مَحْمُولٌ دَعِيًّا ، فَهُوَ كَالْجُفَاءِ لَا يُعْتَدُّ بِهِ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ .

٣ - فَجَاءَتْ بِهِ سَبْطَ الْعِظَامِ كَأَنَّهَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّجَالِ لِوَاءِ

(١) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّمَا وَصَفَ الشَّاعِرُ ابْنَ أُمَّةٍ . يَقُولُ : لَمْ أَسْبِهَا كَمَا تَسْبِيبُ الْإِمَاءَ فَجَاءَتْ بِهِ لِرَشْدَةٍ . وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى قِصَّةِ الْبَيْتِ عَرَفْتَ مُصَدِّقَ مَا قَلْتَهُ . أَكْتُبْنَا أَبُو النَّدِيِّ . قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَنَابٍ مِنْ بَلْقِينٍ عِنْدَهُ ابْنَةٌ عَمٌّ ، لَهُ مِنْهَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ سِيَارٌ ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مِنْ أُمَّةٍ يُقَالُ لَهُ دَمَلِجٌ ، فَكَانَتْ الْحَرَّةُ إِذَا رَأَتْهُ يَلْطَفُ دَمَلِجًا يَبْعُضُ اللَّطْفَ لِأُمَّتِهِ وَغَضِبَتْ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

الأنمي في دملج إن دملجا وشركة سيار إلى سواء

شغلت عن العشاق أطهار أمه وبعض الرجال المدعين زناء

(٢) صدره : * كذبت لقد أصبني على المرء عِزَّه * . أ. أصبي : أذهب بفؤادها .

(٣) هو الأخطل . ديوانه ١٢٠ وشرح شواهد المغني ٢٢١ . وعمس الرجل : زوجه

(٤) صغره : * قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم *

يقول : جاءت الأمُّ بهذا الولد وهو تامُّ العظام مديدُ القامة ، فكأنَّ قامته رَمَحَ ، وكانَّ عمامته إذا تَوَسَّطَ الرَّجَالَ لَوَاءً مَحْمُولٌ عَلَيْهِ . وأحسن صنعةً منه قولُ مسلمٍ ، وإن كان هذا سليماً من العيب .

يَقُومُ مَعَ الرَّمْحِ الرُّدِينِيِّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نَجَادٍ
وفي طريقته قولُ الآخر (٤) :

* يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ (٥) * الغارب : مُعَدَّمُ السِّنَانِ ، أَيِ
بَلَعَتْ قَامَتَهُ قَامَةَ الْفَحْلِ .

٧٦

وقال آخر (٥) :

١ - إذا كان أولادُ الرَّجَالِ حَزَاةً فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْخُلُوعُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ (٦)

إذا يتضمَّن معنى الجزاء ، ولهذا احتاج إلى الجواب فجعل بالفاء . فيقول :
إذا كان الأولاد تقطيعاً في الصدور وتحزيراً في القلوب ، لعقوقهم واستعمالهم الجفاء
في موضع البرِّ مع آبائهم ، فأنت العسل مشوباً بالماء العذب . وقد وصف بعضهم
كلاماً فقال : « هو السَّحْرُ الحلال ، والعذبُ الزُّلال » . ويشير الشاعر إلى سهولة
جانبه ، وحسن طاعته ، ودماثة خلقه . وقال الخليل : الحزاة : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ
من غَيْظٍ أو أذى . والحزَّاز أيضاً كذلك ، وأنشد بيت الشَّامِخ :

(١) هو فرعان بن الأعراف ، يقوله في ابنه منازل . الحماسية ٦٠٣ . رَبِّيَّةٌ وَرَبِّيَّةٌ وَتَرْبِيَّةٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٢) صدره : * تَرْبِيَّةٌ حَتَّى إِذَا آخَصَ شَيْطَانًا * آضِدٌ : صَارَ . السَّيْظِمُ : الطَّوِيلُ الْغَلِيظُ .

(٣) قال أبو ريش : هو لأبي الشنب العسبي ، وقال أبو عبيدة : للأقرع بن معاذ القشيري .

(٤) أول المقطوعة عند التبريزي :

رَأَيْتَ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ . وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَسْرِهِ عَتَبٌ .

قال : « ليس في بره عتب ، أي ليس فيه فساد . قال أبو هلال : الوجه أن يقال إنه لا يمن
ببره فينكر منه ذلك ، يقال عتبت على الرجل عتبا ، إذا أنكرت عليه شيئاً من فعله . ويجوز أن
يقال : إنه يعم بالبر جميع أهله فليس يعتب عليه أحد منهم ، أو يقوم بجميع ما يحتاج إليه أبوه .
فلا يعتب عليه في شيء » .

* المراد بالحرز هنا بما تولد في قلبه

من الحزن، ولومه نفسه على بيع هذه

القوس الحبيبة إليه - وقد وصفها

في أبيات سابقة - .

والحازم: الشديد المعض.

* وفي الصدر حرزاً من اللوم حازم^(١) *

٢ - لنا جانب منه دميث وجانب إذا رامه الأعداء ممتنع صعب

خاطب في الأول ثم عدل في الثاني إلى الإخبار، وهذا عادتهم إذا افتنوا في كلامهم، نظموا أو نثروا، لما في التحول من سهولة تجاوب الألفاظ، وتلاؤم طرائق النظام. فيقول: لنا من هذا الولد خلق سجيح، ومذهب في البر فسيح، فهو هين لئن معنا، وللأعداء منه إذا طلبوه أو جربوه جانب خشن مدفع، وطريق صعب متلف، وخلق وعر شرس. ولم يقل وللأعداء جانب ولكن عطف الثاني على الأول، بمعنى أن أحدهما لاجتذاب الخير، والآخر لدفاع الشر. فكان التقدير: ولنا منه جانب معد للأعداء ذلك صفته، فصار الجانبان لم في اللفظ، والقسمه ثابتة في المعنى. والدمانة: سهولة الخلق ولين الجانب. ويروى «ممتنع صعب»، و«متلفة صعب»، والمعنى ظاهر.

٣ - وتأخذه عند المكارم هزة كما اهتزت تحت البارح الغصن الرطب البارح: ريح حارة تهب من قبل اليمن. فيقول: تملكه عند اكتساب المكارم أريحية يهتز عندها اهتزاز الغصن الرطب، الذي جرى الماء فيه، إذا هبت عليه البارح. و«كما اهتز» أراد كاهتزاز. وقوله «تحت البارح» حسن جداً، لأن الريح تعلق الغصون في سرورها. وقد نسبوا البارح إلى النجوم إذا ذكروا الأنواء. قال:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى عيالك قد أمسوا صاميل جوعاً^(٢)

(١) صدره في ديوان الشماخ ٤٩ والسان (حز، حمز):

* فلما شراها فاضت العين عبرة *

. شراها: باعها.

(٢) انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوق (١: ٢١٦) ومجالس ثعلب ٤٩٠.

هذا يقوله بعض المتلصّصة . وعيالها : الشَّرَاقُ ، وذلك أنَّ البَارِحَ تَحْمِلُ الغُبَارَ وتَدْرُسُ الآثارَ ، فَتَجَسَّرُ المتلصّصة على السَّعي ، وَتُمْكِنُهُمُ السَّرِقَةُ .

٧٧

وقال آخر (١) :

١ - وفارقتُ حتى ما أبالي من النوى وإنَّ بآنَ جيرانُ عليٍّ كرامُ (٢)

يُروى : « مَنْ انْتَوَى » وهو افتعل من النوى ، وهي الوجهة المنوية للقوم ، أو البُعد . يقول : ألفتُ مفارقة الوطنِ والإخوانِ شيئاً بعد شيءٍ ، واعتدتُ التَّبَاعُدَ عنهم يوماً بعد يوم ، حتى لا أبالي من انتوى منهم أو نأى ، وإنَّ كَرُمُوا عليّاً عند المجاورة . ومن روى : « لا أبالي من النوى (٣) » فمعناه لا أحتفل به ، والأوّل أحسن . فإن قيل : كيف تعلقَ « حتى » بفارقتُ ؟ وما معناه ؟ قلت : أراد تكررَتُ المفارقةُ عليّاً وقتاً بعد وقتٍ ، وحالاً بعد حالٍ ، إلى أن صيرتُ لا أبالي بالفراق . فمعنى حتى : إلى أن . وقوله « فارقتُ » مُستصلحٌ للقليل والكثير ، فانصرف إلى الكثير ، بدلالة أنَّ المتمرّن بالبلاء قديماً ، والمتحكك به كثيراً ، هو الذي يستهين به كثيراً ، دون من مارسته يسيراً ، وعالجه حديثاً .

٢ - فقد جعلتُ نفسي هي النَّأيِ تنطوي وعيني على فقدِ الصديقِ تنامُ
جعلتُ نفسي ، بمعنى طَفِقتُ وأقبلتُ ، ولذلك لا يتعدى . فيقول : أخذتُ نفسي تصبرُ على النَّأيِ ، وتنطوي على الفراقِ ، فلا يظهر منها جزعٌ ، ولا تبوحُ بشكْوٍ ، وعيني تنامُ على فقدِ الصديقِ منهم فلا تسهر ، ولا تبكي

(١) التبريزي : « وذكّر أنه لعبد الصمد بن المعذل ، وقيل للحسين بن مطير » .

(٢) التبريزي « ويروى : وفارقت حتى ما أحن من النوى » .

(٣) كذا في النسختين مع اتفاقهما في صلب البيت أنه « ما أبالي » .

فتذرف . وهكذا النفسُ إذا وُطِّتْ على الشدائد ، وتمرَّنتُ بالمصائب . وقوله :
« تَنْطوي » أصلُ الطَّيِّ الثَّني والقَبْضُ ، ومنه الطاوي والطَّيَّان .

٧٨

وقال آخر (١) :

١ - رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاغُ لَهُ وبالمصائبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
يقول : فُرِّعْتُ بِالفِرَاقِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَثَانِيَةً بَعْدَ أُولَى ، حَتَّى صِرْتُ
لَا أَرْتَاغُ لَهُ ، وَوَاظَبْتُ المصائبِ عَلَيَّ وَاتَّصَلْتُ فِي الأهلِ تَارَةً ، وَالإخوانِ
أُخْرَى ، حَتَّى صارت الرِّزَايا بِالإلْفِ كَأَنَّها مِرازِيٌّ وَعَطَايا . وَالكلامِ فِي حَتَّى
وَاتصالهِ وَمَعناه عَلَيَّ مَا تَقَدَّمَ .

٢ - لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضَنُّ بِهِ إِلا اصْطَفَاهُ بِنَأْيٍ أَوْ بِهِجْرانِ
يقول : لَمْ أَدْخِرْ لِنَفْسِي عِلْقًا نَافِئًا فِيهِ إِلا زاحمِي الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَاسْتَأْثَرَ بِهِ ،
إِما بِإيقاعِ بَعْدِ بَيْننا ، أَوْ إِحداثِ هِجْرانِ تَوَسَّطَنا . وَأَصْلُ العِلْقِ : المِمالِ
الكَرِيمِ ، وَجمعه أَعْلاقٌ وَعُلُوقٌ . وَاسْتَعَارَهُ هاهنا .

٧٩

وقال طفيل الغنوي (٢) :

١- وما أنا بالمستنكرِ البينِ إنني بذِي لَطفِ الجِيرانِ قَدِما مُفجِعِ

(١) التبريزي : « قال أبو العلاء : هذا يروى لمؤرج السدوسي ، وكان مؤرج يكنى
أبا قيد . »

(٢) هو طفيل بن عوف ، أو هو طفيل بن كعب الغنوي . كان من أوصاف الناس للخيل .
وكان يقال له في الجاهلية المحبر ، لحسن شعره . وطفيل شاعر جاهلي فحل كان أكبر من النابغة .
وليس في قيس فحل أقدم منه . الأغاني (١٤ : ٨٥ - ٨٧) والخزانة (٣ : ٦٤٢ -
٦٤٣) والعيني (٣ : ٢٤ - ٣١) والاشتقاق ١٦٥ والمؤتاف ١٤٧ ، ١٨٤ والاختصاص
٣٢٧ والشعر والشمرء ٤٢٢ .

يقال : نَكَرَ وَأَنكَرَ وَاسْتَنكَرَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . فيقول : أَنَسْتُ بِفِرَاقِ
الْأَحَبَّةِ بَعْدَ نَفَرْتِي^(١) ، وَبِيعُدُ ذَوِي اللَّطْفِ عَقْبَ^(٢) قَلْتِي ، وَذَلِكَ لِأَنِّي
فُجِّعْتُ بِالْخُلَطَاءِ وَالْجِيرَانِ قَدِيمًا ، حَتَّى صَارَ كَالْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ . وَقَوْلُهُ « بَدِي
لَطْفِ الْجِيرَانِ » أَرَادَ بِلَطِيفِ الْجِيرَانِ ، أَي بِاللَطِيفِ مِنْهُمْ . وَقَدَّمَ
ظَرْفَ الْمَفْجَعِ .

٢ - جَدِيرُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَحْبَتُهُمْ إِذَا أَنَسُ عَزُّوا عَلَيَّ تَصَدَّعُوا

يقول : أَنَا خَلِيقٌ بِالْبَيْنِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ أَجَاوِرُهُمْ إِذَا اسْتَوْقَفْتُ قُرْبَهُمْ ،
وَاسْتَحْلَيْتُ الْكَوْنَ مَعَهُمْ ، حَتَّى لَا يَعْزُّ عَلَيَّ أَنَسٌ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ كَثْبِ .
وَالْأَنَسُ : الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ . يَقَالُ : رَأَيْتُ مَعَهُ أَنَسًا كَثِيرًا ، أَي نَاسًا .
تَصَدَّعُوا : تَفَرَّقُوا . وَمِنْهُ يَقَالُ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ بَفُلَانٍ ، إِذَا تَغَيَّبَ هَارِبًا .

٨٠

وقال الراعي^(٣) :

١ - وَقَدْ قَادَنِي الْجِيرَانُ حِينًا وَقَدْتُهُمْ وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَحِنُّ جَمَالِيَا^(٤)

يقول : جَدَّبَنِي الْخُلَطَاءُ زَمَانًا وَجَدَّبْتُهُمْ ، حَتَّى كُنْتُ فِي حُكْمٍ مِنْ لَا يَصْبِرُ
عَنْهُمْ ، وَلَا يَنْفَكُ مِنْهُمْ ، كَالْقَائِدِ لِلشَّيْءِ وَهُوَ مَقْوَدٌ لَهُ ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ هَذِهِ صِفَتَهُ
مَعَ شَيْءٍ فَهُوَ يَلْزِمُهُ وَلَا يَفَارِقُهُ . وَالْآنَ فَارَقْتُهُمْ فَلَا أَحْنُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا أَنْزِعُ نَحْوَهُمْ .

(١) م : « نفرى » .

(٢) كذا بسكون القاف في النسختين ، وهي لغة صحيحة .

(٣) الراعي لقب له ، واسمه عبيد بن حصين بن معاوية ، أو حصين بن معاوية العمري ،
وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف الإبل في شعره . وهجاه جرير لأنه كان آتاهم بالميل إلى

الفرزدق . الأغاني (٢٠ : ١٦٨ - ١٧٣) والمؤتلف ١٢٢ والخزانة (١ : ٥٠٢ -

٥٠٤) والاشتقاق ١٧٩ والنقائض في مواضع كثيرة . والشعر والشعراء ٣٧٧ - ٣٨١ .

(٤) البيتان في معجم البلدان (وهين) .

وَنَسَبَ الْحَنِينَ إِلَى جَمَالِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ النَّفْسَ ، لِأَنَّهَا فِي الْحَنِينِ أَقْلٌ صَبْرًا
حَتَّى رِبْمَاتِهِمْ عَلَى وُجُوهِهَا ، وَتَنَدُّ عَنْ صَوَاحِبِهَا ، طَلَبًا لِلإِئْفَ ، وَجَزِيًّا مَعَ
الهُوَى . وَعَلَى هَذَا قَالَ مَنْ قَالَ فِي مَخَاطَبَةِ رَاحِلَتِهِ وَقَدْ رَأَاهَا :

فِيَّيْ مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجَدِي وَلَكِنْ أَصْحَبَتْ عَنْهُمْ قَرُونِي (١)

• القرون : النفس .
• أصعب : انقاد .

٢- رجاؤك أنساني تذكر إخوتي ومالك أنساني بوهبين ماليا

يقول : أملي فيك أنساني الفكر في إخوتي وأهل بيتي ، وطمعي في مالك
أنساني مالي بوهبين . وهذا قاله لأنه يرى أن رجاءه فيه لتحققه صار مؤثرا
على ذكر وطنه وعشيرته ، وأن ما طمع فيه من ماله لما كان أكثر مما ملكه
بوهبين صار منسيا له .

* * *

وهذه المقطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظاة والقسوة ، وذكري قلة
الفكر في الأوطان والأحبة ، وتناسي العهود والأذمة ، ومفارقة الأماكن
المألوفة . والحلل المورودة ، وشكوى النفس إلى التنائي والغربة ، دخلت
في باب الحماسة . وبمثل هذه المناسبة دخل فيه كثير من نظائرها . وسندل
عليها إذا اتهينا إليها .

٨١

وقال آخر :

١- وإنا لتصبح أسيفنا إذا ما اضطبحن بيوم سفوك

يروى « تُصْبِحُ » بفتح الباء على ما لم يسم فاعله ، فيكون المعنى : إنا
لتسقى أسيفنا الصبوح بيوم سفوك إذا ما اضطبحن . ومن روى « لتصبح »
بكسر الباء فخبير أصبح في الثاني ، وهو « منابرهن بطون الأكف » .
والمعنى : إنا لتصير أسيفنا إذا شربت الصبوح في يوم سفوك للدماء بهذه الحالة .

(١) في اللسان (قرن) : « أسمحت عنهم قروني » . والبيت لرجل من بني كليب . انظر ص ٢٩٥ .

ونسبَةُ السَّفَكِ إِلَى الْيَوْمِ مَجَازٌ لَمَّا كَانَ يَقَعُ فِيهِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : نَهَارُهُ صَائِمٌ .
 ٢ - مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَعْمَادُهُنَّ رِءُوسُ الْمُلُوكِ
 أراد أنها تُنْتَضَى فَتَخْطُبُ وَاغْطَةُ لِلْأَعْدَاءِ زَاجِرَةٌ ، وَمُنْذِرَةٌ لِلْكُمَاةِ
 مُحْذِرَةٌ ، لَكِنَّ مَنَابِرَهُنَّ أَكْفُ الضَّارِبِينَ ، وَأَعْمَادُهَا إِذَا أُغْمِدَتْ رِءُوسُ
 الْمُلُوكِ الْمُعْظَمِينَ . وَهِيَ يَتَبَجَّحُونَ بِقَتْلِ الْمُلُوكِ وَقِتَالِهَا . وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ :

• بحفير : الكِنَانَةُ وَالْحَبَّابَةُ الَّتِي

* يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ *

تُجْعَلُ فِيهَا السِّهَامُ .

وقوله :

وَالنَّجِيدُ : السَّجَاعُ الْمَاضِي فِيهَا

مِنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقِتَالُهَا وَقِتَالُهَا يَعْجِزُ عَنْهُ عَيْرُهُ .

وَالْمَنَابِرُ : مَوَاضِعُ النَّبْرِ ، وَهُوَ الصَّوْتُ ، لِأَنَّهَا نُصِبَتْ لِلخُطْبِ وَالْمَوَاعِظِ

وَالتَّحْمِيدَاتِ .

٨٢

١ - لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ نِزَاعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ (١)

يقول : لَا يُزْهَدَنَّكَ اشْتِيَاقُكَ إِلَى السَّكَنِ ، وَحَنِينُكَ إِلَى الْوَطَنِ ، فِي
 إِثَارِ سَعَةِ الْعَيْشِ وَرَغَدِهِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالشُّكُوفِ . وَيُرْوَى : « نِزُوعُ نَفْسٍ »
 وَالنِّزُوعُ اشْتِهَارُهُ فِي الْكُفِّ عَنِ الشَّيْءِ ، وَالنِّزَاعُ فِي الشُّوقِ ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا
 وَقُوعًا أَحَدَهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ فِي النَّشُوقِ . وَيُقَالُ نَاقَةٌ مَنَازِعُ وَنِزُوعٌ . وَقَدْ
 أَنْزَعُوا ، إِذَا حَنَّتْ إِبِلُهُمْ . وَالنِّزْعُ : الْجَذْبُ ، وَيُقَالُ : خَرَجَ نَازِعَ يَدٍ ، إِذَا
 خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ .

٢ - تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلِ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

(١) جعل التبريزي الرواية الأولى : « نزوع نفس » ، ثم نبة على رواية « نزاع » .

هذا تسليّة للنفس عن الأهل . يقول : تجدُ بكلِّ بلدٍ تنزِلُ به أهلاً بدلاً من أهلك ، وجيراناً بدلاً من جيرانك . والعربُ تقولُ : هذا بذاك ، أي هو عَوْضٌ منه . وإنما ضَمَّنَ أبو تمام هذه الأبياتَ بابَ الحماسة ، لما قدَّمته من أنها صادرةٌ عن قسوةٍ شديدةٍ ، وقلةٍ فِكْرٍ في التحوُّل عن الإلف والعادة ، ولأنَّ تَرَكَ الوطن والإخلال بالعشيرة يُضَمُّ إلى القتل وتلف النفس ، فالصبر عليه كالصبر على القتل . ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ .

٨٣

وقال بعض بني أسدٍ (١) :

١ - إِلَّا أَكُنْ مِمَّنْ عَلِمْتَ فَإِنِّي إِلَى نَسَبِ مِمَّنْ جَهَلْتِ كَرِيمِ

يقول : إن لم أكن ممن عرفتهم بالشرف ، فإنني أنتمي إلى شرفٍ كريمٍ ممن جهلتهم . كأنه يريد : ليس الاعتبارُ بما تعدَّيه شرفاً أو تعرفينه نسباً ، لكن الاعتبار بحصول الكرم على أي وجهٍ حصل ، وحوز المجد وإن جهله من جهل . وقوله « إلى نسبٍ » يتعلقُ بفعل مضمرٍ ، كأنه قال : فإنني أنتمي إلى نسبٍ .

٢ - وَإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي عَلَى الزَّادِ فِي الظَّالِمَاءِ غَيْرُ شَتِيمِ

يقول : إن لم أكن النهاية في الجودِ فإنني لا أشتُمُ بسبب الزاد في الليلة المظلمة ، فلا أذمُّ لصرفي الضيف عن نفسي بالعلل الكاذبة في الشتوة القحطة . وقد اشتمل قوله « على الزاد في الظالماء » على ما بيَّنا وأكثر منه . وهذا الذي خبرَ

(١) التبريزي : « قيل لعبد العزيز بن زرارة » .

به عن نفسه هو الجُودُ ، لكنه أراد أن يُرِي من نفسه ترك ادعاء النهايات ، والأخذ بالاعتقاد في الحالات ، وإن كان تناهى من حيث اقتصد . ويقال زَيْدٌ الشُّجَاعُ كلُّ الشُّجَاعِ ، والمعنى أنه الكاملُ في معناه . ومن هذا الباب قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . وهذا كلامٌ من نظر لنفسه وغيره ، وتبين ما عليه وله ، فأثبت ما أثبت في أحسن مِعْرَضٍ ، ودفع ما دفع بالطفِ تعريضٍ . وتعلق على من قوله : « على الزاد » بشتم وإن كان مضافاً إليه ، لأنه أُجْرِي غير مَجْرِي لا ، لأنهما للنني ، فحُمِلَ الكلام على المعنى فكأنه قال : إِنِّي على الزادِ لا أَشْتَمُ . ونزيد هذا شرحاً فيما بعده .

٢- وإلا أكن كل الشجاع فإني بضرب الطلى والهام حق علم

هذا كالبيت الذي قبله . يقول : إن لم أكن النهاية في الشجاعة ، والمعنى إن لم يكن فعلي النهاية فيما يفعله الشجاع ، فإني عالمٌ حقاً بضرب الرءوس والطللى . والمتناهي في الشجاعة لا يتعدى فعله هذا ، لكنه سلك طريقته فيما قبله . الطللى : الأعناق وأعراضها ، والواحدة طلية . والباء من قوله « بضرب الطللى » تعلق بقوله علم .

فإن قيل : كيف ساغ ذلك والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ؟ قلت : لما كان قوله « حق علم » لا زيادة فيه إلا التوكيد لم يُعْتَدَّ بالمضاف ، فحُمِلَ الكلام على المعنى لا على اللفظ ، فكأنه قال : إِنِّي بضرب الطللى علمٌ جداً . ويجري هذا المجرى إجازتهم لقول القائل أنت زيداً غير ضاربٍ ، مع امتناعهم من إجازة أنت زيداً مثل ضاربٍ ، لما كانت معنى غير معنى لا ، فحُمِلَ الكلام على المعنى لا على اللفظ ، حتى كأنه قيل : أنت زيداً لا ضاربٌ . فاعلمه ، وبالله التوفيق .

٨٤

وقال عمرو بن شأس (١) :

١- أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهُوَانِ وَمَنْ يُرِدْ عِرَارًا لَعَمْرِي بِالْهُوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ

المُضْمَرَةُ فِي أَرَادَتْ رَابِعَةً عِرَارٍ ، فَقَالَ وَاللَّهِ عَمْرُوٌّ : أَرَادَتْ إِسْرَاطِي إِهَانَةً
عِرَارٍ وَالِاسْتِخْفَافَ بِهِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ فِي مِثْلِهِ فَقَدْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهِ . فَإِنْ قِيلَ : هَلْ تَفْصِلُ بَيْنَ قَوْلِهِ أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهُوَانِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ
لَوْ قَالَ أَهَانَتْ عِرَارًا ؟ قُلْتُ : بَلَى ، لِأَنَّ مَعْنَى أَرَادَتْهُ بِالْهُوَانِ أَرَادَتْ كَوْنَهُ
لَهَا وَصِحْبَتَهُ إِيَّاهَا بِاسْتِعْمَالِ الْهُوَانِ مَعَهُ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهُوَانُ وَإِقَاعًا ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ غَيْرَ وَاقِعٍ . وَمَعْنَى أَهَانَتْهُ : ابْتَدَلْتَهُ وَأَذَلَّتَهُ . فَهُوَ إِخْبَارٌ لَوْ قُوعِ
الْفِعْلِ بِهِ فِيمَا مَضَى . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ظَلَمَ : تَحَيَّفَ حَقَّهُ وَبَخَسَهُ .

٢- فَإِنْ كُنْتُ مَنِّي أَوْ تُرِيدِينَ صُحْبَتِي فَكُونِي لَهُ كَالسَّمَنِ رُبَّتْ لَهُ الْأَدَمُ

نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخِطَابِ ، عَلَى عَادَةِ تَفَنُّهِمْ . يَقُولُ : إِنْ
كُنْتُ تَهْوِينِ هَوَايَ ، أَوْ تُرِيدِينَ الْكُونَ مَعِي وَمَصَاحِبَتِي ، وَإِنْ انْطَوَيْتِ
فِي حُبِّهِ عَلَى مُخَالَفَتِي ، فَكُونِي لَهُ فِي تَصْنَعِكَ كَأَنَّكَ مُوَافِقَةُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ ،
جَارِيَةٌ مَعَهُ عَلَى الْحَدِّ الْوَاحِدِ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَإِظْهَارِ الْبَيْلِ وَالْمَوَدَّةِ . وَالسَّمَنُ

فِي اللِّسَانِ (رَبِي) :
أَرَادَ بِالْأَدَمِ : النَّحْيَ
يَقُولُ لِرُؤُوسِهِ : كُونِي
لَوْلَدِي عِرَارًا كَمَا كُنْتُ
رَبِّ أَدِيمِهِ أَيِ طَلِي
بُرْبًا الْعَمْرُ ، لِأَنَّ النَّحْيَ
إِذَا أُصْلِحَ بِالرُّبِّ ،
طَابَتْ رَأْيَتُهُ ، وَمَنْعَ
السَّمَنِ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَفْسُدَ
طَعْمُ زُورِيهِ .
يَقَالُ : رَبَّتْ فُلَانٌ بِحُبِّهِ
يُرْبُهُ رَبًّا إِذَا جَعَلَ
فِيهِ الرَّبَّ وَمِثْلَهُ بِهِ .

(١) عمرو بن شأس الأَسَدِي ، قَالَ الْجَمْحِي : « كَثِيرُ الشَّعْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَهُوَ
أَكْثَرُ طَبَقَتِهِ شَعْرًا » . وَأَسْلَمَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ . وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : « وَهُوَ
أَبُو عِرَارٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ عَمْرُوٌّ لِامْرَأَتِهِ » . وَأَنْشَدَ الْآبِيَاتِ . الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ٣٨٩ وَالْجَمْحِي
٤٦ - ٤٧ وَالْمَرْزُبَانِيُّ ٢١٢ - ٢١٣ وَاللَّكْنِيُّ ٧٥٠ - ٧٥١ وَالْأَغَانِيُّ (١٠ : ٦٠ -
٦٣) . وَقَالَ التَّبْرِيذِيُّ : « هُوَ مَخْضَرَمٌ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ
قَوْمِهِ وَابْنٌ مِنْ أُمَّةِ سُودَانَ يُقَالُ لَهُ عِرَارٌ ، فَكَانَتْ تَعْبِرُهُ إِيَّاهُ وَتُؤَذِيهِ وَيُؤَذِيهَا ، فَأَنْكَرَ عَمْرُوٌّ
أَذَاهُ لَهُ » .

• النَّحْيُ : زِقُّ السَّمَنِ .
 وَرَبَّتْ : طَلِيَ بِالشَّرْبِ .
 وَهُوَ مَا يُطْلَخُ مِنَ الشَّرِّ
 وَالْعَنْبِ .

إِذَا رُبَّ نَحْيُهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ . يَرِيدُ فَلَا تَتَغَيَّرِي أَنْتِ أَيْضًا . وَمَعْنَى رُبَّتْ لَهُ أَيُّ مِنْ أَجَلِهِ ، وَالْأَدَمُ : جَمْعٌ ، يُقَالُ أَدِيمٌ وَأَدَمٌ . وَهِيَ نَظَائِرٌ قَلِيلَةٌ : إِهَابٌ وَأَهَبٌ ، وَأَفِيقٌ وَأَفَقٌ ، وَعَمُودٌ وَعَمَدٌ .

• الظُّعِينَةُ : الزَّوْجَةُ .

٣- وَإِنْ كُنْتِ تَهْوَيْنَ الْفِرَاقَ ظَعِينَتِي فَكُونِي لَهُ كَالذَّبِّ ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ .

يَقُولُ : وَإِنْ كُنْتِ تُؤَثِّرِينَ مَفَارِقِي وَتَمِيلِينَ إِلَى التَّبَايِنِ عَنِّي فَأَسِيْبِي عِشْرَتَهُ وَكُونِي لَهُ كَالذَّبِّ ضَاعَتْ الْغَنَمُ مِنْ أَجْلِ وَقُوعِهِ فِيهَا . وَالْمَعْنَى عَاشِرِيهِ عِشْرَتَهُ لَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ » فَاتَتْهُ الْغَنَمُ بَعْدَ أَنْ أَمَكَّنْتَهُ . وَالسَّبْعُ إِذَا شَارَفَ فَرِيستَهُ ثُمَّ فَاتَهُ كَانَ ذَلِكَ مُهَيِّجًا لَهُ ، وَدَاعِيًا إِلَى الْفَسَادِ فِيمَا يُمَكِّنُهُ (١) .

٤- وَإِلَّا فِسِيرِي مِثْلَ مَسَارٍ رَاكِبٌ تَجَشَّمُ خَمْسًا لَيْسَ فِي سِيرِهِ أَمٌّ .

هَذَا كَمَا يُقَالُ عَلَى طَرِيقِ الْوَعِيدِ أَوْ إِظْهَارِ الزُّهْدِ لِمَنْ يُؤَمَّرُ شَيْئًا : أَعْمَلْ كَذَا وَكَذَا وَإِلَّا فَدَعُهُمَا وَلَا تَعْمَلْ أَحَدَهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ . يَقُولُ : وَإِلَّا فَلَا تُحْسِنِي إِلَيْهِ وَفَارِقِينِي مِنْ وَقْتِكَ . وَهَذَا إِظْهَارُ لَزْهَدِهِ فِيهَا ، وَاطَّرَاحَ تَكَلَّفَ الْإِشْتِرَاطَاتِ مَعَهَا . ثُمَّ قَالَ : لَيْكُنْ سِيرُكَ سِيرَ الرَّاكِبِ تَكَلَّفَ وَرُودَ الْمَاءِ لِحَمْسٍ ، وَلَيْسَ فِي سِيرِهِ قَصْدٌ وَلَا قُرْبٌ . وَقَوْلُهُ « مِثْلَ مَسَارٍ رَاكِبٌ » أَيُّ سِيرًا يُشَابَهُ سِيرَهُ . وَقَوْلُهُ « تَجَشَّمُ » مِنْ صِفَةِ رَاكِبٍ . وَالْأَمُّ : الْقُرْبُ ، وَيُقَالُ أَمْرِي مِنْ أَمْرِكُمْ أَمٌّ . وَيُرْوَى : « لَيْسَ فِي سِيرِهِ يَتَمُّ » أَيُّ إِبْطَاءً .

٥- فَإِنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ ذَا شَكِيمَةٍ تُتَلَقِّيْنَهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشِّيمَ .

يَقُولُ : إِنْ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ ذَا سُوءِ خُلُقٍ تُتَمَنِّينَ بِهِ وَتَشَقِّينَ بِمُقَاسَاتِهِ ، فَإِنِّي

(١) زَادَ التَّبْرِيْزِيُّ : « وَهَذَا تَهْدِدُ مِنْهُ لَهَا ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ » .

(٢) الْإِهَابُ : الْجِدَارُ الْمُحِيطُ بِجَسْمٍ كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَدْبُغَ . وَالْأَفِيقُ : الْجِدَارُ .

لَا أَمَلِكُ تَغْيِيرَ الطَّبَائِعِ وَالخَلَائِقِ . وَكَأَنَّهُ جَوَابٌ لاعتذارها مِنْ قلةِ الملاءمةِ
بينهما . والشَّكِيمَةُ : الحَدُّ والشَّدَّةُ . ويقال : إِنَّهُ لَشَدِيدُ الشَّكِيمَةِ ، أَي شَدِيدُ
العارضةِ . ويجوز أن يكونَ شَكِيمَةُ اللِّجَامِ - وهي الحديديةُ المعترضةُ منه في
الفم - مأخوذاً منه ، والجميعُ الشكائمُ .

٦- وَإِنْ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجُونَ ذَا الْمُنْكَبِ الْعَمِّ

• العاضع : الأبيض
اللون ، الحسن
و الوصح : البياض
كل شيء .

يقول : وَإِنْ وَلَدِي عِرَارًا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضِيءَ الْوَجْهِ مَمْسُوحًا بِالْجَمَالِ ، فَإِنِّي
أَحِبُّهُ عَلَى سَوَادِهِ وَتَمَامِ خَلْقِهِ . وَهَذَا كَأَنَّهُ إِسْقَاطٌ لِقَوْلِ مَنْ يُزَيِّفُ ابْنَهُ وَيُعَيِّرُهُ
الْقُبْحَ وَالذَّمَامَةَ . وَكَانَ عِرَارٌ هَذَا أَحَدَ الْفُضَّلَاءِ ، وَتَوَجَّهَ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ
أَبِي صُفْرَةَ إِلَى الْحِجَّاجِ رَسُولًا فِي بَعْضِ فُتُوْحِهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْحِجَّاجِ لَمْ
يَعْرِفْهُ ، وَازْدَرَاهُ ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ أَبَانٌ وَأَعْرَبَ مَا شَاءَ ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ وَالْمُرَادَ فِي كُلِّ
مَا سَأَلَ ، فَأَنْشَدَ الْحِجَّاجُ : « أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ ... » . الْأَبْيَاتُ مَثَلًا ،
فَقَالَ عِرَارٌ : أَنَا أَيْدَ اللَّهِ الْأَمِيرِ عِرَارٌ ! فَأَعْجَبَ بِهِ وَبِذَلِكَ الْإِتْفَاقُ . وَفِي هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْمَأْمُونِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ :

إِنْ يَكُنْ لِلسَّوَادِ فِيكَ نَصِيبٌ فَبِيَاضِ الْأَخْلَاقِ مِنْكَ نَصِيبِي

وَالْعَمِيمُ وَالْعَمَمُ : الطَّوِيلُ التَّامُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْجُونُ الْأَسْوَدُ هَاهُنَا ،
وَيُجْعَلُ مِنَ الْأَضْدَادِ .

• المنكب : جميع رأس
العصد والكشف .

٨٥

وقال آخر (د) :

١- لَوْلَا أُمَيْمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أَقْسِ الدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ

يُرَوَى : « ولم أُجِبْ في الليالي حِنْدِسَ الظلمِ » . والمبتدأ بعد لولا يُحذفُ خبرُهُ أبدأ ، ويُسْتغنى بجواب لولا عنه . والتقدير : لولا أُميمةٌ مانعةٌ لم أُجْزَع . فيقول : لولا ابنتي أُميمةٌ لم أخفِ الفقر ولم أرْحَلْ في طلبِ المال ، ولم أركب الليل ، فكنت أجوبُ ظمَاءه ، وأكابِدُ أهواله . والحِنْدِسُ : شدة الظلمة ، وقد اشتق منه الفعل ، فقيل : حِنْدَسَ الليلُ فهو مُحْنَدِسٌ ^(١) . ومعنى لم أُجِبْ : لم أقطع . وقاطع المواضع المظلمة كأنه قاطعٌ للظلمة . ومن رَوَى « ولم أفاَسِ ألدجى » يريدُ أهوالها . وإضافة الحِنْدِسِ إلى الظلمِ كإضافة البعض إلى الكل ، أي في الشَّدِيد من الظلم . ويقال تَحْنَدَسُ الرَّجُلُ ^(٢) ، إذا ضَعِفَ وسَقَطَ .

• الدجى : سواد الليل وظلمته . ويوصف به على لفظه ، يقال : ليلةٌ دُجِيَّةٌ وليالٍ دُجِيَّةٌ .

٢ - وزادني رَغْبَةٌ في العَيْشِ مَعْرِفَتِي ذَلَّ الأَيْتِيْمَةَ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ
يقول : زادني حِرْصًا على الدنيا ورَغْبَةً في العَيْشِ فيها ، عَلِمِي بذلَّ اليتيمة وقد جَفَاها أقاربُها ، وأطْرَحَها أهلُوها . وموضع « يَجْفُوها » من الإغراب نَصَبٌ على الحال لليتيمة ، والعامِلُ فيه ذلَّ اليتيمة . والتقدير : زادني مَعْرِفَتِي بذلَّ اليتيمة إذا جَفَاها ذَوُوها رَغْبَةً في العَيْشِ ومُهْلَةً العُمر .

٣ - أَحَادِرُ الفَقْرِ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِها فَيَهْتِكَ السِّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
قوله « أَنْ يُلِمَّ بِها » موضعه نَصَبٌ على البَدَل من الفقر . والمعنى : أَحَادِرُ إلامَ الفقرِ بِها فَيَكشِفُ السِّتْرَ عَمَّنْ لا دِفَاعَ به ، فتناولهُ من شاء بما شاء . والعربُ تَقُولُ : « النَّساءُ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ إِلا ما ذُبَّ عَنْهُ » . والوَضْمُ : خِوَانُ الجِزَارِ والخَبَازِ ، ومَوْضِعُهُ مِيضَمَةٌ ، والجميعُ المَوَاضِمُ .

• الخوان : المائدة .
والوضم : كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو صمير أو نحو ذلك ، يُوقَى به من الأرض .

٤ - تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الحَرَمِ

(١) هذا الفعل ومشتقه مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٢) ورد في القاموس ، ولم يرد في اللسان .

يقول : تحب ابنتي بقائي لها ، وأنا أودُّ موتها إشفاقاً عليها ، وخوفاً من
ابتدال يلحقها ، وابتلاء بمن لا يعرف لها ما يعرف لمثلها ، ثم قال : والموتُ
أكرمٌ نزالٍ على الحرمِ ، كما قيل : « نعيمَ الختنِ القبرُ » و « دَفنُ البناتِ
من المكرماتِ » . وانتصب شفقاً على أنه مفعولٌ له .

• المختار : الصهر .

٥ - أَخَشَى فِظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءِ أَخٍ وَكُنْتُ أُبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الْكَلِمِ .

هذا تفسير قوله « أهوى موتها شفقاً » يريد : أشفقُ من مغالطة عمِّ لها ،
أو جفوة أخٍ تلحقها ، وأنا كنتُ^(١) أُبْقِي عليها من إيذائها بالكلمِ فضلاً
عن غيرها من الأفعال . يقال : رَجُلٌ فَظٌّ ، إذا كان قاسي القلب غليظ القول .
والكَلِمُ : جمع كلمة . ومعنى : « أَدَى الْكَلِمِ » الأذى الذي يلحقُ
من الكَلِمِ .

وهذه الأبيات مع ما يشبهها لما ضادت ما قبلها في تضمينها رقة القلب ،
والتعطُّفَ على الولدِ والأهلِ ، أتبعها بها . وكلُّ ذلك كالعارض ثم يعود إلى
ما بنى عليه الباب . وهذا عادة أبي تمام في أبواب هذا الاختيار . ويشبهها
قول الآخر^(٢) :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا بَنَاتِي لِإِنَّهُنَّ مِنْ الضَّعَافِ
أَحَازِرُ أَنْ يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ^(٣)
وَأَنْ يَغْرَيْنَ إِنْ كُسيَ الْجَوَارِي فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمِ عِجَافِ

• الرنق : الماء الكدير .

• نبا البصر عن الشيء :

أعرض عنه ونفر .

(١) م : « وإنما كنت » .

(٢) هو أبو خالد القناني ، كما في الكامل ٥٢٩ لبيسك واللسان (كرم) .

(٣) الكامل : « أن يرين الفقر » .

٨٦

وقال خطاب بن العلي^(١) :

١ - أنزلني الدهرُ على حكمِهِ من شامِخِ عالٍ إلى خَفَضِ

يقول بالدهرِ حُكْمٌ مَعْرُوفٌ، وطَرِيقٌ مألُوفٌ، في رَفَعِ الوَضِيعِ، ووَحَطَ الرَفِيعِ، فأَجْرَى حُكْمَهُ عَلَيَّ، وأنزَلَني عن رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ إلى مَنزِلَةٍ مُنخَفِضَةٍ، وانخَفَضَ: ضِدُّ الرَفَعِ، وهو مَصْدَرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ المَفْعُولِ. يريدُ إلى مكانٍ مُنخَفَضٍ.

٢ - وغالني الدهرُ بِوَفْرِ الغِنَى فَلَيْسَ لي مالٌ سِوَى عِرْضِي.

يرَوَى: عالِي «ومعناه غلبنى»، ويروى: «غالني» ومعناه أهلكني بارتجاع عواريه من المال، واستلاب ما كنتُ وُفِرْتُ^(٢) به من العتاد، فمالي مالٌ سِوَى نَفْسِي، وليس النَّفْسُ من المالِ في شيءٍ. ومَوْضِعُ «سوى» نَصْبٌ على أنه استثناءٌ خارجٌ، وهذا الاستثناءُ يتأكَّدُ به انتفاءُ الغِنَى. ومثله قوله: ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أنَّ سِيوفهم بهنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ^(٣)

ويجوز أن يكون المعنى: ليس لي غِنَى سِوَى غِنَى نَفْسِي، فحذَفَ المُضَافَ، والمعنى: إنَّ نَفْسِي غَنِيَةٌ فلا تَطْمَعُ في المَكاسِبِ الوَضِيعَةِ، ولا تَتَدَنَسُ بِالمالِ كُلِّ الخَبِيثَةِ. وقوله «بوفر الغنى» أي بِسَلْبِ وَفْرِ الغِنَى، فحذَفَ المُضَافَ. ويتعلَّقُ الباءُ منه بقوله غالني. والوفْرُ: كَثْرَةُ المَالِ، وأضافَهُ إلى الغِنَى، لأنَّ المراد المَالُ الذي يَحْصُلُ

(١) كذا باتفاق النسخين. التبريزي: «حطان بن العلي» وذكر عن اشتقاقه عن أبي العلاء: «حطان فعلان من الحط».

(٢) م: «وقرت» بالقاف.

(٣) البيت للناطقة الذبياني في ديوانه ٦.

به الغنى . وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة بينهما ، سواء كان له أو عليه ، أو معه أو فيه ، أو من أجله ، أو مما يليه . ويجوز أن يكون موضع « بوفر الغنى » نصباً على الحال للدهر ، كما تقول : فأتني فلان بكذا ، والمعنى فأتني مستضجباً له . ومثله : جاء في أطمار ، أي لايساً لها . ويجوز أن يكون حمل الكلام على الغنى ، فعدي غالي تغدياً فجعني ، لأنه في معناه ، فكأنه قال : فجعني بوفر الغنى وأصابني .

• الأطمار : جمع طمر ، وهو الثوب المخلق البالي .

٣ - أبكاني الدهرُ وياربما أضحكني الدهرُ بما يُرضي

قوله « بما يُرضي » يدلُّ على أنه أضمر مع قوله أبكاني الدهر شيئاً يكون في مقابلته ، وحذف لأن المراد مفهوم . والمعنى أبكاني الدهرُ بما يُسخط . وقوله « ياربما » المنادى فيه محذوف ، كأنه قال : يا قوم ربما . وهذا النداء على وجه التحسر والتوجع من معاملة الدهر وسوء تنقله . وقوله « ربما » « ما » هذه دخلت كافة لرُبَّ عن العمل ، ومخرجة لها إلى أن تصير مشتركة حتى جاز وقوع أضحكني بعده . ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . ومعنى البيت : أبكاني الدهر بما أسخطني ، ويا قوم ربما أضحكني الدهر فيما مضى بما أَرْضاني . وفي طريقته قول الآخر (١) :

فإن تكن الأيامُ أحسنَّ مرّةً إليّ فقد عادتُ لهنَّ ذُنُوبُ

٤ - لولا بُنَيَاتُ كزُغْبِ القَطَا رُدِدْنَ من بَعْضِ إلى بَعْضِ

(١) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتخفيف الباء في ربما ، والباقون بتشديدها . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ . وقد وردت في النسختين بتشديد الباء . ومما يجدر ذكره أن « رب » لم تقع في القرآن إلا في هذه الآية من سورة الحجر على كثرة وقوعها في لسان العرب . تفسير أبي حيان (٥ : ٤٤٢) .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوي . أمالي القالي (٢ : ١٤٩) .

بُنَيَّاتٌ فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ ، وَجَازَ الْإِبْتِدَاءَ بِهِ لِكَوْنِهِ مَحْدُوداً^(١) بِمَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ . وَجَوَابُ لَوْلَا « لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ » وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَاسْتَفْنَى بِهِ عَنِ خَبَرِ الْمَبْتَدَأِ ، وَالتَّقْدِيرُ : لَوْلَا بُنَيَّاتٌ صِفَاتُهُنَّ هَذِهِ

مَانِعَةٌ لِي لَفَعَلْتُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَوْلَا بُنَيَّاتٌ لِي صَغِيرَاتٌ كَفِرَاحِ الْقَطَا الَّتِي عَلَيْهَا الزَّغَبُ — وَهُوَ الشَّعْرُ اللَّيِّنُ لَصَفْرَهُنَّ — اجْتَمَعْنَ لِي فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ ، فَمِنْ ثَانِيَةٍ بَعْدَ أُولَى ، وَوَاحِدَةٍ إِلَى جَنْبِ أُخْرَى فَكَثُرْنَ — لَكَانَ كَذَا . وَمِثْلُهُ :

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَى ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا وَوَاحِدَةً حَتَّى اجْتَمَعْنَ ثَمَانِيًا
 فِي بَطْرِ جَمَاعَاتٍ وَتَبَطَّعَ
 مَسَافَاتٍ سَاعَةً ، وَبِضِيهِ
 مَرَّقَطُ .

أَي جِئْنَ مَتَوَالِيَاتٍ . وَيُرْوَى : « رَدَدْنَ مِنْ بَعْضِي إِلَى بَعْضِي » ، بِفَتْحِ الرَّاءِ مِنْ رَدَدْنَ وَإِضَافَةِ الْبَعْضِ ، وَالْمَعْنَى : قَوَّسْنِي وَحَنَّنِي ظَهْرِي . وَيَجُوزُ فِي الرَّوَايَةِ الْأُولَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْبَنَاتِ زُوجُنَ فَرُدَدْنَ مَعَ بَنَاتٍ لَهْنٍ صَفَارٍ . وَيُقَالُ : ابْنَتُكَ مَرْدُودَةٌ ، أَي مَطْلَقَةٌ . وَإِلَى فِي مَوْضِعٍ مَعَ ، يُقَالُ هَذَا إِلَى ذَلِكَ أَي مَعَهُ . وَيَكُونُ « مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَي رُدَدْنَ مَعَ غَيْرِهِنَّ . وَقَدْ شَبَّهَ الْخَطِيئَةَ وَغَيْرَهُ الْأَوْلَادَ بِزُغَبِ الْقَطَا ، فَقَالَ :

• الْأَفْرَاحُ : صَفَارُ الشَّاعِرِ ،

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي صَرَخٍ زُغَبِ الْحَوَاصِلِ لَامًا وَلَا شَجَرٍ شَبَّهْتُمُ بِصَفَارِ الطَّيْرِ .

زُغَبٌ بِحَوَاصِلِ : أَي عَلَيْهَا

يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « رُدَدْنَ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ . وَ« مِنْ بَعْضِي إِلَى الْبَعْضِ » الرُّغْبُ النَّاعِمُ ، لَمْ يَسْتَحْكَمْ ، وَبَعْضِي « مُضَافَيْنِ . وَالْمَعْنَى : كُنَّ فِي صُلْبِي ، فَلَمَّا وَلَدْتُهُنَّ صِرْنَ فِي كَبْدِي . وَلَا تَقْوَعُ عَلَى طَيْرَانٍ . فَهِيَ تَحْتَرِقُ عَلَيْهِنَّ لَفَرَطِ شَفَقَتِي .

٥ - لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ

• الْأَضْطْرَابُ : السَّرِيرُ

وَالسَّفَرُ ابْتِغَاءَ الرِّزْقِ .

الْمُضْطَرَبُ يَكُونُ الْأَضْطْرَابَ ، وَيَكُونُ مَوْضِعَ الْأَضْطْرَابِ . يَقُولُ : لَوْلَا خَوْفِي مِنْ ضِيَاعِهِنَّ وَإِبْقَائِي عَلَيْهِنَّ ، لَكَانَ لِي مَجَالٌ وَاسِعٌ ، وَمَذْهَبٌ فَسِيحٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَحْفُوفًا » ، صَوَابُهُ فِي م وَالتَّبْرِيْزِي .

في الأرض الطويلة العريضة . وإنما تلوّمتُ ولزمتُ مكاني هذا لمنّ وبسبهنّ .

٦ - وإنما أولادنا يئبنا أكبادنا تمشي على الأرض (١)

يقول : محلُّ أولادنا من أنفسنا فيما بيننا وإن كانت ماشيةً على الأرض محلُّ الأكباد من الأجواف . ويقال « الولد فلذة من الكبد » ، أي قطعة . وقوله « تمشي على الأرض » في موضع الحال للأولاد ، وبيننا ظرفٌ لتمشي . والتقدير : أولادنا وهي ماشيةٌ على الأرض بيننا أكبادنا . وقوله « إنما » يدخل لتحقيق الشيء على وجه مع نفي غيره عنه .

٨٧

وقال حيان بن ربيعة (٢) :

١ - لقد علم القبائلُ أنّ قومي ذؤو جدٍ إذا لبس الحديد (٣)

• أراد ثياب الحديد ، وهي الدروع .

يقول : شهدت القبائلُ أنّ قومي يجدون في الحرب إذا تدجج أهلها في الأسلحة ، ويبلون فيها ولا يقصرون . و « إذا لبس الحديد » ظرفٌ لقوله « ذؤو جدٍ » كأنه قال : إنهم يجتهدون في ذلك الوقت . وأن قومي مع ما بعده سدّ مسدّ مفعولي علم .

(١) بعده عند التبريزي :

لو هبتّ الرّيح على بعضهم لامتّعت عيني من الغمض .

(٢) التبريزي : « قال أبو هلال : هكذا قال أبو تمام . ونحن نقول : هو حيان بن

عليق بن ربيعة الطائي ، أخو بني أخزم ثم أحد بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم بن عمرو بن ثعل . وفي نسخة أبي أحمد : جبار بن ربيعة ، وهو غلط ، وليس فيهم جبار بن ربيعة ، إنما هو جبار بن جزء بن ضرار ، ابن أخي الشماخ ، وجبار بن مالك بن حمار الشمخي من فزارة ، وجبار بن عمرو بن عميرة الطائي ، ويعرف بالأسد الرهيص . وأما جبار بن ربيعة فليس بمعروف . ولا مذكور . »

(٣) التبريزي : « ويروى : ذؤو حد . والحد : السلاح . »

٢٠ - وَأَنَا نِعَمَ أَحْلَاسُ الْقَوَافِي إِذَا اسْتَعْرَ التَّنَافُرُ وَالنَّشِيدُ
 • التنافر: التخاصم
 • والتفاخر.

يقول: ويشهدون أيضاً أنه نعم أصحاب القوافي وأربابها نحن، إذا التهبت نارُ التفاخر والتناشد والتحاكم. والحلس، أصله البرذعة وما يلي الظهر تحت الرّحل، ثم يستعمل على طريق التشبيه على وجهين: يقال في الذمّ: فلان كالحلس الملقى، فيمن لا غناء عنده ولا كفاية إذا حزبه أمره. ويقال فيمن لزم ظهور الخيل: هم أحلاسها؛ وهذا إذا مدحوا بالفروسيّة. ثم قالوا: ما هذا من أحلاس فلان، أي ليس من آلاته. وقد مرّ بي أيضاً أنه يقال للكفل الذي ليس بفارس: هو كالحلس. وأحلاس البيت: ما يلتقى تحت حرّ متاعه.

• البرذعة: ما يوضع على
 أحجار أو البغل ليركب
 عليه، كالسرج للفرس،
 • والرّحل: ما يوضع على
 ظهر البعير للركوب.

• الكفل: هو الذي لا يشبث
 على ظهر الفرس.

• وهو المتاع: أفضله،
 وسريره. يريد ما يبسط
 في البيت من مصير وفوقه
 تحت سريره المتاع.

٢١ - وَأَنَا نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ حَتَّى تُوَلِّيَ وَالسُّيُوفُ لَنَا شُهُودٌ (١)

يقول: وشهدوا أيضاً أننا نضارب الكتيبة البيضاء لكثرة سلاحها فنغلبهم حتى تُوَلِّيَ منهزمة، وسيوفنا لها حاضرة نكتسحهم بها في الهرب أيضاً، والمَلْحَاءُ من الملح، وهو البياض. يقال: كبشٌ أمْلَحُ. ويُرْوَى «نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ» بضمّ الراء. ويقال: ضاربتُهُ فضرَبْتُهُ أَضْرَبُهُ، أي غلبتُهُ في الضراب.

٨٨

وقال الأعرج المعني (٢):

١ - أَنَا أَبُو بَرْزَةَ إِذْ جَدَّ الْوَهْلُ (٣)

(١) م: « لها شهود ».

(٢) التبريزي: « معني طيب ». وقيل الصحيح أنها لعمر بن يثرب. والأعرج المعني هو عدي بن عمرو بن سويد بن ريان الأعرج الطائي المعني، وقيل اسمه سويد بن عدي. وهو شاعر مخضرم. معجم المرزباني ٢٥١.

(٣) التبريزي: « ويروي: أنا أبو بردة ». وقد روى التبريزي الأشتار الخمسة الأولى بترتيبها هنا، ثم روى بعدها الشطر السابع ثم شطراً آخر لم يروه المرزوقي، وهو: =

٢ - خُلِقْتُ غَيْرَ زُمَّلٍ وَلَا وَكَلٍ

يريد أنا الذي لشهرته تُغني كُنيتُه عن صفاته وذكر أحواله ، وقت اشتداد الخوف . فإن قيل : ما العاملُ في قوله « إِذْ جَدَّ » ؟ قُلْتَ : ما دَلَّ عليه قوله أنا أبو بَرَزَةَ من المعنى الذي بيَّنته هو العاملُ - ومثله :

* أنا أبو النجمِ وشِعري شعري *

وقوله « خُلِقْتُ غَيْرَ زُمَّلٍ » ، أي غير ضعيف ولا جبان يتكل على غيره . فيما ينوبه . والزُمَّلُ (١) والزُمَّالُ (٢) والزُمَّيْلَةُ (٣) : الضعيف . والوَكَلُ : الذي يتكل على غيره .

٣ - ذَا قُوَّةٍ وَذَا شَبَابٍ مُقْتَبَلٍ

٤ - لَا جَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجَلِ

٥ - الْمَوْتُ أَحَلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ

يقول : خُلِقْتُ قَوِيًّا مُقْتَبَلِ الشَّبَابِ ، لم تُبَلِّني السُّنُونَ ، ولم يُضْعِفني ما مَسَّنِي من النَّوَابِ والمُهموم . فإن قيل : ما الزِّيَادَةُ في قوله « ذَا قُوَّةٍ » على قوله « غير زُمَّلٍ » ؟ قلت : يجوز أن يكون ذا قوة مصروفاً إلى الرَّأْيِ ، وغير زُمَّلٍ مصروفاً إلى البِنْيَةِ . ويجوز أن يكون المراد بذا قوة الجِلَادَةِ ، لأنَّه ليس من كان غير ضعيف كان جَلْدًا . واقتبالُ الشَّبَابِ : أَلَّا يُرْمَى أثرٌ من الكِبَرِ معه .

وقوله « لَا جَزَعَ الْيَوْمَ » يقول : اسْتَقْتَلْنَا يَوْمَنَا ، فلا نجزع على دُنُوِّ الْأَجَلِ

* نحنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ *

ثم الشطر الثامن ثم الشطر السادس .
(١) يقال بتشديد الميم وتخفيفها .
(٢) وهذا أيضاً بتشديد الميم وتخفيفها .

فيه إن دَنَا ، لأنَّ الموت إذا غشيناَ فيما نطلبه ، أحلَى طعمًا عندنا من طعم العسل ، وقوله « اليوم » ظرف لقرب الأجل ، وعلى قُرْب الأجل ، خَبْرٌ لِلآ . ويجوز أن تجعل اليومَ خَبْرًا « على قرب الأجل » تبيينًا له أو حالًا . وإن جعلته خبرًا بعد خبرٍ ، كما نقول : هذا حلوةٌ حامِضٌ ، جاز أيضا . وذكر بعض المتأخرين أنه لا يجوز أن يكون معنى « على » هنا معناها في قولك جَزَعْتُ على كذا ، أي أشفقت عليه ، لأنه غيرُ الغرض المقصود . ألا ترى أن معناها لا جَزَع اليومَ من الموت على أن الأجل قريبٌ مِنَّا ، فإذا قُرِبَ منا فلم نجزع منه فما ظنك بنا إذا بعدَ عنا . وأنا أقول : وإنَّ من البيان لِسِحْرًا ، وإنَّ مِنَ الغوصِ على المعاني لِشِلهِ دُرًّا .

٦- رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ

٧- نَحْنُ بَنِي صَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ

٨- نَعْمَى ابْنِ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ

يعني بالشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه . المعنى : إنا طالبون بدمه ، فإذا أدركنا ثأره فحسبنا ذلك . وهذا معنى قوله « ثم بَجَلْ » . وموضع بَجَلْ رَفَعٌ على الابتداء وخبره مُضَمَّرٌ ، كأنه قال : « ثم بَجَلْنَا ذلك » ، أي حَسَبْنَا ذلك . ومثمَّ عاطفةٌ لجملةٍ على جملةٍ . وقال لبيدٌ :

* بَجَلِي الْآنَ مِنَ الْعَيْشِ بَجَلٌ (ط) *

وحكى الأخفش أن بَجَلٌ ساكنةٌ أبدًا . يقولون بَجَلْكَ ، كما يقولون قَطْكَ . وقدك ، إلا أنهم يقولون بَجَلِي ولا يقولون بَجَلْنِي كما يقولون قَطْنِي وقدني ،

(١) صدره كما في ديوان لبيد ١٧ طبع ١٨٨١ :

* فقي أهلك فلا أحفله *

وهو القياس مع مجيئه على السكون . وانتصاب « بني ضَبَّة » بفعلٍ مُضْمَرٍ ،
والقصد فيه المدح والاختصاص . وخبر المبتدأ الذي هو نحنُ « أصحابُ » ،
والتقدير : نحنُ - أذكرُ بني ضَبَّة - أصحابُ الجَمَلِ . وهذا الكلامُ يُنبئُ به
على أنهم مُجِدِّون في طلب دم عثمان رضي الله عنه ، لأنَّ الذين خرجوا مع عائشة
رضي الله عنها وقتلوا يومَ الجَمَلِ كان دعواهم طلبَ الثَّارِ . ولو قال نحنُ بنو
ضَبَّةَ لكان يسقطُ نغامةُ المدحِ وتعظيمه ، وكان يصير أصحابُ صفةً وبنو خبراً ،
وكان يجوزُ أن يكونا جميعاً خبرين ، ويجوزُ أن يكون أصحابُ بدلاً من بنو .
وقوله « نَنَعَى ابنَ عفان » كان عادتهمُ إذا مات رئيسٌ فيهم عظيمُ الشأنِ
والمحلِّ أن يطوفَ واحدٌ منهم على القبائلِ ، وَيَصْعَدُ الرَّوَابِي المِطْلَةَ عليهم ،
وَالآ كَامَ المَرْتِفِعَةَ بمحالتهم ويقول : نَعَاءُ فُلَانًا ! يريدون تشهيرَ اسمه ، وتعظيم
الفَجْعَ به ، وربما أَرَّخُوا بموته . فيقول : نحنُ نجعلُ بدلَ هذا الفعلِ أن نطلبَ
دمه بأطرافِ الرِّمَاحِ . وهذا معنى حَسَنٌ .

٨٩

وقال آخرُ (١) :

١ - داوِ ابْنَ عَمِّ السَّوِّءِ بِالنَّايِ وَالغِنَى كَفَى بِالغِنَى وَالنَّايِ عَنْهُ مُدَاوِيَا
يقول : عالج ما بينك وبين ابنِ عَمِّ السَّوِّءِ مِنَ التَّضَاعُنِ وَالتَّبَايُنِ ، وَالتَّغَايُظِ
وَالتَّحَاوُسِ ، بِالْبُعْدِ مِنْهُ ، وَالاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ . ثم قال : وَكَفَى بِهِمَا مِنْ مُدَاوِيَا مَعَهُ .
وهذا يجري مجرى الالتفاتِ ، وهو تنبيهٌ على أنهما الغايةُ فيمُ يُحْسَمُ بِهِ شَرُّهُ ،
وَيُدْفَعُ بِهِ ضَيْرُهُ . وموضعُ بِالغِنَى رَفَعُ بِكَفَى . ومداوِيَا يجوزُ أن يكونَ حالاً ويجوزُ
أن يكونَ تمييزاً ، وهو أحسنُ ، ومثلهُ : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ . والكلامُ يجري

(١) التبريزي : « وقيل إنه لرجل من بني أسد » . وفي حاشية البحري ٣٨٦ أنه عدي بن
عدي النباني .

أيضا مجرى التأكيد فيما دعا إليه ، والتحقيق لغناء ما أشار به .

٢ - جَزَى اللهُ عَنَّا مَحْصَنًا بِيَلَانِهِ وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ الْقَرِيبَ وَخَالِيَا
مَحْصَنٌ الْمَذْكُورُ ، هُوَ ابْنُ عَمِّهِ الَّذِي تَأْذَى بِهِ فِدَاعًا عَلَيْهِ . يَقُولُ : جَزَاهُ
اللَّهُ بِفَعْلِهِ فِينَا ، إِنْ خَيْرًا نَخِيرًا وَإِنْ شَرًّا فَنَشَرًّا ، وَإِنْ كَانَ مُتَّصِلَ النَّسَبِ
بَطَرَفِي أَبِي وَأُمِّي .

٣ - يَسْلُ الْغِنَى وَالنَّأْيُ أَدْوَاءَ صَدْرِهِ وَيَبْدِي التَّدَانِي غِلْظَةً وَتَقَالِيَا
السَّلُّ : النَّزْعُ ، وَالْأَدْوَاءُ : جَمْعُ الدَّاءِ . وَهَذَا مِثْلُ مَا رُوِيَ : « أَنْ مُرَّ
ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا (١) » ، وَزَادَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِمَا شَفَعَ النَّأْيُ (٢)
بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْغِنَى . وَنَبَّهَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ فِي التَّدَانِي تَحَاسُدًا يَبْدُو مَعَهُ الْقَلْبِي وَالْقَسْوَةُ
لَأَنَّ الْكَلَامَ كَالْتَعْلِيلِ لِلْأَمْرَيْنِ الَّذِينَ رَغَّبَ فِي أَحَدِهِمَا وَزَهَّدَ فِي الْآخَرِ ، وَهَذَا
التَّدَانِي وَالتَّنَائِي . وَالْمَثَلُ السَّائِرُ : « فَرَّقَ بَيْنَ مَعَدِّ تَحَابٍّ » مِثْلُ الْبَيْتِ .

• البرك : الصدر ،
وما يلي الأرض من
صدر البعير .

٤ - أَعَانَ عَلَيَّ الدَّهْرُ إِذْ حَكَ بَرَكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّتُهُ بِي كَافِيَا (٣)
هَذَا الْكَلَامُ شِكَايَةٌ مِمَّا عَامَلَهُ بِهِ مَحْصَنٌ ، وَتَصْرِيحٌ بِأَذَاهُ ، فَيَقُولُ : لَمْ يَرْضَ
بِالْقَعُودِ عَنِّي وَإِسْلَامِي لِلدَّهْرِ حَتَّى صَارَ عَوْنًا لِي عَلَيَّ ، لَمَّا أَخَذَ يُوَثِّرُ تَأْثِيرَهُ ،
وَيُلْقِي كُلَّكُهُ وَجِرَانَهُ . ثُمَّ قَالَ مُنْتَقِلًا عَنِ الْأَخْبَارِ عَنْهُ إِلَى مُخَاطَبَتِهِ ، إِظْهَارًا
لِلْجَزَعِ مِنْ فَعْلِهِ : لَوْ اتَّخَذَتِ الدَّهْرَ وَكَيْلًا وَاعْتَمَدتْ عَلَيْهِ ، دُونَ أَنْ تُبَاشِرَ
مَسَاءَتِي بِفِعْلِكَ لَكَفَاكَ . وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ ، أُغْنِي كَفَى الدَّهْرُ ، يَسْمَى التَّفَاتَا .
وَقَوْلُهُ « كَافِيَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمْيِيزًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ ،
عَلَيْهِ ثِقَلُهُ .

• الجران : باطن
العنق من البعير وغيره
والكلك : الصدر .
يقال ألقى عليه جرانه
أو كللكه ، إذا ألقى
عليه ثقله .

(١) هذا من كتاب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري . انظر مجمع الأمثال
في (فرق بين معد تحاب) .

(٢) في الأصل : « الثاني » ، صوابه من م .

(٣) التبريزي : « و يروي : إذ حل بركه » . وكتب في نسخة الأصل : « حل » بحيث
تقرأ باللام والكاف أيضاً . وذلك بتقدير اللام وإلحاق علامة الكاف من جانبها الأيمن .

أراد : كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّتُهُ بِي كِفَايَةً . واسمُ الفاعل يقع موقعَ المصدر كثيراً كما يقعُ المصدرُ موقعَ اسمِ الفاعل . ومثله قولُ بِشْرٍ :
* كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءِ كَافٍ (ط) *

فقوله كَافٍ فِي أَحَدِ الْوَجُوهِ مَصْدَرٌ لَكِنَّهُ لَمْ يَنْصِبْهُ ، وَجَعَلَهُ كَقَوْلِ الْآخِرِ :
* كَانِ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ (ط) *

• يصف إبلاً بالسرعة ،
والمروق : المستوي .

فِي تَرْكِ إِعْرَابِ الْمُعْتَلِ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ أَيْضًا ، إِذْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَسْتَنْقِلُ الْفَتْحَةَ فِي الْيَاءِ ، وَالتَّقْدِيرُ : كَفَى النَّأْيُ مِنْ أَسْمَاءِ كَافِيًا ، أَيْ كِفَايَةً . وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَثَلِ : « أَعْطِ الْقَوْمَ بَارِيهَا » ، بِسُكُونِ الْيَاءِ فِي بَارِيهَا ، وَلَمْ يَرَوْا أَخَذُوا بَارِيهَا بِالْفَتْحِ ، فَلَيْسَ يَجُوزُ إِلَّا مَا حُكِيَ ، لِأَنَّ الْأَمْثَالَ لَا تُغَيَّرُ .

٩٠

وقال رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَلَيْبٍ (٣) :

١ - وَحَنَّتْ نَاقَتِي طَرَبًا وَشَوْقًا إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِي
انتصب « طَرَبًا » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ .
وَأَوَّلُ الْبَيْتِ خَبْرٌ عَنْ رَاحِلَتِهِ ، وَآخِرُهُ خِطَابٌ لَهَا . وَقَوْلُهُ « تَشَوَّقِي » حَذْفٌ
نُونُهُ اسْتِنْقَالًا لِاجْتِمَاعِ نُونَيْنِ ، وَالْأَصْلُ تَشَوَّقِيْنِي . وَمِثْلُهُ فِي الْحَذْفِ قَوْلُ الْآخِرِ (٤) :

* يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي (٥) *

• فَلَا رَأْسَهُ يَفْلُوهُ :
يَحْتَهُ عَنِ الْقَمَلِ .

(١) عجزه في مختارات ابن الشجري ٧٥ :

والنساء اللاتي يفعلن
ذلك يقال لهن الفاليات

* وليس لهما إذ طال شاف *

والفوالي .

(٢) انظر اللسان والمقاييس (قرق) وإصلاح المنطق ٤٦٤ ، وعجزه كما في الإصلاح :

أيدي عذاري يتعاطين الورق

(٣) التبريزي : « من بني كلب » .

(٤) هو عمرو بن معد يكرب ، كما في اللسان (فلا) .

(٥) صدره : * تراه كالشغام يُعلُّ وسكا *

• الشغام : جمع شغامة ،
شجرة بيضاء الثمر والزهر ،
تنبت في أعلى الجبل وإذا
يبست استند بياضها .
والعلاضلا : السقي بعد
السكر .

يريد فلئني . والمعنى : اشتكت ناقتي حانةً لطرَبِها وشوقِها . ثم أخذ
يخاطبُها مُنْكَرًا عليها ما ظهر منها فقال : تُشَوِّقِنِي بِحَنِينِكَ إِلَى مَنْ ؟ أَرَادَ أَنَّهُ
مع حصولِ اليأسِ يجبُ ألاَّ تَحِنَّ وَلَا تُشَوِّقَ . ويجوز أن يكون المعنى تعظيمَ
المشاق إلىه ، فكأنه قال : تشوقيني إلى مَنْ بِحَنِينِكَ ؟ أي إلى إنسانٍ وأيِّ
إنسانٍ ؟ وَمَنْ من قوله « إلى مَنْ » في هذا الوجه يكون نَكْرَةً غير موصوفةٍ
وإن كان الكلامُ خَبْرًا ، وفي المعنى الأوَّل يكون مَنْ استفهامًا . وتقول :
مَرَرْتُ بِمَا صَالِحٍ ، وَمَرَرْتُ بِمَنْ كَرِيمٍ ، تريدُ بِإنسانٍ كَرِيمٍ . وقد حُمِلَ قَوْلُهُ
عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ ﴾ ، على أن معناه مَثَلًا شَيْئًا بَعُوضَةٌ .
وَالطَّرَبُ : خِيفَةٌ تَعْتَرِي لِعَارِضِ سُرُورٍ أَوْ هَمٍّ .

٣ - فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجَدِي وَلَكِنْ أَصْحَبَتْ عَنْهُمْ قَرُونِي
هذا الكلام اعترافٌ بِالْحُبِّ ، وتَسْوِغٌ لِحَنِينِ الناقَةِ وَإِنْ كَرِهَ التذْكَيرُ
الْحَاصِلَ مِنْهُ ، وَالشَّجْوُ الْمُنْتَجِجُ عَنْهُ . وَقَوْلُهُ « مِثْلُ مَا تَجِدِينَ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
خَبْرًا مَقْدَمًا وَالْمَبْتَدَأُ وَجَدِي ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : إِنِّي وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ ،
وَالجُمْلَةُ خَبْرٌ إِنَّ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ خَبَرٍ إِنَّ ، وَوَجَدِي بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الضَّمِيرِ
الْمُتَّصِلِ بِإِنِّي ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِنَّ وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ . وَمَا بِمَعْنَى الَّذِي ، وَتَجِدِينَ
مِنْ صَلْتِهِ ، وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَيْهِ مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : مِثْلُ مَا تَجِدِينَهُ ، أَيْ
مِثْلُ الْوَجْدِ الَّذِي تَجِدِينَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مَصْدَرٍ ،
كَأَنَّهُ قَالَ : إِنِّي وَجَدِي مِثْلُ وَجْدِكَ . وَالْأَصْلُ فِي إِنِّي إِنِّي ، لَكِنَّهُ حُذِفَ
تَوْنُهُ لِاجْتِمَاعِ ثَلَاثِ تَوْنَاتٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَأْتِ بِنَوْنِ الْعِمَادِ كَمَا لَمْ يُؤْتِ
بِهِ فِي لَعَلِّي وَلَيْتِي ، وَالْمَعْنَى إِنَّ وَجَدِي مِثْلُ وَجْدِكَ ، وَلَكِنْ تَابَعْتَنِي نَفْسِي
بِالْيَأْسِ مِنْهُمْ ، وَأَنْتِ لَا تَعْرِفِينَ الْيَأْسَ . وَالْإِصْحَابُ : الْإِنْقِيَادُ . وَالقَرُونُ

والقرونة : النفس . ويقولون : أخذت قروني من هذا الأمر ، أي رفضته
واطرخته .

٣ - رأوا عرشي تنم جانباه فلما أن تنم أفردوني

يقول : رأوا عرسي قد تهدم جانباه ، وانهد ركناه ، فلما صار أمرى
كذلك تركوني وحيداً ، وقعدوا عن مشايعتي ومتابعتي ، فدعنتني الحال إلى
مفارتهم ، والتحول عنهم . والعرش : سرير الملك ، وقوام أمر الرجل
وعزه ، فإذا زال قيل : نل عرشه وتنم . وقد ألم في هذا بقول أوس :

* وهم لمقل المال أولاد علة *

• العلة : الضرة .

• وأولاد علة : أي هم

وبقوله :

بنورجل واحد من

أمهات شتى .

* بنو أم ذي المال الكثير * (البيتان)

٤ - هنيئاً لابن عم السوء أني مجاورة بني نعل لبوني

• نعل : حي من طيء ،

وهو نعل بن عمرو أخو

نهبان .

أنى في موضع الفاعل لهنيئاً ، ومجاورة ارتفع على أن يكون خبر أن ،
ولبوني في موضع الرفع على أنها فاعلة لمجاورة ، وبني نعل مفعول به . والمعنى :
لهنيئاً ابن العم السوء بعدي عنهم ، ومجاورة لبوني لغيرهم . واللبنون : الناقة
التي بها لبن . ويجوز أن يرتفع مجاورة على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ لبوني
والجملة كما هي تكون خبر أن . ويجوز أن يكون لبوني بدلاً من الضمير المتصل
بأنى ، والخبر مجاورة . والمعنى والتقدير أن لبوني مجاورة بني نعل . وهذا
الكلام إنباء أن ما حصل من بعده عن العشيرة كانوا يتمنونهُ ، فقال هنأ الله
أبناء عمي ما أرادوه وفازوا به . ويجوز أن يكون وعيداً وتهكماً .

• المخول : ذو أخوال .

• المحض : الخالص . يريد

عزته من جانب الزم والأب .

سيد الأمر جحفلا

(١) عجزه : * وإن كان محضاً في العمومة محولاً *

(٢) هو بتمامه :

بنو أم ذي المال الكثير يرونه

• الجحفل : السيد الكريم

العظيم القدر .

٩١

وقال رجلٌ من بني أسدٍ :

١- وَمَا أَنَا بِالنَّكْسِ الدَّيْنِيِّ وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّعَنِي ذُو الْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ

النَّكْسُ أَضْلُهُ فِي السَّهَامِ ، وَنُقِلَ إِلَى الضَّعِيفِ مِنَ الرِّجَالِ . يُقَالُ نَكَسْتُهُ نَكْسًا ثُمَّ يُسَمَّى الْمَفْكُوسُ نِكْسًا ، كَمَا يُقَالُ نَقَضْتُهُ نَقْضًا ثُمَّ يُسَمَّى الْمَنْقُوضُ نِقْضًا بِكسر النون . كَانَ السَّهْمُ انْكَسَرَ فَوْقَهُ فَنِكَسَ فُسَمِيَ نِكْسًا .
 فيقولُ : مَا أَنَا بِالْمُسْتَضْعَفِ اللَّئِيمِ ، وَلَا الَّذِي إِذَا انْحَرَفَ عَنْهُ مَنْ يُوَادُّهُ دَعَا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ فَقَالَ : وَاحْرَبَاهُ . وَفِي طَرِيقَتِهِ :

وَلَا أَقُولُ إِذَا مَا خَلَّةٌ صَرَمَتْ يَأْوِيحُ نَفْسِي مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقٍ (٢)

ويعجز أن يكون معنى أحربُ : أغتاطُ . ومنه قوله :

* إِنِّي إِذَا الشَّاعِرُ الْمَغْرُورُ حَرَبَنِي *

وهذا أسلَكُ في طريقة العربية ؛ وكان يجب أن يقولَ : وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّعَنِي ذُو الْمَوَدَّةِ يَحْرَبُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّلَةِ مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْصُولِ ، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقَصْدُ فِي الْإِخْبَارِ إِلَى نَفْسِهِ وَكَانَ الْآخِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ، لَمْ يُبَالِ بِرَدِّ الضَّمِيرِ عَلَى الْأَوَّلِ وَحَمَلِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعْنَى ، لِأَمْنِهِ مِنَ الْإِلتِبَاسِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَبِيحٌ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ ، حَتَّى إِنْ أَبَاعَثَانَ الْمَازِنِيَّ قَالَ : لَوْلَا اشتهارُ مَوَادِّهِ وَكَثْرَتُهُ لَرَدَدْتُهُ . وَمِثْلُهُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ (٣) *

(١) لتأبط شرأ . المفضليات (١ : ٢٦) .

(٢) لعلي بن أبي طالب ، كما في اللسان (حيدر ، سندر) . وقد سبق في ص ١١٥ .

• الفوق من السهم :
 حيث يشبه الوتر منه ،
 وهما فوقان .
 و النكس : السهم ينكسر
 فوفقه فيجعل أعلاه
 أسفله .

٣- ولكنني إن دام دُمتُ وإن يكن له مذهبٌ عنيّ فلي عنه مذهبٌ^(١)

يقول: أملك نفسي وودّي في مصادقة الأخلأ، فإن داموا لي على العهد دُمت لهم، ولزمتُ الوفاء معهم، وإن رأوا ذهاباً عنيّ وميلاً إلى غيري ذهبتُ عنهم، ومِلتُ إلى غيرهم. ويروى: «ولكنني ما دام دُمت» ويكون موضعُ ما دام ظرفاً، وخبرٌ لكنّ دُمتُ. وفي الأولى يكون الجزاء وجوابه خبراً. وفي طريقته قول لبيد:

• اللبابة: أحاجة من غير فاقة.

تعرض وصله: دخله

فساد، أو توج

وزاغ ولم يستقم بها

تعرض الرجل من عروض

أجبل يميناً وشمالاً.

أخله: الصدقة

المتحصنة التي ليس فيها خلل.

فاقطع لبانة من تعرض وصله وخيرٌ واصل خلة صرامها

٣- ألا إن خير الودِّ وُدٌّ تطوعتُ به النفسُ لا وُدٌّ أتى وهو متعبٌ

يقول: خير الودِّ ما جاء عفواً من غير جهدٍ، ولا إكراه نفسٍ وطبع، بل يبعثه الميلُ، ويحكمه الخلوصُ؛ فأما المتعبُ من المودّات، للشوبُ المختصة التي ليس فيها خلل.

ولا خيرٌ في وُدِّ امرئٍ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لا توافقه^(٢)

وقول الآخر:

إذا أنت لا يثنيك إلا شفاعتُ فلا خيرٌ في ودِّ يكون بشافِعٍ

٩٢

وقال أبو حنبل الطائي^(٣):

١- لقدَ بلاني على ما كان من حدّثٍ عند اختلاف زجاج القوم سيارُ

(١) كتب بخط مخالف قبل هذا البيت:

ولست إذا ولى الصديق بوده بمكتئب أحنو إليه وأندب

(٢) أنشده التبريزي، مع بيتين بعده، وقال: «قالوا هو لمسلم بن الوليد».

(٣) هو جارية بن مر، أبو حنبل الطائي، شاعر جاهلي فارس. ذكره في المؤلف ٩٩.

التبريزي: «ويقال إن هذه الأبيات لعامر بن جوين، حين أجاز سيار بن موالة بن عامر =

ارتفع « سَيَّارٌ » بقوله بِلَانِي . واللام في « لقد » تُؤذِن بِيَمِينٍ . يقول :
لَقَدْ خَبَّرَنِي هَذَا الرَّجُلُ عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ حَدِيثٍ ، وَاعْتَرَضَ مِنْ شَرٍّ ، فَعَرَفَ
حُسْنَ بِلَانِي عِنْدَ اخْتِلَافِ الْقِنَا بِالطَّعْنِ . وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ ، وَالْمُرَادُ الرَّمَّاحُ
بِكَلِمَاتِهَا ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ (١) :

• الزجاج: جمع زُجج ،
وهي الحديدية من أسفل
الرمح .

* الواطئين على صُدُورِ نِعَالِهِمْ (٢) *

وإنما يُوطَأُ النَّعْلُ كُلُّهَا . ويقال : زَجَجْتُهُ بِالرَّمْحِ ، إِذَا زَرَقْتَهُ .

• زَرَقَهُ بِالرَّمْحِ : طَعَنَهُ
أَوْ رَمَاهُ بِهِ .

٢ - حَتَّى وَفَيْتُ بِهَا دُهُمًا مَعْقَلَةً كَالْقَارِ أَرْدَفُهُ مِنْ خَلْفِهِ قَارٌ

يقول : صَبَرْتُ لِمَا عَزَّ مِنْ أَمْرٍ ، وَتَعَسَّرَ مِنْ وِفَاءٍ وَأَدَاءٍ ، لِأَخْرُجَ مِمَّا بِهِ
تَكَلَّفْتُ ، مِنَ الْعَهْدَةِ الَّتِي فِيهَا دَخَلْتُ . وَقَدْ كَانَ أَبُو حَنْبَلٍ تَضَمَّنَ لِسَيَّارٍ إِبِلًا
لَهُ بِأَعْيَانِهَا أَوْ شَرَوْهَا ، أَيْ مِثْلِهَا ، فَيَقُولُ : أَخَذَ سَيَّارٌ يَنْتَظِرُ مَاذَا يَكُونُ مِنِّي
فِيمَا تَضَمَّنْتُ حَتَّى وَفَيْتُ بِإِبِلِهِ سُودًا مُشْدُودَةً بِعُقْلِيهَا ، كَأَنَّهَا فِي سَوَادِهَا قَارٌ عُولِي
بِقَارٍ . وَهَذَا يَرَادُ بِهِ تَأْكِيدُ السَّوَادِ . وَيُقَالُ رَدَفْتُهُ وَأَرْدَفْتُهُ ، إِذَا جِئْتَ بَعْدَهُ .
وَرَدَفْتُمْ وَرَدَفْتُمْ لَكُمْ ، أَيْ تَبِعْتُمْ وَجَاءَ بَعْدَكُمْ . وَانْتَصَبَ « دُهُمًا » عَلَى
أَنَّهُ حَالٌ لِلإِبِلِ . وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ « كَالْقَارِ » تَصْوِيرٌ لِلإِبِلِ بِأَلْوَانِهَا . وَمَعْنَى لَقَدْ
بِلَانِي حَتَّى وَفَيْتُ ، أَيْ انْتَظَرْتُ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَلَاءِ فِي وَفَائِي عِنْدَ مَا ضَمَّنْتُ ،
وَصَارَ يُحَرِّبُنِي إِلَى أَنْ وَفَيْتُ . وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ مُعْقَلَةً ، أَنَّهُ سَلَّمَهَا فِي مَبَارِكِهَا آمِنَةً .

= بن مالك بن تيم الله بن ثعلبه ، وكان سيار جاراً لرجل من بني ثعل يقول له عدي بن أفلت ،
فر عامر بن جوين بعدي بن أفلت وقد قامره سيار بن موآلة بالقداح فقممه عدي حتى غلق مال
سيار ، فظعن الحي فقال سيار لقينين له : تحلفا بأهلكما بعد الحي حتى ينزلوا ، فإذا نزلوا
فانطلقا برحلكما حتى تفدا إلى رحل عامر بن جوين ، ففعلتا فجاء عدي بن أفلت فأراد أن
ينقلهما ورحلهما ، فأبى ذلك عامر بن جوين وقال : قد جاورني الرجل ! فلما خرج امرؤ
القيس بن حجر عند عامر بن جوين فنزل على أبي حنبل جارية بن مر ، تهادى أبو حنبل
وعامر الشعر ، فقال عامر : لقد بلاني . . . » .

(١) هو الأعشى . الكامل ٣٥ لبيسك واللسان (دفع) .

(٢) عجزه : * يشون في الدَّفْيِ والأَبْرَادِ *

• الدَفْيُ : ثَوْبٌ مَخْطُوطٌ . وَالْبَرْدُ
سَدَلٌ نَوْعٌ مِنَ السَّيَابِ الْمَخْطُوطَةِ .

ويجوز أن يكون أراد إبلاً متقدماتها ومتأخراتها سُودٌ، فذلك قال كلقار
أردفَ بِقَارٍ، ويجوز أن يكون أراد بالقارِ جمع قَارَةٍ، وهي الجبال، فسبَّها بها
في عَظْمِهَا.

٣- قَدْ كَانَ سَيْرٌ فَحُلُّوا عَنْ حُمُولَتِكُمْ إِنْ نِيَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ جَارِهِ جَارٌ

يقول: وَجَبَ السَّيْرُ لِلخُوفِ وَالْحَذَرِ قَبْلَ هَذَا الوَقْتِ، وَأَمَّا السَّاعَةُ وَقَدْ
بَلَغْتُمْ المَأْمَنَ فِي جِوَارِي فَحُلُّوا عَنْ أَجْمَالِكُمْ، إِنْ نِيَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ جَارٌ بَدَلًا
مِنْ جَارِهِ الأَوَّلِ. والعرب تقول: هذا من ذاك، وهذا بذاك أي عِوَضٌ.
وَفُسِّرَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرِبَةً مُبْرَدَةً بَاتتْ عَلَى الطَّهْيَانِ (١)

على أن المعنى لَيْتَ لَنَا بَدَلًا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرِبَةً. ويقولون: فلان لك
من الجارِ جَارٌ، ومن النديم، ومن الأكيل أَكِيلٌ. ويحتمل أن يكون
معناه: إِنْ نِيَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مُجِيرٌ مِمَّنْ يَجَاوِرُهُ، أَي مِمَّنْ يَدَانِيهِ بِسُوءٍ، والأول
أَجُودٌ وَأَضُوبٌ. وَالْحُمُولَةُ: جَمْعُ حَمَلٍ، وَدَخَلتْ إِيَّاهُ فِيهِ تَوَكِيدًا لِتَأْنِيثِ
الْجَمْعِ. وَالْحُمُولَةُ: الأَبْلُ الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فَعُولَةٌ كَالْقَتُوبَةِ،
وَالرَّكُوبَةُ، وَلَا يَجْرِي عَلَى المَوْصُوفِ، لَا يُقَالُ دَابَّةٌ حُمُولَةٌ.

• القَتُوبَةُ مِنَ الإِبِلِ.
هِيَ الَّتِي تَوْضَعُ
الأَقْتَابَ عَلَى ظَهْرِهَا.
وَالقَتْبُ الرِّجْلُ الصَّغِيرُ
عَلَى قَدْرِ سَنَامِ البَعِيرِ.

٩٣

وقال يزيد بن حمان السكوني (٢):

١- إِنْ نِيَّ حَمَدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَمَدْتُ نَيْرَانَ قَوْمِي وَفِيهِمْ شُبَّتِ الفَارُ

(١) للأحول الكندي كما في معجم البلدان (الطهيان). وهو اسم قلة جبل باليمن.
(٢) كذا في النسختين. وعند التبريزي ومعجم المرزباني ٤٩٣ أنه «يزيد بن حمان
السكوني». قال المرزباني: «حليف بني شيبان، وكان له بلاء ورأي يوم ذي قار، فقال يمدح =

الجد : الثناء على الرجل بما فيه من الخصال المرتضاة . وبهذا المعنى فارقَ الشكر ، لأنَّ الشكر لا يكون إلا على صَنِيعَةٍ . فيقول : لما رأيت بني شيبان عند إتحال الأرض وإجدابها ، وإقتار الناس وإضافتهم ، يوقدون نار ضياقتهم ويقيمونها ، وإن كانت نيران غيرهم حامدةً متروكاً إشعالها ، أثنيتُ عليهم ، ونشرتُ فضيلتهم . وقال « نيران قومي » وإن أراد غيرهم معهم ، تفضيلاً لهم على قومه ، وإيداناً بالصّدق في تخبره ، فبدأ بذكر قومه وذويه . ويُروى : « نيران قومٍ » ، والأول أجود .

- ٢ - وَمِنْ تَكْرُمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ^(١)
٣ - حَتَّى يَكُونَ عَزِيزاً مِنْ نَفْسِهِمْ أَوْ أَنْ يَبِينَ جَمِيعاً وَهُوَ مُخْتَارُ^(٢)

يقول : مِنْ تَكْلُفِهِمُ الْكَرَمَ كَأَنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِمَا طُبِعُوا عَلَيْهِ وَجُبِلُوا ، حَتَّى تَكْلُفُوا أَكْثَرَ مِنْهُ ، أَنَّهُمْ يُحِلُّونَ جَارَهُمْ مِنَ الْعَنَاءِ بِهِ وَالِاتِّحَافِ^(٣) وَالِإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالِاصْطِنَاعِ ، مَحَلًّا بِتَشَكُّكَ مِنْ بَعْدُ فِي نَفْسِهِ : هَلْ هُوَ جَارُهُمْ أَمْ مِنْ صَمِيمِهِمْ . وعلى هذا يتعلّق حتى من قوله « حتى يكون عزيزاً » بالمعنى الذي دلّ عليه قوله لا يعلم الجارُ فيهم أنه الجارُ ، أي يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزاً فيما بين ظهرا نبيهم ، أو يختار مفارقتهم . والمعنى : ذلك له فيهم ، ما اعتزَّ بجوارهم ، أو مالَ إلى فراقهم . ويجوز أن يكون

= بني شيبان : إني حدثت وقال التبريزي : هكذا قال أبو تمام - أي في نسبة الشعر - والصحيح أنه عدي بن يزيد بن حمار ، بعد الألف راء ، بن عباد بن مسلمة بن عوف بن تراغم بن معاوية بن ثعلبة بن عقبة بن سكون . وعدي جاهلي ، ويعرف بالجون ، وكان نازلاً في شيبان .

(١) المرزباني : « لا يشعر الجار فيهم » .

(٢) المرزباني : « في نفوسهم » .

(٣) في اللسختين : « والالتحاف » ، ولم نجد لها وجهاً .

قوله « من نفوسهم » في موضع الحال ، وعزيراً خبر كان . وإن جعلت « عزيراً » في موضع الحال ومن نفوسهم خبراً جاز . والمعنى : حتى يكون كأنه من أصلهم ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، والمعنى من جنسكم ومن بطانتكم . ويجوز أن يكون البيت مُضْمَنًا ، ويكون معنى لا يَعْلَمُ الجارُ فيهم أنه جار ، أنَّ الجارَ لا يكون قد أَحَسَّ بمجاورته لم حتى يتفقدوه هذا التفقد ، ويحلوه هذا المحل . وقوله « أو أن يبين جميعاً » انتصب جميعاً على الحال ، والمعنى أو أن يفارق وهو مجتمع الحال غير مُنْتَشِرِها ، ومُخْتَارٌ لذلك غير مُضْطَرِّ إليه . ومثلُ هذا بيتُ زهير :

ضَمِنَّا مَالَهُ وَغَدَاً جَمِيعًا عَلَيْنَا نَقْضُهُ وَلَهُ النَّمَاءُ

وقبل بيتِ زهيرِ هذا قوله :

أجاءته : جاءت به وأجأته ، وجارٍ سار معتمداً إلينا أجاءته الخفاة والرجاء
أيسرته إليها منافته منا غيرنا فجاور مكرماً حتى إذا ما دعاه الضيفُ وانقطع الشتاء
ورجاؤه فينا . ضَمِنَّا مَا لَهُ وَغَدَاً جَمِيعًا * كانوا يجاورون في الشتاء
لشدة الزمان وعدم الخصب

فقد علمت اشتغالها على ما ذكره هذا الشاعر وتفردها بما زاد عليه من جار إلى أهله ومحضه . والمعنى . ويجوز أن يكون « حتى » بمعنى كفي ، فيكون المراد لا يَعْلَمُ الجارُ لحسن توفيقهم عليه ، وتوخذهم إياه باتخاذ الصنائع لديه أنه جارٌ ، لكني يكون عزيراً مدةً مقامه ، أو يفارقهم مُخْتَارًا ، موفورَ المال ، مَصُونَ الحال .

٤ - كأنه صدع في رأسٍ شاهقةٍ من دونه لعتاقِ الطيرِ أوكارٌ^(١)

يقول : كأنَّ الجارَ لَمُنَّعِهِ بهم ، وتعززه حين استظهر على الزمان بمكانه فيهم ، وعلَّ احترز عن طلَّابه في رأسٍ قلَّةٍ شاحخةٍ أوكارُ عتاقِ الطيرِ دونه ، وهو

(١) في معجم المرزباني : « ودونه » .

أرفع منها وأحصن . فالتشبيه تناول ما ذكرت من التمتع والتحصن . ويعني بعِناق الطير : العِقبان وما أشبهها من أحرار الطير ، وما يتخذ الوكور في الجبال . وإلى هذا أشار الهذلي^(١) في قوله :

حتى انتهيتُ إلى فراشِ عَزِيزَةٍ سَوْدَاءِ رَوْتُهُ أَنْفِهَا كَالْمِخْصَفِ

• الرَّوْتَةُ : طرف
الأنف ، يريد طرف
منقارها .
والمخصف : المخز .

يعني وكر عَقَاب . وَالصَّدَعُ وَالصَّدِيعُ : الفتي من الأوعال ، وقيل هو المربوع وقد استعمل في الرَبْعَةِ من الرجال .

٩٤

وقال آخر^(٢) :

١ - نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمَهْلَبِ شَاتِيًّا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ مَحَلٍ^(٣)

يقول : أَوَيْتُ لِمَا تَغَرَّبْتُ عَنْ أَوْطَانِي دَاخِلًا فِي الشِّتَاءِ ، مُتَمَحِّنًا بِالْجَدْبِ وَالْقَحْطِ ، مُلْجَأً إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى الزَّمَانِ بَغِيرِي ، إِلَى آلِ الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَنَزَلْتُ فِيهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ يَقْتَصِرُ مَا رَأَى فِيهِمْ . وَيُقَالُ زَمَنُ مَحَلٍّ ، وَصِفَ بِالْمُصَدَّرِ ، وَزَمَنُ مَاحِلٍ وَزَمَنُ مُمَحِّلٍ . وَالْأَصْلُ فِي الْحَلِّ : انْقِطَاعُ الطَّرِيقِ وَيُبْنَسُ الْكَلَاءُ . وَيُقَالُ أَرْضٌ مَحَلٌّ وَأَرْضٌ مُحُولٌ ، وَصِفَ بِالْجَمْعِ ، كَأَنَّهُ أُجْرِي عَلَى أَقْطَاعِ الْأَرْضِ ، كَمَا يُقَالُ : ثَوْبٌ مِرْقٌ .

• الْكَلَاءُ : العُشْبُ ،
وَأَجْمَعُ الْكَلَاءَ .

٢ - فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسَبْتُهُمْ أَهْلِي^(٤)

(١) هو أبو كبير الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١١٠) .

(٢) هو بكير بن الأخنس ، كما في البيان والتبيين (٣ : ٢٣٣) . على أن المقطوعة

بدون نسبة في ترجمة المهلب بن أبي صفرة من وفيات الأعيان ، وكذا في عيون الأخبار .

(١ : ٣٤١) .

(٣) في البيان : « فقيراً بعيد الدار » .

(٤) البيان : « إلفاتهم وافتقارهم وإكرامهم » .

يقول : لم يزالوا يؤثرونني بالإحسان والحُسنى ، ويختصونني بإسداء الجميل
والنعمى ، ويلتزمون لي من الإكرام والتقريب ، والإدناء والترحيب ، حتى
ظفنتهم عشيرتي ، وتشككت في اغترابي منهم ، وبعد نسيي عنهم . ومن
الاقتفاء القفي ، وهو المكرم من الضيوف والسكن ، والقفاوة . قال :

* يصف فرساً :

القفي والقفيه : ما يؤثر

بـ الضيف والضيف من اللبن .

السكن : أهل الدار .

والمربوب : المربي ، وهي

من صفة حنّ يبيد قبله ،

[واحة : السريع] .

• الدواء : ما عولج به الفرس
من تضيير وحند ، وهو أن
تجل لقرق ويذهب شحمها فلا
تنفس تنفساً شديداً إن هربت .
ويريد بالدواء هنا اللبن خاصة
لأنهم كانوا يضمرون الخيل بشره
إضافة إلى الحنن . ويؤثرون الضيف به .

* يُعطي دواءً قفي السّكنِ مرَبُوبٍ (١) *

٩٥

وقال جابر بن ثعلب الطائي (٢) :

١ - وَقَامَ إِلَيَّ الْعَاذِلَاتُ يَأْمَنِي
يَقْلُنَ أَلَا تَنْفَكُ تَرْحَلُ مَرْحَلًا (٣)

يقول : انتصب اللواتم عاتبات علي ، سائقات العنق إلي قائلات : ألا تزال
ترحل ارتحالاً فلا تستقر بك دار ، ولا يقرب لك مزار ، ولا يحط عن
راحلة رحل . ومرحلاً انتصب على المصدر ، كما تقول : أما تنفك تخرج
نخرجاً وتبعد متبعداً . ومعنى ترحل تشد الرحل . وموضع « يأمني » موضع
الحال ، « ويقلن » في موضع البدل من يأمني .

• الرحل : ما يوضع على
ظهر البعير للركوب .

٢ - فَإِنَّ الْفَتَى ذَا الْحَزْمِ رَامَ بِنَفْسِهِ
جَوَاشِنَ هَذَا اللَّيْلِ كَيْ يَتَمَوْلَا

في الكلام اختصار ، كأنه قال : فأجبتن فقلت : إن الفتى الحازم يحمل
نفسه المشقات ، ويرمي بنفسه المتألف الصعبات ، ويمتطي الأهوال ، كي ينال

• فرس أسفى : ضيف شعر
الناسية ، وليس بجهودي
أخيل .

(١) سلامة بن جندل السعدي ، كما في البيان (قفا) . وصدرة :

* ليس بأسقى ولا أقي ولا سغل *

(٢) التبريزي وابن جني : « جابر بن ثعلب » . وفي الكامل ٢٩٩ لبيسك : « جابر

بن ثعلبة » . وانظر ما سبق في ص ٢١٥ .

(٣) التبريزي : « ويروي : ألا يا ارحل لأهلك مرحلا » .

والقناي أخيل :

أعيداب في الأضياكون
في الرحيل .

• السفل : الدقيق القوام

الصفير الحجة الضعيف .

«الأموال ، غَيْرَ مُفَكَّرٍ فِي ظِلْمَةِ لَيْلٍ ، وَلَا مُسْتَضْعَبٍ لِرُكُوبِ خَطْبٍ . وقوله :
« جَوَاشِنَ هَذَا اللَّيْلِ » يَعْنِي صُدُورَهَا وَأَوَائِلَهَا . وَاللَّيْلُ بِإِزَاءِ النَّهَارِ فِي الِاسْتِعْمَالِ ،
وَاللَّيْلَةُ بِإِزَاءِ الْيَوْمِ . وَالْإِشَارَةُ بِ« هَذَا » عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيبِ . وَهُمْ يَسْتَعِيرُونَ
الْجَوَاشِنَ وَالْهَوَادِي وَالصُّدُورَ وَالنَّحُورَ وَالْأَعْنَاقَ وَالرُّءُوسَ لِأَوَائِلِ الْأُمُورِ ،
كَمَا يَسْتَعِيرُونَ الْأَعْجَازَ وَالْأَدْبَارَ وَالْأَعْقَابَ وَالْأُذْنَابَ لِأَوَاخِرِهَا .

• الهوادي : جمع هادي ،
وهو العنق .
والنحور : جمع نحر ،
وهو أعلى الصدر .

٣- وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ بِحَمْدِ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ الْعَمِّ مُخْوَلًا (١)
اِفْتَقَرَ فِعْلٌ مُفْتَقِرٌ وَفَقِيرٌ جَمِيعًا ، اسْتَعْنَى بِهِ عَنْ فَقْرٍ . يَقُولُ : مَنْ نَالَهُ
الْفَقْرُ بَيْنَ عَشِيرَتِهِ وَأَهْلِيهِ حَمْدَ الْغِنَى ، وَصَارَ عِنْدَهُ الْمَطْلُوبَ وَالْمَتَمَنَّى ، وَإِنْ كَانَ
مَعْطُوفًا عَلَيْهِ مُكْرَمًا ، وَمُعَمًّا فِيهِمْ مُخْوَلًا . وَقَوْلُهُ : « وَاسِطَ الْعَمِّ » سِطَّةٌ
الْحَسَبُ : كَرَمُهُ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ وَسَطٌ . قَالَ :

* وَقَدْ وَسَطْتُ مَالِكًا وَحَنْظَلًا (٢)

ويقال : فلانٌ وسيطٌ في قومه : جليلٌ ، وفلانٌ واسيطُ القومِ ، وهو
أوسطهم أي أشرفهم .

٤- كَانَ الْفَتَى لَمْ يَغْرِيَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكُ صَعْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا

هذا الكلام بعث على التجوال ، وتحضيض في اكتساب المال ، فيقول :
إِذَا اقْتَنَيْتَ بَعْدَ فَقْرِكَ ، وَاكْتَسَيْتَ عَنْ عُرْبِكَ ، فَكَأَنَّكَ مَا كُنْتَ قَطُّ
فَقِيرًا وَلَا عُرْبِيَانًا . وَالْمَعْنَى : إِنْ مِنْ اسْتَبَدَلَ بَعْسَرِهِ يُسْرًا ، وَنَالَ عَقْبَ ضَيْقِهِ

• قال أبو عبيدة : قنَى
الرجل يقنَى قنَى مثل
قنَى يقنَى غنَى .
(اللسان : قنأ)

(١) ضبطت «مخولا» بفتح الواو فقط في النسختين ، وهي لغة صحيحة . يقال أخول
الرجل وأخول ، بالبناء للمعلوم والمجهول ، فهو مخول ومخول بكسر الواو وفتحها . ومثله المعم
والمعم ، وهو الكثير الأعمام . ورواه ابن جني :

ويزري بظرف المرء قلة ماله وإن كان أقوى من رجال وأخولا

(٢) أراد : وحنظلة . وهي القبيلة . والرجز لغيلان بن حريث . اللسان (وسط) .

• صيأبها والعادك الجليلا * الصياب : خيار من كل شيء .

رخاء ، فكأنه ما سبق إليهما ، ولا زوجم فيهما . وفي طريقته ما بعده ، وهو :
« ولم يك في بوس » . والصُّغْلُوك : الفقير .

٥ - وَلَمْ يَكُ فِي بُوسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً يُبْنَغِي غَزَا الْأَسَاجِي الطَّرْفَ أَكْحَلًا (١)

يقول : وإذا استمتع ليلةً بمناجاة إنسان كأنه غزال في طرفه فتر ، وفي عينه كحل ، فكأنه ما كان ذا بوس قط . أي تُعْنِي النِّعْمَةُ على آثار الضر ، وتمحوها حتى تُنسى . وقوله « ولم يك في بوس » قد مرَّ الكلام في حذف النون منها تخفيفاً . والمناغة : المغازلة ، وأصله من النغية ، وهي الصوت اللطيف ، . سَارَّهُ مَسَارَّةً وَسِرَّارًا : والنَّعْمَةُ الحسنة الخفية ، ولذلك يُفسَّرُ للمناغة على المَسَارَّةِ . والساجي : الساكن ، ناجاه وأعلمه سره . يقال لئيل ساج . قال :

* يَا حَبْدَا الْقَمَرَاءِ وَاللَّيْلُ السَّاجِ (٢) *

٩٦

وقال بمض بني طي :

١ - إِنْ أَدَعَ الشُّعْرَ فَلَمْ أَكْذِهِ إِذْ أَزَمَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ

قوله « إذ أزم » ظرف لقوله أذع . وتقدير الكلام : إِنْ أَدَعَ الشُّعْرَ إِذْ أَزَمَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ فَلَمْ أَكْذِهِ . ويريد بالحق كبرته وشيخوخته ، وما أخذ به النفس عنده من مراعاة الحق ، والرجوع عن الهزل إلى الجد . وأراد بالباطل الصبا واللهو وما يتبعهما مما يُعَدَّ سفهاً وقوله « فلم أكذِهِ » أصله من حَفَرَ

(١) التبريزي : « فاطر الطرف » ، ثم أشار إلى رواية « ساجي الطرف » . وأنشد بعده بيتاً لم يروه المرزوقي ، وهو :

إذا جانب أعيك فاعمد بجانب فإنك لاق في بلادٍ مُعَوَّلًا

(٢) في الأصل : « ساجي » ، صوابه من م واللسان (قمر) . وبعبه :

* وَطَرَقَ مِثْلُ مَلَأَ النَّسَاجَ * الملاء : الملاءة .

فَأَكْدَى ، إِذَا بَلَغَ الْكُدْيَةَ ، فَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ الْحَفْرُ وَإِنْبَاطُ الْمَاءِ . وَالْكُدْيَةُ : مَكَانٌ صُلْبٌ يُعْنِي الْحَافِرَ . وَيُقَالُ أَيْضًا : حَفَرَ فَأَجْبَلَ ، إِذَا بَلَغَ جَبَلًا . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : أَكْدَى فِي الشَّعْرِ وَالْعَطَاءِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ . وَقَالُوا أَيْضًا : فَلَانٌ بَلَغَ النَّاسُ كُدْيَتَهُ ، أَي كَانَ يُعْطِي ثُمَّ أَمْسَكَ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ تَرَكْتُ الشَّعْرَ حِينَ تَحَلَّمْتُ ^(١) وَارْعَوَيْتُ ، وَصَارَ الْحَقُّ عَاضًا عَلَى بَطَّالَتِي ، وَالْحِلْمُ ^(٢) مَانِعًا مِنْ جَهَالَتِي ، فَلَمْ أَتْرُكْهُ عَنْ عَجْزٍ لَاحِقٍ ، وَإِلْخَامٍ حَاصِلٍ . وَالْأَزْمُ : الْعَضُّ ، وَتُوسَّعَ فِيهِ ، فَقِيلَ : « نَعَمْ الدَّوَاءُ الْأَزْمُ » ، يَرِيدُونَ الْحَمِيَّةَ .

٢ - قَدْ كُنْتُ أُجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ وَأَكْثَرُ الصَّدِّ عَنِ الْجَاهِلِ

يقول : كُنْتُ أُجْرِي الشَّعْرَ عَلَى حَقِّهِ وَكُنْهِهِ ، وَأَقْرَضُهُ مُسْتَمِرًّا فِيهِ عَلَى حَدِّهِ أَيَّامَ شَبَابِي ، وَقَبْلَ ارْتِدَاعِي ، وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَكْثَرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجُهَالِ ، وَأَتَصَوَّنُ عَنْ مَكَائِلَتِهِمْ وَمَوَازِنَتِهِمْ . وَهَذَا يَجْرِي تَجْرِي قَوْلِ الْآخَرِ :
إِنِّي أَمْرٌ وَمُكْرِمٌ نَفْسِي وَمُتَنِدٌّ مِنْ أَنْ أَقَازِعَهَا حَتَّى أَجَازِيهَا ^(٣)
والمعنى أَرْبَابًا بِقَدْرِي عَنْ مَقَارِضَةِ الشُّعْرَاءِ ، وَبِمَجَازِبَةِ الشُّفَهَاءِ ، وَلَكِنْ إِنْ دَعَتِ الْحَالُ مَعَهُمْ ، وَالضَّجْرُ بِهِمْ ، إِلَى الْمَجَازَاةِ مَعَ مَرَاجِعَةِ الْحِلْمِ ، فَبِالْفِعْلِ لَا بِالْقَوْلِ ، وَعَلَى هَذَا كُنْتُ قَبْلَ هَذَا الْأَوَانِ مَعَ الْجُهَالِ .

٩٧

وقال آخر :

١ - زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِمَجْنُوبٍ خَبْتِ عُرْبِيَّتٍ وَأُجِمَّتِ ^(٤)

• أُجِمَّتِ الْإِنْسَانُ
وَالْفَرَسُ وَغَيْرُهُمَا
اسْتَرَّاحَ فَذَهَبَ إِعْيَاؤُهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَكَّمْتُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالْحِكْمُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٣) مِنَ الْهَمَاسِيَةِ ٧٤ . ص ٢٦٧ .

(٤) « جُنُوبٌ » فِي النُّسَخَاتِ بِضَمِّ الْجِيمِ : جَمْعُ جُنُبٍ . وَعِنْدَ التَّبْرِيذِيِّ بِفَتْحِ الْجِيمِ .

يقول : قال اللوام عاتبة على جندب ، ومنكرة لتودعه وميله إلى الراحة والخفض وترك السفر : إن ناقته حط عنها رحلها ، وأزيل كلالها ، فهي جامّة بجنوب خبت : والخبت ، أصله ما اطمان من الأرض (١) . ويقال أخبت الرجل ، إذا صار في الخبت ؛ وتوسّع فيه فقيل للمتأله الخاشع : هو مخبت .

٢ - كذب العواذل لورأين مناخنا بالقادسيّة قلن ليجّ وذلت

أبطل قولهنّ فذكر أنهنّ لو رأين منزلنا ومبر كنا بهذا البلد ، لقلن ليجّ جندب في السير وذلت الناقة . ويجوز أن يكون قوله « مناخنا » لم يشّر به إلى إناخة وإلى موضع لها ، وإنما يكون كقوله :

* فإن المندى رحلة وركوب (٢)

فيكون المعنى : لو رأين ما جعل بدلاً لناقتنا في موضع الإناخة لقلن ذلك . ومثله :

* تغليقها الإسراج والإجام *

أي جعل الإسراج بدلاً مما كان يُعلّق عليه . ويقرب منه قوله :

لما تذكّرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس (٣)
وإنما شاهد وقتهما فذكرهما به ، ولم يكن ممّ دجاج ولا نواقيس .

(١) ذكر ياقوت أن « خبت » علم لصحراء بين مكة والمدينة وماء لكلب ، وقرية من قرى زبيد باليمن .

(٢) لعلمة الفحل في المفضليات (٢ : ١٩٤) واللسان (ندى) . وصدده :

* تُراد على دمن الحياض فإن تعف *

وركوب : مصدر ركب ، ويروى : « وركوب » بفتح الراء ، وهو اسم هضبة . وفي اللسان : « رحلة وركوب : هضبتان » .

(٣) لجرير في ديوانه ٣٢١ والحيوان (٢ : ٣٤٢) .

• ليجّ في السير : أسرع وتهادى فيه .

• المندى : أن ترعى الإبل قليلاً حول الماء ثم ترد ثانية للشرب ، وهي التندية . يقول : يعرض عليها ماء الدمن فإن عاونه فليس إلا الركوب .

• تدار : تعرض على الماء .
• الدمن : التراب والبحر والقذى يسقط في الماء فيسمى الماء دمناً أيضاً .

٩٨

وقال الراعي (٤) :

١ - كَفَانِي عِرْفَانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ كَلُوءَ النُّجُومِ وَالنُّعَاسُ مُعَانِقُهُ (٥)

عِرْفَانُ : اسم صاحبه . فيقول : نام هذا الرجلُ وكفاني الاشتغالَ بالنوم ، وكَلَأْتُ النُّجُومَ وارتقتبُها ، وكفَيْتُهُ السهر ، وقد لَازَمَ النُّعَاسَ وعانقه . فإن قيل : كيف كَفَاهُ الْكَرَى ؟ قلت : هذا على مطابقة الكلام ، فلما قال كَفَيْتُهُ مُرَاعَاةَ النُّجُومِ وَنُبْتُ عَنْهُ فِيهَا ، قال : كَفَانِي الْكَرَى ، وإن كانت نيابةً ذلك عنه في الْكَرَى لا يَصِحُّ . وَيُرْوَى : « كَفَانِي عِرْفَانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ » ، أي معرفة الْكَرَى ، وليس بمرْتَضَى .

٢ - فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَبَنَاتِهِ وَبِتُّ أُرِيهِ النَّجْمَ أَيْنَ مَخَافِقُهُ

هذا تَطْنُزٌ مِنَ الْقَوْلِ (٦) ، لأن الساهرَ لا يَعْلَمُ مِنْ حَالِ النَّائِمِ أَنَّهُ يَحْمِلُ أَوْ لَا يَحْمِلُ . وَإِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى اسْتِحْكَامِ نَوْمِهِ وَتَلَذُّدِهِ بِهِ ، إِذْ كَانَتْ الْأَحْلَامُ لَا تَحْصُلُ لِلنَّائِمِ إِلَّا عِنْدَ ذَلِكَ . وَلَمَّا قَالَ بَاتَ يُرِيهِ النَّوْمُ امْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ ، قَالَ فِي مَقَابَلَتِهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : وَبِتُّ أُرِيهِ النَّجْمَ . وَهَذَا الْجِنْسُ يَكْثُرُ فِي كَلَامِ الْبُلْغَاءِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَمِنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ . وَ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ (٧) : * دِنَانُهُمْ كَمَا دَانُوا *

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٨٠ .

(٢) التبريزي : « قال أبو العلاء : ويروي عرفان . مسمى بالعرفان ، وهو

دويبة ، وقيل ضرب من الجراد » .

(٣) التطنز ، أراد به السخرية والتهم . والمعروف « الطنز » .

(٤) هو شهل بن شيبان . انظر ما مضى في ص ٣٥ .

وقد صرَّ جميعه مُسْتَقْصَى .

٩٩

وقال آخرُ :

١ - فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمْتُ بِرَحْلِي أَوْ خَيَّالَتُهَا الْكَذُوبُ (١)

حَذَفَ مَفْعُولَ نَازِلٍ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا أَنْزِلُ مَنْزِلًا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ ، أَيْ الْعَذَابَ . وَالْإِلْمَامُ : زِيَارَةٌ لَا لَبَثَ مَعَهَا . يَقُولُ : لَا أَنْزِلُ مَحَلًّا إِلَّا رَأَيْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ مُلَمَّةً بِرَحْلِي ، أَيْ مَتَّصِرَةً لِي بِهَذِهِ الصُّورَةِ ، تَشْوُقًا مِنِّي وَتَحَفُّيًّا . هَذَا فِي حَالِ الْيَقِظَةِ وَعِنْدَ فِرَاقِ الْبَالِ وَالِاشْتِغَالِ بِحَالِ النَّفْسِ . أَوْ رَأَيْتُ خَيَّالَتَهَا الْكَذُوبَ الْقَلِيلَةَ الْوَفَاءَ إِذَا نِمْتُ . وَيُقَالُ خَيَّالٌ وَخَيَّالَةٌ ، كَمَا يُقَالُ مَكَانٌ وَمَكَانَةٌ . وَجَعَلَهَا كَذُوبًا لِأَنَّهَا لَمْ يَتَحَقَّقْ فِعْلُهَا وَقَوْلُهَا . وَالْمَعْنَى : إِنِّي لَا يُخْلِنِي مِنْهَا لَا النَّوْمُ وَلَا الْيَقِظَةُ ، وَلَا يَلْفِتُنِي عَنْهَا لَا الرَّخَاءُ وَلَا الشَّدَّةُ ، وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ

• الرجل : ما يوضع على ظهر البعير للركوب .

• تنورتها : أي مثلت

نارها وتوهمها ، ولم

يرد نظر العين لأن

أذرعان منا حدود الشام ،

ويثرب مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

وبينهما مسافة بعيدة .

وقد بين ذلك بقوله : أذني

دارها نظر عال ، أي مرتفع

بعيد .

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا

بِثْرِبَ أذْنِي دَارِهَا نَظْرٌ عَالٍ

وقال الأصمعي في قول الآخر :

أَلَيْسَ بَصِيرًا مَنْ رَأَى وَهُوَ قَاعِدٌ

بمكة أهل الشام يختبئوننا

هو على التَّشَوُّفِ وَالتَّحَفِّيِّ .

٢ - فَقَدْ جَعَلْتَ قَلُوصَ ابْنِي سُهَيْلٍ مِنْ الْأَكْوَارِ مَرْتَمَهَا قَرِيبٌ (٢)

(١) ابن جني : « عطف على المضمر المرفوع المتصل بغير توكيد ، ولو أكد فقال أمت هي لكان حسنا ، غير أن الكلام طال بقوله : برحلي ، فناب طوله عن توكيده ، كما أن قول الله تعالى : ما أشركنا ولا آباؤنا ، لما طال الكلام فيه بلا . »

(٢) البيت من شواهد الخزانة (٤ : ٩٢) . ويروى : « ابني زياد » .

• الأكوار : جمع

كؤور ، وهو الرَّمْلُ .

جَعَلْتُ هَاهُنَا بِمَعْنَى طَفِقْتُ وَأَقْبَلْتُ ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَعَدَّى . وَالْقَلُوصُ :
«الْفَتِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَمَرَّتَعُهَا قَرِيبٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ (١) . يَقُولُ : أَقْبَلْتُ قَلُوصُ
هَؤُلَاءِ الرِّجْلَيْنِ قَرِيبَةَ الْمَرْتَعِ مِنْ رِحَالِهِمْ ، قَصِيرَةَ الْمَسْرَحِ فِي رِوَاغِهِمْ ، لِأَنَّهُ لِمَا
لَحِقَهَا مِنَ الْكَلَالِ وَالْإِعْيَاءِ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَى التَّبَاعُدِ فِي الْمَرْعَى وَالْإِرْتِيَادِ .

٣ - كَأَنَّ لَهَا بِرَحْلِ الْقَوْمِ بَوًّا وَمَا إِنْ طِبَّهَا إِلَّا اللَّغُوبُ
يقول : كَأَنَّ لِهَذِهِ النَّاقَةِ وَلَدًا بِرَحْلِ الْقَوْمِ ، تَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتْبَاعِدُ
عَنْهُ ، وَمَا دَاوَاهَا إِلَّا الْإِعْيَاءُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ :

مِنَ الْكَلَالِ لَا يَذُقْنَ عُودًا لَا عُقْلًا تَبْنِي وَلَا قِيُودًا

وَالطَّبُّ أَصْلُهُ الْعِلْمُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الدَّاءُ الَّذِي يُعْلَمُ وَيُعْرَفُ . وَالْبَوُّ ،
أَصْلُهُ : جِلْدٌ فَصِيلٌ يُحْشَى تَبْنًا لِتِدْرُّ الْأُمُّ عَلَيْهِ .

١٠٠

وقال آخر (٢) :

٦ - إِنْ كُنْتُ لَا أُرْمَى وَتُرْمَى كِنَانَتِي

تُصِبُ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشْحِي وَمَنْكِي (٣)

(١) التبريزي : « وقال أبو العلاء : ويروى : فقد جعلت قلووص ابني سهيل . وكثير
من الناس يرفع القلووص ، وهو وجه رديء ، لأن القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن
من إتيانه بالفعل ... وليست جعلت في هذا الوجه في معنى المقاربة ، وإنما هي بمعنى صيرت فلا تفتقر
إلى فعل ، ويكون قوله مرتعها قريب ، جملة في موضع المفعول الثاني » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر وضرب بنو عم له اسمه حوشب - والحوشب :
العظيم البطن - ويقال إن هذا لجنديل بن عمرو » .

(٣) م : « جانحات » فقط . وكتبت في نسخة الأصل كما أثبتنا لتقرأ « جانحات »
و« جانحات » بوضع همزة تحت النون ، وكتب فوقها كلمة « معا » .

هذا مَثَلٌ . والمعنى : إذا لم أقصد في خاصٍّ أمرى ، ثم قصدتُ فيمن يشمله .
 عنابي ، عاد ذلك القصدُ بالشرِّ والمساءةِ عليَّ ، وصرتُ كأني أنا المقصودُ .
 و « الجانحاتُ » : المائلاتُ ، وروى بعضهم « جانحاتُ النَّبْلِ » وهي
 المستأصلاتُ المهلكاتُ . ويقالُ جاحهُ واجتاحهُ بمعنى . وليست هذه الرواية
 بجيدة ، لأنَّ الغرضَ ما ذكرته من أن من يمسه أمرُهُ إذا قصدَ كان كَنَفِسه .
 فإن قيل : فلمَ خصَّ الجانحاتِ ؟ قلتَ : المرادُ فيما ضربَ المثلَ له : إني
 رُميتُ^(١) إذا رُميتِ الجعبةُ المعلقةُ^(٢) عليَّ ، لأنَّ بعضَ السَّهامِ يصيبه وبعضها
 يصيبني . وإذا كان كذلك فلا بد من ذكر الجانحاتِ . و « النَّبْلُ » : اسمٌ
 صيغٌ للجمع . والكِنَانَةُ : ما يُغطَّى به الشيءُ في الأصل ، واختصَّ بها الجعبةُ
 وهو من الكَنِّ ، كالتستارةِ من السَّترِ . وفي القرآن : ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنةٍ ﴾ .
 وقد فصلَ بين كَنَنْتُ واكْتَنَنْتُ ، فجعلَ ا كْتَنَنْتُ لما يُضمرُ في القلبِ من
 الحديثِ والسرِّ ، وكَنَنْتُ لما يُسْتَرُ بشيءٍ . وذكر الدرديُّ أن الكِنَانَةَ
 لا يكونُ إلا للنَّبْلِ ، ويكونُ من أديمٍ ، فإذا كانت من خشبٍ فهو جَفِيرٌ ،
 وإن كانت من قطعتين مقرونتين فهي قرَنٌ ، والجعبةُ تكونُ للنَّبْلِ
 والنشابِ جميعاً .

٢ - أفيقوا بني حزنٍ وأهواؤنا مَعًا وأرحامنا موصولةٌ لم تُقَضِّبِ^(٣)
 يقول : اصحوا بني حزنٍ من سكرةِ جهلكم ، وانتبهوا من رقدةِ

(١) م : « إني مرى » . (٢) في الأصل : « المعلقة » ، صوابه في م .

(٣) روى قبله التبريزي :

فقلُّ لبني عمي فقدُّ وأبيهمُ منوا بهريت الشدقِ أشوسٍ أغلبِ

وفي تفسيره : « الهرت : سعة الشدق . ويقالُ مني له كذا ، أي قدر له كذا . وقوله :

منوا ، أي بلوا بمن هذه صفته ، وهي من صفات الأسد » . وروى بعده :

ولا تبعضوها بعد شدِّ عقالها ذميمةً ذكرِ الغيبِ في المتعقبِ

وفي تفسيره : « هذا مثل ، أي لا تبعضوا الحرب بعد السلم » .

غفلتكم ، الأهواء بعد متفكة ، وأسباب الرّحم موصولة ، لم يتسلط عليها العقوق ، ولم يقطعها الجفَاء والنُّبُو . والمعنى : كُفُوا عما أتم عليه من سيئات التقاطع والتدابُر ، قبل تفاقم الخطب ، واستفحال الشان . والقَضْبُ : القَطْعُ ، ومنه قيل للسيفِ المَقْضَبُ والقَضِيبُ . وقوله « معاً » في موضع الخبر ، أي مجتمعة .

٣ - فَإِنْ تَبَعْتُمْهَا تَبَعْتُمْهَا ذَمِيمَةً قَبِيحَةً ذِكْرِ الْغَيْبِ لِلْمُتَغَبِّبِ
يقول : إِنْ هَيَّجْتُمْ الْحَرْبَ هَيَّجْتُمْهَا مَذْمُومَةً قَبِيحَةً ذِكْرِ الْعَاقِبَةِ لِمَنْ يَتَّبِعُ الْعَوَاقِبَ فَيَتَدَبَّرُهَا ، وَيَتَعَدُّ الْمَصَائِرَ فَيَتَأَمَّلُهَا . وَيُقَالُ تَغَبَّبْتُ الْأَمْرَ كَمَا يُقَالُ تَعَقَّبْتُهُ ، أَي تَفَقَّدْتُ عَاقِبَتَهُ وَغَيْبَهُ . وَالغَيْبُ أَصْلُهُ فِي وَرُودِ الْمَاءِ وَالزِّيَارَةِ ، وَهُوَ يَنْوِبُ فِي أَسْمَاءِ الْأَطْيَاءِ وَغَيْرِهَا عَنِ الثَّلْثِ . فَأَمَّا قَوْلُهُمْ : « زُرُّ غَيْبًا تَزُدُّ حُبًّا » فَالْمُهْلَةُ فِيهِ أَوْسَعُ .

٤ - سَأَخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَزَنٍ لِحَوْشَبِ وَإِنْ كَانَ مَوْلَى لِي وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي
إنما قال هذا لأن بني عمه ضربوا مولى له ، فيقول : سأنتقم منكم يا آل حزن وإن كنتم بني أعمام ، وكان حَوْشَبُ مَوْلَى مُحَالِفَةٍ وَجِوَارٍ . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ :

فَإِنْ غَضِبْتَ فِيهَا حَيْبُ بْنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطَّةً تَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ .
وروى بعضهم : « وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ وَكُنْتُمْ » ، وَالْبَصْرِيُّونَ لَا يَجُوزُونَ مَدَّ الْمَقْصُورِ ، لِأَنَّهُ إِدْخَالُ زِيَادَةٍ عَلَى كَلَامِهِمْ ، وَيَجُوزُونَ قَصْرَ الْمَمْدُودِ ، لِأَنَّهُ حَذْفٌ لِلتَّخْفِيفِ ، وَرَدٌّ إِلَى الْأَصْلِ (١) . وَحَوْشَبُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ أَنَّهُ

(١) التبريزي : ويروي : « وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي » . على الزحاف الذي هو الكف ، وليس في الحماسة بيت مكفوف غيره . ويروي : مولى لي ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء . ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولاي وبني أبي . قلنا : والرواية بالكف هي رواية ابن جني في التنبيه .

[مما^(١)] لم يجي إلا بزيادة الواو ، وأنه مثل كوكب . وحكى الخارزنجي أن حشبا اسم رجل ، وأنه يقال أحشبنى كذا ، أي أحشمني^(٢) .

١٠١

وقال جميل^(٣) :

١ - أبوك أبوك أربد غير شكّ أحلك في المخازي حيث حلاّ

ارتفع أبوك بالابتداء ، وكرّره تأكيدا ، وأربد بدل منه ، وخبر المبتدأ أحلك . وانتصب « غير » على المصدر ، وهو مما يؤكد به ما قبله . ومثله حقا وما أشبهه . والمعنى أن لؤم أبيه موروث ، وأنه اقتداء بسلفه قد أنزل ابنه منزله في المخازي والقبائح ، حقا لا مزية فيه .

٢ - فما أنفيك كي تزداد لؤما للأم من أيك ولا أذلا

يقول : لا أبرئك من أيك طلبا لأن أنسبك إلى من هو الأم منه وأذك لزداد ذلا ولؤما ، لأن أباك النهاية في هذين . وانتصب « لؤما » على التمييز ، واللام من « للأم » تعلق بفعل مضمر ، كأنه قال : ما أنفيك من أيك وأدعوك للأم منه ، لأنه إذا نفاه من أبيه فقد جعله لغيره . ويجوز أن يحمل الكلام فيه على المعنى ، فيتصور أنفيك بأدعوك ، ويُعدى تعديته . ومثله

(١) هذه من م فقط .

(٢) م : « أحشبنى كذا في معنى أحشمني ، أي أغضبني » .

(٣) عند التبريزي وابن جني : « وقال آخر » وعكس الأمر في المقطوعة التالية ، إذ

نسبها التبريزي إلى جميل ، على حين نجد عبارة الإنشاد فيها في النسختين : « وقال آخر » . وهو جميل بن عبد الله بن معمر ، أحد عشاق العرب المشهورين ، وصاحبه بثينة ، وهما جميعا من عذرة . وجميل شاعر إسلامي معاصر لجرير والفرزدق وكثير عزة . الشعر والشعراء ٤٠٠ -

٤١٢ والأغاني (٧ : ٧٢ - ١٠٤) والمؤتلف ٧٢ ، ١٦٨ وابن سلام ٢٠٨ والخزانة

(١ : ١٤٣ - ١٤٦) وابن خلكان في رسمه .

قول الله عز وجل: ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ . وعلى هذا يُحمل قول الفرزدق:
* قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي ^(١) *

لما كان مَعْنَاهُ صَرَفَهُ اللَّهُ عَنِّي . ومن أبيات الكتاب (٤) :
إِذَا تَغَنَّى الْحَمَامُ الْوُرُقُ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارٍ ^(٥)
لأنه تُصَوِّرُ هَيَّجَنِي أَنَّهُ ذَكَرَنِي ، فَعُدِّي تَعْدِيَتَهُ .

١٠٢

وقال آخر (٤) :

١- أبوك حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدِّي يَاحَجَّاجُ فَارِسُ شَمَّرَا

• البرد : كسَاءٌ مَخْطُوطٌ
يُلْتَقَفُ بِهِ .

يقول : أبوك الذي سَرَقَ بُرْدَ ضَيْفِهِ وَغَدَرَ بِهِ وَخَانَهُ ، وَجَدِّي فَارِسُ هَذَا
الْفَرَسِ الْمَعْرُوفِ . وَسَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ ، أَصْلُهُ سَارِقُ بُرْدِ الضَّيْفِ ، لَكِنَّهُ
أَضَافَهُ إِلَى الضَّيْفِ بِنَاءٍ عَلَى قَوْلِهِمْ سَرَقْتُ الضَّيْفَ بُرْدُهُ ، وَالْمُرَادُ سَرَقْتُ مِنَ
الضَّيْفِ ، لَكِنَّهُ لَمَّا حَذَفَ الْجَارَ تَخْفِيفًا وَصَلَ الْفِعْلُ فَعْمَلٌ فِيهِ ، ثُمَّ أَضَافَ اسْمَ
الْفَاعِلِ إِلَيْهِ . وَعَلَى هَذَا يُقَالُ اخْتَرْتُ الرَّجَالَ زَيْدًا . وَشَمَّرُ فِعْلٌ فِي الْأَصْلِ
سُمِّيَ بِهِ الْفَرَسُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ عَلَى فَعَّلٍ . وَمِثْلُهُ خَضَمٌ ، وَهُوَ
لَقَبٌ لِلْعَنْبَرِيِّ بْنِ مَازِنٍ ^(٥) . وَحُبَابٌ بِجُوزِ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا وَسَارِقُ الضَّيْفِ خَبْرًا ،

(١) ديوان الفرزدق ١٨١ . قاله حين خرج من المدينة بعد موت زياد . وقبله :

* كيف تراني قالباً مجيى *

(٢) كتاب سيبويه (١ : ١٤٤) .

(٣) للنايعة الذبياني من معلقته في رواية جهمرة أشعار العرب ٥٣ . والرواية فيها : « ولو

تغربت » ، وكذا في كتاب سيبويه .

(٤) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني : « قال جميل » .

(٥) التبريزي : « وشمر اسم فرس ينشد بفتح الشين وكسرهما ، فإذا فتحت الشين فهو

مسمى بالفعل الماضي ، كما سمي الرجل خضم لكثرة أكله ... وإذا كسرت الشين فهو اسم
فعل ، مثل الإمر والهلع ، ويجب أن يكون على هذا الوجه اسم فرس أنثى ، وهو علم المؤنث
كامرأة نسميها بقنم ودنب . هذا ما ذكره أبو العلاء في هذه الكلمة » .

ويجوز أن يكون حُبَابُ خَبْرًا وسارقُ الضيفِ صَفَةً ، وهذا أجود حتى يكون في مقابلة فارسِ شَمَّر . كأنَّ المرادَ : أبوك المعروف بهذا الاسمِ ، وجدِّي المعروف بِذَا . ورواه بعضهم « فارسِ شَمَّر » بكسر الشين ، وقال : هو علمٌ مؤنثٌ مثل امرأة تُسَمِّيها قِنْبَ ودِنْبَ .

٢- بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لِآبَاءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيَّرًا

كما فضلَ جدَّه على أبيه في البيت الأوَّل فضلَ نفسه عليه في البيت الثاني . والمعنى أنَّ المرءَ يتقَيَّلُ أباه ، فإذا كان جدِّي صالحاً فأنا صالح ، وإذا كان أبوك صالحاً فأنت صالحٌ . وقوله « وَمَنْ يَكُنْ لِآبَاءِ صِدْقٍ » يُرِيدُ مَنْ كَانَ وَلَدَ آبَاءِ كِرَامٍ عُرِفَ بِهِمْ حَيْثُ ذَهَبَ ، ولقيهم أنَّى سارَ وظَعَنَ . واللامُ دَخَلَ فِي قَوْلِهِ لِآبَاءِ صِدْقٍ لهذا المعنى . ومِثَالُهُ :

لَيْنٌ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِيَجْلِقُ وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءِ الَّتِي عِنْدَ حَارِبٍ (١)

أي إن كان ولدَها . وصيدقٌ يُضَافُ إليه الواحد والجمع ، والمؤنثُ والمذكَّرُ ، ويُرادُ به المدحُ . فإذا قلتُ ثوبٌ صِدْقٍ ورجالٌ صِدْقٍ ، فالمعنى نِعَمَ الشَّيْءِ ذاك ، أي هو صادقٌ فيما يُحَمَدُ فيه لا كاذبٌ . وإذا أرَدتَ أن تجعلَهُ نِعْتًا فتحتَ الصَّادَ منه فقلتُ : هو الرَّجُلُ الصِّدْقُ ، ويُبَيِّنِي وَيُجَمِّعُ وَيُؤنِّثُ . قال :

* مَقْدُودَةٌ الْأَذَانُ صَدَقَاتُ الْحَدَقِ (٢) *

أَذَانٌ مَقْدُودَةٌ وَمَقْدُودَةٌ :
مَدْرُورَةٌ كَأَنَّهَا بُرِّيَّتٌ بِرِيًّا .

٣- فَإِنْ تَغَضَّبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَهُ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرًا

يقول : إن تسخطتم ما قسمه الله ، تعالَى جدُّه ، لكم ، وجعله نصيبكم ،

(١) للناطقة الذبياني في ديوانه ص ٣ .

(٢) لرؤبة في ديوانه ١٠٤ واللسان (صدق) . صدقاتُ الحدقِ : أي نافعَاتُ الحدقِ .

فَلْتَهُ كَانَ أَعْلَمَ بِكُمْ وَبَقَدَّرَ اسْتِحْقَاقَكُمْ ، لَمَّا لَمْ يَرَكُمْ أَهْلًا لِأَكْثَرِ مِنْهُ . وَالْمَعْنَى :
 إِنْ مَا حَصَلْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَخْسِ فِي الْقِسْمَةِ ، وَالنَّقْصِ مِنَ الْمَقْدَرَةِ ، وَالتَّأَخَّرِ فِي
 الْمَنْزِلَةِ ، حِكْمَةٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَصَفَةٌ ، وَلَوْ زَادَ مَسْتَحَقُّكُمْ عَلَيْهِ لِأَعْطَاكُمْ ،
 فَإِنَّهُ الْعَالِمُ الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْضِيَتِهِ . وَالبصير في صفة الله ، تحقيقه الْعَالِمُ .

١٠٣

وقال أبو النشاش (١) :

١- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرُخْ سَوَامًا وَلَمْ يُرِخْ سَوَامًا وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ (٢)

يُقَالُ سَرَحْتُ لِلْمَاشِيَةِ ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا بِالْغَدَاةِ إِلَى الرَّعْيِ ؛ وَأَرَحْتُهَا ، إِذَا
 رَدَدْتَهَا بِالْعِشِيِّ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لِمَ قَالَ « وَلَمْ يُرِخْ سَوَامًا » وَالنَّكِرَةَ إِذَا
 أُعِيدَ ذِكْرُهَا يَجِبُ تَعْرِيفُهَا ، بِدَلَالَةِ أَنَّكَ تَقُولُ رَأَيْتُ رَجُلًا بِمَكَانٍ كَذَا ، فَقَالَ لِي
 الرَّجُلُ كَذَا ؟ قُلْتَ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَكَّرَهُمَا لِأَنَّهُ تَصَوَّرَ الْمُرَاحَ بِمَا دَخَلَهُ مِنَ
 التَّنَاقُصِ وَالتَّزَايُدِ ، [بِالْأَخْذِ (٣)] مِنْهُ وَالرَّدُّ إِلَيْهِ غَيْرَ الْمَسْرُوحِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 فَالثَّانِي غَيْرُ الْأَوَّلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّوَامُ الثَّانِي غَيْرُ الْأَوَّلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُثْرَيْنِ
 مِنْهُمْ كَانُوا يَا مَسْرُونَ رِعَاءَهُمْ بِأَنْ يَقْتَضِبُوا قِطْعَةً مِنَ الْمَالِ كَيْفَ اتَّفَقَتْ (٤) ، لِيَجْبِسُوهَا
 عَلَى الْحُقُوقِ الْعَارِضَةِ ، سِوَى الْمُؤْنِ اللَّازِمَةِ ، فَكَانَتِ الْغَادِيَةَ لِمَا يَقِيمُونَهَا مِنَ النَّوْبِ

(١) كان أبو النشاش من لصوص بني تميم ، وكان يعترض القوافل مع شذاذ من العرب
 بين طريق الحجاز والشام ، فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده ، ثم هرب فلقى في طريقه
 غرابا على شجرة بان ، ينتف ريشه ، فلجأ إلى رجل من بني لهب فقال له : إن صدقت الطير يعاد
 إلى حبسه وقيده ويقتل ويصلب . فقال أبو النشاش هذه الأبيات . الأغاني (١١ : ٤٢ - ٤٣) .

(٢) الأغاني : « ولم يبسط له الوجه صاحبه » .

(٣) التكملة من م والتبريزي .

(٤) في الأصل : « اتفقتها » ، صوابه في م .

في ذلك غير الراحمة ، والراحمة غير الغادية . وإذا كان كذلك فالسؤال ساقط .
وَالْمَعْنَى : إذا الرَّجُلُ لم يَكُنْ ذا مَالٍ يُسْرَحُ بَعْضُهُ وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بَعْضُهُ ، على
حَسَبِ ما يَتَّفِقُ ، ولم يَكُنْ لَهُ أَقَارِبٌ يَتَعَطَّفُونَ عَلَيْهِ وَيَرَوْنَ مِنَ الْفُرُوضِ ^(١)
الواجبة الإحسان إليه ، فآلَمُوتُ خَيْرٌ لَهُ . وجَوَابُ إذا في البيت الثاني . ويجوز
أن يكون المراد بقوله ولم تَعَطَّفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ تَعَطَّفَ لِلنُّصْرَةِ وَالإِعْزَازِ ، فيكون
المعنى إذا لم يكن غَنِيًّا ولم يكن مُؤَيِّدًا بَدْوِيَّةً فيَعْتَرِزُّ بِهِمْ ، فآلَمُوتُ أَصْلَحُ لَهُ مِنَ
الحياة . وهذا المعنى أَحْسَنُ .

٢ - فَلَمُوتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ قُعودِهِ عَدِيمًا وَمِنْ مَوَالِي تَدِبُّ عَقَارِبُهُ ^(٢)

فَلَمُوتُ جواب إذا ، لتَضَمُّنِهِ معنى الجزاء . يقول : إذا الرجل لم يَكُنْ
على ما وصفتُ فُورُودُ المَوتِ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قُعودِهِ راضياً بفقْرِهِ ، وبإفْضالِ
مَوَالِي يُوذِيهِ بِالْمَنِّ ، ولا يُخَلِّصُ النعمةَ عِنْدَهُ مِنَ الشَّوَابِ . وديبُّ العقاربِ
كِنَايَةٌ عَنِ فِعْلِ الأَذَى والتَّحَدُّدِ بالكلمات المُكَدَّرَةِ . وانتَصَبَ « عَدِيمًا »
على الحالِ . ويجوز أن يكون المعنى في قوله « وَمِنْ مَوَالِي تَدِبُّ عَقَارِبُهُ » أن
يَحْصُلُ الفسادُ بين العَشيرةِ ، والتدابُرُ والاختلافُ ، فَكُلُّهُ يَقْصِدُ صاحِبَهُ بِالمَساءَةِ ،
وَيَبْغِي لَهُ الفَوَائِلَ . وهذا المَعْنَى يَتَلَفَّقُ مع المعنى الثاني في البيت الذي قَبْلَهُ .

٣ - وَنَائِيَةَ الأَرْجاءِ طَامِسَةَ الصُّوَى خَدَتْ بِأبي النشاشِ فِيها رَكايبُهُ ^(٣)

انجرت « نائية » بإضمار رُبِّ ، والواو داخلة للعطف ، ولم يَصِرْ بدلاً من رُبِّ

(١) م : « الفرائض » .

(٢) الأغاني : « تعاف مشاربه » .

(٣) الأغاني : « ودوية قفر يحار بها القطا » . وبعد البيت عند التبريزي :

لِيَكْسِبَ مَجْدًا أَوْ لِيُدْرِكَ مَعْنًا جزيلا وهذا الدهرُ جَمٌّ مَجَائِبُهُ
وعند أبي الفرج :

ليدرك ثأراً أَوْ لِيَكْسِبَ مَعْنًا ألا أن هذا الدهرَ تَرَى مَجَائِبُهُ

بَدَلَالَةٌ وَقُوعُ الْفَاءِ الْعَاطِفَةِ مَوْقِعَهُ وَبَلٌّ فِي نَحْوِ :

* فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ ^(١) *

و :

* بَلُّ بَلَدٍ ذِي عُقْدٍ وَإِحْبَابٍ ^(٢) *

• العُقْدُ : جمع عُقْدَةٍ ، وهي الأرض الكثيرة
الكَلأِ والأشجار .

يقول : وَرُبَّ مَفَازَةٍ بَعِيدَةٍ الْأَطْرَافِ ، دِرَاسَةِ الْأَعْلَامِ ، سَارَتْ بِأَبِي
النَّشَاشِ فِيهَا رَوَاحِلُهُ يَطْلُبُ الْمَالَ ، وَيَكْتَسِبُ الْمَجْدَ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَجُّحٌ
مِنْهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذِ الْفَقْرَ ضَجِيعًا ، وَلَا الدَّعَةَ حَلِيفًا ، بَلْ رَمَى بِنَفْسِهِ نَحْوَ الْمَرَامِيِّ
الْمُتَلِفَةِ ، وَطَوَّحَهَا فِي الْمَوَاطِي الْمُنْعَبَةِ . وَالْأَرْجَاءُ وَاحِدُهَا رَجَاءٌ . وَالطَّامِسُ :
الدَّارِسُ . وَيُقَالُ طَمَسَ وَطَسَمَ . وَالصُّوَى : الْأَعْلَامُ ، وَالوَاحِدَةُ صُوءَةٌ ،
وَمِثْلُهُ قُوَّةٌ وَقُوَى . وَمَعْنَى خَدَّتْ : أَسْرَعَتْ ، وَمَصْدَرُهُ الْخَدْيَانُ . وَالرَّكَّابُ :
جَمْعُ الرَّكُوبَةِ ، وَهِيَ الْمَرْكُوبَةُ ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمَوْصُوفُ ، بَلْ يُسْتَعْمَلُ عَلَى
انْفِرَادِهَا ، وَمِثْلُهَا الْخُلُوبَةُ .

٤ - وَسَائِلَةٌ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلٌ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ ^(٣)

يقول : رُبَّ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ سَأَلَا عَنِّي بظَهْرِ الْغَيْبِ ، لِمَا تَدَاخَلَ الْقُلُوبَ
مِنْ هَيْبَتِي ، وَالْإِشْفَاقِ مِنْ وَقَعَتِي . ثُمَّ قَالَ مُسْتَفْهِمًا عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ : وَمَنْ
يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ ، أَيُّ يَجِبُ إِلَّا يُسْأَلَ الصَّمَالِيكَ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، لِأَنَّهَا
لَا تُعْلَمُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَسْتَقَرُّ بِهِمْ مَوْضِعٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَحْوِبُهُمْ بَلَدٌ وَمَذْهَبٌ يَلْزَمُونَهُ
أَوْ يَخْتَصُّونَ بِهِ . وَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الصُّعْلُوكِ
لِيَكُونَ وَفَّقَ قَوْلُهُ « وَسَائِلَةٌ بِالْغَيْبِ عَنِّي » ، لَكِنَّهُ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى مَا قَالَهُ
تَأْكِيدًا لِلْمُرَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ سُؤَالُ نَفْسِهِ عَنْ مَذْهَبِهِ مُنْكَرًا لِاسْتِبْهَامِهِ
عَلَيْهِ ، فَسُؤَالُ غَيْرِهِ عَنْهُ أَبْعَدُ مِنَ الصَّوَابِ .

(١) لَا مَرِيئَ الْقَيْسِ فِي مَعْلَقَتِهِ ، وَهُوَ بِبَنِيهِ :

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمَرْضِعُ فَالْهِبَتَا عَنْ ذِي تِمَامٍ مَحْوَلٌ

(٢) فِي م : « بَلُّ بَلَدَةٍ » فَقَطْ . وَعِنْدَ التَّبْرِيذِيِّ : « بَلُّ بَلَدٍ » فَقَطْ .

(٣) الْأَغْنَى : « وَسَائِلَةٌ أَيْنَ ارْتَحَالِي » .

• حَبْرٌ « مِثْلِكَ » عَلَى إِسْمَارِ « رَبِّ »

أَرَادَ : رَبِّ امْرَأَةٍ حُبْلَى . الطَّرِيقُ :

الْإِيْيَانُ لَيْلًا . الْهَيْبَةُ عَنَّا سَدًّا :

شَغْلَتُهُ وَسُلُوكُهُ . التَّمَامُ : جَمْعٌ

بَعِيَّةٌ ، وَهِيَ الْعُوذَةُ . الْمَحْوَلُ :

الَّذِي تَمَّ لَهُ حَوْلُ أَيِّ سَفَرَةٍ .

فَخَصَّ الْحُبْلَى وَالْمَرْضِعَ لِزَهْدِهِمَا فِي الرَّمَالِ .

٥ - فلم أرَ مثلَ الفقْرِ ضاجِعَهُ أُلْفَتِي ولا كَسَوادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهُ
يُرَوَى « مِثْلَ الْهَمِّ » ، هُوَ مَصْدَرٌ هَمَمْتُ بِالشَّيْءِ ، أَي إِذَا هَمَّ بِحَيْثُ عَلَيْهِ
أَنْ يُنْفِذَهُ وَلَا يُؤَخَّرَهُ . وَيَقُولُ : لَمْ أَرَ كَالْفَقْرِ يَتَّخِذُهُ الْفَتَى ضَجِيعًا ، أَي يَرْضَى
بِهِ وَبَلْزُومَهُ لَهُ وَلَمْ أَرَ كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَكْدَى رَاكِبُهُ وَالطَّالِبُ فِيهِ . وَالْمَعْنَى :
يَجِبُ أَلَّا يَحْصُلَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، لَا الرِّضَا بِالْفَقْرِ ، وَلَا الْإِخْفَاقَ مَعَ رُكُوبِ اللَّيْلِ .
وَيُقَالُ ضَجِعَ ضَجْعًا وَضَجُوعًا وَاضْطَجَعَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْعَاجِزِ الضُّجْعِيُّ
وَالضُّجْعَةُ . وَتُسَمَّى الْكَوَاكِبُ الَّتِي لَا تَسِيرُ : الضَّوَاجِعُ . وَالْإِخْفَاقُ : أَنْ
يَفْزُؤَ فَلَا يَغْنَمُ ، أَوْ يَرْجُوَ فَيَخِيبُ . قَالَ عَنْتَرَةُ :
فِيُخْفِقُ مَرَّةً وَيُصِيبُ أُخْرَى وَيَفْجَعُ ذَا الضَّفَانِ بِالْأَرِيْبِ
وَقَوْلُهُ « أَخْفَقَ طَالِبُهُ » ، أَي الطَّالِبُ فِيهِ . وَهَذَا مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ
لِكَوْنِهِ فِيهِ .

١٠٤

وقال آخر (١) :

١ - أَلَا قَالَتْ أَلْتَنْسَاءُ يَوْمَ سُوَيْقَةٍ

عَهْدَتُكَ دَهْرًا طَاوِيَّ الْكَشْحِ أَهْضَمًا

• الكَشْحُ : مَا بَيْنَ الْخَاصِرَةِ
وَالضَّلُوعِ .

يَقُولُ : قَالَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ يَوْمَ اجْتِمَاعِنَا فِي سُوَيْقَةٍ : عَهْدَتُكَ زَمَانًا مَمْتَدًّا صَغِيرَ
الْبَطْنِ ، مَطَاوِيَّ الْكَشْحِ وَالْجَنْبِ . وَإِنَّمَا أَنْكَرْتَ سِمْنَهُ وَكَثْرَةَ لِحْمِهِ ، فَأَجَابَهَا
بِالْبَيْتِ الثَّانِي . وَالْهَضْمُ : انْضِمَامُ الضَّلُوعِ ، وَتَقَارُبُ الْجَنْبَيْنِ .

٢ - فَايْمًا تَرَى بِنِي الْيَوْمَ أَصْبَحْتُ بَادِنًا لَدَيْكَ فَقَدْ أَلْفَى عَلَى الْبُزْلِ مِرْجَمًا

• الْبُزْلُ : بِمَجْعِ بَازِلٍ ،
وَهُوَ الْبَعِيرُ إِذَا طَلَعَ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْحِمَاسِيَّةُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ بَعْدَ الْمَقْطُوعَةِ التَّالِيَةِ إِذْ تَقَدَّمَتْ الْمَقْطُوعَةُ التَّالِيَةُ
عَلَيْهَا عِنْدَهُ .

تَابَهُ ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ
الثَّامِنَةِ أَوِ النَّاسِفَةِ ،
فَيَكُونُ مَسْتَجِمَّعَ الشَّبَابِ
• النَّاسِفَةُ .

يقول : إن كنت ترينني اليوم - وهو إشارة إلى يومه وما يقرب منه - أصبحت مُثقلَ النفس ، مُبدَنَ الخلقِ لديك ، أي في منظرِك ومعتقدِك ، فإني إذا رَكبتُ البُزْلَ وُجِدْتُ عليها مِرْجَماً . والمِرْجَمُ : الذي كأنه آلةٌ في رَجْمِ الأرضِ بأخفافِ الإبلِ ووطءِ الأقدامِ . وينتصب « مِرْجَماً » على الحال . وقيل المِرْجَمُ في السَّفَرِ : البعيد في الغاية . وكما قيل رَجُلٌ مِرْجَمٌ ، قيل يَدٌ مِرْجَمٌ ، ورجلٌ مِرْجَمٌ ، ولسانٌ مِرْجَمٌ ، قال الشاعر :

* شَدِيدُ الرَّجَامِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ *

و « إمّا » ، في أكثر الأحوال يلزمُ الفعلُ الواقعُ بعده إحدى النونين الثقيلة والخفيفة ، لأنه كما أُكِّدَ حرفُ الشرطِ بـ « ما » أُكِّدَ الفعلُ المُشترطُ به بالنون أيضاً . وهاهنا جاء خالياً من النون .

١٠٥

وقال آخر^(١) :

١ - أَلَا قَالَتِ الْعَصْمَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعًا^(٢)

هذا في طريقة ما قبله . فيقول : قالت هذه المرأة لما التقيت معها : أعلمك عن قريبٍ ناعِمِ الحال ، تامِّ شَعَرِ الرأسِ ، لم يتسلطْ عليك صلَعٌ ، ولا حدثٌ انحسارُ شَعَرٍ ، ولا شُحوبٌ لَوْنٍ ، فكيف تغيّرتَ مع قُرْبِ الأَمَدِ . وانتصب « حَدِيثًا » على الظرفِ . وناعمَ البالِ ، مفعولٌ ثانٍ من أَرَاكَ . والأفْرَعُ : التَّامُّ شعرِ الرأسِ ، وجمعه فُرْعَانٌ . والأصلعُ خِلافُهُ .

(١) انظر ما سبق من الكلام على الترتيب في الحماسية السابقة ، وقد روى هذه الحماسية صاحب الخزانة (١ : ٤٨٢) ، وذكر أن أحداً لم يعرف نسبتها .

(٢) وقع هذا العجز في شعر متمم بن نويرة في قصيدته التي رثى بها مالكا :

تقول ابنة العصري مالك بعدما أراك حديثاً ناعم البال أفرعاً

المفضليات (٢ : ٦٨) .

٢ - فَقُلْتُ لَهَا لَا تُنْكِرِي بِنِي فَقُلَّ مَا يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى بَشِيبَ وَيَصَلَعًا

يقول: أَجَبْتُهَا وَقُلْتُ: لَا تُسَنِّكِرِي مَا رَأَيْتِ مِنْ شُحُوبِ لُونِي، وَانْحِسَارِ الشَّعْرِ عَنِ رَأْسِي، فَمَا يَنَالُ الْفَتَى السِّيَادَةَ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِشَيْبَتِهِ شَيْبًا، وَوُفُورِ شَعْرِهِ (١) صَلَعًا، وَإِلَّا بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الرَّأْيِ، وَاسْتِنْفَادِ الْعُمُرِ فِي اكْتِسَابِ الْمَجْدِ. وَقَوْلُهُ «قَلَّ مَا» يَفِيدُ النَّفْيَ هُنَا، وَمَا تَكُونُ كَافَةً لِقَلَّ عَنْ طَلْبِ الْفَاعِلِ، وَنَاقِلَةً لَهُ عَنِ الْأَسْمِ إِلَى الْفِعْلِ، فَإِذَا قُلْتَ: قَلَّ مَا يَقُومُ زَيْدٌ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ مَا يَقُومُ زَيْدٌ. يَدُلُّ هَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَأُجْرِي مَجْرَى مَا يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَقَالُوا أَيْضًا: أَقَلُّ رَجُلٍ يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ. وَأَنَّهُمْ أَجْرَوْا خِلَافَهُ مَجْرَاهُ، فَيَقُولُ: كَثُرَ مَا يَقُولُ زَيْدٌ. وَعَلَى ذَلِكَ بَيْتُ الْكِتَابِ:

..... وَقَلَّ مَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ (٢)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا» مِنْ قَلَّ مَا يَسُودُ الْفَتَى، مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَلَّ سِيَادَةُ الْفَتَى، أَيْ يَنْزُرُ اسْتِكْمَالُهَا إِلَّا مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ لَبِيدٍ:

قَلَّ مَا عَرَّسَ حَتَّى هَجَّتُهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ

لأنه ليس يريد نفي التعريس رأساً؛ إذ كان يعتاده قطاع الفلاة، ورُكَّابُ الظلام، بل يريد عرساً تعريساً قليلاً فهجته. ويقال: صَلَعٌ صَلَعًا وَصَلَعَةٌ، وَهُوَ أَصْلَعٌ وَصَلِيعٌ.

• التعريس: نزول القوم أثناء السفر للإستراحة ويكون هذا في آخر الليل حيث ينامون نومة خفيفة ثم يعاودون السفر.

٣ - وَلِلْقَارِحِ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عُلَالَةً مِنْ الْجَذَعِ الْمُرْخِي وَأَبْعَدُ مَنَزَعًا

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ فِي تَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ وَقَدْ أَدَّبَهُ السَّكْبَرُ، وَنَازَعَ

• القارح من ذي الحافر: ما استتم الخامسة وسقطت منه الحية الرابعة ونبت مكانها نابه. والجذع من الخيل: ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة. والمنزع: الغاية.

(١) في الأصل: «ووفور شيبه»، صوابه في م.

(٢) في الأصل: «وصال يدوم على الصدود»، صوابه في م وسيبويه.

(١: ١٢، ٤٥٩). ونسبة سيبويه إلى عمر بن أبي ربيعة، والشنتمري إلى المزار الفقعي.

• صدره: * صددت فأطولت الصدود وقلما *

الدَّهْرَ وَأَبْنَاءَهُ أَطْرَافَ الْخُطُوبِ، وَمَرَاثِرَ السِّيَادَةِ وَالْعُلُوِّ عَلَى الْأَحْدَاثِ الَّذِينَ لَمْ يَجْرِبُوا الْأُمُورَ، وَالْأَغْمَارَ الَّذِينَ لَمْ يُجَادِبُوا الشَّدَائِدَ، فَيَقُولُ: لِلْفَرَسِ الْمُتَنَاهِي فِي الْقُوَّةِ وَالسَّنِّ، الَّذِي يَجْرِي جَرِيَّةَ الْمَاءِ سُهولةً وَنَفَازًا، خَيْرٌ إِبْقَاءً وَأَبْعَدَهُ غَايَةَ مِنْ ابْنِ سَنْتِينَ وَهُوَ مُهْمَلٌ لَمْ يُسْتَفَنَّ بِهِ فِي رُكُوبٍ وَنَزُولٍ، وَلَمْ يَرْضَ (١) بِإِسْرَاحٍ وَإِلْجَامٍ. وَالْيَعُوبُ: الْفَرَسُ الْكَثِيرُ الْجَرِي (٢)، وَالْجُدُولُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ. وَالْعَلَالَةُ: الْبَقِيَّةُ مِنَ الْجَرِيِّ وَغَيْرِهِ، وَهَاهُنَا يَرِيدُ الْجَرِي. قَالَ الشَّاعِرُ (٣):

• السابح من الخيل: الذي يمد يديه من الجري كأنما يسبح.

إِلَّا عُلَالَةً أَوْ بُدَا هَةً سَابِحٍ نَهْدِ الْجُزَارَةِ

فَالْبُدَاهَةُ: أَوَّلُ الْجَرِيِّ، وَالْعُلَالَةُ: آخِرُهُ. وَقَوْلُهُ «مِنَ الْجَدَعِ الْمُرْخِي»

يُرْوَى الْمُرْخِي بِكسْرِ الْخَاءِ، وَالْإِرْخَاءُ: لِينٌ فِي الْعَدْوِ. قَالَ:

• الْإِرْخَاءُ: ضَرْبٌ مِنَ الْعَدْوِ. * وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٌ تَنْفُلٍ (٤) *
السرحان: الذئب.

والتقريب: وضع الرجلين موضع البدن في العدو. وَإِذَا رُوِيَ بِفَتْحِ الْخَاءِ فَهُوَ الْمُرْسَلُ الْمُهْمَلُ النَّزْوِعُ إِلَى الْغَايَةِ. وَانْتِصَابُ «عُلَالَةً» وَ«مَنْزَعًا» عَلَى التَّمْيِيزِ.

والتنفل: ولد القليب.

١٠٦

وقال شبيب بن عوانة (٥):

١ - قَضَى بَيْنَنَا مَرْوَانُ أَمْسٍ قَضِيَّةً فَمَا زَادَنَا مَرْوَانُ إِلَّا تَنَايَةً

(١) م: «ولم يؤدب».

(٢) كذا في م. وفي الأصل: «الكريم الجري».

(٣) هو الأعشى. ديوانه ١١٤.

(٤) لامرئ القيس. وصدرة:

• الإبط: الخاصرة. = يصف نفسه.

* له أبطلا ظبي وساقا نعامة *

(٥) التبريزي: «قال أبو هلال: ورواه بعض علماء البصرة للكرويس الطائي، وهو

الكرويس بن زيد بن الأخزم بن مصاد بن معقل بن مالك بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء.

بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة - وفطرة هو جديلة - . وخاصم

ابن عم له إلى مروان بن الحكم، فحبسه مروان.

يقولُ : قَضَى بيننا هذا الرجلُ بِحُكْمِيَّةٍ تَسَخَّطْنَاهَا ، ولم نَرْضَ بِهَا ، إذ لم يُقْصِدْ بِهَا صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، ولا تَلْفِي جَمْعِ الشَّمْلِ ، فإزددنا بها تَبَايُنًا عن الاصلاح والمراجعة واختلافًا وتناقضًا عن الالتئام والمواقفة وتباعُدًا . وقوله : « أَمْسٍ » تقريبٌ لزمانِ فِعْلِهِ ، ولم يُرِدِ اليَوْمَ الَّذِي وَلِيَ يَوْمَهُ . وهذا كما تقول : فلانٌ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا وَأَمْسٍ مَعْرِفَةٌ ، وإنما بُنِيَ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الألف واللام .

٢ - فلو كنتُ في الأَرْضِ الفُضَاءِ لَعَفْتُهَا ولكن أَتَتْ أَبْوابُهُ مِنْ وَرَائِهَا^(١)

يقول : لو كنتُ بالْبَدْوِ لَرَدَدْتُ حُكُومَتَهُ وَأَبْدَيْتُ كِرَاهِيَتِي لَهَا ، ولكني كنتُ أُسِيرًا إِذْ كُنْتُ فِي الْحَضَرِ حَاصِلًا فِي دَارِهِ ، وداخِلًا تَحْتَ مَلَكْتِهِ . ومعنى « أَتَتْ أَبْوابُهُ مِنْ وَرَائِهَا » أي حالتُ مَسالِحُهُ ومِراسِدُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَرادِي . ووراءُ بِمَعْنَى قُدَّامَ هُنَا ، ومِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ .

١٠٧

وقال جميل^(٢) :

١ - فَلَيْتَ رِجَالًا فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دِيَّ وَهَمُّوا بِقَتْلِي يَا بُشَيْنَ لِقُونِي

فِيكَ أَي فِي مَعْنَاكَ وَبِسَبَبِكَ . وقوله « قَدْ نَذَرُوا » مِنْ صِفَةِ رِجَالًا ، وَلِقُونِي خَبَرَ لَيْتَ . وَالْمَعْنَى تَمَنَّيْتُ أَنْ رِجَالًا فَعَلُوا فِي مَعْنَاكَ مَا فَعَلُوا مِنْ الْهَمِّ بِقَتْلِي ، وَعَقْدِ النَّذْرِ فِي سَفْكَ دِي ، التَّقْوَامِ عِي ، مَاذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِيهَامٌ أَنَّهُمْ لَا يَجْسُرُونَ عَلَى التَّعَرُّضِ لَهُ ، وَفِيهِ اسْتِهَانَةٌ بِأَقْوَالِهِمْ

(١) م والتبريزي : « بالأرض الفضاء » .

(٢) في الأصل : « وقال آخر » وأثبت ما في م . وعند التبريزي : « وقال جميل

بن عبد الله بن معمر العدي » . وقد سبقت ترجمة جميل في الحماسية ١٠٢ .

ومكايدهم ، وإن كانوا قد بدّلوا من القول ما بدّلوا ، وأضمرُوا فيه ما أضمرُوا .
وقد فسّرَ تَهَيَّبُهُمْ له ، وَنَكُوصَهُمْ عن الإقدام عليه في البيت الثاني .

٢ - إذا ما رأوني طالعًا من ثنيتي يقولون من هذا وقد عرفوني

يقول : إذا ما أبصروني^(١) مُقبِلًا عن عَقْبِي ، طالعًا عليهم من طريقِ
إليهم مُفضِيّةٍ ، يتساءلون فيما بينهم بقولهم : مَنْ هذا ، وإن كانوا عارفين بي .
أي يتجاهلونني جُبْنًا وإحجامًا .

٣ - يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحبًا ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

نَبّهَ بهذا الكلام على تملّقتهم وإظهارهم بالنفاق ما لا يوافق باطنهم ،
عَجْزًا وَضعْفَ كَيْدٍ . والمعنى يستقبلونني بالتأهيل ويتلقّونني بالترحيب عند
الالتقاء ، ولو أعطوا الظفر لآتوا عليّ وما أبقوا .

٤ - فكيف ولا توفى دماؤهم دمي ولا مالهم ذو كثرة فيدوني^(٢)

يقال : أَوْفَيْتُهُ وَوَفَيْتُ له بكذا وأَوْفَيْتُ ، وفي هذا بيانُ عُذْرِهِمْ في
تَرْكِ الوفاء بالنَّذْرِ ، وتعجّبٌ من أفعالهم عند اختلاف أحوالهم . فيقول :
كيف يُقدِّمون عليّ وليس في دماؤهم كلّهم وفاء بدمي ، ولا في مالهم اتّساع ،
فإذا عَجَزَت دماؤهم عن دمي فكيف يُعْطُونَ دِيَّتِي .

ويقال وَدَيْتُهُ أُدِيه دِيَّةً وَوَدِيَا .

(١) في النسختين : « أبصروا بي » .

(٢) التبريزي واللسان (نده) : « دو ندهة » . والندهة ، بفتح النون وضمها :

كثرة المال .

١٠٨

وقال يحيى بن منصور (ك) :

١ - وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِلْدَةٍ سِوَى بَيْنِ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ وَالْفِزْرِ

سِوَى فِي مَوْضِعٍ جَرَّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِبَلْدَةٍ . وَالْمَعْنَى وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ بِلْدَةٍ
مَتَوَسِّطَةً لِدْيَارِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ وَسَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ . وَالْمَعْنَى حَلَّ بَيْنَ مُضَرَ
وَنَأَى عَنِ رِبِيعَةَ ، لِأَنَّ قَيْسًا وَالْفِزْرَ مِنْ مُضَرَ . وَالْفِزْرُ : لَقَبٌ لِسَعْدِ بْنِ زَيْدِ
مَنَاةَ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ : سِوَى وَسَوَاءٌ فِي مَعْنَى الْعَدْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ . وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى ﴾ (ك) ، أَي مَكَانًا عَدْلًا .

٢ - فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَنَّا فَحَالَفْنَا الشُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

٣ - فَمَا أَسَامَتْنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَعْنُ أُغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتَرٍ

يَقُولُ : لَمَّا خَذَلْتَنَا عَشِيرَتُنَا - وَهِيَ رِبِيعَةٌ - فِيمَا نَابَتْنَا ، وَتَبَاعَدَتْ بِنُصْرَتِهَا
وَمَعُونَتِهَا عَنَّا ، وَتَرَخَّصَتْ فِي الْقُعُودِ عَنْ مُسَاعَدَتِنَا ، اِكْتَفَيْنَا بِأَنْفُسِنَا فَأَقَمْنَا بَدَارَ
الْحِفَاطِ وَالصَّبْرِ ، وَاتَّخَذْنَا سُيُوفَنَا حُلَفَاءَ عَلَى الدَّهْرِ ، فَمَا خَذَلْتَنَا فِي يَوْمِ حَرْبٍ
وَعِنْدَ مُدَافَعَةٍ وَجَهْدٍ ، وَلَا نَحْنُ غَمَّضْنَا (٣) جُفُونَنَا عَلَى وَتَرٍ وَحِقْدٍ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا
وَسُيُوفُنَا تَوَافَيْنَا فِيمَا عَلَيْهِ تَعَاقَدْنَا ، وَتَوَازَرْنَا فِيمَا لَهُ تَحَالَفْنَا (٤) ، فَبَلَّغْنَا نَحْنُ أَقْصَى

(١) الثبريزي : « وقال يحيى بن منصور الحنفي . قال أبو ريارش : هذا غلط من أبي تمام .
يحيى بن منصور هو ذهلي ، وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفي » .
(٢) كذا بكسر السين في النسختين . وهي إحدى الترواءات ، وقريء « سوى » بضم
السين في أخرى . تفسير أبي حيان (٦ : ٢٥٣) .
(٣) م : « أغضينا » .
(٤) في الأصل : « وتوازننا له له تحالفنا » ، صوابه في م .

المبالغ في طلب الأوتار ، وانتهت هي إلى أبعد النهايات في المعاونة والإحلاب . وهذا مثل ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعددٍم وعُدَّتِهِم ، وبلائهم وصبرهم واستغنائهم عن القاعدِين عن التَّحْمَلِ معهم والذَّبِّ عنهم من عشيرتهم . وقوله : « أَنْخَنَا » كناية عن الإقامة والثبات في وجوه الأعداء ، إلى أن وصلوا إلى المراد .

١٠٩

وقال أبو صخر الهذلي (١) :

١- رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْقُرْشِيِّ لَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَجَّرُ بِالرَّمَاحِ (٢)

جعل القرشيَّ جنساً لا عينا . والمعنى : رأيتُ فضيلةَ القرشيين حين قسَّتهم إلى غيرهم عند اشتجار الخيل بالرماح ، وانتظامها بها للطعنِ المختلفِ بينهم ، المتردِّدِ فيهم . وجوابُ لَمَّا مُقَدَّمٌ ، وهو « رَأَيْتُ » في صدر البيت . يريد : عند هذا الأمر بانَ فضلهم على الناس ، وقوله « تُشَجَّرُ » كلُّ شيءٍ دَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ فَتَشَاجَرَ ، ومنه سُمِّيَ الْمَشْجَبُ مِشْجَرًا ، وتشاجرَ القومُ بِالرَّمَاحِ : تطاعَنُوا .

• المشجب : ما يعلق عليه الشارب ونحوها

٢- وَرَنَقَتِ الْمَنِيَّةُ فَهِيَ ظِلٌّ عَلَى الْأَبْطَالِ دَانِيَةُ الْجَنَاحِ

(١) هو عبد الله بن سلم السهمي الهذلي ، شاعر إسلامي ، من شعراء الدولة الأموية ، كان متعصباً لبني مروان موالياً لهم ، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح كثيرة ، وروى أبو الفرج خبراً طريفاً له مع عبد الله بن الزبير إذ حبسه في سجن عارم ، بعد مقابلة أدبية بينهما ، ثم أطلق سراحه . الأغاني (٢١ : ٩٤) والخزانة (١ : ٥٥٥) .

(٢) مما هو جدير بالذكر أن هذه المقطوعة لم ترد في أشعار الهذليين أو دواوينهم . وذكر التبريزي رواية أخرى أيضاً ، وهي « فضيلة » بهيئة التصغير ، جعله علماً ، وقال : « رأيت فضيلة ، أي ضربت رنته . ويجوز أن يكون من رؤية العين ، أي رأيت في مشجر الرماح ، وكان شهد هذا الشاعر وفضيلة الحرب ، فعاد ولم يعد فضيلة ، فسئل عنه فجمجم في الجواب » .

انعطفَ « رَنَقْتُ » على الفعلِ الذي تَنَاوَلَهُ لَمَّا . فيقول : ولما استدارت-
 المنيَّةُ وحلقتُ على رءوس الأبطال ، فهي ظلٌّ دائيةُ الجناحِ من قِمِ رءوسهم .
 وهذا مثلٌ . والمعنى : لَمَّا أشرفتِ المنيَّةُ عليهم إشرافَ الطائرِ على ما يريد
 انكداره عليه ، بانَّت فضيلتهمُ . ويقالُ : رَنَقَ الطائرُ في الهواءِ ، إذا حلَّقَ
 واستدار ، وجعلَ للمنيَّةِ ظلًّا تحميها^(١) للاستعارة من الطائرِ ، لأنه يُوقِعُ ظلَّهُ
 في تلك الحالة . وجعل الجناحَ دائيةً تأكيداً لطمع الموتِ في الفوزِ بالأرواحِ
 الاختلاس . وكذا الطائرُ في التَّحليقِ عند الانقضاء . وارتفع « دائيةُ
 الجناحِ » و « ظلٌّ » جميعاً على أن يكونا خبرين لقوله هي ، كما تقول : هذا
 حلوٌ حامضٌ . ويجوز أن يكون دائيةٌ صفةً للظلِّ ، وأنتها على المعنى . ويجوز
 أن يُروى « دائيةٌ » بالنصبِ على أن يكونَ حالاً .

• انكدر على
 السُّيِّئِ: انصبَّ
 وانقضَّ .

١١٠

وقال بعضُ بني عبسِ :

١- أرقُّ لأرحامِ أراها قريبةً الحارث بن كعبٍ لا لجرمِ وراسبِ

يقولُ : يرقُّ قلبي بما تملكه^(٢) من الرحمة ، فانعطف^(٣) من أجلِ أواصرِ
 أراها قريبةً مشتبكةً بيننا ، من جهة الحارث بن كعبِ ، لا من جهة جرمِ
 وراسبِ . والحارث بن كعبٍ في نزارٍ ، وجرمٌ وراسبٌ من قضاة ، وهم من
 اليمن ، وكان الحارث بن كعب انتقلت إلى اليمن ، ولم تكن منهم ، فلهذا قال ما قال .

(١) في الأصل : « تخفيها » ، صوابه في م

(٢) م : « فأتعطف » .

(٣) م : « مما يملكه » .

وقيل : عَبْسٌ وَضَبَةٌ والحارثُ بن كعبٍ إخوةٌ لأم . [ورخم الحارث في غير النداء وذلك في الشعر جائزاً] .

٢- وَأَنَا نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نَعَالِهِمْ وَأَنْفَنَا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ (٢)

ذَكَرَ الْمَشَابِهَ الْحَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ تَأْكِدًا لِلْقُرْبَى وَالقَرَابَةِ ، الْمَوْجِبَةَ لِمَا ذَكَرَ مِنَ الرَّقَّةِ وَالشَّفَقَةِ ، عَلَى مَا حَدَّثَ فِيهِمْ مِنْ وَقُوعِ الْفُرْقَةِ ، وَسُقُوطِ التَّجَاوُرِ وَالخُلْطَةِ . فيقولُ : أَرِقَ لِلرَّحِمِ الْقَرِيبَةِ ، وَلأَنَا نَرَى أَقْدَامَهُمْ فِي النَّعَالِ كَأَقْدَامِنَا (٣) ، وَأَنْفَهُمْ بَيْنَ لِحَامٍ وَحَوَاجِبِهِمْ كَأَنْفِنَا . وَقَالَ بَيْنَ اللَّحَى وَلَمْ يَقُلْ لِحَامٌ ، لِأَنَّهُ بِإِضَافَةِ الْأَقْدَامِ وَالنَّعَالِ اكْتَفَى . وَذَكَرَ الْأَطْرَافَ لِأَنَّهَا تَظْهَرُ لِلْعُيُونِ ، وَالْمَشَابِهَ تَعَلَّقُ بِهَا أَكْثَرَ .

٣ - وَأَخْلَاقَنَا إِعْطَاءَنَا وَإِبَاءَنَا إِذَا مَا أَبَيْنَا لَا نَدْرُ لِعَاصِبِ

جَعَلَ الشَّبَهَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي الْخَلْقِ وَهَاهُنَا فِي الْخَلْقِ ، تَأْكِدًا لِلأَمْرِ . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ وَأَخْلَاقَنَا أَخْلَاقَهُمْ ، فَاعْتَمَدَ عَلَى أَنَّ الْعَطْفَ عَلَى قَوْلِهِ أَقْدَامَنَا يَدُلُّ وَيُغْنِي - لِمَا يُفِيدُهُ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ - مَا يُغْنِي فِي قَوْلِهِمْ قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرُو ، وَإِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو . فَكَأَنَّهُ قَالَ : وَأَنَا نَرَى أَخْلَاقَنَا كَأَخْلَاقِهِمْ ، إِذَا أُعْطِينَا أَوْ أَبَيْنَا . ثُمَّ ذَكَرَ مَا دَلَّ عَلَى تَشَدُّدِهِمْ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ فَقَالَ : وَإِذَا أَبَيْنَا لَا نَتَسَهَّلُ

(١) التكملة في م . ونحوها في التبريزي . وقال ابن جني : « رخم حارثاً في غير النداء

كقوله :

* وَأَضَحَتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أَمَامَا *

وغيره . وسبب جواز ذلك عندي في الضرورة كثرة ما تُنادَى هذه الأسماء ، فإذا نوديت رخت كثيراً ، فلما أُلِفَ فيها ذلك وكان فيه أيضاً ضرب من التخفيف جنحوا إليه عند الضرورة .

(٢) م : « فإننا نرى » .

(٣) في الأصل : « كأقدامهم منا » ، صوابه في م .

لمن يُريدُ قَهْرَنَا . وَأَصْلُ الْعَصْبِ الشَّدُّ ، ومنه الْعِصَابَةُ . وَضَرْعُ الْحُلُوبَةِ إِذَا
اشْتَدَّ الزَّمَانُ بِهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا فَرَفَعَتِ اللَّبَنَ ، بَشْدٌ وَيُحْتَلَبُ وَإِنْ ضَجِرَتْ ،
لِمَسَاسِ الْحَاجَةِ ، وَاسْتِيلاءِ الْفَاقَةِ . وَهَذَا الْكَلَامُ مَثَلٌ هَاهُنَا . وَمَثَلُ الْبَيْتِ
قَوْلُ الْآخِرِ (١) :

لَا يُخْرِجُ الْكَرْهَ مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيَةٍ وَلَا أَلَيْنَ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي
يُرِيدُ : إِنْ الْإِكْرَاهَ لَا يَزِيدُنَا إِلَّا امْتِنَاعًا ، وَالْاِقْتِسَارَ لَا يُحْصِلُ مِنَّا إِلَّا إِبَاءً .
وَيُسَبِّهُ مِنْ حَيْثُ النَّظْمُ قَوْلَهُ : « إِذَا مَا أَبِينَا لَا نَدِرُّ لِعَاصِبٍ » الْاَلْتِفَاتِ . أَلَا تَرَى
أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَطْرُدُهُ مِنَ الْقَوْلِ وَصَارَ كَأَنَّهُ التَّفَّتَ فَقَالَ ذَلِكَ .

١١١

وَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ حَمِيرٍ (٢) :

١ - مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي التَّيْمِ إِذَا التَّفَّ صِيْقَهُ بِدَمِهِ
ذَكَرَ أَنَّهَا قِيلَتْ فِي وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَعَبْدِ مَنَاةَ وَكَلْبٍ ، وَكَانَتْ عَلَى
حَمِيرٍ ، وَقُتِلَ فِيهَا عَلْقَمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ . وَقَوْلُهُ « مَنْ رَأَى » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَمَعْنَاهُ
التَّفْطِيعُ وَالتَّعْظِيمُ . وَأَرَادَ بِالْيَوْمِ الْوَقْعَةَ ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا صَلَحَ أَنْ يَكُونَ إِذَا ظَرَ فَا لَهُ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نَقَرْنَا فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ . أَلَا تَرَى

(١) هُوَ ذُو الْإِصْبَعِ الْعِدْوَانِي . الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ١٦١) .

(٢) ذَكَرَ التَّبْرِيْزِيُّ عَنْ أَبِي رِيَّاشٍ خَبَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَهُوَ خَبَرٌ طَوِيلٌ آثَرْنَا الْإِشَارَةَ
إِلَيْهِ . وَمُلَخَّصُهُ أَنَّ الْحَرْبَ وَقَعَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَصَحَارٍ ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ صَحَارٌ ، وَقَتَلُوا مَلِكًا مِنْ
مَلُوكِهِمْ يَدْعَى « ذَا ثَاتٍ » ، فَجَمَعَتْ حَمِيرٌ لَصَحَارٍ ، فَارْتَحَلَتْ صَحَارٌ مِنَ الْبِيْدَاءِ فَلَحَقَتْ بِبِلَادِ مَعْدِ
فَنَارَتْ حَمِيرًا إِلَى كَلْبٍ تَطْلُبُهُمْ بِدَمِ الْمَلِكِ - وَكَلْبٌ إِخْوَةُ صَحَارٍ - فَاسْتَنْجَدَتْ كَلْبٌ بِتَيْمِ الرِّبَابِ
فَأَنْجَدَتْهُمْ عَلَى حَمِيرٍ ، ثُمَّ ظَعَنَ بَنُو تَيْمٍ مِنَ الْبِيْدَاءِ فَلَحَقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَوْا بِيُوتَهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَمِيرٍ ،
ثُمَّ صَارَتْ حَمِيرٌ إِلَى التَّيْمِ وَعَدِي وَعَكْلٍ وَبَنِي وَبَرَةَ ، فَظَهَرَتْ بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ وَكَلْبٌ عَلَى حَمِيرٍ وَقَتَلَتْ
التَّيْمِ عَلْقَمَةَ بْنَ ذِي يَزَنَ ، فَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ حَمِيرٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ .

أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ مَعْنَى فِعْلٍ ، فَصَارَ يَوْمٌ مِثْلَ ظَرْفٍ فَآلَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَذَلِكَ النَّقْرُ يَوْمٌ مِثْلُ نَقْرٍ يَوْمٍ عَسِيرٍ . فَيَقُولُ : مَنْ شَاهَدَ يَوْمَنَا مَعَ بَنِي التَّيْمِ حِينَ التَّفَّ غُبَارُ الْجَوِّ بِالْدَّمِ ، وَتَنَدَّى بِهِ وَابْتَلَّ ، حَتَّى قَلَّ . وَالصِّيقُ : الْغُبَارُ الْجَائِلُ فِي الْجَوِّ . وَأَضَافَهُ إِلَى الْيَوْمِ لِكَوْنِهِ فِيهِ ، وَالتَّفَافِهِ كَانَ بِرِشَاشِ الدَّمِ الْقَاطِرِ مِنَ الْجِرَاحِ . وَيُقَالُ صِيقَةٌ أَيْضًا : قَالَ [رُوْبَةٌ (ص)] :

* يَتْرُكُنْ تَرْبَ الْأَرْضِ مَجْنُونِ الصِّيقِ *

وَصِيقٌ : جَمْعُ صِيقَةٍ .

٢ - لَمَّا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُمْ أَشِبُّ شَدُّوا حَيَازِيمَهُمْ عَلَى أَلْمِهِ

قَوْلُهُ أَشِبُّ أَي كَثِيرُ الْجَلْبَةِ ، صِيقُ الْاِخْتِلَاطِ ، وَالْمَكَانُ الْأَشِبُّ فِيهِ شَجَرٌ مُلْتَفٌّ . وَجَوَابُ لَمَّا «شَدُّوا» . يَقُولُ : لَمَّا أَحَسَّ بَنُو التَّيْمِ بَفْظَاعَةِ الْأَمْرِ وَاِخْتِلَاطِ الشَّانِ ، وَتَضَائِقِ الْمَجَالِ وَالْمَكْرَرِ ، وَطَنُّوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْأَلْمِ ، وَشَدُّوا حَيَزُومَهُمْ لِلْجَهْدِ ، وَتَهَيَّئُوا لِلصَّبْرِ عَلَى مَا ابْتَلَوْا بِهِ وَشَقُّوا لَهُ . وَالْحَيَزُومُ : الصَّدْرُ ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْحَزْمِ وَالْعَزْمِ ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُمَا . وَيُسَمَّى حَزِيمًا أَيْضًا ، كَأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُشَدُّ بِالْحَزَامِ . وَالْحَزَامُ مِنَ الْحَزْمِ أَيْضًا . وَشَدُّ الْحَيَازِيمِ مِثْلُ الصَّبْرِ عَلَى مَا لِحَقَمَهُمْ . وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

حَيَازِيمَكَ لِمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيكَ (ص)

يُرِيدُ : أَشَدُّ حَيَازِيمَكَ .

٣ - كَأَنَّمَا الْأَسَدُ فِي عَرِينِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قَتْمِهِ

(١) التكملة من م والتبريزي وانظر ديوان رؤبة ١٠٦ .

(٢) يروي أيضاً : « أشدد حيازيمك للموت » ، وهو أكثر ما جاء في الحزم . انظر

العمدة (١ : ٩٢) والأغاني (١٤ : ٣٣) .

يقول : إن هؤلاء القوم يتمنون على الأعداء ، ويبطشون بهم ، تمنع الأسد في أجمتها وبطشها منها ، ونحن كالليل ، يريدن نحن في كثرتنا وهولنا وإحاطتنا بهم ، وإدراكنا إياهم كالليل إذا جاش ظلمته ، وتراكم سواده . والقتام والقتم والقتمة ، يجيء في الظلمة والغبار والريح ، وجاء الفعل منه فقيل قتم يقتم قتماً وقتاماً . وذكر بعضهم أنه أراد بالقتم القتام فحذف الألف ، كما قال غيره ورواه قطرب :

• القتام : الغبار .

ألا لا بآرك الله في سهيل إذا ما الله بآرك في الرجال

ومصدر ما كان على فعل الفعل في الأكثر ، فلا أدري لم أنكره حتى اعتذر بما ذكره . والعرين : الأجمة ، أجمة الأسد ، ثم يسمى مقتتل القوم عريناً . ويقال للرجل : هو عرنة لا يطاق ، إذا كان خبيثاً . وقوله « عرينهم » موضعه موضع الحال ، والأسد خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال كأنما هم الأسد في مقتتلهم ، ونحن كالليل في هولنا وإدراكنا ، ويكون قوله جاش في قتمه ، في موضع الحال أيضاً ، والأجود أن يكون قد معه مضمرة ، أي كالليل وقد جاش .

• الأجمة : الشجر الكثير الملقح .

٤ - لا يسلمون الغداة جارهم حتى يزل الشراك عن قدمه مدحهم بحسن الحمامة على الجار . وترك الإسلام له مدة بقائه فيهم . وقوله « الغداة » أشار بها إلى غداة اللقاء ، أو صباح الغوار . وقوله « حتى يزل الشراك عن قدمه » فيه قلب ، والأصل زلت القدم عن الشراك . وهذا مثل لموته ، لأنه لا يلبسها بعده . واحتمل الكلام القلب لأن المعنى لا يخييل (١) كما لا يخييل في قولهم : أدخلت الخف في رجلي ، والقلنسوة في

• الشراك : سير النعل على ظهر القدم .

(١) لا يخييل : لا يشتبه ولا يلتبس . وفي اللسان : « وأحال الشيء : اشتبهه . يقال :

هذا الأمر لا يخييل على أحد ، أي لا يشك ، وفي الأصل : « لا يجبل كما لا يجبل » ، صوابه في م .

رأسي . وهذا كما يُقال هُرَيْقٌ جِفَانُهُ ، وَصَفِرَ وَطَابُهُ ، وَطُوبِي حَصِيرُهُ ،
وَحَلِي مَكَانُهُ . والمعنى لا يُسَامُونَ الجَارَ إلى أن يموتَ فيهم . ويجوز أن يكون
الهاء من قَدَمِهِ راجعاً إلى الشَّرَاكِ ويكونُ الكلامُ مثلاً لتفطيع الأمرِ ، وهذا
كما يقالُ : « زال السَّرْجُ عن المَعَدِّ (١) » و « بَلَغَ الحِزَامُ الطُّبِّيَّينَ » وما
أشبههُمَا . والمعنى إلى أن يَزَلِقَ الرَّجُلُ عن مَقَرِّهِ فلا يثبتُ في النعلِ ، والمعنى
إلى أن يَبْلُغَ الأمرُ كلَّ مَبْلَغٍ فَطِيعَ .

• الطبي: علمات الضرع
التي فيها اللبنا ، وهذا
سناية عن المبالغة في
تجاوز حد الشر والأذى
لأن الحزام إذا انتهى إلى
الطبيين فقد انتهى إلى
أبعد غاية ، فكيف إذا
جاوزه ؟

٥ - ولا يَخِيمُ اللِّقَاءُ فَارِسُهُمْ حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهِ

يقول : ولا يَجْبُنُ عن اللِّقَاءِ فَارِسُهُمْ فَيُحْجِمَ ، ولا يَضْعَفُ دُونَهُ فَيَحَارَ ،
بل يُقَدِّمُ إِفْدَامًا تُخْرَقُ (٢) الصُّفُوفُ به عِزَّةٌ نَفْسٍ ، وَكَرَمٌ عِرْقٍ . واللِّقَاءُ
يَنْتَصِبُ على المفعول ، الأصل عن اللِّقَاءِ ، فلَمَّا حَذَفَ حَرْفَ الجِرِّ تَخْفِيفًا وَصَلَ
الفِعْلُ فَعَمِلَ . ويجوز أن يكونَ ظَرْفًا كَمَطْلَعِ الشَّمْسِ ، أَرَادَ وقت اللِّقَاءِ .
وقوله « حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ » يريد إلى أن يَشُقَّهَا كَرَمًا مِنْهُ ، كَأَنَّهُ لا يَرْضَى
بِأَدْوَنِ المَنْزِلَتَيْنِ في اللِّقَاءِ لِنَفْسِهِ ، بل يَأْتِي إِلاَّ النِّهَايَةَ وَالغُلُوقَ . وَيُقَالُ خَامَ
الرَّجُلُ يَخِيمُ ، إِذَا كَادَ كَيْدًا فَلَمْ يُفْلِحْ فِيهِ ، أَوْ تَقَدَّمَ في الحَرْبِ فَانْكَصَ
وَلَمْ يَنْظُرْ . قال الشاعر ، وَأَنْشَدَهُ الخليل :

رَمَوْنِي عن قِيسِي الزُّورِ حَتَّى أَخَامَهُمُ الإِلَهَ بِهَا فَخَامُوا (٣)
ويجوز أن يكونَ قولُهُمْ خِيمَ بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ، وَالتَّخِيمَةُ وَاحِدَةُ الخِيَامِ ،
مِنْهُ أَخِذَا .

٦ - وما بَرِحَ التَّيْمُ يَغْتَزُونَ وَزُرُ قُ الخَطِّ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنْ سَقَمِهِ (٤)

• الزُّرُقُ : الأَسِنَّةُ ،
وَالزُّرُقُ سُدَّةُ الصَّفَاءِ
وَالخَطُّ : مَوْضِعُ بِلَادِ
الْبَحْرَيْنِ تَنْسَبُ إِلَيْهِ
الرِّمَاحُ لِأَنَّهَا تَبَاعُ بِهِ .

(١) المدد : واحد الممددين ، وهما موضع دفتي السرج .
(٢) م : « يَخْرَقُ » . (٣) أنشده في اللسان (خيم) .
(٤) كذا جاء البيت في الأصل بالخزم ، أي بزيادة حرف في أوله . وفي م والتبريزي :

ما بَرِحَ وما زالَ بِمَعْنَى ، وليس هذا من البراح من المكان . ألا تَرَى .
 أن الله قال : ﴿ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ ، وَمُحَالٌ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا
 الْمَوْضِعَ ، وَهُوَ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ . وَكَانَ الْكَلِمَةُ فِي اللُّغَةِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى
 الْمَجَاوِزَةِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ :

* أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا (١) *

أَي جَاوَزْتَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْثَالُكَ مِنَ الْخِلَالِ الْمَرْضِيَّةِ . وَالْمَعْنَى : مَا زَالَ
 بَنُو التَّيْمِ يَنْتَسِبُونَ وَيَدْعُونَ بِبِالْفُلَانِ مُعْتَزِينَ ، أَوْ يَخُذِ الطَّعْنَ وَأَنَا فُلَانٌ
 مُدْعِين ، وَالرَّمَّاحُ الْمَحْمُولَةُ مِنَ الْخَطِّ الزُّرْقِ فِي أَلْوَانِهَا تَشْفِي الْمَتَكَبِّرَ مِنْ كِبَرِهِ ،
 وَالْعَدُوَّ الْمُخَاتِلَ مِنْ دَائِهِ . وَقَوْلُهُ « السَّقِيمُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْمُنَافِقِ .
 الْمُدَاجِي ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَهُمْ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ . وَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ يُرَادُ بِهِ الصَّلْفُ التَّيَّاهُ ، كَمَا يُقَالُ عِنْدَ صِفَتِهِ : فِي طَرَفِهِ شَوْسٌ ، وَكَمَا
 جَاءَ فِي صِفَةِ الشُّيُوفِ :

* يَدَاوَى بِهَا الصَّادُ الَّذِي فِي النَّوَاطِرِ (٢) *

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَالرَّمَّاحُ فِي اخْتِلَافِهَا تَشْفِي الْمَوْتُورِينَ مِنْ أَوْتَارِهِمْ
 وَذُحُورِهِمْ . وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلرَّمَّاحِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ . وَقَوْلُهُ « وَزُرْقُ الْخَطِّ »
 الْوَاوُ وَوَاوُ الْحَالِ . وَيَعْتَزُونَ خَبْرًا مَا بَرِحَ .

٧ - حَتَّى تَوَلَّتْ مُجْمُوعُ حَمِيرٍ فَالْفَلُّ سَرِيعٌ يَهْوِي إِلَى أَمِّهِ (٣)

يُرِيدُ : مَا زَالُوا بِهَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى أَنْ انْهَزَمَتْ جِيُوشُ حَمِيرٍ ، فَصَارَ الْفَلُّ
 الْمُنْهَزِمُ مُبَادِرًا فِي السَّرْعَةِ إِلَى مَقْصِدِهِ . وَقَوْلُهُ الْفَلُّ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَصِفَ بِهِ

(١) للأعشى في ديوانه ٣٧ . وهو بتأمله :

تقول ابني حين جد الرحي * ل أبرحت ربا وأبرحت جارا

(٢) سبق في ص ٢٤٤ . (٣) التبريزي : « والفل » .

وهو مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ المَفْعُولِ ، ولذلك جاز أن تقولَ رَجُلٌ فَلَئِنْ وَقَوْمٌ فَلَئِنْ وَنِسْوَةٌ فَلَئِنْ . ومِثْلُهُ رَجُلٌ فَرٌّ ، إلا أنه مَوْضِعٌ مَوْضِعَ فَارٍ ، ويقع للواحد والجميع .

٨ - وَكَمْ تَرَكَنا هُنَاكَ مِنْ بَطَلٍ تَسْنِي عَلَيْهِ الرِّيحُ فِي لِمَمِهِ مَوْضِعٌ كَمْ نَضَبٌ عَلَى المَفْعُولِ مِنْ تَرَكَنا . يقولُ : وكثيراً تَرَكَنا فِي تلكِ المَعْرَكَةِ مِنَ الأبطالِ وَهم مُصَرَّعُونَ مُعَفَّرُونَ فِي تلكِ المَعْرَكَةِ ، بادُونَ للضياءِ وَالظُّلْمَةِ ، تأتي الرِّيحُ بِسَفاهاً وَتَجْعَلُهُ فِي لِمَمِهِمْ وَحِلَاهُمْ . وأشار بقوله هناك إلى مُعْتَرِكِ القَوْمِ وَمُزْدَحِمِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ .

سَفَتَ الرِّيحِ التَّرابِ : ذَرَّتْهُ .
و اللمم : جمع لمة ، وهو شعر الرأس المجاور سجة الأذن .

١١٢

وقال حسان بن نشبة (١) :

١ - وَنَحْنُ أَجْرنا الحَيِّ كَلْبًا وَقَدَأْتِ لَهَا حَمِيرٌ تُزْجِي الوَشِيحَ المُقَوِّمًا (٢)

يقول : أَدْخَلْنَا فِي جِوارِنا هَذِهِ القَبِيلَةَ ، وَضَمِنَّا لَهَا الذَّبَّ عَنْها وَسِلامَتِها على ما يَعرِضُ لَها ، وَقَدِ قَصَدَتْ لَها حَمِيرٌ بَعْدَها وَعُدَّتِها ، تَسُوقُ نَحْوَها الخِليلَ المُطَهَّمَةَ ، وَالرِّمَّاحَ المُثَقَّفَةَ . وَالوَشِيحُ أَصلُهُ عُرُوقٌ ، ثُمَّ جُعِلَ لِلرِّمَّاحِ أَنفُسِها . وَجَعَلَهَا مُثَقَّفَةً ، لِيُرِي عَنايَتَهُم بِإِعدادِ الآلَةِ لِزَمانِ المُقاتِلَةِ .

المطهم من الناس والخيول .
أحسن التام ، البارع
الجمال .

٢ - تَرَكَنا لَهم شِقَّ الشَّمالِ فَأَصَبَحوا جَميعاً يُزْجُونَ المِطِيَّ المُخزَمًا

(١) التبريزي : « وقال حسان بن نشبة العدوي في ذلك - أي في الحرب التي سبق الكلام عليها - أخو بني عدي بن عبد مناة بن أد . قال أبو محمد الأعرابي : هذا الاسم مصحف ، والصواب جساس بن نشبة ، مثل عساس . قال جرير يهجو جندب بن خرعب التيمي :

أجندب أشبهت التي كان بظرها كطرثوث أرض غير ذات أناس
لقد شهدت تيم على أم جندب وكان سراة التيم رهط جساس
يعني جساس بن نشبة التيمي .

الطرثوث : جنس نباتات طفيلية من فصيلة الجففيات . ومنه نوع طويل مستدق كالقطن ينبت في بادية مصر وحول بحر الروم .

(٢) م والتبريزي : « نحن أجرنا » بالخدم في أوله .

لَهُمْ يَعْنِي لِحْمِيرٍ . وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الشَّمَالَ كِنْيَةً عَنِ الشُّؤْمِ . فَمِنْ أَمْثَالِهِمْ :

* صَبَحْنَاهُمْ فَعَدَّوْا شَأْمَةً *

ويقولون : خَلَيْنَاهُمْ وَالْجَانِبَ الْأَشْأَمَ ، وَخَلَيْنَاهُمْ وَالنَّاحِيَةَ الشُّؤْمَى ، فَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ لِلْمُهْزَمِ وَإِنْ كَانَ مَأْخُذُهُ فِي الشَّقِّ الْأَيْمَنِ ، لِأَنَّ الشُّؤْمَ مَعَهُ وَالْإِدْبَارَ ، أَيَّ طَرِيقٍ أَخَذَ ، وَمَسَلَّكَ تَوَجَّهَ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : فُلَانٌ مَنِّي بِالْيَمِينِ ، وَفُلَانٌ بِالشَّمَالِ ، وَفُلَانٌ بَعْلِيَاءَ عِنْدِي ، وَفُلَانٌ فِي الْمَهَابِطِ ؛ إِذَا جَعَلْتَ مَنَزِلَتَهُ عَلَيْهِ أَوْ مُتَسَفِّلَةً . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : خَلَيْنَاهُمْ فِي الْإِنْهَزَامِ شِقَّ الشُّؤْمِ . وَجَانِبَهُ ، فَأَصْبَحُوا يُزْجُونَ مَطَايِمَهُمْ مُخْرَمَةً حَسْرَى كَالَّةَ (١) لَا يُبْقَى عَلَى وَجَاهِهَا ، وَلَا يُبْقَى حَفَاها. وَالْحَزْمُ : الشَّدُّ وَالْقَطْعُ . وَيُقَالُ شِرَاكٌ مُخْزُومٌ ، أَيُّ مَقْطُوعٌ .

• الْعَوْبَاءُ : أَنْ يَرُقَّ
الْحَاكِرُ مِنْ شَرِّهِ الْمَشِيءِ ؛
وَسَمَكَ الْحَقَّاقُ .

٣ — فَلَمَّا دَنَوْا صَلْنَا فَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ سَحَابِنَا تَنَدَى أَسْرَتَهُمْ دَمًا (٢)

يقولُ ، لَمَّا قَرُبُوا فِي الْإِلْتِقَاءِ ، صَلْنَا عَلَيْهِمْ وَبَطَشْنَا بِهِمْ ، فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ جَيْشِنَا الَّذِي كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ تَنَدَى طَرَائِقُهَا دَمًا . جَعَلَ السَّحَابَةَ تَرَشُّحُ الدَّمِ لَمَّا كَثُرَ سَفْكَهُمْ لَهُ . وَتَنَدَى فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَاتَّصَبَ دَمًا عَلَى التَّمْيِيزِ . وَيُقَالُ : نَدِي يَنْدَى نَدَى . وَالْأَمِيرَةُ : الْأَوْسَاطُ وَالطَّرَائِقُ ، وَاحِدُهَا سِرْرٌ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ أَيْضًا .

• صَالَ عَلَيْهِ صَوْلًا
وَصَوْلَانًا : سَطَّ عَلَيْهِ
لِيَقْتَرَهُ .

٤ — فَعَادَرْنَ قَيْلًا مِنْ مَقَاوِلِ حَمِيرٍ كَأَنَّ بِخَدْيِهِ مِنَ الدَّمِ عِنْدَمَا

يقولُ : تَرَكَتِ الْخَيْلُ فِي تَجْوَالِهَا مِنْهُمْ رَيْسًا مَضْرُوعًا ، قَدْ سَالَ الدَّمُ عَلَى خَدْيِهِ فَكَأَنَّهُمَا خُضِبَا بِالْعِنْدَمِ ، وَهُوَ دَمُ الْأَخْوَيْنِ . وَالْمَقُولُ بَلْغَةُ أَهْلِ الْيَمَنِ : الْقَيْلُ ، وَالْمَقَاوِلُ وَالْمَقَاوِلَةُ جَمْعُهُ ، وَهُمْ الْأَقْوَالُ وَالْأَقْيَالُ . وَقَيْلٌ مُخَفَّفٌ

(١) كَذَا فِي م ، وَفِي الْأَصْلِ : « فَالَةٌ » .

(٢) م وَالتَّبْرِيذِيُّ : « تَنَدَى أَسْرَتَهَا » .

من قَيْلٍ ، فهو من الواو أيضا ، ومعناه هو الذي يَفْعُدُ قَوْلُهُ ، وَيُعْتَمِدُ أَمْرُهُ ، وَنَهْيُهُ . وَوُصِفَ بِهِ الْمَلِكُ كَمَا وَصِفَ بِالْهُمَامِ ، لَمَّا كَانَ إِذَا هَمَّ بِالشَّيْءِ فَعَلَّ ، لَا يُرَدُّ وَلَا يُدْفَعُ . وَقِيلَ لِلْسَانَ مَقُولٌ لَمَّا كَانَ آلَةً فِي الْقَوْلِ .

٥- أَمْرٌ عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا مَطَاعِمُنَا يَمْجُجُنَ صَابًا وَعَلَقْمَا

• مَجَّ الشَّيْءُ مِنْهُ فِيهِ ،
وَمَجَّ بِهِ : لَفَّطَهُ .

يَقُولُ : صَارَتْ مَطَاعِمُنَا مُرَّةً عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَهَا ، حَتَّى إِذَا تَمَجَّجَ بَعْدَ ذَوَاقِهَا صَابًا وَعَلَقْمًا ، وَالصَّابُ : شَجَرَةٌ لَهَا لَبَنٌ إِذَا أَصَابَ الْعَيْنَ حَلَبَهَا . وَالْعَلَقْمُ : شَجَرَةٌ مُرَّةٌ ، وَقِيلَ هُوَ الْحَنْظَلُ . حُكِيَ أَنَّ الْعَلَقْمَةَ الْمُرَّارَةَ . وَيُقَالُ عَلَقَمَ الْحَنْظَلُ . إِذَا أَدْرَكَ مَرَّارَتَهُ . وَقَوْلُهُ : « يَمْجُجُنَ » حَالٌ لِلْأَفْوَاهِ ، وَالتَّقْدِيرُ أَمْرٌ مَطَاعِمُنَا عَلَى أَفْوَاهِ الذَّائِقِينَ طَعْمَهَا ، مَا جَاءَ صَابًا وَعَلَقْمًا ، أَي إِذَا ذَاقَتْ رَمَتْ بِمَا هُوَ كَهَذِينَ . وَالْمَعْنَى : إِذَا خَبِرْنَا حُصِلَ مَنَا عَلَى مَا هُوَ كَذَلِكَ . وَجَازَ فِي « طَعْمَهَا » الْإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَحْتَمِلُ نِيَّةَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ ، لَمَّا كَانَ رُتْبَةُ الْفَاعِلِ وَهُوَ مَطَاعِمُنَا التَّقْدِيمِ ، وَرُتْبَةُ الْمَفْعُولِ وَمَا يَجْرِي تَجْرَاهُ التَّأخِيرِ ، وَهُوَ عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا . وَفِي طَرِيقَةِ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخِرِ (ط) :

فَإِنْ تَعَمَّرَ مَفَاصِلُنَا تَجِدُنَا غِلَظًا فِي أَنَامِلٍ مِنْ يَصُولِ
وَالطَّعْمُ : الذَّوْقُ ، وَالْمَطَاعِمُ : جَمْعُ الْمَطْعَمِ . وَيُقَالُ هُوَ حَسَنُ الْمَطْعَمِ ، أَي
طَيِّبُ الطَّعَامِ .

١١٣

وقال في ذلك أيضا :

١- وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَفِدْحِيًّا سَوَاءً فِدَاءٍ لَتِيمٍ يَوْمَ كَلْبٍ وَجَمِيرَا
يَقُولُ : أَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَرْبَابًا بِقَدْرِي ، وَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ أَجْعَلَهَا فِدَاءً لغيري ،

(١) هو عمرو بن مسعود . انظر الحماوية ٦١ ص ٢٤٠

أَفْدِي تَيْمًا بِهَا؛ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ حُسْنِ الْبَلَاءِ يَوْمَ اجْتِمَاعِ كَلْبٍ وَحَمِيرٍ لِلْقِتَالِ .
وَجَوَابُ الشَّرْطِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « إِنْ لَمْ أَفْدِ » قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى :
[إِنْ (١)] لَمْ أَفْدِ غَيْرَهُمْ تَرْفَعًا ، فَإِنِّي أَفْدِيهِمْ تَشَكُّرًا .

٢- أَبَوَا أَنْ يُبِيحُوا جَارَهُمْ لَعْدُوهُمْ وَقَدْ نَارَ نَقَعُ الْمَوْتِ حَتَّى تَكُوْثَرَا (٢)

أَبَوَا ، الْفِعْلُ لِبَنِي التَّيْمِ . يَقُولُ : امْتَنَعُوا مِنْ أَنْ يُخَلُّوا بَيْنَ جِيرَانِهِمْ قَبِيلَةَ
كَلْبٍ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ حَمِيرٍ ، وَقَدْ ارْتَفَعَ غُبَارُ الْمَوْتِ حَتَّى التَّفَّ فِي الْجَوِّ . وَأَرَادَ
بِالْجَارِ وَالْعَدُوِّ الْكَثْرَةَ ، إِذْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِمَا الْقَبِيلَتَيْنِ ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ النَّقَعُ إِلَى
الْمَوْتِ تَهْوِيلًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمَوْتِ الْحَرْبَ . وَتَكُوْثَرَا : تَفَوَّعَلَ مِنْ
الْكَثْرَةِ ، يُرِيدُ تَرَكَمُ الْغُبَارِ وَالتَّفَافَهُ . وَهَذَا الَّذِي أُشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَكُوْثَرَا
مِنَ التَّرَاكِمِ ، جَعَلَهُ بَعْضُهُمْ كَالسَّحَابِ ، وَجَعَلَهُ بَعْضُهُمْ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ حَتَّى
ظَهَرَتْ لَهُ الْكَوَاكِبُ ، وَحَتَّى صَارَ النَّهَارُ بِسَبَبِهِ كَاللَّيْلِ . وَتَجَاوَزَ الْمُتَنَبِّئِيُّ (٣) جَمِيعَ
ذَلِكَ ، حَتَّى بَلَغَ حَدًّا مِنَ الْإِفْرَاطِ مُسْتَشْنَعًا فَقَالَ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّعِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا (٤)
وَإِذَا أَرَدْتَ بِالْمَوْتِ الْمَنِيَّةَ يَكُونُ الْمُرَادُ : كَأَنَّ الْمَوْتَ أَثَارَ الرَّهَجِ فِي سَلْبِ
النُّفُوسِ حَتَّى كَثُفَ فِي الْهَوَاءِ . وَهَذَا مَثَلٌ .

• العثير: الغبار
الساطع .
• العنق: ضرب من
السير سريع .

٣- سَمَوْا نَحْوَ قَبِيلِ الْقَوْمِ يَبْتَدِرُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى هَوَى فَتَقَطَّرَا

يَعْنِي بَنِي تَيْمٍ . يَقُولُ : ارْتَفَعُوا نَحْوَ رَئِيسِ الْقَوْمِ مُسْتَبْقِينَ إِلَيْهِ بِأَسْيَافِهِمْ
فَتَنَاوَلُوهُ حَتَّى سَقَطَ . وَمَعْنَى تَقَطَّرَ : وَقَعَ عَلَى أَحَدِ قَطْرَيْهِ . وَالْقَطْرَانِ : الْجَانِبَانِ -

• ابتدره بكذا:
عاجله به .

(١) بها يلتئم الكلام ، وليست في إحدى النسختين .

(٢) التبريزي : « ويروى : تكورا . من كور العامة ، والمعنى واحد » .

(٣) كذا بالهمز في الأصل ، وبالتسجيل في م .

(٤) رواية الديوان بشرح المعكبري : « عابها أمكنا » .

وفي الكلام اختصاراً، كأنه قال: ابتدروه بالأسياف وضربوه حتى سقط،
 فحذف ضربوه. وموضع يتدورنه نصبٌ على الحال، وتعلق حتى بالمحذوف
 الذي بيّنته.

٤- وكانوا كأنف اللئث لاشم مرغمًا ولا نال قط الصيد حتى تعفراً^(١)

الأسد أحمى الحيوان أنفاً، ويبلغ من عُجبه بنفسه أنه لا يتواضع لأكل
 صيدٍ غيره. ونُسب الأنفة إلى الأنف كما يُنسب الحمية إليه. يقال: هو أحمى
 أنفاً من فلان، وأنف أنفاً منه، وحمى فلان أنفه من كذا، أي أنف منه ولم
 يرض به. وحسن في الكناية عن الإباء والتصون عن الدناءة والمذلة قوله:
 « لاشم مرغمًا » بعد ذكر الأنف. فيقول: وكان بنو التميم في التمتع كاللئث
 الذي لا يغمض على قذى، ولا يشم مرغمًا ومدلاً، ولا يصبر لشيء على هوان،
 ولا يعطف على مكره وصغار، ولا ينال الصيد قط حتى يكون هو المعفّر.
 والعفّر: التراب. هذا إذا رويت « قط الصيد حتى تعفراً^(٢) » وقال ذلك لأنه
 فيما يتصيده لا يرضى بالاختلاس، ولا يعتمد على صيد غيره والإصابة منه.
 ويروى: ولا نال قط الصيد حتى تعفراً^(٣). والفظ: ماء الكرش. ويقال
 افتظت الكرش، إذا استخرجت ذلك الماء منه. والمعنى: ولا نال الفظ من
 بطن الصيد حتى يتعفّر أي يسقط في العفر ويتمكن منه. والأسد يبدأ من
 الصيد بحشو بطنه، فلذلك خصّ الفظ. والثميلة خلاف الفظ، لأنه اسم
 لما يبقى في البطن من العلف والرطب. وقط في الماضي كأبدًا في المستقبل،

(١) م فقط: « يعفرا »

(٢) م: « يعفرا ». وزاد التبريزي رواية: « قصّ الصيد » عن عبد السلام

وهو مَعْرِفَةٌ مَبْنِيَّةٌ كَأَمْسٍ ، وَأَبْدَأُ نِكْرَةً كَغَدَّاءَ . وَلَا نَالَ وَلَا شَمَّ فِي مَعْنَى
لَمْ يَشَمَّ وَلَمْ يَنْلَ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ .

١١٤

وقال هلال بن رزين (ع) :

١ - وَبِالْبَيْدَاءِ لَمَّا أَنْ تَلَاقَتْ بِهَا كَلْبٌ وَحَلَّ بِهَا النُّذُورُ

يقول : لما تلاقى كلبٌ وخميرٌ بالبَيْدَاءِ وأدركوا الأوتار ، فَحَلَّ بِهَا
النُّذُورُ وسقطت الأقسامُ عن الخالفين بها لِإِذْرَاكِهِمُ الْآثَارَ (ع) . وجوابُ
لما يجوز أن يكون ما دلَّ عليه قوله « فَحَانَتْ حَمِيرٌ » أو قوله « وَحَلَّ بِهَا
النُّذُورُ » . ويجوز أن يكون قوله « أَجَادَتْ وَبَلَّ مُدْجِنَةٌ » ، وهو أول البيت
الرابع ، وعند من يُجَوِّزُ زِيَادَةَ الْحُرُوفِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ يَكُونُ « حَلَّ بِهَا
النُّذُورُ » أو « فَحَانَتْ » الجواب ، فيكون الفاء والواو مُتَّحِمَةً ، وهكذا
يقولون فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ عِنْدَهُمُ الْوَاوُ
زَائِدَةٌ ، وَالْمُرَادُ فَتِحَتْ (ع) ، وَقَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

* فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأُنْتَحَى (ع) *

• أَجْرْنَا : قَطَعْنَا . السَّامَةَ :
الْفَنَاءَ . وَأُنْتَحَى : مَالَ .

(١) التبريزي : أحد بني ثور بن عبد مناة بن أد . وعند ابن جني : « وقال هلال
بن رزين الربابي » . وذكره المرزباني في المعجم ٤٨٢ وقال : « هلال بن رزين أحد بني ثور
بن عبد مناة بن أد . جاهلي . يقول في وقعة كانت لبني عبد مناة وكلب على حمير » . وأنشد
بعض هذه الحماسية .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَهُوَ عَلَى الْقَلْبِ ، حَكَاهُ يَعْقُوبُ ، وَالْمَأْلُوفُ فِي جَمْعِ نَارٍ أَثَارٌ كَمَا فِي م .
(٣) كَذَا وَرَدَ فِي النُّسَخَتَيْنِ بِتَخْفِيفِ التَّاءِ هُنَا وَتَشْدِيدِهَا فِي التَّلَاوَةِ قَبْلَهَا . وَقِرَاءَةُ
التَّخْفِيفِ هِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَخَلْفُ وَوَأَقْبَهُمُ الْأَعْمَشُ ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ .
إِتْحَافُ فَضْلَاهُ الْبَشَرِ ٣٧٧ .

(٤) عجزه : * بِنَا بَطْنُ حِجْفِ ذِي رُكَّامٍ عَقَنْقَلٍ *

• أَحَقَقْنَا مِنَ الرَّمْلِ :
الْمَوْجُ . وَذِي رُكَّامٍ :
أَيُّ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ .
الْعَقَنْقَلُ : الْمُنْفَعِدُ الْمُدْخَلُ .

يقولون : المراد انتحى ، والواو زائدة .

٢ - فَحَانَتْ حَمِيرٌ لَمَّا التَّقِينَا وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرٌ^(١)

• الدبيرة : الهزيمة في القتال .

يقول : هَلَكَتْ حَمِيرٌ عِنْدَ الْإِتْقَاءِ ، لِأَنَّ الدَّبِيرَةَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ بِالْبَيْدَاءِ يَوْمٌ صَعْبٌ . وَيُقَالُ : يَوْمٌ وَأَمْرٌ عَسِيرٌ وَعَسِيرٌ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَسُرَ بِالضَّمِّ وَعَسِرَ بِالْكَسْرِ ، وَيُقَالُ هُوَ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ ، وَالْعُسْرَى وَالْيُسْرَى .

٣ - وَأَيَقَنَتِ الْقَبَائِلُ مِنْ جَنَابِ وَعَامِرٍ أَنْ سَيَمْنَعُهَا نَصِيرٌ^(٢)

• الظهير : المعين ، ويسوي منه الوالد والجمع .

يقول : وَتَيَقَّنَتْ جَنَابٌ وَعَامِرٌ بَطُونَ بَنِي كَلْبٍ^(٣) أَنَّهُ سَيَذُبُّ عَنْهَا نَصِيرٌ ظَهِيرٌ ، وَمُعِينٌ قَوِيٌّ . وَيَعْنِي بِالنَّصِيرِ بَنِي التَّمِيمِ . وَجَعَلَ اللَّفْظَ نَكِيرَةً لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي تَعْظِيمِ النُّصْرَةِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ نَصِيرٌ مِنَ النَّصَارِ ، أَي كَامِلٌ فِي مَعْنَاهُ . وَجَعَلَهُمْ كُلَّهُمْ نَصِيرًا لِأَنْصَارًا . لِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ . وَقَوْلُهُ «أَنْ سَيَمْنَعُهَا» أَنَّ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَاسْمُهُ مَحذُوفٌ ، يَرِيدُ : أَنَّهُ سَيَمْنَعُهَا وَالسَّيْنُ فِي الْفِعْلِ لثَلَاثًا تَلْتَبِسُ الْمُخَفَّفَةَ بِالنَّاصِبَةِ لِلْفِعْلِ . وَالْهَاءُ الَّذِي أَظْهَرْتَهُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّانِ .

٤ - أَجَادَتْ وَبَلَّ مُدْجِنَةٌ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمْ صَوْبَ سَارِيَةٍ دَرُورٌ^(٤)

• الصوب : المطر .

(١) المرزباني : « تحابت » .

(٢) ابن جني : « ويروى وعامرٌ ، عطفًا على القبائل . ولم يصرف عامر لأنه عنى بها القبيلة ... وقد يجوز أن تكون الرواية : وعامرٍ أن . على تخفيف الهمزة وإلقاء حركتها على تنوين عامر » .

(٣) التبريزي : « وقال أبو رياش : يعني عامر الأجدار ، وهم بطن عظيم من كلب ، وإنما لقب بالأجدار لأنه ولد في أصل جدار ، وهو أخو عامر بن صعصعة لأمه . وجناب بن هبل بن عبد الله من كلب » .

(٤) التبريزي : « ويروى : صوبٌ سارية - يعني بالرفع - قال أبو رياش : أنت صوب لأنه أراد الدفعة » . وقد نبه إلى هذه الرواية ابن جني ، بل جعلها الرواية الأولى .

يُقالُ : هذا يَوْمٌ دَجِنٌ ، أي يَوْمٌ إلباس غيمٍ . والدُّجِنَةُ : الظُّلْمَةُ ، وليلةٌ مُدْجَانٌ . فيقول : أتت سَحَابَةٌ الجَيْشِ بِمَطَرٍ جَوْدٍ ، فَوَبَلَتْ وَبَلَّ مُدْجِنَةً — أي سَحَابَةٌ لها ظِلَامٌ ، لكثافتها وَقُرْبُهَا مِنَ الأَرْضِ — فَصَبَّتْ عَلَيْهِمُ المَنَايَا دَرَّ سَارِيَةٍ ، أي سَحَابَةٌ تَسْرِي لَيْلًا . والدَّرُّور ، هي الكَثِيرَةُ الدَّرُّ . ويرتفع على أَنه فاعل دَرَّتْ . وَصَوَّبَ مَصْدَرٌ مِنْ غير لَفْظِهِ ، كَأَنَّهُ قال صَابَتْ دَرُّورٌ صَوَّبَ سَارِيَةٍ . وَجَعَلَ ما في العَجْزِ مِنْ هذا في مَقابِلَةِ ما في الصِّدْرِ ، مِنْ قَوْلِهِ « أَجَادَتْ وَبَلَّ مُدْجِنَةً » كَأَنَّهُ قال : أَجَادَتْ الخَيْلُ وَبَلَّ مُدْجِنَةً فَدَرَّتْ دَرُّورُ المَوْتِ دَرَّ سَارِيَةٍ ، فَالسَّارِيَةُ بِإِزاءِ المُدْجِنَةِ لا غير . وَكُلُّ ذَلِكَ مَثَلٌ لِتَكْثِيرِ الشَّرِّ ، وَتَفْطِيعِ البَلَاءِ وَالمَقْتَلِ . وَفي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ النابِغَةِ :

• الجود: المطر الغزير
الذي لا مطر فوقه
ووبلته السماء تبل
وبلا: اشتد مطرها.

• القطار: جمع قطر،
وهو المطر .
وَمُعَلِّقِينَ عَلَى الجِيادِ حُلِيِّهَا حَتَّى تَصُوبَ سَمًاوُمَ بِقِطَارٍ

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَجَادَتْ وَدَرَّتْ فِعْلَانِ مُجْمَعًا لِلدَّرُّورِ ، فَهُوَ كَمَا يُقالُ قَامَ وَقَعَدَ زَيْدٌ . قال : والدَّرُّورُ : حَرْبٌ تُدْرُّ بِالدماءِ . ويُقالُ : جَادَتْ وَأَجَادَتْ بِمعْنَى واحِدٍ ؛ والمُرَادُ أَجَادَتْ دَرُّورٌ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمُ كَوَبَلٍ مُدْجِنَةٍ ، وَكَصُوبِ سَارِيَةٍ . وَالأوَّلُ أَقْرَبُ وَأَكْشَفُ وَأَصَحُّ .

• القَطِطُ : صِفار
البرَدِ .
٥ - فَوَلَّوْا تَحْتَ قِطِطِهَا سِرًّا تَكْبَهُمُ المَهْنَدَةُ الذُّكُورُ

يقول : انْهَزَمَتْ حَمِيرٌ مُسْرِعِينَ تَحْتَ صِفارِ البَرَدِ ، وَلَمْ يَصْبِرُوا إِلَى كِبَارِهِ ، وَالمَهْنَدَةُ المَهْنَدَةُ تُسْقِطُهُمْ لوجوههم . ويُقالُ هَنَدْتُ السِّيفَ ، إِذَا نَسَبْتَهُ إِلَى المَهْنَدِ . وَقَالَ أبو عمرو : وَهَنَدْتُ السِّيفَ ، إِذَا أَحَدَدْتَهُ . وَذَكَرَ الدُّرَيْدِيُّ فِي القِطِطِ أَنَّهُ ضَرَبَ مِنَ المَطَرِ ، وَلَمْ يَحْدَهُ . وَمَوْضِعُ « تَكْبُ » نَصَبٌ عَلَى الخَالِ ، وَمَا قَدَّمَناهُ فِي القِطِطِ قَوْلُ الخَلِيلِ .

وَالذُّكْرُ مِنَ السِّيفِ
أَشَدُّهَا وَأَجْوَدُهَا .

١١٥

وقال جزء بن ضرار (٤) :

١- أَنَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بِأَعْلَى الْقُنْتَيْنِ عَجِيبٌ

تقديره : أَنَانِي حَدِيثٌ عَجِيبٌ بِأَعْلَى الْقُنْتَيْنِ (٥) ، فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي .
وإنما استعجب من الحديث لتضشبه ما كرهه ، فكان يرده بما يقوى في
أمله من ضده . وقد اجتمع فعلان أَنَانِي و جَاءَنِي ، فأعمل الأول . ومثله
قول الآخر (٤) :

وَلَمْ أُمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشِعْرِي لَيْمًا (٤)

٢- تَصَامَمْتُ حَتَّى أَنَانِي يَقِينُهُ وَأَفْرَعٌ مِنْهُ مَخْطِيٌّ وَمُصِيبٌ (٥)

تصاممته ، أراد تصامت عنه ، حَتَّى أَنَانِي يَقِينُهُ ، أي الجلي الواضح منه .
وَأَفْرَعٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ صَادَفَ الْفِرْعَ فَلَا يَقْتَضِي مَفْعُولًا ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ أَفْرَعٌ الْغَيْرَ فَيَكُونُ مَفْعُولُهُ مَحذُوفًا . ومعنى البيت : تكلفتُ الصم عن

(١) جزء بن ضرار ، أخو الشماخ بن ضرار ، قال ابن حجر في الإصابة ١٢٨١ :
« ذكره المرزباني في معجمه وقال : هو شاعر مخضرم . وهو القائل يرثي عمر بن الخطاب :
جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذلك الأديم الممزق » .
وانظر الأغاني (٨ : ٩٨) .

(٢) التبريزي : « القنتان : جبل أسود مشرف بعض الإشراف » .

(٣) هو ذو الرمة كما في التنبيه لابن جني .

(٤) تمامه كما في التنبيه :

* لَيْمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا *

وعند التبريزي : « أَنْ يَقَالَ أَصَابَ » .

(٥) جعل التبريزي الرواية الأولى عنده : « وَأَفْرَعٌ » بالراء المهملة ، وقال :
« وَأَفْرَعٌ مَعْنَاهُ صَادَفَ الْفِرْعَ ، وَإِذَا كَانَ هَكَذَا فَلَا يَقْتَضِي مَفْعُولًا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ
أَفْرَعُ الْغَيْرِ ، فَيَكُونُ مَفْعُولُهُ مَحذُوفًا » .

ذلك الخبر حتى جاء ما لم يمكن رده ، لكون الشبه (١) منتفية عنه ، واتفق
المخطي والمصيب على تصحيحه ، وصادقاً الفزع فيه ، أو أفرعاً الغير منه .
ومثل قوله « تصامته » في انحذف حرف الجر (٢) منه قول الآخر :

* وأخفي الذي لولا الأسي لقضاني (٣) *

يريد : لقضى علي . وفي القرآن : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ ﴾ ، يريد كالوا
عليهم أو وزنوا عليهم ، وأضاف اليقين إلى ضمير الخبر لأنه يريد المتيقن منه .

٣- وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبٌ

٤ - فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنُوبُ

قوله « حُدِّثْتُ » يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، فالأول قام مقام الفاعل وضميره .
التاء ، والثاني قومي ، والثالث أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ أَخْدَاتًا . وكما قال الآخر (٤) :

* وَإِنْ تُكَلِّمَكَ تَبَلَّتْ (٥) *

يريد تَبَلَّتْ كَلَامَهَا . ويجوز أن يكون أَجْرِي قوله « أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ »
مَجْرِي نَكْيِ الدَّهْرُ فِيهِمْ ، فاستغنى عن المفعول . وقوله : « وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ
قَرِيبٌ » يجوز أن يكون من جملة ما بُلِّغَ وَأُنْبِئَ بِهِ ، ويجوز أن يكون الواو
للحال ، كأنه نَكْيِ الدَّهْرُ فِيهِمْ وحالهم قَرَبُ الْعَهْدِ بِحَوَادِثِهِ ، ويجوز أن يكون
جاريًا مجرى الاعتراض بين ما قبله وما بعده ، وحقيقة معناه تصديقه لما خبر به ،

(١) م : « الشبهة » .

(٢) م : « بحذف حرف الجر » .

(٣) لرجل من بني كلاب ، كما في الكامل ٢١ لبيسك . وصدوره :

* تحن فتبدي ما بها من صباية *

(٤) هو الشنفرى . المفضليات (١ : ١٠٧) .

(٥) البيت بتمامه :

كأن لها في الأرض نسيًا تقصه

على أمها وإن تكلمك تبلى

* أي كأنها من شدة حبايتها

إذا مشتت تطلب شيئًا ضاع

منها ، لا ترفع رأسها ولا تلتفت

النسي : الشيء المفقود

المنسي .

تقصه : تتبعه . وأمها :

قصدها الذي تريده .

تبلى : تنقطع في كلامها

لا تطيله .

وَأَنَّ قَوْمَهُ مِنَ الْكِرَامِ الَّذِينَ لَا يَسْلَمُونَ عَلَى الدَّهْرِ ، بَلْ يُوَلِّعُ بِالتَّأْثِيرِ فِيهِمْ
كَأَقَالِ :

أَرَى الدَّهْرَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَتِيْلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ (١)
وَإِذَا عَزَلَ هَذَا الْإِعْتِرَاضَ بِكَوْنِ الْكَلَامِ : وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَحَدَثَ الدَّهْرِ
فِيهِمْ ، فَإِنَّ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي . وَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ : أَنْبِئْتُ أَنَّ قَوْمِي نَكَى الدَّهْرَ
فِيهِمْ ، وَحَمَلَ أَثْقَالَهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتُ حَقًّا مِنْ إِخْنَاءِ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ ،
وَسَوْءِ تَأْثِيرِهِ فِيهِمْ ، فَإِنَّ أَخْبَارَهُمْ كَرِيمَةٌ فِي النَّوَابِغِ إِذَا نَابَتْهُمْ ، وَنَفُوسُهُمْ عَزِيْزَةٌ
تَأْتِي الْإِنْقِيَادَ لَمَّا لَا يَحْسُنُ ، وَالْمُطَاوَعَةَ فِيمَا يَشِينُ وَلَا يَزِينُ . وَجَوَابُ « فَإِنَّ يَكُ
حَقًّا » مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ فَإِنَّهُمْ يَصْبِرُونَ صَبْرَ الْكِرَامِ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ ﴾ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى : فَإِنَّكَ تَمْلِكُهُمْ
وَتَقْدِرُ عَلَيْهِمْ .

٥ - فَقِيرُهُمْ مُبْدِي الْغِنَى وَغْنِيَّتُهُمْ لَهُ وَرَقٌ لِلْسَائِلِينَ رَطِيبٌ

يقول : محتاجهم متجمل ، وبما لا تناله مقدرة ولا ينهض وسعه متكثراً ،
وظاهره الغنى اكتفاء بما يملكه ، وتصنعاً لمن يرؤمه ؛ وغنيته له إفضال على
العفاة ، ومعروف عند السؤال ، يحيون في جنابه ، ويعيشون في كنفه وظلاله .
وقوله « له ورق » مثل ضربه للندى ، وأصله هاهنا ورق الشجر ، وبه عيش
المال : الإبل والغنم . وإذا لم يمنعوا من الورق عاش الناس في فناءهم . هذا
الأصل ، ثم يتمثل به بعد لغيره من ضروب المنافع ، ووجوه المرازي . وسلك
في هذه الاستعارة والتمثيل مسلك زهير حيث يقول :

وليس مانع ذي قربي ولا رحمٍ يوماً ولا مُغْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا

• يريد ولا مُغْدِمًا خابطاً .
• و من مائة مفاة .
• والعرب تقول إذا ضرب
الرجل الشجر ليجت ورقه
فيعلفه ماشيته : قد فرج
مخبط الشجر ، ثم سقي ما
طلب بغيره ولا معروف خابطاً .

(١) البيت لطرفة في معلقته . انظر ص ١١٦ .

ويقال: وَرَقَّتِ (ك) الشَّجْرَةُ وَأُوزِقَتْ، وشجرة وَرِيقَةٌ، إذا كَثُرَ ورقها
والوراقُ: زَمَنُ خروجِ الورقِ، كالصَّرَامِ والجِدَادِ.

٦- ذَلُّ لَهُمْ صَعْبُ الْقِيَادِ وَصَعْبُهُمْ ذَلُّوا بِحَقِّ الرَّاعِبِينَ رَكُوبٌ^(٢)

يقول: مَنْ كَانَ سَهْلَ الْجَانِبِ مِنْهُمْ تَرَاهُ مُتَعَسِّرًا إِذَا سِيمَ الضَّيْمِ، مُتَّصِعًا
فِي التَّزَامِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ؛ وَالْأَبْيَ الْخَشِينُ أُخْلِقَ مِنْهُمْ مُعْتَرِفٌ بِحَقِّ الرَّاعِبِينَ،
يُرْكَبُ بِهِ وَلَا يَمْنَعُ، وَيُقَادُ لَهُ وَلَا يَأْتِي. وَقَوْلُهُ رَكُوبٌ، هُوَ فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ
هَاهُنَا. وَالذَّلُّ: الْوَطِيُّ، وَالظَّهْرُ، وَالذَّلُّ وَالذَّلُّ يَرْجِعَانِ إِلَى السَّهْوَةِ وَالْوَطَاءَةِ،
وَإِنْ كَانَ كُلُّهُ تَفَرَّدَ بِمَعْنَى يَتَمَيَّزُ عَنْ صَاحِبِهِ بِمَا يُضَادُّهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ ضِدَّ الذَّلِّ
بِالضَّمِّ الْعِزُّ، وَضِدَّ الذَّلِّ بِالْكَسْرِ الضُّعُوبَةُ.

٧- إِذَا رَنَقَتْ أَخْلَاقَ قَوْمٍ مُصِيبَةٌ تُصَنِّفُ بِهَا أَخْلَاقَهُمْ وَتَطِيبُ^(٣)

يقول: إِذَا كَدَّرَتْ الْمَصَائِبُ أَخْلَاقَ النَّاسِ فَتَغَيَّرَتْ، حَتَّى لَا يَصِيرَ عَلَيْهَا
مَحْمَلٌ، وَلَا إِلَيْهَا مِنَ النَّوَائِبِ مَلْجَأٌ، فَإِنَّ أَخْلَاقَهُمْ هُوَ لَاءُ تُصَنِّفُ بِهَا [وَلَهَا^(٤)] وَتَطِيبُ
عِنْدَ تَحَامُلِهَا؛ كَأَنَّهُمْ كَلِمًا زَادُوا أَمْتَحَانًا بِالذَّهْرِ زَادُوا إِطْلَاقًا وَهَشَاشَةً،
وَلَيْنَ مَعْطَفٍ وَلِدُونَةٍ، وَنُهُوضًا بِالْأَعْيَاءِ، وَصَبْرًا لَدَى الْأَوْءِ. وَيُقَالُ مَا
رَنَقَ وَرَنَقَ، وَمَا فِي عَيْشِهِ رَنَقٌ أَي كَدَّرَ.

٨- وَمَنْ يَغْمُرُوا مِنْهُمْ بِفَضْلِ فَإِنَّهُ إِذَا مَا أَنْتَمَى فِي آخِرِينَ نَجِيبٌ

أَصْلُ الْغَمْرِ التَّغْطِيَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: دَخَلَ فِي غَمَارِ النَّاسِ. وَالنَّجِيبُ:
الْكَرِيمُ مِنَ النَّاسِ وَالْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْمَخْتَارِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْمُنْتَجَبِ،
وَقَدْ نَجَّبَ الرَّجُلُ نَجَابَةً، وَأَنْجَبَ: أَتَى بِأَوْلَادٍ نَجَبَاءَ. يَقُولُ: وَالْمَغْمُورُ

(١) ضبط في الأصل بتشديد الراء، وفي م بفتحها فقط. وهما لغتان صحيحتان.

(٢) م: «لحق الراغبين». (٣) التبريزي: «تصنفي لها». (٤) هذه من م.

الخامِلُ منهم ، لظهور الفضل عليه ، إذا انتسبَ في قومٍ آخرينٍ عُدَّ نَجِيبًا .
ومثله قولُ الآخر (١) :

• الشّيءُ : مَنْ دونَ الرئيسِ
لكنه يليه في الرتبة .

والبداء : السيد غيرُ
مدافعٍ عن أوليَّةِ سيادته .

يَسُودُ ثِنَانًا مَنْ سِوَانَا وَبَدُونَا يَسُودُ مَعَدًّا كُلُّهَا مَا تَدَافِعُهُ
وإن كان هذا زائدًا على ذلك . وحذف مفعول « يَغْمُرُوا » لأنه
لا يَلْتَبِسُ . أراد ومن يَغْمُرُوهُ ، أي المفضول (٢) فيهم إذا انتسب في غيرهم
كان فاضلاً .

١١٦

وقال القطامي (٣) :

١ - من يَكُنِ الحِضَارَةَ أَعَجَبْتَهُ فَأَيُّ أَنَاسٍ بَادِيَةٍ تَرَانَا
الحِضَارَةُ تُكْسَرُ منه الحاءُ وتُفْتَحُ ، وكذلك البداوة تُكسر منه الباء
وتُفْتَحُ . والمراد بالحِضَارَةُ أهل الحِضَارَةِ ، فحذف المضاف ، يدلُّ على ذلك
قوله « فأَيُّ أَنَاسٍ بَادِيَةٍ » ، لأن التفضيل إنما يصحُّ بين الحضريين والبدويين .
وأَيُّ هذه تُضافُ إلى النَّكِرَةِ ، ولا تُضافُ إلى أكثر من الذي جعلته خبرًا ،

(١) هو حجر بن خالد الثعلبي ، كما سيأتي في الحماسية ١٧٠ .

(٢) في الأصل : « المقصود » ، صوابه في م .

(٣) القطامي ، بضم القاف وفتحها : لقب غلب عليه . قالوا سمي به لقوله :

يحطهن جانباً فجانبا صلك القطامي قطاً قواربا

واسمه عمير بن شعيم الثعلبي ، شاعر إسلامي مقل ، وله ديوان مطبوع . وكان قبل إسلامه
نصرانيا ، وكان الأخطل يعجب به كثيراً . وكان يمدح زفر بن الحارث الكلبي لأنه كان
أسره ثم من عليه ووهب له مائة ناقة وردده إلى قومه . الشعر والشعراء ٧٠١ - ٧٠٥ وابن
سلام ١٢١ - ١٢٢ والاشتقاق ٢٠٤ - ٢٠٥ والمؤتلف ١٦٦ والمرزباني ٢٤٤ - ٢٤٥
والأغاني (٢٠ : ١١٨ - ١٣١) والخزانة (١ : ٣٩١ - ٣٩٤ / ٣ : ١٨٨ -
١٩٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٤) م والتبريزي : « من تكن » بالتاء .

لأنك تريد صِفَتَهُ . ألا تَرَى أنك تقول مَرَزْتُ برَجُلٍ أي رجل ، وأيُّ رجلٍ أخوك إذا جعلته خبرًا يكون مَخْرَجَ الكلام المَدْح والتعجُّب ، كأنك قلت : نهايةٌ في الرجوليَّةِ أخوك . فعلى هذا قوله فأَيُّ رجالٍ باديةٍ . فيقول : مَنْ أعجبهُ رجالُ الحضَرِ ؛ فأَيُّ رجالٍ بَدُوٍ نحن ، إذا حُصِّلَتِ الرِّجالُ . والمعنى : أيُّ أناسٍ نحن وإن كُنَّا من أهلِ البَدُو . والمراد التمدُّح والتعجُّبُ .

٢ - وَمَنْ رَبَطَ الْجَحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قَنَا مُسَلِّبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانًا (١)

يقول : ومن ارتبط الحُمُرُ واقتناها ، وكان عيشه منها ، فإننا أربابُ الغزو ، وآلاتنا رِمَاحٌ طِوالٌ ، وخَيْلٌ رائقةٌ عِتَاقٌ . والجحشُ من أولادِ الحُمُرِ كالمُهْرِ في الخيل ، والجمع الجحاش والجِحِشَةُ . والسُّلْبُ : الطوال ، والواحد سلوبٌ .

٣ - وَكُنَّ إِذَا أَعْرَنَ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

• الجنباب : الناحية
والجملَّة

يقالُ : عَوَزَ الرَّجُلُ كذا عَوَزًا ، مثل عَدِمَ ، وأَعْوَزَهُ الدهرُ : أَفْقَرَهُ . وأَعْوَزَ الرَّجُلُ : ساءت حاله ، وهذا لا يَتَعَدَّى . يقول : كانت هذه الخيل إذا أغارت على ما حولها من القبائل فبَدَّدَتْ شَمَلَهَا ، وَخَوَّفَتْ آمِنَهَا ، وصارت تأخذ حذرَها ، وتتنقها بالبُعْدِ عنها ؛ حتى أعوزها النهبُ حيث كان النهبُ ، لمعاودتهم الغارة وقتاً بعد وقتٍ ، وإدامتهم إيَّاهَا ، وإلحاقهم بها . وقوله « إذا أَعْرَنَ » ظَرَفٌ لقوله أَعْرَنَ من البيت الذي يليه ، وهو جوابٌ له ، والجملَّة خبرٌ كُنَّ .

٤ - أَعْرَنَ مِنَ الضَّبَابِ عَلَى حُلُولٍ وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ مَنْ حَانَ حَانًا

• الحلول : القوم
المقيمون المتجاورون .

(١) أشار ابن جني في التنبيه إلى رواية « سلبا » بالتحريك . قال : « ومن روى سلبا وصفه بالواحد ، كقول الله سبحانه : من الشجر الأخضر ، وأعجاز نخل منقمر . ومن قال سلباً وصفه بالجمع ، كقول الله تعالى : وينشيء السحاب الثقال . وقد جاء الشعر بهما جميعاً ، وذلك فيما كان بينه وبين واحد الهاء . »

٥ - وَأَحْيَانًا عَلَى بَكَرٍ أُخِينَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانًا

الضَّبَابُ يشتمل على ضَبَّةٍ وَضَيْبٍ ، وَحِسْلٍ وَحُسَيْلٍ ، فَذَلِكَ سُئُوا الضَّبَابُ . يَقُولُ : أَغَارَتْ عَلَى أَقَارِبِهِمْ وَعَلَى الْحِلَاتِ النَّازِلَةِ حَوْلَهُمْ وَفِيهِمْ ، لِأَنَّ مِنْ قَدَّرَ لَهُ الْحَيْنُ فَقَدْ أَدْرَكَهُ . وَالْمَعْنَى : إِنَّهُمْ لَاعْتِيَادَهُمُ الْغَارَةَ لَا يَصْبِرُونَ عَنْهَا ، • الْحَيْنُ : الْمَهْلِكُ . حَتَّى إِذَا أُعْزِمُوا الْأَبَاعِدُ عَطَفُوا عَلَى الْأَقَارِبِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَمَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

وَأَحْيَانًا عَلَى بَكَرٍ أُخِينَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانًا

وقوله : « إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانًا » يُسَمَّى الْإِلْتِفَاتِ ، كَأَنَّهُ التَّفَتَ إِلَى إِنْسَانٍ فَقَالَ : إِنَّهُ مِنْ هَلَكَ بَغْرُونا فَقَدْ هَلَكَ . وَقَوْلُهُ « عَلَى بَكَرٍ » تَعَلَّقَ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ فِيمَا قَبْلَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَحْيَانًا أَعْرَنَ عَلَى بَكَرٍ .

١١٧

وقال الأعرج المعني (١) :

١ - أَرَى أُمَّ سَهْلٍ مَا تَزَالُ تَفْجَعُ تَلُومٌ وَمَا أَدْرِي عِلَامَ تَوَجَّعٍ

يقول : أرى هذه المرأة تتفجع تارةً وتتوجع أخرى ، تَعْتَبُ عَلَيَّ وَتَلُومٌ ، وَمَا أَدْرِي مِنْ أَيْ شَيْءٍ شَكَّوْاها ، وَفِي أَمْرٍ نَوَجَّهَ عَلَيَّ عَتْبُها ، لِأَنِّي لَا أَتَعَاطَى مُنْكَرًا فَاسْتَحَقَّ بِهِ ذَلِكَ : وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي عِلَامَ وَأَشْبَاهِهِ (٢) . وَقَوْلُهُ : « مَا زَالُ » يُرِيدُ بِهِ اتِّصَالَ تِلْكَ الْحَالَةِ مِنْهَا ، لِأَنَّ مَا زَالُ لِدَوَامِ الْمَاضِي ، وَمَا يَزَالُ هُوَ مُسْتَقْبَلُ مَا زَالُ ، فَيَصِيرُ لِمُتَدَادِ الْحَالِ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ زَالٌ ضِدُّ دَامَ

(١) التبريزي : وهو رجل من الخوارج . وذكره المرزباني في المعجم ٢٥١ ، وقال : « عدي بن عمرو بن سويد بن زيان الأعرج الطائي المعني ، وقيل سويد بن عدي ، وهو مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام » وذكره ابن حجر في الإصابة ٣٧١٣ ، ٦٤٠٩ . وأنشد له :

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنيداما
وحرمت الخمر وقد أراني بها سيدكأ وإن كانت حراما

• الندام : جمع نديم وهو المصاحب على
الشراب .
• السدك : الولع بالشيء .

فكيف يُفِيدُ وهو للنفي معنى الدوام ؟ قُلْتَ لِمَا دَخَلَ مَا النَّافِيَةُ عَلَيْهِ تَغْيِيرٌ
معناه إلى الإيجاب ، لأن نَفْيَ النَّفْيِ إِيْجَابٌ ، فعاد إلى معنى الدوام . وقوله :
« تَلُومٌ » في موضع الحال ، أي تَفَجَّعُ لِأُمَّةٍ ، وقوله : « وما أَدْرِي عَلامَ » ،
يريدُ وما أَدْرِي ما يقتضي هذا السُّؤال .

٢ - تَلُومٌ عَلَيَّ أَنْ أُعْطِيَ الْوَرْدَ لِقِحَّةً وَمَا تَسْتَوِي وَالْوَرْدَ سَاعَةَ تَفْزَعُ

يقول : تعيبُ عَلَيَّ في إشارتي فرسي الوردَ بلبنٍ لِقِحَّتِي - وهي الناقة التي
بها لبَنٌ - وما تَسْتَوِي هِيَ مع الورد ساعة الفزع ووقت الغارة . وقوله
« وَالْوَرْدَ » منصوب على أنه مفعولٌ مَعَهُ . يريد : لا تَسْتَوِي هِيَ مع الورد .
ولو أراد ما تستوي هي وما يستوي الورد لم يكن يجوز إلا الرفع ، والعاملُ في هذا
المعمول^(١) لا يعمل بتوسط الواو بينهما . وإذا أردت تجريد الفعل على ما يدلُّ
عليه قوله تستوي ، يكون تقديره إذا أظهرتهُ عاملاً فيه : وما تُساوي الوردَ . وعلى
هذا قولهم : استوى الماء والخشبة لأن المعنى ساوى الماء الخشبة . فإن قيل :
كيف قال ولا أدري علامَ توجَّعُ ، ثم أتبعه بقوله تَلُومٌ عَلَيَّ أَنْ أُعْطِيَ الْوَرْدَ
لِقِحَّةً ، وهل كذب نفسه ؟ فالجواب أن قوله ما أدري إنكارٌ وتفضيحٌ للشأن ،
والتضجُّرُ بالشَّيء يقول ذلك وإن كان عالماً . وروى بعضهم « وَالْوَرْدُ » بالرفع
وكان الأجود أن يقول : وما تستوي هي والورد ، لأنَّ عطفَ الظَّاهرِ على المضمَّرِ
المرفوع ضعيفٌ حتَّى بُؤَكِّدَ . ويكون المعنى : وما تستوي أمُّ سَهْلٍ وفرسي
في ذلك الوقت ، لاختلاف غنائهما ، ولأنَّ قُصَارَى تلك الهربِ والدَّهَشِ ،
وغناء فرسي كونه عُدَّةً للدِّفاعِ والدِّبِّ . والأوَّلُ أجودُ وأفصحُ وأسلمُ .

٣ - إِذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِرًا مُشْمَعِلَةً نَحِيْبَ الْفُوَادِ رَأْسَهَا مَا تُقَنَّعُ^(٢)

(١) م : « المنمَّول » . (٢) التبريزي : « رأسها ما يتقنع » ثم أشار إلى الرواية الأخرى ..

هذا بيان الحال ساعة الفزع ، وموضع إذا نَصَبُّ على أنه بَدَلٌ من ساعة تَفَزَعُ ، ويكون على ذلك قوله « هنالك يجزيني الذي كنت أصنع » من البيت الذي يليه مُنْقَطِعًا ، وإن كان بيان عِلَّةِ إثاره باللبن وانتفاء المساواة بينه وبين المرأة . والمعنى : ما تُساوي هذه المرأة الفرسَ إذا هي قامت بلا قِنَاعٍ ، جَادَّةً في العَدُوِّ ، مَنخُوبَةَ القَلْبِ ، طائِرة اللُّبِّ ، لا خِمار عليها ولا قِنَاعٍ ، لدَهَشِهَا في اختارها ، وذهابها عن عاداتها وإفها . وقوله « مشمعة » أي جَادَّةً في العَدُوِّ . وانتصب « رأسها » لأنه مفعولٌ مقدَّمٌ . ويجوز أن يكون « إذا هي قامت » استئناف كلامٍ ، وحينئذٍ يكون جوابُ إذا قوله هنالك يجزيني الذي كنت أصنع .

• النَّجْبُ: الْحَبِيبُ
• وَصَفَّ القَلْبَ .

٤ - وَقَمْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مُيَسَّرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ

يقول : وَقَمْتُ إلى فرسي في تلك الحال ، مُهَيَّئًا له بِاللَّجَامِ ، للدِّفَاعِ والقتال . ثم قال : في ذلك الوقت يجزيني ما أَعْمَلُهُ به السَّاعَةَ من إيثارِ بَلْبِنٍ ، وتضميرٍ وَصْنَعَةٍ . وقوله « مُيَسَّرًا » أي مهَيَّئًا . وفي القرآن : ﴿ فَسَنِيَسَّرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴾ . هنالك إشارة إلى الوقت ، ويستعمل في المكان . ويقال هناك أيضا فيهما . والعاملُ فيه هاهنا يجزيني .

١١٨

وقال حُجْرُ بن خالد (١) :

١ - كَلْبِيَّةٌ عَلِقَ الفَوَادِ بِذِكْرِهَا مَا إِنْ تَزَالُ تَرَى لَهَا أَهْوَالَآ

(١) التبريزي : « وقال حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة » . وحجر شاعر جاهلي كان معاصراً لعمرو بن كلثوم ، وكان أنشد شعراً بين يدي النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ثم اقتصر منه حجر ، وأجار الملك حجراً ، قتال حجر ، أبياتاً يمدح بها النعمان ، رواها الجاحظ في الحيوان (٣ : ٥٨) . وانظر الحماسية ٧١٨ .

يقول : عَلِقَ الفؤادُ بذكرِ امرأةٍ كلبيةٍ ، لا تزال تُقاسي من أجلِها أهوالاً ، وتتحمّلُ مَشَقَّاتٍ . قوله « عَلِقَ الفؤادُ بذكرِها » يجوز أن يكون أراد عَلِقَ ذكرُها بالفؤادِ فَقَلَبَ ، لأن المراد مفهومٌ ، ويكون كقول الآخر :

* عَلِقَ الأحشاءُ من هِنْدٍ عَلَقَ *

وكما يقال عَلِقَ بقلبه علاقتَهُ . ويجوز أن يكون جعلَ الفؤادَ تابِعاً للذِّكْرِ فكأنه تعلقَ به . وكلُّ شيءٍ وَقَعَ موقعَهُ قبلَ عَلِقِ معالِقِهِ . وجعل صدر البيت على الإخبارِ عنها ، ثم نَقَلَ الكلامَ إلى مخاطبةِ نفسه . ويجوز أن يكون استمرَّ في الإخبارِ عنها ويكون المعنى : عَلِقَهَا الفؤادُ فلا تزالُ هي تُقاسي أنت بسببِها أهوالاً . و « إن » من قوله « ما إن » زِيدَتْ لتأكيدِ النفي .

٢ - فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ إِنِّي فِي أَرْضِ فَارِسٍ مُوثِقٌ أَحْوَالاً

أقبل يخاطب المرأة فقال : أَلزِمِي حَيَاءَكَ ، أي لا تفعلي ما يُقالُ نِسِي الحياءَ معه وَأَطْرِحِ ، إِنِّي محبوسٌ في أرضِ فَارِسٍ سِينِ لَا أَبَالِكَ . وقوله « لَا أَبَالِكَ » بَعَثُ وتَحْضِيضُ ، وليس بِنَفْيِ اللَّابُوتَةِ ، وخَبَرٌ لا محذوف ، لأنَّ المعنى لَا أَبَالِكَ ، ودخلت اللام مؤكِّدةً للإضافة ، لأنَّ هذه إضافةٌ لا تُخَصَّصُ ، فساغَ تأكيدها باللام ، ولو كانت الإضافةُ مُخَصَّصَةً لكان لا يَعْمَلُ في أَبَالِكَ . وتقدير الخبر : لَا أَبَالِكَ موجود . ويقال : قَنِي بَقْنِي ، واقْنِي : أَمْرٌ منه . وقنا يَقْنُو . قال المتلمسُ :

* كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطِّ مُضَلَّلٍ *

وإنما قال إِنِّي مُوثِقٌ ولم يكن قد أُسِرَ وأوثق ، لِعَلِمِهِ بما يُؤَوَّلُ إليه في

مَقْصِدِهِ أَمْرُهُ ، كَأَنَّهُ لَمَّا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِ التَّحَامِي وَالِاتِّقَاءِ عِلْمٌ أَنَّ أَحْسَنَ الْعَاقِبَتَيْنِ فِيهِ الْأَسْرُ ، فَذَكَرَهُ . وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

* قَدْ يَتِمَّتْ بِنْتِي وَأَمْتُ كَنَّتِي *

فهذا وجهه ، ويجوز أن يكون قال هذه الأبيات بعد الأسر .

٣- وَإِذَا هَلَكْتُ فَلَا تُرِيدِي عَاجِزًا غُسًّا وَلَا بَرَمًا وَلَا مِعْزَا لَا

ليس قصده في هذه الوصاة إلى أن يبعثها على تخيير الرجال ، أو يرشدها لوجوه الانتخاب^(١) ، وإنما المراد : اطلبي مثلي . وهو يعلم أنها لا تنظر بمن يماثله أو يقاربه . والغس : الضعيف . قال :

• المغرم من الرجال : الذي

لم يجرب الأمور .

* فَطَعْنَةُ لَا غُسٍّ وَلَا بِمَغْمَرٍ^(٢) *

والبرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، لضيق صدره وتبرمه بما يلتزم في مثله . والمعزال : الذي لا يحمل السلاح ، ويتناهى اعتزاله ورفضه إياه . والأعزل مثله . ومثل هذا قول ابن أحرر :

فإمَّا زَالَ سَرَجٌ مِنْ مَعْدٍ وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا

فَلَا تَصِلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينَا • المطروق : الذي به طرق ، أي ضعف عقل .

إِذَا شَرِبَ الْمَرِيضَةَ قَالَ أَوْكِي عَلَى مَا فِي سِقَانِكَ قَدْ رَوِينَا • المريضة : اللبن الحامض .

٤- وَاسْتَبَدَلِي خَتْنًا لِأَهْلِكَ مِثْلَهُ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ

والمخوة : شدة بالولاء ، أي الخيط .

يقال : اعتاضني مني لأهلك ختنًا مثل ذلك الختن ، يعطي عطاءً جزلاً ،

ويقتل الأبطال بطلاً بطلا . ومثله يرتفع بالابتداء ، وما بعده في موضع الخبر له ، والجملة في موضع الصفة للختن ، ولا يجوز نصب « مثله » .

(١) م : « الانتخاب » .

(٢) لزهير بن مسعود ، في اللسان (غسس) . وصدده :

* فلم أرقه إن ينح منها وإن يمت *

٥- غَيْرَ الْجَدِيرِ بَأَنْ تَكُونَ لِقُوحَهُ رَبًّا عَلَيْهِ وَلَا الْفِصِيلُ عِيَالًا

هذا أيضاً من صفة الختن . يقول : لا يكون خليقاً بأن يكون مملوكاً لماله (١) لا مالكا ، ويحلُّ الفصيلُ منه محلَّ العيال لا محلَّ المال . وهذا كما قال الآخرُ :

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبِنِي بَرَبٍ وَلَا لَحَمِي عَلِيٍّ وَلَا سِلَاطِي (٢)

واللقوحُ صفةٌ ، يقال ناقةٌ لقوحٌ إذا كان بها لبنٌ ، وجمعه لقوحٌ قال الخليل : فإذا أرادوا استعمالها على حدِّ الأسماء قالوا لِقْحَةٌ ، يقال : هذه لِقْحَةٌ فلان ، وللناقة الحلوب - ولا يقال ناقةٌ لِقْحَةٌ - والجمع لِقَاحٌ .

الفصيل : ولد
الناقة إذا فطم
عن الرضاع .
والعيال : أهل بيت
الرجل الذين يكفلهم .

١١٩

وقال ابن رميظ العنبري (٣) :

- ١- باتوا نياماً وابنٌ هنيدي لم ينم
- ٢- بات يقاسيها غلامٌ كالزلم

يقول : مكث الناسُ نائمين في ليهم ، وهذا الرجل لم ينم ، لأنه كان بيتاً للغارة ، ثم قال « بات يقاسيها » ، أي يُعاني الغارة كيف يُوقِعها ويُدَبِّرُها متى

(١) في الأصل : « بماله » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) سبق البيت في ص ٢٤٠ .

(٣) هو رشيد بن رميظ ، بهيئة التصغير فيما . في الأصل : « ربيظ » ، تحريف صوابه في م والعنبري ، كذا وقع في نسخي المرزوقي ، والصواب « العنزي » ، نسبة إلى بني عنزة ابن وائل ، أو بني عنزة . انظر تاج العروس (٥ : ٣٧) ، والأرجح أنه من بني عنزة . انظر أمالي القتالي (٢ : ١٢٦) وتحقيق اسمه في حواشي الحيوان (٥ : ٤٣٤) وسمط اللآلي ٧٢٩ . وقال التبريزي : قال أبو رياش : هذه قاهها في غارة الحطم ، وهو شريح بن شرحبيل بن عمرو ابن مرثد ، أغار على اليمن فقتل وليعة بني معديكرب ، أخا قيس ، وسبى بنت قيس بن معديكرب . أخت الأشعث بن قيس ، فبعث الأشعث يعرض في فدائها بكل قرن من قرونها مائة من الإبل ، فلم يفعل الحطم ، وماتت عنده عطشاً .

يأخذ فيها ، غلامٌ مُدمَجُ الخلقِ خفيفٌ نَقْفٌ مُشَمَّرٌ ، كأنه قِدْحٌ . يعني ابن هِنْدٍ .
والزَّالِمُ بفتح الزَّاي وضمِّها : القِدْحُ كان يُسْتَقْسَمُ به . قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسْقٌ ﴾ . ويجوز أن يكون المضميرين في باتوا
المغارُ عليهم .

• المدح من الرجال :
المتداخل الخلق كالجبل
الحكم القتل
و النقف : الحاذق الفطن

٣ - خَدَلَجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ الْقَدَمِ

• الخدلاج : المتهلئ
الساقين والذراعين

٤ - قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطْمٍ

• رجل حطم ، عنيف
برعاية الإبل ، قلبي
الرحمة لها ينشيم بعضها
ببعض .

يصفه بأنه غليظ الساقين ، ولو طئته الأرض صَوَّتْ ، ولقدمه خَفَقَ ، وهو
سُرْعَةُ الخَطْوِ مع ضَرْبِ الأرض بها ، كأنه يشير بهذا إلى ثباته وقوته في العمل
والسير ، وشدة بلائه وصبره على الكدِّ . وقوله « قد لَفَّهَا » يريد الإبل .
وجعل الفعل لليل على المجاز . والمعنى : جَمَعَهَا بِرَجُلٍ مُتْنَاهِي الْقُوَّةِ ، عنيف
السَّوْقِ ، يَكْسِرُ الطَّرَائِدَ بَعْضًا ^(١) على بعضٍ ، لِقَلَّةِ رِفْقِهِ وكثرة عَسْفِهِ ، ولأنه
قليل الفكر فيها إذ كانت حُصِّلَتْ بالفارة ، فإن سَلِمَتْ فهي غَنَمٌ ، وإن تَلِفَتْ
فليست بغيرٍ ، فالعوضُ منها بالقربِ . وقوله « حُطْمٌ » بناءٌ للمبالغة ، وهو من
الحطم الكسر .

• العسف : الظلم والجور ،
يقال : عسف الرجل إذا أخذ
بغيره بالشدة .
• كسر الطرائد :
فَرَّقَهَا .
• الطريدة : القطيع من
الإبل يُفَرِّعُ عليها قوم
فَيَطْرُدُونَهَا .

٥ - لَيْسَ بِرَاعِيِ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

• الوضم : كل ما يوضع عليه
اللحم من خشب أو حصى
أو نحو ذلك ، يُوقَدُ به
من الأرض .

٦ - وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الْوَضْمِ

يقول : لا يَرِفُقُ هذا الرجل بوسائقه رِفْقَ الرُّعَاةِ ، ولا رِفْقَ الْجَزَّارِ ،
وذلك أن الراعي مُكْتَرَى لاستصلاح مَرْعِيَّهِ ، وحفظ ما ضُمَّ إليه بجهدِهِ ،
والجزارُ لا يستهلك ماله ولا يَعْغُفُ عُنْفَ مَنْ لا يُبَالِي به . وهذا صِفَةُ المَغْوَارِ

• الوسيفة : الطريدة .

القليل الفِكر في فسَاد ما يَحْوِيهِ منها ، الذَّاهِب عن استبقائها ، لا يبالي كيف استوسقت ، وعلى أيِّ حَالَةٍ تَحَصَّلَتْ .

١٢٠

وقال جَعْفَرُ بنُ عُلْبَةَ الحَارِثِيّ ^(١) :

١ - ألا لا أبالي بَعْدَ يَوْمِي بِسَحْبِلٍ إِذَا لمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا ^(٢)

يقول : اشْتَفَيْتُ من أعدائي يَوْمَ سَحْبِلٍ - وهو اسم وادٍ - وأدركتُ آثاري ^(٣) عندهم فلا أبالي بَدُنُوِّ موتي بَعْدَهُ إِذَا لمْ يُعَذَّبْنِي اللهُ تعالى تبارك اسمه ، إذ كنت نلتُ أُمْنِيَّتِي ، وقَضَيْتُ مَأْرَبَتِي . والذي تَفَاوَلَهُ قوله « لا أبالي » هو أن يجيء حِمَامِيَا . ويقال لا أبالي كذا ولا أبالي بكذا . وإِذَا لمْ أُعَذَّبْ ظَرْفٌ لِلأبالي ، أي لا أبالي بالموت إِذَا سَلِمْتُ من عذاب الله عز وجل . وإنما أتى بِإِذَا رجاءً أن يكون الأمر كذلك . وقد مَضَى القولُ في أبالي وأصله وما استقرَّ عليه في الاستعمال ، وأن قولَهُم لا أباليه بالة أصله عند سيبويه بالية فخفف . وقد ذهب غيره إلى أنها مقلوبة ، ويقول في بالة إنها فعلة ، وإن ألفها منقلبة عن واو ، وأن أبالي كان أبول أي لا أكأثر ، ثم وُضِعَ موضع لا أَحْفِلُ ولا أكثرث . وللترجيح والنظر في المسألة موضع غير هذا .

٢ - تَرَكَتُ بِجَنَبِي سَحْبِلٍ وَتِلَاعِهِ مُرَاقَ دمٍ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

أخذ يقتص ما هوّن عليه الموت من فعله ، فيقول : تركت بجانب هذا الوادي

(١) سبقت له الحماسية الرابعة . التبريزي : « وقال جعفر بن علبه الحارثي حين

لقي بني عقيل » .

(٢) التبريزي : « يوم بسجل » .

(٣) الآثار : جمع ثار بالقلب ، ومثله الآثار .

ومسائل مياهه مَصُوبَ دَمٍ ، يلزم ذلك المكان على مرور الأيام فلا يبرح . وقوله « ثَاوِيَا » مِنْ ثَوَى بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ . يُقَالُ ثَوَى وَأَثَوَى جَمِيعًا . وقوله « مُرَاقَ دَمٍ » يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مَوْضِعًا أَرِيقَ بِهِ دَمٌ ، كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ دَمًا مُرَاقًا ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أَرِيدَ بِهِ الْمَوْضِعُ يَكُونُ لَا يَبْرَحُ مِنْ صِفَةِ الدَّمِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ رَجُلًا أَرِيقَ دَمَهُ وَيَكُونُ كَقَوْلِكَ هُوَ حَسَنٌ وَجْهٌ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَزَالُ ذَكَرُهُ بَاقِيًا عَلَى الدَّهْرِ فَحَذَفَ الْمُضَافَ . وَالتَّلَاعُ : جَمْعُ تَلَعَةٍ ، وَهِيَ أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ يَتَرَدَّدُ فِيهَا السَّيْلُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي . وَمِنْ الِاسْتِعَارَةِ الْحَسَنَةِ : فَلَانٌ لَا يُوثِقُ بِسَيْلٍ تَلَعْتِهِ ، إِذَا كَانَ غَيْرَ صَدُوقٍ فِي أَخْبَارِهِ .

• التلعة : مسيل الماء
من أعلى إلى أسفل .

٣ - إِذَا مَا أَتَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَأَنْعِي لَهُنَّ وَخَبْرُهُنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

هَذَا كَلَامُ رَجُلٍ يُوسُفُ أَحِبَّتَهُ مِنْ نَفْسِهِ لِاسْتِقْتَالِهِ ، أَوْ لِأَنَّهُ مَنِيَّ بِمَا لَمْ يَرَجُ الْإِخْلَاصَ مِنْهُ . فَقَالَ : إِذَا زُرْتِ نِسَاءَ بَنِي حَارِثَةَ فَأَذْكَرُ مَوْتِي لَهُنَّ ، وَأَعْلَمُهُنَّ أَنَّهُ لَا التَّقَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ . فَقَوْلُهُ « أَنْ لَا تَلَاقِيَا » أَنْ مَخَفَفَهُ مِنْ أَنَّ الثَّقِيلَةَ ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ ، وَتَلَاقِيَا نَصْبٌ بِلَا وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ ، الْمُرَادُ لَا تَلَاقِي لَنَا ، وَالْهَاءُ فِي أَنَّهُ ضَمِيرُ الشَّانِ وَالْأَمْرِ ، وَالْجُمْلَةُ خَبْرٌ أَنْ . وَهَذَا الْبَيْتُ مَعَ مَا بَعْدَهُ لِمَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ^(١) فِيمَا أَظُنُّ ، وَانضَمَّ إِلَى آيَاتِ جَعْفَرِ بْنِ عُتْبَةَ عَلَى سَبِيلِ الْغُلَطِ .

٤ - وَقَوِّدْ قَلُوصِي فِي الرَّكَابِ فَإِنَّهَا سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا

• الرَّكَابُ : الْإِبِلُ
الْمَرْكُوبَةُ أَوْ الْحَامِلَةُ
شَيْئًا .

يَقُولُ : وَأَكْثَرُ قَوِّدَ نَاقَتِي حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ يَشْتُمُونَ إِذَا اسْتَدَلُّوا بِهَا وَيَضْحَكُونَ سُرُورًا ، وَالْأَصْدِقَاءَ ذَوَاتُ الشَّفَقَةِ يَفْتَمُونَ فَيَكُونُ تَوْجَعًا^(٢) . وَهَذَا الْكَلَامُ تَحْزُنٌ وَتَحْشُرٌ . وَقَوْلُهُ « سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي

(١) انظر الخزانة (١ : ٣١٧ - ٣١٩) . (٢) كذا في النسختين .

بواكيا « من باب وصف الشيء بما يؤول إليه ، ومثله قولهم : خرجت جوارحه . وقول الفرزدق :

* قَتَلْتَ قَتِيلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ *

والقلوص ، قال الخليل : هي الناقة الباقية على السير ، لا تزال قلوصاً حتى تنزل (١) . وإنما سُميت قلوصاً لطول قوائمها ولم تجسم بعد .

١٢١

وقال آخر (٢) :

١ - لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرَّ كَبِ

خبر « لعمري » مضمَّرٌ ولا يجوز إظهاره ، وهو قسمٌ ، ولا يجوز أيضاً فيه إلا فتح العين ، ولرَهْطُ جوابه . والرَهْطُ يقع على ما دون العشرة ، ولهذا دخل عليه من الأسماء أسماء الآحاد فقبل ثلاثة رَهْطٍ . ومثله نفرٌ ، ولو كان يقع على الكثير لما جاز لك فيه ألا ترى أنك لا تقول ثلاث إبلٍ . وانتصاب « بقية » على التمييز ، وموضع « وإن عالوا به » نصبٌ على الحال للرهط ، وجواب الشرط فيما دلَّ عليه قوله « خيرٌ بقيةً » . وقوله « كلَّ مرَّ كبٍ » يريدُ به كلَّ مرَّ كبٍ مذمومٍ . وعاليتُ بفلانٍ بمعنى أعليته . ومعنى البيت : وبقائي ، لعثرة الرجل أحسن إبقاءً عليه ، وأكثر حشمةً له ، وإن أركبوه سراكب صعبةً مكروهةً ، وأنزلوه منازل حزنَةً مذمومةً .

٢ - مِنْ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَاغَنِي جَزِيلٍ وَلَمْ يَخْبِرْكَ مِثْلُ مُجْرَبٍ

تعلق « من » بقوله خيرٌ بقيةً ، لأنَّ معناه أفعَلُ الذي يَتِمُّ بِنِ . يقول : هم

(١) البازل : التي استكلت الثامنة وطعنت في التاسعة .

(٢) هو خالد بن فضلة ، كما في الحيوان (٣ : ١٠٣) والبيان (٣ : ٢٥٠) .

أَحْسَنُ إِبْقَاءٍ عَلَيْهِ مِنَ الْغَرِيبِ الْأَبْعَدِ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مُحْتَشِمًا فِي نَفْسِهِ غَنِيًّا ،
وَمُعْظَمًا مَهِيْبًا . وَقَوْلُهُ « وَإِنْ كَانَ ذَا غَنَى » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا . وَالْجَانِبُ يَرَادُ
بِهِ الْجَنْسُ لَا وَاحِدٌ بَعِيْنِهِ . وَقَوْلُهُ « وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجْرَبٍ » يَجْرِي مَجْرَى (١)
الِاتِّفَاتِ ، وَهُوَ تَوْكِيدٌ لِلْخَبَرِ الَّذِي أوردَهُ ، وَتَحْقِيقٌ لِمَا أَنْبَأَ بِهِ وَشَرَحَهُ ، وَأَنَّ
مَا قَالَهُ قَالَهُ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَخَبْرَةٍ ، لَا عَنْ سَمَاعٍ وَخَبَرٍ .

٣- إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمْ فَكُلِّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ

هَذَا الْكَلَامُ تَحْذِيرٌ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالْأَجَانِبِ ، وَالِاسْتِنَامَةِ إِلَى نَاحِيَتِهِمْ ،
وَبَعَثٌ عَلَى طَلَبِ مَوَافَقَتِهِمْ وَتَرْكِ الْخِلَافِ عَلَيْهِمْ ، بَعْدَ الْحُصُولِ فِيهِمْ ، وَأَنَّ
اسْتِعْمَالَ الْإِدْلَالِ مَعَهُمْ ، وَالْأَخْذَ بِالْمُضَآيِقَةِ فِي إِيقَافِهِمْ وَالِاسْتِيفَاءَ مِنْهُمْ غَيْرُ وَاجِبٍ .
وَيُرْوَى : « فِي قَوْمٍ عِدِّي لَسْتُ مِنْهُمْ » وَيَكُونُ مَعْنَى لَسْتُ مِنْهُمْ : وَأَنْتَ
لَا تَهْوَى هَوَاهُمْ . وَالْعِدِّي يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ ، يَقَالُ رَجُلٌ عِدِّي ، وَقَوْمٌ
عِدِّي ، أَيْ بَعْدُ غُرْبَاءَ . وَقَوْلُهُ « كُلُّ مَا عُلِفَتْ » مِثْلُ . وَمِثْلُهُ :

* وَلَا تَطْعَمَنَّ مَا يَعْلِفُونَكَ *

وَكَأَنَّ الْعَلْفَ مَخْتَصٌّ بِهَذَا الْمَعْنَى ؛ فَإِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي غَيْرِهِ .

١٢٢

وقال البرج بن مسهر (٢) :

١ - فَنِعْمَ الْحَيُّ كَلْبٌ غَيْرُ أَنَا رَأَيْنَا فِي جَوَارِهِمْ هَنَاتٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِثْلُ » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م وَالتَّبْرِيْزِي .

(٢) هُوَ الْبُرْجُ بْنُ مَسْهَرِ بْنِ جَلَّاسٍ ، أَحَدُ بَنِي جَدِيلَةَ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي طَرِيفِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ ثَمَامَةَ
بْنِ مَالِكِ بْنِ جَدْعَاءِ بْنِ ذَهْلِ بْنِ رُوْمَانَ . وَهُوَ مِنْ مَعْمَرِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَكَانَ قَدْ جَاوَرَ كَلْبًا أَيَّامَ
حَرْبِ الْفَسَادِ فَلَمْ يَحْمَدِهِمْ . الْمُؤْتَلَفُ ٦١ وَشَرَحَ التَّبْرِيْزِي عَلَى الْحِمَاسَةِ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ . وَانْظُرْ
لِحَرْبِ الْفَسَادِ شَرَحَ التَّبْرِيْزِي وَالْأَغَانِي (١١ : ١٢٧) وَالْمِيدَانِي (٢ : ٣٥٨) .

هذا الكلام تهكمٌ وسخريةٌ . وجاز أن يأتي به بلفظ المدح لأنه بما بعدهُ
تبيينَ الفرض؛ فيكون أبلغَ في الهزء . والهنات : الأمور المنكرة ، ولا تستعمل
إلا في الشرِّ (١) ، وهي جمعُ هنةٍ ، وإنما يُكنى بها عن المحقرات ، كأنه يُرى
الإبقاءَ والمجاملة ، ويُجرى الأمر على المدحاجاة وترك الجاهرة . وقد يُجمعُ هنةٌ
على هنواتٍ ، فمن ردَّ اللام في الجمع ردهُ في النسبة أيضاً ، ومن لم يردهُ فهو في
النسبة بالخيار ، إن شاء قال هنيٌّ وإن شاء قال هنويٌّ . فيقول : قبيلة كلبٍ
محمودةٌ في الأحياء ، غير أننا مُنينا في جوارهم بدواهٍ وبلينا بمنكراتٍ . والاستثناء
في هذا المكان يكون منقطعاً . وكان فارقَ قومه طيناً مرغماً وجاور كلباً فلم
يحمد جوارهم ففارقهم دائماً لهم .

٢ - ونم الحى كلبٌ غيراًنا رزينا من بنين ومن بنات

يريد مثل ما أراد في البيت الأول من السخرية . ومعنى رزينا : أصبنا
بنين وبنات . ويقال فلانٌ مرزاً في ماله فيكون مدحاً ، وفلانٌ مرزاً في أهله
فيكون ترشحاً وتوجعاً . ومثل هذا التهكم قول الآخر (٢) :

فدى لِسْمَى ثَوْبَايَ إِذْ دَنَسَ الْ قَوْمُ وَإِذْ يَدُومُونَ مَا دَسْمُوا

فالتفديةُ هاهنا كالمدح بنعمٍ ثم . وقوله « من بنين » من دخل للتفضيل ،
كأنه قال : رزينا أناساً من بنين ومن بنات ، ومفعولُ رزينا محذوف ، ويجوز
أن يكون زاد من في الواجب على ما أجازهُ الأخفش وحكاه عنهم من قولهم :
« قد كان من مطرٍ نفلٌ عني (٣) » ، فيكون المرادُ رزينا بنين وبنات .

(١) ذكر التبريزي أن بعض المحدثين ، قد استعملها في الخير ، وهو قوله :

وعشرة محمودة تحتها مساعدات وهنات عذاب

(٢) هو الجميح الأسدي . المفضليات (١ : ٤٠) .

(٣) كذا في م . وفي الأصل : « على ما أجاره الأخفش وحكاه عنه كان من مطر » ،

وفيه تحريف ونقص .

٣- فَإِنَّ الْغَدْرَ قَدْ أَمْسَى وَأَضْحَى مُقِيمًا بَيْنَ خَبْتِ إِلَى الْمَسَاتِ (١)

يقول زارياً عليهم ومبيناً : إِنَّهُ نَالَهُمْ مَا نَالَهُمْ لِأَنَّ الْغَدْرَ مُقِيمٌ فِيمَا بَيْنَ دِيَارِهِمْ ، وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ أَحْسَاؤُهُمْ . وفائدة قوله أَمْسَى وَأَضْحَى بيانُ اتِّصَالِ الْوَقْتِ . وقوله « فَإِنَّ الْغَدْرَ » الفاء رِبْطُ الْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهَا بِمَا تَقَدَّمَ وَرَتَّبَهَا عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : قَاسُوا مَا قَاسَوْهُ فِي جِوَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ غَادِرُونَ . وَخَبْتٌ وَالْمَسَاتُ : مَاءٌ إِنْ لَكَلَبٍ . يَقُولُ : الْغَدْرُ مُقِيمٌ فِي كَلْبٍ بَيْنَ هَذَيْنِ ، أَيِ فِي أَوَّلِ دِيَارِهِمْ وَآخِرِهَا .

٤- تَرَكَنَا قَوْمَنَا مِنْ حَرْبِ عَائِمٍ أَلَا يَا قَوْمِ لِلأَمْرِ الشَّتَاتِ

هذا الكلام اقتصاصٌ لحاله ، وإظهارٌ للتأسفِ على مجاورةِ كلبٍ ، والتندُّمِ على ما اتَّفَقَ مِنْ مَفَارِقَةِ الْعَشِيرَةِ : وَقَوْلُهُ « يَا قَوْمِ لِلأَمْرِ الشَّتَاتِ » تَعَجُّبٌ . وَالشَّتَاتُ : مَصْدَرٌ وَصِفَةٌ بِهِ . وَاللَّامُ فِي الأَمْرِ لَامُ الإِضَافَةِ ، لَكِنْ فَائِدَتُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّعَجُّبِ ، وَأَتَى بِهِ مَعَ الْمَدْعُوِّ . وَقَدْ يُقَالُ يَا لَزَيْدٍ فَيَكُونُ الْمُنَادَى مَحذُوقًا . وَهَذِهِ اللَّامُ تَدْخُلُ مَفْتُوحَةً فِي الْمُنَادَى وَيُرَادُ بِهِ الإِعْتِزَاءُ (٢) ، كَقَوْلِكَ يَا لَبَكْرٍ وَيَا لَتَمِيمٍ . فَيَقُولُ : انْتَقَلْنَا عَنْ قَوْمِنَا وَفَارَقْنَاهُمْ مُنْذُ زَمَنِ الْحَرْبِ الَّتِي اتَّفَقْتَ بَيْنَنَا عَامًا أَوَّلًا . ثُمَّ أَخَذَ يَسْتَعْظِمُهُمْ ، وَيَتَذَمُّ مِنْ مِرَاغَمَتِهِمْ ، وَيُظْهِرُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَقْبِلُوا لِمَا تَشْتَتُ مِنْ أَمْرِنَا ، وَاخْتَلَّ مِنْ حَالِنَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ حَرْبِ عَائِمٍ » جَعَلَ مِنْ بَدَلٍ مُنْذُ ، لِأَنَّهُ فِي الْمَكَانِ مِثْلُهُ فِي الزَّمَانِ ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

(١) المسات ، كذا ضبط في النسختين بفتح الميم ، وضبطه ياقوت بضمها .

(٢) الاعتزاء : الادعاء والانتفاء في الحرب ، ومثله التعزي . وفي الحديث : « من لم

يتعز بعزاء الله فليس منا » . أي من لم يدع بدعوى الإسلام فيقول يا لله أو يا للإسلام

أو للمسلمين .

• أَوْيِنَ: خَلَوْنَ . * أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ (١) *

٥- وَأَخْرَجْنَا الْأَيَّامِيَّ مِنْ حُصُونٍ بِهَا دَارُ الْإِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ

يقول: أَخْرَجْنَا النِّسَاءَ اللَّاتِيَّ صِرْنَ أَيَّامِيَّ مِنْ مَقَرِّ عَزَّهِنَّ ، وَدَارِ أَمْنِهِنَّ ، إِلَى جِوَارِ كَلْبٍ ، حَتَّى اتَّفَقَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَا اتَّفَقَ ، وَمِنْ حُلُولِ الرَّزَايَا وَمُقَاسَاةِ الْهَنَاتِ بِهِنَّ مَا أَقْلَقَ . وَوَصَفَ النِّسَاءَ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَسْرُهُنَّ مِنَ الْإِيْمَةِ ، وَإِنْ كُنَّ وَقْتُ الْإِخْرَاجِ ذَوَاتِ بُعُولٍ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ (٢) :

* سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا (٣) *

وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ . وَأَيَّامِيَّ : جَمْعُ أَيِّمٍ ، وَيَقَعُ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ آمٌ ، أَيْ بَقِيَ بِلا زَوْجٍ . وَهُوَ مِنَ الْفِعْلِ فَيَعِلُّ ، وَجَمْعُهُ أَيَّامٍ عَلَى فَيَاعِلُ . وَأَيَّامِيَّ مَقْلُوبٌ كَأَنَّهُ قُدِّمَ اللَّامُ عَلَى الْعَيْنِ فَصَارَ أَيَّامِيَّ عَلَى فَيَالِعٍ ، ثُمَّ فَرَّوْا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ ، فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا .

٦- فَإِنْ نَزَجَ إِلَى الْجَبَلَيْنِ يَوْمًا نَصَالِحِ قَوْمَنَا حَتَّى الْمَمَاتِ

هَذَا إِظْهَارُ رَغْبَةٍ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْعَشِيرَةِ ، وَمَعَاوِدَةِ الْوَطَنِ وَالْمَحَلَّةِ . يَقُولُ : إِنْ اتَّفَقَ لَنَا عَوْدَةٌ إِلَى بِلَادِنَا تَرَكْنَا الْخِلَافَ عَلَى ذَوِينَا ، وَأَقْنَمْنَا بِهَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَجْلِ ، وَاسْتِنْفَادِ الْمَهْلِ . وَيَعْنِي بِالْجَبَلَيْنِ أَجَاً وَسَلْمَى : جَبَلِيَّ طَبِيٍّ (٤) . وَقَوْلُهُ « حَتَّى الْمَمَاتِ » أَرَادَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ . وَالْمَمَاتُ يَكُونُ مُصَدَّرًا ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ اسْمًا لِلْحِينِ فَلَا حَذْفَ .

(١) صدره كما في الديوان ٨٦ طبع دار الكتب :

* لَمَّنِ الدِّيَارُ بِقَنْتَةِ الْحِجْرِ *

• الصَّنَةُ : الْجَبَلُ الصَّغِيرُ .

(٢) هو مالك بن الريب . الأمازي (٣ : ١٣٨) والخزانة (١ : ٣١٩) . وانظر

الأغاني (١١ : ١٤٢) .

(٣) صدره : * وعطل قلوصي في الركاب فإنها *

(٤) وكان أجاً لبني ثعل ، وسلمى لبني نبهان .

١٢٣

وقال موسى بن جابر^(١) :

١ - لا أَشْتَهِي يا قَوْمِ إِلَّا كَارِهَاً بَابَ الأَمِيرِ وَلَا دِفَاعَ الْحَاجِبِ

يصفُ بهذا الكلام مَيْلَهُ إلى البَدْوِ ، وتفضيلَهُ رِجَالَهُ على رِجَالِ الحَضَرِ ، فيقول : لا أتمنى ورودَ بابِ الأَمراءِ ، ومُدافعةَ الحُجَّابِ ، ولا أعلِّقُ شهوتي بهما إلا على كَرِهٍ وعن داعيةٍ عارِضةٍ ؛ إذ كُنْتُ أَلِفْتُ الصَّحَّارِيَّ والبرَّارِيَّ ، وصاحبتُ بهما مَنْ لا تملكني معه حِشْمَةٌ ، ولا يصدُّني دونه عِزَّةٌ . وانتصب « كَارِهَاً » على الحال .

٢ - ومن الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ ومزَنَدُونَ شُهُودُهُمْ كَالغَائِبِ

يقولُ : من الرِّجَالِ رجالٌ كالأسِنَّةِ المَطْرُورَةِ ، أي يمضون في الأمور ويفصلونها نفاذَ الأسِنَّةِ ؛ ومنهم مزَنَدُونَ . والمزَنَدُ : المُبَخَّلُ المُقَلَّلُ . وقيل الزَّندُ ضَرْبٌ به المثل في القلَّةِ . يقال : « زَنَدَانِ فِي مِرْقَعَةٍ ^(٢) » ، ثم قيل هو مُزَنَدٌ مُشْتَقًّا منه . وقوله « شُهُودُهُمْ كَالغَائِبِ » أي لا غناءَ عندهم ، ولا دِفَاعَ بهم ، فحضورهم كغيبتهم . وأراد بالغايب الكثرة لا التوحيد . وكان من حقِّ التقسيم أن يقول :

(١) هو موسى بن جابر بن أرقم بن مسلمة بن عبيد الحنفي اليمامي ، شاعر نصراني جاهلي كثير الشعر ، فيما ذكر الآمدي والمرزباني ، وكان يلقب أزيرق الإمامة ، ويعرف بابن ليل وهي أمه . وكان يقال له أيضاً : ابن الفريعة ، كما يقال لحسان بن ثابت . وقال أبو العلاء فيما نقله عنه التبريزي : « موسى منتول من العبرانية ، ولم أعلم أن في العرب من سمي موسى زمان الجاهلية ، وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك » . وقول أبي العلاء هذا معترض بما ذكره المرزباني في معجمه ٣٧٦ . وانظر المؤلف ١٦٥ .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٨٠ .

ومنهم مزندون ، لكنه اكتفى بين الأول . ومثله قول الله تعالى : ﴿ منها قائمٌ
وحَصِيدٌ ﴾ . وسمعتُ أبا عليٍّ الفارسيَّ رحمه الله يقول : كلُّ صِفَتَيْنِ تَتَنَافَيَانِ
وتدافعان فلا يصحُّ اجتماعهما لموصوفٍ لا بدَّ لإضمارٍ مِنْ مَعَهُمَا إِذَا فُصِّلَ جُمْلَةٌ
بهما ، متى لم يجيء ظاهراً ، ثم أنشد :

السحق : الثوب الخلق
البالي .
وما زودوني غيرَ سحقِ عباءةٍ وخمسِ حِيءٍ منها قسيٌّ وزائفٌ (١)

ومعني : أراد مائة .
وقال : يريد ومنها زائف . وهذا كما تقولُ زيدٌ مُنطَلِقٌ وَعَمْرُو ، والمعنى
القسي : الدرهم الرديء .
وعمرو منطلق ، فحذف اكتفاءً بالخبر عن الأول ، وعلماً بأنَّ النعطف ذلك
حاله . قال : فإن أمكن اجتماعُ الصِّفَتَيْنِ لموصوفٍ واحدٍ استغني عن إضمار
من ، ذلك كقولك صاحبك منها ظريفٌ وكريمٌ .

٣ - مِنْهُمْ لِيُوثُّ لَا تُرَامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشَتْ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ
عَمَّ الشَّيْءُ جَمْعُهُ
مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا .

يقول : من الرجال رجالٌ كالأسود عِزَّةً وَأَنْفَةً ، لا يُطلب اقتسارهم
واهتضامهم ، ومنهم متقاربون كالقماش واللفائف ، جُمِعُوا عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ شَيْءٍ
إِلَى شَيْءٍ . كَأَنَّهُ لَمْ يُقْنِعْهُ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وَتِلْكَ الْقِسْمَةُ ، فَاسْتَأْنَفَهُمَا عَلَى وَجْهِ آخِرٍ .
وقوله « وبعضهم مما قمشت » ينوب فيه ذكر البعض عن قوله « ومنهم » ،
لأنَّ مِنْ للتبعيض فاستغني به . وقوله « وضَمَّ حبلُ الحاطبِ » كقول الآخر :
* وَكَلَّمَهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمِ (٢) *

قال الأصمعي : لأنَّ بيتَ الأدم يجمع الجيِّد والرديء ، على تقارب بينهما ،
ففيه من كلِّ جِلْدٍ رُقْعَةٌ . وكذلك الحاطب يجمعُ في حبله (٣) الجيِّد والرديء ،

(١) البيت لمزرد ، كما في اللسان (سحق ، قسا ، مأي) .

(٢) قبله في اللسان (أدم) :

* الناس أضياف وشقي في الشيم *

(٣) في الأصل : « صدره » ، صوابه في م والتبريزي .

والرطب واليابس ، على تدان بينهما . فإن قيل : وما الفائدة في إعادة التقسيم والتشبيه ؟ فالجواب أن يقال : كأنه صنّفهم^(١) في الأولى من حيث اختلفوا عنده في الأعمال والأخلاق ، وعلى توهم تباعد بينهم ، بدلالة قوله من الرجال أسنةٌ ومنهم مزنون لا يُعتدُّ بحضورهم . وبين الصفتين تفاوتٌ عظيم ، وتباينٌ شديدٌ . وصنّفهم في الأخرى من حيث اختلفوا فيها على توهم تقارب بينهم ؛ لأن فيمن يُقَمَّسُ من لا يباينُ المباينة الفاحشة ، ولا يُخالفُ المخالفة المنكرة .

١٢٤

وقال آخر :

١ - أقولُ لنفسي حين خوّدَ رأُّها مكانكٍ لما تُشْفِقِي حين مُشْفِقِ

يقال : خوّدَ رأُّه ، للذعور المرتاع . والرُّأل : فرخ النّعام . وهذا مثلٌ .
والتخويد : ضربٌ من السّير سريع . والتّخويد والوخذ والخدي متقاربةٌ
المعنى ، في أنها تفيد ضروراً من المشي ، ويوصفُ جميعها النّعام . ويقال في هذا
المعنى « زَفَّ رأُّه » ، لأن الزّفيف ضربٌ من العدو سريعٌ أيضاً . وفي هذه
الطريقة قولهم « طار طائرُه » . ويقولون : « هو أنفرٌ من نعامٍ » ، و « أشردُ
من ظليمٍ » . ومعنى البيت : إني أثبتُّ نفسي عند ما يبدؤه من دُعرِ الحرب ،
ويَفْجأ من روعة القتال ، فأخاطب نفسي إذا هَمَّت بالإحجام ، أو وسوسَ إليها
وجوبُ الانهزام : الزّمي مكانكٍ لم تُدْعري وقت دُعرٍ . وقوله « مكانكٍ »
أمرٌ ، وهو موضوعٌ موضعَ الفعل الذي عمِلَ فيه ، ومكْتَفَى^(٢) به عنه ، فهذا
إيجابٌ . وقوله « لما تُشْفِقِي حين مُشْفِقِ » تأنيسٌ ، أي لم تخافي وقت مخافتي .

• الظليم : ذكر
النعام .

(١) كذا في م . وفي الأصل : « وصنّفهم » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « ومكْتَفَى » .

(٣) في جماسة العمري ص ٢٤ أنه . معقل بن جوشن الأسيدي .

فهما كلامان . والإشفاق : الذُّعْرُ ، وقد يختلط بالثُّضْحِ ويتجرَّد عنه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ .

٢ - مكانك حتى تنظري عم تنجلي عماية هذا العارض المتألق (١)

يقول : أستأني وأترفق ، وأقول في تلك الحالة ، تَمَسَّكِي يَا نَفْسُ واحفظي مكانك إلى أن يتبين لك عن أي شيء تنكشف لك ظلمة هذا العارض المتشقق بالبرق . والعارض ، أصله في السحاب ، وهاهنا أراد به الجيش . وجعل التألق مثلاً للمعان الأسلحة . ويقال اتلق البرق أي تلاًأ ، وتألَّق . والعماية : الظلمة والهبوة . وبروي : « عماية هذا العارض » وهي في طريق العماية لأنهما من الغي والعمى ، وقد توسَّع فيهما . وإنما طلب من النفس الصبر إلى ذلك الوقت ، لأنَّ من ثبتت في الحرب إلى انكشاف الحال فيه فقد أعطاها حقها .

١٢٥

وقال موسى بن جابر (٢) :

١ - وقلت لزيد لا تترتر فإبهم يرون المنايا دون قتلك أوقتي (٣)

الترتر : العجلة . وحكى الدرديبي أنها كثرة الحركة (٤) ، فهي كالتلثة . وروي الحديث : « تَلْتَلُوهُ وَمَزْمِزُوهُ » بالراء (٥) واللام جميعاً . ويروي

• قبل هذا الحديث

عندما أتى بشارب

هنر . فهو أن يرك

ويستنكه ليعلم أشرب

أم لا ، وهو في الأصل

السوق بعنف . وتلث

الرجل : عتف بسوقه .

(١) ذكر التبريزي أن بعد البيتين :

وكوفي مع التالي سبيل محمد

إذا قال سيف الله كروا عليهم

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٢٣ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزي : « قلت لزيد » بالخرم .

(٤) انظر الجمهرة (٢ : ١٣) .

(٥) في النسختين : « بالزاي » ، تحريف .

وإن كذبت نفس المقصر فاصدق
كررنا ولم نحفل بقول المعوق

« لا تُبْرِزُ » ، والبُرْبُرَةُ ؛ كثرة الكلام ، وكذلك الثَّرْبَةُ بالناء ، وَرَجُلٌ
 ثَرْتَارٌ . ويقال : ما أَكْثَرَ بَرَبْرَتَهُمْ ، إذا ما جُوا في الكلام . ومنه سُمِّيَ
 البُرْبُرُ : جِنْسٌ مِنَ المِغَارِبَةِ ^(١) ، وكذلك البُرْبُرَةُ بالزاي : كثرة الحركة . وقد
 رُوِيَ : « لا تُبْرِزُ » . ويقال ما أَكْثَرَ بَرَبْرَتَهُمْ ، ورجل بَرَبَارٌ وَبَرَابِرٌ ،
 إذا كان يكثرُ حركاته ويخفُّ ^(٢) فيقول : لا تَفْجَلْ يا زَيْدُ ، أو لا تُكْثِرْ
 كلامَكَ ولا تَضْطَرِّبْ ، فإنَّ القومَ يَرَوْنَ الصبرَ على المنايا ويخفُّ عليهم ويقلُّ
 عندهم إذا ثبت فيه قَتْلِكَ أو قَتْلِي لِمِ ^(٣) ، واتهزوا في تحصيل أحدها فَرَصَهُمْ .
 ويكونُ « يَرَوْنَ » في هذا الوجه من الرَّأْيِ ، كما يقال فلانٌ يَرَى في دينه
 أو في سرِّه كذا ، أي يتخذه مذهباً ويدومُ عليه . ويجوز أن يريدَ يَرَوْنَ
 للمنايا : يُقَاسُونَ الشَّدَائِدَ ، ويدوقون المنايا ، ولم يَصِلُوا بَعْدُ إلى قَتْلِي أو قَتْلِكَ .
 ويكون معنى « دون قَتْلِكَ » كما يقال « دُونَ هذا الأمرِ خَرَطُ القَتَادِ » ،
 وكما قال بَشْرٌ :

• ذو بَحَارٍ ومَنُورٍ :
 مِبْلَانِ فِي ظَهْرِهِ مَنُورٌ
 سَلِيمٌ .

* وَمِنْ دُونَ لَيْلِي ذُو بَحَارٍ وَمَنُورٍ * ^(٤)

ومعنى يَرَى كما يُقال لو عَلمتَ ماذا رأيتُ من فلانٍ ، يراد أي شيءٌ
 مارَسْتُ وكأيدت . والكلام في المعنى الأول تصويرٌ لخال القوم في عداوتهم ،
 ونَهْيٌ عن المعالجة ^(٥) مَعَهُمْ ، وَبَعَثُ على مصابرتهم ومحاذرتهم . وعلى المعنى
 الثاني يكون تثبيتاً لصاحبه وتشجيعاً ، وتسكيناً منه وتصبيراً ، فيكون مثل قوله :

(١) ومنه سمي البربر ، إلى هنا ساقط من م .

(٢) م : « إذا كان تكثر حركاته وتخف » .

(٣) أي إذا ثبت لهم . وكلمة « لهم » في م نقط .

(٤) صدره كما في معجم البلدان (٢ : ٦٥) :

* لليلي على بعد المزار تذكُّر * .

وبحار في النسختين بفتح الباء ، وهي لغة فيه نص عليها ياقوت ، وأورد لغة أخرى ، وهي

كسر الباء . وقد جاء مصروفاً في م ومنوعاً من الصرف في الأصل .

(٥) كذا في م . وفي الأصل : « المعالجة » ، تحريف .

• خرط الشجر : انزع
 الورق عنه اجتذاباً .

• القنَاد : شجر صلب له

شوك كالإبر . وهذا

المثل يضرب للشيء لا يُنال

إلا بهشقة عظيمة .

* أقولُ لنفسي حينَ خَوَدَ رَأْهَا (ك) *

وكانَ أبا تمامٍ تَصَوَّرَ هذا المعنى ، فلذلك ألحق الأبيات بما يليها .

• عَضُّ الحرب : شدتها وقسوتها .

٢- فَإِنْ وَضَعُوا حَرْبًا فَضَعَهَا وَإِنْ أَبَوْا فَعُرْضَةٌ عَضُّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي

يقول : إن حَطُّوا الحربَ أو اطَّرَحُوها ، وراموا المسألةَ والمشاركةَ فيها ، فَاتَّبَعَهُمْ فِي ذَلِكَ وَاقْتَدِ بِهِمْ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّرَّ فَالْقَوِيُّ عَلَى عِضَاضِ الْحَرْبِ وَالصَّبُورُ عَلَى لَزَامِهَا مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي ، والمعنى : أنا وأنت . وهذا كما يقال : مثله لا يعتاض منه ، والمعنى هو لا يُعتاضُ منه . ويقول : فلانُ عُرْضَةُ الشَّرِّ ، إذا كان قويا عليه .

٣- وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى فَسَبَّ وَقُودَ الْحَرْبِ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ

• الجزل : ما عظم من الحطب ويبس .

جَعَلَ الرَّفْعَ فِي مَقَابِلَةِ الْوَضْعِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، والمعنى : إن هَيَّجُوهَا . وَالْعَوَانُ : الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَتَقَادَمَ وَتَطَاوَلَ لَبْنُهَا ، وَاتَّصَلَ هَيْجَانُهَا ، وَاتَّسَعَ نَفْيَانُهَا . وَهَذَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْعَوَانِ مِنَ النَّسَاءِ . فَهِيَ كَمَا وَصَفَهَا غَيْرُهُ - لَمَّا أَرَادَ ابْتِدَاءَهَا وَجِدَّتْهَا - بِأَنَّهَا فَتَاةٌ وَبِكْرٌ ، فَقَالَ :

• النِّقْيَانُ : مَا فَاضَ مِنْ مَجْمَعِ السَّيْلِ ، وَاسْتَقْبَلَ اللَّفْظُ هُنَا عَلَى التَّشْبِيهِ .

الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتْيَةً تَسْعَى بِبِزَّتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ (ك) • البزّة : السلاح

• الْعَوَانُ مِنَ النَّسَاءِ : الْمُتَوَسِّطَةُ بَيْنَ الْعَمْرِ بَيْنَ الصَّغْرِ وَالْكِبَرِ .

وَقَدْ اسْتَعْمَلُوا الْبِكْرَ وَالْعَوَانَ فِي الْحَاجَاتِ أَيْضًا ، فَقَالَ : هِيَ بِكْرٌ حَاجَاتِي ، وَحَاجَتِي بِكْرٌ ، وَحَاجَتُكَ عَوَانٌ . يَقُولُ : وَإِنْ أَجَّجُوا نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَانَ الَّتِي تَشَاهِدُ وَاسْتَجَاشُوا لَهَا ، وَأَثَارُوا كَوَامِنَهَا ، فَاسْتَجِشْ أَنْتَ أَيْضًا وَأَوْقِدْ نَارَهَا بِالْحَطْبِ الْغَلِيظِ الْجَزْلِ .

• اسْتَجَاشُوا لِلْحَرْبِ : طَلَبُوا لَهَا الْكَبِيْشَ .

(١) البيت الأول من الحماسية السابقة . وقد روي في م كاملا .
(٢) لعمر بن معديكرب . انظر شروح سقط للزند ١٦٧٨ .

١٢٦

وقال أيضاً :

١- إذا ذُكِرَ ابنا العنبرية لم تَضِقْ ذِراعِي وأَلْقَى باسْتِهِ مَنْ أَفْخِرُ (١) . الإِسْتِ: العَجْرُ ،
وقد يراد بها حلقة
الدُّبْرِ .

قوله : « لم تَضِقْ ذِراعِي » مَثَلٌ ، ويقال ذَرَعِي . قال الخليل : الذَّرَاعُ
اسمٌ جَماعٌ لكلِّ ما يُسَمَّى يَدًا من الرُّوحانيين (٢) . يقول : إذا ذُكِرَ هذان
الرجلان من آبائي اتَّسَعَ نِطاقُ افتخاري ، وَرَحِبَ مَجَالِي وَبَاعِي ، ولم تُعَيِّنِي
غَلَبَةُ من أساجله ، ولم يَقْعُدْ بي ذِكرها عن الارتقاء في الفخر إلى ما لا يَطْلُعُ له
مَنْ أوزنُهُ وأَكابِلُهُ ، حتى ألقاه باسْتِهِ دون وَجْهِهِ لتولِّيهِ وإِعراضِهِ . وذِ كُرُّ
الاستِ تَقْبِيحٌ لفعله عند النُّكوصِ والانهزام ، وتَشْنِيحٌ عليه في التولِّي والإِدْبَارِ .

• الباع - أصلاً :
مسافة ما بين الكفين إذا
انسطت الذراعان يميناً
وشمالاً .

٢- هِلالانِ حَمالانِ في كُلِّ شتوةٍ من الثَّقَلِ ما لا تَسْتَطِيعُ الأَباعِرُ

يقول : هما في الاشتهار واعتلاء الشان ، واستضاءة الناس بنورها ، والانتفاع
بمكائهما ، بمنزلة هلالين ؛ ويتكلفانِ عِدَّ كُلِّ جَدْبٍ ومُحْلِ ، من الأثقالِ
والأعباء ، ما لو صارت أجزامًا لَعَجَزَ عن النهوض بها وتحمُّلها البُغْرانُ . فإن
قيل : إذا كان قَصْدُهُ في تحمُّلِ الأثقالِ إلى قَرى الضيف ، ونَحْرِ الجزورِ
وَقِسْمَتِها في المَيْسِرِ ، والصَّبْرِ على المَوْنِ ، والنَّهوضِ بالكَلْفِ ، فكيف قال حَمالانِ
من الثَّقَلِ ما لا يَسْتَطِيعُ الأَباعِرُ ؟ وكيف مَثَل ما يَثْقُلُ على القلوبِ من الغراماتِ
والحقوقِ ، بالأوقار التي تثقلُ على الظُّهورِ ؟ قلتَ : إنَّما يريدُ أنَّ تلكَ المَوْنِ
والتكاليفَ التي يلتزمها ، وَيَسَعَى بها وفيها ، لو جُسِّمَتْ ثم حَمِلَتْ ، لكانت

• الجزور : ما يصلح

لأن يُذَمَّجَ من الأبلِ ،

انظر ص ٤٣٩ .

• الأوقار : جمع وقر ،

وهو الحمل الثَقيلُ .

(١) في الأصل : « من يفاخر » ، وصواب الرواية المتساوق مع التفسير من م والتبريزي .

(٢) في اللسان (ذرع ٤٤٨) : « من الروحانيين ذوي الأبدان » .

الجمال لا تستقلُّ بها ، ولا تقوى عليها (١) ، فهذا وجهٌ . ويجوز أن يكون لما قال
 حمَّالان في كل شتوةٍ من الثقل ، جعلَ لفقهُ ما لا تستطيع الأباعر ، إذ كانت
 الجمالُ وأشباهها هي التي لحمل الأثقال حُلقت (٢) ، وبها اشتهرت ، وليكون في
 اللفظ توافقٌ ، مع الأمن من عارضِ الالتباس . ويكون هذا كما قال غيره (٣) :

• اللفظ : سقعة من
 بَشَقَتِي الملاءة . يقال
 هالِفقان إن كانا
 متصامنين متجانسين .

ألا هلك امرؤٌ ظلَّت عليه بِجَنبِ عُنَيْزَةٍ بَقَرٌ هُجُودٌ

• عنيزة : قرى بالبحرين .

سَمِعَنَ بِمَوْتِهِ فَظَلَّلَنَ نَوْحًا قِيَامًا مَا يَحِلُّ لهنَّ عُودٌ

سببه النساء بالبقر .

الهجود ههنا : المنتبهات ،

والهاجد هنا الأصداد ،

يقال للنائم وللمستبه .

ألا ترى أنه لما كان قد كنى عن النساء بقوله « بقرٌ هجود » عبَّرَ عن
 إمساكهنَّ عن الطعام تحزُّنًا بقوله « ما يحلُّ لهنَّ عود » إذ كانت البقرُ
 وما يجانسها من البهائم تعتلف العود وما يكون كالعود . وليس ذلك إلا
 لِطَلَبِ الموافقة في اللفظ ، مع الأمن من اللبس . فأما قولُ لبيدٍ :

فإذا جُوزيتَ قرصًا فاجزِهِ إنما يجزِي الفتى ليس الجمَلُ

فعناه إنما يعرفُ النعمَ وما يجب لها من شكرِ النعمِ أربابُ العقول
 وذوو التَّمييز ، لا البهائم . فتى أزلت إليك نعمةً فكُن من المجازاة عليها
 بمرصدٍ ، فإن معرفة ذلك والأخذ به من تمام العقل ، ويوجبهُ الميِّزون وأولو
 الحِجَى ، لا غيرهم ممَّا لا تمييز له ، ولا معرفة بذلك عنده . وذكرَ الجمَلُ مُكتفياً

(١) م : « بجملها » .

قال التبريزي : « هذا قول المرزوقي . وقال النمرى : أي هذان الرجلان يحملان من أعباء
 المغارم وأثقال الصنائع ما لو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهي أثقل الحيوان حملاً ، وأكثره
 صبراً . قال أبو العلاء : قد تأول النمرى له معنى قد يجوز مثله ولكنه بعيد ، وإنما ينبغي
 أن يحمل الشيء على ما أكثر ، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين المدوحين يحملان من قرى
 الأضياف ومن نحر الإبل ما لا يستطيعه الأباعر ، أي إنها لا تقوى عليه لأنه يهلكها » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « هي التي تحمل الأثقال لها خلقت » .

(٣) هو امرأة من بني حنيفة توفى يزيد بن عبد الله بن عمرو الحنفي . المفضليات

(٢ : ٧٢) .

وإن كان القصدُ جنسه أو أجناسَ مثله . وفي طريقةٍ ما نحن فيه قول أبي تمام
إلا أنه فصلَ بين المنزلتين ، وهو :

والصَّبْرُ بالأزواجِ يُعْرَفُ فَضْلُهُ صَبْرُ الملوكِ وليس بالأجسامِ

١٢٧

وقال (ك) :

١ - ألم تر يا أبا حميت حقيقتي وباشرتُ حدَّ الموتِ والموتُ دونها

الحقيقة : الخصلة التي يحقُّ على الإنسان حمايتها . وقال الخليل : الحقيقة :

ما يصير إليه حقُّ الأمر ووجوبه . وقوله « ألم تر يا » تقريرٌ للغير على ما كان
من بلائه . يقول : ألم تعلم أني ذببتُ عمّا يجبُ عليّ الذبُّ عنه ، وباشرتُ الموت
بنفسي ، والموتُ دونَ حماية الحقيقة . يريد أن المحافظة على الشرفِ أشقُّ من
اقتحامِ الموتِ والاستقتال ، لأنه يحتاج أن يُصبرَ فيه من المكاره على ما لا يُحَدُّ
ولا يُحصَرُ ، ويُتكلَّفُ له من المشاقِّ ما لا يُعَدُّ ولا يُضبط . فهذا وجه . والضمير
من قوله « دونها » يرجع إلى ما دلَّ عليه حميتُ من الحماية والحفظ . ويجوز أن
يكون قوله « والموت دونها » أي قريبٌ من الحقيقة التي دفعتُ عنها أو من
الحماية التي التزمته ، وحائلٌ بيني وبينها ، ويكون هذا بياناً لكيفية مباشرته
لحدِّ الموت ومشافهته إياه على سمتِ القرب ، والواو من قوله « والموت »
واو الحال . وإذا جعلتَ المعنى الأول فيكون الكلامُ بياناً لتفضيل حماية
الحقائق على مباشرة المنايا .

(١) كذا في م . وعند التبريزي : « وقال أيضاً » . وعبارة م والتبريزي تدل على

أن الحماسية لموسى بن جابر . وفي الأصل : « وقال آخر » .

٢- وَجُدْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا وَقُلْتُ اطْمِئِنِّي حِينَ سَاءَتْ ظُنُونُهَا

يصف ابتذاله نفسه فيما تعناه على حاجة من العشيّة إلى بقائها ، وحلّوها من القلوب محلّ ما يضمن بها ، فيوجب صياتها . يقول : تسخّيتُ بنفسٍ لا يُتَسَخَّى بِمِثْلِهَا كَرَمًا وَعِزَّةً ، وَشَرَفًا وَأَبَهَةً ، وَقُلْتُ تَثْبِيثًا لَهَا : اسْكُنِي وَاصْبِرِي عِنْدَ اسْتِيْلَاءِ الرَّعْبِ عَلَيْهَا ، وَاخْتِلَافِ الظُّنُونِ بِهَا . وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَلْحَقُ النَّفْسَ فِي الْأَوَّلِ مِنَ الْإِلْتِقَاءِ ^(١) ، لِلْوَهْلَةِ الْعَارِضَةِ ، وَالْفَجْعَةِ الْمَرْوَعَةِ . وَمِثْلُهُ :

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأْيُهَا مَكَانَكَ لَمَّا تُشْفَقِي حِينَ مُشْفَقِي ^(٢)

٣- وَمَا خَيْرٌ مَالٍ لَا يَبْقِي الذَّمَّ رَبَّهُ وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُهِنُّهَا ^(٣)

لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار الذي يجري مجرى تجرّي النفي . يقول : أَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ لَا يَبْصُونُ صَاحِبَهُ مِنْ ذَمِّ وَعَارٍ ، وَلَا يَحْمِيهِ مِنْ لُحُوقِ تَهْجِينٍ وَشَنَارٍ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ غَنَاءُ نَفْسٍ لَا يَبْتَدِلُهَا صَاحِبُهَا فِي اسْتِفَاءِ حَقُوقِهَا ، وَلَا يُتَعَبَّأُ فِي الدِّفَاعِ دُونَ حَقَائِقِهَا ؟ وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَرُّؤٌ مِنَ التَّحَمُّدِ ^(٤) بِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ إِتْفَاقِ الْمَالِ ، وَابْتِدَالِ النَّفْسِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَيَبْتَدِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ طَائِعًا إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَدَالَهَا ^(٥)

(١) م : « في أول الالتقاء » .

(٢) انظر الحماسية ١٢٤ .

(٣) التبريزي : « بنفس امرئ » .

(٤) هذا ما في م . وفي الأصل : « التحمل » ونراه تحريفا .

(٥) م : « المصونة نفسه » ، وقد سبق البيت في ص ١٤١ برواية م .

١٢٨

وقال :

١ - ذَهَبْتُمْ فَلذُّتُمْ بِالْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكَنَا أَحَادِيثًا وَلَحْمًا مَوْضَعًا^(١)

يُخَاطَبُ قَوْمَهُ وَيُلَوِّمُهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْقَعُودِ عَنْ نُصْرَتِهِ ، وَالتَّكْوِصِ عَنْ مَشَايِعَتِهِ ، وَاعْتِلَالِهِمْ عِنْدَ اعْتِدَارِهِمْ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَعَاذِيرِ الْمَشُوبَةِ بِالْكَذِبِ ، التَّجَانُّمِ إِلَى الْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكَنَا قَوْمَنَا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ ، وَعِنْدَ تَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْهُمْ وَلَا يَدَافِعُونَ ، فَهَمَّ كَاللَّحْمِ الْمُبْضَعِ عَلَى خِيَانِ الْجَزَّارِ ، تَمْتَدُّ الْأَيْدِي عَلَى تَوْضِعِهِ إِلَيْهِ ، وَتَتَعَلَّقُ الْأَطْعَامُ بِتَنَاوُلِهِ وَأَخْذِهِ^(٢) . وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

رَضُوا بِصِفَاتٍ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا وَحُسْنِ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفِعَالِ

هَذَا إِذَا رَوَيْتَ « تَرَكَنَا » بفتح التاء ، وَإِنْ رَوَيْتَ بِضَمِّ التاء كَانَ الْمَعْنَى : ادَّعَيْتُمْ عَلَيْنَا فِيمَا نَابَنَا ، وَعِنْدَمَا هَمَّمْتُمْ بِهِ مِنْ مَفَارِقَتِنَا وَخِذْلَانِنَا ، أَنَّا تَرَكَنَا أَحَدُوهُ لِلنَّاسِ قَبِيحَةً ، يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ بِذِكْرِنَا ، وَأَذْلَاءٌ مَهْتَضِمِينَ لِادِّفَاعِ بِنَا ، وَلَا امْتِنَاعٍ مِنْ مَذَمَّةٍ فِي طِبَاعِنَا . وَالْمَوْضِعُ : الْمُقَطَّعُ الْمُفْرَقِ فِي مَوَاضِعِ^(٣) .

٢ - فَمَا زَادَنِي إِلَّا سِنَاءً وَرِفْعَةً وَمَا زَادَكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَخَضُّعًا

يقول : لم يزدني فعلكم وقولكم عند اعتلالكم في مفارقتكم إلا ارتفاع

(١) أشير في هامش نسخة الأصل إلى أنه في نسخة أخرى : « مبضعا » . والمبضع : المقطع .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « تمتد الأيدي إليها ، وتتعلق الأطعام بتناولها وأخذها »

(٣) كذا في م . وفي الأصل : « والمبضع : المقطع المفرق » .

مَحَلِّ ، وُسُوءٍ حَالٍ ، وَجَلَالَةَ قَدْرٍ ، وَلَمْ يَزِدْكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَرَاجُعًا وَتَذَلُّلًا ،
وَتَصَوُّرًا بِالْقَبِيحِ وَتَسْقُطًا ، لِأَنَّ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِمَشِيرَتِهِ وَأَقْرَبِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ
وَذَوِيهِ ، لَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ الْبَعِيدُ الَّذِي يُؤْوِيهِ ، وَالْمُسْتَعَانُ بِهِ لِمَا يَرْتَجِيهِ .

٣- فَمَا نَفَرَتْ جِنِّي وَلَا فُلٌّ مِبْرَدِي وَلَا أَصْبَحَتْ طَيْرِي مِنْ الْخَوْفِ وَقَمًا

وهذا محتمل وجوها : يجوز أن يريد لم ينخزل - لما أتيتم وأخبرتكم -
أصحابي الذين هم كالجن ، ولا فُلٌّ لساني الذي هو كالمبرد ، ولا ذِعْرَ جاشي
فصار طيري واقعة . ويكون الأول كقول الآخر :

* عَلَيْنَّ فِتْيَانُ جِنَّةٍ عَبْرَةٍ *

وتشبيه اللسان بالمبرد وحده السيف أكثر من أن يحتاج له إلى شاهد .
وقد قيل في « نَفَرَتْ جِنِّي » إنه مثلٌ لَفَلَّتَاتِهِ وَبَدْرَاتِهِ ، ويكون هذا كما
وصف امرؤ القيس فرسه بالمرج وحده القلب فقال :

* بِهِ طَائِفٌ مِنْ جِنَّةٍ غَيْرِ مُعْقَبٍ *

• غير معقب : أي ملازم له ،
ليسأبأ هذه مرة ويدهه أفرى .

وإن ذكره المبرد مثلٌ لصلاحه ، وإن ذكره الطير مثلٌ لصيته وذكوره
الذاهب في الناس . ويجوز في هذا الوجه أن يريد به ذكاه ونشاطه وشهامته ،
فقد قيل في ضده : هو ساكن الطائر ، وكان على رموسهم الطير . ويجوز أن
يشير بالجن إلى ما يدعيه الشعراء من أن لكل واحدٍ منهم تابعًا من الجن
يستعين به فيما يحزُّ به ، ويجعل المراد بالمبرد في هذا الوجه اللسان لا غير .
ويجوز أن يريد بالطير سَراياه وطوائف خيله التي يطيرها للغارات والارتباء ،
وتجسس (ط) الأخبار وغيرها .

• حَزَبَ الأمر فلانًا :
نابه واشتد عليه .
• الارتباء : التطلع ،
و الربيبة : العين أو

الطليعة الذي ينظر للقوم

(١) م : « وتجسس » بالحاء المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد ، وهو البحث .

لئلا يداهم عدو ، ولا يكون
إلا على جبل أو شرف ينظر
منه .

١٢٩

وقال حريث بن جابر (ك) :

١- لعمرك ما أنصفتني حين سُممتني هَوَاك مع المولى وأن لا هوى ليأ

العمرُ والعُمر لغتان ، ولا يُستعمل في القَسَم إلا بفتح العين . وأنصفتني : أعطيتني النصفَ والنصفَ . ويقال انتصفتُ من فلانٍ ، أي استوفيتُ حقِّي منه كاملاً حتى صرت أنا وهو على النصف سواء . ومعنى سُممتني : جَسَمْتَنِي خُطَّةً من الشرِّ . ويقال أيضاً : سَامَ فلانٌ فلاناً ، إذا داومَ عليه وألحَّ في شيء . يقول : وبقاتك ما أعطيتني النصفَ حين عرَضت عليّ الرضا بأن يكون لك هوى مع مولاك ، حتى تنتقم له وتذُبُّ دونه ، وألا يكون لي هوى مع مولاي وأخلي بينه وبين أعدائه . قوله « وأن لا هوى ليأ » أراد : وأنه لا هوى ليأ .

٢- إذا ظلم المولى فرغت لظلمه فحرك أحشائي وهرت كلابيا

يُبَيِّنُ كيف يتعصب لمواليه ، وكيف يأنف من اهتضام يلحقهم ، يقول : إذا اهتضم حليف لي أو ابن عمِّ ، دُعِرْتُ لامتهانه واهتضامه ، فاضطرب أحشائي ونبحت كلابي . والمعنى : لم أعتد الهزيمة فيمن يتصل بي ، ويتسبب إلي ، فإذا اتفق وقوعها صارت كلابي تنبح ، وأخذت نفسي تقلق . فيجوز أن يكون تحركت أحشاؤه لوجيب قلبه وخفقانه ، ونبحت كلابه لتهيئته للانتقام ، وتدججه في السلاح له ، وتجمع أصحابه وإعدادهم الخيل والرجل لإغاثة . والكلب يُنكر أصحابه إذا رآهم بهذه الأحوال فينبح . أنشد الأصمعي في مثله :

(١) التبريزي : « وقال حريث بن جابر بن سري بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ابن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل » .

أَنَاسٌ إِذَا مَا أَنْكَرَ الْكَلْبُ أَهْلَهُ حَمَوَا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِمٍ (١)
 ووجه آخر ، وهو أن يكون تحرّكت أحشاؤه لاضطرابه في جمع من
 يجمع ، وإعداد ما يُعِدُّ ، والمنسرّع في الشيء يلحقه ذلك ، ومثله :
 أشارت له الحربُ العوانُ فجاءها يُقَعِّعُ بالأقرب أول من أتى
 فقَعَقَتِ الأقرب كتحريك الأحشاء وأكثر . ويكون معنى فَرَعَتْ أَغَثْتُ
 على هذا . ومثله قوله :

* حَلَلْنَا الْكَثِيبَ مِنْ زَرُودٍ لِنَفْرَعَا (٢) *

أي لنغيث . ويجوز أن يكون أراد بالكلام الأصحاب ، ويكون مثل
 قول الهذلي (٣) :

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيَبْعُدَ نَفْرُهَا وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كِلَابُهَا
 فَقَدْ فُسِّرَ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ عَلَى هَذَا . وَكَذَلِكَ قَوْل تَابِطُ شَرًّا :
 * لَيْلَةَ صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِي كِلَابِهِمْ (٤) *

فُسِّرَ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا .

١٣٠

وقال البعيث بن حريث (٥) :

١ - خِيَالٌ لَأَمِّ السَّلْسَبِيلِ وَدُونَهَا مَسِيرَةٌ شَهْرٍ لِلْبُرَيْدِ الْمُدَبِّبِ

(١) روى في الحيوان (٢ : ٧) مع نسبه إلى طفيل الغنوي : « شنعاء مطلق » .

وفي الأمالي (١ : ٥٥) : « مضلع » ، وقال : « ويروى مفتح » .

(٢) للكحلجة العرني في المفضليات (١ : ٣٠) . وصدوره :

* وقلت لكأس أجميها فإتما *

(٣) هو أبو ذؤيب . انظر ديوان الهذليين (١ : ٨٠) .

(٤) عجزه في المفضليات (١ : ٢٦) : * بالميكتين لدى معدى ابن براق *

(٥) هو البعيث الحنفي ، كما في المؤلف ٥٦ . وهو البعيث بن حريث بن جابر بن سري

ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة بن لجم . وقد سبق ترجمة
 والده حريث بن جابر في الحماسية السابقة .

خير الابتداء محذوف ، كأنه قال : خيالٌ لهذه المرأة أتاني أو زارني ،
وبيني وبينها مسيرة شهرٍ للبريد المُسرِّع المُتَعَجِّل . كأنه استطرَفَ من الخيال
ما كان يستطرُفُه من المرأة لو زارت . وقوله « البريد المُدْبَذَب » كما يُقالُ
للسائق الحاثُّ طَارِدٌ . ألا ترى قوله بصِفِّ فرَسًا :

* وَيَسْبِقُ مطروداً ويلحق طاردا *

لأنَّ المُدْبَذَبَ والمُدْبَبَ الأصلُ فيهما واحدٌ ، يَرْجِعُ إلى الطَّرْدِ
والاستمجال . والمُسْرِعُ المُسْتَعَجِلُ يتدبذبُ ، أي يضطرب . فأما قوله تعالى :
﴿ مُدْبَذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ فهو من صفة المنافقين ، ومعناه مطرودين بين المؤمنين
والكافرين ، فليسوا بمقبولين عند واحدة من الفرقتين . ومثلُ ذبِّ وذَبْذَبَ ،
كَبَّ وكَنكَبَ . فإن قيل : لم نكر فقال خيالٌ لأمِّ السلسبيل ؟ قلت :
يجوز أن يكون كان يرى خيالها على هيئة مختلفة ، فاعتقد لاختلاف هيئته
أنه عدَّةُ خيالٍ ، فلذلك نكرهه ، كأنه قصدَ إلى واحدٍ منها ، ومثله :

خيالٌ لزَيْنَبَ قد هاج لي نكاسًا من الحبِّ بعد اندِمَالِ (١)

• النكس: معاودة العلة
بعد النكح.

٢ - فقلتُ لها أهلاً وسهلاً ومرحباً فردتُ بتأهيلٍ وسهليلٍ ومرحَبٍ

حكي ما دارَ بينه وبين الخيالِ . والخيالُ يُذَكِّرُ ويؤنِّثُ . وثبَّه بكلامه
على أنه أظهر لها قبولاً حسناً ، وبشراً وطلاقةً ، ففعل المتشوفِ لها ، المتشوقِ
إلى لقاءها ، وأنه تلقاها بالترحيب والتأهيل ساعة طلوعها ، فأجابته بمثل ذلك .
وانتصبَ أهلاً بفعلٍ مُضْمِرٍ كأنه قال أتيتَ أهلاً لا غرباءً ، وسهلاً من
المنازل لا حزنًا ، ورحبًا من الأماكن لا ضيقًا : والتأهيل : مصدر أهلتُهُ أي
قلتُ له أهلاً . وكان يجب أن يقول فردتُ بتأهيلٍ وتسهيلٍ وترحيبٍ ، لو أتى

(١) لأمية بن أبي عائذ في ديوان الهذليين (٢ : ١٧٣) برواية : « خيال لجمدة » .

بالكلام على حَدِّ واحدٍ ، لكنّه أتى في بعضه بحكاية اللفظ ، وفي بعضه ببناء الأخبار . وقال سيبويه : إذا قال الرّادُّ وبك أهلاً ، فإنّما يقول : أنت عندي بمنزلة من يقال له هذا لو جئتني . وإنّما قال هذا لأنّ الحال لا تقتضي من الزائر أن يُصَادِفَ المَزُورَ عندهُ ذلك ، فحمل الكلامَ - وقد اعتيد فيه ما ذكروه - على أنه يُرادُّ لو جئتني لكنت بهذه المنزلة .

٥- معاذ الإله أن تكون كظبية ولا دمية ولا عقيلة ربّ رب

معاذ انتصب على المصدر . والمعنى أستعيذُ بالله أو أعوذ به معاذاً . كأنه أئفّ وصار يربُّاً بصديقته أن تكون في الحُسنِ بحيث تشبّه بالظبي أو الظبية أو بالصورة المنقوشة ، أو بكريمة من بقرِ الوحش ، إذ كانت هذه الأشياء عنده دونها ، وقاصرة عن رُتبتها . وقد سلك من المتقدمين امرؤ القيس هذه الطريقة فقال :

كأن دمي سقّف على ظهر مرمر
غرائر في كين و صون و نعمة

• الدمي : الصّور .
وسقّف : دبر بالشام .
شبه الطعائن على الإبل
وما عليها من الوشي في
سرهذ في السراب بالدمي
على ظهور الرخام بهذا
الوادي المزبد ، وشبه
السراب لبياضه بزبد الوادي .

كسمازبد الساجوم وشياً مصوراً^(١)
يحلّين ياقوتاً ودراً مققراً

فشبهه الدمي بالنساء ، لا النساء بالدمي . ومما يستحسن من هذه الطريقة وتنعمها .
المفقر : المصوغ
على هيئة قنار
البحرادة ، وهو م .

لأنه شبه الأمطار المغيرة لرُسوم الديار بدموع العُشاق ، في إثر الأحاب

يوم الفراق . والعقيلة : الكريمة من النساء [والدّر^(٢)] وكلّ شيء .
والربّرب : القطيع من البقر .

(١) مزيد الساجوم ، مبيض لها في نسخة الأصل ، وإثباتها من شرح ديوان امرئ القيس ٩٢ - ٩٣ . والساجوم : اسم واد . والمزيد : الذي علاه الزيد . وفي م : « مزيد الساجور » ، تحريف .
(٢) هذه من م .

٤- ولكنها زادت على الحسن كله كما لا ومن طيب على كل طيب

يقال : زدته فزاد وازداد جميعاً . وكالاً ينتصب على التمييز ، والمعنى أنها يزيد حُسْنُهَا على كل حُسْنٍ كَالاً ، لأنه لا حُسْنَ إلا وتدخله نقيصة ، سوى حسنها . وكذلك كلُّ الطيب يتخلله حَطيطة إلا طيبها . و « من طيب » أي وزادت من طيبها على كل طيب طيباً . والغرض أن يبين لم أنكر لها^(١) تشبيهاً بغيرها ، فقال : هي ترفع عن ذلك ، إذ كانت جامعةً للمحاسن ، مستحقةً للوصف بالكمال ، وإذ كان كل واحدٍ من تلك الأشياء استبدَّ بصفةٍ دون صفةٍ ، ويتفرّدُ بنوعٍ دون نوع .

٥- وإن مسيري في البلاد ومنزلي لبالمنزل الأقصى إذا لم أقرب

يقول : مكاني الذي أسير فيه من البلاد ، وموضعي الذي أنزل فيه ، لا بُعدُ المنازل ، وأوضع المسائر ، إذا لم يلحقني فيها تقريبٌ وتعظيم . وقوله « أقرب » بمعنى أكرم وأدنى ، على طريق الإعظام . وليس يريد تقريب^(٢) المسافة به . ويجوز أن يكون المعنى إذا لم أقرب كنت بمنزلة المطرود المنفي ، وإن كنت مقياً دانياً . وكان الواجب أن يقول لبالمنزل والمسير ؛ فاكتمى بأحدهما . وآثرَ المنزل بالذِّكر لأنَّ النزول لا يكون إلا بعد السير . ودلَّ بهذا الكلام على أنه لا يرضى في متصرفاته إلا بما يقضي بتبجيله ، ويُفضي إلى اصطفاؤه والرفع منه ؛ وأنه لا يبصر على الهوان والجفاء حيثُ سار ونزل ، بل يطلبُ إكرامه وإلا انتقل وتحوّل .

٦- ولست وإن قربت يوماً ببائع خلّاق ولا قومي ابتغاء التّحجب

(١) كلمة « لها » ليست في م .

(٢) م : « تقليل » .

يقول : لستُ وإن أدنيتُ ومُجَلَّتُ ببائعِ نصيبي من شرفي ، وموضعي^(١) من عشيرتي ، طلبًا للتَّحَبُّبِ إلى من أجاورُهُ وأعاشِرُهُ ، أو تهالكًا في تعليق الطَّمَعِ بمن أرجوه وآملُهُ . والخَلَّاقُ : الحظُّ والنَّصيبُ من الصَّلاحِ . ويقال : ما لفلانِ خَلَّاقٌ ، إذا لم يكن له رغبةٌ في الاستصلاحِ واكتسابِ الخيرِ . وانتصب « ابتغاءَ التَّحَبُّبِ » على أنه مفعولٌ له .

٧ - وَيَعْتَدُهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ دِينِي وَمَنْصِبِي

يقول : وَيَعْتَدُهُ ما تبرأتُ منه وَأَنْفَتُ من فعله كثيرٌ من الناسِ تجارةً رابحةً ، وصفقةً مفيدةً نافعةً ، وأنا بدفعني عنه ويزهدني فيه شرفي وديانتي . وهذا القول يجوز أن يكون تنزيهاً لنفسه ، وتزكيةً لفعالهِ وخُلُقِه فقط ، وأن يكون القصد منه التعريضُ بغيره . وهذه الأبيات وإن كان في جملتها^(٢) ما ليس من الباب فإنه كرهه تبديدها لسلامتها من العابِ ، ووفورِ حظها من الانتخابِ .

• العَابُ : هو العَيْبُ
و العَيْبَةُ .

٨ - دَعَانِي يَزِيدُ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ وَعَبَسْتُ وَقَدْ كَانَا عَلَى حَدِّ مَنْكَبٍ

ما قَدَّمَهُ تَوَصَّلُ إلى بيانِ مراعاته أمرَ العشيرةِ ، والتعطفِ على القريبِ وقتَ الحاجةِ ، والتمسُّكِ بما يوجبُه الكَرَمُ والحِرِّيَّةُ . يقول : دعاني هذا الرجلُ وصاحبُه مستغِيثين ، بعد سوءِ ظنِّه بعشيرتهِ وبيِّ لما أسلفَ من الشرِّ ، وقَدَّمَ من العُتُوقِ والإيذاءِ ، وقد كانا أشرفًا على حدِّ الهلاكِ . هذا إذا رويَتْ بفتح الكافِ مَنْكَبٍ ، والمعنى : شافها حدَّ الشرِّ وحرَّفَهُ ، ولا يأمنانِ اقتحامَهُ وتوسُّطَهُ . ويقالُ أصابهُ نَكَبٌ من الدَّهْرِ وَمَنْكَبٌ وَنَكْبَةٌ وَنُكُوبٌ كثيرةٌ ، ومنه قيلَ حافرٌ نَكِيبٌ ومَنْكُوبٌ ، إذا أثَّرَ فيه حجرٌ أو غيره .

(١) م : « أو موضعي » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « من جملتها » .

ويروى « على حدِّ مَنْكِبٍ » بكسر الكاف ، والمعنى : كانا مُهاجرين لي .
يقال : فلانٌ معي على حدِّ مَنْكِبٍ ، أي كلما رأني التوى ولم يلقني بوجهه ،
وتنكَّبَ عني ؛ أي اجتنبني . والمَنْكِبُ من كلِّ شيءٍ : جانبُه وناحيته .
ومثله قولهم : فلانٌ يلقاني على حَرْفٍ ؛ وهو منحرفٌ عني ومتحرِّفٌ . ويجوز
أن يريد بقوله « بعد ما ساء ظنُّه » بعد تسلُّط اليأس والقنوط من الحياة عليه .

٩ - وقد علما أن العشيرة كلها سوي محضري من خاذلين وغيب

دلَّ بهذا الكلام على الضرورة الداعية إلى الاستعانة به ، والاستظهار
بدعوته وإجابته . يقول : استغاثا بي متيقنين أن كلَّ عشيرتهما إذا لم أحضرُ
من بين شاهدٍ لا ينصُر ، وغائبٍ لا يحضُر وأنَّ الكفاية لا توجد إلاَّ عندي ،
والنصرة لها لا تحصل إلاَّ بسعي . وقوله « من خاذلين وغيبٍ » أراد ومن
بين غيبٍ ، فاكتفى بمن الأوَّل عن الثاني ، وقد مرَّ القول في مثله
مشروحاً . ومعنى سوي هاهنا معنى بدلٍ ومكانٍ . وذكر المحضِر والمراد
النفس ؛ كأنه قال : وقد علما أن العشيرة كلها بدلاً مني ومكاني ، من
خاذلٍ وغائبٍ .

١٠ - فكنت أنا الحامي حقيقة وائل كما كان يحمي عن حقائقها أبي

يقول : أعنتهما على ضعف رجائهما ، وتسلُّط الظنون السيئة عليهما ،
جاريًا على الغاية الموروثة عن أسلافي ، ومقتديًا في الذبِّ عن العشيرة ، والمواظبة
على حماية الحقيقة ، بأبائي . ويقال : حميت الحقيقة وحميتُ عن الحقيقة ، وهو
يحمي عليه ويحمي عليه .

١٣١

وقال المثلّم بن رياح (١) :

١ - مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي سِنَانَا رِسَالَةً وَشِجْنَةً أَنْ قَوْمًا خُذَا الْحَقَّ أَوْدَعَا.

يقول : مَنْ يُوَدِّي عَنِّي رِسَالَةً إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، بَأَنْ أَرْضِيَا الْحَقَّ وَقَوْمًا وَاسْتَوْفِيَاهُ ، أَوْ أتركَاهُ فَمَا لَكُمَا غَيْرُهُ وَإِنْ تَسَخَطْتُمَاهُ . وَهَذَا تَوَعُّدٌ وَاسْتِهَانَةٌ . وَقَوْلُهُ « أَنْ قَوْمًا » أَنْ مَخْفَفَةٌ مِنْ أَنْ النَّقِيلَةَ وَالْمَرَادُ : أَنَّهُ قَوْمًا . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ فِي : أَمَّا أَنْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَنْ الْمَفْسَّرَةَ ، كَأَنَّهُ فَسَّرَ الرَّسَالََةَ بِقَوْمًا خُذَا الْحَقَّ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : أَتَفَخَّرُ عَلَيَّ أَنْ أَصْحَابِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَصْحَابِي . وَأَنْ هَذِهِ تَجْرِي تَجْرِي أَيُّ فِي أَنَّهُ يُفَسَّرُ بِهِ . وَلَوْ قَالَ قَوْمًا وَخُذَا الْحَقَّ ، فَأَتَى بِمَحْرَفِ الْعَطْفِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ كَانُ أَفْصَحَ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ بِغَيْرِ الْمَاطِفِ كَثِيرًا . وَقَوْلُهُ « قَوْمًا » لَيْسَ الْمَرَادُ بِهِ فِعْلَ الْقِيَامِ ، لَكِنَّهُ وَضَلَّةٌ فِي الْكَلَامِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ فِيمَا مَضَى أَمثَالَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ خُذَا الْحَقَّ عَلَى طَرِيقِ التَّهْكُمِ وَالسَّخْرِيَةِ . أَيُّ إِنْ قَدَرْتُمَا عَلَى أَخْذِ الْحَقِّ الْمُدَّعَى فَخُذَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : تَرَ كَمَا مَا سَمِيْتَاهُ حَقًّا ، وَطَلَبِكُمَا لَهُ عِنْدِي سِوَاءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ .

٢ - سَأَ كَفَيْكَ جَنَسِي وَضَعُهُ وَوَسَادَهُ وَأَغْضَبُ إِنْ لَمْ تُعْطِ بِالْحَقِّ أَشْجَعًا (٢)

(١) التبريزي : « المثلّم بن رياح بن ظالم المري » . وقال المرزباني في المعجم ٣٨٦ : « المثلّم بن رياح المري جاهلي ، وله يقول سنان بن أبي حارثة وأجار عليه :
 من مبلغ عني المثلّم آية وسهلا فقد نفرتم الوحش أجمعا
 هم إخوتي دنيا فلا تقرّبهم أبا حشرج وافسح لجنبك مضجعا
 فأجابه المثلّم :

من مبلغ عني سنانا رسالة وشجنة أن قوما خذا الحق أودعا

(٢) قال التبريزي : « هو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان » . وقال أيضاً : « قال أبو هلال في قوله إن لم تعط بالحق : هكذا روي ، وهو تصحيف =

يقول : أ كفيك ما يَمْسُني ويخْصُني ، ولا أضايك فيما يرجع نفعه .
 وضره إلي . وذِكر وضع الجنب والوساد مأخوذ من المثل السائر في المعتني .
 بالشيء المتعمد له ، وهو قولهم : « أم فرشت فأنا مت » : والمعنى : لا أكلفك
 عنايةً بأمرى ، ولا أؤاخذك بمصالح أسبابي : ومتى لم تناول مولاى أشجع
 الحق ، ولم تعامله فيما بينكما بالحق والعدل ، غضبتُ له وانتقمتُ ؛ لأن في
 تضييع حق المولى والأخذ بالتغميض فيه لازم العار ، وفي استعمال التغابي فيما
 يتعلق بي وإطراحي المناقشة والمشاحة فيه باقٍ الصيت والجمال . قوله « إن لم
 تُعطِ بالحق » قيل فيه مفعولُ تُعطِ الثاني محذوفٌ ، ومعنى بالحق : بالعدل
 والإنصاف . كأنه قال : تُعطِ أشجع ما يجيبُ له بالحق . وقيل أراد بتعطِ
 تعاملٍ فعداء تعديته . وقيل بالحق هو المفعول الثاني ، لكنه زاد الباء فيه
 تأكيداً ، كما قال الآخر (١) :

• التغميض : التغافل
 والتساهل

* سُودُ الحاجرِ لا يقرأن بالشورِ (٢) *

ويغلب في نفسي أن الشاعر قال وأغضبُ إن لم تعطيا الحق أشجعا ،
 لأنه بنى الرسالة على أن تكون متوجهة نحو اثنين : سنانٍ وشجنة . ومخاطبته
 من بعد أحدهما في قوله سأ كفيك ، على عادتهم في الافتنان والتصرف ، لا يمنع
 من الرجوع إلى ما بنى كلامه عليه من ذكر الاثنين . وهذا ظاهر لمن تأمله .

= قبيح ، والصحيح : وأغضب إن لم يغضب الحق أشجعا . يقول : سأ كفيك أمرى كله ولا
 أحلك شيئاً ، وأغضب لك ولحلقك إن لم يغضب له أشجع .

(١) هو الراعي النهرى ، أو القتال السكلابي ، إذ ورد في شعر لكل منهما . الخزانة

(٣ : ٦٦٧) .

(٢) صدره : * هن الحرائر لاربات أحمره *

٣ - تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَّاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوعًا

يريد : تختلف الرِّمَّاحُ المنسوبة إلى هذه المرأة (ك) بيننا وبينهم بالطَّنِّ ، فصياحها كصياح بنات الماء إذا جاءت . وهذا كما حكى الآخرُ وَقَعَ الْقَنَا وَالسَّيْفِ عِنْدَ الطَّنِّ وَالضَّرْبِ ، فقال :

* وَالطَّنُّ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ (د) *

وَيَعْنِي بِنَاتِ الْمَاءِ طَيُورَ الْمَاءِ . وهذا كما يقال في الوحش : بنات الفلأ ، وللنواب : بنات الدهر .

٤ - لَفَفْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمَّنَّا مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعًا

يقول : استأنفنا حالةً جامعةً لنا ولعشيرتنا ، فاستبدلنا بالتباين اجتماعاً ، وبالتزاييل اختلاطاً ، وبالتنافر تأنساً ، وبالتشارد تألفاً ، حتى صرنا يداً واحدةً على المنابذين ، ولساناً واحداً على المخالفين ، فمن رَمَى واحداً مِنَّا فَقَدْ رَمَى جَمِيعَنَا . هذا إذا رويت : « مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعًا » . ومن روى : « مِنْ يَرْمِيهِمْ يَرْمِنَا مَعًا » يكون المعنى في اجتماع الكلمة أبين . وفي هذه الطريقة قولُ الآخر (ط) :

• الشَّنَانُ: البغض والعداوة . فَأَمْسَى كَغَبْهَا كَغَبًّا وَكَانَتْ مِنْ الشَّنَانِ قَدْ دُعِيَتْ كِغَابًا وَصَحَّ اسْمُ « كَغَبٍ » أَيْ

القَبِيلَةُ إِرَادَةُ أَنَّهُمْ قَدْ افْتَرَقُوا وَتَقَاطَعُوا ، كَأَنَّهُمْ صَارُوا قِبَالَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا . اللسان (سمهر ، ردن) .

(٢) البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي . اللسان (شغغ ، هقع ، عوف ، عضد) وبقيّة أشعار الهذليين ص ٣ . وقد سبق الاستشهاد به في ص ٣٧ . وعجزه : أَيْ الْقِبَائِلُ الْأَرْضِيَّةُ .

* ضَرَبَ الْمُعْوَلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَصْدَا *

(٣) هو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب . المفضليات (٢ : ٢٥٨) .

١٣٢

وقال آخر (٤) :

١- يازِمْ لِي إِيَّيَّيْ إِنْ تَكُنْ لِي حَادِيَاً أَعْكِرْ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُغْ لَا تَسْبِقِ (٥)

يقولُ : إِنْ تَخَلَّفْتَ عَنِّي حَتَّى يَكُونَ مَكَانَكَ مَكَانَ الْحَادِي مِنَ الْبَعِيرِ
أَعْطِفْ عَلَيْكَ . وَإِنْ تَقَدَّمْتَنِي هَارِبًا حَتَّى تُصِيرَ كَالْحَادِي لِي مُسْتَعْمَلًا الْخِدَاعِ
وَالرَّوَاغَ مَعِي لَمْ تَنْفُتْنِي . وَالْمَعْنَى : إِيَّيَّيْ أَدْرِكُكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَقَدْ أَحْسَنَ النَّابِغَةُ
فِي قَوْلِهِ :

فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَيُقَالُ عَاكَرٌ وَعَاكَرٌ بِمَعْنَى عَطَفَ ، وَإِنَّهُ لَعَاكَرٌ فِي الْفِتَنِ ، إِذَا كَانَ
ثَابِتَ الْقَدَمِ .

• الرُّكَابُ : الإِبِلُ الَّتِي
يَسَارُ عَلَيْهَا ، وَاحِدَتُهَا
رَاكِبَةٌ ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا
مِنْ لَفْظِهَا .

٢- إِيَّيَّيْ أَمْرٌ وَتَجِدُ الرَّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرَّكَّابُ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

• النَّمْرُ : جَمْعُ نَمْرَةٍ ،
ذُبَابٌ أَزْرَقٌ يَدْخُلُ فِي
أَنْوْفِ الْحَمِيرِ وَالْخَيْلِ .

يقولُ : إِيَّيَّيْ رَجُلٌ يَنَالُ أَعْدَائِي مِنْ عِدَاوَتِهِمْ لِي مَا يَنَالُ الْإِبِلَ مِنَ الذُّبَابِ
الْأَزْرَقِ ، وَهَذَا الْجِنْسُ مِنَ الذُّبَابِ يَتَأَذَى بِهِ الْإِبِلُ تَأَذَّى الْحُمْرُ بِالنَّمْرِ أَوْ أَشَدَّ .
وَعِدَاوَتِي يَنْتَصِبُ عَلَى الْمَفْعُولِ . كَأَنَّهُ قَالَ : يَجِدُ الرَّجَالَ مِنْ عِدَاوَتِي ، فَحَذَفَ

(١) عند التبريزي فقط : « وقال ابن دارة » . وابن دارة هو سالم بن مسافع
ابن يربوع - ويربوع هو دارة ، وإنما سمي دارة لأن رجلا من بني الصادر قتل ابن عم
ليربوع ، فقتله به وأخذ ابنته ، ثم أرسلها فأنتت قومها ، فسألوها عن قتل أبائها فقالت : غلام
كأن وجهه دارة القمير . انظر الخزانة (١ : ٢٩١) والأغاني (٢١ : ٥٠) .

(٢) زميل هذا ، هو زميل بن أبيير ، أحد بني عبد الله بن مناف ، قاتل ابن دارة .
وفي ذلك يقول :

أنا زميل قاتل ابن داره وغاسل المخزاة عن فزاره .
وكان سالم وزميل جميعاً في صدر الإسلام ، أدركا زمان معاوية .

حَرَفَ الجَرَ ووصل الفِعلَ فَعَمِلَ . يَدُلُّ على ذلك قوله . « وَجَدَ الرَّكَّابِ مِنَ الذُّبَابِ » . ومثله :

* أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لستُ مُحْصِيهِ (١) *

وقوله « عداوتي » يجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل ، أي عداوتي لهم ، ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول ، أي عداوتهم لي ومعنى تَجِدُ تَحْزَنُ ، ولذلك كان الوجدُ مَصْدَرَهُ . ويجوز أن يكون تجد بمعنى تَعَلَّمَ ، ويكون عداوتي المفعول الأول وَوَجَدَ الرَّكَّابِ المفعول الثاني . والمعنى : إنَّ عداوتهم لي تُثَقِّلُهُمْ وَتُنزِّيهِمْ ، فيعلمها الرَّجَالُ مثلَ وَجَدِ الرَّكَّابِ من هذا الجنس من الذُّبَابِ ؛ أي ينالون منها ما ينال تلك منهم . ويحصل في البيت تجنيسٌ حينئذ .

١٣٣

وقال الحُصَيْنُ بنُ الحُمَامِ (٢) :

١- فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا

يقول : قلتُ لهؤلاء القوم : ما لكم تُحْجِمُونَ ولا تُقَدِّمُونَ ، فقدَ بعضكم بَعْضًا ولا اهْتَدَى أَحَدُكُمْ إلى الآخر . وهذا الكلام تَضَجَّرُ منه بهم لَمَّا تَخَاذَلُوا ولم يكونوا عند الظنِّ فيهم . وَوَضَعَ مُقَدِّمًا موضع الإقدام ، وساغ ذلك لأنَّ مصادِرَ الكلمات الصَّادِرَةَ عن أَصْلِ واحدٍ يوضَعُ بَعْضُهَا مَوْضِعَ البعضِ لدَاعٍ يَدْعُو إِذَا لم يَكُنْ نَمَّ مانِعٌ . وإِنَّمَا قُلْتُ هذا لأنَّ قَدَّمَ يكون مرَّةً متعدِّدًا ،

(١) هو من أبيات سيبويه الحمسين التي لا يعرف لها قائل . سيبويه (١ : ١٧)
والخزانة (١ : ٤٨٦) . وعجزه :

* رب العباد إليه الوجه والعمل *

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٤١ .

ومرة يكون بمعنى تقدّم ولا يتعدّى ، ومُقدّمًا هاهنا مصدر ما لا يتعدّى ، فهو مثلُ تقدّم لو قاله ، ومنه مُقدّمه الجيش ، يُرادُ متقدّمته . وقوله « تفادّتم » اعتراضٌ بين ما لكم وبين لا تُقدّمون ، وهو دعاءٌ عليهم . ومثله في الأمرين جميعاً قولُ الآخر (١) :

إِن الثَّمَانِينَ وَبُلَّتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ
وَإِنْ كَانَ هَذَا دُعَاءَ خَيْرٍ .

٢ - مَوَالِكُمْ مَوَالِي الْوِلَادَةِ مِنْهُمْ وَمَوَالِي الْيَمِينِ حَابِسًا مُتَقَسِّمًا

إِنَّمَا قَسَمَ الْمَوَالِيَ هَذِهِ الْقِسْمَةَ لِأَنَّ الْمَوَالِيَّ لَهُ مَوَاضِعٌ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ ، مِنْهَا الْمَوَالِي فِي الدِّينِ : وَهُوَ الْوَالِيُّ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَرْبِئَةٌ وَأَسْلَمٌ وَغِفَارٌ مَوَالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ » . وَمِنْهَا الْعَصَبَةُ وَبَنُو الْعَمِّ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ الشَّاعِرُ مَوَالِي الْوِلَادَةِ . وَمِنْهَا الْحَلِيفُ ، وَهُوَ مَنْ انْضَمَّ إِلَيْكَ وَاعْتَزَّ بِعِزِّكَ وَامْتَنَعَ بِمَنْعِكَ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ مَوَالِي الْيَمِينِ ؛ لِأَنَّهُ يُقَسِّمُ لَهُ عِنْدَ الْانْضِمَامِ بِذَلِكَ ، وَهُوَ الْمُعْتَقُ لَكَ يَنْتَسِبُ بِنَسَبِكَ ، وَأَنْتَ مَوْلَاهُ وَذَلِكَ مَوْلَاكَ . وَهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ الْمَوَالِيَّ لَا يَكَادُ يَفْضُلُ الصِّمِيمَ ، قَالَ :

وَلَيْسَ أُبَيْرُكُمْ كَأُبَيْرِ سَوْءٍ وَمَا جُعِلَ الْمَوَالِي كَالصِّمِيمِ

يَقُولُ تَدَارَكُوا الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ بِالْوِلَاءِ ، وَوَالِي النَّسَبِ ، وَوَالِي الْحِلْفِ وَالنُّصْرَةِ ، فَكُلُّهُمْ مِنْهُمْ ذُو حَبْسٍ عَلَى الشَّرِّ مُتَقَسِّمِ الْحَالِ ، مَتَوَزِّعِ الْمَالِ مُعَارِئٍ عَلَيْهِ ، فَمَا لَكُمْ لَا تَمْتَعِضُونَ وَلَا تُنْكِرُونَ .

وَقَوْلُهُ : « حَابِسًا » فِي مَعْنَى مَحْبُوسٍ ؛ لَكِنَّهُ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ النَّسَبِ ؛ أَيِ

(١) هو عوف بن محلم الخزاعي . الأمازي (١ : ٥٠)

ذو حَبَسٍ ، وانتصابه على الحال . وقوله « مواليكم » على هذا انتصب بفعلٍ مُضْمَرٍ ، كأنه قال : أغيثوا مواليكم وتداركوا . وَيُرْوَى « حَابِسٌ قَدْ تُقَسِّمًا » . وقيل هو اسمٌ عَلَمٌ ، وارتفاعة على أنه بدلٌ من مولى اليمين ، وقد تُقَسِّمًا في موضعِ الخبر . واكتفى بالإخبار عن المَوْلِيِّينَ لأنَّ الموالِي انقسموا إليهما .

٣- وَقُلْتُ تَبَيَّنَ هَلْ تَرَى بَيْنَ وَاسِطٍ وَنَهْيِ أَكْفٍ صَارِحًا غَيْرَ أَعْجَمًا (١)

يُرْوَى « فَارِسًا غَيْرَ أُخْرَمًا » ، كأنه أقبل على واحد منهم فقال : تَأْمَلْ هَلْ تَرَى بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ فَارِسًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ . المعنى : أنهم يتواترون أَرْسَالًا فِي الصَّرَاحِ غَيْرِ مُتَجَمِّعِينَ لَهُ ، بَلْ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي أَرْضِكُمْ وَدِيَارِكُمْ يَسْتَنْصِرُونَ فَلَا يُنْصَرُونَ ، فَالَكُمْ لَا تَأْتَفُونَ . وَمِنْ رَوَى : « صَارِحًا غَيْرَ أَعْجَمًا » فمعناه مستغنيًا لَا يُجَابُ ، فَكَأَنَّهُ أَعْجَمٌ لَا يُفْهَمُ قَوْلُهُ . يريد : تَبَيَّنَ فَإِنَّكَ لَا تَرَى إِلَّا فَارِسًا أُخْرَمًا ، أَوْ صَارِحًا أَعْجَمًا . وَالْأَعْجَمُ : الَّذِي لَا يُفْصِحُ . وَالصَّارِحُ وَالصَّرِيحُ وَاحِدٌ ، وَيُقَالُ صَرَخَ فَأَصْرَحَتْهُ ، أَي اسْتَغَاثَ فَأَغْتَتْهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ مَا أَنَا بِمُضْرِحِكُمْ ﴾ وَالصَّرْحَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْفَرْعِ وَالْمَصِيبَةِ . وَفِي الْمَثَلِ « لَهُ صَرْخَةُ الْجَبَلِ » . وَالْأَخْرَمُ : الْقَطْعُ ، وَمِنْهُ أُخْرِمُ الْكَيْفَ ، وَهُوَ مَحْزُومٌ فِي طَرَفِ غَيْرِهَا (٢) .

٤- مِنْ الصُّبْحِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ لَا تَرَى مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا

أَي ابْتَدَأَ الْأَعْدَاءُ يَغِيرُونَ وَيَنْهَبُونَ ، وَهَؤُلَاءِ بَصْرَخُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ ، مِنْ

(١) التبريزي ومعجم البلدان : « ونهي الألف » ، ونص ياقوت على أن النهي بالكسر ويفتح . وذكر التبريزي في بعض رواياته : « غير أخزما » ، وقال : « وصارح ، قبل مغيث . وأخزم : جبل . ومعنى البيت على هذا أنه ليس بين هذين الماهين مفرع إلا هذا الجبل » .

(٢) في الأصل : « غيرهما » ، وفي م : « غيرها » ، والوجه ما أثبتنا . والعير ، بفتح العين المهملة : كل عظم ناتيء .

وقت الغداة إلى أن غابت الشمس ، فلا ترى من الخيل إلا ما خرج بنفسه لا أولية له كمثلِه ، وقد أعلم بعلامة ليعرف بلاء صاحبه . وقوله : « من الضبح » ، وُضِعَ مِنْ فِيهِ مَوْضِعٌ مُنْذُ ، لَأَنَّ مُنْذُ فِي الْأَزْمَنَةِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي الْأَمَكْنَةِ . ومثله قول زهير :

• أَقْوَابِنَ يَطَّوْنُ .

* أَقْوَابِنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ (ك) *

وقال الأصمعي : الخارجي : كلُّ مُتَنَاهٍ فِي جِنْسِهِ ، فَائِقٍ نَظْرَاءَهُ فِي مَعْنَاهُ .
والمسوم من السِّمَا ، وهي العلامة ، وفي القرآن : ﴿ سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾ .
هـ - عَلَيْنَ فِتْيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادًا وَكَرَمًا

يقول : على هذه الخيل رجال كساهم مُحَرَّقٌ ، أي دروعهم وسائر أسلحتهم مما كان يكسوم ، ويجعله خِلعةً : وكان مُحَرَّقٌ إِذَا كَسَا الْأَسْلِحَةَ أَتَى بِهَا جَيِّدَةً كَرِيمَةً . ومُحَرَّقٌ : لَقَبٌ لِعَمْرُو بْنِ هَنْدٍ ، وَكَانَ أَحْرَقَ قَوْمًا مِنْ تَمِيمٍ حِينَ أَجَّجَ النَّارَ بِأَوَارَةٍ ، فَلُقِّبَ بِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لُقِّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا عَاقَبَ عَاقِبَ بِالنَّارِ . وقوله « إِذَا يَكْسُو » اعتراضٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَهُوَ يَكْسُو وَبَيْنَ الْمَفْعُولِ بِهِ وَهُوَ « صَفَائِحَ بُضْرَى » مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَيُقَالُ أَجَادَ الشَّيْءِ بِمَعْنَى جَاءَ بِهِ جَيِّدًا ، وَبِمَعْنَى جَوْدَهُ . وَكَذَلِكَ أَكْرَمَهُ يَكُونُ بِمَعْنَى أَتَى بِهِ كَرِيمًا ، وَبِمَعْنَى كَرَمَهُ . وَقَدْ تَوَسَّعُوا فِي كَسَا وَإِنْ كَانَ أَصْلُ الْكُسُوَةِ اللَّبَاسُ ، فَقِيلَ : اكَتَسَى الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ ، عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَقَالَ رُوْبَةُ يُصِفُ الثَّوْرَ وَالْكَلابَ :

* وَقَدْ كَسَا فِيهِنَّ صَبْنًا بَرَزَا *

أى كسا الكلابَ دَمًا طَرِبًا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ نَبَالٍ :

* وَزُرُقٍ كَسَتْهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ *

• القنة : الجبل الصغير .
• الحجير : اسم موضع .

* لمن الديارُ بقنة الحجير *

(١) صدره :

المضرجي : ما طال جعلناه
من الصقور ، وهو كريم .
والقذذ : جمع قذذة ،

وهي ريشة الطائر ، بعد ٦ - صفائح بُضْرَى أَخْلَصَتْهَا قُيُونُهَا وَمُطْرِدًا مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ مُبْهَمًا
تسويتها وإعدادها
لترتب في السهم .

صفائحُ انْتَصَبَ على أنه مفعول ثانٍ من كَسَامَ مُحْرَقٌ . وبُضْرَى : قرينةٌ
بالشام تُطْبَعُ بها الشيوف . فيقول : كَسَامُ مُحْرَقٌ سُيُوفًا بُضْرِيَّةٌ ، اتَّخَذَهَا
طَبَاعُوهَا من خالصِ الحديد ، ودُرُوعًا لَيِّنَةً سَهْلَةً سَلِسَةً ، متتابعة السَّرْدِ ،
تَطَّرَدُ ولا تختلف ، داودِيَّةٌ . والصفائحُ : جمع صفيحة ، وهي كلُّ سيفٍ عريضٍ
أو خشبيَّةٍ عريضة . ويقال سيفٌ مُصْفَحٌ أيضًا ، أي عريض ، كأنه زيدٌ في
صَفْحَتَيْهِ ، أي جانِبَيْهِ . ويقال أَصْفَحَ بسيفه ، أي ضَرَبَ بَصَفْحِهِ . ومعنى
أَخْلَصَتْهَا : أتتْ بها خالصةً الحديد . واستعملَ الكِسْوَةَ في السيفِ كما يستعملُ
فيه البرُّ . قال :

وقر : صارت فيه وقرات ،
* فَوُوقِرَ بَرُّهُ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ (١) *

أي هزّمت وصدوع في
السيف . يريد أنه كان
يكرم سيفه ويحوطه
برعايته ، فأهانته
الاختلاف في حلقها ، ولا تفاوت في نظمها . وجعلها مُبْهَمًا لإحكامها .

« شعل » وهو تأبط
شراً . وكان قد أخذ
سلاحه - وجهره لقصره .
٧ - فلما رأيتُ الصبرَ قد حِيلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلِمًا (٢)

يقول : لما رأيتُ الأمرَ مُستفجلاً ، والخَطْبَ عظيمًا مُستفظعًا ، والصبرَ
عامًّا لنا كُلفنا ، مغلوبًا عليه ممنوعًا ، صَبَرْنَا نحن من بين أصحابنا على عادتِنَا المعبودة
مِنَّا ، ووطننا أَنفُسَنَا على الشرِّ . ويجوز أن يريد بقوله « لما رأيتُ الصبرَ قد
حِيلَ دُونَهُ » لما رأيتُ الوقتَ وقتًا يُعَالُ فيه الصبرُ ، ويُحَالُ بين طالِبِيهِ وبينه .

(١) لقيس بن عيزارة الهذلي ، في ديوان الهذليين (٣ : ٧٨) . وصدوره :

* فَوَيْلٌ يَبْرُجَرُ شَعْلٌ عَلَى الْحَصَى *

(٢) م : « ولما رأيت » . التبريزي : « ولما رأينا الصبر » .

المهم : الخالص
الذي لا يشبه فيه
تميزه .

وقوله « وإن كان يوماً ذا كواكب مُظلمًا » اعتراضٌ بين لَمَّا وجوابه ، وهو شَرْطٌ في وقوع الصبرِ منهم يُترجم عن الحال . أي صَبَرْنَا وإن كان اليومُ يوماً مُظلمًا تُرَى فيه الكواكبُ ظهراً ، لانسداد عين الشمس بغياب الموت . وجوابُ الجزاء استُغنيَ عنه بجواب لَمَّا . وروى بعضهم : « وأن كان يوماً » بفتح الهمزة على أن يكون أن مخففة من الثقيلة ، والمرادُ وأنه كان اليومُ يوماً ذا كواكب . وهذا الراوي لعله لم يعرف الاعتراضاتِ والفصاحةَ فيها ، والتبسَ المعنى عليه أيضاً .

٨- صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفَاً وَمِعْصَمًا (ك)

يقول : حملنا أنفسنا على المكروه ، وحبسناها في مجالِ الموت والشرِّ ، وكان ذلك مِنَّا عادةً وطبيعةً . وقوله « أسيافنا » يجوز أن يتعلَّق الباءُ منه بصَبَرْنَا ، واعتراضُ بينهما قوله « وكان الصبرُ مِنَّا سَجِيَّةً » ، إذ كان أراد أن يُبينَ أن ذلك الفِعل ليس بمُسْتَبَدَعٍ ولا مُسْتَنَكِرٍ من أخلاقِهِمْ . ويجوز أن يتعلَّق بما دَلَّ عليه « وكان الصبرُ مِنَّا سَجِيَّةً » . وَيَقْطَعْنَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْأَسْيَافِ عَلَى الْوَجْهِينِ جَمِيعًا . وفي طريقته قول نهشل بن حرَّي :

وَيَوْمٍ كَانَ الْمُضْطَلِّينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قُعُودٌ عَلَى جَهْرٍ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى يَبُوحَ وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرْبِ بِالصَّبْرِ
٩- نَفَلَتْ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

يقول : نُشَقُّ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا وَيَعِزُّونَ ، لَمَّا يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ الْوَكِيدَةِ ، وَالْحُرْمِ الْقَوِيَّةِ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَسْبَابِ ، وَهُمْ كَانُوا

(١) ابن جنبي : « يريد أكفا ومعاصم ، فوضع الواحد موضع الجمع . . . وجاز ذلك لأنها إنما يقطعها كفا كفا ، ومعصما معصما ، فتصور هذه الحال فوحده » .

أشدَّ عقوقاً وأتمَّ ظلماً ، بما أطرحوه من مراعاة الحقوق ، وبدءوا به من تناسي العهود ، واستعجلوه من البغي ، وسلكوه من سنن النبي . ويروى أن يزيد ابن معاوية لا رحمه الله^(١) تمثل بهذا البيت لما وُضع بين يديه رأس الحسين ابن علي رضي الله عنهما .

١٠- ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافعي عمَدتُ إلى الأمر الذي كان أحزماً
١١- فلستُ بمبتاع الحياةِ بذلةٍ ولا مُرتقٍ من خشية الموتِ سلماً

قوله « إلى الأمر الذي كان أحزماً » جعل الحزمُ للأمر كما جعل له العزمُ في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ ، فكلُّ ذلك مجازٌ واتساعٌ . وصلح أن يريد بقوله أحزَمَ ، أحزَمَ من غيره ، لوقوعه خبراً ، لأنه كما يجوز حذف الخبر بأسره إذا دلَّ دليلٌ عليه ، كذلك يجوز حذف ما يتمُّ به منه إذا لم يلتبس بغيره ، ولم يختلَّ الكلامُ بسببه . وقوله « لما رأيتُ الودَّ » حذف المضاف فيه وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : لما رأيتُ مراعاة الودِّ ومحافظته ، أو إظهار الود وإبقائه . ومعنى البيت : لما رأيتهم لا يرتدعون عن ركوب الرأس ، والمجازبة إلى أقصى ما في الطوق من اللجاج والشر ، قصدتُ إلى ما كان أجمعَ للحزمِ معهم من مكاشفتهم ، وترك الإبقاء عليهم ؛ لأن ظهور التعادي والتكاشف خيرٌ من ركوب الغرور^(٢) مع التشابك . ويلاحظ هذا البيت قول الآخر :

إذا حاجةٌ عزَّتكَ لا تستطيعُها فدعها لأخرى لئن لك بأبها

وقوله « فلستُ بمبتاع الحياةِ بسببةٍ^(٣) » ، يقال ابتاع الشيء بمعنى اشترى ،

(١) م : « لعنه الله » .

(٢) الرواية في متن البيت : « بذلة » . أما رواية « بسبة » فقد أشار إليها التبريزي .

(٣) كذا في النسختين . والوجه « الغرر » .

وإن كان بعثته بمعنى اشتريته وبعثته جميعاً . والسبب : الخصلة التي يسب بها ،
فهي كالهجنة والعرة (ط) . يقول : فَعَلْتُ ذَلِكَ ، فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يَطْلُبُ الْعَيْشَ مَعَ
الذُّلِّ ، وَلَا مِمَّنْ يَرْتَقِي فِي الْأَسْبَابِ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ ، بَلِ الْمَيْتَةُ الْحَسَنَةُ عَلَى
مَا يَتَعَقَّبُهَا مِنَ الْأَحْدُوثةِ الْجَمِيلَةِ آثَرٌ عِنْدَنَا ، وَأَوْقَعُ مِنْ هَوَانَا ، مِنَ الْعَيْشَةِ الذَّمِيمَةِ
عَلَى مَا يُخَالِطُهَا مِنَ الرِّضَا بِالذَّنْبِ .

١٣٤

وَقَالَ بَشَامَةُ بْنُ الْغَدِيرِ (ط) :

١- وَلَقَدْ غَضِبْتُ خِنْدِفٍ وَلَقَيْسِهَا لَمَّا وَنَى عَنْ نَصْرِهَا خُدَّالَهَا

خِنْدِفٌ : لَقَبٌ لِلْيَلِيِّ امْرَأَةِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ ، لَقَوْلِهَا لِزَوْجِهَا يَوْمًا : مَا زِلْتُ
أُخِنْدِفُ فِي أَنْرِكُمْ - وَالْخِنْدَفَةُ : مَشِيَةٌ كَالْهُرْوَلَةِ - فَقَالَ لَهَا : وَأَنْتِ خِنْدِفٌ .
فَلَزِمَهَا ، فَصَارَتْ مُضَرُّ نَسَلِينَ : أَحَدُهُمَا وَلَدُ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ ، وَالْآخَرُ خِنْدِفٌ .
وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ظَلِمَ . فَنَادَى : يَا خِنْدِفُ (ط) . فَخَرَجَ
الزُّبَيْرُ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، وَهُوَ يَقُولُ : خِنْدِفُ أَيُّهَا الْخِنْدِفُ ، وَاللَّهِ لئن كُنْتُ مَظْلُومًا

(١) في الأصل : « والعصرة » وفي م : « والغرة » ، والوجه ما أثبتنا ، والعرة
بوزن الهجنة : ما يعترى المرء من جنون .

(٢) جعل التبريزي هذه الحماسية لبشامة بن حزن : وقال : « قال أبو هلال : في
الشعراء رجلان يقال لهما بشامة ، أحدهما بشامة بن الغدير ، وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة
بن عوف بن سعد بن ذبيان . . . والآخر بشامة بن حزن النهشلي ، وهذا الشعر له . وقال
الأمدي : هو لبشامة بن الغدير » . وابن الغدير خال زهير بن أبي سلمى ، كما في المؤلف
للأمدي ص ٦٦ . وقد سبق لبشامة بن حزن الحماسية رقم ١٤ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزي : « خِنْدِفُ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْخِنْدِفُ » ، وصواب
هذه الأخيرة : « أُخِنْدِفُ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْخِنْدِفُ » ، كما في اللسان (خندف) ، وقال : « يقول :
يا من يدعو خندفاً أنا أجيبك وآتيك . قال أبو منصور : إن صح هذا من فعل الزبير فإنه كان
قبل نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التعزي بعزاء الجاهلية » .

لأنْصَرَكَ . يقول : غَضِبْتُ لِنَسَلِي مُضَرَ خِنْدِفٍ وَقَيْسٍ ، لما وني عن معاوتها والنهوض لها نُصَّارُهَا . ويقال وَنَى بِنِي وَنِيًّا ، وهو وانٍ . وإنما قال : « خذْهَا » ولم يَقُلْ نُصَّارُهَا ، لأنه وصفهم بما آل إليه أمرهم . وهذا كما يُقال قَتَلْتُ فَتِيلَ بَنِي فلان ؛ وقد مَضَى له أشباهُ وأمثال . فكانَ الشاعرُ تبرعَ بما كان منه من المدافعة دُونهم والمقاتلة عنهم ، فلذلك تَحَمَّدَ به . وقال غَضِبْتُ لَهُمْ لما رَأَيْتُ من وَجَبَ نُصْرَتَهُمْ عَلَيْهِ خَذَلَهُمْ . وجوابُ لَمَّا وَنَى ، ما هو صدر البيت .

٢ - دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَفَنَعْتُهَا وَلَدَيَّْ فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا

هذا تفسير للغضب الذي ذَكَرَهُ وبيانُ نَتِيجَتِهِ . والعَرِضُ : النَّفْسُ ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْحَسَبِ . يقول : ذَبَبْتُ عَنْهَا وَمَنَعْتُ الْأَعْدَاءَ مِنْهَا ، وَلَدَيَّْ فِي أَمْثَالِهَا مِنَ الْقِبَائِلِ أَمْثَالُ هَذِهِ النَّصْرَةِ . هَذَا وَجْهٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ وَلَدَيَّْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ النَّصْرَةِ أَمْثَالُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ . والقرائن التي تسوِّغُ رَدَّ الضميرين إلى جميع ما ذكرناه حاضرةٌ في الكلام قوية .

٣ - إني امرؤٌ أسِمُ القِصَائِدَ لِلْعِدَى إِنَّ القِصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

هذا يمكن الاستدلال به على صحَّةِ المعنى الثاني ، ومعنى « أسِمُ القِصَائِدَ » : أَعْلَمُهَا بما يصير كالسِّمَةِ عَلَيْهَا ، حتى لا تُنْسَبَ إلى غَيْرِي ، وَحَتَّى يُعْرَفَ مِنْهَا السَّبَبُ الَّذِي خَرَجْتُ عَلَيْهِ ، فَمَنْ سَمِعَهَا عَرَفَ قِصَّتَهَا ؛ ولهذا قال إِنَّ القِصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا ، أي شَرُّ الشَّعْرِ مَا لَا مِيسَمَ لِقَائِلِهِ وَالْمَقُولُ فِيهِ عَلَيْهِ . ويقال دَبَّةٌ غُفْلٌ ، إِذَا عَرِيَ مِنَ الْأَعْلَامِ . وسمعتُ من يقول في البيت إنه مقلوبٌ ، والمرادُ أسِمُ العِدَى بِقِصَائِدِي ، كما قال الآخر (١) :

(١) هو المتلمس . ديوانه ص ١ نسخة الشنقيطي بدار الكتب والكامل ١٥٨ ليبسك .

* جعلتُ له فوق العرَّابينِ ميسماً (ك) *

والأولُ أكَشَفُ وأَصَحُّ ، بدلالةِ أن الغُفلَ جعلَه من القصائد ، فكذلك الموسومُ يجب أن يكون منها (ك) .

٤ - قومي بنو الحرب العوانِ بجمعهم والمشرقية والقنا إشعاليها
يروي « والمشرقية بالجر » ويكون معنى البيت قومي إخوان الشرِّ
الفظيح ، وأبناء الحرب التي قوتل فيها مرّة بعد أخرى ، فصارت عواناً بعد أن
كانت بكرّاً ، أي رُفِعَتْ من حالٍ إلى حالٍ أشدَّ منها ، ويكون هذا مثل
قول الآخر :

فلسنا من بني جدّاء بكرٍ ولكننا بنو جدّ النقال

وعلى ما ذكرنا يتمُّ الكلام بقوله العوانِ ؛ ثم قال « بجمعهم » أي باجتماع قومي
واجتماع آلات الحرب اشتعلت نارها . والباء من بجمعهم يتعلّق بقوله إشعاليها .
ويروي « والمشرقية » بالرفع ، ويكون على هذه الرواية تمام الكلام عند قوله
بجمعهم ؛ لأن الباء منه حينئذٍ يتعلّق بقوله العوانِ (ك) . والمعنى : قومي بنو الحرب
التي عوّنت ، أي صارت عواناً بهم ، وواجتماع جيشهم ؛ ثم استأنف الكلام ؛
فقال : « والمشرقية والقنا » ، والمراد واشتعال نارها بالرّماح والسيوف المشرقية .

(١) صواب الرواية : « جعلت لهم » . وصدر البيت :

* ولو غير أخواني أرادوا نقيصتي *

(٢) التبريزي : « قال أبو العلاء : أي أجعل فيها شيئاً تشهر به وتعرف ، كما تعرف

الناقة بسمتها . وأما الشعراء اليوم فيجعلون الموسوم من الشعر ما ذكر في قافيته اسم المدوح ،
كقول الأعشى :

فأليت لا أرثي لها من كلاله ولا من حتى حتى تلاقى محمداً .

(٣) ابن جني : « والقنا إشعاليها ، أي ذوات إشعاليها ليكون الثاني الأول ، وهذا

واضح . والباء في بجمعهم حال من قومي ، أي قومي في حال اجتماعهم بنو الحرب . وعمل فيها
ما في بني الحرب العوان من معنى الفعل . ألا تراه في معنى صبر ومقدمون » .

وهذا الكلام - أعني والمشرقية - وإن استؤنفَ به فمن صفة الحرب . وقيل في المشرقية إنها نسبت إلى المشارف ، وهي قرى معروفة تُجَلَّبُ منها وتُطَبَعُ بها . ويقالُ : أشعلتُ النَّارَ في الحَطَبِ ، وأشعلتُ الخيلَ في الغارة ، وأشعلته غَضَبًا .

٥- مازالَ معروفًا لمرّةٍ في الوغَى عَلُّ القَنَا وَعَلَيْهِمْ إِنْهَاهَا

ما زال لدوام الماضي ، وارتفع عَلُّ القَنَا على أنه اسمه ، وخبره معروفًا . والمعنى : سَقَى الرِّمَاحَ عِلًّا بعد نَهَلٍ عَادَةً معروفةٌ لهم ، فيما تقادم من الأيام إلى الآن إذا حضروا الحرب . والعَلُّ والعَلْلُ : الشَّرْبَةُ الثانية ، ويقالُ : عَلَّ إبْلَهُ يَعْطُهَا فَعَلَّتْ هي . وَأَنْهَلْتُ الإِبِلَ ، إذا سَقَيْتَهَا أَوَّلًا ، فَنَهَلْتُ ، إذا شَرِبَتْ في أَوَّلِ الورودِ حَتَّى رَوَيْتَ . ومثل هذا البيت قول الآخر :

نَهَلْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنْهَلْنَا الْقَنَا حَتَّى رَوَيْنَا

وتوسَّعُوا في الاستعمالِ حَتَّى سَمَّوْا منازلَ السَّفَرِ على المِياهِ مَنَاهِلَ . وإنما قال : « وعليهم إنهاها » لأنه كأنه جعل ذلك واجبا عليهم .

٦- من عهدِ عادٍ كانَ معروفًا لنا أَسْرُ المُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

وَضَعَ مِنْ فِي قَوْلِهِ « من عهدِ عادٍ » موضعٌ مُنْذُ لِقَوَّتِهَا وكثيرةٌ تصرَّفُها وتمكَّنِها في بابِ الجَرِّ ، وأداءٌ معنى الابتداء ، ومثله قول الله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ ﴾ ، وقولُ الرَّاجِزِ :

من غُدُوَةٍ حَتَّى كَانَّ الشَّمْسَا بِالْأَفُقِ الغَرْبِيِّ تَطُلِي وَرَسَا

ومعنى البيت أنه نَبَّهَ على مجاذبتهم للملوك والعليّة ، لا للأذنان والسفلة . والقتال في ترتيب الفعل مُسَابِقٌ ^(١) للأسر والقتل ، لكنه لم يُبالِ بتأخيره في ترتيب اللفظ ، لأنَّ الواو لا يُوجِبُ في العطفِ ترتيبًا ، إنما هو مَوْضُوعَةٌ لِلجَمْعِ

فقط ، وَتَبَجَّحَ أَيْضاً بَأَنَّ ذَلِكَ قَدِيمٌ فِيهِمْ^(١) مِنْذُ زَمَنِ عَادٍ لَا حَدِيثٌ .

١٣٥

وقال أرطاة بن سهية^(٢) :

١ - وَنَحْنُ بَنُو عَمِّ عَلَى ذَاكَ بَيْنَنَا زَرَّابِي فِيهَا بَغْضَةٌ وَتَنَافُسٌ^(٣)

يقول : نحن أبناء عمِّ ، وعلى ما بيننا من القرَبَى وَالقَرَابَةِ فُرِشَتْ بَيْنَنَا بُسْطُ شَرِّ تَشْتَمِلُ عَلَى تَبَاغُضٍ وَتَحَاسُدٍ . وَذَكَرَ الزَّرَّابِيَّ مَثَلُ هَاهُنَا ، وَهِيَ الْبُسْطُ ، وَاحِدُهَا زَرْبِيَّةٌ وَزَرْبِيٌّ^(٤) ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهِيَ فِي لُغَةٍ أُخْرَى الشَّوَاذِكِينَ^(٥) : وَأَنْشُدُ لَذِي الرُّمَّةِ :

تَرَدَّيْتُ مِنْ أَفْوَافِ نَوْرِ كَانَهَا زَرَّابِيٌّ وَأُرْتَجَّتْ عَلَيْكَ الرَّوَّاعِدُ

وفي القرآن : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَّابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ ؛ أَي مَفْرَقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ . وَيُقَالُ : اطْوَيْبِطِطِ الشَّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . وَيَقُولُونَ أَيْضاً : أَعْطَانِي فُلَانٌ فِي بَسَاطٍ كَلَامِهِ كَذَا ، أَي فِيمَا بَسَطَ مِنْهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي الزَّرَّابِيِّ : إِنَّهَا

(١) في الأصل : « قديماً منهم » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) ذكر ابن جنِّي في المَبْجَعِ أَنَّ الْأَرطَاةَ وَاحِدَةُ الْأَرطِي ، وَأَنَّ سَهِيَّةَ تَحْتَمِرُ سَهْوَةً ، يُقَالُ فَرَسٌ سَهْوَةٌ ، إِذَا كَانَتْ سَهْلَةً الْجَرِيِّ . وَسَهِيَّةٌ أُمُّ أَرطَاةٍ غَلَبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، وَأَبُوهُ زَفَرُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ . وَأَرطَاةٌ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمِيَّةٍ لَمْ يَسْبِقْهَا وَلَا تَأَخَّرَ عَنْهَا ، وَقِيلَ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَعَاشَ إِلَى خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . وَهُوَ مِنْ بَنِي مِرَّةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَانَ مِنْ وَفَدِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ عَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً . الْأَنْبَاءُ (١١ : ١٣٤ - ١٤٠) وَالْإِشْتِقَاقُ ١٧٦ - ١٧٧ وَالْإِصَابَةُ وَاللَّكْنِيُّ ٢٩٩ : ٦٣٠ .

(٣) التَّبْرِيذِيُّ : « قِيلَ إِنَّهَا فِي دِيْوَانِ أَرطَاةٍ : زَرَّابِيٌّ عَلَى مِثَالِ غَرَائِبِ ، فَكَأَنَّهُ جَمْعُ زَرْبِيَّةٍ ، فَجَعَلَ الْعِدَاوَةَ زَرْبِيَّةً لِأَنَّهَا تَزْرُبُ فِي الْقَلْبِ ، أَي تَدْخُلُ » . وَأَنْشُدَهُ أَبُو النَّدَى « زَائِبٌ » وَهِيَ الْقَوَارِصُ ، قَالَ أَبُو النَّدَى : وَلَا أَعْرِفُ لَهَا وَاحِدًا .

(٤) بِتَثْلِيثِ الزَّايِ فِيهِمَا ، كَمَا فِي اللِّسَانِ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ . وَلَعَلَّ لَهُ صِلَةٌ بِكَلِمَةِ « شَادِكُونَهُ » الْفَارْسِيَّةِ ، بِمَعْنَى مَا يَنَامُ

عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَشِيَّةٍ وَنَحْوِهَا . انظُرْ مَعْجَمَ اسْتِئْجَاسِ ٧٢٢ .

الْقُطُوعُ الحِيرِيَّةُ الرَّقِيقَةُ . وفي كلام بعض الفصحاء : « فُرِشَتْ بَيْنَنَا قُطُوعُ النَّأْمِ » . فعلى هذا استعمل هذا الشاعر الزرابي . فأما قوله « على ذاك بيننا » ، فإنما أشار بذلك إلى ما جمَعهم من سببِ العمومة ونَسَبِها . ويُروى : « على ذات بيننا ، زرابي » كأنه أراد بذاتِ بينهم خالصةَ النَّسبِ والقَرابةِ ، ثم جعل فوقها ما قد غَمَرها وسترها من زرابيِّ الفساد . ويُروى :

..... على ذاك بيننا تناء وفينا بغضة وتنافس

والمعنى : وعلى ما يجمعنا من الرَّحِمِ يئأى بعضنا عن البعض ، ومع ذلك بيننا تدابُرٌ وتباغُضٌ ، وتهاجُرٌ وتقاطعٌ . كأنهم جعلوا التنايَ مداواةً في إزالة ما بينهم فلم ينفع .

٢ - وَنَحْنُ كَصَدْعِ العُسِّ إِنْ يُعْطَ شَاعِبًا يَدَعُهُ وَفِيهِ عَيْبُهُ مُتَشَاخِسٌ

العُسُّ : القَدْحُ الضَخْمُ . والشَّعْبُ ، يستعمل في الجمع والتفريق . ويقال أيضاً : تفرَّقَ شعبهم . والشاعِبُ هاهنا : مُصْلِحُ القِدَاحِ . يقول : استَحْكُم الفسادُ بيننا حتى لا يَقْبَلَ صُلْحًا ولا صَلَاحًا ، وتفاقمَ الانصداع حتى لا يلتحم تبايُنًا وتدافُعًا ، فلن تعودَ الحالُ إلى ما كانت وإن أمسكنا عن إثارة الشرِّ والزيادة فيه زمانًا ، وتصنَّعنا في الاحتمال والمقاربة إبقاءً على الحظِّ من المراجعة وإذناءً ، بل يكون ما بيننا كالشَّقِّ في القَدْحِ ، إن أُعْطِيَ شاعِبًا ترَكَّهُ والعيبُ ظاهر فيه ، غير مُنكَمٍ ولا خافٍ . والمتشاحِسُ : المتفاوتُ المُتباينُ . ومنه قولهم : تشاخست أسنانه من الكبر ، إذا اختلفت . قال الخليل : هو أن يسقط بعضها ويميل بعضها . وقيل الشَّخْسُ في الأصل فتح الفم للتشأوب . ويجوز أن يريد بقوله « وفيه عيبه » : ومعيبه هكذا . وفي طريقته قول الآخر :

وَمِنَ المَوَالِي ضَبُّ جَنْدَلَةٍ نَخِرُ المَوَدَّةَ ظَاهِرُ العَمْرِ

• الجندلة : الأرض الكثيرة
الجندل ، وهي الحجارة
والضب ينشئ الصائد
فيستخفي في حجره ، فسمى
الحقد المستخفي والفيظ =

= المستتر ضب جندلة .
والعمر : مجازاً هو الذي
لا يقرب له .

وقد أحسن أبا ن اللأحقي في مُرَدِّ وَجَّتِهِ حينَ قال :
 وإنما مودةُ الأشرار في وهبها كمثلِ الفخَّارِ
 يصبُّه أذنى يدٍ فينكسر^(١) وليس يُرْحَى شَعْبُهُ إذا جُبِرَ
 ميره: يُرْوَى. كفى بيننا ألا تُردُّ تحيةُ
 على جانبٍ ولا يُشمتُّ عاطِسُ

المزدوج: ضرب من النظم استحدث في العصر العباسي ويُنظم عادةً ما بحر الرجز، ويختلف عن الأراجيز في أن القافية فيه لا تطرد في الأبيات، بل تختلف ما بين بيتٍ إلى بيتٍ، بينما تحذف في الشطرين المتقابلين.

يُرْوَى « يشمت » بالشين والسين، وهما بمعنى واحد، وسمعتُ أبا عليٍّ الفارسي يقول في اشتقاق التسميت بالسين غير معجمة - وهو قولك للعاطس: يرحمك الله - فقال: كأنه إذا عطس لحقته نفضة في جسمه، فإذا دعا الداعي له فكأنه رده إلى سمتِه وهذبه. وقال في التسميت بالشين معجمة: كأنه التثنية من الشوامت وهي القوائم^(٢). يقول: يكفيك من الشرِّ الراتب بيننا أنه لا تُردُّ تحيةُ الواحدِ منا - يريد جوابَ تسليمه - وإن كان الالتقاء معه عن عُفْرِ كالالتقاء مع الأجنب والغرباء، وأنه إذا عطسَ واحدٌ لا يُتلقَى بالدعاء له على ما استمرَّ وعُرف من عادةِ الناس في تناديهم وتجاورهم^(٣). وقوله « كفى بيننا » هو بين الذي كان ظرفاً، فنقله إلى باب الأسماء. ومثله قولُ الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾^(٤) وقال الشاعر^(٥):

العفر: قلة الزيارة، يقال: ما يأتينا إلا عفر.

الأشطان: جمع شطن، كجبل الطويل يستقى به من البئر.

كأنَّ رماحهم أشطانُ بئرٍ بعيدٍ بين جالينها جرورٍ
 ويجوز أن يُرْوَى « أن لا تُردُّ » بالرفع، وكذلك « ولا يُشمتُّ » على أن

(١) كذا في الأصل، وفي م: « أذنى أذنى ».

(٢) قال ابن جني: « وذلك أن القائمة هي التي تحمل الفرس ونحوه، وبها عصمته، وهي قوائمه. وكأنه إذا دعا له فقد ثبت أمره وأنهضه وأحكم دعائمه ».

(٣) كذا في النسختين، بالجيم.

(٤) وردت في الأصل بفتح النون والاستشهاد يقتضي ضمها كما في م. والأولى قراءة نافع وحفص والكسائي وأبي جعفر، وقرأ الباقون بالضم. إتحاف فضلاء البشر ٢١٣ في سورة الأنعام.

(٥) هو مهلهل. انظر الكامل ٢١٢، ٣٥٢ ليبسك. وانظر القصيدة بتأمرها في

البحال: الناصية.
 وجرور: نعت للبر، وهي التي يدق عمقها حتى يبرد لونها على سفيرها.

تَجْعَلَ أَنْ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ . وَيَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا تُرَدُّ تَحِيَّةٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعَ ﴾ ، بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ .

١٣٦

وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ (١) :

١ - تَنَاهَوْا وَاسْأَلُوا ابْنَ أَبِي لَبِيدٍ أَعْتَبَهُ الضُّبَارِمَةَ النَّجِيدِ

يَقُولُ : كُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَهْيِيجِ الشَّرِّ ، وَأَمْسِكُوا عَنِ الشَّرِّ فِي تَأْرِِيثِ
فَارِ الْحَرْبِ ، وَاسْأَلُوا هَذَا الرَّجُلَ : هَلْ أَرْضَاهُ الْأَسَدِيُّ الْقَوِيُّ الْغَلِيظُ الشَّدِيدُ لَمَّا
تَحَكَّكَ بِهِ ، وَهَلْ وَقَاهُ مَا اسْتَحَقَّهُ عَلَيْهِ . كَأَنَّهُ جَعَلَ إِزَالَةَ الشُّؤْمِ بِهِ وَالزِّيَادَةَ
عِنْدَ تَكَرُّرِهِ لَهُ إِعْتَابًا ، عَلَى التَّهْكُمِ وَالسُّخْرِيَّةِ . وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَشِيرٍ :

غَضِبْتَ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ

الصَّيْلَمُ : الدَّاهِيَةُ ، مِنَ الصَّلْمِ وَهُوَ الْقَطْعُ ، أَيِ
أَعْتَبُوا بِأَجَلٍ وَأَسَدٌ مَا
غَضِبُوا لَهُ . بِمَعْنَى أَرْضِيئَلَمْ
بِالسَّيْفِ ، وَالْمَعَابَةِ
وَالْعِتَابِ : اللُّومُ ، وَهَذَا
مِنْ مَعْنَى الْمُضَبَّرِ لَا مِنْ لَفْظِهِ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ دَمِثٍ وَدِمَثَرٍ ، وَدَلَامِصٍ
تَهْكُمُ لِأَنبَاءَاتٍ مِنْ
تُرْجَى عِنْدَهُ الْعُتْبَى أَيِ
وَدَلَامِصٍ وَسَبَطٍ وَسَبَطَرٍ . وَالنَّجِيدُ : ذُو النَّجْدَةِ ، وَهِيَ الْبَاسُ وَالشَّدَّةُ .
الرَّجُوعُ عَنِ الذَّنْبِ
وَالْإِسَاءَةِ .

(١) هُوَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْمُرِّيِّ . شَاعِرٌ مَجِيدٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ
مَعْرُوفًا بِكِبَرِهِ وَاعْتِزَازِهِ بِنَفْسِهِ . وَانظُرْ أَخْبَارَهُ فِي الْأَغَانِي (١١ : ٨١ - ٨٩) وَابْنِ سَلَامٍ
٢١٤ وَالْحِرَازَةَ (٢ : ٢٧٨ - ٢٧٩) . وَعَقِيلُ ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، قَالَ ابْنُ جَنِّي فِي الْمَبْهَجِ :
« اسْمٌ مَرْتَجَلٌ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَعِيلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، أَيِ مَعْقُولٍ ... وَالْعُلْفُ : ثَمَرُ الْأَرَاكِ ،
الْوَاحِدَةُ عُلْفَةٌ » .

٢ - وَلَسْتُمْ فَاعِلِينَ إِخَالَ حَتَّى يَنَالَ أَقَاصِيِ الْحَطَبِ الْوَقُودُ

حَذَفَ مَفْعُولَ قَوْلِهِ فَاعِلِينَ ، وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ « تَنَاهَوْا » كَأَنَّهُ قَالَ : وَلَسْتُمْ فَاعِلِينَ التَّنَاهِي . يَقُولُ : مَا أَرَى أَنْكُمْ تَنْتَهُونَ إِلَى مَا رَسَمْتُ ، أَوْ تَقْبَلُونَ كَلَامِي الَّذِي إِلَيْهِ أَشَرْتُ ، حَتَّى يَعْظُمَ الْحَطَبُ ، وَيَبْلُغَ الْبَلَاءُ أَقْصَى مَبَالِغِ الْجَهْدِ ، فَيَتَعَدَّى الْأَقْرَابَ إِلَى الْأَبْعَادِ ، وَيَتَأَدَّى مِنَ السَّقِيمِ إِلَى الْبَرِيِّ . وَذَكَرَ الْحَطَبَ وَالْوَقُودَ هَاهُنَا مَثَلًا لَتَفَاقُمِ الشَّانِ وَاسْتَفْحَالِهِ ، وَاتِّسَاعِ الْمَكْرُوهِ وَاشْتِمَالِهِ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي « إِخَالَ » وَكَسْرِ الْهَمْزَةِ مِنْهُ .

٣ - وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ إِلَيْ فِيهِ لِسَانِي مَعَشَرٌ عَنْهُمْ أَذُودٌ

يَقُولُ : إِنِّي مَتَعَطَّفٌ عَلَى عَشِيرَتِي وَإِنْ كَانُوا مُسِيئِينَ إِلَيَّ ، مَتَكْرِّمٌ مَعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُتَحَامِلِينَ عَلَيَّ ، فَأَبْغَضُ إِنْسَانَ أَذْكَرُهُ وَأَتَنَاوَلُهُ بِلِسَانِي مُتَنَقِّصًا لَهُ ، قَوْمٌ أَدْفَعُ عَنْهُمْ فِي وَقْتِي ، وَأَحَامِي عَلَيْهِمْ فِي ظَاهِرِ أَمْرِي . وَفِي الْبَيْتِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَأَصْلُ تَرْتِيبِهِ : أَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ إِلَيَّ قَوْمٌ هَكَذَا شَأْنِي مَعَهُمْ . وَهَذَا تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الرَّشَادَ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى حُرْمِ ذَوِي الرَّحِمِ وَإِنْ كَانُوا مُنَابِذِينَ . فَمَنْ مِنْ قَوْلِهِ « أَبْغَضُ مَنْ » نَكِرَةٌ مُوصَوِّفَةٌ ، وَصِفَتُهُ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ الْجُمْلَةُ . وَقَدْ فَصَّلَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَبَعْضِ الْآخِرِ بِقَوْلِهِ « إِلَيَّ » وَهُوَ أَجْنَبِيٌّ مِنْهَا . وَهَذَا فِي الصِّفَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ فِي الصَّلَةِ ، فَاحْتِمَالُهُ فِيهِ أَقْرَبُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ جَرِيرٍ :

قَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالِ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي

وَمَعْنَى أَذُودٍ : أَدْفَعُ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ اللِّسَانُ الْمَذُودَ ، وَهَذَا كَمَا سُمِّيَ الْمِفْصَلُ .

٤ - وَأَنْتَ بِسَائِلِ جَارَاتِ بَيْتِي أَعْيَابُ رِجَالِكِ أُمَّ شُهُودُ

يَحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَبَجَّحَ بِتَعَفُّفِهِ فِي جَارَاتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَطَلَّبُ

مفارقة القِيمِينَ بِهِنَّ ، مترصِّدًا للتمكَّنِ مِنْهُنَّ ، فيكون ذلك باعِثًا للسُّؤالِ عن
رجالهنَّ ، ليضمَّنَّ الخُلُوةَ بِهِنَّ . والثاني أن يريدَ رَفَعَ الطَّمْعِ عن جِيرَتِهِ ، وقلةَ
الفِكرِ في تَتَبُّعِ أَحْوَالِهِمْ ، عند حضورهم وغيبتهم ، إذ لم يكن هُمُّهُ في النَّيْلِ
منهم ، ومشاركتهم فيما يتجدد لهم من خَيْرٍ ، ففعلَ الْمُسِفَّ للمطامعِ الدنِيَّةِ .
ويكون هذا كما قال الآخر :

وَإِذَا أتَى مِنْ وَجْهِهِ بِطَرِيقِهِ لَمْ أُطْلِعْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ
وَهَذَا أَوْجَهُ ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْعِفَّةِ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدُ .

٥ - وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيْتِ جَارِي صُدُورِ الْعَيْرِ نَعْمَرَةَ الْوُرُودِ (١)

هَذَا يَشْهَدُ لِمَا اخْتَرْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ مَا قَبْلَهُ ، فَيَقُولُ : وَإِذَا دَعَانِي الْجَارُ إِلَى
بَيْتِهِ يُكْرِمُنِي بِبِرِّهِ ، وَيُشْرِكُنِي فِي خَيْرِهِ ، لَا أَنْصَرِفُ عَنْهُ وَالطَّمْعُ فِيهِ بِحَالِهِ ،
وَالِاسْتِغْنَامُ لِلْحَقِيرِ مِنْ مَالِهِ وَطَعَامِهِ عَلَى حَدِّهِ ، انصِرَافَ الْعَيْرِ عَنِ الْمَاءِ وَقَدْ نَعْمَرَهُ
الْوُرُودُ . وَالتَّغْمِيرُ كَالْتَصْرِيدِ ، وَهُوَ شُرْبُ دُونَ الرَّيِّ . وَمِنْهُ النُّعْمَرُ : الْقَدْحُ
الصَّغِيرُ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُتَكَابَلُ بِهِ الْمَاءُ فِي الْمَهَامَةِ . وَأَنْشُدُ :

تَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلَيْدٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ النُّعْمَرُ (٢)

١٠ حزمة : ما قطع
من اللحم طويلاً

وقيل في نَعْمَرَةَ معناه أرواهُ من النُّعْمَرِ : الماء الكثير ، فيكون المعنى :

إِنِّي لَا أَتَهَالَكُ عَلَى طَائِمِهِ فِعْلَ الْمَنْهُومِ الْخَسِيسِ الْهَمَّةُ فَاتَضَلَّعُ ، لَكِنِّي آكُلُ
أَكْلًا كَرِيمًا . وَهَذَا الْمَعْنَى أَقْرَبُ عِنْدِي .

* طعامه

٦ - وَلَا مُلْقٍ لِيذِي الْوَدَعَاتِ سَوَاطِي الْأَعْبُهِ وَرَيْبَتَهُ أُرِيدُ

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : البيتان الأخيران لابن أبي نعيم القتالي ، من بني مرة ،

جاء بهما أبو تمام صلة في هذه الأبيات ، وليساً منها » .

(٢) لأعشى باهلة يرثي أخاه المنتشر بن وهب . اللسان (نعمر) وإصلاح المنطق ٥ ، ٨٠٩ .

و ٣١٦ . وقصيدته في حماسة ابن الشجري ١٠ والأصمعيات ٣٣ ليبسك .

هذا مثل قول الآخر (٤) :

لا آخِذُ الصَّبِيَّانَ التَّمَهُمُ والأَمْرُ قد يُغْرِي به الأَمْرُ

وفي طريقته أيضاً قول الآخر :

أَحِبُّ صَبِيَّ السَّوِّءِ مِنْ أَجْلِ أُمَّهِ وَأَبْغِضُهُ مِنْ بُغْضِهَا ، وَهُوَ حَادِرٌ (٥)
 أَي حَسَنُ الْخَلْقِ : يَصِفُ عِفَّتَهُ فَيَقُولُ : لَا أُلْقِي سَوَاطِي بَيْنَ يَدَيِ الصَّبِيِّ
 الَّذِي فِي عُنُقِهِ عُوذٌ وَتَمَامٌ لَصِغَرِهِ ، الْأَعْبَهُ فِي الظَّاهِرِ ، وَأُضْمِرُ التَّوَدُّدَ إِلَى أُمَّهِ
 وَأَطْلُبُ الْخُلُوعَ بِهَا لِاسْتِغْفَالِهِ . وَهَذَا إِذَا رَوَيْتَ : « وَرَبَّتَهُ أَرِيدُ » ، وَقَوْلُهُ
 الْأَعْبَهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَيُرْوَى : « وَرَبِّيَّتَهُ » وَهُوَ أَكْشَفُ . وَرَأَيْتُ مِنْ
 يَقْضُرُ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةَ عَلَى صِفَةِ الْعَفَّةِ عَنِ الْجَارَاتِ ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا
 لِمَعْنَى أَحْسَنُ وَأَوْلَى .

١٣٧

وقال محمد بن عبد الله الأزدي (٦) :

١ - لا أَدْفَعُ ابْنَ الْعَمِّ يَمْشِي عَلَى شَفَا وَإِنْ بَلَغْتَنِي مِنْ أَذَاهُ الْجِنَادِ عُمُ

الشَّفَا : حَرَفُ الشَّيْءِ . وَيَمْشِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْبَيْتُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :
 أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى إِذَا أَشْفَى ابْنُ عَمِّي عَلَى بَلَاءٍ وَشَرٍّ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْهُ ،
 وَيُخَشَى عَطْبُهُ فِيهِ ، فَإِنِّي لَا أَدْفَعُ فِي صَدْرِهِ تَحَامُلًا عَلَيْهِ لِيَقْتَحِمَهُ ، وَلَا أَرْجُو بِهِ
 فِيهِ لِأَغْرَقِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ : إِذَا انْحَرَفَ عَنِّي مَهَاجِرًا لِي وَمَشَى عَلَى جَانِبِ
 مِنَ الْمَوَاسِمَةِ مَعِيَ لَا أَنْفَرَهُ ، وَلَا أَتَمُّ اسْتِحْشَاهُ بِمَا أَثِيرُ مِنْ كَوَامِنِ غَيْظِهِ ، وَإِنْ

(١) هو مسكين الدارمي . أمالي القالي (١ : ٤٥) .

(٢) أنشده في اللسان (حدر) شاهداً على أن الحادر : الغليظ .

(٣) المبهج : «قد قالوا الأزرد والأسد ، وكان الزاي بدل من السين ، وكلاهما علم مرتجل» .

بَلَقْتَنِي الدَّوَاهِي عَنْهُ ، وَقَاسَيْتُ الشَّدَائِدَ مِنَ التَّأْذِي بِهِ . أَي لَا أَتَهَرُّزُ الْفُرْصَةَ فِي مَكَاشِفَتِهِ وَإِنْ اتَّصَلَ بِالسُّوءِ تَعَرُّضُهُ ، وَدَامَ فِيمَا يَبِينُ اعْتِرَاضُهُ . وَالجَنَادِعُ فِي الْأَصْلِ تُسْتَعْمَلُ فِي هَوَامِّ الْأَرْضِ ، تُسْتَعْمَلُ كِنَايَةً عَنْ ضُرُوبِ الْمَكَارِهِ وَأَنْوَاعِ الْأَذَى . وَمِنْ قَوْلِهِمْ ^(١) : « بَدَتِ جَنَادِعُهُ وَاللَّهُ جَادِعُهُ » . وَهَذَا كَمَا اسْتَعَارُوا الْعِقَابَ فَقَالُوا : دَبَّتْ عِقَابُهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْجَنَادِعُ : جَنَادِبٌ فِي حِجْرَةِ الْحَشْرَاتِ يَخْرُجْنَ إِذَا كَانَ الْحَافِرُ يَبْلُغُ أَقْصَاهَا . وَمِنْهُ قِيلَ فِي الْمَثَلِ : « جَاءَتْ جَنَادِعُ الشَّرِّ » ، أَي أَوَائِلُهُ . وَاسْتَعْمَلُ فِي الْكَلَامِ أَيْضًا فَقِيلَ جَنَادِعُ الْقَوْلِ لِمَا يَسُوءُ مِنْهُ . وَيَجُوزُ فِي قَوْلِهِ « يَمْشِي عَلَى شَفَا » وَجَهٌ آخَرَ حَسَنٌ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ يَمْشِي فِي مَعْنَى يَنْبِغُ وَيَحْتَبُ . وَفِي الْمَثَلِ : « هُوَ أَضْرَبُ مِنْ مَشَى بِشَفَا ^(٢) » . وَكَأَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ ﴾ ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ « عَلَى شَفَا » مُتَعَلِّقًا بِمَضْمَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَفْعَلُ ذَلِكَ كَأَنَّكَ عَلَى شَفَا أَوْ حَاصِلًا ؛ وَالْمَعْنَى مُنْحَرَفًا : أَي لَا أَدْفَعُهُ عَنِ التَّحْرِيشِ وَالنَّمِيمَةِ قَهْرًا وَعُغْفًا ، وَلَكِنْ أَعْطَفُهُ بِالْحُسْنَى .

٢- وَلَكِنْ أُوَاسِيهِ وَأَنْسَى ذُنُوبَهُ لِيَتَرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَى الرَّوَاجِعِ

قَوْلُهُ « أُوَاسِيهِ » أَي أَجْعَلُهُ إِسْوَةَ نَفْسِي ، فَأَقَاسِمُهُ مَالِي وَمِلْكَي : يَقُولُ : لَكِنِّي أَتَنَاسَى ذُنُوبَهُ وَهَفَوَاتِهِ ، وَأَتَغَابِي جَرَائِمَهُ وَزَلَالَاتِهِ ، وَأُحْسِنُ التَّائِبِي فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ لِمَوَاسَاتِهِ ، عِنْدَ مَا أَنْتَظِرُ مِنْ قَيْئَتِهِ وَعَظْفَتِهِ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ دَوَاعِي الْأَحْوَالِ ، وَتَشَابُكِ الْأَرْحَامِ ، وَرَوَاجِعِ الْعَقَبِ ، وَلَوْاحِقِ السَّبَبِ . وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ هُوَ الْغَايَةُ فِي الْإِبْقَاءِ وَالِاسْتِبْقَاءِ .

٣- وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلِّ وَسُوءِ صَنِيعَةٍ مُنَاوَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ قِيلَ قَاطِعِ

(١) م : « وَمِنْ كَلَامِهِمْ » .

(٢) كَذَا فِي م وَالتَّبْرِيذِي . وَفِي الْأَصْلِ : « هُوَ أَخْرَبَ » ، بِالْحَاءِ .

يقول : كافيك من سوء الفعل واكتساء الذلّ ، أن تُناوي أقاربك وإن كانوا قاطعين عاقين ، مهاجرين مُصارمين . وإنما قال « من ذلّ » لأنّ عزّ الرّجلٍ بعشيرته ، ومن أفات نفسه الحظّ منهم فقد ذلّ . وللمناواة أصلها الهمز ، واشتقاقها من النوء : النهوض . كأنّ المتعادين يُناهض كلُّ صاحبِهِ إما بنفسه ، وإما بعقيدته ونيتِهِ . وقوله « سوء صنيعه » جعل الصنيعه اسما فهي كالكرهية . وقوله « وإن قيل قاطع » ارتفع قاطع على أنّه خبرٌ ابتداءً مُضمر ، كأنّه أراد وإن قيل هو قاطع . وفي طريقته قول الحطيئة :

فأبقوا لأبائكم عليهم (ك) فإنّ ملامّة المولى شقاء

وروى بعضهم : « وأن قيل » بفتح الهمزة ، كأنّه يعطفه على قوله مُناواة ، والمعنى حسُبك من الأمرين المذكورين مُناواة الأقارب ، وقول الناس هو قاطع عاق . والأول أجودٌ وأشبه بما اقتضه وتصرّف فيه .

١٣٨

وقال آخر :

١ - إن يحسدوني فإني غيرٌ لائيمهم قَبلي من النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا (٢)

الضمير في « يحسدوني » لطائفة من الناس خصّهم بالإخبار عنهم ، وقصدّم بالكلام . فيقول : إن نافسوني وحسدوني ، ورمقوا النعمة عليّ بعين التسخّط . فإني لا ألومهم ولا أعتب عليهم ، إذ كان التنافس والحسد يتبعان الفضل ،

(١) وكذا في الديوان ٢٧ . وفي م : « خليكم » تحريف . وبعده :

فإن أباهم الأذى أبوهم وإن صدورهم لكم براء

(٢) الأبيات في أمالي القالي (٢ : ١٩٨) وعيون الأخبار (٢ : ١٠ - ١١) . ورواية

عيون الأخبار :

* إن تحسدوني فإني لا ألومكم *

وإذ كان من قبلنا اعتاد بعضهم من بعضٍ مثل ما نراه بسبب الفضل . وقد أحسن كل الإحسان من قال :

وإذا سرحت الطرفَ حولَ قِبابِهِ لم تلقَ إلا نِعمَةً وحسوداً^(١)
فأما قوله « قَبلي من الناسِ أهلُ الفضلِ قد حَسِدوا » . فمثلُه قولُ عُمر بن أبي ربيعة :

* وقديماً كان في الناسِ الحَسَدُ^(٢) *

وقبلي جعله لغواً ، ومن الناس تبين ، وقد حسدوا خبر المبتدأ .

٢- قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
هذا الكلامُ دُعَاءٌ لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهِمْ ، عَلَى طَرِيقِ التَّنَسُّلِيِّ وَقَلَّةِ الْاِحْتِفَالِ ، وَلِأَنَّ
الْحَاسِدَ يَرْفَعُ الْخَامِلَ مِنَ الْفَضْلِ وَيُنَوِّدُ بِهِ . فيقول : أَدَامَ اللهُ لِي مَا أَنَا عَلَيْهِ
مِنَ الْفَضْلِ ، وَلَهُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَدِ ، وَمَاتَ أَكْثَرُنَا لَغَيْظِهِ بِمَا يَجِدُ . وَقَوْلُهُ
« وَمَاتَ أَكْثَرُنَا » الْأَكْثَرُ مِنَ الْحَسَدَةِ ، لِأَنَّهُ - وَإِنْ أُدْخِلَ نَفْسَهُ فِيهِمْ
أَضَافَ الْأَكْثَرَ إِلَيْهِ - وَاحِدٌ . وَقَوْلُهُ « بِمَا يَجِدُ » حَذَفَ الْمَفْعُولَ ، وَالْمَعْنَى بِمَا
يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْحَسَدِ ، أَوْ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ الْمَحْسُودِ .
وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَمَزَةُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مَهْدِيٍّ
الْكِسْرَوِيَّ يَقُولُ : أَنَا قَدْ تَتَبَعْتُ مِنْ دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهِمْ وَمُحَدِّثِهِمْ
فَوَجَدْتُ أَبَا تَمَّامٍ الطَّائِيَّ مُتَفَرِّدًا بِمَعْنَى قَوْلِهِ :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِبَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

(١) في م : « فإذا سرحت » .

(٢) صدره في الديوان ٧٦ :

غير مَسْبُوقٍ إليه . وعندِي أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ فَحْوَى هُذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَإِنْ كَانَ زَادَ عَلَيْهِ .

٣- أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرِدُ قَوْلُهُ « يَجِدُونِي » كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ يَجِدُونِي ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ النُّونَ تَخْفِيفًا . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ لَوْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الصَّلَةِ : يَجِدُونَهُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّلَةِ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَى الَّذِي . وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَجِيءَ وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَعُودُ إِلَى الَّذِي وَإِنْ كَانَ صَلَةً لَهُ ، لِأَنَّ الَّذِي خَبَّرَ أَنَا ، وَهُوَ وَالْمَبْتَدَأُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَلَمَّا كَانَ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي شَيْئًا وَاحِدًا لَمْ يُبَالِ أَنْ يَرُدَّ الضَّمِيرَ الَّذِي يَجِبُ رَجُوعُهُ إِلَى الثَّانِي إِلَى الْأَوَّلِ . وَمِثْلُ هَذَا مَا نُسِبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ (١) *

فَقَالَ سَمَّيْتَنِي وَلَمْ يَقُلْ سَمَّيْتُهُ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي مِثْلِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مُسْتَقْصَى ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَا الَّذِي صِرْتُ غُصَّةً فِي صُدُورِهِمْ قَدْ نَشِبَتْ فَلَا تَصْدُرُ وَلَا تَرُدُّ ، أَي صَارَتْ لَازِمَةً لَا تَسُوعُ وَلَا تُؤُوبُ . وَقَوْلُهُ « صَدْرًا » مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَ« لَا أَرْتَقِي » إِنْ جَعَلْتَنِي فِي صُدُورِهِمْ لَعَنُوا يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي ، وَإِنْ جَعَلْتَنِي فِي صُدُورِهِمْ مَفْعُولًا ثَانِيًا كَانَ لَا أَرْتَقِي حَالًا .

١٣٩

وقال آخر :

١- الشَّيْءُ يَبْدُوهُ فِي الْأَصْلِ أَصْغَرُهُ وَلَيْسَ يَصَلِّي بِكُلِّ الْحَرْبِ جَانِبِهَا
يَبْدُوهُ أَي يَبْدَأُ مِنْهُ ، فَحَذَفَ حَرْفَ الْجُرِّ وَوَصَلَ الْفِعْلَ فَنَصَبَ . يَقُولُ :

(١) سبق الرجز في ص ١١٥ .

(٢) في جماسة البصري ٢٠٧ أنه « طرفة » ، على أنه لم يرو في ديوانه .

أوائلُ الأمورِ ضعيفةٌ ، ومبادئُها صغيرةٌ حقيرةٌ ، ثم تَسْتَحْكِمُ على مرِّ الأيامِ وتَصْرُفُ الأحوالِ فتعظمُ . وهذا كما قال الآخرُ (١) :

الحربُ أولٌ ما تكونُ فتيّةٌ تَسعى بيزتها لِكُلِّ جهولٍ
وفي طريقته قولُ الآخرِ (٢) :

* كَمَ مَطَرٍ بَدْوُهُ مُطِيرٌ (٣) *

وقوله «وليس يصلى بنار الحرب جانبا» يروى : «بِجَلِّ الحرب» والمعنى : لا يَصْطَلِي بنار الحربِ ومُعْظَمِهَا مَنْ يَكْتَسِبُهَا وَيوقِدُهَا فقط ، بل يحصلُ بالمشاركةِ فيها ويُعْنَى بِبَلَوَاهَا ، مَنْ لَمْ يَنْقُلْ خَطْوَتَهُ فِي بَعْثِهَا ، وَلَمْ يَسْعَ فِي تَهْيِيجِهَا .

٢- وَالْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارِهُونَ كَمَا تَدْنُو الصَّحَّاحُ إِلَى الْجَرَبِيِّ فَتُعْدِيهَا

يقولُ: شرُّ الحربِ يُعْدِي إعداءَ الجَرَبِ ، فَتَرى الكارِهَ لها يَلْتَحِقُ بِهَا (٤) ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ حَازِمٍ لَهَا ، وَتَلَقَى البعيدَ منها يَصْطَلِي بِحَرْهَا وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهَا (٥) ، وَلَمْ يُشَيِّعْ مَوَقِدَهَا . وفي هذا القشبيهِ خروجُ المُشَبَّهِ مِنَ الكُمُونِ إِلَى الظُّهُورِ ، وَمِنَ الخَفَاءِ إِلَى البُرُوزِ ، حَتَّى يَتَجَلَّى لِمَتَأَمِّلِهِ وَالْمَفَكِّرِ فِيهِ عَلَى بُعْدِهِ فِي التَّصَوُّرِ تَجَلِّيَ القَرِيبِ فِي العُرْفِ وَالاعْتِيَادِ . وَهَذَا هُوَ غَايَةُ المَرادِ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ .

٣- إِنْ رَأَيْتَكَ تَقْضِي الدِّينَ طَالِبَهُ وَقَطْرَةَ الدِّمِّ مَكْرُوهَةً تَقَاضِيهَا

هذا البيتُ يصلحُ أَنْ يَكُونَ مَدْحًا ، فَيَكُونُ المعنى : إِنْ رَأَيْتَكَ تَخْرُجُ إِلَى المَدِينِينَ سَرِيعًا مِنْ دِينِهِمْ عَلَيْكَ ، غَيْرَ مُدَافِعٍ بِمَا فِي ذِمَّتِكَ لَهُمْ وَلَا مُمَاطِلٍ ،

(١) عمرو بن معديكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٣) صدره : * رب قليل جنى كثيراً *

(٤) م : « يمتحن بها » .

(٥) في الأصل : « يدركها » والوجه ما أثبتنا من م .

فإذا طُولِبَتْ بَدَمٌ أَوْ نُوزِعَتْ فِي ذَحْلِ ، شَقَّ تَقَاضِيكَ بِهِ وَتَعَذَّرَ ، وَتَصَعَّبَ نَيْلُهُ
 مِنْ جِهَتِكَ وَتَعَسَّرَ . فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ « مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا » ، مَعْنَاهُ مَرُوبٌ تَقَاضِيكَ
 بِهَا . وَيُضْلِحُ أَنْ يَكُونَ ذَمًّا ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنِّي رَأَيْتُكَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ وَأَقْرَبِ
 طَلَبِ تَخْرُجُ مِنَ الْأَوْتَارِ وَالِدِمَاءِ إِلَى طُلَّابِهَا ، فَلَا كُفْلَةَ فِي نَيْلِهَا وَإِدْرَاكِهَا مِنْ
 جِهَتِكَ ، وَالتَّقَاضِي بِالذَّمِّ عَسِرٌ صَعْبٌ إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَكَ وَقَبْلَكَ ، فَمَا ذَلِكَ
 إِلَّا لِضَعْفِ كَيْدِكَ وَمَهَانَةِ نَفْسِكَ ، وَقُصُورِ آبَائِكَ . وَالدِّينُ فِي هَذَا الْوَجْهِ يُرَادُ
 بِهِ الْوِثْرُ وَالذَّمُّ . وَقَوْلُهُ « مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا » يَعْنِي تَقَاضِي غَيْرِكَ بِهَا . وَمِثْلُ
 قَوْلِهِ مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا فِيمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ قَوْلُ لَبِيدٍ :

* بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُخْرَةٍ (١) *

لأنَّ المعنى بَاكَرْتُ حَاجَتِي إِلَيْهَا .

١٤٠

وقال شريح بن قرواش (٢) :

١ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ جَاشَتْ عَكَرْتُهَا عَلَى مِسْحَلٍ وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعَكَرٍ

يقول : لَمَّا تَحَرَّكَتْ حَمِيَّتِي وَغَلَبَ (٣) نَفْسِي ، حَتَّى كَادَتْ تَثُورُ مِنْ مَقَرِّهَا
 فَتَجْرِي أَنْفَةً وَامْتِعَاضًا ، عَطَفْتُهَا عَلَى صَاحِبِي مِسْحَلٍ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ مَعَطَفٍ
 فَعَلْتُ ذَلِكَ . وَهَذَا تَفْطِيعٌ لِلشَّانِ ، وَتَفْخِيمٌ لِلْأَمْرِ . فَإِذَا رَوَيْتَ « وَأَيُّ سَاعَةٍ
 مَعَكَرٍ » بِالرَّفْعِ يَكُونُ مَبْتَدَأً وَخَبْرَهُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعَكَرٍ

(١) من معلقته . وعجزه :

* لِأَعْلٍ مِنْهَا حِينَ هَبَ نِيَامَهَا *

(٢) كان من سبب هذه الأبيات ما رواه التبريزي عن أبي ريش قال : لقي شريح بن
 مسهر أخو بلحارث بن كعب ، مسحل بن شيطان بن جذيم بن رواحة ، فظعن مسحلا فصرعه
 فعمل شريح بن قرواش على شريح بن مسهر فظعنه فصرعه واستنفذ مسحلا : وقال هذه الأبيات .
 (٣) كذا في النسختين ، أي غلبت نفسي .

وَمَكَّرَ تِلْكَ السَّاعَةَ . وَإِذَا رَوَيْتَهُ بِالنَّصْبِ يَكُونُ ظَرْفًا ، وَيَكُونُ الْعَامِلُ فِيهِ مَضْمُرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَعَكَّرْتُ أَيَّ وَقْتٍ مَمَّكَّرٍ . وَمَعْنَى عَكَّرَ : عَطَفَ . وَيُقَالُ : هُوَ عَكَارٌ فِي الْفِتَنِ . وَجَوَابُ لَمَّا « عَكَرْتُهَا » .

٢ - عَشِيَّةٌ نَازَلَتْ الْفَوَارِسَ عِنْدَهُ وَزَلَّ سِنَانِي عَنْ شُرَيْحِ بْنِ مُسَهَّرٍ

عشية انتصب على أن يكون بدلاً من قوله وأي ساعة ممكّر إذا نصبت أياً ، وإن رفعت فانتصب عشية على أن يكون ظرفاً والعامل فيه فعل مضمّر دل عليه ما قبله ، كأنه قال عكرت عشية . ولا يكون العامل نازلت ، لأنه مضاف إليه وبيان للوقت ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف . فيقول : عطفت عليه ذاباً عنه ومدافعاً دونه ، عشية منازلتي الفرسان بحضرتي ، وحين زل سنان رحي عن ابن مسهّر ، وإنما زل السنان عنه وسلم من طعنته لأنه كان لبس درعاً تحت ثيابه وهو لا يشعر ، فكأنه يعتذر ويتلهف .

٣ - وَأَقْسِمُ لَوْلَا دِرْعُهُ لَتَرَكْتُهُ عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ ضِبَاعٍ وَأَنْسُرٍ

قوله أقسم يمين ، والمحلوف به محذوف ، وهو لفظة الله . ولكثرة مجيئها مع أقسم صار وهو محذوف كالمنطوق به ، وجواب القسم استغني عنه بحديث لولا ، لأنه فيه . والمعنى أنه بين العذر فيما اتفق عليه ، فقال لولا درعه التي استظهر بها ، وظاهر بثوبه فوقها ، لتركته بطعنتي مقتولاً ، وعوافي السباع والطيور تأتيه وتنال منه . ويقال عفاه واعتفاه بمعنى واحد .

• العوافي : جمع عاف ، كل من جاء يطلب فضلاً أو رزقاً من الإنس والدواب والطيور .

٤ - وَهَلْ غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إِلَّا نَزَالُكَ الْكَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الْكَمِيِّ الْمُقَطَّرِ

هذا الكلام بيان ما تكلفه عند التعطف على مسجل ، وتصوير أهول ما ركبه وعاناه من عظيم البلاء في نصرته . ولهذا جعل النبي بلفظ الاستفهام ، فقال : وما شائد الموت إلا منازلتك الكمي فوق لحم الكمي ، أي فوق جيف

• الكمي : السباع المتكبي من سلاحه ، لأنه كمي نفسه ، أي سترها بالدرع والبيضة .

القتلى . ولولا أن هل في طريق النبي هاهنا لما جاء بعده إلا . والمقطر : الملقى على أحد قطريه ، وهما الجانبان . ولقطر اختصاص بالعبارة عن الإسقاط والصرع . على ذلك قول عمرو بن معد يكرب :

* ما قطر الفارس إلا أنا (ك) *

ومن المحكي عنهم في المعنى الذي قصده هذا الشاعر ، أنه سئل بعضهم : ما أشد ما رأيت فيما زاولته من الحروب ؟ فقال : « الزائق على العلق » . وفي طريقته قول الآخر :

يَطَّانَ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصِدِ الْقَنَا شَرِيحًا فَمَا يَجْرِيَنَّ إِلَّا تَوْهَا (٢)

• رمح قصيد وقصيد : مكسور ، وجمع قصيد . و القنا : الرماح .

١٤١

وقال طرفة الجذيمي (٣) :

١ - يَارَا كِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ بَنِي فُقَعَسٍ قَوْلَ امْرِي نَاخِلِ الصَّدْرِ (٤)

(١) صدره كما في شرح شواهد المغني ٢٤٥ .

* قد علمت سلمى وجاراتها *

(٢) م : « إلا تقحما » .

(٣) ذكره الآمدي في المؤلف ١٤٦ ، وقال : « أحد بني جذيمة بن رواحة بن قطيعة ابن عيس بن بغيض ، شاعر فارس » ، وتصحف على صاحب التماموس فجعله طرفه الجذيمي ، وقال : « من بني خزيمة بن رواحة » . وقال ابن جني في المبهج : « الطرفة : واحدة الطرفاء ومثله قصبه وقصباء ، وحلقة وحلفاء وجذيمة : علم مرتجل وليس منتقولا . ويجوز أن يكون من جذمت يده أي قطعها ، فيكون اسماً كالنطيحة والذبيحة . وقال ابن جني في التنبية : « طرفة الجذيمي جذيمة عيس ، ويقال الجذمي » . وهذه النسبة الأخيرة وردت في المؤلف (٤) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عيس - هو ابن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . وذلك أن حية بنت مالك بن مرة كانت تحت فقعس فمات عنها فخلف عليها رواحة ، فولدت جذيمة على فراشه . فزعموا أنها تزوجته وهي حيلة بجذيمة فولدته لثلاثة أشهر ، فجاء جذيمة يطلب بيمراه من أبيه فقال له أعيان بن طريف : ما أعرفك . ولا لك عندي ميراث . فقال له : ويحك أعطى ولو بكرأ أستحق به النسب . فمنعه . . . وثبت جذيمة في بني عيس » .

يَخَاطِبُ واحداً من الركبان غيرَ مُعَيَّنٍ ، ويكلفُهُ إن عَرَضَ لِبني فَقَمَسِ
 أن يُبَلِّغَهُم عنه قولَ رجلٍ نَاحِلِ الصِّدْرِ ناصِحِ الجَيْبِ ، صَادِقِ الوُدِّ . وإنما
 نَكَرَ المدعُوَ لأمرين : أحدهما شدة اهتنامه بالرسالة وتحميلها رسولاً كأننا من
 كان . والثاني أنه أراد أن يضع رسالةً ظاهرها أنها أودعت متحملاً ، علماً
 بأن الرسالة بنفسها إذا ضُمَّنت الشُّغْرَ وعُقِدَتْ به ستبلغ على أفواه الرُّوَاةِ .
 وقوله « نَاحِلِ الصِّدْرِ » يريدُ مُصَنِّئَ ما في الصِّدْرِ ، فحذف المضاف . أو يريد
 ناخل الصِّدْرَ لما يَبعِيه فجعل الفعل للصِّدْرِ توسعاً ، والمعنى أنه موافق الظاهر
 للباطن . ويقال : نَخَلْتُ الوُدَّ والنُّصْحَ لفلانٍ ، إذا أخلصتهما .

• ناصح الجيب : نقي
 القلب لا غش فيه .

٢- فوالله ما فارقتكم عن كساحية ولا طيب نفس عنكم آخر الدهر

يقول : أَخْلَفُ أَنِّي لم أُؤَيِّرُ فراقكم لعداوةٍ لازمةٍ لِكَشْحِي ، وبفضاءٍ
 متمكِّنةٍ من طويَّتي ، ولا لِسُلُوِّ نفسٍ عنكم وسخاءٍ قلبٍ بكم آخر الدهر . وهذا
 الكلامُ إظهارٌ مَبِيلٍ إلى إصلاح ذات البين لو تساعدت الأحوال ، ومَعْدِرَةٌ
 أقامها فيما قَصَدَهُ من مُرَاغَمَتِهِمْ ، وآثَرَهُ في مهاجرتهم ومفارقتهم ، وإبانهٌ عن
 الأمرِ في أنَّ الباعثَ على ما اتفق لم يكن من سوءِ خَلَّةٍ ، وانطواءً على حَسَدٍ
 وقطيعةٍ . وإنما قرَنَ السُّلُوَّ بقوله آخر الدهر لِيُرِيَّ أن ذلك التقدير ليس بحاصلٍ
 ولا واقعٍ أبداً ، وهذا كما يقال لا أفعل كذا ما دامت السموات والأرض .

• الكشح : الخصر ،
 والكاشح : العدو الذي
 يضمر عداوته ويطوي
 عليها كشمه أي باطنه ،
 وقيل لأنه ينبأ العداوة
 في كشمه وشبه كبده ،
 والكبد بيت العداوة
 والبفضاء : ومنه قيل
 للعدو : أسود الكبد .

٣- ولكنني كنتُ امرأً من قبيلةٍ بَغَتْ وأتتني بالمظالم والفخر

هذا كَشَفُ العِدْرَةِ وِذْكَرِ السَّبَبِ الموجب للمجانبة والفرقة ، فيقول :
 ولكنني كنتُ رجلاً من قبيلةٍ خرجت عن طريق التَّوَأَصْلِ إلى طريق التَّقَاعِ
 بما استعملته من البغي والشقاق ، وتعاطته معي من الظلم والعناد ، حتى تداعت
 مباني التواشج والتحاب ، وانفصمت عرَى العلائق بيننا والتواد ، وعيل

الصَّبْرُ ، بما لحق من الهَضْمِ ، وحرَجَ الصَّدْرُ ، لِمَا تلاحقَ حالًا بعد حالٍ من الاستخفافِ والذَلِّ .

٤- فَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِن لَّمْ أُبْهِمُ عَلَى حَالَةٍ حَدْبَاءَ نَابِيَةِ الظَّهْرِ^(١)
انتقل عن الخطاب إلى الإخبار حين توعدهم ، وإن كان الكلُّ من جملة الرِّسَالَةِ . ويروى : « لَشَرُّ النَّاسِ » بكسر اللام ، والمعنى أنا ابنُ شرِّ الناسِ ، كما قال النابغة :

* لئن كان للقبرين قبرٍ بجلتي^(٢) *

والكلام لفظه لفظ الخبر والمعنى معنى القسم . وهذا من الأيمان الشريفة .
ويروى : « لَشَرُّ النَّاسِ » . والمعنى : أنا شرُّ الناسِ إن أحملُ هؤلاء القومَ بيئاتاً على حَالَةٍ مُنْكَرَةٍ ، وَخُطَّةٍ صَعْبَةٍ ، لا يُسْتَقَرُّ عَلَيْهَا ، ولا يُثَبَّتُ على ظَهْرِهَا .
وفي هذه الطريقة قولُ الآخر^(٣) :

لَقَدْ حَمَلْتُ قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ حَرْبَنَا عَلَى يَابِسِ السَّيِّئِ مُحْدَوِدِ الظَّهْرِ
فقوله نابية الظهر مثل قول هذا مُحْدَوِدِ الظهر ، أي ظهْرُهَا يَجْفُو لِنُتُوهِ
وَنُبُوهِ فيقلق راكبها ولا يَقَرُّ ، وجوابُ الجزاء الفاء في قوله وإني لَشَرُّ النَّاسِ .
٥- وَحَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ مِنْ شَرِّ بَيْنِنَا وَتَقَعْدَ لَا نَدْرِي أَنْزِعُ أَمْ نَجْرِي

تَعَلَّقَ حَتَّى بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَدِيمُ ذَلِكَ لَمْ حَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ ،
أَي إِلَى أَنْ يَفِرَّ النَّاسُ . والمعنى : إِنِّي لَا أَزَالُ أَتَمَادَى فِي اللَّجَاجِ وَالشَّرِّ ، وَأَتَرَقَّى فِي
دَرَجَاتِ النَّزَاعِ وَالْحَرْبِ ، حَتَّى يَسْتَقِيلَ النَّاسُ مِنْ مِشَارِ كِتْنَا وَمَلَابِسْتَنَا فِيمَا نَزَاوَلَهُ ،
وَيَسْتَعْفُوا مِنَ التَّوَشُّطِ بَيْنَنَا وَرَدَّنَا عَمَّا نَقْتَحِمُهُ ، وَيَنْفُضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ اسْتِصْلَاحِنَا

(١) كذا ورد في الأصل وفي م والتبريزي والمؤتلف : «على آلة» . والآلة : الحالة أيضا .

(٢) عجزه : * وقبر بصيداء التي عند حارب *

(٣) هو الأخطل ، ديوانه ١٢٩ واللسان (سيس) .

• حالة حدباء : لا يطئن لها صاحبها ، لأن لها مَدْبَةَ .

• السيئاء من الحمار أو الغنم : الظهر يقول : حملناهم على مركب صعب كسيئاء الحمار ، أي على ما لا يشبه على مثله .

وتتغير نحن أيضاً ورتبك إذا توسطنا أمورنا، فلا ندرى أنقصر ونكف، أم
نجرى فننقذ. وهذا إلام بما سار به المثل في قصة السالمة للسمن، ويقول
الشاعر (٤) :

وَكُنْتُ كذاتِ القِدرِ لم تَدْرِ إذْ غَلَّتْ أَتُنزِلُهَا مُذْمُومَةً أم تُذِيبُهَا (٥)
وفي المثل السائر: « اختلط الخائر بالزباد (٦) ». وقوله « لا ندرى »
في موضع الحال .

• البية مثل في اختلاط
الأمر على الإنسان .
والأصل فيه أن المرأة
تسأل السمن فيختلط
عائره برفيقه فلا يصح
فتبرم بأمرها، فلا ندرى
أتنزل القدر عن رصافه
أم تتركها حتى تصفو .

١٤٢

وَقَالَ أَبِي بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُرِّيُّ (٧) :

١ - تَعْنَى لِي المَوْتِ المَعْجَلِ خَالِدٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يُعْرِفُ حَاسِدَهُ
٢ - فَخَلَّ مَكَانًا لَمْ تَكُنْ لَتَسُدُّهُ عَزِيزٌ أَعْلَى عَبَسٍ وَذِي بَيَانَ ذَائِدُهُ (٨)

يقول : ودَّ لي الموت الوحي السريع الإتيان خالد، حسداً منه وبغضاً ،
ومنافسة في الرياسة وحقدًا . ثم قال متسلياً : ولا خير فيمن لا حاسد له ،
لأن الحسد من توابع الفضل ومسبباته . ومثل هذا قول الآخر :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَأَمِيهِمْ

قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا (٩)

وقد شرح القول فيه . وقوله « فخلَّ مقاماً » أقبل على خالد مبكِّتاً له .

(١) هو بشر بن أبي خازم . المفضليات (٢ : ١٣١) .

(٢) رواية المفضليات : « فكانوا كذات »

(٣) الزباد ، كرمان : ما لا خير فيه .

(٤) التبريزي والآمدني : « العبسي » قال التبريزي : وحماد هو ابن جابر بن قراد بن .

مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس . ومثله عند الآمدني في المؤتلف ٩١ .

(٥) التبريزي والآمدني : « فخلَّ مقاماً » ، وذلك في « ل » وهذا ما يتسابق مع الشرح .

(٦) من الحماسية ١٣٨ .

وَمُقَصِّرًا بِهِ ، يَعْرِفُهُ أَنَّهُ يَحْسُدُهُ فِيمَا لَا يَصْلُحُ لَهُ وَلَا يُسْتَكْفَى مِنْهُ فِيهِ ، فَقَالَ :
 أَتْرُكُ مَقَامًا تَزَلَّ قَدَمُكَ عَنْهُ ، وَتَسْقُطُ رُتْبَتُكَ دُونَهُ ، وَأَنْسَ مَكَانًا لَا تَسُدُّهُ
 بِكِفَايَتِكَ ، وَلَا تَقُومُ فِيهِ بِغَنَائِكَ ، [وَبِعِزِّ الْمَدَافِعِ دُونَهُ عَلَى طَوَائِفِ عَبَسِ
 وَذُبْيَانِ — وَإِنَّمَا يَرِيدُ رِيَاسَةَ الْعَشِيرَةِ ^(١)] — وَخَلَّ الْقِيَامَ بِأَمْرِ عَبَسٍ وَذُبْيَانِ
 إِذْ لَسْتَ مِنْ رِجَالِ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « لِتَسُدَّهُ » الْإِلَامُ فِيهِ لَامُ الْجُحُودِ ، وَهِيَ لَامُ
 الْإِضَافَةِ ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهُ يَنْتَسِبُ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ وَلَا يُظْهَرُ الْبَتَّةَ .

١٤٣

وقال أيضًا :

١- لَسْتُ بِمَوْلَى سَوَاءٍ أَدْعَى لَهَا فَإِنَّ لِسَوَاءِ الْأُمُورِ مَوَالِيًا

مَوْلَى سَوَاءٍ : مُتَوَلِّيَهَا وَصَاحِبَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَلِيِّ : الْقُرْبُ
 أَمْ لَا أَقَارِبُهَا ^(٢) وَلَا أَدَانِيهَا : وَقَوْلُهُ « أَدْعَى » مِنَ الدَّعَاوَةِ وَالدَّعْوَةِ ، وَهِيَ
 النِّسْبَةُ . يَقُولُ : لَا أَتَعَاطَى قَبِيحًا ، وَلَا أَتَوَلَّى مُخْزِيَةً فَانْتَسَبَ إِلَيْهَا ، وَأَعْرَفَ
 بِهَا ، فَإِنَّ لِمَقَابِحِ الْأُمُورِ أَرْبَابًا غَيْرِي . وَهَذَا انْتِفَاءً مِنَ الْأَذْنَانِ ، وَتَبَرُّؤًا مِنَ
 الْمَقَابِحِ ، وَتَعْرِيفًا بِأَنْ مَا يَتَنَزَّهُ عَنْهُ حَاصِلٌ فِي مُجَادِبِهِ وَمِلَازِمٌ لَهُ .

٢- وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَلَا الْعِدَى أَدِيمِي إِذَا عَدُّوا أَدِيمِي وَاهِيًا ^(٣)

(١) التكملة من م .

(٢) م : « أقارفيها » . والمقارنة : المقاربة والمدانة .

(٣) ابن جني : « زاد لا مؤكدة للنفي ، وفاصلة بين معنيين ، وذلك أنه لو قال : ولن
 يجد الناس الصديق والعدى أديمي واهياً لم يكن فيه دليل أنه لا يجد بعضهم دون بعض ، وإنما
 فيه من الدليل أنه لا يجدونه كذلك كلهم ، فقد يجوز أن يجده واهياً بعضهم ، كما أنك إذا
 قلت ما جاءني الناس كلهم ففيه نفي مجيء الكل وليس فيه نفي مجيء البعض . فإذا قلت ما جاءني
 الصديق والعدو جاز أن يكون قد جاء بعض أولئك . فإذا قلت ما جاءني الصديق ولا العدو لم
 يجوز أن يكون جارك أحد منهم . فهذا هو الفرق ، وهو أمدح ، لأنه لم يطلع أحد منهم
 على ضعفه » .

يقول: إني صحيحُ الأصل، نقيُّ العرض، فلو تعاونَ في الكَشْفِ عَمَّا أدعيه والبحثِ دونه أصدقائي وأعدائي، ومن يرَى التغميضَ على ما يُنكرُهُ، أو التشهيرَ والتنديدَ بما يثبته، لما وجدوا غميرةً، ولا ظفروا بنقيصة. وذكرُ الأديم مثلُ للعرض والأصل. والعدُّ والإحصاءُ كنايةٌ عن الفحص والتنقير.

٣ - وإنَّ نِجَارِي يَأْبَنُ غَمًّا مُخَالِفٌ نِجَارَ اللَّثَامِ فَابِنِي مِنْ وَرَائِيَا

النَّجَارُ: الأصل. وهذا تعريضٌ بالمخاطب، يقول: أصلي مخالفٌ لأصول الأدياء، فاطلبي للمفاخرة إذا غبتُ عنك [أوقتك^(١)]. فأما إذا حضرتُ فإنك لا تقاومني ولا يستقيم لك مساجلتي. هذا إذا جعلت وراءَ بمعنى خلف، فإن جعلتهُ بمعنى قدام يكونُ بمعنى أبيني إذا تقدمتني. ومن طلبَ من تخلفَ عنه من قدامٍ لا يُدركه. والكلام على هذا يكون تهكمًا وسخريةً. فالمعنى في الأول والثاني: إنك لا تلحقُ شأوي فاطلبي طلبَ العذر واليأس^(٢). ويجوز أن يكون يُريدُ: إني كريمُ الأصل، رفيعُ المحلِّ، عليُّ الرتبة، ومن كان كذلك لا يُظفرُ به، ولا يُضطادُّ مثله [إلا^(٣)] بالخضوع له والانقياد بالتذلل بين يديه، فأبيني وأنت تابعٌ لي، وواطيُّ عقيبِي، حتى تنالني، وإلا لم تبلغُ مُرادك مني. ويقالُ: فلانٌ من وراءِ فلانٍ، إذا كان ناصرًا له، وتابِعًا. وأنشد ابن السكيت:

لَعَمْرُكَ مَا كَانَ الْقَرْنِيَّ وَرَهْطُهُ بَعَمِّي وَلَا خَالِي وَلَا مِنْ وَرَائِيَا

وقال: المعنى ولا نصري. فأما قولهم الله من ورائك، فالمعنى طالبك ومُترصدٌ لمكافأتك. فعلى القول الأخير يكون من ورائي في موضع الحال لضمير الفاعل في أبع.

(٢) التبريزي: «كبعض الرجال».

(١) التكملة من م.

(٣) المعذر: المقصر المتواني من غير عذر. ومنه: «وجاء المعذرون».

٤- وَسَيَّانِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى كَبَعْضِ رِجَالِ يُوْطِنُونَ الْمَخَازِيَا

ارتفع سيان على أنه خبر مُقَدَّم لقوله « أن أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى » ، والمعنى :
مِثْلَانِ عِنْدِي مَوْتِي وَأَنْ أَرَى كَمَنْ يَأْلَفُ الْمَخَازِي وَيَرْضَاهَا وَطَنًا وَمَأْوَى ،
وَلَا يَأْنَسُ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا إِلَيْهَا . وَهَذَا تَعْرِيفٌ بِالْمُخَاطَبِ أَيْضًا .
وَالسِّيُّ : الْمِثْلُ . قَالَ :

فَإِيَّاكُمْ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَادٍ هُمُوزِ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بَسِيٌّ (١)

٥- وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا

يقول : لَا أَحْتَشِمُ مَنْ لَا يَحْتَشِمُنِي ، وَلَا أَتَهَيَّبُهُ إِذَا لَمْ يَتَهَيَّبُنِي ، وَلَا أَرَى
مَنْ إِعْظَامِ الْمَرْءِ وَإِجْلَالِهِ مَا لَا يَرَاهُ لِي ، لَكِنِّي أُوزِنُ النَّاسَ فِي أَعْمَالِهِمْ ،
وَأَجَازِيهِمْ عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ . وَقَوْلُهُ « مَا لَا يَرَى لِيَا » حَذَفَ مَفْعُولَ يَرَى
تَخْفِيفًا ، وَهَذَا الْحَذْفُ سَائِعٌ إِنْ جَعَلْتَ مَا مَعْرِفَةٌ فَكَانَ مَا بَعْدَهُ صِلَةً ، أَوْ جَعَلْتَهُ
نَكْرَةً فَكَانَ صِفَةً .

٦- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحِبِّكَ إِلَّا تَكَرُّهَا عِرَاضَ الْعُلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَاقِيَا

انتصب قوله « تَكَرُّهَا » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالتَّقْدِيرُ
إِلَّا مَتَكَرُّهَا . وَانْتَصَبَ « عِرَاضَ الْعُلُوقِ » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
« لَمْ يُحِبِّكَ إِلَّا تَكَرُّهَا » ، لِأَنَّ الْمَعْنَى إِذَا الرَّجُلُ عَارَضَكَ فِي الْحُبِّ عِرَاضَ
الْعُلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْحُبُّ بَاقِيَا وَلَا ثَابِتًا . وَالْعُلُوقُ ، هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَرَامُ وَلَدَهَا
وَتَلْسُنُهُ حَتَّى يَأْنَسَ بِهَا ، فَإِذَا أَرَادَ ارْتِضَاعَ اللَّبَنِ مِنْهَا ضَرَبَتْهُ وَطَرَدَتْهُ . قَالَ :

(١) اللطيفة في ديوانه ٦٩ واللسان (سوا) .

وما نَحْنِي كِمِنَاحِ الْعَلْوِ قِي مَاتَرَ مِنْ غِرَّةٍ تَضْرِبِ (ط)
 وَيُشْبِهُ الْبَيْتَ الَّذِي نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلُ الْأَخَرِ (ط):
 أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ رِيْمَانَ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

١٤٤

وقال عنتره بن شداد (ط):

١ - يُدَبِّبُ وَرْدٌ عَلَى إِثْرِهِ وَأَمَكْنَهُ وَقَعُ مِرْدَى خَشِبِ

هذا وَرْدٌ بن حَابِسٍ طَلَبَ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّ بَوَثْرٍ كَانَ لَهُ عِنْدَهُ (ط). فيقول: تَسْرَعُ هذا الرجل في إثر الهارب منه، واستحث فرسه في لحاقه، فكأنه منه عَدُوٌّ فَرَسٍ صُلْبٍ كَأَنَّهُ مِرْدَاةٌ. والمِرْدَى: صَخْرَةٌ يُكْسِرُ بِهَا النَّوَى وَغَيْرُهُ. ومعنى خَشِبِ خَشِنٌ. ويقال خَشِبْتُ الشَّيْءَ خَشْبًا فَخَشِبَ. والخَشِبُ (٥) من السَّيْفِ (ن). الذي بُدِي طَبَعُهُ فَلَمْ يَلِنْ بَعْدُ. وقوله « وَقَعُ مِرْدَى » هو من وَقَعْتُ الْحَدِيدَةَ،

(١) للناطقة الجعدي في اللسان (علق). وقد روي في الأصل: «تضرب» بالرفع، وصوابه بالخفض لأنه جواب الشرط كما في م، وعليه نبه ابن بري. اللسان (علق). وقبله:

وكان الخليل إذا رابني فعاتبته ثم لم يعتب

(٢) هو أفنون التغلبي. اللسان (علق، رأم) والبيان والتبيين (١: ٩) والمفضليات.

(٣: ٦٢) وخزانة الأدب (٤: ٤٥٦).

(٣) كذا في الأصل. وفي م والتبريزي: «وقال عنتره» فقط. ويبدو أن هذا الأخير هو النص الصحيح. وقال التبريزي: «قال أبو هلال: يعني عنتره بن معاوية بن شداد بن قراد بن نخزوم بن مالك بن قطيعة بن عبس، وكنيته أبو المغلس. وفي الشعراء جماعة يقال لهم عنتره منهم هذا، ومنهم عنتره بن عكبرة الطائي، وهو عنتره بن الأخرس، وقد مر ذكره. ومنهم عنتره بن عروس مولى ثقيف، وكان مولدا في بلاد أزد شنومة، شاعر راجز». وانظر الحماسية ٥٣ والمؤتلف والمختلف للآمدي ١٥١ - ١٥٢.

(٤) التبريزي: «وقيل ورد: اسم فرسه».

(٥) في الأصل: «والخشيب»، والوجه ما أثبتنا من م.

(٦) كذا في النسختين، كأنه جعل السيف جنسا، أو لعل: «من» مقحمة.

إذا ضربتَهَا بِالْمِيقَةِ ، كَأَنَّ الْفَرَسَ كَانَ يَضْرِبُ الْأَرْضَ بِحَوَافِرِهِ ضَرْبَ الْحَدِيدِ بِالْمِيقَةِ . وَمِنْ هَذَا قَوْلُ الْهَذَلِيِّ سَاعِدَةً :

وَحَوَافِرُ تَقَعُ الْبَرَّاحَ كَأَنَّمَا أَلْفَ الزَّمَامِ بِهَا سِلَامٌ صُلَّبَ (١)

تَقَعُ : تَقَرَّعَ ، وَالْوَقْعُ : الْقَرَعُ .
الْبَرَّاحُ : الْمَسْوِيُّ مِنَ الْأَرْضِ .

[فَمَعْنَى تَقَعُ الْبَرَّاحُ ، أَي تَقَرَّعَهُ . وَرَوَى الْجَمْحِيُّ هَذَا الْبَيْتَ :

الزَّمَامُ : الشَّرَاتُ اللَّوَاتِي

..... كَأَنَّمَا أَلْفَ (٢) الزَّمَامِ رَدَى سِلَامٌ صُلَّبَ (٣)]

يَكُنْ خَلْفَ الْكَمَا فَرَوْ خَلْفَ ظَلْفِ الشَّاةِ .

وَقَالَ : رَدَى صَخْرَةً ، شَبَّهَ الْأَنْفَ بِهَا ، فَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ يَحْصُلُ التَّوَافُقُ بَيْنَ بَيْتَيْ عَنُرَةَ وَسَاعِدَةَ الْهَذَلِيِّ فِي الْفِظِ أَيْضًا .

السِّلَامُ : الْحِجَارَةُ . يَقُولُ : كَأَنَّمَا لَزِمَ الزَّمَامُ حِجَارَةَ مَكَانِ الْكَمَا فَرِ .

٢ - يَتَابِعُ لَا يَبْتَنِي غَيْرَهُ بِأَبْيَضَ كَالْقَبَسِ الْمُلْتَهَبِ (٤)

التَّابِعُ وَالْمَتَابِعَةُ يَسْتَعْمَلَانِ فِي أَطْرَادِ الشَّيْءِ وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ .

عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

* وَعَرَّاضَةُ السَّيْتَيْنِ تُوْبِعُ بَرِّيَهَا *

* عَجْزُهُ : تَأْوِي طَوَائِفُ الْعَجَسِ بِعَجْرِهِ وَالْبَيْتُ لِذِي سَيْرِ الْهَذَلِيِّ فِي صِفَةِ قَوْسٍ .

وَمَفْعُولٌ يُتَابِعُ مَحْذُوفٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ لِلرَّجُلِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

عَرَّاضَةُ : عَرِيضَةٌ .

السَّيْتَةُ : مِنَ الْقَوْسِ : مَا

عُطِفَ مِنْ طَرَفَيْهَا .

لِلْفَرَسِ . كَأَنَّ الْمُرَادَ : يَتَابِعُ الرَّكْضَ أَوْ الْعَدْوَ . وَمَوْضِعُ لَا يَبْتَنِي نَصْبٌ عَلَى

تَوْبِعُ بَرِّيَهَا : جَعَلَ بَعْضُهُ

يَشْبَهُ بَعْضًا . يَقُولُ : هِيَ

عَرِيضَةٌ مُدْجِمَةٌ مُسْتَدْرِجَةٌ .

الْحَالِ . وَالْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « بِأَبْيَضَ » يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ سَيْفًا . وَالْقَبَسُ : النَّارُ .

شَبَّهُ بِهَا فِي بَرِّيَقِهَا وَلِمَعَانِهَا وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ رَجُلًا كَرِيمًا ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا

الرَّامِي . وَالْعَبْرَةُ : الْمَهْلِكَةُ .

وَالطَّوَائِفُ مِنَ الْقَوْسِ :

مَادُونَ السَّيْتَةِ .

وَاسْتِعْمَالُ الْبِيَّاضِ فِي الْكُرَمِ

وَنَقَاءِ الْعَرِضِ كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ (٥) :

وَاسْتِعْمَالُ الْأَوِيِّ لِلْقَبَسِ

(١) ديوان الهذليين (١ : ١٨٦) .

(٢) في الأصل ، وهو هنا م : « كَأَنَّمَا أَنْفَسَهُ » .

(٣) هذه التكملة من م .

(٤) جعل التبريزي الرواية الأولى : « يتابع » وقال : « أي تهادى هذا الرجل لا يبتني

غير نضلة . والتتابع في الشر دون الخير . ويروى : يتابع ، ومفعول يتابع محذوف » .

(٥) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٨٣ .

* أُمَّكَ بَيْضَاءَ مِنْ قُضَاعَةٍ (١) *

فأما معنى قوله « يبتغى غيره » فيجوز أن يكون أن همته كانت موكولة به لا بشيء من الغنائم والأموال . وكأنه ألم بقوله :

* أَغَشَى الْوَعَى وَأَعَفُّ عِنْدَ الْمَغَمِّ (٢) *

ويجوز أن يريد أن قصده في الطلب كان إليه لا إلى غيره من الناس .

٣- فَمَنْ يَكُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي فَإِنَّ أَبَا نَوْفَلٍ قَدْ شَجِبَ

أضاف المصدر في قتله إلى المفعول . يقول : مَنْ شَكَّ فِي قَتْلِ وَرْدٍ لِنَضْلَةٍ فَلْيُزِلِ الشَّكَّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلْيَدْعِ الْارْتِيَابَ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ هَلَكَ لَا مَحَالَةَ . وَأَبُو نَوْفَلٍ : كَفِيَّةٌ نَضْلَةٌ . وَفِي الْكَلَامِ تَهَكُّمٌ وَإِظْهَارٌ شِمَاتَةٌ . وَيُقَالُ شَجِبَ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، إِذَا هَلَكَ ، فَهُوَ شَاجِبٌ ، وَشَجِبَ بِكَسْرِ الْجِيمِ فَهُوَ شَجِيبٌ ، لَفْتَانٌ .

٤- وَغَادَرْنَا نَضْلَةً فِي مَعْرَكٍ يَجْرُ الْأَسِنَّةَ كَالْحُطْبِ

النون ضمير الخيل . يقول : تَرَكَتِ الْخَيْلُ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا انْكَشَفَتْ عَنْهُ وَهُوَ فِي مُزْدَحَمِ الْحَرْبِ جَارًّا لِلْأَسِنَّةِ الْمَكْسُورَةِ فِيهِ عِنْدَ الطُّغْنِ ، كَأَنَّهُ جَامِعٌ حُطْبٍ . وَيُقَالُ أَحْرَزْتُ فُلَانًا الرَّمْحَ فَجَرَّهُ ، أَيْ كَسَرْتُهُ فِيهِ لَمَّا طَعَنْتُهُ فَصَارَ يَجْرُهُ . وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

* أَجْرَهُ الرُّمْحَ وَلَا تَهَالَةَ (٣) *

وحكى بعضهم أن المحتطب : دُوَيْبَةُ تَمْرٌ عَلَى الْأَرْضِ فَيَعْلَقُ بِهَا الْعِيدَانُ .

(١) هو بتمامه كما في الديوان وما مضى في حواشي الحماسية ٢٥ : ٣ :

أملك بيضاء من قضاة في ال * بيت الذي يستكن في طنبه

(٢) لعنتره في معلقته . وصدوره :

* يخبرك من شهد الواقعة أنني *

(٣) سبق إنشاده في البيت السابع من الحماسية ٢٩ ص ١٦٢ .

ويكون المعنى يجرُّ الأسنَّة كما تجرُّ هذه الدُّويبة العيدان . وهذا تصويرٌ
للخفيِّ بالجلِّي .

١٤٥

وقال عروة بن الورد (١) :

١ - لَحَى اللهُ صُغْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ آفَاءً كُلَّ مَجْزِرٍ (٢)

لَحَى اللهُ : كلمةٌ تُستعملُ في السَّبِّ ، وأصله اللَّوْمُ والقَشْرُ أيضًا . والصُّغْلُوكُ :
الفقير . يقول : زاد اللهُ كلَّ فقيرٍ يرضى من عَيْشه بأن يطُوفَ في المَجَازِرِ إِذَا أَظْلَمَ
عليه الليلُ ، ويلتقطُ المَشَاشَ منها كأنه يصافيه ويلازمها حُبًّا لها - فقراً (٣) .
وإنما قال هذا على وجه الإنكار . أي لِمَ يَقنعُ بذلك ، وماله يُسِفُّ لمثلِ هذا
المَطْمَعِ الخسيسِ ولا يَطْلُبُ مَعَالِي الأُمُورِ . والمَشَاشُ : كلُّ عَظْمٍ هَشٍّ دَسِيمٍ ،
والواحدُ مَشَاشَةٌ . وقوله « مُصَافِي المَشَاشِ » نَكْرَةٌ ، وانتصبَ على أنه صفةٌ
لقوله صُغْلُوكًا . وإضافته ضعيفةٌ ، لأن المَشَاشَ أُشيرَ به إلى الجنسِ ، ولا يَحْصُلُ
التخصيصُ بالإضافة إليه . وعلى هذا قولهم : قَيْدُ الأَوَابِدِ ، وَدَرَكُ الطَّرِيدَةِ وما
أشبهه . وكان يجب أن يجرَّك الياء من مُصَافِي بالفتح ، فسكَّنه لأن منهم من
يُجرِّي الفتحَةَ في مثله من المعتلِّ مجرى سائر الحركات فلا يُثْبِتُها .

• يقال : فرس قيد
الأوابد : أي سقيد
طريده ، فلا تقلت منه ،
منه قيد لها لأنه يسبقها
فينمها من الفوت .
والأوابد : الومش .

٢ - بَعُدُّ الغِنَى من نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا من صَدِيقٍ مُيسِّرٍ

(١) التبريزي : « سمي بالعروة من اشجر ، وهو ما لا يبيس في الشتاء فتستغيث به الإبل
في الجذب » . وعروة : شاعر جاهلي فارسي من بني عبس ، كان يلقب عروة الصعاليك ، لجمعه
إياهم وقيامه بأمرهم . انظر الأغاني (٢ : ١٨٤ - ١٩٠) واللاحي (٨٢٣ - ٨٢٤)
والخزانة (٤ : ١٩٤ - ١٩٦) والشعر والشعراء ٦٥٧ .

(٢) رواية الديوان : « مضى في المشاش » .

(٣) فقرا ، مفعول « زاد » في أول هذه العبارة .

يقول : لِفِرَاحِهِ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ كَسْبِهِ الدِّينِيَّ ، وَرِضَاهُ عَنْ أَيَّامِهِ بِعَيْشِهِ اللِّثِيمِ
يَعُدُّ — إِذَا أَصَابَ الْقِرْمَى لَدَى صَدِيقٍ وَوَلِدَتْ لَهُ شَيْئاً فَاتَّسَعَ اللَّبَنُ عِنْدَهُ وَفِي
رَحْلِهِ — الْغِنَى مُحُوزاً لَهُ ، وَمَحْصَلاً عِنْدَهُ ، فَلَا غَضَاضَةً تَلْحَقُهُ ، وَلَا أَنْفَةً تَقْبِضُهُ .
وَالْمَيْسِرُ ضِدُّ الْمَجْنَبِ ، يُقَالُ يَسَّرَ الرَّجُلُ وَبَسَّرَتْ غَنِمُهُ . وَجَنَّبَ الرَّجُلُ ،
إِذَا قَلَّتِ الْحُلُوبَةُ فِي إِبْلِهِ وَغَنِمِهِ . قَالَ :

* وَكَلُّ عَامٍ عَلَيْهَا عَامٌ تَجْنِيبٌ ^(١) *

وقوله « أَصَابَ قِرَاهَا » أَضَافَ الْقِرْمَى إِلَى اللَّيْلَةِ عَلَى الْمَجَازِ ، وَالْمِرَادُ
قِرَاهُ فِيهَا .

٣ — يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ ^(٢)

يقول : يَنَامُ هَذَا الصُّغْلُوكُ لِدَنَاءَةِ هِمَّتِهِ ، وَقِوَامَةِ مَعِيشَتِهِ ، وَاسْتِيْلَاءِ الْكَسَلِ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَكْسَبِهِ قُبْلَ اللَّيْلِ ^(٣) ، لِأَنَّ هِمَّتَهُ ^(٤) فِي رَاحَتِهِ وَنَوْمِهِ ، وَحِرْصِهِ عَلَى
مَا يَسُدُّ جَوْعَتَهُ بِهِ . ثُمَّ يَأْتِي الصَّبَاحُ عَلَيْهِ وَهُوَ نَاعِسٌ بَعْدُ ، غَيْرَ قَاضٍ حَاجَتَهُ
مِنَ الرَّقَادِ ، وَلَا ضَجِيرٍ فِي مَضْجَعِهِ بِالتَّسَاقُطِ وَالْأَنْجِدَالِ ، يَنْفِي عَنْ جَنْبِهِ مَا أَصِقَ
بِهِ مِنَ الْحَصَى وَالتُّرَابِ ، وَنَشِبَ فِيهِ مِنْ دُقَاقِ الْحَصَى . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَامَ بِلا
وِطَاءٍ . وَقَوْلُهُ « يَحْتُ الْحَصَى » أَي يُسْقِطُهُ ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ يَحُطُّ . وَالعَفْرُ :
التُّرَابُ . وَيُقَالُ عَفَّرْتُهُ فَتَعَفَّرَ .

(١) للجميع الأسدي في المفضليات (١ : ٣٣) وصدوره :

• الحلوبية : ما حلب من الإبل . * لما رأته إبلي قلت حلوبتها *

(٢) الديوان : « ثم يصبح طاويا » .

(٣) م : « ومكسبته . وقبل كل شيء » : أوله .

(٤) كذا على الصواب في م . وفي الأصل : « لأن نهمته » .

٤ - ولكن صغلو كما صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور (١)

صفحة الرجل وصفيحته : عرض وجهه . يقول : ولكن فقيراً مشرق الوجه صافي اللون ، لا يتخشع لفقره ، ولا يتدلل إذا أثر الدهر فيه ، فكان ضوء وجهه ضوء نار القابس المتنور . والقابس هاهنا ذو القبس معناه . والقبس : النار ، ويكون القابس الطالب . ويقال : أقبستني نارك . والمتنور : المتفعل من النار . ويقال تنورت النار ، أي نظرت إليها واستضأت بنورها . ومنه قول امرئ القيس :

تنورتها من أذرعَاتِ وأهلها بيثرب أدنى دارها نظراً على
وموضع « صفيحة وجهه » مع خبره نصب على أن يكون صفة لصغلو كما
وخبر لكن يجيء فيما يجيء من بعد . وقوله « صفيحة وجهه » حذف المضاف
منه لأن المراد ضوء صفيحة وجهه كضوء شهاب ، فأقام المضاف إليه مقامه .

٥ - مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيع المشهر
يقال : أطل على كذا ، إذا أوفى عليه . والمنيع ، قال الخليل : هو الثامن
من القداح . وقال أبو عمرو : المنيع والسفيح والوغد قداح لا أنصباء لها ،
وإنما يكثر بها القداح فهي تجال أبداً ، وقال الأصمعي : المنيع الذي لا يفتد
به . فيقول : ولكن الفقير الوضيء الوجه ، الذي يبذل جهده ويبتذل نفسه
في طلب غناه ، ويقصر سعيه على ما يبلغ به غدره فيشرف على أعدائه غزياً
ومغيراً ، وهم يزجرونه حالاً بعد حال ، ويكره هو عليهم وقتاً بعد وقت يزجر
هذا القدح في خروجه ومع ذلك يرد . وخبر لكن بعد لم يجيء .

(١) بين هذا البيت وسابقه عند التبريزي :

يُعينُ نساءَ أُلحِيٍّ ما يستعنهُ ويُمسي طليحاً كالبعيرِ المحسّرِ

٦ - إِذَا بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوَّفَ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ (١)

يقول : هذا الفقير لا يَقْمُدُ به عن طَلَبِ الأعداء والإغارة عليهم والنيل منهم مُبْعَدُ الغزاة وتناهي الدار ، فهم لا يأمنونه وإن شَحَطُوا ، بل يتشوّفونه تشوّف الغائب المتنظر ، أي كما يُتَشَوَّفُ غَائِبٌ دَنَا قَوْلُهُ وَيُنْتَظَرُ . وانتصب « تشوّف » على المصدر فيما دلّ عليه لا يأمنون اقترابه ، ومفعول تشوّف محذوف ، كأنه قال تشوّف أهل الغائب رجوعه .

٧ - فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيداً وَإِنْ يَسْتَنْغِنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ

يقول : ذلك الصُّعْلُوكُ إِنْ أَدْرَكَهُ الأَجَلُ ، قَبْلَ نَيْلِ الأَمَلِ ، لَقِيَهُ مَحْمُوداً ، إِذْ كَانَ قَدْ فَعَلَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ ، وَأَقَامَ عُدْرَهُ فِي مَطْلُوبِهِ بِاسْتِفْرَاغِ الوُسْعِ فِي السَّعْيِ لَهُ ، وَإِذْ كَانَ التَّبِعَةُ فِيمَا فَاتَ عَلَى مَنْ يَمْلِكُ العَوَاقِبَ دُونَهُ . وَإِنْ نَالَ الغِنَى يَوْمًا فَمَا أَخْلَقَهُ بِذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ » خَبَرُ قَوْلِهِ وَلَكِنْ صُعْلُوكًا لَوْ انْفَرَدَ عَنْ قَوْلِهِ فَذَلِكَ ، لَكِنَّهُ لَمَّا تَرَخَى الخَبَرَ عَنِ الخَبَرِ عَنْهُ وَتَبَاعَدَ المَقْتَضَى عَنِ المَقْتَضَى لَهُ أَتَى بِقَوْلِهِ فَذَلِكَ ، مُشِيرًا بِهِ إِلَى الصُّعْلُوكِ . فَصَارَ إِنْ يَلْقَى خَبْرًا عَنْهُ . وَسَاعَ ذَلِكَ لِأَنَّ المَرَادَ بِالأَوَّلِ وَالثَّانِي شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَمِمَّا أُجْرِي هَذَا الجُرَى لِحْصُولِ مِثْلِ هَذَا التَّرَاخِي فِيهِ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا ﴾ (٢) أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللهُ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ ، فَأَعَادَ أَنْ فِي قَوْلِهِ « فَإِنَّ » كَمَا تَرَى .

(١) الديوان : « فإن بعدوا » .

(٢) هذه قراءة الحسن والأعرج . وقراءة الجمهور : « ألم تعلموا » بالياء . انظر تفسير

أبي حيان (٥ : ٦٤) .

١٤٦

وقال عنتره بن شداد العبسي (١) :

١ - تَرَكْتُ بَنِي الْهَجِيمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ

البيت يُرَوَى عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا :

تَرَكْتُ بَنِي الْهَجِيمِ لَهُ دَوَارًا إِذَا يَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ يَعُودُ

ويكون الضمير في قوله له للفرس ، ويمضي فعلٌ له ، وجماعتهم ينتصب على المفعول ، لأنَّ يمضي هذا يتعدى ، ومعناه يُجَاوِزُهُمْ . ويكون المعنى : تَرَكْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لِفَرَسِي مَطَافًا بِمَنْزِلَةِ الدَّوَارِ - وَهُوَ صَنْمٌ كَانُوا يَحْجُونَهُ - يَطُوفُ حَوْلَ ذَلِكَ الصَنْمِ ، إِذَا نَفَذَهُمْ وَخَرَقَ صَفُوفَهُمْ وَدَارَ عَلَيْهِمْ عَادَ إِلَى مِثْلِ فَعَلِهِ الْأَوَّلِ ، وَإِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ . وَيُشَبِّهُ هَذَا الْبَيْتَ بَيْتَ الْأَعَشَى فِي الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ ، وَهُوَ :

تَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَتَمَضِيهِمْ كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ الْمُرْتَجِمُ

وجاء في الحديث حُجَّةٌ لَتَعْدِي يَمَضِي ، فِي صِفَةِ الْمَحْشَرِ : « يَمَضِيهِمِ الدَّاعِي وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ » .

والثاني أن يُرَوَى :

تَرَكْتُ بَنِي الْهَجِيمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ

والمعنى : تَرَكْتُهُمْ يَطُوفُونَ حَوْلَ قِتْلَاهُمْ كَمَا يُطَافُ عَلَى ذَلِكَ الصَنْمِ ، أَوْ ذَلِكَ النَّسْكَ ، فَإِذَا انْقَضَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَادَتْ الْأُخْرَى لِلنَّظَارَةِ (٢) . وقوله « جماعتهم » يريد جماعةً منهم ، فَأَضَافَ الْبَعْضَ إِلَى الْكُلِّ ، وَلَيْسَ يَرِيدُ جُمْلَتَهُمْ ، فَهُوَ فِي

(١) سبقت له الحماسية ١٤٤ .

(٢) كذا وردت الكلمة بضمها في الأصل . وهي ساقطة من م .

حِكْمِ النَّكِرَاتِ . وَمَوْضِعُ « لَمْ دَوَّارٌ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَقَوْلُهُ « تَعُودُ »
فَاعِلُهُ مُضْمَرٌ ، وَهُوَ جَمَاعَةٌ أُخْرَى ، فَكَتَفَى بِذِكْرِ الْأُولَى عَنْهَا .

٣ - تَرَكَتُ جُرْيَةَ الْعَمْرِيَّ فِيهِ شَدِيدُ الْعَيْرِ مُعْتَدِلٌ سَدِيدٌ

يَفْتَخِرُ بِأَنَّهُ أَصَابَ الْمَذْكُورَ ، لَمَّا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُحْكَمِ النَّصْلِ ، مُقَوِّمِ
الْقِدْحِ ، صُلْبِ الْعَيْرِ ، سَدِيدِ الْوَقْعِ . وَمَوْضِعُ قَوْلِهِ « فِيهِ شَدِيدُ الْعَيْرِ » نَصَبٌ
عَلَى الْحَالِ . وَالْعَيْرُ : النَّاتِيُّ مِنْ وَسْطِ النَّصْلِ . وَقَدْ أُقِيمَ الصِّفَةُ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ ،
لَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سَهْمٌ شَدِيدُ الْعَيْرِ . وَلَوْلَا مَا حَصَلَ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِإِضَافَةِ الشَّدِيدِ
إِلَى الْعَيْرِ لَمَّا جَازَ ذَلِكَ فِيهِ ، لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ حَتَّى يَدُلَّ عَلَيْهِ
دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ . فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَامَّةً فِي أَجْنَاسٍ ، فَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِيهِ . لَوْ قُلْتَ
مَرَّرْتُ بِطَوِيلٍ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ رَجُلًا ، لَمْ يَحْسُنْ ، لِأَنَّ الطَّوِيلَ يَكُونُ فِي
غَيْرِ الرِّجَالِ كَمَا يَكُونُ فِي الرِّجَالِ وَلَوْ قُلْتَ مَرَّرْتُ بِكَاتِبٍ ، يَحْسُنُ إِذَا كَانَتْ
الْكِتَابَةُ مُخْتَصَّةً .

* كَانَتْ بَنُو عَيْسَى غَزَتْ بَنِي
عَمْرٍو بِنِ السَّهْمِ ، فَقَاتَلُوهُمْ
قِتَالًا شَدِيدًا ، فَرَمَى عَمْرِيَّةٌ
رَجُلًا مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ : جُرْيَةُ ،
وَكَانَ شَدِيدًا رَشِيمًا ،
فَظَنَّ أَنَّهُ قَتَلَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ .

٣ - فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفِتْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفْقَدُ فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ

كَانَ مِنْ رَمُوزِهِمْ أَنَّ الْوَاحِدَ إِذَا رَمَى بِسَهْمٍ وَأَرَادَ سَلَامَةَ الرَّمِيَّةِ مِنْهُ رَقَى
سَهْمَهُ بَعُودَةً وَنَفَثَ فِيهِ ، ثُمَّ رَمَى بِهِ ، وَإِذَا أَرَادَ هَلَاكَهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ . وَمِثْلُ
هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ (٤) :

فَلَمْ أَرْقِهِ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمِتْ فَرَمِيَّةٌ لَا غُسَّ وَلَا بِمُعَمَّرٍ (٣)
وَقَوْلُهُ « فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ » الْمَبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ فَهُوَ حَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ ،

(١) التبريزي : « إنما قال العمري لأن الهجيم ابن عمرو » . ورواية التبريزي :
« معتدل شديد » بالشين .

(٢) هو زهير بن مسعود ، كما في اللسان (غسس) . وقد سبق الاستشهاد بعجز البيت
في ص ٣٥٣ .

(٣) فيما سبق وفيما سيأتي في الصفحة التالية : « فطعنة لاغس » . ونخشى أن تكون
الرواية التبست على المرزوقي .

لأنَّ الفاء يُجَلَّبُ في الجزاء إذا كان الجواب بالابتداء والخبر ، ولو قُصِدَ إلى أن يكون الفعل جواباً لا يُسْتَغْنَى عن الفاء . وبعض من يدفَع هذه الطريقة يقول لا رُقِيَّةَ ولا نَفَثَ ، إنَّما كَنَّوا عن الإبقاء بمثل هذا الكلام . وقوله : « وإن يُفْقَدَ » فهو مثل قوله « فَطَعْنَةُ لا عُسَّ » . والمعنى : إن يَبْرَأَ فليس ذلك من بُقْيَايَ ، وإن يَهْلِكُ فواجِبٌ لأنَّ المصابَ بمثله يَهْلِكُ لا مَحَالَةَ .

ع - وما يَدْرِي جُرِّيَّةٌ أَنْ نَبِيٍّ يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ
بجفير : الكنانة التي تجعل فيها السهام .

يُرْوَى : « وهل يَدْرِي جُرِّيَّةٌ » . والمعنى لا يعلم أنه كما أني أصبته فدأبي وعادتي أن تكون الأبطال النجداء لِنَبِيٍّ بمنزلة الجعبة ، أصيبتهم أبدأ بها . وفي ذكره البطل النجيد إمام بقول الآخر (ط) :

..... ونَصَّ عَطَادُ نَفُوسًا بِنْتِ عَلِيٍّ كَرَمٍ (٤)

وبقول الآخر (٥) :

من عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

وأخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُفُونِهَا فَقَدْ أُنْكِنْتَ بَيْنَ الظُّلَى وَالْجَاجِمِ (٤)

ويجوز أن يُرِيدَ بالبطل النجيد جُرِّيَّةَ بعينه ، ثم يجوز أن يكون مُتَهَكِّمًا فيما وَصَفَهُ به ، ويجوز أن يكون مادِحًا له ، لأن مدحَ خصمه وقتَ غلبه راجِعٌ إليه .

(١) أحد بني بولان ، من طيبي* . الحماسية ٣١ .

(٢) صدره : * نستوقد النبل بالحضيض ونص *

(٣) هو بشامة بن الغدير . الحماسية ١٣٤ .

(٤) كذا في م والديوان ٣٨٧ . وفي الأصل : « ولا تطلبوا » .

١٤٧

وقال قيس بن زهير العبسي سيّد بني عبس (١) :

١ - تَعَلَّمْ أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ لَا يَرِيمُ (٢)

يُرْوَى « أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا » ، والمعنى هو حيٌّ ، وقوله « عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ » خبرٌ أَنَّ . ويروى : « مَيْتًا » وإعراجه على ما ذكرناه في حَيًّا . ويروى : « مَيْتٌ » وارتقاءه على أَنَّهُ خبرٌ أَنَّ ، و « عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ » في مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ . ومعنى تَعَلَّمْ : اعْلَمْ . ولا يقال في جوابه تَعَلَّمْتُ ، اسْتُغْنِي عَنْهُ بَعَلِمْتُ . وَيَعْنِي بِخَيْرِ النَّاسِ حَمَلُ بَنِ بَدْرِ . وَجَفْرُ الْهَبَاءِ : بَثْرٌ قَرِيبَةٌ الْقَعْرِ ، وَمَاوَاهَا كَثِيرٌ مَعِينٌ . وَكَانَ حَمَلٌ انْهَزَمَ فِي وَقْعَةٍ بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْهَبَاءِ أَمِنَ لِبُعْدِهَا عَنِ الطَّلَبِ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَمْتَرِدَ ، فَاتَّفَقَ كَلْحَاقُ قَيْسٍ بِهِ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ ذَوِيهِ ، فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

٢ - وَلَوْ لَا ظَلَمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

أشار بالظلم إلى ما جرى بينهم في أمرٍ داحسٍ والغبراء ، وإنكاره السَّبْقَ ، وَرَكُوبَهُ الْبَغْيَ . وَقَوْلُهُ « مَا طَلَعَ النُّجُومُ » يَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الدَّهْرِ . وَالْمَعْنَى : لَوْلَا مَا أَسْلَفَهُ مِنَ الظُّلْمِ لَأَقْتَضَى مَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالذَّمِّ ،

(١) قيس بن زهير العبسي شاعر جاهلي فارسي . وهو صاحب داحس ، وكانت الغبراء فرس حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد أجرى السبق بين الفرسين فوضع حمل بن بدر أخو حذيفة كميناً يصدون داحسا عن الغاية ، وحدث خلاف أيهما السابق ، فنشبت الحرب بسبب ذلك بين عبس وفزارة ، واستمرت أربعين عاما قتل فيها خلق كثير . انظر العقد والأغاني (٧ : ١٤٣ / ١٦ : ٢٣) والكامل ٣٤٣ والميداني (١ : ٢ / ٣٥٩ : ٥١) .

(٢) جعل التبريزي الرواية الأولى : « أَنْ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ » ثم نبه على روايتي « حيا »

و « مَيْتًا » .

والتشاجر والرحيم - البكاء عليه مدة الدهر . وقوله « ما طلع » بمنزلة المصدر ، وقد حذف اسم الزمان معه . والمراد بذكر الدهر الكثير والمبالغة والتأيد . وقد بينه بقوله « ما طلع الدجوم » ، لأنه على ذلك يصح أن يكون بدلاً منه . فمعنى « عليه الدهر » عليه طوال الدهر^(١) ، وامتداد الدهر .

٣ - ولكن الفتى حمل بن بدرٍ بغي والبغي صرتمه وخيم

يقول : استعمل البغي واستوبل العافية ، واستدم المرتع ، ومن بغي عليه فإنه ينصر . ويقال : بغي الرجل على فلان ، أى جار . وبغى الفرس في عدوه ، وهو فرس باغ ، وذلك إذا اختال وصرح . وإذا استعمل في الفخار والاستطالة فهو من هذا . والوخامة : الثقل يعرض من الطعام . يقال وخم وخامة فهو وخيم ووخيم ، أى لا يستمرأ .

٤ - أظنُّ الحليمَ دلَّ على قومي وقد يستجهلُ الرجلُ الحليمُ^(٢)

يقول : احتمالي من عشيرتي ، واستمال الحليم معهم ، هو الذي جسَّهم على فيما أظن ، ودلَّهم على قضي واهتضامي على ما يتبين . ثم قال « وقد يستجهلُ الرجلُ الحليم » أى إذا أخرج الحليم وأخرج^(٣) فقد يتكلف ما لا يكون معهوداً في طبعه ، ولا موجوداً من خلقه . وإنما نبه بهذا الكلام على أنه يتحلم عن الأدنين ، ويصبر على أذاهم ، وأنه لئما عيل صبره وحمل فوق ما في وسعه ، خرج عن المعتاد منه إلى غيره .

(١) كذا في م . وفي نسخة الاصل : « طول الدهر » .

(٢) أنشد بعده التبريزي :

ومارست الرجال ومارسوني ففوج عليّ ومستقيم

(٣) في الاصل : « وأخرج » ، والصواب ما أثبتنا من م «

١٤٨

وقال مساور بن هند (١) :

١ - سائلٌ تميمًا هل وفيتُ فإني أعددتُ مكرمتي ليومِ سبابِ

يقول : سائل تميمًا هل كان مني وفاءٌ بما تضمّنته لجاري ، فإني رجلٌ نظارٌ في أعقاب الأحاديث ، مهتمٌّ بإعداد المكارم ليومِ النّفار ، شديدُ النزاع في مجالس الفخار . كأنه يقرّر خصماءه على ما كان من وفائه ، ليُسقط التّبعة عنه فيه ، ويُنبّه على أنه يُراعي أفعاله فيخلّصها مما يُعدُّ سيئةً وسبّةً ووصمةً في جسبه .

٢ - وأخذتُ جارَ بني سلامةَ عنوةً فدفعتُ رِبْقتهُ إلى عتابِ

عتابٌ هذا كان معتصمًا بجبله ، ومستظهرًا بذمته ، فلاحقه من بني سلامة اهتضامٌ في أمر ، فجاء مساورٌ ومكّنه من جارهم ، وأعطاه رِبْقته ليتحكّم فيه ، ويشتفي لما لحقه منهم . وهذا الكلامُ بيانٌ لكيفية وفائه والخروج إلى جاره مما كان تضمّن له . وقوله « عنوةً » أي قهراً ، وهو مصدرٌ في موضع الحال . ويقال : أخذَ بلدًا كذا عنوةً ، أي قهراً بالسيف . والرّبقة : الخبلُ يُشدُّ في عنقِ البهائم ، وقد توسّعوا فيه فقالوا : خلع فلان رِبقة الإسلام . وقوله « فدفعتُ رِبْقته » ، هو كما يُقال دفعتُ مقادته .

٣ - وجلبتُه من أهلِ أبضة طائعا حتى تحكّم فيه أهل إرابِ

(١) هو المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي . شاعر فارس مخضرم . أدرك النبي ولم يجتمع به ، ويقال إنه ولد في حرب داحس قبل الإسلام بخمسين عاما . الإصابة ، والخزائن (٤ : ٥٧٣) والشعر والشعراء ٣٠٧ . وفي المبهج أن « مساور » منقول من اسم الفاعل . وأما هند فعلم مرتجل .

الهاء من « جَلَبْتُهُ » ترجع إلى دار بني سلامة . وأَبْضَةٌ : اسم ماء . وقوله « جَلَبْتُهُ طائعا » تنبيهٌ على أنه وإن لَزِمَهُ لِحَارِهِ الانتقام له من خصمه ومهتَضِمِيهِ فقد تبرَّع له بما لم يكن عليه ، وتكلف فيه ما لم يلزمه . وإرابُ : موضع ، وقيل إرابُ : ماء لبني العنبر . وأَبْضَةٌ : ماء لطيفٌ . والأَبْضُ كالعقل ، ومنه المَأْبِضُ في الرَّجْلِ . وقيل للغرابِ مُؤْتَبِضُ النَّسَا ، لأنه يحجل فكَانَهُ مأبوض .

١٠. المأبض : باطن الرتبة
والمرْفِقُ .

٤ - قتلوا ابن أختهم وجار بيوتهم من حينهم وسفاهة الألباب
يشهر بفعلتهم الذميمة ويُنددُ ، فيقول : قطعوا الرَّحِمَ ونقضوا العهد ، وارتكبوا ما كان محظورا في الدين والمرؤة ، والعهد والذمة ، فقتلوا جارهم وابن أختهم ، بحفّة عقولهم ، واقتراب هلاكهم . والسفّة : الخفّة في الأصل ، ومنه قيل زمام سفينة ، إذا كان كثير الاضطراب ، ومنه قيل : تسفّمت الرياح الغصن ، وتسفّته عن ماله . واللّبُّ : العقل ، والفعلُ منه لَبَّ يَلْبُ . وقالت صفية بنت عبد المطلب (١) : « أضرِبهُ لَكِنِّي يَلْبُ ، وَيَقُودَ الْجَيْشَ ذَا الْجَلْبِ (٢) » .

٥ - غدرت جديمة غيراني لم أكن أبدا لأولف غدره أتوابي
غيرهم باستعمال الغدر وترك الوفاء للجار ، ثم برأ ساحتَهُ من تعاطي مثل فعلهم ، ونزهة نفسه عن ارتكاب نظير ما ارتكبوه . فأما قوله « لم أكن لأولف » فاللامُ فيه لام الجحود ، وانتصابُ الفعلِ بأن مضمرة بينه وبين اللام . وموضع « لأولف » نصبٌ على أنه خبر كان ، وانتصاب غير على أنه استثناء

(١) في الأصل : « عبد الملك » ، صوابه في م واللسان (لِب) . وكانت قد ضربت

الزبير فقبل لها : لم تضربينه ؟

(٢) ويروى : « ذا العجب » .

مُنْقَطِعٌ . وَذَكَرَ التَّوْبَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْكِتَابَةِ عَنِ النَّفْسِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

نُبِّيتُ أَنْ دَمًا حَرَامًا نَلْتُهُ فَهَرِيْقَ فِي تَوْبِ عَلَيْكَ مُحَبَّرٍ

وقد قيل معنى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ ﴾ ، أَي نَفْسَكَ . ويقولون

على هذه الطريقة : فُلَانٌ عَمْرُ الرَّدَاءِ ، وَعَفِيفُ الْحِجْزَةِ ، وَالْمُرَادُ النَّفْسُ .

وعلى هذا قول النابغة :

* رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ * (١)

وقول الهذلي (٢) :

تَبَرَّأُ مِنْ دَمِّ الْفَتِيلِ وَبَرَّهْ وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَّ الْفَتِيلِ إِزَارُهَا

• الفَرَّ مِنَ الشَّيْبِ :
الوَاسِعُ السَّاتِرُ .
وَيُقَالُ : رَجُلٌ عَمْرُ الرَّدَاءِ
وَعَمْرُ الْخَلْقِ ، أَي وَاسِعُ
الْخَلْقِ سَمِيحُ الْمَرْوَفِ
سَمِيحِي .

وَأَصْلُ الْحِجْزَةِ : مَوْضِعُ
شَدِّ الْإِزَارِ مِنَ الْوَسْطِ ،
وَمَوْضِعُ الْبَيْتَةِ مِنَ السَّرَاوِيلِ .

٦ - وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ تَتْرُكُوا أَحَدًا يَذُبُّ لَكُمْ عَنِ الْأَحْسَابِ

الْخِطَابُ يُوجَّهُ إِلَى جَذِيْمَةٍ وَهُوَ مِنْهُمْ ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ لَهُمْ أَحْسَابًا يُحْتَاجُ
إِلَى الذَّبِّ عَنْهَا ، وَيَنْصَحُ لَهُمْ بِالْإِبْقَاءِ عَلَيْهَا ، وَتَرَكِ الْأَفْعَالَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى
الْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ وَمِنْهَا ، لَكِنَّهُ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِمَّا عَصَبَ مِنَ الدَّمِّ بِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمْ
مِنْ ذَمِّ الْقَوْلِ فِي شِيْمِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، فَقَالَ : إِذَا رَكِبْتُمْ مِنْ شَنِيعِ الْغَدْرِ مِثْلَ
مَا أَنْكَرْتُهُ اشْتَهَرَ أَمْرُكُمْ ، وَانْتَفَى النَّسِيبُ وَالْغَرِيبُ مِنْ مُلَابَسَتِكُمْ ، وَخُلِيَ
بَيْنَ الْقَادِحِ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ وَبَيْنَكُمْ ، فَلَا يَذُبُّ عَنْكُمْ ذَابٌ ،
وَلَا يُدَافِعُ دُونَكُمْ مُدَافِعٌ ، وَتَفَرَّدْتُمْ بِالْعَارِ الْوَاحِدِ ، وَالتَّهْجِينِ الْعَائِدِ .

(١) : عجزه :

* يحيون بالريحان يوم السباسب *

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٤٦) .

١٤٩

وقال العباس بن مرداس (١) :

١ - أَبْلِغْ أَبَا سَلَمَى رَسُولًا يَرُوعُهُ وَلَوْ حَلَّ ذَا سِدْرٍ وَأَهْلِي بَعْسَجَلِ

٢ - رَسُولَ امْرِئٍ يُهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً فَإِنْ مَعَشَرُ جَادُوا بِعِرْضِكَ فَأَبْخَلِ

يخاطب بقوله « أبلغ » صاحباً له ، يقول أدُّ إلى أبي سلمي رسالةً تفزعه على ما يفتننا من البعد ، وعلى استيطانه ذا سدرٍ ونزولِ أهلي بعسجلٍ . وذو سدرٍ : موضع فيه السدر ، وهو شجرُ النَّبِيِّ . وعسجلٌ : موضعٌ من حرَّةِ بني سليم ، وبينهما مسافةٌ بعيدةٌ . والرَّسُولُ يقع على المرسلِ والرَّسَالَةِ جميعاً ، ويجري مجرى المصادر ، فيقع على الواحدِ فما فوقه ، ومجازُ « لو حلَّ » مجازُ الشرطِ ، فهو يفيدُ معنى إن ، كأنه قال : أبلغه ذلك فإني لا أذخره نصحياً ، وإن بعد عني وعن عشيرتي . وانتصب « رسول » من البيت الثاني على أنه بدلٌ من رسولاً يرُّعه . ونقل الكلام في البيت الثاني عن الإخبار إلى الخطاب ، لتكون الوصاةُ أنجع ، والرسالةُ أبلغ . وإنما قال « رسولاً يرُّعه » لما فيه من التحذير . فيقول : أدُّ إليه رسالةً رجُلٌ مُتَنَصِّحٌ متقرَّبٌ ، وعلى ما يكون فيه صلاحه وخلاصه مُنْذِبٌ . وقوله « فإن معشرُ جادوا بعرضك » تعريضٌ بمن كان يَفُشُّه ويخونُه ، ويداجيه فيما استشاره فيه فلا يصدقه . وارتفع « معشرٌ » بفعلٍ مضمَرٍ « جادوا » تفسيره ؛ لأنَّ إنَّ بالفعلِ أُولَى ، والمعنى : إنَّ عرضك مَنْ لا يُهمُّه سلامةُ عرضك لما فيه ذهابُ النفس وتلفُ المهجَّةِ ، وتسخِّي بك

(١) هو العباس بن مرداس السلمى الصحابى ، أسلم قبل فتح مكة ببسبر . وأمه الخنساء الشاعرة ، وكان العباس من المؤلفات قلوبهم . الخزانة (١ : ٧٣) والإصابة ، والأغاني (١٣ : ٦٢ - ٧٠) والمرزباني ٢٦٢ - ٢٦٣ واللاطي ٢٢ - ٣٣ والطبري (٣ : ١٣٦ - ١٣٧) والشعر والشعراء ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٧٢٢ - ٧٢٥ .

وبما يجمعك وإيابه من أسباب المودة والأحمة ، فابخل أنت به وتماسك ،
قبيل فوت الوقت ، وانظر ليومك وغدك قدام تولى الأمر .

٣ - وإن بوءوك مبركا غير طائل غليظا فلا تنزل به وتحول

يقال : بوءأته مَبُوءاً صِدْق ، أى أحلته . والمبأة : المنزل . يقول : وإن
حملوك على مَرَكَبٍ غيرِ وطيءٍ يسومونك فيه خسفا ، وأنزلوك منزلاً خشناً
حزناً بوءتر في فففات الإبل فيدميها ، ويستوعره الركب فلا يرونه منزلاً
لها ، فلا ترض به ، وانتقل عنه . وهذا مثل لما عر ضوه له ، ويبعثه بضر به
إياه على محاذرتة ، وتصوّر الأمر معهم بصورته . وقوله « غير طائل » يجب
أن يكون من الطول : الفضل ؛ يقال : طال عليهم طولا فهو طائل . والمعنى :
لا خير فيه فيطول على غيره . ومثل هذا البيت قول امرئ القيس :

هو المنزل الألف من جو ناعط بني أسد حزنا من الأرض أوعرا

• أي عليكم يا بني أسد
بالنزول بها غلظ من
الأرض وخشن والتحصن
بالجبال .

وقوله « فلا تنزل به » الفاء [مع ما^(١)] بعده جواب الشرط في قوله وإن بوءوك .
وموضع فلا تنزل رفع على أنه خير مبتدا محذوف ، كأنه قال : فأنت لا تنزل به .

٤ - ولا تطعن ما يعلفونك إنهم أتوك على قرباهم بالمثل^(٢)

أخرج ما قدمه من التمثيل لكيدهم وسوء دخلتهم ، وما يجب عليه من
الأخذ بالتحرز معهم ، وترك الاستناخة في المبرك^(٣) الذي اختاروه ، والمبوء
الذي أعدوه ، في معرض آخر . والمعنى : وما يعد قري لك فتجنبه ولا تتناولها ،
فإنهم هيئوا لك به سماً قاتلاً فلا تطعمه ، والمثل ، هو السم الذي قد خلط به

(١) التكلة من م .

(٢) سبق الاستشهاد بصدر البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) كذا في م . وفي الاصل : « المنزل » .

ما يقويه ويهيجه ، ليكون أنفذ . ويقال للثؤفة التي توضع في الهناء عند (١)
 طلي البعير به . الثملة ، وهو مما ذكرت . قال الرّاجز (٢) :

* كما يُبَلّثُ في الهناء الثملة (٣) *

وقوله « أَتَوَكَّ عَلَى قُرْبَاهُمْ » يجوز أن يريد به على تقرّبهم وتنصّحهم ،
 ويجوز أن يريد به على قرابتهم وتشابك الأحوال بينك وبينهم . وإنما تنقل
 في المثل بعد المثل تأكيداً للقول عليه في محاذرتهم (٤) ، وإنذاراً في الركون
 إليهم ، والاستئمان إلى ناحيتهم .

٥ - أَبْعَدَ الْإِزَارِ مُجَسِّدًا لَكَ شَاهِدًا أُتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَتَزَيَّلِ

هذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فهو تقريب وإنكار ، وتنبيه
 وإنذار ، فيما يضرب المخاطب عنه ، ويفعل دونه ، مع كونه أعدل شاهد على
 سوء نيتهم ، وخبث طويبتهم ، ومع خروجه عن حيز الاستدلال عليه إلى
 المشاهدة ، ومن خلل الخفاء والتشكك إلى ظاهر الضرورة . فيقول : أتفتّر
 بهم ، أو تستريب بما أهدرك منهم ، بعد ظهور أمرهم وانكشاف قصدهم ،
 وبعد ما أتيت به في الدار من الإزار المتلطح بدم ابن عمك ، وقد يبس عليه
 ولم يتزّيل عنه . فقوله « بعد الإزار » يتعلق بفعل مضمّر قد دلّ عليه خبيثات
 القصة المحكيّة (٥) . والمجسد : الثوب المشبع صبغاً . والجسد : الزعفران .
 ومعنى لم يتزّيل : لم يفارق الدّم ، ولم ينفك مما خالطه منه .

(١) م : « بعد » ، تحريف .

(٢) هو صخر بن عمير ، كما في اللسان (ثمل) .

(٣) في اللسان : « كما ثلاث بالهاء » . وقبله :

مفوثة أعراضهم موطلة في كل ماء آجن وسمله

(٤) في الأصل : « مجاذبتهم » ، صوابه من م .

(٥) كلمة « قد » و « خبيثات » من م .

٦- أراك إذا قد صرت للقوم ناضحاً يُقال له بالغرب أدبر وأقبل

الناضح : البعير الذي يُسْتَقَى عليه الماء . والنَّضْحُ من الحِيَاض ^(١) : ما قَرُبَ من البئر فيُفْرَغُ الماء من الدَّلْوِ فيه ، وهذا الكلامُ صدر عن نَصَحَ جُهْدَهُ وَبَيَّنَ لموعوظِهِ رُشْدَهُ ، فلمَّا لم يُتَلَقَّ بالقَبولِ قولُهُ جعله قَضِيَّةً منه على المخاطبِ ، بسوء الاختيار ، وركوب الاغترار ، وأظهر أنه قد صار من التضجُّرِ به ورفَع الطمع عنه وعن صلاحه ، في حكم اليأس من فلاحه ، والمُتَسَكِّعِ عن وعظه وإبلاغه ، لكونه في حكم المُسَخَّرِ لهم حتى لا رَأْيَ له ولا اعتبار ، ولا تدبُّر ولا اختيار . فقال : أراك قد صرت معهم بمنزلة البعير الذي يُسْتَقَى عليه ، طاعةً وانقياداً ، فيقال له أدبر وأقبل بالغرب . والمعنى تُسَامُ ما تُسَامُ فتلتزمه وتنقاد ، ففعلَ ذلك البعير . ومعنى « يُقال له » أي يُحْمَلُ على ذلك . والتصرف في القولِ على وجوه كثيرة من المجاز .

٧- فخذها فليست للعزير بخطئة وفيها مقال لأمرئ متذلل

هذا الكلامُ خروجٌ عن ^(٢) عهدة ما يفعله المخاطبُ ، وبرائةٍ إليه مع الإنكار عليه والتنبية على موضع الخطأ فيه ، فيقول : وكَلْتُكَ إلى نفسك ، ونَفَضْتُ يدي من مُراجعتِكَ ، فأرضَ بما عليه تُدارُ ، وابدُلْ ما تُراودُ عنه وتُسَامُ ، علماً أن مثله لا يَرْضَى به عزيرٌ ، ولا يلتزمه آنفٌ ؛ وفيه مع ذلك نظرٌ وجدالٌ لمن يتذللُ : هل هو خُطَّئُهُ أيضاً . والمعنى : إنك تركبُ ظَهْرًا لا يقمعه المتكلفُ للذللِّ فكيف العزير . ويجوز أن يكون المعنى : فيها للناس ، إذا تذاكروا الأحوالَ والخطَطَ ، نظرٌ وكلامٌ مبسوطٌ : هل يَرْضَى بمثله المتذللُّ

(١) كذا في النسختين . وفي اللسان : « النضح » .

(٢) م : « من » .

أولاً . ويجوز أن يريد : إن الدليل يتكلم فيمن يرضاها خُطَّةً وَيُعَيِّرُهُ إِيَّاهَا ، فكيف يكون خُطَّةً للعزیز . وهذا الوجه أبلغُ الوجوه الثلاثةِ وأدقُّها .

١٥٠

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١ - أَتَشْحَذُ أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوِّنَا وَتَتْرُكُ أَرْمَاحًا بِهِنَّ نُكَايِدُ^(٢)

• كايده القوم :
• حاربهم .

هذا مثلٌ . والمعنى : أتعينُ أعداءنا علينا ، لأنَّ مَنْ أَحَدَّ سِلَاحَ العَدُوِّ الذي يقابل به ، وتركَ سِلَاحَ صاحبه الذي يكايده فقد أعانته عليه . وإنما خصَّ من بين العُدَدِ الرِّمَاحَ لأنها كأنها أخصَّ بهم . وقوله « وتتركُ أَرْمَاحًا » أراد وتتركُ شَحَذَ أَرْمَاحٍ ، فحذف المضافَ . ويجوز أن يكون كُنِيَ بالأرماح عن الرِّجال . والمعنى : أتتهيجُ أصحابَ عدوِّي^(٣) عَلَيَّ ، وتسدِّدهم نحوي ، وتتركُ أصحابي الذين بهم أكايِدُ ، فلا تُقَوِّي في القتال والصِّبر رأيتهم ولا تُمِرُّ في الثَّبات عزائمهم ، ومن المعروف قولهم : فلانٌ سَيِّئِي ورُمحِي ، في الذي يستظهر به عند مُلاقاة الأعداء وفلانٌ تُرْسِي وجُنَّتِي ، فيمن يُتَّقَى به من الأسواء . وإنما قال في هذا الوجه أَرْمَاحًا بأيدي عدونا لأنه إذا كُنِيَ عنهم بما يكونُ آلهَ جعلها باليد . ويقال شَحَذتُ السِّكِّينَ ، إذا أهددته . والباء من قوله « بأيدي » يتعلق بمضمر ، كأنه قال أَرْمَاحًا مستقرَّة وحاصلةً بالأيدي . والعدوُّ يقع على الواحد وعلى الجمع . وفي القرآن ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ﴾ .

٢ - عَلَيَّكَ بَجَارِ القَوْمِ عَبْدِ بنِ حَبْتِرٍ فَلَا تَرُشِدَنُ إِلَّا وَجَارُكَ رَاشِدُ

(١) التبريزي : « وقال أيضاً » .

(٢) التبريزي : « بين تكايد » . وفي تفسيره : « والمكابدة : معالجة الأقران .

يقال كابدت الشيء مكابدة وكباداً ، إذا قاسيته في مشقة . والكيد : الشدة .

(٣) في الأصل : « رسول » ، وأثبتنا ما في م .

هذا الكلامُ بَعَثُ وتحميضٌ على مراعاة العهود والذمم ، وصيانة الجار من الاهتضام ، وإن لام فيها اللوائيم . فيقول : أَنْتَصِفُ لْجَارِكَ وانتقم له بأن تؤثر في جار القوم ، فإنك لا تكون راشداً إلا وقد رَشَدَ جارك معك . ويقالُ رَشِدَ يَرَشُدُ ، ورَشَدَ يَرَشُدُ ، لغتان . والباء من قوله : « بجار » يتعلّق بعليك ، لأنّ معنى عليك خذُ . ويقالُ خذُ كذا وخذُ بكذا . يقال أيضاً عليك كذا وبكذا . ودخول النون الخفيفة في قوله « تَرَشَدَنَّ » لأنه ليس بواجبٍ فهو يجري مجرى الأمر والنهي والاستفهام .

٣- فَإِنْ غَضِبْتَ فِيهَا حَبِيبُ بْنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطَّةَ يَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ

الضمير في « فيها » للفعللة والخُطَّةُ . ألا ترى قوله « نخذ خطة يرضاك فيها الأبعاد » . والمعنى : إن تسخط ما تكلفه لجارك من الذب عنه والانتقام له هؤلاء القوم فلا تُبال بهم ، وخذ في أمره ما يحمّدك الأبعاد دون الأقارب ، فإن الأخبار إذا انتشرت عنك بالوفاء استزجحك الأجانب . وخذل الجار وتسليمه إشاراً لهوى الأقارب ، ومجانبة لكرهاتهم ، يجلب الذم ويلحق العار .

٤- إِذَا طَالَتِ النَّجْوَى بِغَيْرِ أَوْلِي الْقَوَى أَضَاعَتْ وَأَصْغَتْ خَدَمَنْ هُوَ فَارِدٌ

هذا بيان الرأى في قبول ما أشار به ، وترك التعرّيج على غيره . والعامل في « إذا طالت » أضاعت ، وهو جوابه أيضاً . فيقول : إذا طالت المناجاة وامتدت الاستشارة مع غير أرباب الآراء القويّة ضيّعت المستشير وأملت خدّه ، وصار في الانفراد بما يعانیه بمنزلة من لا ناصر له ولا مُشير ، لوقوع التشاور على غير حدّه ، وتقصير المُشير في القيام بواجبه ، وقد جمع بين فعلين في قوله « أضاعت » و « أصغت » فأعمل الثاني ، وهو المختار عند أصحابنا البصريين . ويجوز أن يكون مفعول أضاعت غير « خد من » فحذفه ، كأنه قال أضاعت ربّها . وكان

الحكم في هذا الوجه أن يقول لو أظهر المفعول : وأصفت خذّه لكونه فارداً وحيداً ، لكنّه لما كان الآخر هو الأول وقد حذفه ، لم يُبال بإظهاره ، لأن الذي هو فاردٌ ربُّ النجوى لا غير . ومعنى إصغاء الخدّة الإذلال والانحراف للفتور والحجل . والقوى : جمع قوة ، وأصلها طاقات الحبل ، ثم استعملت في الآراء والعزائم . وأصل النجوى المسارّة ، فاستعيرت للمشورة لأنها في أكثر المواضع تقعُ بها . ويقال : فلانٌ نجِيٌّ فلانٍ ، وتناجوا فيما بينهم وانتجوا ، وهم نجوى ، وصفٌ بالمصدر . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغَلِّبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْهِدُ

٥ - فحارب فإن مولاك حاردا نصره فني السيف مولى نصره لا يحارد

يقول : حارب من قصد جارك وأعان عليه ، ولا تقعد عن نصرته والانتصار له ، فإن لم يعاونك فيما ترؤمهُ مواليك ، وتأخروا عن النهوض معك ، فاستعين بالسيف ، فإن فيه مولى لك لا يخذلك ، ولا يتباطأ عنك . وهذا كما قال غيره (١) :

* أَنْخَنَّا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ (٢) *

والمحاردة أصلها في قلة اللبن ، واستعير في قلة الموازنة والمظاهرة . وقوله « فإن مولاك » ارتفع مولاك بفعل مضمّر ما بعده . [تفسيره ، لأن إن بالفعل أولى (٣)] .

(١) هو يحيى بن منصور . الحماسية ١٠٨ .

(٢) صدره : * فلما نأت عنا العشرة كلها *

(٣) التكملة من م . وانظر ما سبق في ص ٤٣٣ س ١٦ - ١٧ .

• يقال : ضهده ضهداً ،
إذا أذله وظلمه .
ويقال : اضطهده ، إذا
بالغ في ضهده .

١٥١

وقال أيضاً :

وهذه الأبيات تُعدّ من المنصّفات (١) :

١ - فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِينَا فَوَارِسًا

أشار بالحي إلى قومٍ معهودين . يقول : لم أر مُغَاراً عليه كالذين صَبَّحْنَاهُمْ ،
 وَلَا مُغَيْراً مِثْلَنَا يَوْمَ لَقِينَاهُمْ . فَكَسَمَ الشَّهَادَةَ قَسَمَ السَّوَاءِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِهِمْ ،
 وَتَنَاوَلَ بِالْمَدْحِ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ . وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ « حَيًّا مُصَبَّحًا » عَلَى التَّمْيِيزِ ،
 وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ قَوْلِ الْقَائِلِ : عِنْدِي عَشْرُونَ دَرَاهِمًا وَضَحًّا (٢) . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
 فَوَارِسًا تَمْيِيزٌ وَتَبْيِينٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْمُصَبِّحُ
 الَّذِي يُؤْتَى صُبْحًا لِلغَارَةِ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ أَيْضًا ، يُقَالُ : صَبَّحَكَ اللهُ بِخَيْرٍ .
 فَإِنْ قِيلَ . لِمَ قَالَ فَوَارِسَ وَالتَّمْيِيزُ يُؤْتَى بِهِ مُوَحَّدَ الْفِعْلِ . قُلْتُ : إِذَا لَمْ يَتَّبِعَنَّ
 كَثْرَةُ الْعِدَدِ وَاخْتِلَافُ الْجِنْسِ مِنَ الْمَمَيَّزِ يُؤْتَى بِالتَّمْيِيزِ مَجْمُوعَ الْفِعْلِ مَتَى أُرِيدَ
 التَّنْبِيهُ عَلَى ذَلِكَ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
 أَعْمَالًا ﴾ ، كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ مُخْتَلِفَةً كَثِيرَةً ، نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : أَعْمَالًا

(١) المنصّفات : القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم
 فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم من إمحاض الإخاء . ويروى أن أول من
 أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة حيث قال :

كأنا غدوة وبني أبيتنا بجانب عنيزة رحيًا مدير

ومن المنصّفات قول الفضل بن العباس بن أبي لهب :

لا تطعموا أن تهينونا ونكرمكم * وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا

انظر الخزانة (٣ : ٥٢٠ - ٥٢١) .

(٢) الوضع : النبي الأبيض .

ولو قال عملاً كان السامع لا يَبْعُدُ في وهمه أن خُسِرَهم^(١) كان لجنسٍ واحد من أجناس المعصية ، أو لعملٍ واحدٍ من الأعمال الذميمة . فكذلك قوله « فوارس » جمعه حتى يكون فيه إيدان بالكثير .

• حقيقة الرجل :
ما يلزمه حفظه
والدفاع عنه ،
فيقال : هو يحيى
الحقيقة .

٢ - أَكْرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو أسد ، والمصراع الثاني إلى عِزَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ . والمراد : لم أر أحسنَ كَرًّا ، وأبلغ حاميةً للحقائق منهم ، ولا أَضْرَبَ للقوانس بالسُّيُوفِ منا : وانتصب القوانسُ من فِعْلٍ دَلَّ عليه قوله « وَأَضْرَبَ مِنَّا » . ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أَضْرَبَ لَأَنَّ أَفْعَلَ الذي يَتَمَّ بِمِنْ لا يَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّكِرَاتِ ، كقولك : هو أحسن منك وَجْهًا . وأفعلَ هذا مجري مجرى فعل التعجب ، ولذلك تَعَدَّى إلى المفعول الثاني باللام ، فقلتُ ما أَضْرَبَ زَيْدًا لِعَمْرٍو ، وقول الله تعالى : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾^(٢) ، موضع حيث نَصَبُ مما دَلَّ عليه أَعْلَمُ . والقوانسُ ، قال الديردي : هو أعلى البَيْضَةِ وقال غيره : قَوْنَسُ الفَرَسِ : ما بين أُذُنَيْهِ إلى الرَّأْسِ . ومثله قَوْنَسُ البَيْضَةِ مِنَ السَّلَاحِ .

٣ - إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحَ الدَّوَاعِسَا

يُرَوَى : « إِذَا مَا شَدَدْنَا شِدَّةً^(٣) » . يقول : إِذَا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ ثَبَتُوا فِي وِجْهِهِ ، وَنَصَبُوا صُدُورَ الْخَيْلِ الْقُرْحِ ، وَالرِّمَاحَ الْمُعَدَّةَ لِذَلِكَ^(٤) .

• القرح : جمع قارح ،
وهو ما استم الخناسة
، فسقطت سنة التي تلي
الرابعة ونبت مكانها
نابه ، ويكون ذلك زمن
استمام قوته وفنائه .

(١) في الاصل : « جسرهم » ، والصواب في م .

(٢) هذه هي قراءة جمهور السبعة . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد .

تفسير أبي حيان (٤ : ٢١٦ - ٢١٧) .

(٣) جعلها التبريزي الرواية الأولى ، وما قبلها الرواية الثانية .

(٤) م : « للدفع » .

والدَّعْسُ : الدَّفْعُ فِي الْأَصْلِ ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّعْنِ وَشِدَّةِ الْوُطْءِ وَالْجَمَاعِ .
وَالذَّكَاءُ : ضِدُّ الْفَتَاءِ . وَيُقَالُ فَرَسٌ مُذَكَّرٌ ، إِذَا تَمَّ سِنُّهُ وَكَمَلَ قَوْتُهُ . وَفِي
الْمَثَلِ : « جَرِيُّ الْمَذَكِّيَّاتِ غَلَابٌ » . وَيُقَالُ « غَلَا » . وَيُقَالُ : فَتَاءُ فُلَانٍ
كَذَكَاءِ فُلَانٍ وَكَتَذَكِيَّةِ فُلَانٍ ، أَي حَزَامَتُهُ عَلَى نَقْصَانِ سِنِّهِ كَحَزَامَةِ ذَاكَ مَعَ
اسْتِكْمَالِهِ لِسِنِّهِ . وَقَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلْمَى :

يُفَضِّلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ
ع- إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحِ نَكْرُهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسًا
يَقُولُ : إِذَا الْخَيْلُ دَارَتْ عَنْ مَضْرُوعٍ مِنَّا كَرَرْنَا عَلَيْهِمْ لِنَصْرِعَ مِنْهُمْ
مِثْلَ مَا صَرَعُوا مِنَّا . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ : إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ عَنْ صَرِيحٍ مِنْهُمْ
لَا يُقْنَعُنَا ذَلِكَ فِيهِمْ ، بَلْ نَكْرُهَا عَلَيْهِمْ لِمِثْلِهِ (١) ، وَإِنْ كَرِهَتْ الْكِرَّ لَشِدَّةِ
الْبَأْسِ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَّا كَوَالِحٍ . وَالْعَامِلُ فِي قَوْلِهِ « إِذَا الْخَيْلُ » نَكْرُهَا ، وَهُوَ
جَوَابُهُ أَيْضًا . وَإِلَّا عَوَابِسًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَوْلُهُ « الْخَيْلُ » ارْتَفَعَ بِفِعْلِ
مُضْمَرٍ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرُهُ .

١٥٢

وقال عبد الشارق بن عبد العزى الجهني (٢) :

١- أَلَا حَيْتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نُحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَمِيلُهُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ عَبْدُ الشَّارِقِ » ، وَالتَّكْمِلَةُ بَعْدَهُ مِنْ م . وَزَادَ التَّبْرِيْزِيُّ بَعْدَهُ
« وَهِيَ مِنَ الْمُنْصَفَاتِ » وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى « الْمُنْصَفَاتِ » فِي الْحَمَاسِيَةِ السَّابِقَةِ .
وَعَبْدُ الشَّارِقِ ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ تَسْمِيَّتِهِ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ . قَالَ فِي الْمَبْهَجِ : « الشَّارِقُ اسْمٌ صَنَمٌ لَهُمْ ،
وَلِذَلِكَ قَالُوا : عَبْدُ الشَّارِقِ كَقَوْلِهِمْ عَبْدُ الْعَزَى ، وَكِلَاهُمَا صَنَمٌ . وَمِثْلُهُ عَبْدُ يَغُوثَ وَعَبْدُودُ وَنَحْوُ
ذَلِكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّارِقُ مِنْ قَوْلِهِمْ عَبْدُ الشَّارِقِ ، وَهُوَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، كَقَوْلِهِمْ لِأَكْلَمِكَ
مَا ذَرَّ شَارِقٌ ، أَي مَا طَلَعَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، فَقَوْلُهُمْ إِذَا : عَبْدُ الشَّارِقِ كَقَوْلِهِمْ عَبْدُ شَمْسٍ . وَأَمَّا
« الْعَزَى فَهُوَ اسْمٌ صَنَمٌ ، وَهُوَ تَأْنِيثُ الْأَعْزِ » .

هذا على كلامين . و « ألا » افتتاح (ك) . والتحية ، قال بعضهم : هي الوداعُ ها هنا ، يقول : ألا أُبلغتِ وداعنا يارُدَيْنةُ . ثم قال : نحيبها ، أي نُودِعُها وإن عَزَّتْ (٢) علينا مفارقتها . ويجوز أن يكون دعا لرُدَيْنة مبتدئا فقال : جَزَاكَ اللهُ عَنَّا ، أي تَوَلَّى اللهُ ذلك من دُونِنَا ، ثم راجع نفسه فقال : نَفْعَلُ ذلك على فِخَامَةٍ موقِعِهَا مِنَّا ، وَجَلَالَةٍ مَحَلِّهَا مِن قُلُوبِنَا ، إِذْ كُنَّا لَا نَقْدِرُ لَهَا عَلَى غير ذلك . وقوله « نُحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمَتْ » يَسْمَى التَّفَاتَا ، كَأَنَّهُ التَّفَتَ إِلَى من معه فقال ذلك .

٢ - رُدَيْنةُ لَوِ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِنَّا عَلَى أَضْمَانِنَا وَقَدْ أُخْتَوِينَا

توصل بمخاطبتها إلى اقتصاص الحال التي يريد شرحها ، فأخذ يُبَاهِئُها فيقول : لَوِ رَأَيْتِنَا غَدَاةَ جِنَّا عَلَى حَزَازَاتِ فِي النَّفْسِ ، واحتراقاتٍ فِي الجَوْفِ وَالصَّدْرِ ، من العَيْظِ وَالْحِقْدِ ، وَقَدْ حَوَيْنَا أَمْوَالَ أَعْدَائِنَا ، وَاسْتَبَحْنَا حَرِيمَهُمْ ، وَمَلَأْنَا أَيْدِينَا مِنْ غَنَائِمِهِمْ . هذا إِذَا رَوَيْتَهُ بِالْحَاءِ غير مُعْجَمَةٍ . وروى بعضهم : « أُخْتَوِينَا » بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَيَكُونُ أَفْتَعَلَ مِنَ الخَوَى ، والمعنى : خَوَتْ أَفْتَعَلْتَنَا مِنَ الوُدِّ ، كقول الآخر (ك) :

وَإِذْ صَفِرَتْ عِيَابُ الوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا فِيهَا ذِمَامٌ

وَأَجُودُ مِنْهَا « وَقَدْ أُجْتَوِينَا » بِالْجِيمِ ، وَهُوَ أَفْتَعَلَ مِنَ الجَوَى ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ مَا اشْتَمَلَ الجَوَانِحُ عَلَيْهِ مِنَ العَدَاوَةِ حَتَّى صَارَ جَوَى . وَالْأَضْمُ : الغَضَبُ . وَمَعَ ذِكْرِ الْأَضْمِ أُجْتَوَى بِالْجِيمِ أَشْبَهُ ، وَهُوَ أَقْرَبُ . وَجَوَابُ لَوِ مَحذُوفٌ ، لِأَنَّ الْأَفْعَالَ التَّابِعَةَ لِهَذَا الْبَيْتِ جَمِيعُهَا مَقْصُورٌ عَلَى بَيَانِ القِصَّةِ ، وَشَرَحَ أَحْوَالَ الوَقْعَةِ .

(١) أي ألا : أداة لافتتاح الكلام . وفي الاصل : « والافتتاح » ، صوابه في م .

(٢) في الأصل : « كرمت » ، صوابه في م .

(٣) هو بشر بن أبي خازم . المفضليات (٢ : ١٣٥) .

(٤) يقال : جوي جويًا ، ضاق صدره من داء لا يكاد يبين عنه لسانه ، وكذلك إذا

تطاول مرضه .

• صفرت : خلت .
• العياب : جمع عيبة ،
وهي وعاء من آدم وخوص
يكون فيه المتاع ، ويقال
عياب الود للصدور
والقلوب .
• الذمام : المهد الذي
يحافظ عليه الإنسان .

وقد بَيَّنْتُ فيما تقدَّم أنَّ حَذْفَ الجوابِ منِ مِثْلِ قولِ القائلِ : لو رَأَيْتَ زَيْدًا
وفي يده السِّيفُ ، أدلُّ على التَّهويلِ والتَّفخيمِ منِ إثباته .

٣ - فأرسلنا أبا عمرو ربيِّنا فقالَ أَلَا أنعموا بالقومِ عَيْنًا

يقول : توجَّهنا نحوهم وأنفدنا من قِبَلنا من ارتبأ لنا ، فعادَ مبشِّرًا وقال :
قرُّوا عَيْنًا واستبشِّروا ، فقد أقبَلوا . وهذا ممَّا يُترجمُ عن محبَّتهم للملاقاة
الأعداء ، وحرصهم على القتال ، وتشوُّفهم للمجازبة والتزاع ، حتى عدُّوا قُرْبهم
بِشَارَةٍ ، والالتقاء معهم غنيمَةً . وهذا عندي أبلغُ من قول الآخر :

يَسْتَعذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَيَّاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا^(١)

ومن قوله :

* لِقَاءِ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءِ حَبَائِبٍ *

وقوله « عَيْنًا » انتصبَ على التَّمييزِ ، وهو من باب ما نُقلَ الفِعلُ عنه
وَوُضِعَ النَّكِرَةُ فِيهِ مَوْضِعَ الْمَعْرِفَةِ ، لأنَّ الأَصْلَ فِي قَرَرْتُ بِهِ عَيْنًا : قَرَرْتُ
عَيْنِي . ومِثْلُه قولهم : يَتَصَبَّبُ عَرَقًا ، وَيَتَفَقَّأُ شَحْمًا . وفي القرآن : ﴿ وَأَشْتَعَلَ
الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ .

• يقال : تَفَقَّأْتُ شَحْمًا ،
إِذَا امْتَلَأْتُ شَقًّا
جلد ٥٠

٤ - ودسوا فارسًا منهم عِشَاءً فلم نَعْدِرْ بفارسِهِمْ لَدَيْنَا

يقول : وجَّهوا فارسًا لِيَنْدَسَ فِي أَثْنَاءِ خَيْلِنَا ، وَيَعْرِفَ سِرَّنا وَعَلَانَتَنَا ،
ويقفَ على عَدَدِنَا وَعُدَّتِنَا ، فيرجع إليهم بواضح الأحوال والأخبار ، نخْلِينَاهُ
والانصرافَ إليهم ، ولم نَسْتَعْمِلْ غَدْرًا فِي احْتِبَاسِهِ عِنْدَنَا ، وطِيٌّ أخبارنا عنهم .

(١) « يستعذبون منا » هي من هاشم نسخة الأصل فقط مع علامة إلحاق ، وهذه
المبارة سابقة من م . وبقية حروف الكلمة ، وهي « ياهم » من « مناياهم » هي تكلمة ضرورية
وليست في النسختين . ويبدأ الاستشهاد في النسختين بكلمة « كأنهم »

وأصل الدسّ : إخفاء الشيء تحت غيره . وفي القرآن : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾^(١) ويقال^(٢) : اندسّ إلى فلان ، أي أتاه بالتمام . فإن قيل : ما فائدة ذكر الغدر هاهنا والفرس الذي أنفذوه جاسوساً^(٣) لم يكن اتخذاً^(٤) منهم أماناً ، ولا اشترط عليهم شرطاً يوجب سلامته به مع مخالطته لهم . قلت : كأن المراد لم نستعمل مكرّاً باحتباس الرسول ، إذ كان في منعه من الانصراف إليهم انطواء أخبارنا عنهم ، فيكون كالغدر بهم وبه . ويجوز أن يكون ذلك الفارس الذي ظهر لهم ثقة بالمعرفة بينه وبينهم ، فعده ظهوره أخذاً للأمان عليهم . ويجوز أن يكون سمى ترك أقرب الأمرين إلى الكرم والوفاء معه غدرًا ، ثم برأ ساحتَه منه .

٥ - فجاءوا عارضاً بردًا وجئنا كمثل السيف نركبُ وازعينا

يقول : تسارعوا مُتقبِلين نحونا ، وكأنهم في كثرتهم وتعجلهم قطعة من السحاب فيها بردٌ - وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنْ لَهُمْ حَفِيْفًا وَوَقْعًا شَدِيدًا مَتَهَافِتًا ، كما يكون لذلك السحاب - ونحن لكثرتنا وإيماننا على ما يعترض في طريقنا كالسَّيْلِ الَّذِي لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ . ومعنى « نركبُ وازعينا » أي لا ننقاد لمن يريد ضبطنًا ، ولا نطواع من يطلبُ كفنًا من الجيشين جميعا . ولم يُشَنِّ « وازعينا » لأنه يشير إلى رجلين ، لكنه أراد الكثرة والجنس بالوزاع ، ثم تنبأ مبيدًا اختلاف الطائفتين من الخيلتين . ولا يجوز أن يُروى « وازعينا » بكسر العين لما يحصل من العيب بالسناد مع ارتفاع الضرورة^(٥) .

(١) في النسختين : « ويقول » .

(٢) م : « داسوسا » فاعول من الدس . وقد أشير في نسخة الأصل إلى أنها كذلك في نسخة أخرى . والمعروف ، كما في مادة (دس) من المعجم : « الدسيس » .

(٣) م : « أخذ » .

(٤) في التنبيه : « وقد رواه بعض الرواة : وازعينا ، فركب قبح السناد لضيق طريق المعنى الأول عليه . والقول فيه ما ذكرته » . والسناد من القافية : اختلاف ما راعى قبل الروي من الروف والحركات .

٦- فَنَادُوا يَا بُهَيْثَةَ إِذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنًا

يقول : لما شارفناهم استغاثوا ببني بهيثة مُعْتَزِينَ إليهم ، ومُسْتَمِدِّينَ منهم ، فاستَثَرْنَا نحن أيضاً في مقابلة ما فعلوا بني جهينة ، وهَزَزْنَاهم للضرب فيهم ، والإيقاع بهم . وإنما يستعملون الاعتزاز في مثل هذه الحالة تهويلاً للأمر ، وتكثيراً للعشيرة ، ليستشعر كلُّ من الفريقين الرُعْبَ من صاحبه ، والتهيب له . واللام من « يَا بُهَيْثَةَ » لام الجرِّ ، وتعلقت بيا : حَرْفِ النَّدَاءِ . ولا يجوز أن يقال تعلقت بالفعل الذي دلَّ عليه يا ، لأنَّ ذلك الفعل لما لم يخرج إلى الوجود سقط حكمه . وفتحت لوقوع المُنادَى موقع المضمر . وبهَيْثَةَ مَدْعُوَّةٌ ، والجار مع الجرور في موضع نصب لأنه منادى . وقوله أَحْسِنِي ضَرْبًا « يجوز أن يكون ضَرْبًا مفعولاً به من أَحْسِنِي ، ويجوز أن يكون في موضع الحال أي ضارِبَةً . ويُرْوَى : « أَحْسِنِي مَلًّا » ، ومعناه خُلُقًا . والمرادُ مخالفةُ (١) أهل الحرب والمستنصرين ؛ وهذه رواية أبي زيد . وقال ابن السكيت : معناه أَحْسِنِي تَمَلُّوا أي تعاونا . ويقال مَالَتْ على فلان ، وكأنه من قولهم رَجُلٌ مَلِيٌّ ، وقد مَلَأَ يَمَلُّهُ مَلَاءٌ وَمَلَاءٌ .

٧- سَمِعْنَا دَعْوَةَ عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ فَجَلْنَا جَوَلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا

يقول : قرعَ أسمعنا في أثناء التهيؤ والتطالع دَعْوَةً تَأَدَّتْ من مكانٍ غائبٍ عن عيوننا ، فَدَرْنَا دَوْرَةً ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَمَا كُنَّا . وهذا يجوز أن يكونوا خافوا الكمينَ فجاءوا ليتأمَّلُوا ، فلما أَمِنُوا رَجَعُوا . ويقال : ارْعَوَى عن الجهلِ ارْعَوَاءٍ ورْعَوَى حسنة ورْعَوَى ، أي رَجَعَ . ويقال : فَعَلَ فلانٌ كذا بظهِرِ الغَيْبِ ، وأتاني خبرٌ عن ظهِرِ الغَيْبِ .

(١) كذا على الصواب بالتألف عند التبريزي . وفي النسختين : « مخالفة » .

٨ - فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْخْنَا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمِينَا^(١)

هذه الموافقة التي أشار إليها ، يجوز أن تكون للتعبية والتهيئة ، ويجوز أن تكون لتداعي الأبطال والمبارزة ، واعتراضهم بين الصّفين للمطاعنة . وقوله « قليلا » يجوز أن يُريد به زمانا قليلا ، فيكون ظرفا ، ويجوز أن يريد به^(٢) : تواقفا قليلا ، فيكون صفة لمصدر محذوف . والصفات تنوب عن المصادر والظروف كثيرا . وجواب لما « أنخنا » ، ومفعوله محذوف . والمعنى : إنا بعد المطاردة نزلنا ، وأنخنا للصدور فتناضلنا .

٩ - فَلَمَّا لَمْ نَدْعِ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشُوا إِلَيْنَا

١٠ - تَلَلَوْا مُزْنَةَ بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا

يقول : لما مللنا الطراد والرّماء ، بإفناء النبال وتعطيل القسي لانقطاع الأوتار ، مشى بعضنا إلى بعض للكفاح والجلاد ، طلبا للاشتفاء ، كأنهم تنقلوا في درج القتال ومراتبه ، حتى بلغوا أعلاها وأضعفها ، وأولاهها بدرك الثأر وأحقها . ولهذا لما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب عن أنواع السلاح ، وانتهى إلى ذكر السيف ، قال « عنده تشكل الأقيات » . وانقصب

(١) م : « وارتمينا » . وقال ابن جني : « لك أن تجعل اللام صلة إلى المفعول توكيدا كقول الله سبحانه : قل عسى أن يكون ردف لكم ، وكقوله : إن كنتم للرؤيا تعبرون . غير أن هذا قدم فيه المفعول فحسن زيادة اللام لإعانة الفعل . وقرأت على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى لابن ميادة :

وملكت ما بين العراق ويثرب ملكا أجار لمسلم ومعاذ

أي أجار مسلما ومعاذ ، فكأنه قال : أنخنا الكلاكل ، فزاد اللام من حيث ذكرنا . ويجوز أن يكون اللام خبر مبتدأ محذوف يدل عليه قوله أنخنا ، فكأنه لما قال أنخنا قال : إناختنا للكلاكل .

(٢) كذا في م وفي الأصل : « أن يكون به » .

« تَلَاؤُءٌ مُزْنَةٌ » على أنه مصدرٌ مما دلَّ عليه « مَشِينًا نَحُومٌ وَمَشُوا إِلَيْنَا » ، لأنَّ في ذلك تَلَاؤُءَ السَّلَاحِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ جَمِيعًا ، وَوَمِيضَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ جَمِيعًا لِلْأُخْرَى . وَقَوْلُهُ « إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافِ رَدْيَانَا » ، أَي إِذَا كَانَ مَشِيهُمُ إِلَيْنَا حَجَلًا كَانَ مَشِينًا إِلَيْهِمُ رَدْيَانًا . وَالرَّدْيَانُ فَوْقَ الْحَجَلَانِ ، لِأَنَّهُ مَشِيُّ الْحَمَارِ بَيْنَ آرِيهِ وَمُتَمَعِّكِهِ ، فَهُوَ أَسْرَعُ مِنَ الْحَجَلَانِ ، إِذْ كَانَ فِي الْحَجَلَانِ تَقَارُبُ الْخَطْوِ كَمَشِيِ الْمُقَيَّدِ وَوَثْبَتِهِ . فَيَقُولُ : تَلَاؤُءًا لَوْ فُورٍ أَسْلَحْتِنَا ، وَبَرِيقٍ دُرُوعِنَا وَبَيْضِنَا ، وَإِيْمَاضِ أَعْيُنِنَا ، تَلَاؤُءَ سَحَابَةٍ بَرَقَتْ لِسَحَابَةٍ أُخْرَى قَابَلَتْهَا . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هَذَا مِنْ رَدْيَانِ الْجَوَارِي إِذَا لَعِبِنَ ^(١) تَرَفَعَ إِحْدَاهُنَّ رِجْلًا وَنَخَطُو بِأُخْرَى خُطُوتَيْنِ ، ثُمَّ تَضَعُهَا وَتَرَفَعُ الْأُخْرَى ، تَفْعَلُ ذَلِكَ مِرَارًا . قَالَ : وَالغَرَابُ يَرْدِي وَيَحْجِلُ .

١١ - شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنًا

١٢ - وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُورِينَا

يَقُولُ : حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً مُنْكَرَةً ^(٢) ، فَأَصَدَبْنَا مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ مِنَ الْفَتِيَانِ ، وَقَتَلْتُ قَيْنًا . وَقَيْنٌ : اسْمُ رَجُلٍ كَانَ مَشْهُورًا فِيهِمْ بِالْبَاسِ وَالنَّجْدَةِ ، فَلِذَلِكَ عَيَّنَ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ » فِتْيَةٌ مِنْ أِبْنِيَةِ الْقَلِيلِ ، كَغِلْمَةٍ وَصِبْيَةٍ ، وَلِذَلِكَ أَضَافَ الثَّلَاثَةَ إِلَيْهَا . وَبَنَاءُ الْكَثِيرِ الْفَتِيَانِ . وَ« شَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى » ، يَقُولُ : وَحَمَلُوا حَمَلَةً فَأَصَابُوا مَنَا مِثْلَ مَا أَصَبْنَا مِنْهُمْ ، وَارْتُثَ مِنْ قَتْلَانَا مِثْلُ مَا ارْتُثَ مِنْ قَتْلَاهُمْ ، وَرَمَوْا جُورِينَا أَخِي . قَوْلُهُ « بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ » لَوْ قَالَ أَمْثَالِهِمْ لَجَازَ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « نَعِينِ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ ، وفي موضع آخر : ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴾ .
وهذه الأبيات تُسمى المُنْصِفة ، لِمَا تَقَابَلَ فِيهَا مِنْ صِفَاتِ الْجَيْشَيْنِ عَلَى وَجْهِ
التعادل ، وَسَنَ التصادق . إن قيل ما فائدة قوله « شَدَّةٌ أُخْرَى » ، ولم يكن قد
تقدم لهم أولى ؟ قلت : يجوز أن يكون أراد تَوَالِي بَيْنَنَا حَمَلَتَانِ : الأولى مِنَّا ،
والأخرى منهم ، لِأَنَّ قَصْدَهُ اقْتِصَاصُ الْحَالِ الدائِرة بَيْنَهُمْ . ويجوز أن يكون
أراد أن يبين أنهم كانوا السابقين والمبتدئين ، فوصف شدتهم بالأخرى لِيُعْلَمَ
أنَّ المتقدم في الذِّكْر كانت الأولى .

١٣- وَكَانَ أَخِي جُوَيْنٌ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفِثْيَانِ زِينًا
١٤- فَأَبَا بِالرَّمَّاحِ مَكْسَّرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ أَمْحَيْنَا

نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ بِحُسْنِ مَحَافِظَتِهِ عَلَى الشَّرَفِ ، وَجَمِيلِ مَدَافَعَتِهِ دُونَ الْعَشِيرَةِ
ثَبَّتَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَنَّ قِتْلَتَهُ كَانَتْ قِتْلَةً مَحْمُودَةً تَزِينُ وَلَا تَشِينُ . وقوله :
فَأَبَا بِالرَّمَّاحِ مَكْسَّرَاتٍ ، وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ مُنْحَنِيَّاتٍ ، جَعَلَ فِيهِ أَعْلَى الصَّفَتَيْنِ
لِنَفْسِهِ وَذَوِيهِ^(١) ، وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ مِنْ قَصْدِهِ فِي الوَصْفِ الجَرِيَّ عَلَى
سَنَنِ النِّصْفِ ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا رَتَّبَهُ زَهَيْرٌ فِي قَوْلِهِ :

• يَقَالُ : اعْتَنَقَ الرَّجُلَانِ ،
إِذَا مَهَلَّ كُلُّ مَنِمَا يَدِيهِ عَلَى
عُنُقِ الْأَمْرِ فِي الْحَرْبِ وَفَوْقَهَا .
قَالَ ثَعْلَبُ : يَقُولُ : إِذَا مَارُوا
مَنْ مَدَى بَعِيدٍ عَنِّيهِمْ بِالرَّمْحِ
، فَإِذَا اطَّعَنُوا دَخَلَ قَتْلُ
الرَّمَّاحِ بِالسُّيُوفِ فَضَارِبًا ،
فَإِذَا ضَارِبُوا دَخَلَ قَتْلُ
السُّيُوفِ فَاعْتَنَقَ . وَإِنَّمَا
أَرَادَ أَنَّا خَبِرْنَا أَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ إِلَى
الْقِتَالِ .

يَطْعَنُهُمْ مَا أُرْتَمُوا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَضَارِبُوا أَعْتَنَقَا
أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الطَّعْنَ فَوْقَ النَّضْلِ ، وَالضَّرَابَ فَوْقَ الطَّعَانِ ، وَالْعِنَاقَ
فَوْقَ الْكِفَاحِ . وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي الرَّدْيَانِ وَالْحِجْلَانِ ، وَفِي وَصْفِ أَخِيهِ بِحُسْنِ
الْحِفَاطِ عِنْدَ قَوْلِهِ « وَرَمَوْا جُوَيْنًا » فِي مَقَابَلَةِ « وَقَتَلْتُ قَيْنًا » . وَأَمَّا قَوْلُ
الْآخِرِ (٢) .

(١) كذا في م . وفي الأصل : « لنفسه من ذويه »

(٢) هو الحسين بن الحمام الحرلي . المفضليات (١ : ٦٣) .

• المرد ، الخيل القصيرة
الشمر ، وذلك من علامات
المتق .
السهمي : الرمح .

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرَدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْعِيَّ الْمُقَوَّمَا
فليس من التناصُفِ في شيء ؛ إذ كان المعنى : إِنَّا عِنْدَ الطَّعَانِ نُذَوِّبُهُمْ عَنْ
ظُهُورِ الدَّوَابِّ ، فَتَنْغَمُ دَوَابَّهُمْ وَتَفُوزُ بِهَا ، وَهُمْ يَسْتَنْقِذُونَ رِمَاحَنَا لِأَنَّا نَكْسِرُهَا
فِيهِمْ إِذَا طَعَنَّاهُمْ ، وَنُجِرُّهَا إِيَاهُمْ فَيَفُوزُونَ بِهَا . فيقول : انصروا وقد تكسرت
رماحهم بالإجرار ، وَرَجَعْنَا وَقَدْ تَشَتَّتْ سِيُوفُنَا بِأَعْمَالِنَا إِتْيَاهَا فِي الْبَيْضِ وَالذَّرُوعِ
وَقْتَ الْجِلَادِ .

١٥ - فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحٌ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا الْكَلْمَى سَرِينَا

يقول : بقوا ليلهم يئنون على الصعيد ، وهو وجه الأرض ، ولو ساعدتنا
الطائفة الجروحة منا ، وَقَدَّرَتْ عَلَى الشَّرَى لَسَرِينَا ، لَكِنَّ كَلَامَنَا اضْطُرَّ
إِلَى الْإِقَامَةِ وَالتَّلَوُّمِ رَيْثَمَا يَثُوبُ إِلَيْهِ الْقَوْمَى بَعْدَ لُحُوقِ الْجَهْدِ ، وَمِشَارَفَةِ
الرَّدَى . وقد قيل إن الأحاح العطش ، والمشرف من الجراح على الهلاك يعطش .
وقد قيل إن الأحاح شدة الوجد من الغيظ حتى يُسْمَعَ لَهُ مِنَ الصَّدرِ
صوتٌ ، وهو على مثال الأدواء والأصوات جميعاً ؛ لأنَّ فَعَالًا يَكْثُرُ فِيهِمَا .
وَالْكَلْمَى : جَمْعُ كَلِيمٍ ، وَفَعَلَى يَكُونُ جَمْعًا لَمَّا كَانَ مِنَ الزَّمَانَةِ وَالضَّرَرِ
وَأَنْوَاعِ الْبَلَايَا . وَأَبْنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ تَخْتَلِفُ

١٥٣

وقال بشر بن أبي (١) :

١ - إِنْ الرَّبَّاطَ التُّكْدَ مِنْ آلِ دَاحِسٍ كَبُونَ فَمَا يُفْلِحُنَ يَوْمَ رَهَّانِ

(١) التبريزي : « وقال بشر بن أبي حماد العبسي ، لبني زهير بن جذيمة . ويروى :
بشير » . وفي المؤلف ٦١ « بشير بن أبي جذيمة العبسي ، بضم الباء تصغير بشر » . وقوله
سنت تربة « أبي بن حماد » في الحماسية ١٤٢ .

يُرَوَى « أَيْبِنَ فَلَا يُفْلِحَنَّ ^(١) » ، وَيُرَوَى « كَبُونٌ » أَيْ سَقَطَنَّ
لُجُوهَهَا . قَالَ :

* فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنِيْقٌ تَارِزٌ ^(٢) *

• الفنيق : الغل من
الإبل . والتارز :
الميت الذي قد يبس .
والوصف لثور تتبعه
الكلاب لتحتله .

وهذا الكلام تَضَجُّرٌ بما أُنتَجَجَ بَيْنَ أَيْبِنِ بَغِيضِ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ مِنَ الشَّرِّ ،
فِي الرَّهَانِ عَلَى دَاحِسٍ وَالغَبْرَاءِ ، وَدُعَاءٌ عَلَى دَاحِسٍ وَنَسْلِهِ بِالْأَلْفِ تَفْلِحَ فِي
خِطَارٍ ، وَأَنَّ تَأْبَى النَّجَاحَ فِي سِبَاقٍ ، فَقَالَ : إِنَّ الْخَيْلَ الْمَرْبُوطَةَ الْمَشَائِمِ مِنْ
آلِ دَاحِسٍ وَدَاحِسًا ، أَبَتِ السُّبُقَ فِي حَلْبَةِ وَمِيدَانٍ ، وَالْفَلَاحَ يَوْمَ خِطَارٍ
وَرِهَانٍ . وَالْمَعْنَى : لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَدْ تَرَدَّدْنَا مِنَ الْبَلَاءِ فِي عَمَايَاتٍ
لَا انْكَشَافَ لَهَا . وَخَبِرُ إِنَّ « جَلْبَنَ بِإِذْنِ اللَّهِ » وَقَوْلُهُ « كَبُونٌ فَلَا يُفْلِحَنَّ »
أَوْ « أَيْبِنَ فَلَا يُفْلِحَنَّ ^(٣) » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ إِذْنِ وَخَبْرِهِ . وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدُّعَاءِ ،
فَهُوَ كَمَا يُقَالُ إِنَّ زَيْدًا خَذَلَهُ اللَّهُ فَعَلَّ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الْاعْتِرَاضِ بِالْدُّعَاءِ قَوْلُ
الْآخِرِ ^(٤) :

..... مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا ^(٥)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ كُلَّهُ إِخْبَارًا مَتَجَرِّدًا ^(٦) عَنِ الدُّعَاءِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى
كَبُونٌ وَأَيْبِنَ ، أَنَّهُ حَصَلَ لَهُنَّ ذَلِكَ . وَالنُّكْدُ : جَمْعُ أَنْكَدٍ . وَالرِّبَاطُ :

(١) كذا في النسختين ، ورواية التبريزي : « أيبين فافلحن » . وانظر ما سيأتي في
الحاشية التالية .

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الخليليين (١ : ١٥) . وعجزه :

* بِالْحَبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ *

(٣) كذا في الأصل . وفي م : « فافلحن » .

(٤) هو الحصين بن حمام المري . الحماسية ١٣٢ .

(٥) صدره : * فقلت لهم يا آل ذبيان مالكم *

(٦) أشير في هامش نسخة الأصل إلى أنها في نسخة أخرى : « مجزدا »

• الخبت : المكان المستوي .
أبرع : أصغم وأعظم ، يريد : إلا أن
الفنيق أبرع ، أي هو أعظم من الثور

مصدر رَابَطْتُ ، ولذلك وَقَعَ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . وَالْأَلُّ ، ذَكَرَ الْبَصْرِيُّونَ أَنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَهْلِ ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّ تَصْغِيرَهُ أَهَيْلٌ ، وَهَذَا يُؤْذَنُ بِأَنَّ أَسْلَ الْفِهْ هَاءٌ . وَحَكَى ثَعْلَبٌ عَنْ شَيْوْخِهِ أَنَّ الْأَهْلَ ، الْقَرَابَةَ ، مُتَّبِعًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُتَّبِعٍ ، وَأَنَّ الْأَلَ الْمُتَّبِعُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا قَرَابَةٍ ، فَهَمَا الْمَعْنِيَيْنِ . قَالَ : وَحَكَى الْكَسَاؤِيُّ فِي تَصْغِيرِ الْأَلِ أَوْيَلٌ ، وَفِي تَصْغِيرِ الْأَهْلِ أَهَيْلٌ .

٢ - جَلَبْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ مَقْتَلَ مَالِكٍ وَطَرَّحْنَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ

أَخَذَ يَعْتَدُّ الْخِصَالَ الْمَكْرُوهَةَ الْخَاصِلَةَ بِهَا ، فَيَقُولُ : جَلَبَ سَبَقُ دَاحِسٍ بِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَتَلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ ، وَتَطْرِيحَ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ إِلَى عُمَانَ . وَكَانَ قَيْسٌ نَذْرًا أَلَّا يَنْظُرَ فِي وَجْهِ غَطَفَانِيٍّ أَبَدًا ، فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى مِرَاغِمَةِ الْعَشِيرَةِ ، وَالتَّبَاعُدِ فِي الْغُرْبَةِ . وَقَوْلُهُ « بِإِذْنِ اللَّهِ » مِنْ قَوْلِكَ أَذِنْتَ بِالْقَوْمِ . وَفِي الْحَدِيثِ : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ (ب) » . وَقَصَدُ الشَّاعِرِ أَنْ يَذْكَرَ مَا أَعْقَبَ سَبَقَ دَاحِسٍ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَلْحَقَ مِنَ الشُّؤْمِ . وَقَوْلُهُ « جَلَبْنَ » جَعَلَ اللَّفْظَ لِلْأَلِ ، وَالْمُرَادُ دَاحِسٌ ، لَكِنَّهُ لَمَّا جَعَلَ الدَّعَاءَ لآلِهِ اسْتَمَرَ فِي الْإِخْبَارِ عَلَى حَالِهِ وَلَمْ يَغْيِرْ . وَيَشْبَهُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

إِنَّ ابْنَ ضِرَّارٍ حِينَ أَنْدَبُهُ زَيْدًا سَعَى لِي سَعِيًّا غَيْرَ مَكْفُورٍ

أَرَادَ : إِنَّ ابْنَ ضِرَّارٍ زَيْدًا ، فَذَكَرَ لآلٍ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ . وَهَمَّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ أَقَامُوا الْوَالِدَ مَقَامَ الْوَلَدِ وَالْوَالِدَ مَقَامَ الْوَالِدِ ، وَالْعَشِيرَةَ مَقَامَ الْوَاحِدِ مِنْهَا ، وَالوَاحِدَ مَقَامَ الْعَشِيرَةِ ، لِأَغْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ ، حِينَ أَمِنُوا الْإِلْتِبَاسَ . وَمِمَّا يُجَانِسُ هَذَا زِيَادَتُهُمْ « ذُو » وَ « حَيٌّ » . أَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

(١) تمام الحديث ، كما في اللسان : « ما أذن الله لشيءٍ كأذنه لنبي يفتنى بالقرآن » . وقد فسر الأذن ، بالتحريك ، أنه الاستماع .

يَا قُرَّ إِنَّ أَبَاكَ حَيٌّ خَوْبِلِدٍ قَدْ كُنْتَ خَائِفَهُ عَلَى الْإِحْمَاقِ (١)

وقال الشماخ :

* فَأُدْمِجَ دَمِجَ ذِي شَطْنٍ بَدِيعٍ (٢) *

والقصدُ إلى خَوْبِلِدٍ وإلى شَطْنٍ .

٣ - لَطْمَنَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ وَجَمَعُكُمْ يَرُونَ الْأَذَى مِنْ ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ

الملطومُ داحِسٌ ، فجرى على ما بنى عليه الكلام من الإخبارِ عن نَسَلِهِ وآله . وكان حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ أَرْصَدَ فِتْيَانًا لَهُ مِنْ بَنِي فَرَازَةَ لَمَّا تَغَالَقَ هُوَ وَقَيْسٌ عَلَى الْفَرَسَيْنِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ ذَاتِ الْإِصَادِ لُقَّبَ بِشُعْبِ الْحَيْسِ - لِحَيْسٍ أَكَلُوهُ فِيهِ - وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ جَاءَ دَاحِسٌ مُتَقَدِّمًا سَابِقًا فَالطِّمُوهُ وَنَهْنِهْوُهُ عَنْ الْغَايَةِ حَتَّى تَتَقَدَّمَ الْعَبْرَاءُ ، فَمَرَّ بِهِمْ دَاحِسٌ مُبْرَزًا وَفَعَلُوا بِهِ مَا رَسَمَ لَهُمْ حَتَّى تَخَلَّفَ عَنِ الْعَبْرَاءِ ، فَاجْتَهَدَ دَاحِسٌ وَتَكَلَّفَ مِنَ الْعَدُوِّ مَا لِحَقَّ بِهَا ، وَتَقَدَّمَ عَلَيْهَا ثَانِيًا فَجَاءَ سَابِقًا . وَقَوْلُهُ « وَجَمَعُكُمْ يَرُونَ الْأَذَى » ، يَخَاطَبُ بِهِ بَنِي عَبْسٍ ، وَإِنَّمَا يَصِفُ مَا نِيلَ مِنْهُمْ وَرَكِبَهُمْ مِنَ الْهَضِيمَةِ فِي فَرَسِهِمْ لَمَّا لَطِمَ ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ مَنَعُوا مَا اسْتُحِقَّ لَهُ . وَاللَّطْمُ : الضَّرْبُ فِي الْخَدِّ ، ثُمَّ قِيلَ فَرَسٌ لَطِيمٌ تَشْبِيهًا بِذَلِكَ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ هُوَ تَمْسُوحٌ بِالْجَمَالِ مَسْحًا . وَذَاتُ الْإِصَادِ يُرِيدُ الْبُقْعَةَ الَّتِي فِيهَا الْإِصَادُ ، وَيُقَالُ هِيَ رَدْهَةٌ بَيْنَ أَجْبُلٍ . وَالرَدْهَةُ كَالْحُفَيْرَةِ (٣) يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ ، وَالْجَمِيعُ الرَّدَّاهُ .

٤ - سَيُمنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُقْتَلُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ

(١) نوارد أبي زيد ١٦١ .

(٢) صدره في ديوان الشماخ ٦١ :

* أطار عتيقه عنه نسالا *

(٣) م : « كالحفرة » وأشير في الأصل إلى أنها في نسخة « كالنقرة » .

• العقيق : الشعر الذي يكون على المولود حين يولد من الناس والبهائم .
والنسال : اسم ما سقط من الشعر والصوف والريش يريد أنه أنسل الشعر المولود به ، ويكون ذلك إذا تربع فسن .
وأدمج : أي أحكمت أعضاؤه .
الططن : الجبل الشديد الضل ، ومفعول المصدر محذوف ، أي دمج صاحب الشطن شطنه .
والبديع : الجدي .

هذا يحتمل وجهين : أحدهما أنه جعل الخطاب لصاحب الفرس على المجاز والسعة ، والمقصود الفرس ، فيقول : تُمْنَعُ من السَّبْقِ إن سَبَقْتَ - وهذا إشارة إلى ما كان منهم من لَطْمِ داحسٍ . وقد قُدِّمَ ذِكْرُهُ - فإن خَفَّتْ قَدَمَاكَ بِكَ وَبَرَزْتَ ثانياً أُنِيَّ عَلَيْكَ . ويكون قوله « زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ » على ما فسَّرناه من قولهم قَدَحُ زَلُولٍ ، إذا كان خفيفاً . فهذا وَجْهُ . والثاني أن يُتْرَكَ الخطاب على ظاهره وَحْدَهُ ، فيكون المعنى : سَيُمنَعُ منك المُتَّفِقُ عليه من الخطرِ بِسَبْقِ فرَسِكَ ، فإن لم يَثْبُتْ قَدَمَاكَ عند التَّقاضي به ، وفي الدفاع عن نفسك فيما يُرَادُ من ظُلْمِكَ وِيرامٍ من هَضْمِكَ قُتِلْتَ أيضاً . وهذا أَقْرَبُ وأشبهه بالقصة .

١٥٤

وقال غَلَّاقُ بنُ مَرْوَانَ (د) :

١ - هُمُ قَطَعُوا الأَرْحَامَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَجْرُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَلُّوا المَحَارِمَا
قَطَعُوا بالتخفيف يَصْلُحُ لقليلِ الفِعْلِ وكثيره ، فإذا ثَقَلَتْ لم يَكُنْ
إِلَّا للتكثير أو التكرير . والشاعرُ يَصِفُ ما أَجْرَى إليه القَوْمَ في سَبْقِ داحسٍ
من قطيعة الرَّحِمِ ، وانتهاكِ المَحْرَمِ ، واستِحْلَالِ المَحْظُورِ المَحْرَمِ ؛ وَيَقْتَصُّ
ما تَنَقَّلُوا فيه وتدرَّجوا إليه حَالاً بعد حَالٍ ، وشيئاً بعدَ شيءٍ . وقوله « أَجْرُوا
إِلَيْهَا » الإِجْرَاءُ يُسْتَعْمَلُ في المُنْكَرِ المذمومِ ، ومفعولهُ محذوفٌ ، كأنه أَجْرُوا

(١) التبريزي : « غلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع » . المبهج : « يكون غلاق فعلاً من غلق الرهن فهو غلاق ، كعلم فهو غلام ، وسلم فهو سلام . ويجوز أن يكون من أغلق الباب ونحوه ، وهذا أقلها لغزة فعال من أفعال ، إنما جاء منه أسار فهو سار ، وأدرك فهو دراك ، وأجبر فهو جبار . وأقصر فهو قصار . وقزأ بعضهم : يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد . ومروان : علم مرتجل » .

فِعْلُهُمْ إِلَيْهَا ، وَالضَّمِيرُ فِي « إِلَيْهَا » لِلْقَطِيعَةِ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى مَصْدَرِهِ .
وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، أَيْ كَانَ الْكَذِبُ شَرًّا لَهُ .

٢ - فَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا وَلَمْ تَلِدِي شَيْئًا مِنَ الْقَوْمِ فَاطِمَا

الْبَيْتُ عَلَى كَلَامَيْنِ : صَدْرُهُ إِخْبَارٌ ، وَعَجْزُهُ خِطَابٌ لِفَاطِمَةَ ، وَهِيَ أُخْتُ
لِهَا . وَمِثْلُهُ فِي أَنَّهُ كَلَامَيْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي
لِذُنُوبِكِ ﴾ . وَالشَّاعِرُ قَصَدَهُ إِلَى إِظْهَارِ التَّوَجُّعِ مِنَ الْحَالِ ، فَيَقُولُ مَتَمْنِيًّا : بِيُودِي
إِنْ يَكُونُوا الْوُصْلَةَ وَقَرَابَةَ غَيْرِ وَصْلَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ ، حَتَّى لَا يَبْلُغَ الْجَفَاءَ مِنْ جِهَتِهِمْ
مَبَالِغَهُ فِي نَفْسِنَا ، لِأَنَّ ظُلْمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ تَأْثِيرًا . وَالشَّرُّ إِذَا وَرَدَ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنْ مَظَنَّةِ الْخَيْرِ كَانَ أَنْفَذَ تَحْزِينًا . فَقَوْلُهُ « كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا »
أَيْ لِقَرَابَةِ أُخْرَى مَكَانَ هَذِهِ الْقَرَابَةِ ؛ أَوْ لِأَرْحَامِ أُخْرَى مَكَانَ هَذِهِ الْأَرْحَامِ .
وَقَوْلُهُ « لَمْ تَلِدِي شَيْئًا » تَمَنَّى ارْتِفَاعَ الْوُصْلَةِ كَمَا تَمَنَّى فِي الْأَوَّلِ انْقِطَاعَ الْقَرَابَةِ ؛
كَأَنَّهُ وَدَّ بَعْدَ اسْتِبْدَالِهِمُ بِالْتَّنَاصُرِ تَدَابُرًا ، وَبِالتَّوَاصُلِ تَقَاطُعًا ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُمْ
غُرَبَاءَ . وَقَوْلُهُ « فَيَا لَيْتَهُمْ » الْمُنَادَى مَحْذُوفٌ ، أَرَادَ يَا قَوْمَ لَيْتَهُمْ .

٣ - فَمَا تَدَّعِي مِنْ خَيْرِ عَدُوَّةِ دَا حِسٍ فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمًا

يَدُّ مَا أَحْمَدُوهُ مِنْ سَبَقِ دَا حِسٍ وَتَبْرِيزِهِ ، وَيُسَوِّي رَأْيَهُمْ فِي تَبْجِيحِهِمْ ،
وَيَعْرِفُهُمْ قُبْحَ عَاقِبَةِ مَا اخْتَارُوهُ ، وَسُوءَ مَغْيَبَةِ مَا شَرُّعُوا فِيهِ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَا تَدَّعِي »
لِأَنَّ أَصْحَابَ الْغِبْرَاءِ كَانُوا يَعْلَمُونَ ^(١) سَبَقَ دَا حِسٍ وَيَنْكُرُونَهُ ، فَلِهَذَا عَلَّقَ مَا حَكَاهُ
عَنْهُ بِاللَّعْوَى . وَقَوْلُهُ « مِنْ خَيْرِ عَدُوَّةٍ » أَيْ مِنْ نَفْعِهِ وَسَفَاءِ ذِكْرِهِ . وَقَوْلُهُ
« فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا » رَدَّ الضَّمِيرَ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْعَدُوَّةُ . يَرِيدُ : لَمْ يَرْجِعْ

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « لِأَنَّ أَصْحَابَ الْغِبْرَاءِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

إليك منها جدوى ، ولا ارتفع الأمر فيه كفاً . وأما فانت الغنيمة فيه لم تحصل لك السلامة أيضاً .

٤ - شَأْتُمْ بِهَا حَيِّيْ بَغِيضٍ وَغَرَبَتْ أَبَاكَ فَأَوْدَى حَيْثُ وَآلَى الْأَعَاجِمَا

قال أبو زيد : يقال شَأْمَ فلانٌ أصحابه ، إذا أصابهم الشؤم من قبله . و « بها » يُريدُ بالعدوة ، وهذا تفسير قوله : فلمَ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمًا . يَقُولُ : أَوْقَعْتُمْ بَعْدَوْتِهَا وَالْخِطَارِ عَلَيْهَا الشُّؤْمَ فِي حَيِّيْ بَغِيضٍ : عَبَسَ وَذُبْيَانَ ، وَأُخْرِجَ أَبُوكَ - يعني قيس بن زهير - إلى تَرْكِ أَرْضِ الْعَرَبِ وَمَهَاجَرْتِهَا . يعني حين أُخْرِجَ^(١) وَأُزْعِجَ إلى بلادِ العجم ، حتى صار يُواليهم بها ، إلى أن مات غريباً بين ظهرانهم . وأشار بقوله « حَيْثُ » إلى عُمان وما وراءه .

٥ - وَكَانَتْ بَنُو ذُبْيَانَ عِزًّا وَإِخْوَةً فِطْرْتُمْ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ الْجَمَاعِمَا

يقول : كان بنو ذبيان لكم يا بني عَبَسٍ مَلَاذًا وَعِزًّا ، وَعَتَادًا وَظَهْرًا ، لَمَّا يَجْمَعُكُمْ وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْأَخُوَّةِ ، فَاطْرَحْتُمْ مَوَاتَ التَّمَارِجِ وَالتَّشَابُكِ ، وَتَجَاوَزْتُمُوهَا إِلَى التَّجَاذِبِ وَالتَّقَاتِلِ . وَهَذَا تَحْسِيرٌ لِمُخَاطَبِ فِيمَا انْتَقَلَ عَنْهُ مِنْ مَوَالِيَةِ الْعَشِيرَةِ ، وَالْإِبْقَاءِ عَلَى الْأَحْوَالِ الْجَامِعَةِ ، وَتَلْهِيْفُ فِيمَا انْتَقَلُوا إِلَيْهِ مِنْ تَهْيِيجِ الْحَرْبِ ، وَبَسْطِ الْأَذَى وَالشَّرِّ ، وَتَنْبِيْهِ عَلَى مَا يَتَعَقَّبُ أَحْوَالَهُمْ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا مِنَ التَّفَانِيِ وَالتَّهَالُكِ . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ : فِطْرْتُمْ ، تَضْرِبُونَ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ ، فَالْكَتْفِيُّ بِالْإِخْبَارِ عَنْ إِحْدَى الْفِرْقَتَيْنِ ؛ إِذْ قَدْ عَلِمَ أَنَّ حَالَ الْأُخْرَى كَحَالِهَا . وَمَعْنَى طِرْتُمْ : تَسَرَّعْتُمْ ، كَمَا قَالَ :

* طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانًا^(٢) *

(١) كذا في م . وفي الأصل : « أخرج » بالخاء المعجمة .

(٢) من الحماسية الأولى . صدره :

* قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم *

٦- فأضحت زهيرٌ في السنين التي مضت وما بعدُ لا يدعونَ إلا الأشاماً

أنتَ الفعل لأن المراد بذكر زهير القبيلة بأسرها ، ومعنى يدعونَ يسمونَ ، كما قال ابن أحرر :

* وكنْتُ أدعو قَدَّاهَا الإثمدَ القَرِدَا (ط) *

يريد أُسِّي ، ولذلك تعدَّى إلى مفعولين ، فيقول : صار أسلاف بني زهير ابن حذيفة وأخلافهم لا يسمون قديماً ولا حديثاً إلا المشأم . والأشأم : جمع أشأم . ويقال : جرت لهم طيرٌ أشأمٌ ، أي جرت لهم بالشؤم . وقال زهير :

* فتنتج لكم غلمان أشأم (ط) *

أي غلمان أمرٍ أشأم . وقوله « في السنين » يجوز أن يكون ظرفاً لأضحت ، ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله « لا يدعون » . وقوله « وما بعدُ » يراد به وفيما بعد فيكون ما معطوفاً على السنين . ويجوز أن يكون موضع « ما » نصباً على أن يكون معطوفاً على موضع في السنين لا على لفظه ، لأن موضعه نصبٌ لكونه ظرفاً . ويجوز أن يجعل ما صلةً ، كأنه في السنين الماضية وبعدها . ويجوز أن يُروى : « ومن بعدُ لا يدعون » ، وهو حسن . وذكر بعضهم (ط) أن ما من قوله « وما بعدُ » لا يجوز أن يكون إلا صلةً وزائدة (ك) لأن بعدُ لمتا جعل غايةً ودخله النقصان بحذف ما كان مضافاً إليه امتنع من أن يكون مبنياً على شيء وخبراً عنه ، وإذا امتنع من ذلك امتنع أن يكون صلةً لموصول ، لأن الذي يكون

(١) صدره ، كما في اللسان (دعا) :

* أهوى لها مشتصا جشرا فشرقها *

(٢) تمامه : فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحر عاد ثم ترضع فتفطم

(٣) هو ابن جني في التنبيه .

(٤) نص التنبيه : « ينبغي أن يكون ما من قوله : وما بعد ، زائدة ... » الخ .

صِلَّةٌ مِنَ الظُّرُوفِ وَالْجَمَلِ هُوَ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ . وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالَهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ . مَعْنَاهُ : وَمِنْ قَبْلِ تَفْرِيطِكُمْ ، الَّذِي فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ، أَيِ قَدَّمْتُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ : وَمِنْ قَبْلِ تَفْرِيطِكُمْ ، فَيَكُونُ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مَصْدَرٍ . وَعَلَى الْوَجْهِينِ جَمِيعًا مَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ وَمِنْ قَبْلِ خَبَرِهِ . وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ فِي مَا مِنَ الْآيَةِ ثَلَاثَةَ أَوْجِهٍ ، مَا ذَكَرْنَا أَحَدَهَا . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمَا ذَكَرَهُ هَذَا الْقَائِلُ غَيْرَ صَحِيحٍ ، لِأَنِّي قَدْ أَرَيْتُكَ بَعْدَ وَهُوَ غَايَةُ خَبَرًا ، وَكَوْنُهُ صِلَّةً تَابِعٌ لِكَوْنِهِ خَبَرًا ، فَاعْلَمْهُ .

١٥٥

وقال المساور بن هند (١) :

١ - أَوْدَى الشَّبَابُ فَمَالَهُ مُتَّقَرُّمٌ وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ الْمَغْبَرُ (٢)

يقول : أَذْبَرَ الشَّبَابُ وَوَلَّى (٣) ، فَهُوَ فَائِتٌ لَا يُتَّبَعُ (٤) ، وَمَطْلُوبٌ لَا يُبْلَغُ ، وَعَدِمْتُ نَظْرَائِي وَأَقْرَابِي ، فَأَيْنَ بَقَائِي بَعْدَهُمْ ، وَكَيْفَ خَلَاصِي مِمَّا اخْتَرَمَهُمْ وَأَفْنَاهُمْ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَوْجِعٌ وَتَحَسُّرٌ لَمَّا تَقَضَى مِنْ شَبَابِهِ ، وَعُغْنُفَانٌ عُمُرِهِ (٥) وَتَقَدَّمَ مِنْ أَقْرَابِهِ وَلِدَائِهِ . أَيِ إِذَا خَلَوْتُ مِنْهُمْ ، وَصِرْتُ عَائِشًا فِي

(١) سبقت له الحماسية ١٤٨ .

(٢) التبريزي : « وأكثر الناس ينشد : وفقدت أصحابي » .

(٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « وقل » مع الإشارة إلى أنها في نسخة أخرى :

« وولى » .

(٤) م « لا يتبع » .

(٥) أشير في الأصل إلى أنها في نسخة : « أمره » .

غَيْرِهِمْ فَكَمْ عَسَى أَنْ أَبْقَى بَعْدَهُمْ . ويقال غَيْرَ إِذَا مَضَى ، وَغَيْرَ إِذَا بَقِيَ .
ويريد^(١) بالتغبر هنا البقاء ، ويقال : اِقتفرتُ الشَّيْءَ وَتَقَفَّرْتَهُ ، إِذَا تَتَبَعْتَهُ .

٣- وَأَرَى الْغَوَانِيَّ بَعْدَمَا أَوْجَهَنِي أَعْرَضَنَ ثُمَّتَ قَلْنِ شَيْخِ أَعْوَرُ

الغواني : جمع غانية ، وهي التي تستغني بزوجها عن الرجال ، وقيل هي التي تستغني بمحاسنها عن الزين بالحلي . وقال أبو عبيدة : هي المتزوجة ، وأنشد لجميل بن معمر :

حَبِئْتُ الْأَيَّامَ إِذْ بُثِّئْتُ أَيْمٌ فَلَمَّا تَغَنَّتْ أَعْلَقْتَنِي الْغَوَانِيَّ

وأنشد ابن الأعرابي :

* أَرْمَانَ لَيْلَى كَعَابُ غَيْرُ غَانِيَةٍ (٢) *

والشاعر يقول متشكياً من الشيب المقتاض من الشباب ، ومن الضعف التابع لصحة الجسم ، ومن السقوط والانحطاط بعد الجاه عند الغانيات : أرى النساء بعدما كنَّ يجعلن لي عندهنَّ جاهاً أعرضن عني واطرحنني ، وأبدلنني بالحمد ذمّاً ، وبالتسمية تلتقيباً ونبزاً (٣) ، فتي ذكرت عندهنَّ قلن هو شيخ أعور . وقوله « أوجهني » من الوجاهة : المنزلة . يُقالُ وَجَهُ وَجَاهَةً ، وَوَجَّهَنِي السُّلْطَانُ وَأَوْجَهَنِي : جعل لي جاهاً ومنزلة . وَرَجُلٌ مُوَجَّهٌ وَوَجِيهٌ . وقوله « شيخ » ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وقد مضى القول في التاء من ثُمَّتَ وَرُبَّتَ ، وأنه علامة التأنيث للقصة . وَجُعِلَتْ تَاءٌ مَفْتُوحَةٌ فَرَقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّتِي تَلْحَقُ الْفِعْلَ وَالاسْمَ .

(١) أشير في الأصل إلى أنها في نسخة : « ويراد » .

(٢) لنصيب ، كما في اللسان (غنا) . وعجزه :

* وَأَنْتَ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ لَكَ الْغَزَلُ *

(٣) النبز ، بالفتح : التلقيب ، وبالتحريك . اللقب .

• تَغَنَّتْ : تزوجت .
أَعْلَقْتَنِي : جعلتني أصاب
و الأيَّامَ : جمع أيم ،
وهي من بقيت مدة طويلة
دون زواج .

٣- ورأين رأسي صار وجهها كله إلا قفأي ولحية ما تضفر (١)

يقول مستمراً في تكلف الجزع إثر ما تولى من الشَّبَاب ، وبإسقاطاً معذرة النساء فيما استحدثن له : رأيني قد صلبت وانحسر الشعرُ عن رأسي حتى صار كله كوجهي ، إلا قفأي فإن به نبذاً من الشعر ، وإلا لحية لا تُقام مقام الذؤابة في الضفر والتجمل . فقوله « لِحْيَةٌ مَا تُضْفَرُ » تحسُّرٌ على ما عَدِمَ في رأسه من الضفائر وإن كانت اللحية لم يُعتمدْ ضفرها . وقوله « كله » ارتفع على أنه توكيدٌ للمضمَرِ في صار ، أو على أنه اسم صار ، أو على أنه يرتفع بفعله وفعله ما دلَّ عليه قوله « وجهها » كأن المراد توجهه كله ، ويكون كقولك رأيت زيدا قيسياً أبوه ، أي تقيس أبوه ، وصرت بسرج خزٍ صفتها (٢) .

٤ - ورأين شيخاً قد تحنى صلبيه يمشي فيقعس أو يكب فيعثر (٣)

يقول : ورأين شيخاً منحني الصلْبِ ، مُحْدَوِدِبَ الظَّهْرِ ، يَمْشِي مِشْيَةَ الْقُعْسَانِ إِذَا اسْتَمَرَّ فِي الْمَشْيِ ، أَوْ يَتَعَثَّرُ فَيَسْقُطُ لَوَجْهِهِ . وكان الواجب أن يقول : أَوْ يَعْثُرُ فَيُكَبُّ ، لأنَّ العِثَارَ قَبْلَ السَّقُوطِ لِلْوَجْهِ ، لكنَّه لم يُبَالِ بتغيير الترتيب ، لأمنه من الالتباس ، وهذا دون ما يجيء في كلامهم من القلب ، مثل قوله :

* كما أسلمت وحشيةً وهقاً *

• الوهق : الجدل في أحد طرفيه
أشوطه يطرح في عنق الدابة حتى
تؤخذ .

(١) ابن جني : « يروى كله بالرفع والنصب . فالنصب على أنه توكيد للرأس ، والرفع على أنه توكيد للضمير في صار . والوجه الرفع ، وذلك أنه ليس يريد أنهن رأين رأسه كله ، وإنما يريد أنهن رأين رأسه قد صار كله وجهها . وقد يجوز أيضاً أن يكون كله إذا رفع اسم صار ، حتى كأنه قال : ورأين رأسي صار جميعه وجهها . . . وقد يجوز أن يكون كله صفة أو تأكيداً ، وهو أولى من أن يباشر به العامل ، ألا تراه أخا ما لا يباشر العامل أبداً ، وهو أجمع وأجمعون » . (٢) الصفة : هنة كالمرفقة فوق السرج ، بمنزلة الميثرة للرجل . (٣) يقعس ، كذا ضبطت بضم العين في الأصل ، وهي رواية أبي هلال كما نص التبريزي . وضبط في م . بفتح العين . التبريزي : « ويروى : يقعس . أي يضطرب . ومنه تقعوشت الخيمة ، إذا سقطت » .

وكقول امرئ القيس :

* كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ (١) *

ويقال : قَعَسَ يَقْعَسُ ، إذا صار أْقَعَسَ خَلْقَةً فِيهِ ، وَقَعَسَ يَقْعَسُ قَعَسَانَا إِذَا مَشَى مِشْيَةً الْأَقْعَسِ تَكْلُفًا ، ومثله عَرَجَ يَعْرَجُ وَعَرَجَ . ويقال : أَكَبَّ زَيْدٌ فَلَا يَتَعَدَّى ؛ وَكَبَّهُ اللهُ لَوَجْهِهِ ، وهذا على العكس مما عليه أ كثر الأفعال . ومثله أَقْلَعَ الْغَيْمُ وَقْلَعَهُ اللهُ .

٥ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً عَمِيَاءَ تُوْقَدُ نَارُهَا وَتُسَّرُّ (٢)

إنما قَدَّمَ ما اقتصه من ضَعْفِهِ وَكَبْرَتِهِ ، لِئُرِي الْعُذْرَ فِيمَا يَعْجِزُ عَنْهُ مِنَ النَّهْوِ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، فيقول : لَمَّا وَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ كَرِهُوا مَا تَرَدَّدُوا فِيهِ مِنْ فِتْنَةٍ لَا يُهْتَدَى لَوَجْهِهَا ، وَلَا يُقْتَدَرُ عَلَى كَشْفِهَا ، تَسْتَعِرُّ نَارَهَا وَتَمْلَهُبُ ، وَبِتَعَثُّ شَرُّهَا فَشْتَمِلُ . وَيَعْنِي بِهَذَا فِتْنَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ . وَجَوَابُ لَمَّا مُنْتَظَرٌ ، وَهُوَ هُنَا مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : انْقَبَضْنَا عَنْ النَّهْوِ فِيهَا وَالْحَرَكَ ، لِنَنْظُرَ مَاذَا تَكُونُ . وَالْفِتْنَةُ الْعَمِيَاءُ : الَّتِي لَا يُهْتَدَى فِيهَا لَوَجْهِ أَمْرٍ ، وَفَضْلُ شَأْنٍ . وَالتَّعْمِيَةُ : التَّلْبِيسُ . وَيُقَالُ : هُوَ فِي عُمِيَانِهِ (٣) ، أَي عَمَاءُ ، مَصْدَرٌ كَالطُّغْيَانِ .

٦ - وَتَشَعَّبُوا شُعْبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ فِيهَا أَمِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرٌ

شَعَبْتُ يُكُونُ بِمَعْنَى جَمَعْتُ وَبِمَعْنَى فَرَّقْتُ . وَيُقَالُ التَّمَّ شَعْبُهُمْ ، إِذَا اجْتَمَعُوا بَعْدَ تَفَرُّقٍ ؛ وَتَفَرَّقَ شَعْبُهُمْ ، إِذَا تَبَدَّدُوا بَعْدَ تَجْمُعٍ . وَالشُّعْبَةُ : الطَّائِفَةُ ، وَجَمْعُهَا شُعَبٌ . يَقُولُ تَفَرَّقَ النَّاسُ فِرْقًا ، فَصَارَ الْاِخْتِلَافُ لِازِمًا

(١) صدره : * يزل الغلام الحف عن صهواته *

(٢) م : « فتسر » بالفاء . (٣) هذه الكلمة مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

لأهوائهم ، والتباين مُقْتَرِنًا بآرائهم ، في كلِّ جزيرة أمير المؤمنين ومُنْبَرٌ ،
يدعو إلى نفسه ويخطبُ على منبره لِجَذْبِ (١) الأمرِ إليه . وقوله « أميرُ
المؤمنين » لفظه معرفةٌ للإضافة المعتادة في هذه اللفظة المألوفة على الحدِّ الذي
ترى ، لكنَّ التنوين مَنوِيٌّ ، وإذا كان كذلك كان في حُكْمِ الذِّكْرَاتِ .
وإنما ساع ذلك لأنَّ قوله « أمير المؤمنين » يُشارُ به إلى الحال ، أي فيها أمير
على المؤمنين ، واسمُ الفاعل إذا أُريدَ به الحال أو الاستقبال كانت إضافته على
وجه التخفيف لا على وجه التعريف ، وبصير التَّنوين الذي هو الأصل مَنوِيًّا
فيه ، وعلى هذا قوله : ﴿ عَارِضٌ مُّطِرُنَا ﴾ لأنَّ التقدير مُمَطِّرُنَا لَنَا . وكذلك
قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ . وعنى بذلك ابن الزُّبَيْرِ ونظراءه
مَنْ كَانَ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . وهذا البيت منعطفٌ بما
فيه على قوله « هَرُّوا فِتْنَةً » .

٧ - وَتَعَلَّمَنَ ذُبْيَانُ إِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ أَنَا لَنَا الشَّيْخُ الْأَعْرُ الْأَكْبَرُ (٢)

يقول على وجه التَّوَعُّدِ : تَعَلَّمَنَ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ إِنْ تَوَجَّهَتْ نَحْوَنَا أَنَا لَنَا
هذا الرَّئِيسُ الْمَشْهُورُ الشَّانُ ، الْعَظِيمُ الْأَمْرُ . وَيُقَالُ : عَنَى بِهِ زُهَيْرُ بْنُ جَدِيمَةَ
الْعَبْسِيَّ . وَقِيلَ هُوَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ . وَيُرْوَى « إِنْ هِيَ أَدْبَرَتْ » . وَالْمَعْنَى :
إِنْ وَلَّتْ وَأَعْرَضَتْ ، فَإِنَّهَا سَتَعَلَّمُ أَنَا نَكْتَفِي مِنْ دُونِهِمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
الْمُرَادُ بِأَدْبَرَتْ : تَرَكْتُ الْحَقَّ . وَجَوَابُ إِنْ فِي قَوْلِهِ : « تَعَلَّمَنَ ذُبْيَانُ » ،
وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ .

٨ - وَلَنَا قَنَاةٌ مِنْ رُدَيْنَةَ صَدَقَةٌ زَوْرَاءُ حَامِلَهَا كَذَلِكَ أَرْوَرُ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « يجذب » .

(٢) في الأصل : « إن هي أدبرت » ، والوجه ما أثبتنا من م والتبريزي ، كما يدل .

عليه سياق الشرح .

قوله : « من رُدَيْنَةَ » أي من رِمَاحِ ردينة ، وهي امرأةٌ كانت تبيع الرِّمَاحَ ؛ فحذف المضاف . والصدِّقةُ : الضُّلْبَةُ ، والعربُ تذكُرُ القنَاةَ وصلابَتَها واعوجاجَها ، وأنها لا تلين ولا تقبل التَّقويمَ والتثقيفَ ، ضاربةٌ بها اللثَلِ في الخِلافِ والإبَاءِ ، والامتناعِ والتَّمسُّرِ على من يُريدُ إكْرَاهَهُمْ ، والتَّصْعَبِ على من يُريدُ^(١) تَلْيِينَهُمْ أو الغَضِّ منهم . والمعنى : قناتنَا لا تستقيمُ لِقَوْمٍ ، وحامِلُها لا ينقادُ لِمُجْتَدِبٍ . وعلى هذا قول عمرو بن كلثوم :

عَشَوَزَنَةٌ إِذَا عُجَزَتْ أَرَنْتُ تَشُجُّ قَفَا الْقَوْمِ وَالْجَبِينَا^(٢) .
وقول الآخر^(٣) :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِرٍ فَالْأَنهَا إِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وهذا الشاعر لم يَرَضَ بذكرِ القنَاةِ وما جَرَّتْ به العادة من وصفِ اعوجاجِها ، حتَّى عَقَّبَهُ بقوله « حامِلُها كذلك أَرَوْرُ » ، فزاد على مَنْ تَقَدَّمَ كما ترى ، وإنما أراد التأكيدَ والمبالغةَ وتبيينَ قوَّةِ الامتناعِ على مَنْ يطلبُ اقتسارَهُمْ . وهذا كما يَصِفُونَ التَّكَبُّرَ بِالشَّوْسِ وَالصَّعْرَ وَالصَّيْدَ . وقوله : « حامِلُها كذلك » من صِفَةِ القنَاةِ ، وارتفع حامِلُها بالابتداء ، وقد أَخْبَرَ عنه بِخَبَرَيْنِ : كذلك ، وَأَرَوْرُ . وقوله « كذلك » إِذَا وَقَعَ هذا الموقِعَ لا يُغَيَّرُ ، بل يكونُ للمذَكَّرِ والمؤنَّثِ على حالٍ واحدةٍ^(٤) . وأنشد أبو زيد :

- (١) م : « يطلب » .
(٢) المقوم ، هي في م : « المثقف » . وقد أشير في نسخة الأصل إلى أنها في نسخة أخرى : « المثقف » .
(٣) هو شاعر جاهلي كما في الكامل ١٢٥ لبيسك .
(٤) الحق أن هذه إحدى اللغات ، وإلا فهناك لغة المطابقة التي تطابق فيها الكاف المخاطب أفراداً وجمعاً وتذكيراً وتأنثياً ، وهي أفصح اللغات . انظر مع الهوامع (١ : ٧٠ - ٧٧) وشرح ابن يعيش على الفصل (٣ : ١٣٥) وشرح التصريح (١ : ٢٨) طبع ١٣٤٤ .
والمعني (١ : ١٥٥) طبع ١٣٤٨ .

أَمَا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسٍ وَلَا كَذَا رَجُلًا إِلَّا بِأَصْحَابِي (١)
وَالْمَعْنَى وَلَا كَمَا أَنَا السَّاعَةَ رَاجِلًا .

١٥٦

وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ (٢) :

١- قَلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنْيَفِ تَرَوِّحُوا عَشِيَّةً بِنَنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحٍ
تقدير البيت : قَلْتُ لِقَوْمٍ رُزَّحٍ عَشِيَّةً بِنَنَا عِنْدَ مَاوَانَ فِي الْكَنْيَفِ :
تَرَوِّحُوا . وَالْمَعْنَى بَعَثْتُهُمْ عَلَى السَّيْرِ فِي الرَّوَّاحِ ، وَإِنْ كَانُوا مُتَسَاقِطِي الْقَوَى (٣)
كَالْيَنِّ ، لَا حَرَكَ بِهِمْ ، وَلَا نُهْوُضَ يُقِيمُهُمْ ، هَزَلَى لِتَأْثِيرِ السَّفَرِ فِيهِمْ ، وَظُهُورِ
أَثَرِ الشَّقَّةِ عَلَيْهِمْ . وَوَاحِدُ الرُّزْحِ رَازِحٌ (٤) ، وَيُقَالُ رَزَّحَ الْبَعِيرُ رُزُوحًا ،

(١) فِي نَوَادِرِ أَبِي زَيْدٍ ص ٥ وَكَذَا عِنْدَ التَّبْرِيذِيِّ : « بِأَصْحَابِ » ، بَدُونَ إِضَافَةٍ . وَقَدْ
تَكَلَّمَ أَبُو زَيْدٍ عَلَى الْبَيْتِ ، وَنَسَبَهُ إِلَى حَبِيبِ بْنِ وَائِلٍ .

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحِمَاسِيَّةِ ١٤٥ . وَكَانَ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَمَا فِي دِيْوَانِهِ ص ٨٨
وَالتَّبْرِيذِيُّ عَنْ أَبِي رِيَّاشٍ : « تَتَابَعْتَ عَلَى مَعَدِّ سِنَوَاتٍ جُهَدْنَ النَّاسَ جُهْدًا شَدِيدًا ، وَكَانَتْ
غُظْفَانٌ مِنْ أَحْسَنِّ مَعَدِّ فِيهَا خَالًا ، وَتَرَكْتُ النَّاسَ الْغَزْوَةَ لِجُدُوبَةِ الْأَرْضِ ، وَكَانَ عُرْوَةُ فِي تِلْكَ
السَّنِينَ غَائِبًا فَرَجَعَ مُخْفِقًا قَدْ ذَهَبَتْ إِبْلُهُ وَخَيْلُهُ ، وَجَاءَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَدْ عَنَنَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ عَنَةً ، فَندَبَ
مِنْهُمْ رَهْطًا فَخَرَجُوا مَعَهُ فَنَحَرَ لَهُمْ بَعِيرًا وَخَمَلُوا سِلَاحَهُمْ عَلَى بَعِيرٍ آخَرَ وَقَدَّ لَهُمْ بَعِيرًا فَوَزَعَهُ بَيْنَهُمْ
وَخَرَجَ يَرِيدُ أَرْضَ قَضَاعَةَ ، وَقَصَدَ قَبْلَ أَرْضِ بَنِي الْقَيْنِ ، فَرَبَّمَ بِنَاكَ بِنَ حَمَارِ الْفَزَارِيِّ وَقَدْ نَفَدَ
مَا مَعَهُ فَتَمَالَ لَهُ مَالِكٌ : أَيْنَ تَنْتَلِقُ بِفَتْيَانِكَ هُوَ لَأَنْ تَهْلِكُمْ ضَيْعَةٌ ؟ قَالَ : إِنْ الضَّيْعَةُ مَا تَأْمُرُونَ
بِهِ : أَنْ أُقِيمَ حَتَّى أَهْلِكَ هَذَا . فَقَالَ : إِنْ أَطَعْتَنِي رَجَعْتَ عَلَى حَرَسِينَ - وَهِيَ جَبِلَانٌ فِي أَرْضِ
بَنِي فَزَارَةَ - فَكَانَ طَرِيقَكَ حَتَّى تَأْتِيَ قَوْمِي فَتَكُونُ فِيهِمْ . فَقَالَ : فَمَا أَصْنَعُ بَيْنَ كُنْتِ عَوْدَتِهِمْ إِذَا
جَاءُونِي وَاعْتَبَرُونِي ؟ قَالَ تَعْتَذِرُ فِيمَعْدَرُونَكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ شَيْءٌ . قَالَ : لَكِنْ أَنَا لَا أَعْذِرُ
فَقَمِي بِتَرْكِ الطَّلَبِ . فَقَالَ عُرْوَةُ يَذْكَرُ شِدَّةَ حَالِ أَهْلِ الْكَنْيَفِ وَمِنْ بَمَاوَانَ ، وَقِيَامَهُ بِأَمْرِهِمْ حَتَّى
صَلَحُوا ، وَنَدْبَهُ إِيَّاهُمْ حَتَّى خَرَجُوا مَعَهُ . »

(٣) م : « سَاقَطِي الْقَوَى » . (٤) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى « رَزَّحَ » سَاقَطَ مِنْ م .

إِذَا أَعْيَا، وَإِبِلٌ رَزَحَى، وَقَوْمٌ رِزَاحٌ^(١) أَي مَهَازِبِلٌ سَاقِطُونَ. وَالكَنِيفُ :
الْحَظِيرَةُ مِنَ الشَّجَرِ .

٣- تَنَالُوا الْغَنَى أَوْ تَبَلُّغُوا بِنَفْسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاِحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبْرِحٍ^(٢)

قَوْلُهُ « تَنَالُوا » جَوَابُ الْأَمْرِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ تَرَوَّحُوا. وَالْمَعْنَى :
سَيَرُوا وَاجْتَهَدُوا تَنَالُوا الْغَنَى، وَتَبَلُّغُوا حَدًّا مِنَ الطَّلَبِ يُفِضِي بِكُمْ إِلَى الْمَوْتِ
الْمُرِيحِ الْبَاسِطِ لِعُذْرِكُمْ^(٣). وَالْمُبْرِحُ : الْمَلِحُ الشَّدِيدُ، وَمِنْ هَذَا وَصَفَ الرَّيْحُ
بِالْبَارِحِ. وَيُقَالُ : بَرَّحَ بِي الْحُبُّ، أَي اشْتَدَّ؛ وَبَرَّحَ بِي فَلَانٌ، إِذَا آذَى؛
وَأَبْرَحَ الرَّجُلُ، إِذَا أَتَى بِالْبَرَحِ، وَالْبَرَحُ يَكُونُ الشَّدَّةَ وَيَكُونُ الْعَجَبَ،
وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى :

* أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا^(٤) *

٣- لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيْبَةً وَمُيَبِّلُغُ نَفْسِ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

قَوْلُهُ « لِيَبْلُغَ » تَفْسِيرُ مَا قَدَّمَهُ. وَيَشِيرُ بِقَوْلِهِ « عُذْرًا » إِلَى قَاطِعِ الْمَوْتِ
لَأَنَّ الْمُجْتَهِدَ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ إِذَا حَالَ أَجَلُهُ دُونَ أَمَلِهِ فَقَدْ أُعْذِرَ، إِذْ كَانَ قَدْ
فَعَلَ مَا عَلَيْهِ^(٥). وَقَوْلُهُ « أَوْ يُصِيبَ رَغِيْبَةً » إِشَارَةٌ إِلَى نَيْلِ الْغِنَى. وَالرُّغْبُ :
اتِّسَاعُ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ بَطْنُ رَغِيْبٍ. وَقَوْلُهُ « وَمُيَبِّلُغُ نَفْسِ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ » أَي مَنْ
أَعْذَرَ فِيمَا يَطْلُبُهُ، أَصَابَهُ أَوْ فَاتَهُ، فَقَدْ أَنْجَحَ. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ

(١) هذا الجمع لم يرد في المعاجم المتداولة، وبدله « رزاحي » بفتح الراء مع قصر آخره.

(٢) الديوان : « من عناء مبرح » .

(٣) م : « إلى موت يريحكم ويبيسط عذركم » .

(٤) هو بتمامه في ديوان الأعشى ٣٧ :

تقول ابنتي حين جد الرحبي * ل أبرحت ربا وأبرحت جارا

(٥) م : « إذا كان ما عليه قد فعل » .

وظاهرُ صدر البيت الأول أنه يتكرر به المعنى الذي قدمه فيه ، فليس الأمر كذلك ، لأنه ذكر في الأول إبلاغ النفس من الموت حذراً يُرِيحُهُ ، ولم يُبين من فعل ذلك : هل أنجح أولاً . وفي الثاني بين أن المُعذِر في طلب الشيء كالمُنجِح ، وأنه إذا استفرق وسعه في طلب ما يهيم به ثم حال دونه حائل فقد أعذر . وفي طريقته قول أبي تمام :

لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

١٥٧

وقال أبو الأبيض العبسي (د) :

١- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَقُولُنْ فَوَارِسٌ وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ قُفُولٌ

قوله « شعري » اسم لَيْتَ ، وخبره مُضْمَرٌ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِمَفْعُولِ شِعْرِي . ولَيْتَ شِعْرِي لا يَجِيءُ إِلَّا هَكَذَا ، كما أَنَّ لَوْلَا يَجِيءُ أَبَدًا مَحذُوفَ خَبَرِ الْمَبْتَدَأِ الَّذِي بَعْدَهُ ، وقد اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِجَوَابِهِ ، وذلك كقولك لولا عبد الله أفعلت . وقوله « هَلْ يَقُولُنْ فَوَارِسٌ » سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِ لَيْتَ شِعْرِي . ومعنى الكلام لَيْتَ عَلِمِي وَاقِعٌ : هل يقع هذا القول من الفُرسَانِ في تلك الحال ؟ ومفعول « يَقُولُنْ » أول البيت الثاني ، وهو قوله « تَرَكَنَا » ، واعتراض بينهما قوله « وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ قُفُولٌ » ، وموضعه نُصِبَ عَلَى الْحَالِ ، والذي تَمَنَّى عَلَيْهِ أَنَّهُ هَلْ يُقْتَلُ ، فإذا انصرفت الأبطالُ عنه قالوا هذا القولُ أولاً . وتحقيق الكلام : لَيْتَنِي عَلِمْتُ مَا يَقْتَضِي هَذَا السُّؤَالُ مِنَ الْجَوَابِ ، لأنَّ ذَاكَ يَهْمُهُ

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : وكان في أيام هشام بن عبد الملك ، وخرج مجاهداً في بعض الوجوه فرأى في المنام كأنه أكل تمرأ وزبداً ودخل الجنة ، فلما كان من الغد أكل تمرأ وزبداً وتقدم فتاتل حتى قتل » .

لا نَفْسُ السُّؤال . وقوله : وقد حَانَ منهم قُفُولٌ ، أي رُجُوعٌ عن المَعركة إلى ديارِهِم وحيِّهِم ، كأنَّهُ كانَ هَمَّ بالاستقبال ، وَوَطَنَ نَفْسُهُ من مُصادمةِ العدوِّ (١) ، ومصادمةِ القتالِ على ما غَلَبَ اليأسَ من الانصرافِ عنهم ، لتَعَرُّضِهِ لِمَا لا يَسَلِّمُ مَعَهُ من يُلَابِسُهُ ، فَتَكَلَّمَ بذلك . وقوله « يَوْمَ ذاك » إشارةٌ إلى يومِ ملاقاتِ الأعداءِ . فإن قيل : هل تُقدِّرُ في الكلامِ بعد الاستفهامِ شيئاً لأنَّك إذا استَفهَمْتَ عن شيءٍ كان ما تَسْتَفهِمُ عنه وَخِلافُهُ سَوَاءً عندك ، وإلا لم تكن مُسْتَفهِمًا ؟ قلتَ : مَعْنَى الاستِفْهَامِ هَلْ يَقُولُنَّ فَوَارِسٌ كذا ، وهل زَيْدٌ عِنْدَكَ ، عَلَى « أَوْ » أو « أَمْ » وَلَوْلَا ذلك لامتنع الاستفهام . وسنشرح الكلامَ فيما يقتضيه هذا الموضع في البيت الذي بعده .

٢ - تَرَ كُنَّا ولم يُجَنِّنْ من الطَّيْرِ لِحْمُهُ أَبَا الأَبْيَضِ العَبْسِيِّ وهو قَتِيلٌ (٢)
 يقول : ليتني عَلِمْتُ هل يقولون في مُنْصَرَفِهِم تَرَ كُنَّا أبا الأَبْيَضِ مَصْرُوعًا متروكًا بالعراء ، تَعْفُوهُ (٣) سِبَاعُ الطَّيْرِ وتأكلُ من لِحْمِهِ ، غير مُسْتَوْرٍ عنها ولا ممنوعٍ منها . وقد اعْتَرَضَ بَيْنَ تَرَ كُنَّا ومفعولِهِ وهو أبو الأَبْيَضِ بقوله « ولم يُجَنِّنْ من الطَّيْرِ لِحْمُهُ » ، وموضعه نَصَبٌ على الحال . فإن قيل : فما المُقدَّرُ بعد الاستفهام هنا من حرفي العطف : أم ، وأو ، وكيف يكون معنى الكلامِ مع ذلك المُقدَّرُ ؟ قلتَ : المعنى على أَوْ ، بدلالة أنه يُجابُ مثل هذا الكلامِ بِنَعْمٍ أَوْ لا ، إذ كان المَبْنَى على ليتني عَلِمْتُ هل يَقَعُ ذلك منهم . فأما تقديرُ أَمْ وهي عاطفةٌ فلا يَصِحُّ في مثل هذا الموضع ، كما لا يجوز اللَّفْظُ بها على جهة المعادلة . وقد قال أبو العباس :

(١) كذا على الصواب في م . وفي الأصل : « على مصادمة العدو » .

(٢) التبريزي : « ولم نُجَنِّنْ » .

(٣) تعفوه : تعثريه . وهذه رواية م . وفي نسخة الأصل : « تعفوه » .

لا يكونُ أمَّ بَعْدَ شيءٍ من حروف الاستفهامِ سِوَى الألفِ إلا على كلامين .
وأما تقديرُ أمِّ المنقطعةِ فبعيدٌ ، لأنه لو قُصِدَ لم يكن بُدًّا من ذِكْرِهِ وذكْرُ
المُسْتَفْهَمِ به عنه بعده . فاعلمهُ .

٣- وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تَرَائِي وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَه مِنِّي غَدًا لَقَلِيلُ

يقول : رَبَّ إِنسانٍ يُعَلِّقُ طَمَعَهُ بِمِرائِي ، ويرجو تحصيله بَعْدِي ، والذي
يَنالُه منه غَدًا - يُشِيرُ إلى يَوْمِ مَوْتِهِ - قليلٌ غير كثير . والمعنى : إني
لا أذخرُ مالي بل أتلفه في اكتساب الحماد ، فلا يكون لي تراثٌ إلا سلاحي
وما لا بُدَّ للفارس منه .

٤- وما لي مالٌ غيرُ دِرْعِ حَصِينَةٍ وَأَبْيَضُ من ماءِ الحَدِيدِ صَقِيلٌ^(١)

٥- وَأَسْمَرُ خَطِّي الْقَنَاةِ مُثَقَّفٌ وَأَجْرَدُ عُرْيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلُ

نَفِي أن يكون له مالٌ يَدَّخِرُهُ^(٢) طولَ حَيَاتِهِ ، وَيَرِثُهُ الوارثُ بعدَ مماتِهِ
إلا دِرْعَهُ وَبَيْضَتَهُ ، وَسَيْفًا مَصْقُولًا طُبِعَ من خالصِ الحديدِ ، وَرُمْحًا حَمَلَتْ
قَنَاةَهُ من الخَطِّ - وهو جزيرةٌ بالبحرين - وَفَرَسًا قَصِيرَ الشَّعْرِ مُنْجَرِدٌ
الظَّهْرَ من اللَّحْمِ ، مُشْرِفَ الهامَةِ ، طَوِيلَ القامَةِ . المِغْفَرُ : حَلَقٌ يَتَّقَعُ بها
المُتَسَلِّحُ ، وكذلك الغِفَارَةُ . وقال الخليل : المِغْفَرُ : رَفْرَفُ البِيضَةِ . وأصلُ
المِغْفَرِ التَّغْطِيَةُ والسَّتْرُ . وقوله « غيرُ دِرْعٍ » يجوزُ رَفْعُهُ ، وهو الوَجْهُ ، على أن
يكون بدلًا ، ويجوزُ النَّصْبُ على الاستثناء .

٦- أَقِيهِ بِنَفْسِي فِي الحُرُوبِ وَأَتَّقِي بِهَادِيهِ إني لِلخَلِيلِ وَصُولُ

(١) م والتبريزي : « غير درع ومغفر » . وأشير في حواشي الأصل إلى أنها في نسخة
« ومغفر » .

(٢) م : « يذخره » .

هذا معني شريف حسن . يقول : أَحْفَظُ مَقَاتِلَ فَرَسِي بِفَخْدِي وَرِجْلِي ،
وَأَتَّقِي فِيمَا ^(١) بَاتِنِي بَعْنُقِهِ . والمعنى : من أراد أن يصيب مَقَتْلِي جَعَلْتُ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ عُنُقَ دَابَّتِي ، كما أن من أراد مَقَتَلَ فَرَسِي أَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَخْدِي
وَرِجْلِي . ثم قال : « إِيَّيْ لِلخَلِيلِ وَصَوْلُ » أي لا أَخْذُلُهُ فِي الشَّدَائِدِ وَلَا أَنْتَفِعُ
بِهِ إِلَّا وَأَنْفَعُهُ . وهذا مَثَلٌ . والعَرَبِيُّ يُسَمِّي ^(٢) سِلَاحَهُ وَمِرْكَوبَهُ خَلِيلًا ،
على ذلك ما أَنشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، وهو :

وَإِيَّيْ كَمَا قَالَتْ نَوَارُ إِنْ أُجْتَلَتْ عَلَى رَجُلٍ مَا شَدَّ كَفِّي خَلِيلَهَا

١٥٨

وقال قيس بن زهير العبسي ^(٣) :

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو زِيَادٍ ذِمَارَ أَبِيهِمْ فِيمَنْ يُضِيعُ

اللامُ من « لَعَمْرُكَ » لامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وخبرُ الْمَبْتَدَأِ محذوفٌ ، كأنه قال :
لَعَمْرُكَ قَسَمِي . بقول : وبقائك ما ضييع لهؤلاء العصابة من حق أبيهم وشرف
أسلافهم ، ما يوجب التذمر عند المحافظة عليه في جملة من يُضِيعُ حُقُوقَ آبَائِهِمْ ،
وما أثلوه من مفاخرهم ومحاسنهم ؛ بل حافظوا عليه بما ضموا مما استحدثوه
واطرّفوه إليه . وحذف مفعول يُضِيعُ كأنه قال : فيمن يُضِيعُ الذّمَارَ .
ويقال : فلان حامي الذّمَارِ ، أي إذا ذمّر وغضب حمي . وهذا كما يُقال ، هو
ثَبَتُ الخَبَارِ ، أي إذا حصل في الخبر ثبت . وقوله « ما أضاع » تهكمٌ

(١) م : « ما » .

(٢) في النسختين : « والعرب تسمى » .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٤ . والتبريزي : « وقال قيس بن زهير في بني زياد الربيع ،

وعمارة ، وأنس ، وكان يقال لهم الكملة » .

أو تعريضٌ؛ لأن الذين أخبر عنهم أشهرُ أمراً وأعظمُ شأنًا من أن يُقالَ فيهم ذلك .

٢- بَنُو جِنْيَةٍ وُلِدَتْ سَيُوفًا صَوَارِمَ كَلِّهَا ذَكَرَهُ صَنِيعٌ

يَعْنِي وَلَدَ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاشِبِ الْعَبْسِيِّ ، يَقُولُ : هُم بَنُو امْرَأَةٍ كَانَتْهَا فِي فَضْلِهَا وَدَهَائِمِهَا مِنَ الْجِنِّ . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرْشُبِ الْأَنْمَارِيَّةُ ، وَهِيَ إِحْدَى الْمُنْجِبَاتِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا كَأَنَّ (١) قَائِلًا قَالَ لَهَا : « أَعْشَرَةٌ هِدْرَةٌ (٢) ، أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمِ ثَلَاثَةٌ كَعْشَرَةٌ » فَلَمَّا انْقَبَتِ اقْتَصَّتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَ لَهَا : إِنْ عَاوَدَكَ فَقُولِي : بِلِ ثَلَاثَةٌ كَعْشَرَةٌ . فَرَجَعَتْ إِلَى الْمَنَامِ وَرَأَتْ مِثْلَ مَا رَأَتْ مِنْ قَبْلِ ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ فِي الْجَوَابِ : بِلِ ثَلَاثَةٌ كَعْشَرَةٌ . فَوُلِدَتْ بَنِينَ ثَلَاثَةً (٣) صَارَ كُلُّ مِنْهُمْ أَبًا لِقَبِيلَةٍ ، وَمُعْظَمًا فِي قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَهُمْ رِبِيعُ الْحِفَاظِ ، وَعُمَارَةُ الْوَهَابِ ، وَأَنْسُ الْفَوَارِسِ . وَكَأَنَّ جَعَلَ الْأُمَّ جِنْيَةً لِخُرُوجِهَا فِيهَا أَتَتْ بِهِ عَنْ الْمَعْتَادِ [مِنَ الْإِنْسِ (٤)] جَعَلَ الْأَوْلَادَ سَيُوفًا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : هُم أَوْلَادُ امْرَأَةٍ وُلِدَتْ رِجَالًا كَانَهُمْ فِي النَّفَازِ سَيُوفٌ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ » .

(٢) ضَبَطْتُ فِي الْأَصْلِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَفِي م بِكسْرِ الْهَاءِ ، وَفِيهَا لَفَةٌ ثَالِثَةٌ وَهِيَ ضَمُّ الْهَاءِ وَفَتْحُ الرَّاءِ ، أَيْ سَاقِطُونَ لَيْسُوا بِشَيْءٍ . وَفِي اللِّسَانِ : قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : وَالْفَتْحُ أَقْبَسُ ، لِأَنَّهُ جَمْعُ هَادِرٍ مِثْلُ كَافِرٍ وَكَفْرَةٍ . وَإِمَا هِدْرَةٌ - أَيْ بِكسْرِ فَفَتْحٍ - فَلَا يَكْسُرُ عَلَيْهِ فَاعِلٌ مِنَ الصَّحِيحِ وَلَا الْمَعْتَلِّ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنْ أُبْنِيَةِ الْجَمْعِ . وَأَمَّا هِدْرَةٌ - أَيْ بِضَمِّ فَفَتْحٍ - فَلَا يُوَافِقُ مَا قَالَهُ النُّحَوِيُّونَ ، لِأَنَّ هَذَا بِنَاءٌ مِنَ الْجَمْعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمَعْتَلِّ دُونَ الصَّحِيحِ نَحْوِ غِرَازَةٍ وَقِضَاةٍ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِلْجَمْعِ . وَالَّذِي رَوَى هِدْرَةٌ بِالضَّمِّ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ . وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ .

(٣) وَهَذَا يُوَافِقُ السَّجْعَ قَبْلَهُ . وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ ، وَأَنَّ هُم صَارُوا فِيهَا بَعْدَ أَرْبَعَةٍ وَهُمْ الْمَسْمُومُونَ بِالْكَمَلَةِ . وَالرَّابِعُ هُوَ قَيْسُ الْحِفَاظِ . وَأَمَّا رِبِيعٌ فَلَمَعْرُوفٌ فِي لِقَبَةٍ ، أَنَّهُ « رِبِيعَةُ الْكَامِلِ » . انْظُرْ شُرُوحَ سَقَطِ الزَّنْدِ ٢٠٥١ وَالِاشْتِقَاقَ ١٦٩ .

(٤) التَّكْمَلَةُ مِنْ م .

قواطع ، كلُّ واحدٍ منها ذَكَرُ الحَدِّ ، مَصْنُوعٌ صَقِيلٌ . و « صَنِيعٌ » كما
استُعْمِلَ فِي السَّيْفِ اسْتُعْمِلَ فِي الخَيْلِ . يُقَالُ صَنَعْتُ الفَرَسَ ، إِذَا ضَمَّرْتَهُ .

٣- شَرَى وُدِّي وشُكْرِي من بَعِيدٍ لآخرِ غَالِبٍ أبدأ ربيع

يقال : شَرَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى اشْتَرَيْتُ وَبِعْتُ جَمِيعًا ، وَكَذَلِكَ بَعْتُ
يَصْلُحُ لِلأَمْرَيْنِ ، وَمَنْ شَرَيْتُ الضَّرْوَى ، وَهُوَ المِثْلُ ، لَكِنْ لَامُهُ وَهُوَ ياءُ
قَلْبَتْ وَاؤًا ، لِأَنَّ فَعَلَى إِذَا كَانَ اسْمًا وَلامُهُ ياءُ يُفَعَلُ بِهِ ذَلِكَ ، فَرَقًا بَيْنَ
الاسْمِ وَالصِّفَةِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ المَقْتَدِي . فيقول : اشْتَرَى ربيعُ الحِفاظِ عَلَى
بُعْدِهِ مِنِّي ، وَدِّي لَهُ ، وَثَنَائِي عَلَيْهِ وَعَلَى آخِرِ رَجُلٍ يَبْقَى مِنْ بَنِي غَالِبٍ
أبدأ (د) . وَقَوْلُهُ « مِنْ بَعِيدٍ » فِي مَوْضِعِ الحَالِ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ نالَهُ
إِحْسَانَهُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُهُ وَبَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ وَبُعْدٌ .

(١) وكذا وردت العبارة بتمامها عند التبريزي مما يدل على اعتماده اعتماداً كبيراً على المرزوقي
وزاد التبريزي : « وإنما شكر الربيع بن زياد لقيامه معه ، ونصرته إياه في حرب
داحس . وذلك أن الربيع قد كان ساوم قيساً على درع له ، والربيع راكب وقيس راجل ،
فلما وضعها على قربوسه ركض فرسه ففضى بها ، فلما انتجعوا أخذ قيس بن زهير بزمام أمه
فاطمة بنت الحرشب يريد أن يرتهاها بدرعه فقالت : أين ضل حلمك يا قيس ؟ أترجو الصلاح
فيما بينك وبين بني زياد ، وقد ذهبت بأهمهم يمناً ويسرة ، وقال الناس ماشاءوا ، وحسبك
من شر سماعه ! فذهبت مثلاً . وعلم قيس أنها صدقت ، فأرسالها وأغار على إبل الربيع فاستاقها
وكان هذا بينهما . فلما قتل حذيفة مالك بن زهير ظن قيس أن الربيع لا يقوم معه بطلب
ثأر أخيه لما بينهما من الشحنة . فلما قام معه قال قيس :

* شرى ودي وشكري من بعيد *

أي كان بيني وبينه بعد فأتى العداوة وراء ظهره ونصرني ، للرحم والقراية . وغالب من
عبس . وقال أبو هلال وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي هذه الأبيات لحاتم . وكان
قد جاور حاتم زمن الفساد بنى زياد عبد الله بن عبس ، فأحسنوا جواره ، فقال فيهم هذه
الأبيات .

١٥٩

وقال هُدْبَةُ (١) :

١ - إني من قضاة من يكدها أكده وهي مني في أمان (٢)

ليس يريد بهذا الكلام نسبة نفسه إلى قضاة فقط ، بل يريد اختصاصه بهم ، وتعصبه لهم . وهذا كما يقال : أنا من فلان وإلى فلان ، أي ابتدائي منه وانهائي إليه ، فيقول : إني منتم إلى قضاة أهوى هواها ، وضلعي معها ، فن عاداها أو نابذها عاديتها ونابذته ، وهي آمنة من مكروهي وأذاي ، إذ كنت أنعطف عليها فيما ينوبها ، وأغتفر زلاتها فيما يتفق منها . وهذا الكلام في التنبيه في الاختصاص ، والإبانة عن الطاعة والإخلاص ، من أبلغ كلام وأكرم إبناس . ألا ترى أنه فصل ما أجمل ، وفسر ما أبهم بقوله « من يكدها أكده وهي مني في أمان » ؟ وهذا صفة جوارح الإنسان مع جملته وأبماضه مع كُله ، بدلالة أنه يدافع من يريد إصابة أحدها ، ثم هي آمنة من جنائته عليها ، أو على شيء منها .

٢ - ولست بشاعر السفساف فيهم ولكن مدرة الحرب العوان

(١) التبريزي : « هُدْبَة بن خشرم » . المبهج : « هُدْبَة واحدة الهدب ، وهي للشوب وللأرطى والخشرم : جماعة النحل ، وهو أيضاً الثول والدبر » . وهُدْبَة ابن خشرم بن كرز شاعر عذري ، وكان صاحب زيادة بن زيد العذري في سفره ، فلم يزل يطلب غرته حتى قتله ، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص ، وكان ولي دمه أخوه عبد الرحمن بن يزيد ، فكنه منه سعيد فقتله . انظر الأغاني (٢١٠ : ١٦٩ - ١٧٧) ومعجم المرزباني ٤٨٣ واللكلي ٢٤٩ - ٢٥٥ ، ٦٣٩ - ٦٤٠ والخزانة (٤ : ٨١ - ٨٧) والشعر والشعراء ٦٧١ - ٦٧٦ .

(٢) روى التبريزي خبر هذه الأبيات مسهباً في نحو تسع صفحات تصور ما كان بينه وبين زيادة بن زيد من عداة ومكايدة .

يقول : ليس محلي منهم وفيهم محل شاعر يسفسف القريض ، ثم يقف دون غايته باليد واللسان . والسفساف : ما لا خير فيه من الأفعال والأقوال : وفي الحديث : « إن الله تعالى يحب معالي الأمور ويُبغضُ سفاسفها » .
والعوان من الحرب : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى . فإن قيل : أين مجز البيت من صدره في النظام ، وهلا قال بعد ما نفى عن نفسه من الشعر الركيك : ولكنني شاعر المتخير الرصين ؟ قلت : إنما المراد^(١) التنبيه على فضله فيهم^(٢) وطوله ، وعلى كفاية بيانه ، وعلى غناء سنانه . والحرب كما تقع بالضراب والطعان تقع بمجازة الحجاج عند النفار والفخار . وآثر أن يقول : « ولكن مدره الحرب » ليدخل تحته الأمران جميعا . وقيل : المدره هو السيد الذي يدفع به الشر فينتظم به أمور الحرب ، ويقوم بأسباب الصحاب . وذكر بعضهم أنه من دره علينا ، أى طلع . وقيل إنه من درأ أى دفع ، وأن الهاء فيه بدل من الهمة . ويجوز أن يكون الكلام تعريضا بإنسان نفى عن نفسه حاله وأنبأ أن الأمر^(٣) بخلافه .

٣ - سأهجو من هجأهم من سواهم وأعرض منهم عمن هجاني

قوله « من سواهم » يتعلق من بهجأهم^(٤) ، وموضعه نصب على الحال . ويحتمل معاني : يجوز أن يريد به مخالفاً لغيرهم ؛ لأن من هذه تكون للملابسة ؛ على ذلك قولهم : أنت مني فرسخين ، أي أنت مخالفي . يقوله الدليل والخفير^(٥) . ويكون للولاء والنصرة ، على ذلك قول النابغة :

(١) م : « إنما أراد » .

(٢) كذا في م ، وفي الأصل : « منهم » . (٣) م ، « أمره » .

(٤) م والتبريزي : « من سواهم يتعلق بمن هجأهم » .

(٥) كذا في م والتبويرية . وفي الأصل : « يقوله الدليل الحقير » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَآسْتَ مِنِّي

فيكون معنى « من سواهم » ناصراً لغيرهم . وتكون للنسب والولادة . يقول هُم من أبٍ واحدٍ وبعضهم من بعض ، فيكون المعنى منتسباً إلى غير أصلهم . وعلى هذا قوله « وَأُعْرِضُ مِنْهُمْ » يتعلق من بهجاني ، ويكون الكلام في موضعه ومعناه على الحد الذي بيناه . من تعرض لهم بمكروه أو ذكركم بسوءٍ فإني أدافعهم عنهم ، وأعارضهم دونهم ، وأقاتله عن تناولهم منهم ، ومن تعرّض لي منهم فإني أعرض عنه ، وأصفح عن غيئه فلا أواخذه به ، صيانةً لهم ، ومحافظة على ما يجمعني وإياهم .

١٦٠

وقال عمرو بن كلثوم (د) :

١ - مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِجَ مِنَ الْقَتْلِ

مَعَاذَ اللَّهِ ، من المصادر التي لا تكون إلا منصوبةً ، وُضِعَتْ موضِعاً واحداً من الإضافة على ما ترى ، ولا يتصرف . والعياذ في معناه ومن أصله ، وهو يتصرف مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً ، وبالألف واللام . وانتصب معاذ الإله على إضمار فعلٍ تُرِكَ إظهاره . ويقولون : عائداً بالله من شرّها ، فيجري مجرى عياداً بالله ، كأنه قال : أعوذ بالله عائداً وعياداً . ومن أبيات الكتاب :

(١) ليس في حاجة إلى ترجمة . وشهرته شاعراً من شعراء المعلقات شهرة ظاهرة . وهو تغلبي من بني عتاب ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة . انظر ترجمته بإسهاب في الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٨) والخزانة (١ : ٥١٧ - ٥٢١) وشرح شواهد المغني للسيوطي ٤٤ - ٤٥ والشعر والشعراء ١٨٥ - ١٨٨ .

أَلْحِقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَفَعُوا وَعَائِذًا بِكَ أَنْ يَغْلُوا فَيُطْفُونِي (١)
 ويُقال : عَذْتُ بِاللَّهِ عَوْذًا وَمَعَاذًا وَعِيَاذًا . وَيُقَالُ : أَفَلْتَ مِنْهُ عَوْذًا
 بِفَتَحَتَيْنِ ، أَيْ عَائِذًا ، وَأَنْتَيْتُهُ عَوْذًا . وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَرُّؤٌ مِنْ إِظْهَارِ الْجَزَعِ
 عَلَى قَتْلِهِمْ ، وَاسْتِعْمَالِ الْبُكَاءِ وَالضَّجَّاجِ فِي بَلْوَاهُمْ ، وَتَصَبُّرٌ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ ،
 وَانْتِفَاءٌ مِنْ تَكَرُّهِ الْقَتْلِ . يَقُولُ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ نَوْحِ نَسَائِنَا عَلَى مُتَوَقِّيْنَا
 مَفْقُودٍ ، وَمِنْ ضَجِيحِنَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْقِتَالِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ أَحَدُ هَذَيْنِ مِنَّا وَقَدْ
 تَعَوَّدَتْ نَسَاؤُنَا الشُّكْلَ ، وَنَسَائِنَا فِي مِمَارَسَةِ الْحَرْبِ وَمِزَاوَلَتِهَا . وَفِي طَرِيقَتِهِ
 قَوْلُ الْآخِرِ (٢) :

إِذَا مَا أَتَتْنِي مِيَّتِي لَمْ أَبَالِهَا وَلَمْ تُنْذِرْ خَالَاتِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي
 ٣ - قِرَاعِ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّانَا بِأَرْضِ بَرَّاحٍ ذِي أَرَاكِ وَذِي أَثْلِ
 الْأَصْلُ فِي الْبَرَّاحِ الْأَرْضُ الَّتِي لَا بِنَاءَ فِيهَا وَلَا عُمرَانَ . وَالْمُقَارَعَةُ :
 مُضَارَبَةُ الْقَوْمِ فِي الْحَرْبِ . وَكُلُّ شَيْءٍ ضَرَبْتَهُ بِشَيْءٍ فَقَدْ قَرَعْتَهُ . وَهَذَا عَلَى
 حَذْفِ الْمِضَافِ ، كَأَنَّهُ قَالَ قِرَاعُ أَصْحَابِ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ . أَخْبَرَ عَنْ
 نَفْسِهِ وَذَوِيهِ بِأَنْ صَبَّرَهُمْ فِي دَارِ الْخِيفَةِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُمْ بِأَرْضِ وَاسِعَةٍ ذَاتِ أَثْلٍ
 وَأَرَاكِ ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ الْإِنْتِجَاعِ وَتَطَلُّبِ الْخِصْبِ فِي الْمِظَانِ (٣) . وَهَذَا صَرِيحٌ
 مَا قَالَهُ غَيْرُهُ (٤) ، وَهُوَ :

* أَنْخَنَا فَاخْفَانَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ (٥)

(١) كتاب سيبويه (١ : ١٧١) واللسان (عوذ) . وقد نسب فيهما إلى عبد الله
 ابن الحارث السهمي . وانفرد اللسان برواية : « أن يغلوا » .
 (٢) هو الشنفرى الأزدي . المفضليات (١ : ١١٠) .
 (٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « والمِظان » .
 (٤) هو يحيى بن منصور . الحماسية ١٠٨ .
 (٥) صدره : * فلما نأت عنا العشرة كلها *

والأراك : شجرٌ تُتخذ منه للساويك . ويقال : إبلٌ أوارِك ، إذا اعتادت
أكلها . والأثلُ أيضاً : شجرٌ . وهذا كما قال الآخر (١) :

وتحلُّ في دارِ الحِفاظِ بيوتنا زَمَنًا وبِظَمَنٍ غيرُنا بالأمرِج (٢)

ونبّه بذكر الأرض البراح على أنهم غير محتجزين (٣) بمحْصُونٍ ولا قِلاعٍ ،
ولا ممتنعين بهِضابٍ ولا جبالٍ . والأثلُ والأراكُ يَنْبُتانِ في السَّهْلِ أكثر ،
فوكِّدَ بذكرهما المراد ، وجعل البراح بدلاً من قوله « بأرضٍ » ولذلك قال
« ذي أراكٍ » ولم يقل ذاتٍ .

٣ — فما أبقت الأيَّامُ مِمَّالٍ عِنْدنا سِوَى جَدَمِ أَذْوَادٍ مُحْدَقَةِ النَّسْلِ

أراد بالأيَّامِ الوَقَعاتِ . وقوله « مِمَّالٍ » أراد من الممال ، فجعل الحذفَ
بدلاً من الإدغامِ لِمَا التَّقَى بالنون واللام حَرَفانِ متقابلان ، الأولُ مُتَحَرِّكٌ
والثاني ساكنٌ سكوناً لازماً . والمعنى : ما بَقِيَ تأثيرُ الحوادثِ وَنَكَباتِ الأيَّامِ
عندنا من أصولِ الممالِ ومقتنياتِها ، إلَّا بَقايا أَذْوَادٍ قَطَعَ الضُّرُّ نَسْلَها ، وتمكَّنَ
الهُزَالُ وسوءُ الحالِ منها ، فهي على شَرَفٍ فَناءٍ وَذَهَابٍ . والجِذْمُ : الأصلُ .
والأذْوَادُ : جمعُ الذَّوْدِ ، والذَّوْدُ يقع على ما دون العَشْرَةِ . وقال أكثرُ أهلِ
اللغة : إنها تَقَعُ على الإناثِ دون الذُّكورِ . وبعضهم يجوزُ وقوعَها على الذكورِ
أيضاً . وما في البيتِ يَشْهَدُ للأوَّلِ .

٤ — ثَلَاثَةٌ أَثْلَثِ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا وَأَقْوَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ (٤)

(١) هو الحادرة الذياني . المفضليات (١ : ٨) .

(٢) المفضليات : « ونقيم » . م والمفضليات : « للأمرع » .

(٣) م : « محتجزين » بالراء المهملة .

(٤) في الأصل : « وأقواتها » . تحريف . ورواية التبريزي : « إلى القتل » .

أراد : أموالنا ثلاثة أثلاث ، فيرتفع الثلاثة على أنه خبرٌ مبتدأ محذوف ، وما بعدها تفسيرٌ لها وتفصيلٌ (ك) . وَنَبَّهَ بِمَا أُوْرِدَ وَقَسَمَ عَلَى الْوَجْهِ الَّتِي انصرفت إليها أموالهم فأفنتها ، والطَّرِيقِ الَّتِي تَوَزَعَتْهَا فَقَلَّتْهَا ، فَقَالَ : افترقت أموالنا فرقتاً ثلاثاً (ل) ففرقةٌ منها صرفناها إلى أمانٍ خيَلنا لأننا غزاًؤون ، ومُعَالَجُو حُرُوبٍ ، فلا نستغني عنها ؛ إذ كان جدُّنا وهزُلنا منها وبها . وِفِرْقَةٌ منها حَبَسْنَاهَا عَلَى أَقْوَاتِنَا وَمَعَايِشِنَا ؛ لِأَنَّ الْعَقَاةَ وَالزُّوَارَ كَانَتْ تَنْتَابُنَا وَتَقْنَابُ عَلَيْنَا حَتَّى تَسْتَعْرِقَهَا ، لِأَنَّ إِقَامَتَنَا بِدَارِ الْخِيفِ [شَغَلْتَنَا (٣)] عَنِ الْغَزْوِ وَاجْتِنَابِ الزِّيَادَةِ إِلَيْهَا . وَفِرْقَةٌ مِنْهَا وَجَّهْنَاهَا إِلَى الدِّيَاتِ ، وَأَرْوَشِ الْجِنَايَاتِ الَّتِي كَسَبَتْهَا أَيْدِينَا ، وَاجْتَرَحْتَهَا رِمَاحُنَا ، إِذْ كُنَّا لِعِزِّنَا وَمَنْعَتِنَا لَا يُطْمَعُ فِي الْاِقْتِصَاصِ مِنَّا . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ (م) :

* نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا (ه) *

(١) ابن جني في التنبيه : « أي أموالنا ثلاثة أثلاث ؛ فحذف المبتدأ وحذفه أيضاً فيما بعد في قوله : فأثمان خيَلنا . أي فعلت أثمان خيَلنا ، أو فأثمان خيَلنا ثلث وكذا وكذا وكذا . وجاز أن يقدره على : ثلث أثمان خيَلنا . فيبتدئ بالنعرة ويخير بالمعرفة ، من حيث كان الغرض إنما هو ثلث أموالنا من ذي ناحية تناولناه . ويجوز أن تمتد زيادة الفاء فإن ذلك كثير في الشعر والقرآن . فيبدل أثمان وأقوات وما نقود ، من ثلاثة أثلاث . أي مالنا أثمان خيَلنا وأقواتنا وما نقود إلى القتل . وقال ثلاثة أثلاث ولم يقل ثلاثة أقسام من قبل أن الأقسام قد تكون متساوية وغير متساوية ، فأراد صحة التقسمة ، واعتدال المساهمة » .

(٢) م : « ثلاثة » ، وكلاهما صحيح . فإن العدد إذا تأخر عن المعدود جاز فيه المطابقة وعدمها . انظر حاشية الصبان على الأشموني ، في أوائل (باب العدد) .

(٣) التكملة من م .

(٤) هو بشامة النهشلي . الحماسية ١٤ .

(٥) صدره : * بيض مفارقاً تغلي مراجلنا *

١٦١

وقال المثلّم بن عمرو (ك) :

١ - إني أباي الله أن أموت وفي صدري همّ كأنه جبل

يقول : يا أباي الله عزّ وجلّ لي الاخترام وفي نفسي همّ عظيم لا أَسعى في إمضائه وتنفيذه . ويعني بذلك دَمًا يَطْلُبُهُ ، أو حِقْدًا يَنْقُضُهُ ، أو مَنَى من عَدُوِّهِ (٢) يَذْرُكُهُ . وهذا الكلام وعيد وإيدان بأنه مجتهد في الطلب ، وراجح ألاّ يَحُولَ الأجلُ بينه وبين الأمل ، بما عَوَّدَهُ اللهُ من الصُّنْعِ والظَّفَرِ بالمَطْلُوبِ . والواو من قوله « وفي صدري » واو الحال . وموضع « كأنه جبل » صِفَةٌ لِلْهُمِّ . والهمُّ يجوزُ أن يَكُونَ مَصْدَرٌ هَمَمْتُ بِالشَّيْءِ ، ويجوزُ أن يَكُونَ واحِدَ الهُمُومِ .

٢ - يَمْنَعُنِي لَذَّةَ الشَّرَابِ وَإِنْ كَانَ قِطَابًا كَأَنَّهُ الْعَسَلُ

هذا من صِفَةِ الهَمِّ . يقول : يَصُدُّنِي ذَلِكَ الهَمُّ عَنِ التَّلَذُّذِ بِالشَّرَابِ ، وَإِنْ طَابَ وَصَارَ مِزَاجًا كَالْعَسَلِ يُسْتَحَلَّى وَلَا يُتَكَرَّرُ . ومثله لأبي ذؤيب :

* فِجَاءٌ بِمِزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ (٣) *

(١) التبريزي : « المثلّم بن عمرو التنوخي » ، ثم قال : « تنوخ هم أولاد تيم الله بن أسد ابن وبرة » . المبهج : « تنوخ اسم للقبيلة ، يجوز أن يكون فعولا من تنخ بالمكان ؛ أي أقام به . ويجوز أن يكون تفعل من الإناخة » . وقد ذكره الآمدي في المؤتلف ١٨١ والمرزباني في معجمه ١٨١ . وأنشد الآمدي هذه الأبيات ، ثم قال : « وهذه الأبيات في أشعار هذيل للبريق بن عياض الهذلي » . وتقول : إن هذه الحماسية في بقية أشعار الهذليين ص ٢٥ منسوبة للبريق بن عياض .

(٢) م : « عدو » .

(٣) عجزه في ديوان الهذليين (١ : ٤٢) واللسان والمقاييس (مزج ، ضحك) ،

* هو الضحك إلا أنه عمل النحل *

جَعَلَ مَا يُعْزَجُ بِهِ مَزْجًا . ورواية الأصمعي « مَزْجًا » بكسر الميم . فالمزج كالمزاج والقَطَاب ، سَمَّاهُ بِمَا يُسْتَصْلَحُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يُفْعَلُ بِهِ مِنْ بَعْدُ . وإنما قال هذا لأن الواحد منهم إذا أُصِيبَ مِنْ يَمَسِّهِ أَوْ وَتَرَ فِيمَنْ يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَخْتَصُّهُ ، كَانَ يَمُقَدُّ عَلَى نَفْسِهِ نَذْرًا فِي مَجَانِبِ بَعْضِ اللَّذَاتِ أَوْ أَكْثَرِهَا ، مِنْ مَعَاقِرَةِ الشَّرَابِ أَوْ مَجَامَعَةِ النِّسَاءِ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهَا ، إِلَى أَنْ يَفَالَ الْمُرَادُ ، وَيَحْصُلُ الْمُرْتَادُ . وَيُقَالُ قَطَبْتُ الشَّرَابَ ، أَي مَزَجْتُهُ . وَيُرْوَى : « وَإِنْ كَانَ رُضَابًا » . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ مَاءَ فَمٍّ مَحْبُوبٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ مَاءَ مَحَلِّهِ فِي جِنْسِهِ ذَلِكَ الْحَلُّ مِنَ الشَّرَابِ .

٣ - حَتَّى أَرَى فَارِسَ الصَّمُوتِ عَلَى أَكْسَاءِ خَيْلٍ كَأَنَّهَا الْإِبِلُ

حَتَّى تَعَلَّقَ إِنْ شئتَ بِقَوْلِهِ أَبِي اللَّهِ ، وَإِنْ شئتَ تَعَلَّقَ بِيَمْنُعِي ، وَالتَّقْدِيرُ فِي الْوَجْهِينِ : يَا أَبِي اللَّهِ مَوْتِي حَتَّى أَرَى هَذَا الْأَمْرَ ، أَوْ يَمْنَعُنِي الِاتِّعَازَ بِالشَّرَابِ حَتَّى أَرَاهُ وَأَشَاهِدَهُ . وَالصَّمُوتُ : اسْمُ فَرَسٍ (١) . وَيَعْنِي بِفَارِسِهِ نَفْسَهُ . وَأَكْسَاءُ الْخَيْلِ : أَدْبَارُهَا . وَيُقَالُ هُوَ يَكْسُوهُ وَيَدْبُرُهُ وَيَذْنُبُهُ ، أَي يَكُونُ فِي أَثَرِهِ . وَحِكْيُ الْخَلِيلِ أَكْسَانُهُ الْخَيْلَ . وَالْمَعْنَى : لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى أَرَى نَفْسِي تَرَكُضُ فِي أَدْبَارِ خَيْلٍ مِنْهَزِمَةٍ وَتَسُوقُهَا ، كَمَا تُسَاقُ الْإِبِلُ . وَقِيلَ شَبَّهَهَا بِالْإِبِلِ فِي عِظَمِ خَلْقِهَا وَإِشْرَافِهَا . وَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا يُرَادُ بِهِ خَيْلٌ مَخْصُوصَةٌ بِتَوْعَدِهَا وَبِعَيْنِ عَلَيْهَا .

(١) انْتَبِرِيْزِي « وَيُرْوَى : كَأَنَّهَا أَبِلٌ ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْبَاءِ ، وَهِيَ جَمْعُ أَبِيلٍ . وَالْأَبِيلُ :

الْعَصَا وَالْخَيْلُ تَشْبَهُ بِالْعَصَى فِي ضَمْرِهَا وَصَلَابَةِ لِحْمِهَا . قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

* كَأَنَّهَا هِرَاوَةٌ مِنْوَالٌ * .

(٢) التَّبْرِيْزِي : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ فَرَسٍ ، أَوْ اسْمٌ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ .

شَبَّهَ الْفَرَسَ بِالْمِرَاوَةِ لِأَنَّهَا تَحْتَمِلُ
مِنْ أَصْلَابِ الْعُودِ وَأَشَدُّ .
وَالْمِرَاوَةُ : الْعَصَا ، وَهِيَ حَاكِمَةٌ
مِنْ آلَاتِ الْحَاكِمِ ، وَأَصَابِعُهَا إِلَى
الْمُرْوَالِ .

٤ - لا تحسبني مُحَجَّلًا سَبَطَ السَّاقَيْنِ أُنْبِكِي أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ
 هذا توعُّدٌ وتعريضٌ بالمخاطب . المحجَّل ، يجوز أن يكون مأخوذًا من
 الحِجَل الذي هو القيِّد ، ومن الحِجَل الذي هو الخَلْخَالُ ، ويجوز أن يكون
 من الحِجَلَة . والمعنى : لا تظنني إنسانًا مُتَرَفًا مُنْعَمًا لا غِنَاءَ عِنْدَهُ ، ولا كفاية
 لديه ، ولا رأى يُسْتَنَدُ إليه ، ويعوَّل في المهمات عليه ، فهو في العجز كالممنوع
 المُقَيَّد ، وكالمرأة المخلخلَة ، وكالحذَر الملائم للحجال والفرشِ يجرع - لضعف
 نُهوضِهِ ، وسقوط قُوَاهُ ، وسوء بصيرته - من ظَلَعَ جَمَلِهِ فَضَلًا من غيره . وقوله
 « أُبِكِي أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ » صَرَفَ الْكَلَامَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَوْ قَالَ
 « يَبِكِي أَنْ يَظْلَعَ » لَتَرَكَ الْاسْتِمْرَارَ فِي صِفَةِ الْحَجَلِّ جَارِيًا عَلَى حَدِّهِ ، غَيْرَ
 مَتَحَوِّلٍ عَنْهُ ، وَكَانَ الْكَلَامَ أَحْسَنَ فِي قِرَانِ النَّظْمِ .

٥ - إني امرؤ من تنوخ ناصرُه مُحْتَمِلٌ فِي الْحُرُوبِ مَا احْتَمَلُوا (١)

قوله « من تنوخ » أي أنتسب إليها ، وأهوى هواها . و« ناصرُه »
 نَكْرَةٌ لِأَنَّ إِضَافَتَهُ إِضَافَةٌ تَخْفِيفٌ لَا إِضَافَةٌ تَعْرِيفٌ ، وَالتَّنْوِينُ مَنْوِيٌّ فِيهِ ،
 أَرَادَ : نَاصِرُهُ . وَقَوْلُهُ : « مَا احْتَمَلُوا » أَرَادَ : مَا احْتَمَلُوهُ ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ
 لِطَوْلِ الصَّلَةِ . وَالْمَعْنَى : إِنِّي مَخَالِطُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ ، وَصَابِرٌ عَلَى مَا يَصْبِرُونَ عَلَيْهِ ،
 وَنَاهِضٌ تَحْتِ الْعِبَاءِ الَّذِي يَنْهَضُونَ فِيهِ .

(تم التسم الأول من شرح المرزوقي للحجامة)

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : ويروى ناصرهم ، أي ناصر لهم . قال : وهذا
 الشعر في أشعار هذيل للبريق بن عياض الهذلي . وقال : إني امرؤ من هذيل » .

ح

الحماسة (كتاب) :

لأبي تمام حبيب بن اوس الطائي المتوفى سنة ٢٣١ هـ جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب ورتبه على ابواب عشرة (الحماسة/المرائي/الادب/النسيب/الهجاء/الاضافا
ت/السير/الملح/مذمة النساء) واشتهر ببابه الأول وقيل في سبب جمعه انه دخل همدان فاغتنمه ابو الوفاء بن مسلم فانزله واكرمه فاصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغم ابا تمام ذلك وسر ابا الوفاء فاحضر له خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب «الحماسة» وقد شاع هذا الكتاب واشتهر وكثر سراحه وجاء بعد ابي تمام من جمع على طريقته اشهرهم تلميذه البحري

